

مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة التراث الفلسفي العربي
مؤلفات إبن رشد : (٥)

الكليات في الطب

مع معجم بالمصطلحات الطبية العربية

مع مدخل ومقدمة تحليلية وشروح للمشرف على المشروع

الدكتور محمد عابد الجابري

هذا الكتاب

بحلول عام ١٩٩٨ تكون قد مرت ثمانية قرون على وفاة فيلسوف قرطبة أبي الوليد ابن رشد الحفيد (٥٢٠ هـ/ ١١٢٦ م - ٥٩٥ هـ/١١٩٨م). واحتفاء بهذه المناسبة، ومساهمة في إحياء ونشر فكر هذا الفيلسوف العربي الكبير - الذي كان له الدور الأكبر في النهضة الأوربية الأولى، في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، والذي بقي حضوره قوياً في الفكر الأوربي إلى القرن الثامن عشر - بادرنا إلى إصدار طبعة جديدة محققة وميسرة لمؤلفاته «الأصيلة»، أعني تلك التي كتبها ابتداء، وليس تلخيصاً أو شرحاً.

يتعلق الأمر بصفة خاصة بالمؤلفات التالية: «فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال»، «الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة»، «تهافت التهافت»، «الكليات في الطب»، إضافة إلى كتابه «الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون»، الذي فقد أصله العربي وبقيت منه ترجمة عبرية، والذي نعيد نقله إلى العربية لأول مرة، ضمن هذا المشروع. وفي النية أيضاً إعداد طبعة محققة تحقيقاً علمياً، مع تعليقات وشروح، لكتابه الذي لا نظير له في الفقه المقارن (على المذاهب الأربعة): «بداية المجتهد ونهاية المقتصد».

إن القضية الأساس التي يطرحها ابن رشد في كل من «فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال» و«الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة» وفي «تهافت التهافت»، هي بلغتنا المعاصرة: قضية العلاقة بين الدين والمجتمع كما طرحت في التاريخ العربي الإسلامي إلى عهده. وهذا ما سيتضح للقارئ من خلال تقدمنا في هذا المشروع.

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون

ص.ب: ٦٠٠١ - ١١٣ - بيروت - لبنان

تلفون: ٨٦٩١٦٤ - ٨٠١٥٨٢ - ٨٠١٥٨٧

برقياً: «مرعربي» - بيروت

فاكس: ٨٦٥٥٤٨ (٩٦١١)

e-mail: info@caus.org.lb

Web Site: http://www.caus.org.lb

الثمن: ١٨

أو ما

الكليات في الطب

مع معجم بالمصطلحات الطبية العربية



مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة التراث الفلسفي العربي
مؤلفات إبن رشد : (٥)

الكليات في الطب

مع معجم بالمصطلحات الطبية العربية

مع مدخل ومقدمة تحليلية وشروح للمشرف على المشروع

الدكتور محمد عابد الجابري

الفهرسة أثناء النشر ـ إعداد مركز دراسات الوحدة العربية
ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد الأندلسي المالكي
الكليات في الطب مع معجم بالمصطلحات الطبية العربية/ مع مدخل ومقدمة تحليلية وشروح للمشرف على المشروع محمد عابد الجابري.
٦٦٢ ص. ــ (سلسلة التراث الفلسفي العربي. مؤلفات ابن رشد؛ ٥)
يشتمل على فهرس الأعلام.
١. الطب العربي. أ. الجابري، محمد عابد. ب. العنوان. ج. السلسلة.
610

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن اتجاهات يتبناها مركز دراسات الوحدة العربية»

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون ص.ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣ ـ بيروت ـ لبنان
تلفون: ٨٦٩١٦٤ ـ ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧
برقياً: «مرعربي» ـ بيروت
فاكس: ٨٦٥٥٤٨ (٩٦١١)
e-mail: info@caus.org.lb
Web Site: http://www.caus.org.lb

الطبعة الأولى
بيروت، أيار/مايو ١٩٩٩

المحتويات

مدخل:

مقدمة تحليلية:

النص

مدخل

في تاريخ الطب العربي
ابن رشد : "العصا القاتلة"

١- كتاب غير مسبوق

الغرض من هذا المدخل هو وضع هذا الكتاب في مكانه من سياق تاريخ الطب العربي، بل التاريخ العام للطب. وهذا أمر ضروري لفهم هذا الكتاب، لا بوصفه كتاب معلومات في الطب، فطب اليوم غير طب الأمس؛ والطب كما أراده ابن رشد "علم"، وتاريخ العلم كما يقول باشلار هو " تاريخ أخطاء العلم". إن أهمية هذا الكتاب، إذن، ليست فيما يقرره من آراء طبية في هذا المرض أو ذاك، أو في هذا المظهر أو ذاك من مظاهر الصحة ووسائل الحفاظ عليها، بل تكمن أهميته -من وجهة نظرنا على الأقل- في كونه يدشن لحظة جديدة في تاريخ التفكير العلمي في الطب في الثقافة العربية، فهو ينتمي إلى مجال **الفكر العلمي** أكثر من انتمائه إلى **الممارسة الطبية**، وهذا ما أكد عليه ابن رشد نفسه مرات عديدة في فصول هذا الكتاب.

وهنا لابد من التمييز بوضوح بين التأريخ للعلوم الذي موضوعه تتبع الكشوف العلمية وممارسة هذا العلم أو ذاك عبر التاريخ وفي الحضارات المختلفة، وبين التأريخ لتطور الفكر العلمي، رؤيةً ومفاهيمَ ومناهجَ. الأول هو "تاريخ العلم" وهو السائد عموما، وهو وحده المعروف في ثقافتنا العربية المعاصرة عبر أبحاث المستشرقين الذي كانوا السباقين في هذا المجال إلى الاستفادة من المخطوطات الطبية العربية وكتب "تراجم الأطباء" التي تزخر بها المكتبة العربية القديمة. أما الثاني، وأعني "تطور الفكر العلمي"، فالاهتمام به حديث نسبيا، حتى في الغرب، ولم تنل منه الثقافة العربية بعد حقها كاملا.

ومع أن في النصوص الطبية العربية، التي حررت قبل ابن رشد وبعده، ما قد ينتمي بصورة أو بأخرى لهذا الصنف الأخير، أو يفيد البحث المعاصر في هذا المجال، فإن كتاب" **الكليات**" في الطب لابن رشد يفرض نفسه كأول كتاب يطرح للنقاش موضوع التفكير العلمي في الطب. ذلك أن فيلسوف قرطبة، "الذي كان يفزع إلى فتواه في الطب كما يفزع إلى فتواه في الفقه"، كما يقول عنه كتاب التراجم، يتخذ لنفسه في هذا الكتاب، بالفعل وبوعي وإلحاح، موقف المفتي فيما يجب أن يكون عليه الطب حتى يرتفع من مجرد مجموعة معارف

تراكمت عبر الممارسة التي تقوم على الخبرة، إلى مرتبة العلم الذي تؤسسه "كليات"، أي **أسس ومبادئ ومناهج**، يجب أن تعرف وتؤخذ كأساس للفكر الطبي. من هذه الزاوية يمكن القول إن هذا الكتاب غير مسبوق، ولم يظهر ما يماثله في موضوعه إلا في القرن التاسع عشر، حين أصبحت فلسفة العلم موضوع اهتمام. وإذن فالكتاب الذي بين أيدينا هو أقرب إلى أن يكون كتابا في فلسفة العلم، أو الايبستيمولوجيا، بالمعنى المعاصر، منه إلى كتاب في الطب كممارسة، علما بأنه يلخص بصورة كافية ومركزة الممارسة الطبية في عصره، لا كمجرد ناقل بل كطبيب مجتهد صاحب رأي.

ولكي ندرك أهمية هذه المقاربة، أو هذا النوع من التحديد لهوية هذا الكتاب، يجب أن نطرح هذا السؤال: متى بدأت "فلسفة العلم" تفرض نفسها كـ"علم" خاص، كحقل معرفي متميز بموضوعه وطرق البحث فيه؟

للجواب عن هذا السؤال قد تكفي الإشارة إلى أن "فلسفة العلم" بوصفها "الدراسة النقدية لمبادئ مختلف العلوم ولفروضها ونتائجها بقصد تحديد أصلها المنطقي (لا السيكولوجي) وبيان قيمتها وحصيلتها الموضوعية"[١]، حقل علمي حديث لم يبدأ الاهتمام به إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ وذلك حين نضجت العلوم التجريبية واستقلت عن الفلسفة. أما في العالم القديم فالبحث في التفكير العلمي، بما يقرب من هذا المعنى أو يوازنه، إنما نجده عند أرسطو تخصيصا. ذلك لأن أرسطو كان بحق أول فيلسوف وأول عالم انكب على تصنيف العلوم ونقد مناهج التفكير وبيان مراتبها في حصول اليقين.

ولم يظهر بعد أرسطو من استأنف النظر في هذا الموضوع، بصورة مطبقة، إلا ابن رشد بكتابه "**الكليات**" في الطب.[٢] لقد قام فيلسوفنا في هذا الكتاب — كما سنرى- بـ"نقد الأسس" التي كان يقوم عليها الطب في زمانه: تفكيرا وممارسة. ولعل هذا هو ما جعل هذا الكتاب يفرض حضوره في الجامعات الأوروبية إلى حدود القرن التاسع عشر، والأهم من ذلك أنه **زعزع النظرية**

---

(١) انظر تفاصيل في الموضوع في كتابنا: **مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي**. الطبعة الأولى. الدار البيضاء. ١٩٧٦. الطبعة الرابعة. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ١٩٩٨. جزآن في مجلد واحد. ص ١٧ وما بعدها.

(٢) هناك بطبيعة الحال ما كتبه الفارابي وابن سينا في إطار النقل عن أرسطو أو شرح نظريته كما عرضها في التحليلات الثانية.

الطبية السائدة، حتى وُصِف ابن رشد -هناك في الأوساط الطبية في أوروبا- بـ"العصا القاتلة" و"الرجل الذي أفسد جميع الأطباء"، كما سنرى! أما في الثقافة العربية فنحن ندعي أنه كان له دور "المؤسس" لفكر طبي نقدي أدى إلى أعظم اكتشاف في تاريخ الطب العربي، كما سنبين في المقدمة التحليلية التي تلي هذا المدخل.

على أنه إذا كان كتاب "الكليات في الطب" فريدا في نوعه بالنسبة لتاريخ الفكر النقدي في الطب العربي فهو بالنسبة لفكر ابن رشد ككل ليس استثناء، بل هو جزء من كل: جزء من عملية "التصحيح" التي قام بها فيلسوفنا في مختلف فروع المعرفة في عصره: في العقيدة وفي الفقه والأصول كما في الفلسفة، إضافة إلى "التصحيح" الذي كان ينوي القيام به في مجال علم الفلك ولم يتسع له وقته[٣].

وما يلفت الانتباه في هذا الكتاب هو أن ابن رشد لم يفكر في عملية التصحيح داخل أفق "الطب العربي" وحده، بمعنى أن مخاطبه هنا لم يكن لا الرازي ولا ابن سينا ولا غيرهما من الأطباء العرب، كما كان الشأن في الكلام والفلسفة حيث توجه بخطابه النقدي التصحيحي إلى كل من الأشاعرة وابن سينا، بل لقد كان مخاطبه هنا في حقل الطب هو مرجعية التفكير الطبي في العصور القديمة والوسطى وإلى حدود القرن الثامن عشر : أبقراط[٤] وجالينوس (Hippocrate, Galien)، وهما صاحبا مدرستين في الطب القديم، مختلفتين ومعروفتين باختلافهما إلى درجة صار يضرب بهما المثل، إذ يقال: "إذا قال أبقراط: نعم، قال جالينوس: لا". وقد انتقلت هاتان المدرستان وامتداداتهما إلى الثقافة العربية، ولكن دون أن يتبلور في الطب العربي اتجاهان يمثلان بوضوح هاتين المدرستين، بل لقد جمع الأطباء العرب جميع المؤلفات الطبية القديمة -تقريبا- فاتخذوا منها مرجعية واحدة، مع الوعي بالاختلاف بين مكوناتها معتبرين هذا الاختلاف أمرا

---

(٣) انظر بخصوص هذا الموضوع كتابنا: **ابن رشد: سيرة وفكر**. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ١٩٩٨. الفصول الخامس إلى التاسع.

(٤) هناك شكوك كثيرة حول ما نسب لأبقراط من مؤلفات. ومدرسة أبقراط كما سنرى قوامها عدد كبير من المؤلفات ألفت بعده ونسبت إليه، وهي التي تشكل القسم الأعظم من التراث الطبي الأبقراطي.

طبيعيا، شأنه شأن الاختلاف المعروف داخل الثقافة العربية بين نحاة الكوفة ونحاة البصرة مثلا أو بين المحدثين والمتكلمين الخ.

يتجلى ذلك واضحا في أول كتاب جامع في الطب ظهر في الثقافة العربية، أعني بذلك كتاب "الحاوي" للرازي الذي سنتحدث عنه بشيء من التفصيل بعد قليل. لقد سلك الرازي في هذا الكتاب مسلك معاصريه في التأليف في "العلوم النقلية"، من النحاة والمحدثين والمؤلفين في "الأخبار" و"الأدب" الخ؛ فهو يورد، مثلهم، جميع ما انتهى إليه من آراء الأطباء في المرض الواحد، من أبقراط إلى أساتذته ومعاصريه، ذاكرا أسماءهم، مشيرا إلى رأيه هو بقوله: "لي". إن طريقة الرازي في التأليف في الطب كانت بنت عصرها: تعتمد "**الرواية**". وقد قامت على إثرها طريقة أخرى -في التأليف الطبي دائما- تعتمد "**الدراية**" أعني التنظيم والتصنيف، وستبلغ هذه الطريقة أوجها مع ابن رشد، لتسجل لحظة جديدة في تاريخ التفكير الطبي.

وإذن، فلابد، لفهم تطور التفكير الطبي في الثقافة العربية، وبالتالي تقدير أهمية لحظة ابن رشد، من أن نعرض، بقدر ما يتسع له المجال، لتطور الفكر الطبي منذ قيامه كـ"علم" في الثقافة العربية. ولا بد قبل ذلك من كلمة موجزة عن مؤسسي هذا العلم: أبقراط وجالينوس الذين قلنا إنهما وحدهما كانا مرجعية ابن رشد في المعارف الطبية التي تعامل معها.

٢- مدرسة أبقراط: القوة الطبيعية الشافية

أبقراط من جزيرة قو Cos، وتقع في بحر إيجه بالجزء الجنوبي من آسيا الصغرى، وكانت مركزا طبيا شهيرا بل "مقرا لأعظم مدرسة من مدارس الطب في التاريخ القديم"[٥]. ولد حوالي ٤٦٠ قبل الميلاد وعاش ما يقرب من خمس وثمانين سنة. تعلم الطب على والده وجال في بلاد اليونان. ذكره أفلاطون الذي كان أصغر منه سنا كما ذكره أرسطو. أما مذهبه فكان يقوم على فكرة

---

(٥) يمكن الرجوع إلى: جورج سارتون. تاريخ العلم. ج ٢. جماعة من المترجمين. دار المعارف بمصر. ط ٢. ١٩٧٠. ص ٢١٩ وما بعدها. أيضا: الموسوعة الفرنسية: Encyclopedia Universalis حيث يجد القارئ عرضا مفصلا عن المؤلفات الأبقراطية الكاملة. وكذلك:

M. Bariéty C. Coury. Histoire de la médecine . Fayard, Paris 1963.

ومن الكتب الجيدة والوجيزة في تاريخ الطب عموما كتاب:

Jean Fauvet. Histoire de la médecine. Que sais-je. P.U.F, Paris .

الفيزيس Physis التي منها ركبت كلمة "فيزيولوجيا" التي تعني "علــــم الطبيعـــة" والمقصود "طبيعة الإنسان"، وبالتالي "علم الحياة". وقد عرفت مدرسة الطـــب الأبقراطي منذ ذلك الوقت بكونها تقوم على نظرية "القوة الطبيعيـــة الشـــافية" Vis medicatrix naturae التي تلح على "الحاجة إلى فهم الطبيعة تمهيدا لتفهم جســـد الإنسان ونفسه".

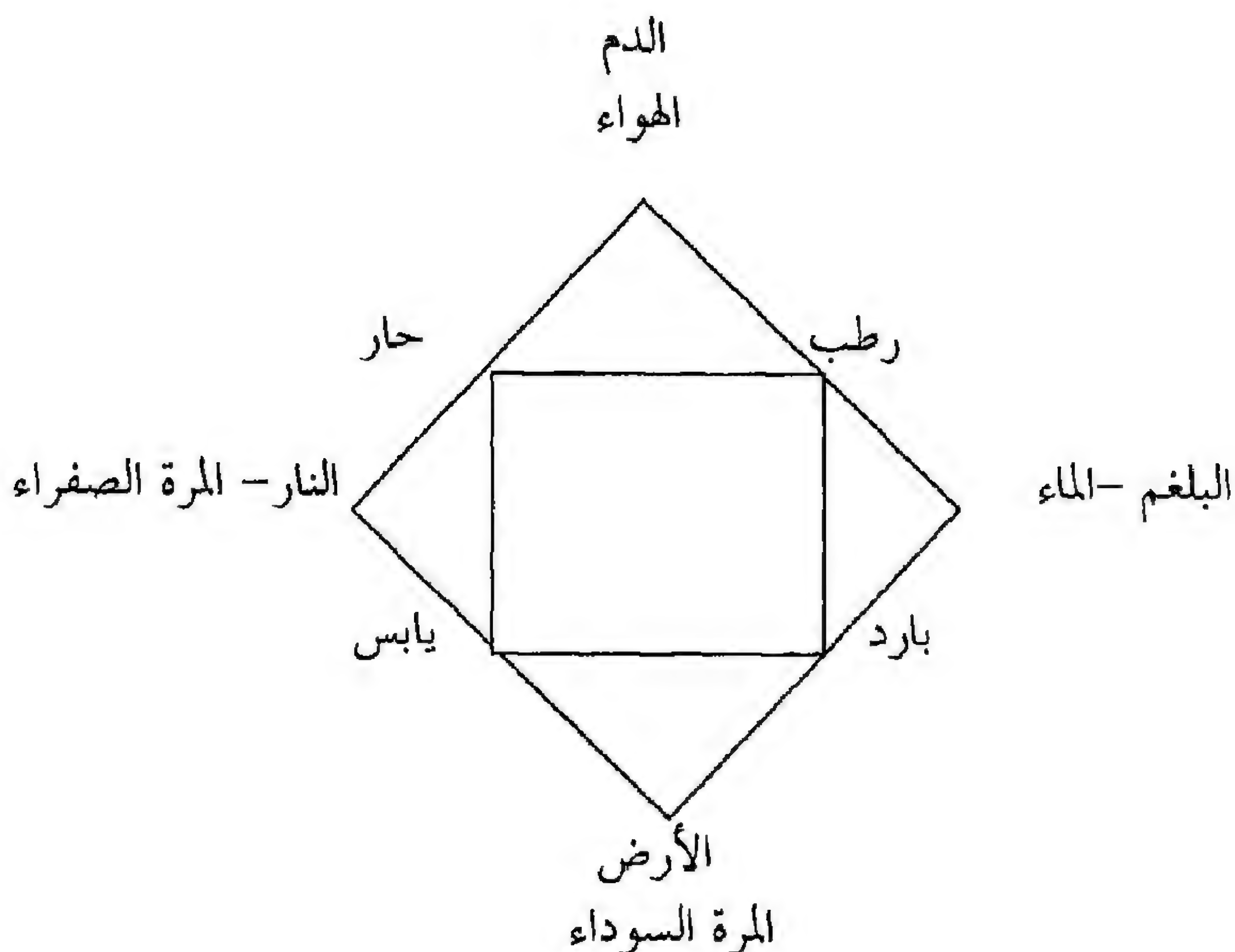
اهتمت هذه المدرسة بوظائف الأعضاء (الفيزيولوجيـــا) وأولـــت عنايـــة كبرى لنظرية الأخلاط الأربعة التي كانت معروفـــة مـــن قبـــل في خطوطـــها الكبرى. وملخص هذه النظرية أن بدن الإنسان يتكون، مثله مثـــل أي جســـم طبيعي، من العناصر الأربعة: التراب والماء والهواء والنار. وهذه العناصر تـــترتب عنها كيفيات أو طبائع أربع: اليبوسة (التراب)، والرطوبة (المـــاء)، والـــبرودة (الهواء)، والحرارة (النار). ثم شيدت على ذلك نظرية الأخلاط الأربعة التي تتألف من العناصر الأربعة كمادة ومن الكيفيات الأربعة التي تعطي لكل خلط صورتـــه وجوهره. وهذه الأخلاط هي السوائل التي يشتمل عليها جسم الإنسان، وهـــي: الدم وهو حار رطب، والبلغم وهو بارد رطب، والمرة الصفـــراء وهـــي حـــارة يابسة ، والمرة السوداء وهي باردة يابسة.

يشرح ابن رشد هذه النظرية فيقول: "فإنهم يرون أن الماء والنـــار والأرض والهواء هي أسطقسات (=أصول) بعيدة لبدن الإنسان وأن القريبة هـــي هـــذه الاخلاط الأربعة، وأن السوداء شبيهة بالأرض، والصفراء بالنار، والبلغم بالمـــاء، والدم بالهواء". ثم يلاحظ أن "كثيرا من الأطباء يخالفونهم في هذا ويقولون مـــادة الإنسان القريبة التي منها كونه هي الدم، وأن هذه الأخلاط الأربعة هي فضـــول الدم تتميز عن انطباخ الدم منه". ويضيف: "وإذا تؤمل ما يقولـــه جـــالينوس في طبيعة هذه الأخلاط لزم عنه هذا القول: وذلك أنه يقول في كتابـــه في القـــوى الطبيعية إن الصفراء من الدم بمنـــزلة الرغوة التي تكون من الشـــراب إذا غـــلا، والسوداء بمنـــزلة الثفل(م)(*) منه. وإذا كان ذلك كذلك فهي فضـــول الـــدم لا أصوله"(٦). ومهما يكن فقد ترسخت نظرية الأخلاط في الطب وبقيت حيـــة إلى حدود القرن الثامن عشر، وعلى أساسها كانت تفسر حالـــة الصحـــة بكونهـــا

(*) يحيل الحرف (م) إلى معجم المصطلحات الملحق بالكتاب. وقد رتب على الحروف الهجائية مع إسقاط "أل" التعريف.

(٦) ابن رشد. **شرح أرجوزة ابن سينا في الطب**. من المتن الذي يقوم أحمد محفوظ بتحقيقه .

عبارة توازن في البدن بين هذه المكونات، ويعبر عنه بـ"الاعتدال"(م) ، بينما حالة المرض هي اختلال في هذا التوازن، ويعبر عنه بفقدان الاعتدال. وأضيف إلى ذلك تأثير المناخ متمثلا في الفصول الأربعة. والرسم التالي يبين العلاقة بين هذه الأخلاط: فالنار نظيرة الصفراء إذ هي حارة يابسة، والهواء نظير الدم إذ هو حار رطب، والماء نظير البلغم إذ هو بارد رطب والأرض نظير السوداء إذ هي باردة يابسة[٧].



ومن خلال نظرية الأخلاط هذه كان يتم التعرف على تطور الأمراض ودرجة خطورتها على حياة الإنسان، وهو ما يسميه القدماء بـ"تقدمة المعرفة" (التنبؤ)، وبالتالي التمييز بين مراحل في المرض: مرحلة أولى وفيها يضطرب

---

(٧) ورد الوضع على غير هذا الترتيب في المرجع الذي اقتبسنا منه هذا الرسم، وقد صححناه حسب نص ابن رشد:

Charles Singer. **Histoire de la Biologie**. Payot, Paris 1934. Cité par H. JAHIER ET A. NOUREDDINE. **POEME DE LA MEDECINE.** URGUZA FI T-TIBB. LES BELLES LETTRES. PARIS. 1956 .

تركيب الأخلاط ويختل التوازن وهي مرحلة "الحضانة"(م) بالاصطلاح المعاصر. ثم تليها بعد أيام مرحلة "النضج"(م) (الذي يكون بالطهو: من طهو العام) ثم تليها مرحلة الأزمة، أو مرحلة الأيام الحرجة. وقد وضعوا لهذه المرحلة جداول وآجالا اعتمدوا فيها، لا على دراسة إكلينيكية، بل على ما كان شائعا من الخصائص السرية للأعداد كما حددتها المدرسة الفيثاغورية. و الطبيب الماهر، حسب **أبقراط** ومدرسته، هو الذي يقدر على التنبؤ بالأيام الحرجة، قبل وصول المرض إليها فيعمل على الرفع من معنويات المريض وتقوية إرادته ليتمكن من الصمود واجتياز الأزمة بسلام. ذلك أن البرء هو في استعادة التوازن، والجسم بطبيعته يستعيد توازنه، ولذلك يجب مساعدته على ذلك بتوفير أسباب الراحة للمريض بواسطة الغذاء المناسب والرياضة والعمل على تقوية عزيمته؛ فالعلاج إنما يكمن في إعانة الطبيعة في عملها لاستعادة التوازن. لذلك كان على الطبيب أن يتعامل بحذر مع المرض فلا يتدخل حتى يتأكد أن تدخله لن يعيق الطبيعة على تحقيق قوتها الشافية. وإنما يتدخل الطبيب حين يكون تدخله ضروريا من أجل إزالة أو"استفراغ" ما تراكم في الجسم من "فضلات" كالدم الفاسد والبلغم والمرارة والبول والغائط الخ، وذلك لأن المرض يكون في الأكثر من تولد فضول الأغذية في أبداننا ، ومن هنا أهمية **"الاستفراغ"** كعلاج. وقد ورد في تعاليم أبقراط: "الجسد يعالج على خمسة أضرب : ما في الرأس بالغرغرة، وما في المعدة بالقيء، وما في البدن بإسهال البطن، وما في الجسد بالعرق، وداخل العروق بإرسال الدم". وتلك هي طرق الاستفراغ. وكان أبقراط يفضل أن ينتظر الطبيب وأن لا يفعل شيئا عندما لا يتيقن من الأمر، ويقول "إن الطبيب بهذه الطريقة إذا لم يفعل شيئا لصالح المريض فهو لا يفعل شيئا يضره"، وهذا ما جعل بعض أطباء الإسكندرية يعلق على ذلك قائلا: "إن هذا النوع من الطب يقوم على تأمل الموت". وواضح أن هذا الإلحاح على الاحتياط وعدم التدخل، قبل التأكد من فائدة التدخل، هو موقف علمي يحارب التدخلات المتسرعة، خصوصا تلك التي يميل إليها الأطباء الجدد. وسنرى كيف أن ابن رشد يميل إلى هذا الموقف الحذر ضدا على جالينوس ودوغمائيته.

وهكذا فإذا نُظر إلى الطب الأبقراطي من زاوية تطور الطب فإنه يبدو "كأول ممثل للطب العلمي. وهو الأول من نوعه في اليونان إن لم يكن في العالم أجمع". لقد كان الطب قبله مليئا بما ينتمي إلى الشعوذة والسحر وادعاء القدرة

على العلاج في كل حالة، فضلا عن الاعتقاد في الأرواح و اللجوء إلى الأضرحة والمعابد الخ. أما أبقراط فقد ضرب صفحا عن كل ذلك وتمسك بحكم العقل وحده، مهتما بالمعرفة الطبية أكثر من اهتمامه بالعلاج بأي وسيلة اتفق. وقد استمر طب ابقراط بعده وازدهر في الإسكندرية خاصة، حيث جمعت المؤلفات الأبقراطية. كما استفاد الطب بعد أبقراط بأبحاث أرسطو الذي اشتهر بدراساته العلمية للحيوانات ومقارنته عضوياتها بجسم الإنسان فأسس بذلك علم التشريح المقارن وعلم البيولوجيا (علم الأحياء) والفزيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) وعلم الأجنة، مما وفر خلفية علمية للطب سيركز ابن رشد عليها كما سنرى.

٣- مدرسة جالينوس: النـزعة العقلانية الدوغمائية

أما جالينوس Galenus, galien، فقد ولد سنة ١٣١ بعد الميلاد في مدينة فرغام Pergame بآسية الصغرى حيث بدأ دراسته، لينتقل بعد ذلك إلى قبرص وفلسطين ثم إلى الإسكندرية حيث أقام أعواما للدراسة ليعود بعدها إلى مدينته ليمارس الطب هناك قبل أن يصبح طبيب البلاط في روما. لقد كان بحق، في نظر القدماء كما في نظر المعاصرين، أكبر الأطباء بعد أبقراط، وقد شرح كتب هذا الأخير وألف كثيرا في جميع فروع الطب. وقد لخص ابن رشد بعض كتبه[٨].

كان جالينوس، على خلاف أبقراط، ميالا إلى الاعتماد على الاستنباط والقياس واستخلاص نتائج عامة من معطيات تجريبية محدودة. وعلى هذه المسألة بالذات سيتركز نقد ابن رشد لجالينوس كما سنرى في المقدمة التحليلية. لقد بالغ جالينوس في صياغة المعارف الطبية صياغة نسقية، فأرجع جميع الأمراض إلى اختلال توازن الأخلاط، وجعل لكل خلط منفذا خاصا يتخلص الجسم منه عن طريقه: الدم منفذه الأنف والفم والحيض، والبلغم منفذه الأنف والحلق، والصفراء مخرجها الكيس الصفراء التي على الكبد، والسوداء مخرجها الطحال والمعدة. والتخلص من "فضلات" هذه الأخلاط يكون بالاستفراغ: بالقيء أو بالإسهال أو بالفصد والنـزيف. هذا من جهة ومن جهة أخرى ميز جالينوس بين ثلاثة أنواع من الأرواح: الروح الحيواني يتلقى الإحساسات، والروح الحيوي أو الحرارة الغريزية التي منبعها القلب، والروح الطبيعي الذي يغذيه الكبد. وأعضاء

(٨)"تلخيصات ابن رشد إلى(؟) جالينوس". تحقيق م.كونثيبثيون باثكيث دي بينيتو. جامعة سلمنكا. نشر المعهد الإسباني العربي للثقافة. مدريد ١٩٨٤.

البدن لها قوى أربع: جاذبة تجذب الغذاء وتحوله في الجسم إلى سائل غذائي، وهاضمة تهضم ذلك السائل، وماسكة تحتفظ به وتحوله إلى مادة البدن، ودافعة للفضول.

على أن أهم ما أضافه جالينوس إلى نظرية الأخلاط الأربعة هو نظريته في **الأمزجة** التي شيدها على نظرية الكيفيات الأربع: اليبوسة والرطوبة والحرارة والبرودة التي جعل منها جوهر الأشياء. والمزاج، مزاج الأبدان والأدوية وغيرها، يتحدد من اختلاف درجة وجود هذه الكيفيات فيها. أضف إلى ذلك العوامل الخارجية مثل الإقليم والمناخ وفصول السنة والعمر الخ، وهي كلها تتدخل في تشكيل المزاج. وهكذا صار "المزاج" بمثابة محصلة التوازن أو اختلاله على صعيد الأعضاء كما على صعيد البدن ككل. مما جعل نظرية المزاج، عند جالينوس وبعده، تتحول إلى نظرية أنثروبولوجية في تصنيف البشر، فهي تخص كل فرد من الناس بمزاج خاص، يرجع إلى تأثير الأخلاط كما يرجع إلى تأثير المناخ والإقليم، مما أعطى لهذه النظرية بعدا اجتماعيا وسياسيا(٩).

وإلى جانب ذلك كانت لجالينوس في التشريح أعمال هامة إذ وصف كثيرا من الأعضاء وصفا دقيقا كما حرص على تعيين وظائفها بما يتسق مع نظريته العامة. كان يعتقد خلافا لمن سبقه "أن الرئاسة العامة" في البدن هي للكبد لأن الدم يتولد فيه ومنه ينتقل إلى القلب ليسري بعد ذلك في الجسم كله عبر العروق، مما يعني أن القلب تابع له تحت "رئاسته"، وكان ذلك مما انتقده فيه ابن رشد كما سنرى. ومع أنه كان يسخر من السحر والتعاويذ وما في معناهما، فإنه كان يعتقد في إمكانية التنبؤ بواسطة الأحلام وتعبير الرؤى ويقول بتأثير القمر في بعض أحوال المرض، كما عرف بنزعته الغائية ورفض التفسير الآلي. لقد كان يرى أن في الكائن الحي نزوعا غائيا يجعل جميع أعضاء البدن تتجه إلى ما فيه مصلحة البدن كله. تماما مثلما أن الكون كله -والإنسان عالم أصغر- يسير وفق خطة مسبقة أقرها العناية الإلهية.

ومع أن كلا من أبقراط (وما ينسب إليه) وجالينوس كانا هما المرجعية الطبية السائدة في العصر اليوناني الروماني فإن كتبهما وما نسب إليهما أو ألف انطلاقا مما ينسب إليهما، كانت في الجملة على **غير منهج واضح في التأليف**: مقالات وكتب تتفاوت في الحجم في موضوعات طبية مختلفة. ولم يبدأ التأليف

(٩) سارتون. المرجع المذكور. ج ٢. ص ٢٢٢.

الجامع في الطب إلا مع الأطباء العرب، ومع أبي بكر الرازي بالتحديد. أما طرح منهجية التأليف في الطب، وبالتالي تصور المعارف الطبية المتراكمة في إطار علمي، أي كنسق من المعارف، فهو أمر لا نجده إلا عند المجوسي الذي عبر عن وعيه بأهمية هذه المسألة في المقدمة النقدية التي صدر بها كتابه والتي تفرض نفسها علينا هنا كنص لا يمكن القفز عليه، ليس فقط لكونها تبشر بمشروع تجديدي في ميدان التأليف في الطب بل أيضا لأنها تشتمل على نقد للمصادر الطبية التي كانت معتمدة في عصره: من الرازي الذي توفي قبله بنحو خمسين سنة إلى أبقراط المرجع الأول بدون منازع. وقبل التعرض لهذا الجانب المنهجي والايبستيمولوجي الذي يهمنا هنا أكثر، لنلق نظرة سريعة على تطور الطب "العلمي" في الحضارة العربية عبر لحظاته الرئيسة وهي :

٤ – لحظة الترجمة: حنين بن اسحق

لا شك في أن الممارسة "العلمية" للطب، أعني التي تعتمد أو تنتسب نوعا من الانتساب للطب بوصفه واحدا من "علوم الأوائل"، قد بدأت في الدولة العربية الإسلامية مع قيام هذه الدولة. وقد أخذت هذه الممارسة في الازدهار مع الدولة الأموية، حتى إذا جاء عصر الترجمة والتدوين، في العصر العباسي الأول، طفر الطب من وضعية المهنة التي يمارسها أشخاص يمتلكون وحدهم "سر المهنة" إلى علم مشاع، يتعلم في الكتب وبالممارسة كما يتعلم النحو والفقه والمنطق والفلسفة وغير ذلك من العلوم. كانت هذه الطفرة، التي عرفها الطب في الحضارة العربية الإسلامية، جزء لا يتجزأ من عملية البناء الثقافي العام الذي شهده عصر التدوين. لقد اعتمد هذا البناء على عمليتين متوازيتين ومتكاملتين: **التدوين والترجمة**. أما التدوين فكان يخص –في الأغلب الأعم– ما عرف بـ"العلوم النقلية"، العربية الإسلامية، التي اعتمد في تأسيسها على "الجمع من أفواه الرجال"، جمع الحديث من رواته وجمع اللغة من الأعراب وجمع الشعر و"الأدب" من حفاظه الخ، أما الترجمة فكانت الطريق إلى " علوم الأوائل" علوم اليونان خاصة.

لقد شارك في ترجمة الموروث العلمي القديم عدد هائل من المترجمين، عمل كثير منهم في البلاط العباسي، وبكيفية خاصة في "بيت الحكمة" التي أسسها المأمون. ويأتي على رأس قائمة التراجمة في هذا العصر –من حيث الأهمية–

حنين بن اسحق[10] المتوفى سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، وهو من نصارى الحيرة جنوب العراق. لقد فاق هذا المترجم الفذ، الذي استخدم ابنه اسحق وأفرادا من عائلته وآخرين من تلامذته، جميع التراجمة الآخرين. كان يترجم من اليونانية إلى العربية، أو إلى السريانية ومنهما إلى العربية. وله تدين المكتبة العربية بجل المؤلفات الطبية والفلسفية المنقولة من هاتين اللغتين. فقد ترجم ما يقرب من نصف مؤلفات أرسطو والشروحات التي عملت عليها، وجميع المؤلفات الطبية المعروفة في عصره تقريبا، منها خمسة وتسعون مؤلفا من مؤلفات جالينوس نقلها إلى السريانية ونقل منها إلى العربية أربعا وثلاثين. يقول عنه القفطي: "كان جليلا في ترجمته، وهو الذي أوضح معاني كتب أبقراط وجالينوس ولخصها أحسن تلخيص وكشف ما استغلق منها وله تواليف نافعة بارعة مثقفة، وعمد إلى كتب جالينوس فاحتذى حذو الإسكندريين وصنفها على سبيل المسألة والجواب"[11].

ولم يكن حنين بن اسحق، شأن كثير من المترجمين الآخرين، يتعاطون الترجمة كمجرد تراجمة، بل كان معظمهم من ذوي الاختصاص، كما نقول اليوم. كان منهم متفلسفون وكان منهم أطباء وعلماء في ميادين أخرى، كما كانت لهم مؤلفات علمية. من ذلك مؤلفات حنين بن اسحق الذي يذكر له ابن النديم ثلاثين كتابا ومقالة جلها في الطب، وفي طب العيون بكيفية خاصة. ومن كتبه التي كانت لها أهمية خاصة في ميدان الدراسات الطبية في الحضارة العربية، كتابه "المسائل في الطب للمتعلمين"، يقول عنه ابن أبي أصيبعة: "هو المدخل إلى صناعة الطب لأنه جمع فيه جملا وجوامع تجري مجرى المبادئ والأوائل لهذا العلم (...) وقيل إن حنينا شرع في تأليف هذا الكتاب في أيام المتوكل وقد جعله رئيس الأطباء ببغداد"[12]. ومن الكتب المراجع التي ألفها حنين كتاب "ذكر ما ترجم من الكتب"، و"كتاب إلى ابن المنجم في استخراج كمية كتب جالينوس".

مع وفاة حنين بن اسحق كان قد توافر في المكتبة العربية كمٌّ هائل من المؤلفات الطبية. فإضافة إلى أن جميع المؤلفات الطبية المعروفة في العصرين

(١٠) هو: حنين بن اسحق العبادي ويكنى أبا زيد ، من نصارى الحيرة بالعراق. انظر أوفى ترجمة له لدى ابن أبي أصيبعة. المرجع أسفله.

(١١) جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي. **تاريخ الحكماء. مختصر الزوزني**. نشره يوليوس ليبر. ليبزيغ ١٩٠٨. أعيد طبعه مصورا . مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بمصر. د.ت. ص ١٧١.

(١٢) ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**. تحقيق نزار رضا. مكتبة الحياة. بيروت، ١٩٦٥. ص ٢٧١.

اليوناني والروماني قد تمت ترجمتها كلها -تقريبا- كان التأليف في الطب قد قطع أشواطا واسعة، خصوصا التأليف في موضوعات بعينها كالعين والمعدة والأسنان الخ، وفي الجروح وفي الأدوية والأغذية والكي والجراحة الخ، و في الهواء وتأثير الفصول والمناخ في الصحة الخ. ومع شيوع المؤلفات الطبية تكاثر الأطباء الحقيقيون، وفي نفس الوقت غمرت الساحة بأدعياء الطب ممن جعلوا من الشعوذة وسيلة لإثبات مهارقم الطبية. وهنا تأتي لحظة الرازي التي ستتميز بفرض النظام على هذه الفوضى.

٥- لحظة التأليف الجامع والتمييز بين العلم والشعوذة: الرازي

جرت عادة المؤلفين في تاريخ العلوم في الثقافة العربية، القدماء منهم والمستشرقين، على الإشادة بأبي بكر محمد بن زكريا الرازي بوصفه أهم وأعظم من أنتجتهم الحضارة العربية من الأطباء، مبرزين ملاحظاته وابتكاراته في ميدان الطب التجريبي، القائم على الممارسة العلمية. لقد وصفه ابن النديم بأنه " أوحد دهره وفريد عصره، قد جمع المعرفة بعلوم القدماء وسيما الطب"، وأكد القفطي هذا المعنى إذ قال عنه إنه: "طبيب المسلمين غير مدافع". وهذا صحيح. غير أننا سنقصر في حق الرازي الطبيب إذا نحن حصرنا أهميته التاريخية في هذا المجال وحده، ولم نبرز دوره في ميدانين أساسيين في تاريخ الطب كعلم، هما: نقد الممارسات الشعوذية اللاعقلانية في الطب من جهة، ومن جهة أخرى جمع شتات الأدبيات الطبية التي ظلت، في الحضارتين اليونانية والرومانية، تفتقر إلى نظرة شمولية تجعل من الطب ككل قطاعا معرفيا واحدا، وبالتالي تفتح المجال أمام تنظيم المعارف الطبية تنظيما منهجيا يجعل منها علما له مناهجه وحدوده وموضوعه ومسائله.

لقد ورثت الثقافة العربية، من العصر الهيلينستي والبزنطي خاصة، كمًّا هائلا من الممارسات اللاعقلانية التي كانت تشكل جزءا من "العلوم السرية" كالسحر والتنجيم والطلسمات والشعوذة باختلاف أنواعها، وازدهرت هذه الممارسات في ميدان الطب خاصة. وقد شن الرازي حملة منهجية على ممارسة الشعوذة في الطب، ففضح أساليب المشعوذين بلغة مبسطة واضحة تعتمد نشر الوقائع، مما لابد أن يكون له دور كبير في توعية الناس ومحاصرة المشعوذين. يقول

في كتابه الذي ألفه للأمير الساماني المنصور(١٣) وكأنه ينبهه إلى ضرورة محاربة الشعوذة في الطب: "إن مخاريق هؤلاء [المشعوذين] كثيرة، يضيق عن ذكرها كتابنا هذا بأسره، وجرأتهم واستحلالهم تعذيب الناس، باطلا، في الغاية التي لا وراءها غاية. فإن منهم من يزعم أنه يبرئ من الصرع بأن يشق وسط الرأس صليبيا ثم يخرج أشياء قد أعدها معه يوهم بخفته وتمويهه أنه أخرجها من ذلك الشق. ومنهم من يوهم أنه يخرج من الأنف سام أبرص فيدخل في أنف المعالج الشقي خلالة أو حديدة ويحكه حتى يدميه، ثم يشيل من هناك أشياء قد أعدها معه على شكل هذه الدابة، متخذة من عروق الكبد. ومنهم من يوهم أنه يرفع البياض من العين رفعا فيدخل في العين حديدة ينكأها ثم يدس فيها غشاء رقيقا ويخرجه من هناك. ومنهم من يوهم أنه يمص الماء من الأذن فيضع عليها أنبوبة ويرسل من فمه شيئا فيها ثم يمصه. ومنهم من يدس الدود المتولد في الجبن في الأذن وفي أصول الأضراس ثم يخرجه من هناك. ومنهم من يوهم أنه يخرج الضفدع من تحت اللسان، فيخرج ويشق هناك شقا ثم يدس فيه غدة ويخرجها منه. وأما دسهم العظام في القروح وتركهم لها فيها أياما فما أكثر ما يفعلونه. وربما أخرجوا من المثانة حصاة ويدبرون هناك أخرى. ويوهمون أنهم يخرجونها من هناك. وربما لم يستيقنوا عند جس المثانة أن فيها حصاة فأقدموا على شقها جرأة واستحلالا وقلة مبالاة ثم يدخلون الإصبع من الشق، فإن أصابوا حصاة أخرجوها، وإن لم يكن هناك حصاة دسوا فيها حصاة ثم أخرجوها. وأما قطعهم

---

(١٣) هناك اضطراب في تعيين المنصور هذا. فابن النديم يقول في ترجمته للرازي إنه " كان يتنقل في البلدان وبينه وبين **منصور بن إسماعيل** صداقة وله ألف كتاب "المنصوري" ، والقفطي يقول إنه أهدى هذا الكتاب إلى "**منصور بن خاقان**" (مختصر الزوزني، ص ٢٧٣، نفس المعطيات السابقة). وابن أبي أصيبعة يقول إنه " منصور بن إسماعيل بن اسحق صاحب خراسان" .أما بول كراوس فقد عينه تعيينا فكتب يقول: "الراجح أن الأمير الذي أهدى إليه الرازي كتابه "الطب الروحاني" لم يكن غير الذي قدم إليه كناشه الطبي المعروف بالنصوري وهو "منصور بن اسحق بن أحمد بن أسد حاكم الري الذي تولى من سنة ٢٩٠ إلى سنة ٢٩٦ قبل أن يتمرد على نصر بن أحمد ثالث ملوك السامانيين" (بول كراوس. **رسائل فلسفية لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي**. المكتبة المرتضوية. طهران . جامعة فؤاد الأول. كلية الآداب . القاهرة د. ت. نقلا عن "جهار مقالة" لأحمد بن عمر السمرقندي) .ويبدو أن إميلي سافاج –سميث قد اعتمدت هذا التعيين فجعلت "المنصور" الذي أهدى الرازي كتابه إليه هو "الأمير الساماني أبي صالح المنصور بن اسحق" حاكم الري".(انظر المرجع أدناه هامش رقم ١١– هذا) وأشهر كتب الرازي الطبية هو كتابه الحاوي الملقب"الجامع الحاصر لصناعة الطب" كما سنرى.

لحم المقعدة على أن فيها بواسير فشيء لا يزالون يفعلونه ويولدون على الناس بذلك قروحا ونواصير بالحقيقة (...) إلى أشياء كثيرة من هذا الجنس يعملونها يعظم ضررها على الناس وربما أتلفوهم بها، وإنما تخفى على العقلاء إذا استرسلوا في أيديهم وتهاونوا و لم يظنوا بهم سوءا و لم يتهموهم. فأما إذا استقصي تفقدهم بأعين كثيرة متهمة لهم ظهر كذبهم وبان باطلهم، وليس ينبغي أن يؤخذ من الأدوية التي يعطونها، فإنها قد أتلفت خلقا كثيراً".(١٤)

ويذكر ابن أبي أصيبعة للرازي أقوالا تنم عن تشبعه بالروح العلمية. من ذلك قوله: "الحقيقة في الطب غاية لا تدرك، والعلاج بما تنصه الكتب دون أعمال الماهر الحكيم برأيه خطر". وقوله: "العمر يقصر عن الوقوف على فعل (تأثير) كل نبات في الأرض، فعليك بالأشهر مما أجمع عليه، ودع الشاذ واقتصر على ما جربت"، وقوله: "من تطبب عند كثيرين من الأطباء يوشك أن يقع في خطأ كل واحد منهم"، وقوله: "من لم يعن بالأمور الطبيعية والعلوم الفلسفية والقوانين المنطقية وعدل إلى اللذات الدنيائية فاتهمه في علمه، لاسيما صناعة الطب". وكان الرازي واعيا باختلاف وجهة نظر جالينوس مع وجهة نظر أرسطو وصعوبة الانحياز لأحدهما فقال قولته المشهورة —وربما قيلت قبله—: "متى اجتمع أرسطو وجالينوس على معنى فذلك هو الصواب، ومتى اختلفا صعب على العقول إدراك صوابه جدا". ومع ذلك فالرازي لم يكن أرسطيا بل كان أفلاطونيا ذا نزعة هرمسية واضحة. كان يؤمن بتأثير الكواكب والنجوم ويعتقد أن "بانتقال الكواكب الثابتة في الطول والعرض تنتقل الأخلاق والمزاجات".

هذا من جهة ومن جهة أخرى تصدى الرازي إلى جمع النصوص الطبية المتوافرة في عصره مما ترجم من المؤلفات الأبقراطية أو كتب جالينوس أو غيرهما، فعمل بذلك على "جمع شمل" الأدبيات الطبية في كتابه المعروف بـ"الحاوي"، والموسوم بـ"جامع الصناعة الطبية"(١٥) والذي قال عنه الرازي

---

(١٤) ذكرته إميلي سافاج-سميث في مقالتها المترجمة إلى العربية ضمن: **موسوعة تاريخ العلوم العربية**. الجزء الثالث. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ١٩٩٧.

(١٥) يجعل ابن أبي أصيبعة كتاب "الحاوي" كتابين، أحدهما بهذا الاسم والثاني باسم "كتاب الجامع "ويسمى" حاصر صناعة الطب". والحقيقة أن الأمر يتعلق بكتاب واحد. وقد تحدث عنه الرازي في كتابه "السيرة الفلسفية" باسم "الجامع" و"الجامع الكبير". ولم يتحدث عنه باسم "الحاوي". ولو كان هذا غير ذاك لذكر الرازي الحاوي بالاسم، خصوصا وكان يتحدث في سياق عرض منجزاته العلمية والفلسفية التي تجعله يستحق لقب فيلسوف. هذا وقد أبدى ابن أبي ←

نفسه: "لم يسبقني إليه أحد من أهل المملكة ولا احتذى فيه أحد بعد احتذائي وحذوي(...) وبقيت في عمل "الجامع الكبير" خمس عشر سنة أعمله الليل والنهار حتى ضعف بصري وحدث عليَّ فسخ في عضل يديَّ يمنعاني في وقتي هذا عن القراءة والكتابة"(١٦). ومع أن الرازي لم يبن كتابه هذا على تصور شمولي للمعارف الطبية بالصورة التي تجعل منها علما فقد جمع ما جمع فيه على طريقة الكنانيش في ثلاثين جزءا(١٧)، الجزء الأول في أمراض الرأس والثاني في أمراض العين والثالث في الأذن والأنف والأسنان وهكذا، نزولا مع جسم الإنسان "من القرن إلى القدم" حسب تعبير القدماء. وقد حاول الرازي استقصاء جميع ما قيل في كل مرض من أبقراط إلى معاصريه على غير ترتيب أو نظام، كما لاحظ ذلك من تعاملوا معه نقديا، كما سنرى. ومع ذلك فإن عملية الجمع التي قام بها الرازي كان لها دور أساسي في تمييز ما ينتمي إلى علم الطب عما ليس بعلم، فجاء كتابه هذا بمثابة البديل "العلمي" لكل من "الطب النبوي" و"الطب الشعبي" وطب الشعوذة. هذا إضافة إلى ما أضافه من ملاحظات علمية دقيقة سجلها خلال ممارسته العلمية للطب لم يتردد فيها من مخالفة جالينوس فيما ثبت له بالتجربة أن الصحيح غير ما تقوله الكتب.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الرازي ألف أيضا للأمير الساماني المذكور كتابا باسم "الطب الروحاني"، " ليكون -كما يقول- قرينا للكتاب "المنصوري" الذي غرضه في الطب الجسماني وعديلا له".(١٨) والكتاب في "طب النفوس"، أو على الأصح في "تدبير النفس"، أي في الأخلاق. فكما أن الطب الجسماني يهدف إلى حفظ صحة البدن، أو استعادتها، فكذلك "الطب

= أصيبعة نفسه شكوكا حول فهرس الموضوعات الذي عرضه كفهرس لكتاب "الجامع" وقال إن ذلك الفهرس ليس هو فهرس كتاب "الحاوي" وإنه "يمكن أن هذه -الموضوعات- كانت مسودات كتاب وجدت للرازي بعد موته وهي مجموعة على هذا الترتيب فحسبت أنها كتاب واحد". ثم يصرح أنه لم يعثر على كتاب "الجامع" ولا وجد من أخبره به. والحقيقة أن كتاب "الجامع" موجود وهو ليس شيئا آخر غير كتاب "الحاوي".

(١٦) محمد بن زكريا الرازي. كتاب السيرة الفلسفية. ضمن رسائل فلسفية. تحقيق بول كراوس. المكتبة المرتضوية. طهران- جامعة فؤاد الأول كلية الآداب. القاهرة. د.ت. ص ١٠٩-١١٠.

(١٧) طبعة حيدر آباد ١٩٥٥، عن النسخة الوحيدة المحفوظة بالإسكريال.

(١٨) أبو بكر الرازي: كتاب "الطب الروحاني". ضمن رسائل فلسفية. تحقيق بول كراوس. نفس المعطيات السابقة. ص ٤٤.

الروحاني"، يرمي إلى حفظ الأخلاق الحميدة المنبئة عن صحة النفس -أو استعادتها.

٦- المجوسي ومسألة المنهج في التأليف في الطب

أ- نقد المؤلفات السابقة

عمل علي بن العباس المجوسي طبيبا للأمير البويهي عضد الدولة فنا خسرو وألف لخزانته كتابا سماه "كامل الصناعة الطبية" - وقد عرف الكتاب بـ"الكتاب الملكي"[١٩]- جعله كما يقول "جامعا لكل ما يحتاج إليه المتطببون وغيرهم من حفظ الصحة على الأصحاء وردها على المرضى، إذ كنت لم أجد لأحد من القدماء والمحدثين من الأطباء كتابا كاملا يحوي جميع ما يحتاج إليه من بلوغ غاية هذه الصناعة وأحكامها"[٢٠]. ثم ينطلق في إثبات هذه الدعوى فيعرض بالنقد للمؤلفات الطبية المعروفة إلى عصره، ليبين جوانب النقص والتقصير فيها، بادئا بالمرجعيتين الأساسيتين أبقراط وجالينوس، ليعرض بعد ذلك لمن جاء بعد هذا الأخير إلى سلفه المباشر أبي زكريا الرازي، قبل أن يبين منهجه هو. وفيما يلي ملخص لهذا العرض النقدي الهام للمراجع الطبية المعروفة إلى وقته. قال:

- "فأما أبقراط الذي كان إمام هذه الصناعة وأول من دونها في الكتب فقد وضع كتبا كثيرة في كل نوع من أنواع هذا العلم، منها كتاب واحد جامع لكثير مما يحتاج إليه طالب هذه الصناعة ضرورة. وهذا الكتاب هو كتاب الفصول[٢١]. وقد يسهل جميع هذه الكتب حتى تصير كتابا واحدا حاويا لجميع ما قد يحتاج إليه في بلوغ غاية هذه الصناعة، إلا أنه استعمل فيه وفي سائر

(١٩) "علي بن العباس المجوسي: طبيب فاضل كامل، فارسي الأصل، يعرف بابن المجوسي. قرأ على شيخ فارسي يعرف بأبي ماهر [موسى بن سيار المجوسي]، واطلع هو واجتهد لنفسه، ووقف على تصانيف المتقدمين، وصنف للملك عضد الدولة فنا خسرو بن بويه كناشه المسمى بالملكي. وهو كتاب جليل وكناش نبيل اشتمل على علم الطب وعمله، حسن الترتيب. مال إليه الناس في وقته، ولزموا درسه، إلى أن ظهر كتاب "القانون" لابن سينا، فمالوا إليه وتركوا الملكي بعض الترك. والملكي في العمل أبلغ والقانون في العلم أثبت". مختصر الزوزني نفس المعطيات أعلاه. هذا وقد ولد المجوسي في أوائل القرن الرابع الهجري.

(٢٠) علي بن العباس المجوسي. **كامل الصناعة الطبية**. وبهامشه كتاب مختصر تذكرة الإمام السويدي في الطب (المعروفة بمفردات الإمام السويدي) للإمام الشعراني. طبعة مصر. رجب ١٢٩٤.

(٢١) **كتاب الفصول بتفسير جالينوس**. ترجمه حنين بن إسحاق ، وهو سبع مقالات (ابن النديم).

كتبه الإيجاز حتى صارت معـــان كثيرة من كلامه غامضة يحتاج القارئ لهـــا إلى تفسير.[٢٢]

- "وأما جالينوس المقدم المفضل في هذه الصناعة فإنه قـــد وضـــع كتبـــا كثيـــرة، كل واحد منها مفرد في نوع من أنواع هذا العلم، وطوَّل الكلام فيـــه وكرره لما احتاج إليه من الاستقصاء في الشرح وإقامة البراهين والرد علـــى مـــن عاند الحق وسلك سبيل المغالطين. ولم أجد له كتابا واحدا يصف فيه جميع مـــا يحتاج إليه في درك هـــذه الصناعة وبلوغ الغرض المقصود إليه منـــها للسبب الذي ذكرته آنفا.

- "وقد وضع أوريناسيوس[٢٣] كتبا، وفولس الأحسطي[٢٤] كتبـــا، ورام كل واحد منهما أن يبين في كتابه جميع ما يحتاج إليه، فوجدت أوريناسيوس قـــد قصر في كتابه الصغير الذي وضعه لابنه أوناقس وإلى عوام الناس، فلم يذكر فيـــه شيئا من الأمور الطبيعية وقصر في الأسباب. وكذلك في الكتاب الذي وضعـــه لابنه أسطات في تسع مقالات، فإنه لم يذكر فيه شيئا من الأمور الطبيعية التي هي الاسطقسات من الأمزجة والأخلاط والأعضاء والقوى والأفعـــال والأرواح إلا اليسير، ولم يذكر في هذين الكتابين شيئا من العمل باليد. فأما كتابـــه الكبـــير الذي وضعه في سبعين مقالـــة فلم أجد فيه إلا مقالة واحدة فيها ذكر تشـــريح الأعضاء.

- "وأما قوليوس(؟) فلم يذكر في كتابه من الأمور الطبيعية إلا اليسير. وأما أمر الأسباب والعلامات وسائر أنواع المداواة والعلاج باليد فقد بالغ في بيانـــه، إلا أنه لم يذكر ما ذكره في كتابه على طريق من طرق التعاليم".[٢٥]

- "وأما المحدثون فلم أجد لأحد منهم كتابا يصف فيه جميع مـــا يحتـــاج إلـــيه من ذلك. إلا أن هارون[٢٦] وضع كتابا ذكر فيه جميع ما يحتـــاج إليـــه في

---

(٢٢) بخصوص المؤلفات الأبقراطية. انظر المرجع المذكور أعلاه في هامش رقم ٤.

(٢٣) في ابن النديم: "أوريباسيوس لا يعلم هل هو قبل جـالينوس أو بعده لم يمر ذكره في تـاريخ الأطباء". (= أوريباسيوس Oribasinus – ٣٢٦-٣٠٢- الـذي كـان طبيب يوليـانس الجـاحد، كما دققته إميلي سافاج -سميث في مقالتها عن الطب العربي في المرجع المذكور آنفا ص١١٧٠).

(٢٤) في ابن النديم: فولس الاجانيطي ويعرف بالقوابلي، وله من الكتب: كتـاب الكناش في الطب نقل حنين سبع مقالات، كتاب في علل النساء. (=بولس الأيجيني الـذي كتـب في الإسـكندرية إبـان دخول العرب إليها ٢١هـ/ ٦٤٢م. إ. سافاج. نفس المعطيات أعلاه).

(٢٥) التعاليم هنا جمع تعليم، أي الطرق المستعملة في البحث والتعليم كما سيبين بعد قليل.

(٢٦) في ابن النديم: أهرون القس، في صدر الدولة وعمل كتـاب بالسـريانية ولـه مـن الكتـب كتـاب الكناش وجعله ثلاثين مقالة .

مداواة الأمراض والعلل وأسبابها وعلاماتها وما سوى ذلك، فذكره على جهة الإيجاز من غير شرح واضح. ومع ذلك فإن ترجمته ترجمة سوء رديئة، تعمي على القارئ له كثيرا من المعاني التي قصد إلى شرحها، لاسيما من لم ينظر في ترجمة حنين وأشباهه.

- "وأما يوحنا بن سرابيون[٢٧] فإنه وضع كتابا لم يذكر فيه شيئا سوى مداواة العلل والأمراض التي تكون بالأدوية والتدبير، ولم يذكر العلاج الذي يكون باليد (مثل الفصد والكي والجراحة والدلك الخ)، وترك أشياء كثيرة من العلل لم يذكرها. من ذلك أنه ترك من علل الدماغ ذكر العلل المعروفة بالقطرب[م][٢٨] والعشق[م] والاسترخاء الحادث عن القولنج[م]، ولم يذكر في علاج العين مداواة السِدَّة[م] الحادثة من غير قرحة ولا مداواة الأثر والبياض، ولا مداواة النتوء على ما ينبغي، (ولم يذكر الخ...ولم يذكر الخ... والقائمة طويلة). ثم يضيف: "ولم يذكر ما ذكره على طريق من طرق التعاليم".

- "وأما مسيح[٢٩] فإنه وضع كتابا نحا فيه النحو الذي نحاه هارون في قلة شرح الأمور الطبيعية والأمور التي ليست بطبيعية، مع سوء ترتيبه لما وضعه في كتابه من العلم وقلة معرفته بتصنيف الكتب، حتى إنه ذكر القوانين التي يعمل عليها في تركيب الأدوية في الباب التاسع من كتابه وأتبعه بذكر شئ من العلوم الطبيعية، ثم ذكر بعد ذلك أمر العلل والأمراض التي تعرض للرأس وما يليه، وغير ذلك من تقديم ما ينبغي أن يؤخر وتأخير ما ينبغي أن يقدم.

- وأما محمد بن زكريا الرازي فإنه وضع كتابه المعروف بـ**"المنصوري"** وذكر فيه جملا وجوامع من صناعة الطب، ولم يغفل عن ذكر شئ مما يحتاج إليه، إلا أنه لم يستقص شرح ما ذكره، لكنه استعمل فيه الإيجاز والاختصار. وهذا

---

(٢٧) في ابن النديم: "يحيى بن سرابيون: وجميع ما ألفه سرياني، وكان في صدر الدولة وقد نقل كتاباه في الطب إلى العربي: كتاب كناش يوحنا الكبير في اثني عشرة مقالة، كتاب الكناش الصغير سبع مقالات. (=يوحنا بن سرابيون الذي كتب حوالي ٢٥٩هـ- ٨٧٣م رسالة في الطب بالسريالية. إ. سافاج. نفسه).

(٢٨) نذكر الكلمات التي فوقها (م) هي مصطلحات يجد القارئ معناها في معجم المصطلحات الملحق بالكتاب.

(٢٩) مسيح الدمشقي وهو أبو الحسن ولا يعرف من أمره أكثر من هذا (ابن النديم).

كان غرضه وقصده فيه. فأما كتابه المعروف بـ"**الحاوي**" فوجدته قد ذكر فيه جميع ما يحتاج إليه المتطببون من حفظ الصحة ومداواة الأمراض والعلل التي تكون بالتدبير بالأدوية والأغذية وعلاماتها، ولم يغفل عن ذكر شئ مما يحتاج إليه الطالب لهذه الصناعة من تدبير الأمراض والعلل. غير أنه لم يذكر فيه شيئا من الأمور الطبيعية كعلم الاسطقسات والأمزجة والأخلاط وتشريح الأعضاء ولا العلاج باليد، ولا ذكر ما ذكره من ذلك على ترتيب ونظام، ولا على وجه من وجوه التعاليم، ولا جزأه بالمقالات والفصول والأبواب على ما يشبه عمله ومعرفته بصناعة الطب وتصنيف الكتب، إذ كنت لا أنكر فضله ولا أدفع عمله بصناعة الطب وحسن تأليفه للكتب (...) فقد طول فيه الكلام وعظمه من غير حاجة اضطرارية دعته إلى ذلك، حتى قد عجز أكثر العلماء عن نسخه واقتنائه إلا اليسير من ذوي اليسار من أهل الأدب، فقل وجوده. وذلك أنه ذكر في صفة كل واحد من الأمراض وأسبابه وعلاماته ومداواته ما قاله كل واحد من الأطباء القدماء والمحدثين في ذلك المرض من أبقراط وجالينوس إلى إسحاق بن حنين، وما كان بينهما من الأطباء القدماء والمحدثين. ولم يترك شيئا مما ذكره كل واحد منهم من ذلك إلا وأورده في هذا الكتاب. وعلى هذا القياس فقد صارت جميع كتب الطب محصورة في كتابه هذا".

ثم يضيف: "وينبغي أن تعلم أن حذاق الأطباء ومهرتهم متفقون في وصفهم لطبائع الأمراض وأسبابها وعلاماتها ومداواتها، وليس بينهم في ذلك خلاف إلا بالزيادة والنقصان أو في بعض الألفاظ، إذ كانت القوانين والطرق التي يسلكونها في تعرف الأمراض والعلل وأسبابها ومداواتها طرقا واحدة بأعيانها. وإذا كان الأمر كذلك فما الحاجة إلى أن يأتي بأقاويل القدماء والمحدثين من الأطباء وتكرار أقاويلهم، إذ كان كل واحد منهم يأتي بمثل ما أتى به الآخر، فإنه لا خلاف بينهم في طبائع الأمراض وأسبابها وعلاماتها إلا بالزيادة والنقصان واختلاف الألفاظ، وإن خالف بعضهم بعضا في استعمال بعض أنواع الأدوية فليس بخلاف في قواها ومنافعها (...) فقد كان ينبغي له، ولا أرد عليه، أن يقتصر من أقاويل هؤلاء على البعض، ويكتفي باستشهاده على ما يحتاج إليه، ويهتدي بأفضلهم علما وأشدهم تقدما في الصناعة وأحسنهم وصفا وأكثرهم تجربة ليخف بذلك الكتاب على من يريد اقتناءه ونسخه".

ب- مسألة المنهج في التأليف

بعد هذا العرض النقدي للمؤلفات الطبية -الذي أوردناه على طوله لكونه يكمل هذه اللمحة التاريخية- ينتقل المجوسي إلى شرح الطريقة التي ينوي سلوكها في التأليف، فيقول: "وأما أنا فإني أذكر في كتابي هذا جميع ما يحتاج إليه من حفظ الصحة ومداواة الأمراض والعلل وطبائعها وأسبابها والأعراض التابعة لها والعلامات الدالة عليها مما لا يستغني الطبيب الماهر عن معرفته، وأذكر في أمر المداواة والعلاج والتدبير بالأدوية والأغذية ما قد وقعت عليه من التجارب واختاره القدماء مما قد صحت منفعته وامتحانه، واطرحت ما سوى ذلك، واستشهدت في كثير من المواضع بقول أبقراط وجالينوس المقدمين في هذه الصناعة، لا سيما القوانين والدستورات[٢] في الأصول التي يستعملها أصحاب القياس[٢]، وعليها مبنى الأمر في حفظ الصحة ومداواة الأمراض". ثم يشير إلى أنه سيذكر من الأدوية ما يستعمله أطباء الإقليم الرابع والعراق وفارس و "ما قد صحت تجربتهم له إذ كان كثير من الأدوية التي كان يستعملها القدماء من اليونانيين قد رفضها أهل العراق وفارس"، ويذكر أمثلة يستطرد فيها استطرادا طويلا.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى تقديم المخطط الذي سيسير عليه في كتابه، مما يمكن أن يكون بمثابة بنية علم الطب كما يتصوره، وهو ما يهمنا هنا أكثر. يقول: "فأبتدئ أولا فأقدم ذكر العلم بالاسطقسات والأمزجة والأخلاط والأعضاء وغير ذلك مما يحتاج إليه مهرة الأطباء في بلوغ النحو الذي ينحو إليه، والغرض الذي يقصده منه وهو حفظ الصحة على الأصحاء وردها على المرضى، ليسهل بذلك عليهم وجود كتاب واحد يحوي جميع ما يحتاج إليه من ذلك، ولا أدع شيئا مما يحتاج إليه المتعلمون والمتكلمون ولا أتخطاه إلى غيره دون أن أشرحه وأبين القول فيه وأسلك في ذلك طريق الاختصار وجودة الشرح والاستقصاء في المعنى الذي أقصد إليه... وأجتنب التطويل الذي يضجر قارئه والإيجاز الذي يغمض كثيرا من معانيه".

أما نحو "النحو التعليمي" -أي المنهج- الذي سيتبعه فيقول عنه: إنه "التعليم الذي يكون بطريق القسمة، وذلك أن أنحاء التعاليم والطرق التي تسلك فيها إليها الكتب خمسة: أحدها التحليل بالعكس، والثاني طريق التركيب، والثالث طريق تحليل الحد، والرابع طريق الرسم، والخامس طريق القسمة".

وبعد أن يشرح هذه الطرق يعلن تفضيله لمنهج القسمة هذا فيقول: "ولما كان التعليم الذي يكون بطريق القسمة ينقسم إلى أنحاء شتى على ما ذكرنا كان أوفق فيما قصدناه، إذ كان قد يضطرنا الأمر في موضع دون موضع من كتابنا هذا إلى أن نستعمل أقساما مختلفة، فإنا ربما استعملنا قسمة الأجناس إلى الأنواع (...) وربما استعملنا قسمة النوع إلى الأشخاص (...) وربما استعملنا قسمة الكل إلى الأجزاء (...) وربما استعملنا قسمة الجواهر إلى الأعراض" الخ، "فلذلك ما اخترنا طريق القسمة على سائر طرق التعاليم. والحاجة كانت لقارئ هذا الكتاب إلى وجهة التعليم هو أن يكون للمتعلم طريق قاصد يسلكه في التعليم ليسهل عليه حفظ ما يستعمله، ويخف عليه فهمه واستنباطه، ويؤديه كل فصل منه إلى ما بعد من الفصول وتذكر بعضها ببعض".

لا جدال في أهمية التقسيم والتصنيف في البحث العلمي. ولكنه وحده لا يشكل منهجا. فالمناهج كلها تستعمل القسمة والتصنيف. ومع ذلك فإن لجوء المجوسي إلى التقسيم والتصنيف كان خطوة على درجة كبيرة من الأهمية بالنظر إلى ما كان يسود التأليف في الطب من التجميع بدون ترتيب ولا نظام، والانتقال من مسألة إلى أخرى ثم الرجوع إليها بعد ذلك مرات. والسؤال الأساسي هنا هو: ماذا سيكون موضوعا للتقسيم وكيف؟ ذلك ما سنعرض له بعد الاستماع إلى رأي صاحب "الكامل في الصناعة الطبية" في مرتبة كتابه وفي نوع العلوم التي قد يحتاج إليها المتعلم الراغب في التقدم في هذه الصناعة؟

قال:"وأما مرتبة الكتاب فهو يغني المتعلم عن أن يقرأ قبله أو بعده كتابا من كتب الطب، إذ كان جامعا لكل ما يحتاج إليه المتعلمون والمعلمون، إلا أنه من أحب أن يكون فاضلا متقدما في كل صناعة، عارفا بمعاني الكلام، فليقرأ كتب المنطق والتعاليم الأربعة التي هي الحساب والهندسة والنجوم والألحان".

كيف؟ ولماذا هذه العلوم وحدها؟

الجواب هو أن الطبيب "يحتاج إلى المنطق إذ هو ميزان الكلام، وإلى الهندسة ليعرف بها أشكال الجراحات الخ، ويحتاج إلى علم النجوم لاستعمال الدواء في الوقت المختار الذي يكون فيه القمر ممازجا للسعود في شكل موافق. ويحتاج إلى الألحان ليروض أنامله في جس الأوتار وذهنه في النغم، ليسهل عليه بذلك تعلم النبض وجس العروق". ويضيف قائلا: "إلا أنني لا أقول إن معرفة هذه العلوم ضرورية في صناعة الطب. وإنما يحتاج الطبيب إلى معرفة المصطلحات

المنطقية كالجنس والعرض(...) وليس للطبيب حاجة إلى الإغـــراق في صناعـــة الهندسة والحساب" الخ.

يمكن للباحث الناقد أن يسجل ملاحظتين هما من الأهمية بمكان فيما نحـــن بصدده. الأولى حضور عنصر لاعقلاني في عقل صاحبنا من خلال اعتقـــاده في التنجيم، فالدواء، كما يقول، يجب أن يراعى في استعماله الوقت الذي يكون فيه "القمر ممازجا للسعود"! وهذا قال به جالينوس وتبعه المجوسي وابن سينا وغيرهما. أما ابن رشد فقد أنكر ذلك وأبطل "علم التنجيم" جملة كما سنرى. أما الملاحظة الثانية فهي غياب "العلم الطبيعي" الذي هو ألصق العلـــوم بالصناعـــة الطبيـــة. فكيف نفسر هذا الغياب؟

ذلك ما سيتضح بعد التعرف على نوع "القسمة" التي اعتمدها المجوســـي في ترتيب الموضوعات الطبية في كتابه.

ج- أقسام الطب والعلوم المساعدة

يشرح المجوسي قسمته الطب فيقول: "الطب ينقسم قسمين : أحدهما العلم والثاني العمل. والعلم هو معرفة حقيقة الغرض المقصود إليه. موضوعه في الفكـــر الذي به يكون التمييز والتدبير لما يراد فعله. والعمل هو خروج ذلـــك الشـــيء الموضوع في الفكر إلى المباشر بالحس والعمل باليد على حسب ما اتفـــق عليـــه التمييز". والعلم (=الطب النظري) ينقسم إلى ثلاثة أقســـام : أحدهـــا العلـــم بالأمور الطبيعية، وهي: الاسطقسات، المزاج، الأخلاط، الأعضاء الحادثـــة عـــن الأخلاط، القوى التي بها تفعل الأعضاء أفعالها الحادثة علـــى المجـــرى الطبيعـــي، الأرواح التي بها يكون تمام مدة الحيوان وقوامه وتدبيره. والثاني العلـــم بـــالأمور التي ليست بطبيعية، والثالث العلم بالأمور الخارجة عن الأمر الطبيعي". والقســـم الثاني هو "الأمور التي ليست بطبيعية (لا تدخل في تركيب البدن)، وهي الهـــواء المحيط بأبدان الناس والحركة والسكون والأطعمة والأشـــربة والنـــوم واليقظـــة والاستفراغ والاحتباس الخ. والقسم الثالث: "الأمـــور الخارجـــة عـــن الأمـــر الطبيعي" وهي: الأمراض وأسبابها والأعراض التابعـــة لهـــا وهـــي الدلائـــل أو العلامات.

أما العمل (القسم العملى): فقسمان: حفظ صحة الأصحاء، ومداواة المرض وتكون بالتدبير بالأغذية والأدوية والعمل باليد.

د- العلاقة بين العلم والنظرية العلمية

وما يهمنا هنا هو تصور المؤلف لأقسام "علم الطب". وهو تصور يستنسخ بصورة مباشرة النظرية الطبية السائدة منذ أبقراط، وقد شرحناها قبل: الطب يعالج بدن الإنسان وهو جسم. والجسم يتألف من الأسطقسات الأربعة (التراب والماء والهواء والنار) التي منها تكون الأخلاط الأربعة، والأعضاء، والأمزجة الخ. وكما هو واضح فهذه النظرية تضم "العلم الطبيعي" الخاص بها بل هي في ذاتها "علم طبيعي" يتألف من ثلاثة أقسام: الأمور تدخل في تركيب البدن، التي منها يتألف (الأسطقسات، الأخلاط، الأعضاء، المزاج...). والأمور التي لا تدخل في تركيب البدن ولكنها تؤثر فيه وهي ضرورية له أو مكملة أو للزينة كالهواء والطعام والشراب والحركة والسكون الخ. والأمور "الخارجة عن الأمر الطبيعي" وهي الأمراض وأعراضها وأسباها الخ.

من هنا نفهم سبب غياب "العلم الطبيعي" من قائمة العلوم التي ذكرها المجوسي كعلوم مساعدة. ذلك لأن النظرية الطبية التي بها يتحدد تصوره للطب كعلم يندمج فيها كما قلنا "العلم الطبيعي" الخاص بها. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا على الصعيد الإيبستيمولوجي هو التالي: **ما هي العلاقة بين علم ما والنظرية العلمية التي تسود هذا العلم؟** وبعبارة أخرى هل العلم، أي علم، مستقل عن النظرية أو النظريات العلمية التي تسود فيه، أم أنهما شيء واحد؟ إن ما لم يدركه المجوسي هو أن "العلم" شيء، والنظرية العلمية شيء آخر. النظرية العلمية هي بطبيعتها متغيرة متطورة تختلف في مرحلة ما من تطور العلم عنها في المراحل الأخرى. أما "العلم" فيتحدد أولا وقبل كل شيء بموضوعه والغاية منه والوسيلة التي بها تتحقق تلك الغاية. أما النظرية العلمية فهي التصور الذي يبنيه العالِم عن هذه الأمور الثلاثة وبكيفية أخص الطريقة التي بها تحقق الغاية في علم ما وفي زمن ما.

قد تبدو هذه الملاحظات بعيدة عن أفق تفكير علماء القرون الوسطى، لكونها لم يَغْدُ طرحُها ممكنا إلا مع قيام العلم الحديث ابتداء من القرن السابع عشر! هذا صحيح. غير أن ما نريد أن نبينه في هذا المدخل هو أن فيلسوف قرطبة قد مس مسا مباشرا هذه المسألة، وأن مشروعه، والغرض من تأليف "الكليات"، هو الانتقال بالطب كعلم من تصور مسجون في النظرية الطبية السائدة، كما رأينا عند المجوسي، إلى تصور يفصل بين العلم كموضوع وغاية

ووسائل لتحقيق تلك الغاية، وبين النظرية الطبية السائدة. و قبل أن ننتقل إلى بيان هذا الجانب في "كليات" ابن رشد لنعرج على "قانون" ابن سينا لنسائله عما عسى أن يكون فيه من جديد.

٧- القانون لابن سينا

أ- قانون ابن سينا في ميزان النقاد القدماء

جرت العادة على اعتبار كتاب "القانون في الطب" لابن سينا[٣٠]، المتوفى سنة ٤٢٨هـ، أهم كتاب في الطب العربي، إذ جمع فيه الشيخ الرئيس بين الطابع الموسوعي الذي ميز كتاب الحاوي للرازي وبين العرض المنظم الذي ميز كتاب المجوسي، إضافة إلى اجتهاداته الخاصة سواء منها التي استفادها من ممارسته للطب أو التي ترجع إلى اشتغاله بالفلسفة. وإذا أضفنا إلى ذلك ما يتميز به أسلوب ابن سينا من وضوح وحسن سبك وقدرته على الإمساك بتلابيب الموضوع، أدركنا السبب الذي جعل كتابه "القانون" يصبح بالفعل "قانونا" فرض نفسه على المشتغلين بالطب، فغطى على كتاب الرازي وكتاب المجوسي، وصار هذا "القانون" يغني عن غيره من كتب المتقدمين، فاحتل في المشرق منزلة المرجع "الوحيد" الكافي. ومن ثمة صار التأليف في الطب يقتصر، أو يكاد، على التعامل مع هذا "القانون" نوعا من التعامل : تلخيصه أو شرحه[٣١] ، فوقف التأليف الطبي عنده، وتحول بذلك إلى "عائق" معرفي لم يتم اختراقه في المشرق، إلا بعد قرنين، كما سنرى بعد.

أما في المغرب والأندلس فلم يكن "قانون" ابن سينا يحظى بهذا النوع من الإجماع. فابن زهر، أبو العلاء بن عبد الملك بن محمد المتوفى سنة ٥٢٥هـ (والد الطبيب المشهور، وصديق بن رشد، أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء المتوفى سنة ٥٥٧هـ)، كتب مقالة ينتقد فيها "قانون" ابن سينا. ويقال إنه ذم الكتاب واطرحه عندما وصلته نسخة منه، بعد أن كانت شهرته قد وصلت الأندلس وذاع صيته فيها. وذُكر أنه قال عنه: "إنه لا يصلح للمبتدئ في تعليم الطب لما

(٣٠) الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن علي بن سينا. **القانون في الطب**. دار صادر. بيروت .طبعة بالأوفست عن طبعة بولاق بمصر. د. ت.

(٣١) نذكر على سبيل المثال "الموجز في القانون" و"شرح القانون" للطبيب الشهير ابن النفيس (المتوفى سنة ٦٨٦-هـ) ومكتشف الدورة الدموية الصغرى وسنتحدث عنه في المقدمة التحليلية.

تضمنه من الألفاظ الحوشية والمعاني الفلسفية". ومع أن هذا الحكم قد وجد من يرده من أطباء المشرق فإن هذا الرد نفسه لم يخل من الاعتراف بالثغرات التي في هذا "القانون". من ذلك ما كتبه هبة الله بن جُمَيْع الإسرائيلي، طبيب صلاح الدين الأيوبي، وقد جاء فيه: "أما ما اعتمده ابن زهر من اطراح كتاب الرئيس وهجينه فهو تحيز غير مستقيم. إن هذا الكتاب، وإن كان مصنفه قد اعتمد فيه من الكلام المتكلف والأشياء البعيدة ما لا يليق بالعلوم، وكان فيه ما ذكرناه من الإبهام والنقص والتصحيف والاختلاف والتشويش والتحريف، وبالجملة مواضع كثيرة، فإنه كتاب قد اشتمل من أصول الطب وقوانينه على ما لم يشتمل عليه غيره من الكنانيش الكبار. ثم فيه من الإيجاز والاختصار وحسن التأليف والترتيب وسهولة الكشف لما يراد كشفه منه ما ليس في غيره منها، بل ما يغتفر له منه عظيم الزلل ويسمح به احتمال الخطأ والخلل. وبالجملة فليس في جميع ما لدينا من الكنانيش الكبار ما يقوم مقامه ولا يسد مسده"(٣٢).

واضح أننا هنا أمام حكم يريد أن يكون موضوعيا، إذ يبرز السلبيات والإيجابيات معا. وإذا كان هذا الحكم ينتهي بترجيح كفة الإيجابيات بدعوى أنه "ليس في جميع ما لدينا من الكنانيش الكبار ما يقوم مقامه ولا يسد مسده"، فإن هذا الترجيح يفقد مبرره إزاء كتاب المجوسي الذي استنسخ ابن سينا طريقته في "الإيجاز والاختصار وحسن التأليف والترتيب وسهولة الكشف لما يراد منه"، وتلك هي الإيجابيات التي سجلها هذا الناقد لصالح قانون ابن سينا. فإذا سحبناها منه، لكونها ليست له، ستبقى السلبيات المذكورة وحدها في الميزان مما سيرجح حكم أبي العلاء بن زهر.

بعد الإشارة إلى هذه الشكوك التي قوبل بها قانون ابن سينا في الأندلس، والتي غطت عليها شهرة الشيخ الرئيس، نعود إلى كتابه لنرى ما له وما عليه من زاوية ما يخص موضوعنا : تطور التفكير العلمي في الطب العربي من خلال تطور التأليف فيه.

ب- الترتيب الذي سلكه الشيخ الرئيس !

يخبرنا الشيخ الرئيس أنه قد طُلب منه تأليف كتاب في الطب يشتمل على قوانينه الكلية والجزئية، يجمع إلى الشرح الاختصار، فقال شارحا الترتيب الذي

(٣٢) إميلي سافاج-سميث. المعطيات السابقة. ص ١١٧٨-١١٧٩. نقلا عن مخطوطة أوكسفورد.

سلكه فيه: "رأيت أن أتكلم أولا في الأمورالعامة الكلية في كلا قسمي الطب، أعني القسم النظري والقسم العملي، ثم بعد ذلك أتكلم في كليات أحكام قوى الأدوية المفردة ثم في جزئياتها، ثم بعد ذلك في الأمراض الواقعة بعضو عضو، فأبتدئ أولا بتشريح ذلك العضو ومنفعته. وأما تشريح الأعضاء المفردة البسيطة فيكون قد سبق مني ذكره في الكتاب الأول الكلي، وكذلك منافعها. ثم إذا فرغت من تشريح ذلك العضو ابتدأت في أكثر المواضع بالدلالة على كيفية حفظ صحته، ثم دللت بالقول المطلق على كليات أمراضه وأسبابها وطرق الاستدلالات عليها وطرق معالجتها بالقول الكلي أيضا، فإذا فرغت من هذه الأمور الكلية أقبلت على الأمراض الجزئية، ودللت أولا في أكثرها على الحكم الكلي في حده وأسبابه ودلائله، ثم تخلصت إلى الأحكام الجزئية، ثم أعطيت القانون الكلي في المعالجة، ثم نزلت إلى المعالجات الجزئية بدواء دواء بسيط ومركب، وما كان سلف ذكره من الأدوية المفردة ومنفعة في الأمراض في كتاب الأدوية المفردة في الجداول والأصباغ التي أرى استعمالها فيه، كما تقف أيها المتعلم عليه إذا وصلت إليه، لم أكرر إلا قليلا منه. وما كان من الأدوية المركبة أن ما الأحرى به أن يكون في الأقراباذين(؟)، الذي أرى أنْ أعمله، أخرت ذكر منافعه وكيفية خلطه إليه. ورأيت أن أفرغ عن هذا إلى كتاب أيضا في الأمور الجزئية، مختص بذكر الأمراض التي إذا وقعت لم تختص بعضو بعينه، ونورد هنالك أيضا الكلام في الزينة، وأن أسلك في هذا الكتاب أيضا مسلكي في الكتاب الجزئي الذي قبله. فإذا تهيأ بتوفيق الله تعالى الفراغ من هذا الكتاب جمعت بعده كتاب الأقراباذين".

لا شك أن القارئ قد أحس بالتعقيد الذي يطبع هذا العرض والذي لا شك أنه يعكس التعقيد الذي كان يطبع تصور ابن سينا لـ"علم الطب". وفي تاريخ العلم كما في غيره يدل التعقيد على "البداية"، ولا يصبح الشيء "بسيطا" إلا بعد مراحل من التطور[٣٣]. ويمكن القول بصفة عامة إن امتلاك الشيء والإمساك بتلابيبه -حسب العبارة الشائعة- ضروري في الانتقال فيه من التعقيد إلى البساطة، من الغموض إلى الوضوح. وهذا ما سيتبين لنا عند انتقالنا إلى التصور الذي اعتمده ابن رشد. أما الآن فلنبق مع الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا، ولنستمع إليه يعرض علينا الخطاطة العامة لكتابه فهي أوضح من العرض

(٣٣) يمكن ملاحظة ذلك في المصنوعات. فكلما تطور المصنوع صار أبسط وأقل حجما وأكثر فاعلية.

الذي قدمه آنفا، لا لأنها واضحة بالفعل وضوح "البسيط"، بل فقط لكونها تختصر التعقيد اختصارا.

ج- بنية الكتاب: مبادئ العلم ، الأسباب الأربعة

يقدم لنا الشيخ الرئيس بنية كتابه كما يلي: قال: "وأما الآن فإني أجمع هذا الكتاب وأقسمه إلى كتب خمسة على هذا المثال. الكتاب الأول في الأمور الكلية في علم الطب. الكتاب الثاني في الأدوية المفردة. الكتاب الثالث في الأمراض الجزئية الواقعة بأعضاء الإنسان عضو عضو من الفرق (القرن=الرأس) إلى القدم، ظاهرها وباطنها. الكتاب الرابع في الأمراض الجزئية التي إذا وقعت لم تختص بعضو، وفي الزينة. الكتاب الخامس في تركيب الأدوية وهو الأقراباذين".

قد يبدو هذا التخطيط واضحا ومعقولا، ولكن قليلا من التأمل يكشف عند جوانب التعقيد فيه. ذلك أنه يجمع بين "الأمور الكلية" في كل من القسم النظري والقسم العملي، مع أنهما قسمان متميزان منفصلان حسب تصنيفه وتصنيف المجوسي. هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يعرض للأدوية المفردة قبل التعرض للأمراض، (لأنه تعرض للأمراض العامة في القسم الكلي) ثم يعود لتركيب الأدوية. والمنطق السليم والبسيط كان يقتضي تقديم الأمراض على الأدوية جملة. أضف إلى ذلك أنه جزأ الكلام على التشريح فتكلم عنه في "القسم الكلي" ثم عاد إليه عند الحديث عن كل عضو على حدة.

وإذا نحن بحثنا في أسباب هذا التعقيد والاضطراب وجدناه راجعا إلى تصور ابن سينا لبنية الطب جملة. لقد تصورها كجملة معارف تشكل بناء معماريا مؤلفا من أجزاء ومستويات يؤسس الأول منها الذي يليه، وهذا يؤسس الذي يليه الخ. نستطيع أن نلمس ذلك بوضوح من هذا التحديد الذي يقدمه الشيخ الرئيس لـ"علم الطب" ولبيان الأسباب والمبادئ التي يقوم عليها هذا العلم. يقول: "إن الطب علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة، ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة". هذا تعريف مقبول وقد كان شائعا، وقد رأيناه عند المجوسي. وبعد أن يوضح ابن سينا أن المقصود بالقسم العملي في الطب، الذي يوضع في مقابل القسم النظري، ليس هو "المباشرة للعمل"، أي الممارسة العملية للطب، بل المقصود "أنه ليس واحد من قسمي الطب إلا علما، لكن أحدهما علم أصول الطب، والآخر علم كيفية

مباشرته، ثم يخص الأول منهما باسم العلم أو باسم النظر، ويخص الآخر باسم العمل".

بعد هذا التوضيح، الذي سيرده ابن رشد كما سنرى، ينتقل ابن سينا إلى بيان المبادئ والأسباب التي تؤسس هذا العلم جملة، علم الطب، فيقول إن الأسباب والمبادئ في العلوم، كما في كل شيء في هذا العالم، ماديا كان أو معنويا فكريا هي، حسب أرسطو، أربعة: مادية وفاعلية وصورية وتمامية، يشرحها الشيخ الرئيس، مطبقة على علم الطب، ثم يختم بالقول: "وإذ قد فصلنا هذه البيانات فقد اجتمع لنا أن الطب ينظر في الأركان(=الاسطقسات) والمزاجات والأخلاط والأعضاء البسيطة والمركبة والأرواح وقواها الطبيعية والحيوانية والنفسانية، والأفعال وحالات البدن من الصحة والمرض والتوسط، وأسبابها من المآكل والمشارب والأهوية والمياه والبلدان والمسكن والاستفراغ والاحتقان(...)، والتدبير بالمطاعم والمشارب واختيار الهواء(...) والعلاج والأدوية وأعمال اليد لحفظ الصحة وعلاج مرض مرض". ثم يشير إشارة خاطفة إلى أنه ليس على الطبيب أن يبحث في جميع هذه الأمور بحث متخصص بل يأخذ ما يحتاجه منها من العلوم المتخصصة فيها، وعلى رأسها العلم الطبيعي. أما ما يخص الطب وحده كالأعضاء ومنافعها فيجب أن يرجع الطبيب فيها إلى الحس والتشريح. أما الأمراض وأسبابها الجزئية وعلاماتها و كيف يزال المرض وتحفظ الصحة، فيجب أن يتصوره الطبيب ويبرهن عليه[٣٤].

د- المجوسي وابن سينا: مقارنة

وبعد، فما الجديد الذي يقدمه ابن سينا على مستوى الترتيب والنظام في التأليف ثم على مستوى التصور لبنية علم الطب؟

يستطيع القارئ أن يجيب عن هذا السؤال، إذا هو رجع إلى العرض الذي قدمناه أعلاه عن كتاب "كامل الصناعة الطبية" لعلي بن العباس المجوسي، الذي يفصله عن ابن سينا نحو ثلاثة أرباع القرن[٣٥]؛ إنه سيجد أن الشيخ الرئيس لم يفعل أكثر من استنساخ ما فعله المجوسي، الذي يجب اعتباره بحق رائد التأليف

(٣٤) أبو علي الحسين بن علي بن سينا. **القانون في الطب**. الجزء الأول. دار صادر. بيروت. د. ت. طبعة بالأوفست عن طبعة بولاق بمصر. مقدمة الكتاب.

(٣٥)ولد المجوسي في أوائل القرن الرابع الهجري، وولد أن سينا في بداية الربع الأخير منه عام ٣٧٠هـ وتوفي سنة ٤٢٨هـ.

المنظم في الطب العربي ومؤسس التصور الذي ظل سائدا عن بنيته كعلم إلى ابن رشد. ولكي يتبين هذا بوضوح ندرج فيما يلي جدولا نقارن فيه بين بنية كتاب ابن سينا وبنية كتاب المجوسي.

قانون ابن سينا (فهرس الكتاب)	**كامل المجوسي (فهرس الكتاب)**
الكتاب الأول في الأمور الكلية العامة	**الجزء الاول وهو النظري**
١- المقدمة في حد الطب وبيان موضوعاته.......	١- مقدمات الطب، موضوعه قسمته
٢- الأركان، الأمزجة، الأخلاط......	٢- الاسطقسات والأمزجة والأخلاط.
٣- العضو وأقسامه: تشريح العظام.العضل وأقسامه، تشريح العضل. العصب وأنواعه، تشريح العصب......	٣- تشريح الأعضاء المتشابهة الأجزاء. تشريح الأعضاء المركبة ومنافعها.
٤- القوى وأنواعها ثم الأفعال .... . الأمراض والأسباب والأعراض الكلية	٤- القوى والأرواح والأفعال.
٥- الأسباب العامة كالهواء والفصول والمساكن والحركة والسكون والاستحمام والدلك الخ	٥- الأمور التي ليست بطبيعية وهي الهواء المحيط بأبدان الإنسان والرياضة والأطعمة والأشربة والنوم واليقظة والجماع والاستحمام والأمراض النفسانية.
٦- أسباب العوارض البدنية: المسخنات والمبردات والمرطبات والمجففات ومفسدات الشكل وضيق المجاري وزيادة العظم والغدد والقرحة والورم والوجع واللذة الخ	٦- الأمور الخارجة عن الأمور الطبيعية وهي الأعراض والأسباب الفاعلة لها والأعراض التابعة لها.
٧- الأعراض والدلائل والعلامات،النبض وأنواعه، البول والبراز وأنواعهما......	٧- الدلائل والعلامات الدالة على العلل والأمراض. النبض والبول الخ.
	الجزء الثاني وهو العملي:
٨- تدبير المولود والأطفال، تدبير البالغين،تدبير المشايخ تدبير المسافرين: (حفظ الصحة لدى كل صنف) وجوه المعالجات بحسب الأمراض الكلية: سوء المزاج الإسهال الحجامة الأورام الخ......	٨- حفظ الصحة على الأصحاء. الرياضة، الاستحمام، الأغذية، الشراب، النوم، الجماع، تنقية الأبدان، العادات. وتدبير الأطفال والمشايخ والناقهين من المرض،
الكتاب الثاني في الأدوية المفردة	
٩- الأدوية المفردة مرتبة على حساب الجمل	٩- الأدوية المفردة وامتحاناتها ومنافعها.
الكتاب الثالث في الأمراض الجزئية لعضو عضو	
١٠- أمراض الرأس والدماغ، أمراض العصب، تشريح العين وأحوالها وأمراضها، أحوال الأذن، أحوال الأنف..... أحوال الفم، أحوال الأسنان، أحوال اللثة والشفتين، أحوال الحلق، أحوال الرئة والصدر، أحوال القلب، المريء والمعدة، الكبد وأحوالها، المرارة والطحال، الأمعاء والمقعدة، علل المقعدة، في أحوال الكليتين، أحوال المثانة والبول. أحوال أعضاء التناسل عند الذكر ، أحوال أعضاء	١٠- مداواة الحميات والأورام وعلاجها. مداواة العلل العارضة في سطح البدن. مداواة علل الأعضاء الباطنة. مداواة علل الأعضاء النفسانية التي هي الدماغ والنخاع والأعصاب والحواس. مداواة العلل العامة لأعضاء التنفس التي هي الحنجرة وقصبة الرئة

التناسل عند المرأة.في أمراض ظاهرة وطرقية الأعضاء، الترب والفتق الخ
الكتاب الرابع الأمراض الجزئية غير مختصة بعضو والزينة
كلام كلي في الحميات،في البحران وأحكامه، في الأورام والبثور، في تفرق الاتصال ماعدا الكسر والجبر، كلام مجمل في السموم، في الزينة ....
الكتاب الخامس
١١- في الأدوية المركبة :. الجملة الأولى في المركبات الراتبة في القراباذينات. الجملة الثانية في الأقرابـاذين الأدوية المجربة في مرض مرض. الأوزان والمكاييل من كناش يوحنى بن سرافيون.

والرئة والقلب والحجاب والأغشية والصدر. مداواة العلل العارضة في أعضاء الغذاء التي هي المريء والمعدة والكبد والطحال والمرارة و الأمعاء والكلى والمثانة. مداواة العلل العارضة في أعضاء التناسل التي هي الأنثيان والقضيب والرحم والثديان. مداواة العلل التي تكون بعلاج اليد.
١١- الأدوية المركبة والمعجونات وغير ذلك.

واضح من هذا الجدول أن الشيخ الرئيس قد استنسخ في عرضه لموضوعات الطب نفس الترتيب الذي ابتكره المجوسي، وبالتالي فهو يدين له بتصوره للطب كعلم. صحيح أن كتاب ابن سينا أكبر حجما وأغزر مادة (يزيد على كتاب المجوسي بنحو عشرين في المائة)، ولكن ذلك ليس ذا أهمية في الموضوع الذي يهمنا هنا، موضوع التأليف في الطب وبالتالي تطور الفكر العلمي في هذا القطاع المعرفي. وصحيح كذلك أن ابن سينا قد جعل "العلم الطبيعي" على رأس العلوم المساعدة للطب، وهو ما أغفله المجوسي كما أشرنا إلى ذلك، ولكن الشيخ الرئيس سار على نفس الدرب الذي خطه المجوسي، فجعل النظرية الطبية السائدة تضم "العلم الطبيعي" الخاص بها بوصفها هي في ذاتها "علما طبيعيا" يتألف من ثلاثة أقسام: الأسطقسات والأخلاط والأعضاء والأمزجة، الهواء والطعام والشراب والحركة والسكون والأمراض وأعراضها الخ.

إذن لا جديد عند الشيخ الرئيس على مستوي بناء علم الطب. فلننتقل الآن إلى صاحب "الكليات في الطب" لنرى ما عنده من جديد.

٨- ابن رشد: "العصا القاتلة"... الذي "أفسد جميع الأطباء"

أ- صناعة الطب هي صناعة فاعلة عن مبادئ صادقة

يستهل ابن رشد كتابه بمقدمة يقدم فيها مشروعه بهذه العبارات:" فإن الغرض في هذا القول أن نثبت هاهنا من صناعة الطب جملة كافية -على جهة الإيجاز والاختصار- تتضمن أصول الصناعة، وتكون كالمدخل لمن أحب أن

يتقصى أجزاء الصناعة، وكالتذكرة أيضا لمن نظر في الصناعة؛ ونتحرى في ذلك الأقاويل المطابقة للحق، وإن خالف ذلك آراء أهل الصناعة (= صناعة الطب)، فنقول "(ف: ١)(*). يتعلق الأمر إذن بمشروع محدد وهادف: الموضوع هو "أصول" صناعة الطب، أي الطب كعلم، والهدف هو "تحري الأقاويل المطابقة للحق وإن خالف ذلك آراء أهل الصناعة".

والسؤال الأهم الذي يطرح نفسه علينا هنا هو التالي: فيم يخالف ابن رشد آراء أهل الصناعة؟ هل في تصور الطب كعلم أم في التطبيقات الطبية؟

الواقع أن عمل ابن رشد هنا يدخل في إطار مشروعه العام الذي يتوخى الاجتهاد و"التصحيح"، كما شرحنا ذلك في مكان آخر(٣٦)، ولذلك فهو يضم الجانبين معا:

- الاجتهاد في بعض المسائل التطبيقية والإدلاء بآراء مخالفة لما كان سائدا، وهذا جانب سنترك الحديث عنه إلى المقدمة التحليلية التي تلي هذا المدخل.

- وتصور الطب كعلم وهذا ما سنركز اهتمامنا هنا عليه، وهو يتعلق بـ "التصحيح"، أي بإعادة بناء المعارف الطبية بالصورة التي تجعل منها علما.

كيف؟

يعرف ابن رشد الطب تعريفا لم نعثر له على مثيل أو أصل عند من سبقه ممن كتبوا في الطب. يقول: "إن صناعة الطب هي صناعة فاعلة عن مبادئ صادقة، يُلتمس بها حفظ صحة بدن الإنسان وإبطال المرض، وذلك بأقصى ما يمكن في واحد واحد من الأبدان..." (ف: ٢).

"صناعة الطب هي صناعة فاعلة عن مبادئ صادقة"، وبلغة عصرنا: علم تطبيقي يرمي إلى تغيير حال بحال. وهذا العلم يقوم على مبادئ صحيحة، بمعنى أن التغيير الذي يحدثه هو نتيجة تدبير علمي يعتمد معطيات التجربة والاستدلال العقلي ولا مجال فيه لذلك "التغيير" الذي يعتقد حصوله بمبادئ غير صادقة كالسحر والتنجيم الخ. ويعبر ابن رشد عن ذلك في مكان آخر بقوله: "الطب هو صناعة فعلُها، عن العلم والتجربة، حفظ الصحة وإبراء المرض" ثم يضيف: "وإنما

(*) نحيل هنا إلى فقرات مقدمة الكتاب في طبعتنا هذه.

(٣٦) انظر كتابنا : **ابن رشد: سيرة وفكر**. نفس المعطيات السابقة (هامش رقم ٢).

قلنا في الحد عن العلم والتجربة لأنه ليس يكتفي في هذه الصناعة بالعلم دون التجربة ولا بالتجربة دون العلم بل بهما معا"[٣٧].

ويشرح ابن رشد مكونات "الصناعة الفاعلة"، أو العلم التطبيقي، فيقول: "ولما كانت الصنائع الفاعلة، بما هي صنائع فاعلة، تشتمل على ثلاثة أشياء: أحدها معرفة موضوعاتها، والثاني معرفة الغايات المطلوب تحصيلها في تلك الموضوعات، والثالث معرفة الآلات التي بها تحصل تلك الغايات في تلك الموضوعات، انقسمت باضطرار صناعة الطب أولا إلى هذه الأقسام الثلاثة".(ف:٣). ولا شك أن القارئ يلاحظ معنا أننا هنا إزاء نظرة جديدة للطب وإزاء تقسيم جديد، ينقلاننا إلى أفق جديد يختلف تماما عن الأفق الذي تعرفنا عليه من خلال المجوسي وابن سينا: الطب علم تطبيقي، والعلم التطبيقي لابد له من موضوع يعرفه معرفة علمية ليمارس فيه "التطبيق"، ولابد له من غاية يراد تحصيلها في الموضوع، ولابد له كذلك من وسائل تتم بها عملية التحصيل هذه. وقسمة الطب لا بد أن تنبني على هذه المكونات حتى تكون قسمة ذاتية تعبر عن جوهر المقسوم وليس عن أعراضه فقط.

ب- أقسام الطب بحسب: الموضوع ، الغاية، والوسائل

وبناء عليه انقسم الطب أولا إلى هذه الأقسام الثلاثة: **الموضوع** وهو بدن الإنسان، **الغاية** وهي حفظ الصحة وإزالة المرض، **والوسائل** وهي التي تُحفظ بها الصحة ويزال المرض. وبما أن حفظ الصحة يتطلب أولا معرفة حال الصحة وعلاماتها، وإزالة المرض تتطلب أولا معرفة حال المرض وعلاماته، كان لابد من قسمة فرعية: **الصحة، المرض، العلامات الصحية والمرضية**. ولما كان حفظ الصحة يتم بوسائل هي الغذاء أساسا وإزالة المرض تكون كذلك بوسائل هي الدواء أساسا، كان لابد من التعرف على **الأغذية والأدوية**. وهكذا ينقسم البحث في الطب أقساما سبعة: التعرف على بدن الإنسان (التشريح)، التعرف على حال الصحة (وظائف الأعضاء)، التعرف على حال المرض (الباتولوجيا)، التعرف على العلامات (السيميولوجيا)، التعرف على الأغذية والأدوية (علم التغذية والصيدلة)، وطرق حفظ الصحة (الوقاية)، وطرق إزالة المرض (العلاج) (ف: ٤-٨). ومن هنا قسم ابن رشد كتابه إلى سبعة كتب أو أقسام -بعد

(٣٧) ابن رشد. شرح أرجوزة ابن سينا. نفس المعطيات السابقة.

المقدمة- هي: ١) كتاب تشريح الأعضاء. ٢) كتاب الصحة. ٣) كتاب المرض. ٤) كتاب العلامات. ٥) كتاب الأدوية والأغذية. ٦) كتاب حفظ الصحة. ٧) كتاب شفاء الأمراض.

ويناقش ابن رشد قسمة الطب إلى قسم علمي (نظري) وقسم عملي، وهي القسمة التي اعتمدها المجوسي وابن سينا فيقول: "وهذه القسمة ليست بقسمة حقيقة لصناعة الطب، لأن جالينوس قد قال في حده: إنه معرفة الصحة والمرض والأشياء المنسوبة إليهما والى الحالة التي ليست بصحة ولا مرض. وإذا كان ذلك كذلك (أي لما كان الطب **معرفة...**) فأقسامه إنما هي علوم، لا علوم وعمل. وذلك أن الصنائع التي يقال فيها إنها عملية منها ما يقال فيها ذلك لأنها تتعلم بالعمل مثل صناعة النجارة والخياطة، ومنها ما يقال لها علمية وهي أنها تتعلم بالعلم، أعني بالبراهين والحدود لكن غاية العلم فيها إنما هو العمل، وهذه حال صناعة الطب. وليس يبعد أن يكون من الصنائع ما يتعلم بالوجهين جميعا بالعلم والعمل إن سلمنا أنها صناعة واحدة! وقد يظن بصناعة الطب أنها بهذه الصفة: وذلك أن الجزء الذي يعمل باليدين إنما يتعلم بالعمل والمحاذاة أكثر ذلك. فوجه العذر عن هذه القسمة (=ما قد يبرر قسم الطب إلى علم وعمل) أنه لما كان العلم ينقسم في صناعة الطب إلى علمين، علم يشاركه فيه صاحب العلم الطبيعي أعني أنه ينظر فيه العلمان جميعا، وهو العلم الذي ينظر في الصحة وأسبابها وعلاماتها وفي المرض وأسبابه وعلاماته، والعلم الثاني تختص به صناعة الطب، وهو النظر كيف تحفظ الصحة وبأي شرط تحفظ وكيف يزال المرض وبأي شيء يزال، سمي الجزء من العلم الذي يشارك الطب فيه العلم الطبيعي علميا، وأعني بالعلمي ما الغاية المقصودة منه العلم فقط لا العمل، وسمي الجزء الآخر، الذي ينفرد بالنظر فيه صناعة الطب عمليا، إذ كان قريبا من العمل وخاصا به وكثيرا ما يوجد فعله بالاحتذاء، أعني بالعمل. ولذلك كان من شرط الطبيب أن يكون مع قيامه على علم الطب مزاولا لأعماله. وأما العمل باليد فهو كما قلنا عملي محض، وليس يتعلم بالقول (بالاستدلال) منه إلا جزء يسير (=إذ هو ممارسة وخبرة). وكذلك يشبه أن يكون التشريح: أعني أنه لا يتصور منه بالقول إلا يسير (=إذ يعرف بالحس). وأول من قسم العلم الطبيعي بهذه القسمة حنين المتطبب، وقد رد عليه ابن رضوان ذلك وزعم أن أصول جالينوس تقتضي أن هذه القسمة باطل، وانتصر له أبو العلاء، وزعم أنه

تلفى هذه القسمة في بعض الكتب المنسوبة لجالينوس. **والحق في ذلك ما قلناه**"، (أي أن الطب صناعة علمية أي علم تطبيقي، وأن قسمته إلى علمي وعملي قسمة باطلة). ويضيف: "وأفضل من هذه القسمة أن تقول الطب ينقسم إلى خمسة أقسام: إلى معرفة طبيعة الصحة، وإلى معرفة طبيعة الأمراض، وإلى معرفة علامات الأمراض، وإلى معرفة إزالة الأمراض، وإلى معرفة حفظ الصحة".(٣٨)

ج – مصادر المعرفة الطبية العلمية ودرجتها من اليقين

بعد ذلك ينتقل ابن رشد إلى المبادئ والأصول التي يقوم عليها الطب كعلم فيلاحظ أن "الصنائع الفكرية"، أي التي تعتمد التفكير والروية في المعطيات الحسية والتجريبية (وهي غير الصنائع النظرية التي تنظر في المجردات كالفلسفة والرياضيات الخ)، تعتمد كجميع الصناعات على مبادئ وأصول عامة، تتسلمها: إما من بديهة العقل مثل مبدأ السببية ومبدأ الهوية وعدم التناقض وهي مبادئ بينة بنفسها، وإما من علم آخر سابق تبينت فيه بالبرهان أو بالتجربة أو بهما معا. والمصادر الرئيسة التي تتسلم منها صناعة الطب مبادئها –زيادة على مبادئ العقل– ثلاثة: العلم الطبيعي، والممارسة الطبية، والتشريح.

والعلاقة بين هذه المصادر وبين علم الطب علاقة واضحة. فالعلم الطبيعي يبحث في الأجسام وموضوع علم الطب جسم الإنسان، وإذن فكل ما يخص هذا الجسم من ناحية تركيبه الطبيعي يتسلمه علم الطب من العلم الطبيعي، مثل ما يتعلق بالأسطقسات والأسباب الأربعة، المادة والصورة والفاعل والغاية، وغير ذلك مما ينتمي إلى الجهاز المفاهيمي الذي يستعمل في البحث في الأجسام الطبيعية. أما الممارسة الطبية أو صناعة الطب التجريبية فيتسلم منها علم الطب ما يخص قوى الأدوية، ذلك لأن مفعول الأدوية إنما يعرف بالتجربة أساسا، وما يعرف منها بالاستنباط لا يكون إلا انطلاقا مما عرف بالتجربة وهو نزر يسير. وأما صناعة التشريح، تشريح الأعضاء، فإن صناعة الطب "تتسلم منها كثيرا من أجزاء موضوعاته" (ف:٩) وهذا واضح، لأن حفظ الصحة وإزالة المرض، الذي هو غاية الطب، ينصرف إلى أعضاء البدن واحدا واحدا وإلى البدن ككل.

---

(٣٨) ابن رشد. شرح الأرجوزة. نفسه. في مقدمة "الكليات" يجعل الأقسام سبعة: بإضافة التشريح والأدوية، الأول قطاع مستقل (علم التشريح) يتسلم منه علم الطب بعض مبادئه. والثاني ميدان مستقل كذلك (علم الصيدلة: تركيب الأدوية) وسنرى بعد أن يجعله مستقلا وسابقا علة معرفة العلاج.

تلك هي المصادر التي يتسلم منها علم الطب مبادئه وأصوله. والسؤال الآن هو: ما درجة هذه المصادر من المصداقية العلمية، وبعبارة أخرى ما هي درجة ما تعطيه هذه المصادر على سلم الصدق واليقين؟

سؤال ضروري لأن الأمر يتعلق ببناء علم، هو علم الطب. ويجيب ابن رشد:

– أما فيما يخص العلم الطبيعي فيجب الانتباه أولا إلى ما يجمع بينه وبين علم الطب وإلى ما يفترقان فيه. علم الطب يشارك العلم الطبيعي في بدن الإنسان، في صحته ومرضه، بوصفه جسما، وبالتالي موضوعا لدراسة كل منهما، ولكن يفترقان من حيث أن صاحب العلم الطبيعي "ينظر في الصحة والمرض من حيث هما أحد الموجودات الطبيعية، وينظر الطبيب فيهما من حيث يروم حفظ هذه وإزالة هذا". من أجل ذلك كان على الطبيب أن لا يكتفي بمعرفة ما يمده به العلم الطبيعي من "كليات"، أي من خصائص عامة عن الأجسام، بل لا بد له من ممارسة طويلة يتمكن بها من معرفة الكيفيات التي تتجلى عليها هذه الخصائص الطبيعية في بدن الإنسان. وبعبارة أخرى إنه بالممارسة الطبية وحدها يتعرف الطبيب على خصائص بدن الإنسان التي تخصه لذاته بوصفه جسما من الأجسام، أي بوصفه أحد أفراد جنس الأجسام. ومن خلال التعرف على هذه الخصائص "تحصل له مقدمات تجريبية" يقدر بها أن يكتشف في بدن الإنسان تلك الخصائص العامة التي يدرسها العلم الطبيعي. وبعبارة أخرى: هناك ما هو عام وهو المبادئ التي يعطيها العلم الطبيعي، وهناك ما هو خاص وهو ما تعطيه مزاولة الطب. والارتفاع بهذه المزاولة إلى مستوى العلم يكون بربط الخاص بالعام، وبالتالي اكتشاف العام في الخاص (ف:١١). وإذن فالمصداقية العلمية لما يأخذه علم الطب عن العلم الطبيعي تتوقف على مدى الممارسة العلمية التي يقوم بها الطبيب والتي تمكنه من اكتشاف "العام" الذي يعطيه العلم الطبيعي في "الخاص" الذي يتعامل الطب معه وهو بدن الإنسان.

– أما عن المصداقية العلمية لما يتسلمه علم الطب من الممارسة الطبية التجريبية فينبه ابن رشد إلى صعوبة الحصول على اليقين في كل موضوع من موضوعاتها، كما هو الحال في الأدوية، وهي أهم ما يتسلمه منها. ذلك لأن اليقين في هذا المجال يحتاج إلى طول تجربة وإلى ملاحظة مفعول الدواء في كل شخص. أضف إلى ذلك تدخل عوامل أخرى مختلفة. والنتيجة أن ما يأخذه علم

الطب من الممارسة الطبية يجب أن يعتبر في درجة "المشهورات" وليس في درجة "اليقينيات".

– أما صناعة التشريح فالمصداقية العلمية فيها أساسها الحس والمشاهد والفحص. ولكن بما أنها لم تعد زاهرة –في أيام ابن رشد– "إذ قد دثرت" كما يقول، فإن علم الطب مضطر إلى أن يتسلم منها ما هو في حاجة إليه حسب المشهور، مثل ما هو الحال في الأدوية التي مصدر المعرفة بها التجربة (ف: ١٠).

والخلاصة أن "صناعة الطب" هي "صناعة فاعلة" أي علم تطبيقي تعتمد في فاعليتها وتطبيقها على "مبادئ صادقة": صدق بعضها في مرتبة المقدمات اليقينية، وهي ما تتسلمه من العلم الطبيعي إذا زكي بالتجربة التي تمكن من تطبيق القوانين الكلية على الأشياء الجزئية، بينما صدق بعضها الآخر هو في مرتبة المقدمات المشهورة، ويتعلق الأمر بما تعطيه الممارسة الطويلة سواء على مستوى المعالجة والأدوية أو على مستوى التعرف على تركيب الأعضاء وخصائصها بواسطة صناعة التشريح التي "دثرت" ولم تعد تقدم جديدا (زمن ابن رشد).

وينهي ابن رشد هذه المقدمة المركزة الغنية –مقدمة كتاب الكليات– بملاحظتين سريعتين: الأولى يبين فيها خطأ الاقتصار في حد علم الطب على كونه: "معرفة الصحة والمرض والأشياء المنسوبة إليهما"، موضحا أن هذا الحد يصدق على العلم الطبيعي أيضا، وبالتالي لا بد، لجعله ينصرف إلى الطب وحده، من إضافة العبارة التالية: "ليحفظ الصحة حاصلةً ويستردها زائلةً"، إذ كان هذا الجانب التطبيقي هو المقصود من الطب وبها ينفصل عن العلم الطبيعي الذي هدفه المعرفة فقط. أما الملاحظة الثانية فينبه فيها إلى الخطأ الكامن وراء إضافة "الحال التي ليست بصحة ولا مرض" إلى حد الطب. وهذا الخطأ ناجم –يقول ابن رشد– من عدم فهم صحيح لمعنى **الوسط**. فليس هناك وسط بين الصحة والمرض كما نقول في وسط العصا مثلا، بل الصحة والمرض يختلفان بالأقل والأكثر، مثلهما في ذلك مثل ما بين اللون الأبيض والأسود من درجات، وهي الألوان المؤلفة منهما مثل الرمادي المفتوح والرمادي القاتم والبني الخ. يقول ابن رشد: "فإنه ليس بين ضرر الفعل المحسوس ولا-ضرره وسط، وإنما يختلف بالأقل والأكثر. وليس المتوسط بين الضدين أن يكون كل واحد منهما في جزء غير الجزء الذي فيه الآخر، ولا في زمن غير الزمن الذي فيه الآخر. وهذا بين مما قيل في العلم النظري" (ف:١٣).

د- الطب علم تطبيقي، منه نظريات ومنه تطبيقات

هناك مسألة أخيرة لابد من إثارتها هنا، وتتعلق برفض ابن رشد لقسمة الطب إلى علمي وعملي وإلحاحه على كونه علما بجميع أقسامه. وفي مقابل ذلك يميز بين "الكليات" أو "الأقاويل الكلية" وبين "الأقاويل الجزئية" في الطب. يقول في آخر فقرة في الكتاب: "فهذا هو القول في معالجة جميع أصناف الأمراض بأوجز ما أمكننا وأبينه، وقد بقي علينا من هذا الجزء القول في شفاء مرض مرض من الأمراض الداخلة على عضو عضو من الأعضاء (...) نرجئ هذا إلى وقت نكون فيه أشد فراغا"، ثم ينصح قارئه، الذي يرغب في الاطلاع على معالجة كل عضو على حدة، بالنظر في كتاب "التيسير" الذي ألفه صديقه أبو مروان ابن زهر.

كيف نفهم هذا التمييز ؟

الواقع أن ابن رشد قد تصور "صناعة الطب" خارج التقسيم التقليدي الذي يقسم الفلسفة إلى قسمين : نظري وعملي، والذي عممه الفارابي وابن سينا والغزالي حتى على العلوم الإسلامية إذ جعل هذا الأخير "علم الكلام" بمثابة "العلم النظري" والفقه بمثابة "العلم العملي". لقد اعترض ابن رشد على هذا التعميم رافضا اعتبار "علم الكلام" علما بالكليات وعلم الفقه علما بالجزئيات، كما اعترض عليه هنا. إن الطب، في نظر ابن رشد "صناعة فاعلة"، أي **علم تطبيقي**، وأن أقرب الصناعات إليها : "صناعة الملاحة" و"صناعة قود الجيوش"(٣٩) (ف: ٢، ١١). وهذا العلم التطبيقي قوامه "أقاويل كلية" هي "أصول الصناعة"، و"أقاويل جزئية" تخص علاج مرض مرض في عضو عضو. ومن هنا قد لا نخطئ إذا قلنا بعبارة عصرنا: صناعة الطب (أو فن الطب) قسمان: قسم هو علم يدرس، كما هو الشأن الدروس العامة التي يتلقاها الطالب في كلية الطب. وقسم هو تطبيق لتلك الدروس أثناء فترة التدريب في المستشفيات والملاحظات السريرية.

---

(٣٩) تشبيه علم الطب بعلم الملاحة البحرية واضح من كون علم الملاحة يشتمل على معارف نظرية تتناول البحر والموج والطقس والريح والاهتداء بالنجوم الخ، ولكن قائد السفينة يطبق هذه المعلومات والمعارف حسب الحالات الواقعية والتي تتغير حسب الظروف الزمانية والمكانية. وكذلك علم قيادة الجيوش يشتمل على معارف تتلقى في المدارس العسكرية ولكن قيادة الجيش في المعارك وتطبيق تلك المعارف الخ، كل ذلك يختلف من معركة لأخرى.. وتلك هي حال الطب.

هـ – التصور الرشدي للطب كعلم أقرب إلى التصور الحديث

وواضح أن تقسيم ابن رشد لموضوعات الطب إلى الأقسام السبعة (أو الخمسة) المذكورة آنفا، وإلحاحه على الطابع العلمي للأقاويل الكلية والجزئية التي تلتئم منها هذه الأقسام، وعلى أهمية دور التجربة فيه (كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وسنرى هذا بتفصيل في المقدمة التحليلية)، كل ذلك يضعنا أمام تصور جديد لعلم الطب يختلف تماما عن التصور الذي قدمه لنا كل من المجوسي وابن سينا. وهذا التصور الرشدي للطب قريب جدا، إن لم يكن مطابقا تماما، للتصور الحديث والمعاصر، سواء في تحديد موضوع الطب وأقسامه أو في تحديد درجته من اليقين العلمي. وقد يكفي أن نشير هنا إلى ما كتبه كلود برنار في كتابه " المدخل إلى دراسة الطب التجريبي" الذي يعتبر دستور الطب الحديث والصادر سنة ١٩٢٠. يقول في مقدمة كتابه:" حفظ الصحة وشفاء المرض، تلك هي المشكلة التي طرحها الطب منذ قيامه، وهي نفسها المشكلة التي ما زال يواصل العمل لحلها حلا علميا. والوضع الحالي للممارسة الطبية يسمح بالقول بأن هذا الحل سيبقى لمدة طويلة موضوعا للبحث". وبعد أن يبرز التقدم الذي حصل في الطب من خلال ما أنجز في العلوم الفيزيائية الكيميائية وفي ظواهر الحياة، السليم منها والمرضي، يقول: " ولكي يتمكن الطبيب من الإحاطة بالمشكلة برمتها يجب أن يشتمل الطب التجريبي على ثلاثة أقسام أساسية: علم وظائف الأعضاء (La physiologie)، وعلم الأمراض (La pathologie)، وعلم الشفاء" (La thérapeutique). ويضيف كلود برنار قائلا: "غير أن الطب العلمي لا يمكن أن يتأسس، مثله مثل العلوم الأخرى، إلا عن طريق التجربة، أي بالتطبيق الآني والصارم للاستدلال المنطقي (raisonnement) على المعطيات التي تمدنا بها الملاحظة والتجربة. إن المنهاج التجريبي منظورا إليه في ذاته ليس شيئا آخر غير الاستدلال الذي به نخضع أفكارنا، وبصفة منهجية، لتجربة الظواهر".(٤٠)

لاشك أن القارئ يلاحظ أن ابن رشد رتب كتابه على نفس المنوال الذي يلح عليه هنا كلود برنار: فبعد "صناعة التشريح" التي تتسلم منها صناعة الطب " كثيرا من أجزاء موضوعاتها"، يأتي كتاب الصحة الذي موضوعه منافع الأعضاء أو وظائفها (La physiologie)، ثم كتاب الأمراض

---

(٤٠) CLAUDE BERNARD, *INTRODUCTION A L'ETUDE DE LA MEDECINE EXPERIMENTALE.* Librairie Delagrave. Paris. 1920. pp. 5-7.

وكتاب العلامات التي تدل على الأمراض (La pathologie)، ثم كتاب الأدوية والأغذية وكتاب حفظ الصحة وكتاب شفاء الأمراض (La thérapeutique). هذا إضافة إلى تأكيده القوي على "أنه ليس يكتفي في هذه الصناعة بالعلم دون التجربة ولا بالتجربة دون العلم بل بهما معا"(٤١).

وغني عن البيان القول إننا لا نهدف من هذه المقارنة إلى إثبات "سبق" ما لابن رشد. فالمسافة طويلة بين القرن الثاني عشر الميلادي والقرن العشرين في جميع الميادين، وفي الميدان العلمي بكيفية خاصة. ولكن هناك أمر واحد يفرض نفسه علينا، وهو أن التصور الذي شيده ابن رشد عن علم الطب هو أقرب ما يكون من التصور الحديث. ومع ذلك كله لا بد من التأكيد هنا أن هذه الروح العلمية التي تعامل بها ابن رشد مع موضوعه كانت مكبلة بالجهاز المفاهيمي الذي كان سائدا في عصره كجهاز لإنتاج المعرفة العلمية، كما أن النظرية الطبية السائدة في زمانه، تلك التي شيدها جالينوس كانت هي المادة العلمية التي تعامل معها ابن رشد وفكر في إطارها حتى في انتقاداته الكثيرة لها كما سنرى.

بعبارة قصيرة، يمكن القول إن ما أنجزه ابن رشد من تجديد في ميدان التفكير العلمي في الطب شبيه بما قام به على صعيد الفلسفة وشرح أرسطو. صحيح أن ابن رشد لم ينتقد أرسطو كما انتقد جالينوس -وإن كان قد اعتمد على هذا في الطب كما اعتمد على ذاك في "الطبيعة" و"ما وراء الطبيعة"- ولكن ابن رشد قد حاول حل المشاكل التي تركها أرسطو معلقة وسد الثغرات في منظومته بناء على "ما يقتضيه مذهبه"، مذهب أرسطو الذي هو في الحقيقة مذهب ابن رشد نفسه، وذلك بتطويع الجهاز المفاهيمي الأرسطي إلى درجة تقترب من تفجير المنظومة الأرسطية بالمرة(٤٢). والشيء نفسه فعله فيلسوف قرطبة مع طب جالينوس، كما سنرى في المقدمة التحليلية. والسؤال الآن سؤال مضاعف:

ترى ماذا كان دور ابن رشد الطبيب في أوروبا؟ هل كان بمثل دوره في الفلسفة، وهو الدور الذي تمثل في قيام "الرشدية اللاتينية" التي كانت وراء النهضة الأوروبية؟ وهل كان له دور ما في الفكر الطبي العربي بعده؟

(٤١) ابن رشد. **شرح أرجوزة ابن سينا**. نفس المعطيات السابقة.
(٤٢) راجع في هذا الموضوع كتابنا: **ابن رشد: سيرة وفكر**. الفصل ١١، ص ١٨٣.

و- ابن رشد وكتاب الكليات في أوروبا: "العصا القاتلة"

يجب التأكيد ابتداء أننا ما زلنا عالة على المستشرقين في موضوع "دور العلم العربي في النهضة الأوروبية"، وأن ما أنجزه هؤلاء في هذا المجال مازال، رغم أهميته، دون ما يجب أن يكون. إن دور العلم العربي والفلسفة العربية في النهضة الأوروبية لا يمكن جلاءه إلا على أيد باحثين عارفين للغتين اللاتينية والعبرية ومتخصصين في ثقافة القرون الوسطى وعلى إلمام كاف بالتراث العربي في العلم والفلسفة. وهذا ما نتمنى أن يتوافر للثقافة العربية على أيدي الأجيال الصاعدة من الباحثين الجامعيين. نحن مضطرون إذن، في الوقت الحاضر، إلى النقل من المستشرقين والمستعربين الجدد والمهتمين بهذا الموضوع من الباحثين والأكاديميين الأوروبيين. ولعل أهم بحث أنجز أخيرا في الموضوع -حسب علمنا- هو ذلك الذي كتبته دانيال جاكار (مديرة أبحاث في المعهد التطبيقي للدراسات العليا بباريس)، بعنوان "تأثير الطب العربي في الغرب خلال القرون الوسطى"(٤٣)، وسيكون هذا المقال مرجعنا الرئيسي في الموضوع.

تبرز الباحثة حضور كل من كتاب علي بن العباس المجوسي "كامل الصنعة الطبية" وكتاب "القانون" لابن سينا وكتاب "المنصوري" ثم "الحاوي" للرازي وكتاب "الكليات" لابن رشد الذي عرف باسم Colliget وقد ترجمت كلها إلى اللاتينية(٤٤). وكما هو الشأن في الفلسفة فقد كان هناك في الأوساط

---

(٤٣) ترجمت هذه المقالة ضمن كتاب : **موسوعة تاريخ العلوم العربية**. ج٣. إشراف: رشدي راشد. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ١٩٩٧. ص ١٢٢٥. هناك مراجع أخرى حول حضور فكر ابن رشد في أوروبا أصبحت قديمة متجاوزة مثل كتاب رينان "ابن رشد والرشدية" وكتاب مونك "أمشاج من الفلسفة اليهودية والعربية". وكتاب لوكلير "تاريخ الطب العربي" وأطروحة هريز "دور الطب العربي في تطور الطب الفرنسي". وكتاب عبد الرحمن بدوي: دور العرب في تكوين الفكر الأروبي. انظر أيضا مقالته التي ذكر فيها عددا مهما من "أبحاث المستشرقين في تاريخ العلوم عند العرب" ضمن كتابه: **دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب**. ومن الكتب الجديدة: كتاب جماعي صدر في ١٩٩٥ دار النشر Le Seuil تحت عنوان *Histoire de la pensée médicale en Occident*، وكتاب مانفريد أولمان المترجم إلى الفرنسية سنة ١٩٩٥بعنوان *La médecine islamique*. ومن الكتب الجيدة التي صدرت مؤخرا وإن كانت لا تتعرض لابن رشد كطبيب نذكر كتاب ألان دوليبرا: "**التفكير في القرون الوسطى**"، وكتاب كورت فلاش "**مدخل إلى فلسفة القرون الوسطى**"، وهما بالفرنسية، الخ.

(٤٤) ترجمت جل المؤلفات الطبية العربية. انظر لائحة مختصرة بأسمائها وتاريخ ترجماتها في المقالة المشار إليها أعلاه.

الطبية الأوروبية تياران متنازعان، أحدهما مع ابن سينا والآخر مع ابن رشد. ويهمنا هنا الدور الذي قام به ابن رشد من خلال كتابه "الكليات".

تقول الباحثة المذكورة: عن كتاب "الكليات" : " لقد أثار هذا الكتاب العديد من المجادلات التي سمحت للأطباء الغربيين **بتجديد مذهبهم**". "وبصفته داعما للأفكار الأرسطية فقد ساهم كتاب Colliget في **وضع مسائل أساسية بشكل جديد**. وهكذا ابتداء من السنوات الأخيرة في القرن الثالث عشر وصولا إلى القرن السابع عشر، توزعت التحديدات المختلفة للحمى حول الموقفين المتباعدين لابن سينا وابن رشد". وبعد أن تشير الباحثة إلى أن الحل الذي قدمه ابن رشد قد أخذ به بدون صعوبة لكونه أقرب إلى رأي جالينوس، تضيف قائلة: "لقد لعب كتاب Colliget **أيضا دورا محرضا** بإعطائه من جديد حيوية لتعريف الطب كصنعة. إن الأوضاع الخاصة بالنظرية والتطبيق (= القسم النظري والقسم العملي في الطب) كما ظهرت في كتابي Pantegni (المجوسي: كامل الصناعة الطبية) و canon (القانون لابن سينا)، قد طرحت مجددا للنقاش (...) إن النقاش حول تحديد الطب الذي ورد في كتاب الكليات Colliget لقي كثيرا من الصدى، الأمر الذي أدى في النصف الثاني من القرن الثالث عشر إلى بروز اهتمام جديد بالطريقة التي تسمح بتحليل الحالات الخاصة (particularia)، أي الظروف التي لا تحصى والتي تحصل في الحياة اليومية". وقد بلغ تأثير ابن رشد في **زعزعة التصورات الطبية** التي كانت سائدة أن خص شارح كتاب القانون لابن سينا جاك ديبار Jacques despars المتوفي سنة ١٤٥٨م ابن رشد بوصف خاص غني بالدلالة. وهكذا فبينما قال عن الرازي إنه "المختبر الأرفع" و"الطبيب الأكبر والأكثر خبرة بعد ابقراط وجالينوس"، وقال عن ابن ماسويه إنه "خبيرنا ومبشرنا"، "الأعلم من الجميع في وصف الأدوية"، وصف ابن رشد الطبيب بـ **"العصا القاتلة"، و" الرجل الذي "أفسد جميع الأطباء"!**

أما أن يكون كتاب "الكليات" لابن رشد "قد أثار العديد من المجادلات التي سمحت للأطباء الغربيين بتجديد مذهبهم"، وبالخصوص من خلال التصور الجديد الذي قدمه عن الطب وأقسامه ومرتبته من اليقين، فهذا مفهوم؛ وقد سبق أن أبرزنا هذا الجانب في الفقرات السابقة. وأما وصفه بـ "العصا القاتلة" وبـ "الرجل الذي أفسد جميع الأطباء"، فالسؤال: كيف، ولماذا؟ يطرح نفسه بإلحاح.

إن الباحثة صاحبة المقالة التي ندين لها بهذه المعلومات القيمة لا تطرح هذا السؤال، وبالتالي فهي لم تنشغل بالإجابة عنه بل انتقلت إلى موضوع آخر. ومع ذلك فإن سياق عرضها التاريخي لحضور الطب العربي بمختلف منازعه في الفكر الأوروبي، وردود الأفعال التي قامت هناك إزاء هذه المرجعية العربية أو تلك، تسمح لنا باستخلاص الجواب عن سؤالنا: لماذا وصف ابن رشد الطبيب هناك بـ "العصا القاتلة" ولماذا قيل فيه : "إنه أفسد جميع الأطباء"!

نقرأ في المقالة نفسها أن الطبيب الكتالاني أرنو دو فيل نوف (Arnaud de Ville Neuve) "أحد الوجوه الفكرية البارزة في القرون الوسطى"، كان "مجددا في إطار تقليد استوحى أعمال جالينوس، وكان أيضا ناقدا لاذعا لابن سينا على الرغم من أنه استوحى مؤلفاته وأنه ترجم له مقالة في أحكام الأدوية القلبية التي ظهرت بعنوان De viribus cordis . وفي سياق مرجح من الجدال داخل الوسط الطبي انتقد بعنف، ومرة بعد أخرى، أولئك الذين يتبعون كتاب Canon (القانون) لابن سينا بشكل أعمى". لقد أعلن في كتبه أن "الحقيقة المتينة التي وصل إليها جالينوس لم يفهمها ابن سينا الذي، من خلال غزارة مجلده الضخم في الطب، جعل القسم الأعظم من الأطباء اللاتين حمقى" ، "يثرثرون تحت نفوذه من دون أن يتذكروا البرهان. ويبدو انهم يعتبرون أنفسهم مغتبطين إذا استطاعوا رؤية أو قراءة أو إظهار عبء المجلد (=قانون ابن سينا؟) على منابرهم الكبيرة". وتضيف صاحبة المقالة: "إن فهم أعمال ابن سينا بالنسبة إلى دوفيل نوف يعني تمريرها من خلال مصفاة الجالينوسية".(٤٥)

واضح مما تقدم أن "قانون" ابن سينا كان له نوع من الهيمنة على الأوساط الطبية في أوربا خلال القرن الثالث عشر، وأن ردود أفعال مناوئة له بدأت تظهر عندما أخذ الدارسون يكتشفون نصوص جالينوس مما أتاح لهم "مقابلة الأعمال العربية بالمصادر الجالينوسية". وفي هذا الإطار يدخل هذا الرد العنيف الذي تعرفنا عليه أعلاه ضد ابن سينا. لقد كان دعوة إلى الرجوع إلى المرجعية الطبية الأساسية: جالينوس الذي وصل إلى " الحقيقة المتينة" التي "لم يفهمها ابن سينا الذي... جعل القسم الأعظم من الأطباء اللاتين حمقى".

---

(٤٥) نفس المرجع. ص١٢٣٧-١٢٣٨.

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن هو التالي: إذا كان ابن سينا قد "جعل القسم الأعظم من الأطباء اللاتين حمقى"، وأن البديل الصحيح هو الرجوع إلى جالينوس، فما هو "ذنب" ابن رشد في هذا السياق حتى يوصف بـ "العصا القاتلة" ويتهم بأنه "أفسد جميع الأطباء"؟

ز- هل كان ابن رشد وراء اكتشاف الدورة الدموية ؟

الجواب يقدمه لنا كتاب "**الكليات**" الذي بين أيدينا. ذلك أن ابن رشد قد أعلن في مقدمة هذا الكتاب أنه سيتحرى فيه "الأقاويل المطابقة للحق، وإن خالف ذلك آراء أهل الصناعة" (= صناعة الطب). وأهل الصناعة الذي يخالفهم في هذا الكتاب ليس ابن سينا، فهو يتجاوزه و لا يذكره إلا نادرا وفي أمور جانبية. إن الذي سيخالف ابن رشد ويدخل معه في نقاش من أول الكتاب إلى آخره هو جالينوس بالذات! لقد اعتبر ابن رشد جالينوس الشخص الوحيد الجدير بأن يعتمد وأن يناقش في آن واحد. وواضح أن مناقشة فيلسوف قرطبة لجالينوس ومخالفته له في مسائل أساسية من مذهبه الطبي معناه "خلخلة" وزعزعة البديل الذي لجأ إليه معارضو ابن سينا في أوروبا والعمل على تجاوزه. لقد كان ابن رشد من هذه الناحية فعلا "عصا قاتلة" للتقليد، سواء تقليد ابن سينا أو تقليد جالينوس. ومن هنا كان لابد أن ينظر إليه على أنه "أفسد جميع الأطباء"، الشيء الذي يعني أنه زعزع الفكر الطبي الأوروبي في القرون الوسطى ودفعه في اتجاه الثورة على التقليد، اتجاه فتح "باب الاجتهاد فيه"، وذلك إلى درجة جعلت البعض يربط بين ابن رشد واكتشاف هارفي للدورة الدموية. الكبرى! أما الصغرى فشرف اكتشافها يعود لابن النفيس كما سنرى.

وإذا كان هذا هو تأثير كتاب "الكليات" في الفكر الطبي الأوربي، فماذا كان يا تُرى، حظ الفكر الطبي العربي منه؟

لقد اعتاد الناس على القول إن فكر ابن رشد لم يكن له ما بعده في الثقافة العربية، وهذا إن كان صحيحا على مستوى ما كان يمكن أن يحدثه من ثورة فكرية في الحضارة العربية التي كانت قد دخلت آنذاك في مرحلة الأفول، فليس صحيحا على مستوى ما حصل من تطور وتجديد في قطاعات معرفية معينة. لقد سبق أن أبرزنا في أعمالنا الأخرى امتدادات المشروع التجديدي الرشدي لدى كل من البطروجي في علم الفلك والشاطبي في أصول الفقه وابن

خلدون في "علم العمران" وابن تيمية في العلاقة بين المعقول والمنقول[٤٦]. ونضيف الآن فنتساءل: ألم يكن ابن رشد وراء أعظم اكتشاف في تاريخ الطب العربي بل ربما في التاريخ كله، نعني بذلك اكتشاف ابن النفيس للدورة الدموية سؤال سنترك الخوض فيه إلى المقدمة التحليلية التي تلي هذا المدخل. فالخوض في الجواب عن هذا السؤال يتطلب أولا الاستماع إلى مناقشة ابن رشد لجالينوس في المسائل المتصلة بالموضوع: العلاقة بين الكبد والقلب والرئة والشرايين والأوردة الخ.

سيكون علينا، إذن، أن نخصص المقدمة التحليلية التي تلي هذا المدخل والتي نقدم فيها عادة عرضا تحليليا لمضمون الكتاب، -أن نخصصها لإبراز عملية "الخلخلة" التي قام بها ابن رشد في "الكليات"، سواء من خلال مناقشته للمرجعية الطبية الأولى في زمانه وإلى ما بعد زمانه بما لا يقل عن خمسة قرون: جالينوس، أو من خلال موضوعات أخرى مثل إلحاحه على دور التجربة وخوضه في قضايا معينة كان للنقاش الذي أثاره حولها أهمية تاريخية.

(٤٦) انظر كتابنا: **بنية العقل العربي**. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ص ٥٣٦.

مقدمة تحليلية

ابن رشد وتأزيم النظرية الطبية الجالينوسية

١- "الكليات": مشروع للارتفاع بالطب إلى مستوى العلم

لن نعرض في هذه المقدمة التحليلية لبنية الكتاب الذي بين أيدينا، فقد فعلنا ذلك في المدخل. ولن نستهلها بالحديث عن مناسبة تأليفه وتاريخ البدء فيه والانتهاء منه، فهذا ما نفضل إرجاءه إلى الصفحات الأخيرة من هذه المقدمة. سنبدأ إذن بما يتصل مباشرة بالفقرة الأخيرة من المدخل. أعني مناقشة ابن رشد لجالينوس.

يتميز ابن رشد بخصال كثيرة، من أبرزها في مجال التأليف، تجنبه الفخفخة والتنويه الذاتي وادعاء الإحاطة والسبق العلمي، كما يفعل كثير من المؤلفين القدماء والمحدثين. ولعل القارئ قد لاحظ شيئا من هذا في النصوص التي نقلناها عن المجوسي وابن سينا في مدخل هذا الكتاب، عندما كنا بصدد عرض تصورهما لعلم الطب وطريقتهما في التأليف. إن كتب ابن رشد تخلو من هذا النوع من استعراض العضلات، بل هو يجنح دائما إلى التواضع، تواضع العلماء، ولا يتردد في التصريح في كل كتاب، تقريبا، بأن هناك جوانب لم يتناولها، وأنه يتمنى أن يكون لديه فراغ في المستقبل للتأليف فيها وإعطائها حقها. وكتابه الذي بين أيدينا يزخر بهذا النوع من التصريحات و"الاعترافات"، فهو ينبه قارئه مرات عديدة إلى أن هذا الكتاب لا يعدو أن يكون مجرد خطاطة لما ينبغي أن يكون عليه، وبالتالي فهو مجرد مشروع. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ما يتصف به فيلسوف قرطبة من تواضع العلماء الذين كلما ازدادوا علما زاد شعورهم باتساع دائرة المجهول؛ وكلما قاموا بإنجاز في مجال، ازداد إحساسهم باتساع وثقل ما ينتظر الإنجاز.

لنستمع إلى هذه الصورة الجميلة والغنية بالدلالة التي يرسمها أبو الوليد لكتابه "الكليات" يقول: "... فإن هذا الكتاب إنما قصدنا فيه أن نجعله كالدستور والقانون لمن أحب أن يستوفي أجزاء الصناعة (الطب) على هذا التقسيم والترتيب. وبالجملة فنسبته إلى الصناعة (=الطب كعلم) يشبه أن تكون نسبة أسطقسات (=أصول ومبادئ) الصناعة إلى الصناعة. فكما أن الزواقين إنما يرسمون أولا الصورة التي يقصدون تصويرها، ثم يملئون تلك الرسوم بالأصباغ والألوان حتى تحصل تلك الصورة على الكمال

الأخير، كذلك حالنا نحن في هذا الكتاب. فإن فسح الله في العمر، وأفرج عن ضيق الوقت، فسنكتب في هذه الصناعة كتابا نحتذي به هذه القوانين التي سلكناها هاهنا، يكون مستوعبا لجميع أجزاء الصناعة. والله الميسر بمنه وعونه" (كتاب المرض ف: ١٥٨). ويكرر ابن رشد المعنى نفسه فيقول: "... فإن كتابنا هذا ليس كتابا حافلا في الصناعة، وإنما نذكر فيه الأشياء التي تجري مجرى الأصول والأمور الكلية من هذه الصناعة" (كتاب العلامات ف: ١٥٤). ولا تخلو مسألة من المسائل التي تعرض لها —وقد تعرض لجميع مسائل الطب في عصره— من إنها العرض بالقول إن ما تقدم لا يستقصي الموضوع ولكنه يكفي لغرض هذا الكتاب.

٢- كتاب نقد ورأي: الاعتراضات على جالينوس

كان ابن رشد، إذن، واعيا تمام الوعي بأنه بصدد تشييد تصور جديد للطب كعلم، وأن ما يقدمه ليس سوى خطاطة عامة سيعمل على تلحيمها وتشحيمها —إن صح التعبير— إذا توفر له فراغ. ومع ذلك فلم يكتف ابن رشد بعرض مسائل الطب على المنهج الجديد الذي اختاره لمشروعه التجديدي، بل اهتم أيضا بالمضمون اهتماما بالغا. ومن هنا ما طبع هذا الكتاب/المشروع من مناقشة لجل الآراء التي كانت تشكل المدونة الطبية في عصره: تارة يعترض بقوة، وتارة يبدي شكوكا احتياطية، وطورا يدلي برأي جديد من عنده يعتمد فيه على تجاربه واستنتاجاته، أو على المقارنة بين الآراء وترجيح ما يبدو له أنه الصواب. وإذا كان يستحضر آراء معظم الأطباء الذين كانوا يعتبرون شيوخا في الموضوع كأبقراط والرازي وابن سينا، فإن مرجعيته الرئيسة، ونكاد نقول الوحيدة، هي المرجعية الكبرى، مرجعية المرجعيات في الطب في زمانه وإلى القرن الثامن عشر، أعني بذلك جالينوس. لقد اعتمد عليه كمصدر معرفي في الطب، معتبرا آراءه أولى أن تعتبر من آراء غيره، إذ كان يرى فيه "الرجل الموثوق والمجرب في هذه الصناعة. وغيره إنما مثله معها، كما يقول هو، كمن ينادي على الشيء بصفاته، فإذا أبصره لم يعرفه" (كتاب الأدوية والأغذية. ف:٩١). واستمر تقديره لجالينوس إلى آخر أيامه، إذ انصرف في أواخر عمره إلى تلخيص كتب هذه المرجعية الطبية الكبرى، ربما لأنه كان يرى أن العمر قد تقدم به إلى الدرجة التي لم يعد معها ممكنا تحقيق مشروعه الطبي كاملا، فانكب انكبابا على تلخيص كتب جالينوس، ولكن دون أن يكف عن مناقشته والاعتراض عليه أثناء التلخيص. أما كتابه "الكليات" فقد واصل مراجعته، يضيف جملة هنا وفقرة

هناك، وذاك على مدى ما ينيف على ثلاثين سنة، كما سنبين في الفقرة الأخيرة من هذه المقدمة.

٣- ليس من شرط ناقد الشعر أن يكون شاعرا..!

أما الآن فلنستمتع بهذا النقاش العلمي الرفيع الذي خاضه فيلسوفنا الطبيب مع ذلك الرجل الذي قال عنه مؤرخ الطب والأطباء ابن أبي أصيبعة: "إن الذي قد عُلم من حال جالينوس واشتهرت به المعرفة عند الخاص والعام في كثير من الأمم، أنه كان خاتم الأطباء الكبار المعلمين وهو الثامن منهم؛ وأنه ليس يدانيه أحد في صناعة الطب فضلا عن أن يساويه. وذلك لأنه عندما ظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الأطباء السوفسطائيين وانمحت محاسنها. فانتدب لذلك وأبطل آراء أولئك وأيد وشيد كلام أبقراط وآراءه وآراء التابعين له، ونصر ذلك بحسب إمكانه، وصنف في ذلك كتبا كثيرة كشف فيها عن مكنون هذه الصناعة، وأفصح عن حقائقها ونصر القول الحق فيها. ولم يجئ بعده من الأطباء إلا من هو دون منزلته ومتعلم منه".[1] لقد انتدب جالينوس نفسه لنقد الآراء الطبية السائدة قبله وتصحيحها، وهاهو ابن رشد ينتدب نفسه بدوره لمناقشة جالينوس وفحص وجهات نظره. وإذا كنا قد أبرزنا هنا منزلة هذا الرجل، أعني جالينوس، فلكي نقدر كم كان يتطلب الدخول معه في نقاش، بله الاعتراض عليه، من جرأة واطلاع وثقة بالنفس. وهي صفات تميز بالفعل ابن رشد كفيلسوف، وكفقيه، وكفلكي، وكطبيب.

صحيح أن فيلسوف قرطبة لم تكن له ابتكارات على مستوى الممارسة الطبية، وهو يعترف بدون تردد أنه تنقصه التجربة المكتسبة من مزاولة الطب. يقول بصراحة نادرة المثال: "وهذا الجزء من الطب (=الممارسة لمهنة الطب) هو الذي أرى أنه يعوقني عن الكمال في هذه الصناعة. وذلك أني لم أزاولها كبير مزاولة اللهم إلا في نفسي أو في أقرباء لنا أو أصدقاء. ولم أكن أيضا أتولى علاجهم بل كنت أتفحص ما يعرض لهم من التغايير عند معالجة الأطباء لهم، في وقتنا، الذين هم أبعد خلق الله عن هذه الصناعة، ما خلا هؤلاء القوم بني زهر، وبخاصة أبا العلاء وابنه أبا مروان، هذا المعاصر لنا، فإن هؤلاء القوم كما قلنا هم على الطريقة الطبية" (كتاب شفاء الأمراض ف: ٤٠). ومع ذلك فهذا "النقص" لا يطعن في مصداقيته. هو لم يكن يمارس الطب كمهنة يتكسب بها ولكنه كان على مستوى من المعرفة بها أهَّلَه لأن يتفحص

---

(١) ابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء في طبقات الأطباء. نفس المعطيات السابقة . ص ١٠٩.

ويراقب ما يفعله أطباء عصره، تماما كما انكب في هذا الكتاب على تفحص ومراقبة النظرية الطبية السائدة في عصره، وهى نفسها التي شيدها جالينوس. وتلك خاصية في ابن رشد نلمسها في جميع مؤلفاته. فحيثما قرأناه وجدناه أستاذا ندب نفسه للفحص والتصحيح.

ولا يضير الناقد في أي حقل من حقول المعرفة أن لا يكون من مزاولي "المهنة" في ذلك الحقل. فليس من الضروري أن يكون فيلسوف العلوم، أو الباحث الإيبستيمولوجى، عالما ممارسا للعلم الذي يناقش مبادئه ومناهجه، بل يكفيه فقط أن يكون ملما به عارفا بمسائله ومشاكله؛ تماما مثلما أنه ليس من شرط الناقد للشعر أو للفن أن يكون شاعرا أو فنانا. وقد سبق أن أكدنا في بداية "المدخل" أنه يجب النظر إلى ابن رشد كفيلسوف للعلوم وليس كطبيب. ولذلك، فنحن نجد أنفسنا هنا في غنى عن التأكيد على أن الآراء التي يدافع عنها ابن رشد، مثلها مثل تلك التي يعترض عليها، تنتمي هى والنظرية الطبية التي تصدر عنها، إلى تاريخ العلم، "وتاريخ العلم هو تاريخ أخطائه" ،حسب تعبير باشلار. إن الصواب هنا ليس في مدى اقتراب هذا الرأي أو ذلك من الحقيقة العلمية كما هى اليوم، -وبعض آراء ابن رشد هى أقرب إليها من التي ينتقدها والعكس صحيح أيضا- بل إن الصواب هنا، في مجال النقد الايبستيمولوجى، هو في مدى المصداقية التي يتمتع بها هذا الرأي أو ذلك على مستوى بنائه الداخلى، أعني مدى ما يتوافر فيه من تماسك منطقى وما يشهد له من التجربة (كما هى في العصر المعنى).

وغير خاف ذلك الدور الذي يلعبه فيلسوف العلم في تقدم العلوم من خلال نقد مبادئها ومناهجها الخ، خصوصا في المراحل الأولى من نشأتها. بل يمكن القول إن هذا النقد هو الحافز على الابتكار. فكلما تقادم العهد بنظرية علمية ما، وساد التقليد في حقلها، إلا واحتيج إلى النقد الذي يضع تلك النظرية في **أزمة** كي تنفتح آفاق جديدة. وهذا ما فعله ابن رشد. فنحن ندعى هنا أن هذا النقد الذي مارسه ابن رشد في هذا الكتاب، والذي أزم النظرية الطبية في عصره إلى الدرجة التي وصف بها في أوروبا بأنه "العصا القاتلة" و"الرجل الذي أفسد جميع الأطباء"، أقول إن هذا النقد هو الذي كان -بصورة أو بأخرى، من قريب أو بعيد- وراء أعظم اكتشاف حققه الطب العربي : اكتشاف ابن النفيس للدورة الدموية الصغرى.

ومن أجل تزكية هذه الدعوى، التي قد تثير الاستغراب، ولكي لا نُتّهم - من طرف القارئ الذي قد لا يسمح له وقته أو لا يتسع صدره لقراءة الكتاب كله قراءة فاحصة متأنية- كي لا نتهم بالتحيز وتحميل الكلام ما لا يحتمل، في أي عرض نقدمه بأسلوبنا، سنعمد هنا إلى إعطاء الكلمة لابن رشد نفسه ليكون شاهدا على ما ندعيه له. هذا فضلا عن أن أحسن طريقة للاستمتاع بالنقاش الذي من النوع الذي نحن بصدده هو إعطاء الكلمة أكثر ما يمكن للمناقش نفسه. ذلك لأن أي تلخيص مهما كان أمينا لن يكون في هذا المجال أحسن حالا من حكاية وقائع فيلم أو مسرحية. إن المشاهدة لا تعوضها الحكاية. ثم إن الحوار إذا لخص فقد حرارته، ونحن نريد أن يتعامل القارئ مع هذا الكتاب بالصورة التي تمكنه من أن يلمس "الحرارة" العلمية التي كان يصدر عنها هذا الطبيب الفيلسوف.

٤- ابن رشد يضع النظرية الطبية الجالينوسية في أزمة؟

لنعرض إذن نماذج من النقاش الذي خاضه أبو الوليد مع ذلك الذي "لم يجئ بعده من الأطباء إلا من هو دون منزلته ومتعلم منه": جالينوس. وسنرى أنه إذا كان صحيحا أن ابن رشد قد تعلم من جالينوس، وهو يصرح بهذا ويؤكده، فلربما لم يكن دون منزلته، على الأقل في مجال فحص آراء "القدماء" ونقدها. وما دمنا قد بنينا حديثنا في "المدخل" على فحص طرق التأليف في الطب قبل ابن رشد فلنبدأ بالموضوع نفسه، ولنستمع لفيلسوف قرطبة يقارن بين منهجه في التأليف ومنهج جالينوس. يقول بعد أن عرض الحال الصحية لأعضاء الجسم البشري، وهو ما يسمى اليوم بعلم وظائف الأعضاء، الفزيولوجيا، يقول : **"فقد تبين من هذا القول ما صحة عضو عضو من أعضاء الإنسان بجميع أسبابه الأربعة التى هى المادة والصورة والحافظ[٢] والغاية، وذلك ما قصدنا له من أول الأمر. وأنت تعلم أنه يلزم أن تكون جميع الأشياء التى قيلت هنا ضرورية من معرفة الصحة وأنواعها، وأنها لذلك جزء واحد من هذا العلم. وهي في كتب جالينوس منتشرة (=مشتتة لا يجمعها**

(٢) لاحظ كيف يتوخى ابن رشد الدقة في التعبير: فهو يطلق هنا على ما يعرف بـ"السبب الفاعل" (كالنجار بالنسبة للكرسي) اسم "الحافظ". ذلك لأن الشروط والظروف التي تجعل الإنسان في حال الصحة ليست سببا فاعلاً للصحة بل هي حافظة لها فقط. ومهمة الطب كما شرحها في مقدمة الكتاب هي "حفظ الصحة وإزالة المرض". وكما سنرى فابن رشد يتحفظ في وصف الطب بالعلم اليقيني، لأسباب سنعرض لها، ومن جملتها أن "السبب الفاعل" في ميدان الطب هو "حافظ" للصحة وليس فاعل لها.

كتاب ولا ترتيب). ولذلك يكاد أن لا يفهم من جميعها غرض واحد ولا تقرأ على الترتيب الذي ينبغي، أعنى الترتيب البرهانى، بل كاد أن يكون ذلك ممتنعا فيها إلا بحسب ما توجبه الشهرة" (كتاب الصحة فـ: ١٢٧). وأيضا: "وأنت فلا يخفى عليك، إن كنت نظرت في كتب جالينوس أو كتب المتبعين له من الأطباء، أن ما قلناه في قسمة أنواع الصحة هاهنا هو أولى مما قاله الرجل؛ وبخاصة إن كنت قد ارتضت في العلوم" (فـ: ٢٧). وقد رأينا في "المدخل" أن تقسيم ابن رشد للطب كان فعلا أوضح وأقرب إلى التصور المعاصر من تقسيم السابقين له.

أما الموضوعات الطبية التي يخالف فيها صاحب "الكليات" ما قرره جالينوس فهى كثيرة لا يتسع المجال للتعرض لها جميعها، ولذلك سنقتصر هنا على المسائل التي اتخذت فيها المخالفة طابعا خاصا، وهى تلك التي أثار ابن رشد حولها نقاشا عميقا، واسعا ومفصلا، طرح من خلاله مشاكل تزعزع جزءا كبيرا من صرح النظرية الطبية التي كرسها جالينوس. وفي مقدمة هذه القضايا تلك المتصلة بالقلب والشرايين والرئة والتنفس، والتي نرجح ترجيحا قويا أن النقاش الذي أثاره ابن رشد حولها، معترضا على وجهة نظر جالينوس فيها، كان من جملة الحوافز التي كانت وراء اكتشاف ابن النفيس للدورة الدموية الصغرى.

أ- أيهما أهم: دم الشرايين، أم دم الأوردة؟

يبدأ ابن رشد معارضته لوجهة نظر جالينوس، في المسائل المتصلة بالموضوع الذي يهمنا هنا، عند شرحه لوظيفة الشرايين والعروق والأوردة وعلاقتها بالقلب وتوزيع الدم. يقول: "وأما العروق فهى قسمان: شرايين وهى التى تحمل الروح(م) (الغريزي) والدم الذي في القلب؛ وهذه لا شك هى من أجل حمل هذا الدم والروح. وإنما جعلت متشعبة في جميع البدن ومتفرقة فيه لتوصل إليه الشيء المبثوث فيها، إما من الروح فقط، وإما من الدم والروح معا. والقسم الثانى من العروق وهى غير الضوارب(م)(=الأوردة) فليس يوجد بالحس فيها روح (=لا يدلنا الحس على ذلك)، اللهم إلا أن يؤدي إلى وجود ذلك القول (=الاستدلال) -كما يزعم ذلك جالينوس- في الكبد أنها معدن الروح الطبيعى، التى قلنا نحن فيها إنهم يعنون بها القوة الغاذية. وإنما الظاهر من أمر منفعة هذه العروق أنها جعلت لتوزيع الدم المنطبخ في الكبد على سائر الأعضاء. ولذلك جعلت متشعبة كالحال في الشرايين. لكن ينبغى أن تعلم أن أرسطو يرى أن غذاء جميع أعضاء البدن إنما يكون باختلاط هذين الدمين(=الآتي من القلب والآتي

من الكبد)، وأن الدم الذي في الكبد والعروق غير الضوارب هو كالمادة للدم الـذي ينبعـث من القلب في الشرايين، وأن هذا الدم هو له كالصورة[٣]، أعـنى أنـه المتمم لـه المنضج، المصير له غذاء قريبا بالفعل. وجالينوس يرى أن الدم الذي يأتى من الكبـد في الأوراد إلى الأعضاء هو الغذاء القريب (=المباشر). وحجة الحكيم (أرسطو) أن الذي للدم بما هـو دم هو أن يكون غذاء للأعضاء. ولما كان هـذان النوعـان مـن الـدم يظـهر مـن أمرهمـا أنـهما يجريـان إلى كـل عضـو وجـب أن يكـون كـل عضـو يغتـذي منـهما. ولـما كـان أحدهمـا نيئا(=الآتى من الكبد) والآخر نضجا(=الآتى من القلب) وجب أن يكون النضج يجـري من النيئ مجرى المفيد (=المعطى) للصورة والتمام. وهذا أمر قد تبين على التمام في كتاب الحيوان" (لأرسطو). ويلاحظ ابن رشد أن جـالينوس ينـاقض وجهـة نظره السـابقة، في مكان آخـر، إذ هـو "يعـترف أن الأعضـاء تغتـذي بـدم الشـرايين، ولذلـك يـأمر بقطـع الشرايين في أمراض الشقائق" (=ج. شقيقة: وجع نصف الرأس) والصـداع الدائـم (كتـاب الصحة فـ: ٤٤).

وإذا نحن أردنا أن نلخص الإشكالية المطروحة هنا أمكن القول إنها إشكالية العلاقة بين دم الشرايين ودم الأوردة: جالينوس يرى أن ثمة مصدران للدم الـــذي في الجسم: دم الأوردة مصدره الكبد الذي هو عنده معدن "الروح الطبيعى" وهو الغذاء القريب (المباشر) للأعضاء، تحمله إليها الأوردة. فأعضاء الجسم تتغـــذى من دم الكبد. أما دم الشرايين فمصدره القلب وهو يحمل إلى أعضـــاء الجســم "الروح الغريزي". وهو "الروح الحيواني" الذي به يكون الإحساس وبـــه يتمـــيز الحيوان عن النبات. أما ابن رشد الذي يتبنى وجهة نظر أرسطو فـــهو يـــرى أن الأعضاء تتغذى بالدمين معا، وأن الدم الآتي من الكبد نيء، بينما الآتي من القلـب ناضج وبالتالي فهو الذي يكون منه جوهر الغذاء وحقيقتـــه. والســـؤال الـــذي يطرح نفسه هو: كيف يلتقى هذان الدمان، دم الأوردة ودم الشـــرايين، حـــتى يكون أحدهما بمنـــزلة الصورة للآخر، وذلك في جميع الأعضاء؟ ثم كيف يتـوزع دم الكبد في الأوردة وليس في الكبد قوة نبض. يقول ابن رشد: "فليس يفيد القلب

(٣) المادة كالخشب في الكرسي، والصورة هي شكله الذي به يسمى كرسيا. والصـورة عندهـم أشـرف من المادة. فهي التي تمثل الثابت في الشيء، أما المادة فمتغيرة. صورة الكرسي تبقى هي هي دائما في حين أن الخشب يتخذ صورا مختلفة. أرسطو وابن رشد يجعلان دم الشرايين أشرف مـن دم الأوردة. وهذا أقرب إلى الحقيقة العلمية من رأي جالينوس. فدم الشـرايين أنقـى وهـو الـذي يحمـل "الغـذاء" بينما دم الأوردة دم "مستعمل" وغير "شريف". وطرح المسألة بهذا الشكل يدفع بدون شك إلى التدقيق في "حقيقة" الدم الذي تحمله كل من الشرايين والأوردة.

الكبد قوة نبضية؛ فإن الكبد لا تنبض عروقها. ومن هنا يظهر أن القوة النبضية خاصة بالقلب"، وبالتالي فالدم بنوعيه لابد أن ترجع حركته في الجسم إلى القوة النبضية، إلى القلب. وأيضا فابن رشد كما سنرى يربط التنفس، أي حركة الرئة، بالنبض. ومن هنا مظهر آخر من مظاهر هذه الإشكالية وهو علاقة القلب-أي الدم والنبض- بالرئة.

ب – ولمن الرئاسة في التغذية : للقلب أم للكبد؟

أما بشأن "الرئاسة" على القوى الغاذية التي أشار إليها ابن رشد في الفقرة الماضية فإن النظرية الطبية القديمة التي شيدها جالينوس كانت تنص على أن الكبد هي "التي تغير الغذاء حتى يصير دما، ثم توزعه على جميع أعضاء البدن"، فهي من هذه الناحية الرئيسة على جميع "آلات الغذاء" من معدة وأمعاء الخ، ومن هنا ارتأى جالينوس أن لها "الرئاسة العامة" على جميع القوى الغاذية في البدن بما في ذلك القلب. أما ابن رشد فيعترض على ذلك ويقول إن الكبد رئيسة فعلا على "آلات الغذاء"، كالمعدة والأمعاء والطحال الخ، ولكن ليست لها "الرئاسة العامة"، بل هي للقلب.

ويشرح ابن رشد ملابسات المسألة فيقول : " فليت شعري هل يمكن جالينوس أو غيره ممن يرى هذا الرأي أن يضع الكبد مكتفية بنفسها في هذا الفعل، مع أنه يقرّ أنه يصل إليها من القلب شرايين كثيرة تحمل إليها حرارة كثيرة؟! فإن كانت الكبد مكتفية بنفسها في هذا الفعل فتلك الحرارة عبث لا معنى لها! فإن قالوا إن هذه الحرارة إنما تفيد الكبد قوة حيوانية، قلنا: ما معنى القوة الحيوانية؟ وهل في الأعضاء شيء غير قوة تغذٍ أو قوة حس؟ وليس ينطبق اسم الحيوانية على شيء غير هذين -وإن كان اسم الحيوانية أحق بالحس- فإن الذي أوقفنا على كثرة هذه القوى هو كثرة أفعالها. وليس هاهنا فعل غير هذين الفعلين، أعني: التغذي أو الحس. فإن قالوا: إن القوة النبضية التي في القلب قوة ثالثة، وهي التي نعني بالحيوانية، قلنا: وإن سلمنا لكم هذا فليس يفيد القلب الكبد قوة نبضية؛ فإن الكبد لا تنبض عروقها. ومن هنا يظهر أن القوة النبضية خاصة بالقلب، وأن بهذه القوة هو رئيس: إذ كان بها يوزع القوى على سائر الأعضاء بتوزيعه الحرارة الغريزية عليها، مع أن فيها أيضا حفظا له بالتنفس. وإذا كانت هذه القوة ،أعني النبضية، هي التي بها يفيد القلب غيره أولا الآلة الأولى للتغذي، فهي ضرورة منسوبة إلى هذه القوة، أعني إلى قوة التغذي من جهة ما هي غاذية قلبية، إذ كانت هي الآلة التي تستعملها هذه القوة في إفادة التغذي. ولو كانت

قوةً أخرى غير القوة الغاذية، لأفادها القلبُ غيرّها من الأعضاء، فإنه من المستحيل أن تكون في عضو قوة مباينة بالنوع لسائر القوى الموجودة في سائر الأعضاء، لا توجد في عضو آخر غيره، مع أن يكون أيضا ذلك العضو رئيسا. وجالينوس ليس يقول بذلك، ولا أحد من الأطباء.

"وإذا كان هذا كله كما وصفنا، وظهر أن نسبة القلب إلى الكبد في إفادتها الآلة الأولى للتغذي هى النسبة التى يضعها جالينوس بين الكبد وبين سائر أعضاء التغذي، فالقلب ضرورة هو رئيس الكبد فى هذه القوة: إذ كانت الكبد ليس فيها كفاية بأن تفعل فعلها بذاتها، بل بالحرارة المقدرة في الكيفية والكمية التى تصل إليها من القلب. وهذه القوة المقدرة التى في القلب هى ضرورة القوة الرئيسية الغاذية: فإنه لم يزعم قط أحد من المشرِّحين، وجالينوس في جملتهم، أن القلب تصل إليه حرارة من غيره من الأعضاء، بل هو مكتف في فعله بذاته، على ما شأن الرئيس أن يكون. وكونه محتاجا إلى الكبد، في إعداد الغذاء له، لا يستحق بذلك الكبد رئاسة عليه؛ كما لا تستحق المعدة بإعدادها الغذاء للكبد رئاسة عليه، ولا الفلاح بإعداد الطعام لرئيس الفلاحين يستحق بذلك رئاسة عليه. وإذ قد تبين أن القوة الغاذية الرئيسية في القلب، وكان يظهر بالتشريح أنه ولا عضو واحد في البدن إلا وتتصل به شرايين القلب، فالقلب إذن يفيد سائر الأعضاء قوة التغذي لا الكبد، وإلا كانت تلك الشرايين عبثا؛ مع أن الكبد ليس يظهر فيها بالتشريح روح ينفذ منها في الأوراد إلى سائر البدن، بل ما في الأوراد من الدم هو دم غير نضج، وإنما مطية الروح الدم الشراييني. وعسى أن يقول قائل: إن هذا الفحص كله مما لا يحتاج الطبيب إليه! وأنا أقول: إن حاجة الطبيب إلى هذا أمس حاجة، وسنبين هذا فيما بعد"(كتاب الصحة ف: ٦٠) وهو ما سنعرض له في الفقرات التالية.

وقبل ذلك لابد أن نسجل إن إلحاح ابن رشد على أن الرئاسة العامة هي للقلب، وليست للكبد كما يقول بذلك جالينوس، معناه أن المحرك الأول للدم في البدن هو القلب. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: إذا كان دم الشرايين يتحرك في الجسم بقوة النبض الذي في القلب فما الذي يحرك دم الأوردة؟ إن ابن رشد يؤكد أن الكبد ليست هى التى تحرك هذا الدم لأن الكبد "ليست فيها قوة نبضية " و"ليس يظهر فيها بالتشريح روح ينفذ منها في الأوراد إلى سائر البدن، بل ما في الأوراد من الدم هو دم غير نضج، وإنما مطية الروح الدم الشراييني". وبعبارة أخرى إن الشرايين هى التى تحمل القوة المحركة المنبعثة من القلب فتحرك الدم كله: دم الشرايين ودم الأوردة. كيف!؟ الجواب...؟

ج - وهل التنفس أمر إرادي أم طبيعي؟

وهذه مسألة أخرى -لها بدورها علاقة مباشرة بالدورة الدموية - اعترض فيها ابن رشد على جالينوس والأطباء بقوة لكونهم يقولون إن فعل التنفس يتم منا بإرادتنا. يقول ابن رشد: "وأما لأي قوة من قوى النفس هو هذا الفعل (=فعل التنفس)، فإن جالينوس يرى أن ذلك للقوة الإرادية. ويحتج على ذلك بأن لنا أن نتنفس وأن لا نتنفس. وأيضا فإنه يزعم أن الآلة الخاصة بهذه القوة هي العصب والعضل. ويزعم أنه إذا بتر العصب الذي يحرك الحجاب لم يعش الحيوان إلا مقدار ما يعيش المخنوق بالوهق (=حبل للشنق). وأما غيره فيرى أنه للقوة الغاذية كالحال في النبض. ويمكن أن يُحتج لهذا الرأي بأشياء، أحدها أنا نتنفس في النوم، والفعل الإرادي إنما يكون مع تخيل ونزوع على ما سلف. والثاني أنا نرى التنفس الذي لا نتعمده يحاكي النبض، حتى إن أبقراط كان يقيمه في أكثر الحالات مقام النبض، وذلك حيث لا يكون مرض في آلات التنفس. لأنه إذا كان الأمر هكذا دل حينئذ على مزاج القلب، كما يدل النبض نفسه. وقوم رأوا أنه مركب من الفعلين جميعا، أعني من الفعل الإرادي والفعل غير الإرادي وهو الفعل المنسوب للقوة الغاذية التي يعرفها الأطباء بالقوة الطبيعية، وذلك كحركات كثير من الأعضاء، مثل حركة الجفن فإن الأمر فيها بين أنها مركبة. وكذلك حركة الازدراد، ولذلك متى تعاوقت القوتان فيه، أعني الطبيعية والإرادية، صعب الازدراد كما نرى ذلك يعترينا عند سقوط الشهوة. ويشبه أن يكون هذا الرأي الأخير أصوب الآراء، أعني أن هذا الفعل مركب. لكن ينبغي أن نعتقد أن الأملك به(المبين لحقيقته) أنه فعل طبيعي، إذ كان أكثر تنفسنا في حال الصحة وفي حال المرض إنما يكون من غير أن نتعمده . وبذلك أمكن أن يجعل دليلا على مزاج القلب. والتنهد الذي يصيب الإنسان هو شيء غير متعمد له. وأيضا إذا كثرت حاجتنا إلى التنفس فإنا لا نقدر أن لا نتنفس، كالحال في السعال وغير ذلك. وإنما أرفَدَت الطبيعة هذه القوة بالإرادة للحاجة إلى ذلك في الموضع الذي لا تفي القوة الطبيعية بما يحتاج القلب من ذلك.

وأما ما يحتج به جالينوس على أن هذه القوة إرادية محضة، من أنها تبطل بقطع العصب، فليس في ذلك حجة، وهو موضع مختل كما قيل غير ما مرة. فإنه إذا ارتفع العصب فارتفع بارتفاعه حركة ما، فليس يلزم ضرورة إذا وجد العصب أن توجد تلك الحركة، حتى يكون العصب هو السبب الخاص في ذلك الفعل. وقد شوهد أن من

شُدَّ له عرقا السبات[٣] الصاعدان إلى الدماغ أنه تختل أفعاله الإرادية كلها، ولذلك سمى هذان العرقان بهذا الاسم؛ وحكى الرازي أن ملوك الهند كانت تقتل بذلك. إلا أن جالينوس ينكر ذلك. وزعم أنه ليس يعرض عن شد هذين العرقين شيء، وإنما يعرض عن شد العصبتين الملتصقتين به أن يبطل الصوت فقط. وأيضا فما الذي يمنع أن يكون فعل العصب في ذلك إنما هو أحد ما يتم به هذا الفعل؛ فإذا اختل هو ضرورة اختل ذلك الفعل. وليس هو سبب خاص بذلك. ولا يلزم أن تكون كل حركة للعصب مدخل في وجودها أن تكون ولا بد إرادية محضة، وكيف لا وهو يقر أن حركة الأجفان إنما تكون بالعصب. وهذا كله بين بنفسه" (كتاب الصحة ف: ١٠٢-١٠٦). باختصار: جالينوس يقول إن التنفس فعل إرادي، وبالتالي مصدره الإرادة، والأمور الإرادية راجعة للدماغ والعصب والعضل. أما ابن رشد فيرى أن التنفس فعل يصدر منا بالطبع شأنه شأن النبض، بدليل أن حركة الرئة بالتنفس مواكبة لحركة النبض وكأنهما حركة واحدة، إن لم تكونا كذلك بالفعل؛ كما سنرى في الفقرة التالية.

د- وهل حركة الرئة من ذاتها، أم أنها تابعة لحركة الصدر؟

ومن المسائل التي تتصل بموضوعنا والتي اعترض فيها ابن رشد على جالينوس مسألة حركة الرئة: هل هي تابعة لحركة الصدر أم أنها تتحرك من ذاتها. يقول في هذا الشأن: "إن أشهر الأعضاء منفعة في هذا الفعل (=فعل التنفس) هي الرئة. وذلك أنها إذا انبسطت جذبت الهواء إلى داخل، وإذا انقبضت دفعته إلى خارج. وبالجملة فمما لا يُشَكّ فيه أنها الآلة الخاصة بهذا الفعل. لكن مما فيه موضع نظر: هل حركتها، هذه الحركة التي بها يكون إدخال الهواء و إخراجه، تابعة لحركة الصدر من غير أن يكون لها في نفسها حركة؟ أم حركة الصدر في التنفس شيء مصاحب لحركتها وكأنه معين لها؟ أما جالينوس فيرى أنه ليس لها في ذاتها حركة تخصها، وأن حركتها إنما هي تابعة لحركة الصدر على جهة استتباع الاستفراغ الذي يكون من قبل ضرورة امتناع وجود الخلاء. وأن حركة التنفس الذي على المجرى الطبيعي إنما تكون بالعضلة العظمى التي تسمى الحجاب، وهي الفاصلة بين الأعضاء الفوقية والسفلية. ويرى أن أخص منافع هذا العضو هو هذا الفعل. وذلك أنه يرى أن الصدر إذا انبسط تبع ذلك أن تمتلئ الرئة بالهواء، كما يعتري في كير الحداد. فإذا انقبض الصدر خرج الهواء كما يعتري أيضا ذلك في كير الحداد. ويستدل على ذلك بأن الجراحة إذا وقعت، ودخل الهواء منها إلى الصدر، تعطلت حركة الرئة ومات الحيوان. ويحتمل أن يكون تعطل حركة الرئة عند انخراق الصدر لأنها تبرد".

وبعد أن يستطرد ابن رشد بالإشارة إلى أنه "في وقت أرسطو لم يكن وُقِف من منفعة هذا العضو، أعني الحجاب، على شيء سوى أنه حاجز بين الأعضاء الرئيسية وبين الأعضاء التي تطبخ الغذاء، لأن لا يصل إليها في حين الطبخ شيء من الحرارة"، وأن ذلك لا يضير أرسطو في شيء، وجالينوس نفسه "يقول: إنه ليس يمتنع أن يقف غيري من هذه الأشياء على ما لم أقف"، بعد هذا الاستطراد يعود ابن رشد إلى موضوع حركة الرئة ليناقش استدلال جالينوس. وواضح أن جالينوس لم يبن وجهة نظره على التشريح والملاحظة والتجربة بل على استدلال منطقي قابل للطعن، وابن رشد يبين مكمن الطعن فيه. يقول: "إنا إنما قلنا فيما يراه جالينوس من أن حركة الرئة تابعة لحركة الصدر موضع نظر، لأنه إنما يُصَحِّح ذلك (=حجته في ذلك) بأنه إذا تعطلت حركة الصدر تعطلت حركة الرئة ومات الحيوان. وكذلك أيضا إذا جرح الحيوان في صدره جراحة نافذة عظيمة يدخل منها الهواء عند حركة الصدر فلا يكون هنالك ضرورة تدعو إلى استتباع حركة الرئة لحركة الصدر، فيختنق الحيوان. وكل هذا ليس يظهر منه ولا بد أن حركة الصدر هي السبب الخاص لحركة الرئة. وذلك أنه قد يمكن أن يكون الصدر والرئة في هذه الحركة كل واحد منهما متحرك من ذاته، لكن ليس يمكن لأحدهما حركة دون الآخر. فعلى هذا أيضا متى تعطل أحدهما تعطل الآخر؛ وليس ولا واحد منهما بسبب لصاحبه في هذه الحركة. ولو قدّرنا الرئة في هذه الحركة غير متحركة، على ما يراه جالينوس، لتعطلت ضرورةً حركة الصدر؛ أفترى كنا نقول إذ ذلك إن الرئة تحرك الصدر، لأنها إذا لم تتحرك لم يتحرك الصدر"؟!

ويضيف ابن رشد قائلا: "فهذا هو اختلال هذا الموضع هنا: فإنه غير ممتنع أن تكون حركة الصدر والرئة كالمتحركين معا من تلقاء أنفسهما في رباط واحد. فإنه متى لم يتحرك أحدهما لم يتحرك الآخر. وليس واحد منهما يحرك صاحبه. وأيضا فليس ممتنعا عندما يتولد بالصدر سوء مزاج من قطع العصب الواصل إليه أو شده، أن يتعدى ذلك إلى الرئة على سبيل المشاركة: فإن أحد ما تعتل به الأعضاء، هي جهة مشاركتها. وجالينوس يقر بذلك. وعلى هذه الجهة تكون حركة الصدر كأنها معينة لحركة الرئة، ولا سيما عند الحاجة إلى التنفس الشديد. والأولى أن يكون العضو الذي يلحقه الأذى لعدم إدخال الهواء وإخراجه هو العضو الذي فيه مبدأ إدخال الهواء وإخراجه: فإن كان القلب هو الذي يلحقه الأذى بل الموت بانقطاع هذه الحركة، فهو الذي فيه مبدأ هذه الحركة ضرورة. وحركة الرئة على مذهب جالينوس تكون قسرا (=ميكانيكية بفعل عضلة الحجاب الحاجز) على نحو ما تتحرك الأجسام الصناعية. والأولى أن يكون ذلك

بمبدأ فيها على ما عليه الأمر في الأجسام الطبيعية. وأيضا إن كانت هذه الحركة تتم بحركتين، طبيعية وإرادية، فالأولى أن يظن بهما أنهما يكونان متحركين أوّلين من تلقائهما. فليكن الأول في الحركة الإرادية هو العضل، وليكن الثانى في الحركة الطبيعية هو القلب، أو القلب والرئة. وجالينوس لزم في هذا القول أصوله (= قوله: حركة الرئة تابعة لحركة الصدر ناتج عن أمور قال بها من قبل). وذلك أنه لما كانت هذه الحركة عنده إرادية، وكانت الحركة الإرادية عنده إنما تكون بالعصب فقط، ولم يكن ظهر له بالتشريح أنه يأتى من العصب للرئة ما به تحس، فضلا عما به تتحرك. وكانت طريقة الارتفاع عنده يقينية، أعنى أنه وجد حركة الرئة ترتفع بارتفاع حركة الصدر، حكم حكما باتا أن الصدر يحرك الرئة في هذه الحركة، وأن الرئة مستتبعة له".

ويستخلص ابن رشد النتيجة من هذه المناقشة فيقول: " ويشبه أن لا يكون في أيدينا من المقدمات ما نصل به إلى اليقين في كثير من هذه المطالب، لكن مع هذا ينبغى أن يقال في ذلك بحسب الطاقة: فإنه غير ممتنع أن تلوح هاهنا أشياء فيما بعد يمكن منها الوقوف على اليقين في كثير مما لا يمكننا نحن في زماننا هذا" (كتاب الصحة ف: ١٠٨-١١٢)، فكأنه يتنبأ هنا بما سيكتشفه ابن النفيس وهارفي. أو كأن هذا هو الذي شجع كلا منهما على الانشغال بالموضوع والبحث عن حل ملائم!

هـ – ولمن الرئاسة على الإحساس والفكر: للقلب أم للدماغ؟

والخلاف حول هذا الموضوع مشهور في تاريخ الطب: كان أرسطو يرى أن المرجع الأخير في الإحساس والملكات الفكرية هو القلب، أما هيروفيلوس وهو من الأطباء الإسكندرانيين فكان يرى أنه الدماغ. وقد أخذ جالينوس برأي هذا الأخير وقال: إن "الرئاسة العامة" على الإحساس والملكات الفكرية هي للدماغ، الذي "يحتل في الرأس ذات الموقع الذي يحتله الملك العظيم في قلعته، وجميع الحواس بمثابة المسخرين والخدام". هذا بينما يرى أرسطو أن رئاسة الدماغ ليست عامة، بل هى رئاسة جزئية خادمة في هذا الفعل لرئاسة القلب، سواء وجدت فيه الحواس الخمس أو الأربع فقط.(٤)

(٤) كان هناك خلاف بخصوص حاسة اللمس فجالينوس "يرى أن العصب النابت من الدماغ هو الآلة الخاصة بها وأنه هو الذي يفيد هذه القوة، وذلك فيما شأنه من الأعضاء أن يقبلها. وأرسطو يرى أنها اللحم، وذلك تابع لرأييهما في الدماغ. (ابن رشد. كتاب الصحة ف:٨٣).

يناقش ابن رشد الرأيين فيقول: "ولننظر نحن في ذلك على النحو الذي نظرنا في رئاسة الكبد، فنقول: أما أنه يظهر بالتشريح أن شرايين عظيمة كثيرة تتصل بالدماغ من القلب فذلك أمر يقرُّ به جميع المشرحين وجالينوس في جملتهم؛ فمن هنا يظهر ظهورا أوليا أن الدماغ مضطر في فعله هذا إلى القلب. لكن إن كان على أن القلب إنما يفيد الدماغ بهذه الحرارة التى توصلها إليه القوة الغاذية التى بها يغتذي، فالقلب ضرورة خادم للدماغ في هذا ومرؤوس: إذ كان التغذي والقوة الغاذية إنما وجدا في الحيوان من أجل الحس والقوة الحساسة. وإن كان إنما يفيده، بهذه الحرارة التى يوصلها إليه، هذه الإحساسات الخمس فالقوة الحساسة الرئيسية الأولى فيه. وهذه القوة هى التى تعرف بالحس المشترك. وقد تبرهن وجود هذه القوة في كتاب النفس (=لأرسطو). لكن جالينوس كما قلنا يرى أن هذه القوة المشتركة في الدماغ، وأرسطو يرى أنها في القلب".

وبعد أن يشرح ابن رشد "من أين يظهر أن القلب هو الذي يعطى الدماغ الحرارة المقدرة في الكمية والكيفية بحسب حاسة حاسة من الحواس التى في الدماغ"، وأن الدماغ خادم للقلب في هذا المجال، ينتقل إلى شرح كيف تتم هذه الخدمة. يقول: "فقد ينبغى أن ننظر أي جهة هى هذه الجهة التي بها نقول إن الدماغ يخدم القلب: فإنه قد كان ظهر النحو الذي به يخدم الكبدُ القلبَ، وذلك أنه يعد له الغذاء، فنقول: إنه لما كان ليس بأي مقدار من الحرارة يتم فعل حاسة حاسة، وكان يظهر من أمر الحواس أنها ليست تحتاج إلى حرارة قوية، فإن الحرارة القوية فيها تعوقها عن إدراك محسوساتها التى من خارج وتشوشها عليها، حتى إن الذين تسخن رؤوسهم في الأمراض الحادة يخيل إليهم أنهم يسمعون أشياء ويبصرونها من غير أن تكون موجودة. وأكثر ما يظهر هذا المعنى في حاسة اللمس: وذلك أنه لما أريد فيها أن تدرك المتضادات الأربع (= الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة)، ولم يمكن أن تكون آلتها خلوا منها، إذ كانت ممتزجة، جعلت في الغاية من الاعتدال ليكون بذلك حسها أصدق. ولما كان القلب في الغاية من الحرارة جُعِل يقابله الدماغ، ليعدل من حرارته حتى تظهر المحسوسات على كمالها. ولم يمكن أن تجعل هذه البرودة نفسها في خلقة القلب أولا: فإنه كانت تنقص أفعال الغاذية بذلك نقصانا بينا، وكأن الطباع لما رامت أن تجعل هذين الفعلين في الحيوان الكامل على أتم ما يكون، قرن إلى القلب الدماغ. وأما في الحيوان النباتى المعروف بإسفنج البحر وفي كثير من الحيوان الناقص، فيشبه أن لا تكون الحاجة فيه مضطرة، مثل هذا الاضطرار، إلى وجود الدماغ، وبخاصة وجود

العصب النابت من الدماغ. ولذلك متى فصل جزء من ذلك الحيوان النباتى، أي جزء كان، أمكن أن يعيش ويتغذى وينمو، حتى يعود إلى حاله. وهذا هو السبب في أنك ترى كثيرا من الحيوان يعيش بعد أن يفصل. وهذه الجهة من خدمة الدماغ للقلب هى التى يراها أرسطو وجميع المشائين". (كتاب الصحة ف: ٨٤ -٨٥). بعبارة قصيرة: القلب هو المحرك للإحساسات بالحرارة الموجودة فيه وهى قوية، والدماغ هو المعدل لهذه الحرارة وبالتالي المنظم لحركة الحواس.

واضح من هذه المناقشة أن جالينوس أقرب إلى الصواب في مسألة "رئاسة" الدماغ على الإحساس والحواس، وواضح أن ابن رشد يؤكد ذلك، ولكنه يقول إن "رئاسة" الدماغ هنا ليست مطلقة، لأن الدماغ محتاج إلى "الحرارة" التي يمدها به القلب بواسطة الدم. ولو أمكن "ترجمة" هذه "الحرارة" بالأكسجين لبدا واضحا أن الدماغ يحتاج إلى القلب ومتوقف عليه في عمله!

هذا عن القوى الحسية، أما الملكات الفكرية من مخيلة وذاكرة ومفكرة فالأمر فيها كالأمر في الحواس: جالينوس يرى أنها ترجع إلى الدماغ بوصفه صاحب الرئاسة العامة عليها. أما أرسطو فيجعل القلب هو الرئيس، وابن رشد يميل إلى هذا الرأي الأخير، فيقول: "وأما القوة المتخيلة والمفكرة والذاكرة والحافظة فإنها وإن لم تكن آلية (= إن لم يكن لها أعضاء خاصة بها كما هو الحال فى الحواس)، فلها مواضع خاصة بالدماغ، فيها يظهر فعلها. أما القوة المتخيلة ففى البطن المقدم من الدماغ. وهذه القوة هى التى تحفظ صنم (=صورة) الشيء بعد غيبوبته عن الحس. وأما القوة المفكرة فظهورها يكون في البطن الأوسط من الدماغ، وبهذه القوة نُرَوِّي (نستعمل الروية) في المجهول حتى نستنبطه. ولذلك لا توجد هذه القوة إلا للإنسان. وأما القوة الذاكرة والحافظة فموضعهما مؤخر الدماغ. ولا فرق بين الذاكرة والحافظة إلا أن الذكر هو حفظ منقطع، والحفظ ذكر دائم. والفرق بين الذاكرة والحافظة وبين المتخيلة أن المتخيلة تحضر صنم الشيء المحسوس بعد غيبة المحسوسات، ولذلك لم تكن حسا. والقوة الحافظة إنما تحفظ معنى ذلك الصنم، وكذلك الذاكرة إنما تتذكر ذلك المعنى الذي للصنم. ومن هاهنا يظهر أنها أكثر روحانية من المتخيلة.

"وينبغي أن لا يذهب علينا أن هذه القوى، وإن كان أحد ما يتم به فعلها هى هذه البطون من الدماغ، أنه إنما وجودها بالحقيقة في القلب، وأن هذه المواضع إنما هى لها بمنزلة الآلات. فكما أن القوة الباصرة إنما تكون بالرطوبة الجليدية، مع أنها فى القلب، كذلك هذه القوى. ومنفعة هذه المواضع في هذه القوى هي التعديل، على ما قلناه

في منفعة الدماغ في سائر الإدراكات. والسبيل التى بها يتبين هذا هى السبل التى تقدمت. وذلك أن هذه القوى إنما تفعل بالحرارة الغريزية، والحرارة الغريزية المُقْدِرَة إنما تصل إليها من القلب. فالقوة المُقْدِرة ضرورة في القلب. فهذه القوى إذن محلها القلب": محلها في القلب من حيث أنها قوى. أما من حيث موضعها ومكانها ففى الدماغ بدون منازع. وبعبارة أخرى جميع الاحساسات والملكات الذهنية هى في الدماغ ولكن القوة التى بها يعمل الدماغ إنما تأتيه من القلب، وهى تلك "الحرارة" التى شبهناها بالأكسجين.

ولم يكن عند جالينوس من دليل على أن القوة التى تعمل بها الاحساسات والملكات هى من الدماغ نفسه سوى كون العطب الذي يصيب أماكنها من الدماغ ينتج عنه عطل فعلها. ويطعن ابن رشد فى هذا الاستدلال ويشرح مصدر الخلل فيه فيقول: "وليس يجب من كون اعتلال هذه القوى باعتلال هذه البطون من الدماغ أن يقال إن هذه القوى في الدماغ فقط. كما أنه ليس يلزم عن اعتلال البصر باعتلال الرطوبة الجليدية أن يقال إن قوة الإبصار الرئيسية إنما هى في الجليدية. وقد تعتل هذه القوى باعتلال الحجاب، وليس أحد يظن أنها في الحجاب. ولما كانت هذه التجاويف من الدماغ، إنما وضعت أولا من أجل هذه القوى، هيئت في أمزجتها للفعل الموافق لهذه القوة. فالروح الغريزي إنما يكون أولا فى البطنين المقدمين، ومنهما يصير إلى البطنين المؤخرين في المسلك الذي بينهما. وللاحتياط والتقدير جعل في تلك المسافة أجسام تنفتح في وقت الحاجة لدخول الحار الغريزي منها، ثم تنسد على ما ذكر في كتاب التشريح (كتاب الصحة ف: ١١٥-١١٦).

لعل القارئ يوافقنا على القول إنه لا معنى هنا لتأييد وجهة نظر ضد أخرى، فالفصل في المسألة هو التشريح. وجالينوس يبنى وجهة نظره على "القياس"، أعنى الاستدلال المنطقي. وابن رشد يفحص مدى صدق هذا الاستدلال، وسينبه في فقرة لاحقة إلى أن المعرفة الطبية ليست يقينية ما دامت تعتمد على "القياس" أي المحاكمة العقلية الصرف، في حين أن القول الفصل، كما يقول، هو للتجربة. وقد اكتشف ابن النفيس الدورة الصغرى بالتشريح وليس بمجرد الاستدلال.

و- والحركة: هل مصدرها العضلات أم الأعصاب؟ القوة النزوعية

يتعلق الأمر هنا بمصدر الحركة المعبر عنها بـ"القوى النزوعية". والحركة كما يقرر "العلم الطبيعي" الذي شيده أرسطو، لابد فيها من محرك، وكل

محرك يحتاج بدوره إلى محرك، ولتجنب الدور والتسلسل قال أرسطو بضرورة محك أول هو مصدر الحركة. وهذا عنده قانون عام يحكم الكون كله كما يحكم جميع أجزائه المتحركة. وكما هو معرف في تاريخ العلم فتفسير ظاهرة ما كثيرا ما لا يتأتى إلا بتبني نموذج معين. فتركيب الذرة (نوات وإلكترونات) إنما أمكن تصوره من خلال مقاربتها مع نموذج معين هو المجموعة الشمسية. وكذلك الشأن هنا. فتفسير حركة أعضاء الجسم سيكون بمقاربتها مع حركة الكون كما تصورها العلم الطبيعي الأرسطي. يقول ابن رشد:

"إنه ظاهر من أمر هذه الحركات (حركات أعضاء البدن) أنها تلتئم من محرك أكثر من واحد. ومثال ذلك أن حركة اليد إنما تكون مثلا بالوتر[٢]، وحركة الوتر إنما تكون بالعضل. وأما حركة العضل فهي للعضل بذاته؛ والعضل هو المتحرك الأول. وليس هاهنا جسم آخر يحركه لأن كل جسم يحرك جسما فهو متحرك ضرورة. ولذلك ما (=ما: زائدة) يجب أن ينتهي الأمر في الأجسام التي يحرك بعضها بعضا إلى جسم يتحرك لا عن جسم آخر، لكن عن مبدأ فيه، على ما تبين في العلم الطبيعي، وإلا مر الأمر إلى غير نهاية. وإذا كان ذلك كذلك فهذه القوة المحركة هي في العضل ضرورة. وما يتوهمه الأطباء من أن حركة العضل إنما تكون بالعصب باطل: لأنه لو كان ذلك كذلك لكان العصب متحركا، إما من غيره وإما من تلقائه أي بمبدأ فيه. وذلك أنه قد تبين في العلم الطبيعي أن كل متحرك له محرك، وأن المحرك إذا كان جسما فإنه إنما يحرك بأن يتحرك. فلذلك ما يحتاج المحرك إذا كان جسما إلى محرك آخر. فإن كان هذا أيضا جسما مر الأمر إلى غير نهاية، أو يكون هاهنا جسم متحرك يتحرك عن محرك فيه يحرك، لا بأن يتحرك؛ وذلك بأن لا يكون جسما. فهذا أحد ما يظهر منه أن المحرك الأقصى للحيوان في هذه الحركات ليس بجسم أصلا، وأنه قوة نفسانية، وأن هذه القوة هي في العضل ضرورة. ولننزلها (=لنفرضها) كما قلنا القوة النزوعية إذا اقترنت إليها الخيالية أو التصورية، ووقع هنالك إجماع(=اجتماع هذه القوى). ولأن هذا المحرك الذي ليس بجسم يلزم ضرورة أن يكون المتحرك الأول عنه جسما، وذلك بأن يكون المتحرك عنه كالهيولى له، وهو له كالصورة، إذ ليس يمكن في المحرك الأقصى في الحيوان أن لا يكون في غير هيولى، كما يقال إن هاهنا مبادئ بهذه الصفة".

"وإذا كان ذلك كذلك، فلننظر أي جسم هو هذا الجسم؟ وهو ظاهر أنه الحرارة الغريزية التي في العضل الذي في أبدان الحيوان: ولذلك متى بردت الأعضاء بطلت حركتها. وبالجملة فهو من البين بنفسه، ومما قيل في العلم الطبيعي، أن أحد ما يؤخذ

في حد هذه الأفعال هي الحرارة الغريزية. لكن هذه الحرارة الغريزية تنقسم بفصول خاصة لعضو عضو هي المقتضية لفعله الخاص به، وبخاصة أفعال الغذاء. وهذا مما لا خلاف فيه. لكن جالينوس يرى أن ينبوع هذه الحرارة هو الدماغ، وأنها تنبث منه في الأعصاب إلى جميع البدن. وأما أرسطو فيرى أن الدماغ خادم في هذا الفعل للقلب على جهة خدمته في الحواس. أعني أنه يعدلها وأن هذه الحرارة ينبوعها القلب. وقد يمكن أن نبين ذلك بمثل البيانات التي تقدمت: وذلك أنه يظهر أن الماشي في حين مشيه تنتشر في بدنه حرارة لم تكن قبل. والعضو الذي شأنه أن تنتشر منه الحرارة في جميع البدن هو القلب لاشك فيه. ولذلك متى طرأ على الإنسان شيء يفزعه وانقبضت الحرارة الغريزية إلى القلب ارتعشت ساقاه حتى أنه ربما سقط ولم يقدر أن يتحرك. وإذا كان ذلك كذلك فالقوة المدبرة الأولى في هذه الحركة، وهي التي تقدر هذه الحرارة في الكمية والكيفية، هي في القلب ضرورة".

" وأيضا فقد يقر جالينوس وجميع الأطباء أن القوة النزوعية في القلب. وإذا كان ذلك كذلك، وكان ظاهرا أن الحيوان إنما يتحرك بالنزوع، فهذه القوة المحركة إذن في القلب. والدماغ خادم لها على أنه معدل لها. وسواء توهمت التعديل بجرم العصب أو بروح نفساني يسري فيه لا فرق بينهما إلا أنه ليس من العصب شيء يظهر فيه روح على ما يقول جالينوس إلا العصبتان المجوفتان اللتان تأتيان العينين. وأما المتحرك الأول عن الحار الغريزي فإن جالينوس يرى أنه العضل. أما في الأعضاء، التي ليس فيها عظام ولا هي مفاصل وهي صغار، فبنفسه. وأما في المفاصل فبالأوتار النابتة من العضلة إلى طرف العظم: وذلك أن العضل إذا انقبض إلى نفسه انجذب ذلك الوتر، ولأنه مربوط بطرف العظم يتحرك ذلك العظم بحركته. وإذا كان للعضو حركتان متضادتان كانت له عضلات متضادة الوضع، تجذبه كل واحدة منها إلى ناحيتها وتمسك المضادة لها عن فعلها. فإن عملت كلاهما في وقت واحد استوى العضو وتمدد وقام. مثال ذلك أن الكف إذا مدها العضل الموضوع في ظهرها انقلبت إلى خلف، وإذا مدها العضل الموضوع في باطن الساعد انثنت، وإن مداها جميعا استوت وقامت" (كتاب الصحة ف: ٩٥-٩٦).

والخلاصة أن حركات أعضاء البدن ترجع في نهاية التحليل إلى "الحرارة الغريزي" التي هي مبدأ الحياة وبالتالي مبدأ الحركة. والخلاف هو أن جالينوس يرى أن ينبوع هذه الحرارة هو الدماغ، بينما يرى ابن رشد رأي أرسطو، أعني أن مصدر تلك "الحرارة "هي القلب. ويدافع ابن رشد عن هذا الرأي بالقول: أن مبدأ حركة أعضاء البدن عند نزوع الإنسان وميله إلى شيء من الأشياء هو

"القوة النفسية". وهى في القلب بدليل أن الانفعالات التي تعبر عنها يلحظ أثرها في القلب، وليس في الدماغ. وذلك ما تعطيه الملاحظة الحسية: فرد الفعل حين الانفعال يأتي من جهة القلب: تتسارع ضرباته حين الخوف الخ. فإذا نحن استحضرنا دور الجهاز السمبتاوي في هذا المجال بوصفه المسؤول عن الانفعالات، واستحضرنا ارتباطه بالقلب والمعدة أمكننا حينئذ أن نوافق ابن رشد على ما يقرر في هذا الموضع خصوصاً وهو يعطى للدماغ دوره : دور "المعدل لـ"الحرارة"، وبالتالي للانفعال...

٥- ابن رشد والدورة الدموية؟

في جميع ما تقدم كان النقاش يدور على مستوى "المحاكمة العقلية"، وذلك في غياب إمكانية الاحتكام إلى التجربة. لقد بنى جالينوس معظم نظريته على "القياس" أي الاستدلال المنطقى وليس على التشريح والتجربة. وفي غياب المراقبة التجريبية، تبقى المراقبة المنطقية هى وحدها الحَكَم. وقد حكّمها ابن رشد، فكانت النتيجة تأزيم النظرية الجالينوسية. والتقدم العلمى يبدأ من اللحظة التي توضع فيها التصورات السائدة في أزمة. إنها لحظة ترك التقليد والشروع في الاجتهاد. فبهذا المعنى وصف ابن رشد في أوروبا عصر النهضة (الأول) بأنه "العصا القاتلة" وأنه "الرجل الذي أفسد جميع الأطباء"، وبهذا المعنى أيضا قلنا ونقول إن ابن رشد كان، بهذا التأزيم للنظرية الطبية السائدة في عصره، وراء اكتشاف الدورة الدموية .

وأهمية اكتشاف الدورة الدموية الصغرى على يد ابن النفيس كما سنرى، ثم اكتشاف الكبرى على يد هارفي(٥)، تكمن في كونها وحدها تقدم حلا علميا لمجمل القضايا السابقة، حلا مبنيا على التشريح أي على الملاحظة العلمية وليس فقط على مجرد التخمين والحدس، وهما نقطة الضعف في النظرية الطبية القديمة كما سيلاحظ ابن رشد بعد قليل. لقد وضع ابن رشد تلك النظرية موضع النقاش فخلخلها بقوة كما رأينا، فتحولت من منزلة المشهور المسلم إلى منزلة

---

(٥) يرجع اكتشاف الدورة الدموية الكبرى إلى العالم البريطاني وليم هارفي W. HARVEY (١٥٧٨-١٦٥٧) وكان الأسباني ميغيل سيرفيد Miguel Servede الذي عاش بعد سقوط الأندلس بعشرين سنة فقط قد سجل ملاحظات قريبة الشبه جدا مما قرره ابن النفيس في شأن الدورة الدموية الصغرى. ومهما يكن فمن المسلم به اليوم تأثير ابن النفيس في العلماء الأوروبيين الذين يتقاسمون شرف اكتشاف الدورة الدموية. أنظر: ابن النفيس، تأليف د. بول غليوني. الدار المصرية للتأليف والترجمة. سلسة أعلام العرب رقم ٥٧. ص ١٤١وما بعدها.

المشكوك فيه: منـــزلة المشكلة التي تشغل العقول وتدفعها للبحث عـــن الحـــل. وإذا كان هناك من يرى أن "ابن رشد هو أول من أشار إلى الـــدورة الدمويـــة وعللها في كتابه الكليات الذي استمد منه وليام هارفي معظم نظرياته"[٦] فإننا إذ نتحفظ من صيغة هذه العبارة، وبكيفية خاصة كون ابن رشد "علــــل الـــدورة الدموية"، نرى مع ذلك أن مناقشة فيلسوف قرطبة لجالينوس في القضايا الســابقة تفتح الطريق إلى التماس الحل للإشكالات التي طرحها، والتي لا حل لهـــا إلا في القول بالدورة الدموية كما أشرنا إلى ذلك أكثر من مرة.

ومهما يكن من أمر علاقة هارفي بابن رشد في هذه المسألة فمن المؤكـــد اليوم أن هارفي قد استمد فعلا اكتشافه للدورة الدموية الكبرى مـــن اكتشـــاف ابن النفيس للدورة الدموية الصغرى. ونحن نعتقد أن اهتمام ابن النفيـــس بهـــذه المشكلة كان من ثمرات هذا النقاش الذي أثاره ابن رشـــد بصددهـــا. والـــذي يحملنا على الذهاب هذا المذهب ثلاثة أمور:

- أولها هو أن أي دارس للطب زمن ابن رشد اطلع على مناقشـــة هـــذا الأخير لجالينوس في المسائل السابقة، لابد أن تستيقظ في نفسه الرغبة في معرفـــة الحقيقة وتستحوذ على ذهنه هذه "الأزمة" التي وضع فيها ابـــن رشـــد النظريـــة الطبية السائدة. وذلك ما لابد أن يكون قد حصل لابن النفيس (عـــلاء الديـــن على بن أبي الحرم القرشي الدمشقي) المتوفي سنة ٦٩٦هـــ (أو ٦٨٧هـــ)، أي بعد وفاة ابن رشد بنحو مائة عام، وبعد نحو ١٢٠ سنة بعد تأليف هذا الأخـــير لكتابه "الكليات"(ألفه قبيل سنة ٥٥٧هـــ كما ســنرى). وإذن فـــاطلاع ابـــن النفيس على كتاب "الكليات" شيء مؤكد، فهو معروف باطلاعه على جميـــع المؤلفات الطبية المتوافرة في عصـــره، ولابـــد أن يكـــون في مقدمتـــها كتـــاب "الكليات" الذي لا بد أن يكون قد وصل في وقت مبكر إلى القاهرة ودمشق التي تنقل ابن النفيس بينهما. وكيف لا يكون هذا الكتاب قـــد وصـــل إلى دمشـــق والقاهرة بعد قرن من الزمان، بينما كان قد ترجم إلى اللاتينية بعد وفاة ابن رشـــد بما لا يزيد عن ثلاثين سنة؟ على أن سمعة ابن رشد في القاهرة ودمشق كعالم فـــذ في المنقول والمعقول كانت قد طبقت الآفاق قبل مماته. وابن النفيس كان كـــابن

---

(٦) عبد العزيز بنعبد الله. الطب والأطباء بالمغرب. المطبعة الاقتصاديـة. الربـاط. ١٩٦٠. ص ٣٣ . هذا ومع أننا متأكدون من أن الأستاذ بنعبد الله لا بـد أن يكـون قد اعتمـد مرجعـا أوروبيـا في هـذه المسألة إلا أنه لم يذكر مع الأسف هذا المرجع، وذلك على غير عادته في الحرص على ذكر المراجع.

رشد مشتغلا بالفقه والكلام والفلسفة علاوة على الطب. وهناك ما يشبه أن يكون دليلا[7] على تأثير ابن رشد في ابن النفيس انتقاد هذا الأخير لابن سينا في تجزئته علم التشريح حيث تناول تشريح الأعضاء المفردة البسيطة في الكتاب الأول، بينما تحدث عن تشرح الأعضاء، عضو عضو، في الكتاب الثالث. وهذا ما دفعه -أعني ابن النفيس إلى تأليف كتاب خاص سماه "شرح تشريح القانون"[8]، فصله عن كتابه الضخم "شرح القانون" وجمع فيه التشريح كله. وفي هذا الكتاب اهتدى إلى الدورة الدموية الصغرى. وابن النفيس يقتفى هنا أثر ابن رشد الذي جمع التشريح كله في كتاب واحد هو الكتاب الأول من "الكليات" كما سنرى. وهناك مظهر آخر يبدو فيه تأثير ابن رشد وهو الترتيب الذي اتبعه في كتابه " موجز القانون" فقد ضم فيه الأدوية المركبة إلى الأدوية المفردة كما فعل ابن رشد. وكان ابن سينا قد خص الكتاب الثاني من "القانون" للأدوية المفردة بينما أخر الأدوية المركبة إلى الكتاب الخامس.[9]

- ثانيهما ما يروى من أن فكرة الدورة الدموية الصغرى قد انبثقت في ذهن ابن النفيس في ظروف تدل على أن المشكلة كانت تملك عليه اهتمامه، وأنه كان يوليها أهمية كبرى خاصة. فقد روى المترجم له القصة التالية، قال: "دخل الشيخ علاء الدين إلى الحمام التي في باب الزهومة، فلما كان في بعض تغسيله خرج إلى مسلخ الحمام واستدعى بدواة وقلم وورق وأخذ في تصنيف مقالة في النبض إلى أن أنهاها، ثم عاد ودخل الحمام وكمل تغسيله"[10]. وهذا يذكرنا بأرخميدس ونيوتن وأنشتاين وغيرهم من المكتشفين الكبار الذين تشغلهم المشاكل العلمية في عصرهم وتملك عليهم اهتمامهم يفكرون فيها ليل نهار، فلا يجدون لها حلا إلا حينما يكونون في وضع يفسح المجال للعقل لنوع من الاسترخاء، فحينئذ ينبثق الحل في الذهن انبثاقا، وكأن شدة التركيز عند البحث

---

(٧) نحن هنا مضطرون إلى حشد هذه الحجج لأننا لم نطلع على كتاب ابن النفيس الذي ما يزال مخطوطا-حسب علمنا. وليس من المستبعد أن يكون ابن النفيس قد استشهد بابن رشد في شرحه لقانون ابن سينا ونقده آرائه. فعسى أن يسعفنا بالفصل في هذه التخمينات من تمكن من الاطلاع على كتاب ابن النفيس.

(٨) بقي هذا الكتاب مجهولا، وقد عثر عليه د. محيي الدين التطاوي سنة ١٩٢٤ في مكتبة برلين فجعله موضوعا لرسالة الدكتوراه دافع عنها في جامعة فريبورج بألمانيا. ويبدو أن هذه الرسالة لم تطبع. أنظر: ابن النفيس. تأليف د. بول غليوني. نفس المعطيات المذكورة. ص٧٠ وما بعدها.

(٩) أنظر نصوصا لأبن النفيس يشرح فيها التعديلات التي أدخلها على تقسيم ابن سينا لأبواب الطب في: ابن النفيس. بول غليوني. نفس المعطيات. ص ١١٣.

(١٠) أنظر ترجمته في: صلاح الدين خليل بن أبك الصفدي. **الوافي بالوفيات.**

في طلبه تضغط عليه وتقصيه. إن مثل هذه المشاكل العلمية ليست في العادة من جنس تلك التي يطرحها الباحث أول مرة، بل هي في الأغلب الأعم تكون مطروحة في الوسط العلمي، و تكون كاللغز المغلق الذي لا يتصدى له إلا العقول الكبيرة. لقد تصدى ابن رشد للمشكلة على صعيد وضع السؤال فجاء ابن النفيس بالجواب.[11]

---

(١١) تتلخص المسألة الأساسية في الموضوع في كون النظرية الطبية القديمة التي كرسها جالينوس كانت تنص على أن الدم يمر إلى البطين الأيسر من القلب، بعد وصوله من الكبد إلى البطين الأيمن ، عبر مسام غير مرئية . وهناك في البطين الأيسر يمتزج بالهواء الحامل للروح الحيوي القادم من الرئة عن طريق الأوردة (أي ما كان يسمى بالشريان الوريدي). وبعد أن يتشبع هذا الدم بالروح الحيواني في المخ يوزع على الجسم كله عن طريق الشرايين ثم يعود إلى القلب عن طريق الشرايين نفسها أي عبر حركة من المد والجزر. أما اكتشاف ابن النفيس فيتلخص في القول بمرور الدم من التجويف الأيمن للقلب إلى الرئة وهناك يمتزج بالهواء ثم ينتقل إلى التجويف الأيسر عبر الوريد الرئوي الذي قال عنه إنه يشبه الأوردة ويشبه الشرايين، وقال بأن عدد تجاويف القلب تجويفان فقط لا ثلاثة. كما قال بوجود أوعية داخل عضلات القلب هي التي تقوم بتغذيتها. يقول ابن النفيس: "والذي نقول نحن ، والله أعلم، أن القلب لما كان من أفعاله توليد الروح، وهي إنما تكون من دم رقيق جدا شديد المخالطة لجرم هوائي، فلا بد وأن يحجل في القلب دم رقيق جدا وهواء ليمكن أن يحدث الروح من الجرم المختلط منهما، وذلك حيث تولد الروح وهو في التجويف الأيسر من تجويفي القلب. ولابد في قلب الإنسان ونحوه مما له رئة من تجويف آخر يتلطف فيه الدم ليصلح لمخالطة الهواء، فإن الهواء لو خلط بالدم، وهو علة غلظه، لم يكن من جملتها حسم متشابه الأجزاء. وهذا التجويف هو التجويف الأيمن من تجويفي القلب. وإذا لطف الدم في هذا التجويف فلا بد من نفوذه إلى التجويف الأيسر حيث مولد الروح. ولكن ليس بينهما منفذ، فإن جرم القلب هنالك مصمت ليس فيه منفذ ظاهر، كما ظنه جماعة، ولا منفذ غير ظاهر يصلح لنفوذ هذا الدم، كما ظنه جالينوس، فإن مسام القلب هناك مستحصفة وجرم غليظة. فلا بد وأن يكون هذا الدم إذا لطف نفذ في الوريد الشرياني إلى الرئة لينبث في جرمها ويخلط الهواء ويتصفى ألطف ما فيه وينفذ إلى الشريان الوريدي ليوصله إلى التجويف الأيسر من تجويفي القلب وقد خالط الهواء وصلح لأن يتولد منه الروح. وما يبقى منه أقل لطافة تستعمله الرئة في غذائها. ولذلك جعل الوريد الشرياني شديد الاستحصاف ذا طبقتين ليكون ما ينفذ من مسامه شديد الرقة، وجعل الشريان الوريدي سخيفا ذا طبقة واحدة ليسهل قبوله لما يخرج من ذلك الوريد. ولذلك جعل بين هذين العرقين منافذ محسوسة. وأما قوله (=ابن سينا) : وأول ما ينبت من التجويف الأيسر شريانان ... المراد أن هذين الشريانين هما أول شرايين البدن كله ... وإنما كان نبات هذين (الشريانين) من التجويف الأيسر لأن الشريان المطلق منهما ينفذ فيه الروح إلى الأعضاء كلها. وإنما يمكن ذلك بأن يكون تجويفه مبتدئا من التجويف الذي يتم فيه تكون الروح، وذلك هو التجويف الأيسر من تجويفي القلب. وأما الشريان الوريدي فلأنه عندهم لأجل نفوذ الروح إلى الرئة وأخذ الهواء منها. وعندنا أنه كذلك. ولكن الهواء الذي يأخذه من الرئة لابد وأن يكون مخالطا للدم مخالطة يصلح معها لأن يكون منه الروح. واعلم أن نبات هذين الشريانين ليس من التجويف الأيسر بل من الجرم الذي بين بطني القلب، لكنهما مع ذلك مائلان إلى التجويف الأيسر حتى يكون تجويفهما متصلا بذلك التجويف موربا. (لذلك) كان النافذ من ذلك التجويف منحرفا إلى اليمين قليلا حتى يدخل في تجويفهما. ومعنى كونهما نابتين من هناك لا أنهما ينبتان من هناك كما ينبت النبات من الأرض، كما يقولون، بل إنهما متصلان بذلك الموضع كاتصال النابت ... واتصال الدم الذي يغذي الرئة إلى الرئة من القلب. هذا هو المشهور، وهو عندنا باطل: فإن غذاء الرئة لا يتصل إليها من هذا الشريان لأنه لا يرتفع إليها من التجويف الأيسر من تجويفي القلب، إذ الدم الذي في هذا التجويف إنما يأتي إليه من الرئة، لا أن الرئة تأخذه منه. وأما نفوذ الدم من القلب إلى الرئة فهو في الوريد الشرياني".
(نصوص أوردها بول غليوتي في المرجع المذكور. انظر أيضا: Ibn an-Nafis et la découverte de la circulation pulmonaire, par Abdul Karim Chéhadé. Institut Français de Damas. 1955 .

– ثالثها أن ابن النفيس اكتشف الدورة الدموية الصغرى في كتابه "شرح تشريح القانون" لابن سينا كما ذكرنا. ومما تجدر الإشارة إليه أن ابن سينا قد انتقل بعد الفراغ من تشريح الشرايين والأوردة إلى القوى والأفعال فذكر الخلاف بين جالينوس وأرسطو حول أيهما له "الرئاسة" في القوة الغاذية: الكبد أم القلب؟ وأيهما يرأس القوى الحسية والفكرية، هل الدماغ أم للقلب؟ ولكن ابن سينا لا يناقش هذه المسألة بل يكتفي بتأييد وجهة نظر أرسطو مشيرا إلى أن الأمر يتعلق بموضوع من اختصاص الفيلسوف لأنه ينتمي إلى "العلم الطبيعي"، مؤكدا أن الطبيب إذا سلم للفيلسوف "أن هذه الأعضاء المذكورة سيادتها لهذه القوى فلا عليه فيما يحاوله من أمر الطب: كانت هذه مستفادة عن مبدأ قبلها أو لم تكن"[١٢]. وواضح أن ما ذكره ابن سينا في هذه المسألة لا يبعث على التفكير فيها بل هو يدعو إلى صرف النظر عنها وترك أمرها للفيلسوف. ومثل هذا الموقف لا يمكن أن يكون حافزا لابن النفيس على الانشغال بهذه المسألة ذلك الانشغال الذي تبعه إلى الحمام. أما ابن رشد فقد رأيناه يناقش هذه المسألة بتفصيل، ويؤكد ضدا على ابن سينا أن هذه المسألة تهم الطبيب أكثر مما تهم الفيلسوف. والغالب أنه كان يستحضر ابن سينا ويرد عليه حينما كتب –كما رأينا– في إحدى الفقرات التي ناقش فيها هذه المسألة متسائلا: " وعسى أن يقول قائل: إن هذا الفحص كله مما لا يحتاج الطبيب إليه! وأنا أقول: إن حاجة الطبيب إلى هذا أمس حاجة، وسنبين هذا فيما بعد". وقد بين ذلك في الفقرات الماضية.

٦– مسائل أخرى مسّتها "العصا القاتلة"

لنواصل مع ابن رشد مناقشة جوانب أخرى من النظرية الطبية السائدة في عصره، جوانب مستها عصاه النقدية القاتلة مسا قويا. وسنكتفي هنا بمسألتين: كيفية الإبصار بالعين، وتكون الجنين ودور كل من الرجل والمرأة فيه.

أ– الإبصار: من العين إلى الأشياء، أم من المبصرات إلى العين؟

أما فبالنسبة لمسألة إبصار العين وكيف يتم، فابن رشد يرد بقوة وجهة النظر السائدة والتي قال بها جالينوس وغيره من الأطباء، وهي تفسر عملية الإبصار بخروج أشعة من العين لتنتشر في مجال الرؤية فتلامس الأشياء وتحصل بذلك رؤيتها. يقول ابن رشد بعد أن يشرح ما يصيب أجزاء العين من المرض

(١٢) ابن سينا. **القانون في الطب** .ج١. نفس المعطيات المذكورة آنفا. ص ٦٧.

والبصر من الضعف والعمى: "فهذه هى الأشياء التى تطابق ما قيل من أمر الإبصار فى العلم الطبيعى. وأما الأسباب التى يروم الأطباء أن يعطوها فى هذه الأعراض فتلك أشياء مبنية على أصول فاسدة، فإنه ليس في العين جسم يمكن أن يتوهم خارجا منها على ما يقوله أصحاب الشعاعات غير الحار الغريزي الواصل من الدماغ إلى العينين في العصبتين المجوفتين. والحار الغريزي ليس يمكن أن يفارق البدن طرفة عين، فيبقى حارا غريزيا فضلا عن أن يمتد حتى يلقى الكواكب (=عندما نبصرها)، بل كان قبل ذلك يتهيأ ويفسد مزاجه من جهة ما هو حار غريزي. ولا أيضا العين جسم فلكى ولا ناري فيكون فيها شعاع فتكون مضيئة بالطبع. على أن الشعاع هو المرئى الأول بذاته، ولا يصح أن يكون للقابل في جوهره شىء من المقبول. وهذا كله قد تبين في العلم الطبيعى".

ويضيف ابن رشد قائلا: "بل ينبغى أن يوضع وضعا أن الإبصار يكون بارتسام الألوان في الهواء المضىء، وتأدية الهواء تلك الألوان بعينها إلى الحدقة، حتى ترتسم فيها فتدرك معانى تلك الألوان القوة المبصرة. ولذلك جعلت الحدقة مركبة من أجسام شفافة وهما الماء والهواء، فإنه لا يمكن في هذه الحاسة أن تدرك صورة الألوان إلا بعد حصولها في المتوسط، بخلاف الحواس التى لا تحتاج إلى متوسط. وأما الأعراض المنكرة التى تدخل على هذه الحاسة فهى أشياء كثيرة قد تبينت في علم المناظر"[١٣] (كتاب المرض ف: ١٣٧-١٣٩).

ب- لمن يدين الجنين بوجوده للرجل أم للمرأة؟

ومن المسائل التي جادل فيها ابن رشد بقوة جالينوس، وكان لها أصداء قوية في أوروبا، مسألة "منى المرأة" ودوره في تكوين الجنين في رحمها. يقول في موضوع أعضاء التناسل: "وهذه الأعضاء منها ما يختص بها الذكر وهى الأنثيان (=الخصيتان) والقضيب، ومنها ما تختص بها الأنثى وهى الرحم والثدي. وأما الأنثيان فإنهما جعلتا لمكان (=من أجل) تكوين المنى، ولذلك جعلتا ذات لحم غددي أبيض كالحال في الثديين". "وأما الأنثيان التى (=اللتان) يزعم جالينوس أنها (=أنهما) توجد (=توجدان) للمرأة، فيشبه ألا يكون لهما تأثير في الولادة، إذ كان منى النساء المتولد فيهما لا مدخل له في الولادة. وليس ذلك بغريب: فإن الثدي في النساء لمكان الولادة، وليس لها في الرجال هذه المنفعة. فأما من أين يظهر أنه ليس لمنى المرأة مدخل في الولادة فمن الحس والقياس(الاستدلال). أما من الحس فإن أرسطو يرى أن المرأة قد

(١٣) لعل ابن رشد يحيل هنا إلى نظرية ابن الهيثم . انظر:الحسن بن الهيثم. **كتاب المناظر**. تحقيق عبد الحميد صبرة. الكويت. ١٩٨٢.

تحمل دون أن تمنى. وأما أنا فمذ سمعت كلام أرسطو لم أزل أتعمد جس ذلك، فوجدت التجربة صحيحة، وألفيت أكثر الحمل الذي بهذه الصفة إنما يكون بالذكورة؛ وسألت النساء الثقات عن ذلك فأخبرنني أيضا بذلك، أعنى أنهن كثيرا ما يحملن دون أن تكون منهن لذة. وأما القول الموجب (=الحجة المنطقية) لذلك فلأن منى المرأة إن كان يفعل فعل منى الرجل فالمرأة مولدة بذاتها ولا حاجة هاهنا أصلا إلى الذكر. وليس يمكن أن يتصور أن هذا الفعل ينقسم بينهما بالكمية حتى يكون منى المرأة يفعل بعض الأعضاء، ومنى الرجل يفعل بعضا آخر: فإن الأعضاء وإن كانت كثيرة فإنها واحدة بالمبدأ الواحد الذي فيها. ومعطى هذا المبدأ الواحد، الذي هو القلب، هو معطى جميع الأعضاء بالقوة. فإن كان في منى المرأة كفاية في إعطاء هذا المبدأ، فمنى الذكر لا تأثير له في الولادة. وإن كان منى الرجل هو المعطى صورة هذا المبدأ فليس لمنى المرأة هذا الفعل أصلا".

"وإذا كان ذلك كذلك، وظهر أنه ليس يمكن أن يكون فعل منى المرأة وفعل منى الرجل واحدا بالنوع، وكان يظهر أيضا أن للمرأة تأثيرا في الولادة، فمن الواجب أن يكون فعل هذا غير فعل ذلك بالضرورة، ويكونان يؤمنان بفعلهما غاية واحدة، وهو وجود الولد. فكل واحد منهما يعطى للولد جزءا مما به يتقوم. وجزءا الشيء المتكون بما هو متكون على ما تبين في الأقاويل الكلية (في العلم الطبيعي) هما المادة والصورة: فأحدهما ضرورة هو معطى المادة وهى الأنثى، والآخر هو معطى الصورة وهو الذكر".
"وليس يمكن أن نقول إن المرأة هى التى تعطى الصورة، والذكر المادة؛ بل الأمر بالعكس، فإن الذي يعطى الغذاء هو الذي يعطى الهيولى ضرورة. فالذكر إذن هو المعطى الصورة كما يرى ذلك أرسطو. والأنثى تعطى المادة. وليس للأنثى شيء يمكن أن نظن أنه مادة إلا منيها أو دم الطمث. لكن المنى هو رطوبة مائية تشبه الفضلة، بل هى في الحقيقة فضلة، ليس يمكن أن تتغذى بها الأعضاء. ولو أمكن فيها ذلك لكان في الدم كفاية في ذلك: إذ كان هو الذي به تتغذى الأعضاء. فإنه لا فرق بين مادة الاغتذاء والتكوين إلا أن الاغتذاء يكون في الجزء، والتولد يكون في الكل. ومادة الكل والجزء واحدة". "وأيضا فمما يشهد على أن منى المرأة ليس هو هيولى للمولود أن نساء كثيرات يحملن دون أن ينزلن بالمنى كما قلنا. وأيضا فإنا نجد الرحم تقذف بالمنى إلى خارج وتجذب منى الرجل إلى داخل. وهذا كله مما يدل على أن منى المرأة رطوبة فضلية تسيل عند اللذة كما يسيل اللعاب من فم الجائع المبصر للطعام".

"ومن الدليل عندي على أن منى الرجل يتنزل منزلة الفاعل أن الأعضاء لما كانت إنما تغتذي بالحرارة الغريزية القلبية، وكانت هذه الحرارة هي الآلة الأولى للنفس

الغاذية، وجب ضرورة أن تكون هى الآلة الأولى للقوة المكونة. فلذلك ما(=زائدة) يلزم ضرورة أن يكون في منى الرجل، أو فى الدم الذي في الرحم، جزء كبير من هذه الحرارة الغريزية موجودا بالفعل. وليس يمكن أن يكون هذا إلا في المنى لموضع الحرارة والرطوبة الموجودة فيه. فأما الدم الذي يتولد منه الجنين وهو دم الطمث، فإنه بعيد جدا عن أن يكون فيه بالفعل مثل هذا الجوهر، لأنه دم غير منهضم. وأبعد من هذا أن يكون في منى المرأة".(كتاب الصحة فـ: ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧٢ – ٧٥). هذا ويرجع الاعتقاد في أن دم الطمث هو بمثابة المادة للصورة التي يعطيها مني الرجل للجنين كون دم الطمث ينقطع عند الحمل.

٧- التجربة والقياس في الطب: دورهما، حدودهما

قد يبدو مما سبق أن ابن رشد الذي اعتمد في جل مناقشاته واعتراضاته المحاكمة المنطقية ومعطيات العلم الطبيعي، كما شيده أرسطو، قد جعل من الطب علما استدلاليا وأهمل التجربة. والواقع عكس ذلك، فابن رشد لم يفتأ يكرر في كتابه أن المعول عليه في مسائل الطب هو التجربة أولا. أما الاستدلال المنطقى، وهو ما يسميه هنا بـ"القياس" (قياس المجهول على المعلوم أو الاستدلال بالمعلوم على المجهول) فدوره محدود وإن كان ضروريا. على أن ابن رشد لا يجادل جالينوس إلا في المسائل التي اعتمد فيها هذا الأخير على القياس، وصاغها كحقائق يقينية. ومعلوم أن جالينوس قد أفرط في ذلك فوصفت مدرسته الطبية بـ "الطب الدوغمائى" الوثوقى. وفيما يلى بعض ما يقرره ابن رشد في هذا الموضوع. موضوع التجربة والقياس في الطب.

أ- لا سبيل للوقوف على الخاصة في الأدوية إلا الحس

يطرح ابن رشد موضوع دور كل من القياس والتجربة طرحا مباشرا في "كتاب الأدوية والأغذية": يبدأ بشرح أنواع "المقاييس" (الاستدلالات المنطقية) ثم يتساءل عن إمكانية التعرف بواسطتها على "الخاصة" في الأدوية، أي على نوع تأثيرها. فيقرر أنه لا سبيل للوقوف على الخاصة في الأدوية إلا **بالحس**. يقول: "وبودنا لو اتفق لنا فى مثل هذا المطلب(=البحث عن الخاصة) مثل هذه الدلائل (=الاستدلالات المنطقية)، وهو ظاهر مما قيل فى رسم الخاصة أن تلك الطبيعة التى بها تفعل غير محصلة عندنا، إذ كانت الخاصة إنما هى فعل ما صادر من موجود في موجود بإضافة مقادير الأسطقسات في أحدهما إلى الآخر. وبيِّن أن ذلك المقدار

ليس يمكن أن يدرك بالقول (الاستدلال المنطقى)، ولا أن يوقف منها على أكثر من هذه المعرفة غير المحصلة، ولا أيضا يمكن أن يكون هاهنا عرض خاص يدل على هذه الطبيعة دلالة محصلة ولا غير محصلة إلا الخاصة نفسها إذا أحِسَّتْ إنها تدل كما قلنا على هذه الطبيعة دلالة مجملة. وإذا لم يمكن ذلك فليس يمكن أيضا أن يكون فى ذي الخاصة عرض مساو للخاصة يدل عليها ويكون أعرف عندنا منها، لأن هذا إنما كان يتفق لو كان هاهنا عرض يدل دلالة محصلة على الطبيعة التى بها تفعل الخاصة. ولكون الخاصة إنما هى تابعة لموجود موجود، أمكن أن يوجد فى الشيء الواحد خواص لا نهاية لها. وما لا نهاية له فلا سبيل إلى تحصيله بالقول (الاستدلال) ولا إلى وجود خواص ودلائل تدل بالذات على هذه الطبيعة، لأن ما بالذات إنما يوجد للشيء من قبل صورته، كما أن ما بالعرض إنما يوجد له من قبل الهيولى. **وإذا كان هذا هكذا فلا سبيل للوقوف على وجود الخاصة في ذي الخاصة غير الحس**". (كتاب الأدوية والأغذية فـ: ٥٤).

ب — ضرورة إخضاع مفعول الأدوية للتجربة

وكما أن خواص الأدوية لا تدرك إلا بالحس فكذلك درجة تأثيرها لا تعرف إلا بالتجربة. أما وضع قوانين عامة تحدد قبليا، وبطريقة حسابية، درجات تأثير الأدوية فذلك ما يعترض عليه ابن رشد بشدة. يقول: "وأما الدواء فمن حيث إنه يفعل فى الأبدان كيفيات أول ظن أن ذلك قد يدرك بالقول. لكن مع هذا كله نجد جالينوس وسائر الأطباء قد راموا أن يضعوا قوانين يستدل منها على أفعال الأدوية فى الأبدان الإنسانية، وهى وإن كانت كما قلنا أدلة ظنية– بل إن ذهبنا بها مذهب الترفيع نقول إنها أكثرية لا ضرورية[١٤]– فإن لها منافع: إحداها أنها تنبه الإنسان إلى التجربة، فإن ساعدته التجربة على ظنه قطع على ذلك. ولهذا ما نسمع جالينوس يقول: إن الآلتين اللتين استنبطت بهما هذه الصناعة هما التجربة والقياس. وأيضا فإن هذه الدلائل نافعة فى المقايسة بين الأشياء التى شهدت التجربة أنها غذائية أو دوائية. مثال ذلك أنه متى كان غذاءان، أحدهما هش والآخر لزج، قطعنا على سرعة استحالة الهش: إذ كان تقسمه عن الحرارة أسرع، وبالجملة انفعاله. وأيضا متى ارتضنا فى هذه الأشياء ورمنا أن نعطى فيها الوجود والسبب معا، وعسر ذلك، كان سهلا علينا إذا شهدت التجربة لشيء ما أن نعطي السبب في ذلك. وبالجملة فبهذا النظر تكون هذه

---

(١٤) أي نسبة صحتها مرتفعة، ولكن لا تبلغ مائة في المائة وبالتالي فتأثيرها لا يخضع للضرورة والحتمية بل هو من مجال الاحتمال.

الصناعة قياسية. ويمكننا أن ننتقل من دواء إلى دواء ومن غذاء إلى غذاء عندما نقصر عما قصدنا إليه فى المعالجة". "وأما من ليس عنده من معرفة الأدوية إلا التجربة فقط فليس يمكنه ذلك. وقد أطال جالينوس فى الفرق بين القوتين (=التجربة والقياس). إلا أن الأدلة والسبَّارات(م) التى أعطاها جالينوس ومن تبعه من الأطباء فى ذلك نزرة بالإضافة إلى ما يمكن أن يقال فيها هاهنا. وذلك أنهم اقتصروا من معرفة طبائع الأدوية من جهة الطعوم والروائح والألوان وسرعة الاستحالة إلى النار فقط، وهذه كلها إذا جعلت دلائل فإنها ضرورة أخص من الطبائع التى تلزم عنها هذه الأفعال فى بدن الإنسان. والدلائل الذاتية فينبغى أن تكون مساوية للطبائع الدالة عليها، وحينئذ يمكن أن يترقى من المتأخر إلى المتقدم ثم من المتقدم إلى المتأخر المطلوب، وبهذا يكمل هذا النظر. وإلا فمتى لم يكن نظر الناظر فى هذه الصناعة على هذه الجهة لم تكن عنده طبيعة الدواء الحار بما هو حار محصلة، ولا البارد بما هو بارد. مثال ذلك أن الطبيب إذا كان عنده أن الدواء الحار إنما هو الدواء الحريف الطعم والمر الطعم والمالح الطعم، وأن الطبيعة التى تفعل الحرارة هى هذه الطبيعة، فإنما علم من طبائع الأشياء الحارة طبائعا ما، فيكون ضرورة نظره فى هذه الصناعة ناقصا، لأن هاهنا أشياء حارة ليس طعومها حريفة ولا مرة كلحوم كثير من الحيوان، مثل العصافير والفراخ وغير ذلك، لأن الأغذية والأدوية بالجملة هى إما نبات وإما حيوان وإما معدن أو جسم معدنى. والطعم إنما يوجد متميزا فى النبات".

"فإذا أريد أن يكون القول في هذا صناعيا تاما (=علميا) فينبغى أن نرسم ما طبيعة الدواء الحار والدواء البارد واليابس والرطب، ثم نروم بعد ذلك إحصاء الأشياء التى تدل على هذه الطبائع. فلننزل أن الدواء الحار هو الذي أغلب أجزائه الأجزاء الحارة، والبارد هو الذي أغلب أجزائه الأجزاء الباردة، وكذلك الأمر في الدواء اليابس والرطب".(كتاب الأدوية والأغذية ف: ٦٠-٦٢).

على أن معرفة خواص الأدوية لا تكفي، بل لابد من معرفة حال البدن الذي يراد استعمال الدواء فيه حتى يعطاه الدواء الذي يتناسب معه. الدواء المناسب حقا هو الذي تثبت التجربة أنه كذلك. يقول: "والطبيب الناظر في هذه الصناعة إذا ورد عليه بدن غير معتدل يخمن في ذلك بمقدار ما يحتاج إليه من طبيعة الدواء الفاعل لذلك الفعل في ذلك البدن. وللتجربة هاهنا فعل كبير. مثال ذلك أنا متى علمنا أن الدواء المنضج هو الذي حرارته مساوية لحرارة بدن الإنسان، فينبغى أن نتأمل هذا المعنى في مزاج إنسان إنسان، ونتحرى له الدواء الذي يُحدَس أن هذه نسبته إليه. وليس يجب أن نفعل هذا في المزاج بل و في العضو، فإن (الدواء) المقيِّح في الفخذ غير

المقيّح في الأذن. وهذه كلها ينبغي أن تكون من الطبيب بحذاء ذهنه. وللتجربة كما قلنا في التخمين على هذه الأشياء، والحدس، قوة عظيمة". (كتاب الأدوية الأغذية ف:١٣).

التجربة ضرورية في الأدوية المفردة، فهل هي كذلك في الأدوية المركبة التي تدخل فيها النسب الحسابية؟ يجيب ابن رشد: "وقد يسأل سائل فيقول: إذا كان تركيب الأدوية إنما هو شيء فاعله القياس، وكان الدواء المركب تعلم بالقياس قواه الأول والثواني والثوالث، فهل للتجربة مدخل في سبار أفعاله، كما كان الاعتماد عليها في معرفة قوى الأشخاص المفردة؟ فنقول: أما القوى الأول والثواني والثوالث فلا حاجة بنا إلى تجربتها في المركب، فإنها مدركة بالقول. وأما إن كان يمكن أن يحدث في الدواء المركب عند امتزاجه وتركيبه خاصة ما فللتجربة هاهنا مدخل كبير، لأن تلك الخاصة قد تكون موافقة للمقصود من تركيبه وقد تكون غير موافقة. لكن الخواص المضادة للمزاج إنما تحدث أكثر ذلك في المزاج الطبيعي لا الصناعي، وإن كان لا يبعد وجود الخاصة في الأدوية التي تخمر، لأن المزاج فيها أكثر. ولذلك يرى ابن سينا أن أكثر أفاعيل الترياق هي خواص له تابعة لجوهره لا يمكن تعليله، ويرى أن لا يغير شيئا من النسخة القديمة التي لأندروماخس. وأما أنا فقد كنت أرى أن أزيد أدوية كثيرة في الترياق لم تكن بعد مشهورة في ذلك الزمان أو كانت إلا أنهم أغفلوها، مثل العود والعنبر والقرنفل وغير ذلك".(كتاب الأدوية والأغذية ف:١٤٣).

ج – ابن رشد ينتقد الكندي ... والمقلدين

ويحمل ابن رشد بعنف على الكندي الذي ذهب في رسالة له عن الأدوية مذهبا اعتمد فيه الحساب والمتواليات الهندسية في تركيب الأدوية، مستلهما في ذلك الأنغام الموسيقية، ومهملا التجربة الطبية، متأثرا بذلك في بالمدرسة الفيثاغورية. يقول ابن رشد في سياق انتقاده أساليب "الحدث" (المبتدئين) من الأطباء في تحديد خواص الأدوية عندما يضاف بعضها إلى بعض فيصف عملهم بالجهل والتخبط: "ولجهل الحدث من الأطباء بهذه الأشياء تراهم يقولون إن الدواء الحار في الأولى إذا خلط مع حار في الثالثة صيره حارا في الثانية. ليت شعري! إذا خلط به البارد في الأولى إلى أي درجة يصيره البارد؟ فإن قالوا إلى المرتبة الثانية فقد صار الحار في الأولى والبارد في الأولى يُصيِّران الحار في الثالثة إلى مرتبة واحدة! وإن قالوا إن البارد في الأولى يُصيِّر الحار في الثالثة حارا في الأولى، فسيصيّر البارد في الثانية الحار في الثالثة معتدلا! وهذا كله تخبط". "والذي أوقعهم أولا في هذا التخبط إنما هو الرجل

المعروف بالكندي. وذلك أن هذا الرجل كتب مقالة أراد فيها أن يتكلم فى القوانين التى بها تعرف طبيعة الدواء المركب، فخرج إلى التكلم في صناعة العدد وصناعة الموسيقى، على جهة ما يعرض لمن ينظر في الشيء النظر الذي بالعرض. وأتى هذا الرجل فى ذلك الكتاب بهذيانات وشناعات، وجعل يقول إن نسبة الدرجات الأربع من درجات الأدوية هى نسبة الأضعاف، حتى تكون الدرجة الرابعة ستة عشر ضعفا". بمعنى أن الكندي جعل قوى الأدوية تزيد بالتركيب حسب متولية هندسية. وبعد أن يشرح تطبيق هذا على الأدوية ونتائجه يختم قائلا: "وهذا كله هذيان وخرافات وتكلم فى أشياء ليس لها وجود أصلا. ووجه غلط الكندي أنه جعل فى الدرجة الأولى ضعف ما في المعتدل من الكيفية الحارة أو الباردة، فلزمه أن يتبع نسبة الضعف. ولقائل أن يقول له: إن الذي قصده جالينوس بالدرجة الأولى هو ما يزيد على المعتدل جزءا من عشرة. وعلى هذا إذا تركبت نسبة الضعف في زيادة الدرجات ليس يلزم أن يكون الدواء الذي في الدرجة الرابعة ستة عشر ضعفا للمعتدل. وقد يدلك على هذا أن جالينوس قال: وأعنى بالدرجة الأولى ما يظهر للحس أول ما يظهر من تغير البدن. ولو كان يعنى بالدرجة الأولى ضعف المعتدل لم يكن التغير الذي يظهر في البدن أول تغير. فتأمل هذا فهو بين! ولكن عادة الناس إذا غلط رجل معروف أن يتبعوه لما غلب على طبائعهم من قوة التقليد" (كتاب الأدوية والأغذية ف: ١٣٧، ١٣٨، ١٤١).

د- الطب معظم مسائله لا يقين فيها، إنما هى مبنية على التخمين

سبق أن أبرزنا في "المدخل" عند تحليلنا لتصور ابن رشد لعلم الطب ومنهجه ونتائجه كيف أنه يعتبر علم الطب علما غير يقيني في كل ما يقرر، لكونه يأخذ بعض مسائله مما هو مشهور ومتراكم بواسطة الممارسة الطبية، ولأن التشريح الذي هو أحد مصادره كان قد دثر في عصره من التجربة، فلنختم بهذه الملاحظات التي يكررها ابن رشد مرارا، أن الطب يعتمد التخمين والظن والحدس في معظم المسائل. يقول بصدد وظائف أجزاء العين: **" فهذه منافع أجزاء العين على ما يراه جالينوس، وأكثرها كما ترى منافع حدسية وتخمينية".** (كتاب الصحة. ف: ٩٠). ويقول بصدد علامات الأمراض: "وبالجملة فجل هذه العلامات إنما هى حدسية تخمينية من جنس الأقاويل الظنية. ولذلك ما(=ما: زائدة) ينبغى أن يتحرى الاجتهاد فيها. فإذا غلب على ظنه شيء ما من ذلك استعمل أولا في ذلك لطيف العلاج، وذلك بحسب ما ظن فى المرض، فإن أنجح تمادَى وعلم أن الذي ظن صادق وإلا أعرض عن ذلك". (كتاب العلامات ف: ١٦٦). ومع هذا النقص في مساحة اليقين في

الطب فيجب مع ذلك أن نتابع العمل مع الأمل في أن التقدم سيحصل في المستقبل، يقول الحكيم ابن رشد: "ويشبه أن لا يكون في أيدينا من المقدمات ما نصل به إلى اليقين في كثير من هذه المطالب، لكن مع هذا ينبغي أن يقال في ذلك بحسب الطاقة: فإنه غير ممتنع أن تلوح هاهنا أشياء فيما بعد يمكن منها الوقوف على اليقين في كثير مما لا يمكننا نحن في زماننا هذا" (كتاب الصحة ف: ١١٢).

وبعد، فسيطول حجم هذه المقدمة أكثر مما ينبغي لو أننا رحنا نتتبع مناقشة ابن رشد لجالينوس ونستقصي ما أدلى به من آراء خاصة من اجتهاده. حسبنا ما قدمنا. فقد يكفي ذلك في إعداد القارئ لقراءة هذا الكتاب قراءة واعية. وقبل الانتقال إلى القسم الأخير من هذه المقدمة نرى من الضروري أن نسجل هنا أن المنطلقات التي انطلق منها الطبيب الفيلسوف ابن رشد في مناقشته لجالينوس هي منطلقات أرسطية في الغالب. وهذا واضح، وابن رشد صريح في ذلك. وهو إذ يفعل هذا فلأن مشروعه الذي يطمح إلى الارتفاع بالطب إلى مستوى العلم، كان يقتضي في نظره تأسيسه على "العلم الطبيعي" وجعله فرعا منه. وهذا ما هو حاصل الآن: فالطب فرع من العلوم الطبيعية. وفي زمن ابن رشد كان المرجع العلمي في "العلم الطبيعي" هو أرسطو. وكما هو معروف فأرسطو لم يكن فيلسوفا وحسب، بل كان في الدرجة الأولى عالما طبيعيا. وأما أبحاثه في "ما بعد الطبيعة" فإنما هي امتداد مباشر لأبحاثه في الطبيعة بمختلف ظواهرها وكائناتها. لقد كان المعهد الذي أنشأه، والمعروف بـ"الليكيوم" Lyceum (ومن هنا كلمة: الليسي)، يضم متحفا أمده تلميذه الإسكندر المقدوني الفاتح الكبير بعينات من النبات والحيوان من كل نوع، فانكب على دراستها وتسجيل ملاحظاته ونتائج ما قام به من تجارب ومقارنات في عدة كتب لعل أهمها بالنسبة لموضوعنا تلك التي تتناول عالم الحيوان. يقول مؤرخ العلم جورج سارتون: " إن الباحثين في علم الأحياء في عصرنا الحاضر لتغزوهم الدهشة —وهم ينظرون في كتب أرسطو المتصلة ببحوثهم— لوفرة ما يجدون فيها من تفصيلات، بل هم أشد دهشة لما يلقون فيها من سعة أفقه وتشعب نظره إلى الأمور؛ فقد اقتحم مجالات البحث الكبرى: من تشريح مقارن، ووظائف أعضاء، وعلم أجنة، وطبائع حيوان، وتوزيع جغرافي، أي بيئة جغرافية، وجمع الحقائق المتعلقة بكل من هذه الموضوعات، ثم وصفها وتناولها بالبحث واستنبط النتائج الفلسفية. أما الحقائق فكانت تنقح تبعا لتحسن أساليب المشاهدة والتجربة. وأما النتائج المستخلصة

منها فلم تزل تبدو –بأدوار– في أزياء شتى، ولا تزال لهذا العهد مقبولة عند جماعة من ذوي الاطلاع على علم الحياة".(١٥)

ولم يكن ابن رشد في مناقشته لجالينوس يضع نفسه في موقع الانحياز والدفاع عن أحد الخصمين، بل كان يضع نفسه خصما لجالينوس فيما كان يبدو له في آرائه مجانبا للصواب، إما لأن التجربة لا تؤيده، وإما لأنه مبني على تخمينات وقياسات تفتقد للصرامة المنطقية. وفي غير هذا وذاك لم يتردد في إعلان اعتماده كمرجع موثوق مع التنويه به تنويها لم يخص بمثله أحدا غير أرسطو. على أن فيلسوف قرطبة لم يكن مقلدا لأرسطو بل كان مجتهدا يبحث عن الحق من خلال ما يقوم به من ملاحظات وتجارب، وقد وظف ذلك في تطوير آراء أرسطو وتقريبها من وجهة نظر جالينوس عندما يكون هذا الأخير أقرب إلى الصواب، كما رأينا ذلك في مسألة أيهما يجب أن يعتبر مركزا للعمليات الفكرية: القلب أم الدماغ؟ وكما سيلاحظ القارئ من خلال تتبعه لأبواب الكتاب (التي سماها ابن رشد كتب) فإن صاحب "الكليات" لم يكن يعارض رأي جالينوس برأي أرسطو إلا في مسائل محدودة، أما في الأعم الأغلب فابن رشد يعبر عن معارضته لجالينوس وغيره بقوله: "أما أنا فأرى أن..."، أو بما أشبه هذه العبارة.

كتاب "الكليات" كتاب مجتهد. وهو كباقي كتب ابن رشد كتاب رأي ودراية لا كتاب نقل ورواية. إنه جزء من مشروعه الكبير، مشروع "التصحيح" الذي أبرزنا معالمه وطموحاته في مكان آخر فليرجع إليه.(١٦)

٨– تاريخ تأليف الكتاب ومناسبته

يجمع المهتمون بفهرسة كتب ابن رشد وتحديد تواريخها من الباحثين المعاصرين، مستشرقين وعربا، على أن تاريخ كتابة ابن رشد لـ "الصياغة الأولى" من هذا الكتاب هو سنة ٥٥٧هـ لا بعدها، مستندين في ذلك إلى كون ابن رشد ذكر صديقه الطبيب الكبير المشهور أبا مروان بن زهر ووصفه بقوله "**هذا المعاصر لنا**" (كتاب الشفاء ف : ٤٠)، ثم ذكره ثانية في آخر الكتاب وقال إنه استعار منه كتابه "التيسير" في جزئيات الطب ولم **يترحم عليه**، مما يدل على أن ابن رشد أنهى كتابه قبل وفاة أبي مروان سنة ٥٥٧هـ.

---

(١٥) جورج سارتون. **تاريخ العلم**. ج٣. نفس المعطيات المذكورة قبل . ص٢٥٣.
(١٦) محمد عابد الجابري. **ابن رشد: سيرة وفكر**. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ١٩٩٨.

ومن القرائن التي تلقي بعض الضوء على ظروف تأليف هـذا الكتـاب قول ابن رشد بصدد مقالات أرسطو في الحيـوان: "إنـه بعدُ لم يتـهيأ لنـا فـراغ لتلخيص تلك المقالات في كتاب الحيوان". (كتاب الصحة ف: ٧٨). هذا يعني أنه كتـب الصيغة الأولى من كتابه هذا (الكليات) قبل ٥٦٥هـ ، تاريخ تلخيص كتـاب الحيوان، وأنه كان منهمكا في تلخيص كتب أخرى لأرسطو. وبما أنه قال هـذا سنة ٥٥٧ هـ أو قبلها (عند كتابة الكليات) فإن شروعه في "تلخيص" كتـب أرسطو لا بد أن يكون قبل ٥٥٧هـ. وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من أن شـروعه في "تلخيص" كتب أرسطو بطلب من الأمير المتنور أبي يعقوب يوسف بن عبـد المؤمن بدأ بـ "الجوامع الصغار" التي كتبها سنة ٥٥٤هـ، وأن لقاءه الأول مـع هذا الأمير قد تم في تلك السنة أو قبلها[١٧].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن قوله بعد ذلك مباشرة "وأما بعـدُ، فقد تهيأ لنا. فمن أحـب أن يقـف على جميـع المسـائل الـتي فيـها الخـلاف بـين أرسطو وجالينوس فليقف على ذلك الكتاب" وهي عبارة لم ترد في مخطوطة مدريـد ولا في مخطوطة غرناطة التي نص فيها ناسخها أن الفراغ منها كـان سـنة ٥٨٣هـ فمعنى ذلك أنها، أعني العبارة المذكورة، قد أضافها ابن رشد بعد هذه السنة.

ومن جهة ثالثة هناك قول ابن رشـد : "وقد بينـا هـذا في تلخيص كتاب الحميات لجالينوس" (كتاب العلامات ف: ١١٣)، وهذا يفيد أن هـذه العبـارة قـد أضيفت سنة ٥٨٩هـ أو بعدها، سنة الفراغ من "تلخيص كتـاب الحميـات لجالينوس" (وقد أرخ الفراغ منه بـ "يوم الأربعاء عقب المحرم سنة تسع وثمانين وخمسمائة")[١٨]. وهذه العبارة لم ترد في مخطوطة غرناطة ولا في مخطوطة تركيا. ومعنى ذلـك أن النسخة الأخيرة من الكليات ترجع إلى السنة المذكورة على الأقل.

ولاشيء في نظرنا يبرر اعتبار الإضافات والإحالات التي تنفرد بها نسـخ وتخلو منها أخرى دليلا على أن ابن رشد كان يحرر بنفسه في كل مرة نسـخة كاملة من "الكليات". بل نحن نرجح أن يكون ابن رشد يكتب تلك الإضافـات والإحالات والتعديلات على حاشية النسخة الأولى، ثم ينسخ الناسخ -المشـتغل معه- النسخة نفسها ويضيف إلى المتن الأصلي العبارات الموجودة على الحاشـية.

---

(١٧) نفسه ص ٤٥ وما بعدها.
(١٨) تلخيص كتاب الحميات ضمن "تلخيصات ابن رشد لجـالينوس" " المعـهد الإسباني العربـي للثقافة. مدريد ١٩٨٤ص ١٩٩، والمعنى الذي يشير إليه ابن رشد أعلاه يقع في ص ١٩٥.

ثم يراجع ابن رشد هذه النسخة ويضيف عبارات على حاشية هذه، وهكــــذا. دليلنا على هذا العبارة التي ذكرناها قبل والتي يقول فيها ابن رشــد: "فإنـه بعد لم يتهيأ لنا فراغ لتلخيص تلك المقالات في كتاب الحيوان. وأما بعدُ، فقد تـهيأ لنـا..." . نحن نرجح أن يكون قوله: "وأما بعدُ، فقد تهيأ لنا" قد ورد في حاشية نســخة سابقة ثم أدرجه الناسخ في متن النسخة اللاحقة. ذلك أنه لو تعلق الأمر بنســخة جديدة حررها ابن رشد لكان استغنى عن تلك العبارة والاستدراك عليها واكتفى بقوله: "فمن أحب...".

ومهما يكن فجميع القرائن تشهد بأن الصيغة الأولى لكتاب "الكليــات" ترجع إلى أوائل عهد ابن رشد بالتأليف وأنه ظل يراجعه إلى أواخر حياته العلميــة (من سنة تأليفه له ٥٥٧هـ إلى سنة ٥٨٩هـ أي قبل محنته بثــلاث ســنوات وقبل وفاته بخمس سنوات، وربما يكون قد راجعه بعد تلك السنة أيضــا). وإذا نحن لاحظنا أن الفترة التي تمتد من ٥٥٤ هـ -تاريخ فراغـه مـن "الجوامـع الصغار"- إلى ٥٥٨ هـ لم تشهد ظهور أي كتاب لفيلســوفنا، جــاز لنــا أن نستنتج أن ابن رشد كان مشغولا في هذه المدة بتأليف كتاب "الكليات"، وبالتالي فمشروع هذا الكتاب يندرج ضمن مجموعة مؤلفاته الأولى التي اقتصر فيها علــى ما سماه بـ"الضروري من الأقاويل العلمية". ومن هذه الزاويــة يبـدو كتابـه "الكليات" بمثابة "الضروري في الطب" الذي يتضمن الأقاويل العلمية وحدها.

تبقى مناسبة هذا الكتاب. وهنا نعرض لـ**"مقدمة" الترجمة اللاتينية** لكتاب "الكليات". وإذا كان المضمون العام لهذه المقدمة ينسجم تمامــا مــع مضمــون "المقدمة" الواردة في جميع المخطوطات العربية التي بين أيدينا، فإن هناك ثــلاث ملاحظات لابد من تسجيلها هنا:

أولاها أن "مقدمة" الترجمة اللاتينية أقل تركيزا ونضجا، وأفقر مضمونــا، بالمقارنة مع المقدمة الواردة في النسخ العربية المتوافرة لدينا، فهي تنتمي بدون شك إلى المرحلة الأولى من حياة ابن رشد العلمية، وبالتــالي فنحــن نرجــح أنهــا "المقدمة" التي كانت تتصدر الصياغة الأولى التي قلنا إنها ترجع إلى ما بــين ٥٥٤ و٥٥٧هـ.

والملاحظة الثانية تخص ما ورد فيها من تفصيل لمضمون أبــواب الكتــاب (التي سماها ابن رشد كتبا). فليس من عادة ابن رشد التعرض لمضمــون فصــل كتبه، هذا فضلا عن أن هذا التفصيل الذي نقرأه في هذه المقدمة يتناقض مع مــا

قرره ابن رشد فيها من أنه لن يعدد أجزاء تلك الأبواب مضيفا قوله: "وأما ذو الفطرة السليمة [المعدة] لتمييز الأشياء فإنه سيقدر أن يتعرف في جزء جزء من هذا الكتاب الأشياء التي بمنزلة الجنس والتي بمنزلة النوع وأن يفرق بين شيء وآخر. ومن أحب أن يقسم أجزاء هذا الكتاب [على غير ترتيبنا هاهنا] إلى أقسام صغرى أو إلى فصول فليفعل ذلك وليسمها كما يحب". وإذا نحن غضضنا الطرف عن الصياغة الجميلة التي تقترب جدا من أسلوب ابن رشد والتي عملها مترجم هذه المقدمة(*)، أمكننا أن نرجح أن ما ورد فيها من تفاصيل حول مضمون أبواب الكتاب هو من وضع المترجم الذي نقل الكتاب إلى اللاتينية، وكأنه عمل بـ"ترخيص" ابن رشد الوارد في آخر الفقرة السالفة. ومما يزكي هذا الافتراض الذي نفترضه كون بعض المترجمين اللاتين كانوا يلخصون مقدمة المؤلف العربي ويدخلون هذا التلخيص في المقدمة التي يكتبونها(١٩).

أما الملاحظة الأخيرة والأهم فهي تخص الفقرة الأولى من هذه المقدمة اللاتينية والتي يقول فيها ابن رشد إنه كتب هذا الكتاب (الكليات) بطلب من أحد الأمراء يذكر اسمه كما يلي: Audelach Sempse amirelmomini وهو اسم فيه تحريف كما لا يخفى، كما يذكر أن فيلسوفين (أو حكيمين) هما اللذان أشارا على هذا الأمير بتكليف ابن رشد بتأليف كتاب في الطب، وهذان الفيلسوفان ورد اسمهما محرفان هكذا: Avofait و Avenchalit. والغالب على الظن أن الأول منهما هو ابن طفيل، أما الثاني فقد يكون "ابن خالد". أو "ابن شهيد" ولم نهتد إلى هويته. أما بصدد الشخصية التي طلبت هذا الكتاب من ابن رشد فأمرها أشبه باللغز. ونحن نرى أن فك هذا "اللغز" يتطلب الانطلاق من المعطيات التالية:

١) إن هذه الشخصية التي كلفت ابن رشد بتأليف الكتاب لا بد أن تكون ذات علاقة مباشرة بـ "أمير المؤمنين" تعبر عنها الكلمة المحرفة Sempse، ولا

(*) يجد القارئ نص هذه المقدمة بالعربية بعد مقدمة التحقيق، وهي من ترجمة أحمد محفوظ.

(١٩) انظر مقالة تشارلز بيرنيت بعنوان "حركة الترجمة من العربية في القرون الوسطى في إسبانيا". فقد ورد فيها أن المترجم الشنتالي هوغو (Hugo of Santalla) "سلك في ترجماته مسلك سلفه في جنوبي إيطاليا المترجم قسطنطين الافريقي، فكان يلخص مقدمة المصنف العربي الأصيل للكتاب ويدخل التلخيص في المقدمة التي يكتبها هو حتى ليكاد يتعذر على المرء أن يميز بين عبارات المصدر الذي أخذ منه المترجم وبين عبارات المترجم نفسه". أنظر مرجعه في هذا الشأن في هوامش مقالته، ضمن: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**. كتاب جماعي بإشراف الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ديسمبر ١٩٩٨. ج٢. ص ١٤٥١.

يمكن أن تكون هذه الكلمة تحريفا لـ "يوسف" (الأمير صديق ابن رشد: الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن) لأنه لا شيء يفسر عدول ابن رشد في مقدمة النسخ العربية المتوافرة عن ذكر اسم هذا الأمير/الخليفة، والد الخليفة المنصور، بينما نجده يحتفظ في مقدمات كتبه الأخرى بالإشارة إلى الجهة التي طلبت منه الكتاب: نجد ذلك مثلا في كتابه "شرح أرجوزة ابن سينا" وفي المقالة المعرفة بـ"الضميمة" لـ "فصل المقال"، وأيضا "مختصر كتاب السياسة لأفلاطون" الخ.

٢) و بما أن أسلوب ابن رشد في هذه المقدمة اللاتينية أقل تركيزا ونضجا فلا بد أن تكون النسخة التي وردت فيها تنتمي إلى أوائل عهده بالتأليف كما سبق القول، وبالتالي لا بد أن يكون تاريخ كتابتها قبل وفاة ابن طفيل بطبيعة الحال وبعد أن بدأ علاقته مع البلاط الموحدي (التي بدأت سنة ٥٤٨هـ على أقل تقدير). كل ذلك يرجح أن المقدمة اللاتينية هي مقدمة النسخة الأولى من الكليات أي أنها كتبت سنة ٥٥٧هـ، أو قبلها.

٣) والأهم من ذلك كله أنه لابد وأن يكون هناك مبرر معقول يفسر عدول ابن رشد عن ذكر اسم تلك الشخصية التي أرادت منه أن يؤلف هذا الكتاب، وبالتالي اضطراره إلى تغيير المقدمة.

وبناء على هذه المنطلقات يمكننا أن نرجح ترجيحا قويا أن تكون الشخصية الموحدية التي طلبت من ابن رشد تأليف كتاب "الكليات" هو: أبو عبد الله محمد بن الخليفة عبد المؤمن وولي عهده، وبالتالي فالاسم الوارد باللاتينية محرفا هكذا: Audelach Sempse amirelmomini قد يكون أصله العربي: "أبو عبد الله **سبط** أمير المؤمنين"(أو شبل؟) وبالتالي يمكن ترجمة الفقرة الأولى من "مقدمة" الترجمة اللاتينية كما يلي: "عندما ورد على الأمر العالي من السيد الأجل أبي عبد الله سبط[٢٠] أمير المؤمنين الذي أشار عليه الفيلسوفان (الحكيمان) ابن طفيل وابن خالد (أو ابن شهيد؟) بأن أضع كتابا في الطب ...." [٢١].

---

(٢٠) السبط، والجمع أسباط وسبطان :" قيل الأولاد، وقيل أولاد الأولاد، وقيل أولاد البنات". (لسان العرب). ومع أن الشائع هو استعمال هذه اللفظة في معنى ولد البنت (في مقابل الحفيد) فقد استعملت أيضا بمعنى الابن. فمن الجائز جدا أن يكون ابن رشد قد استعمل "سبط" بدل ابن لأنها أليق بالمقام. وكثيرا ما تستعمل هذه اللفظة في مثل هذا السياق: سياق الحديث عن صاحب مقام. ومن الجائز كذلك أن يكون المترجم اللاتيني قد اعتقد أنها اسم علم.

(٢١) اعتمدنا هنا الترجمة الفرنسية للفقرة التي أمدنا بها المنسق العام للمشروع أحمد محفوظ. انظر ترجمته للنص الكامل للمقدمة المشار إليها بعد مقدمة التحقيق. أما الفقرة المذكورة بالفرنسية =

ومعلوم أن عبد المؤمن كان قد أسند ولاية العهد لولده أبي عبد الله محمد هذا سنة ٥٤٩هـ(٢٢)، وأن ابن طفيل كان قد التحق بالبلاط الموحدي قبل ذلك ببضع سنين إذ كان كاتبا (أو وزيرا) بغرناطة لأبي سعيد ابن عبد المؤمن الذي عينه والده في السنة نفسها واليا في غرناطة ،ليلتحق -ابن طفيل- بعد ذلك بأبي يوسف الذي عينه والده عبد المؤمن واليا على اشبيلية في السنة نفسها (أوفي ٥٥١؟). ومعلوم كذلك أن ابن طفيل قد جمع حول الأمير يوسف عددا من العلماء والفلاسفة من بينهم ابن رشد(٢٣).

هذا من جهة، ومن جهة أخرى معروف أن الأمير أبا محمد استمر وليا للعهد إلى أن أمر عبد المؤمن بإسقاطه ٥٥٨هـ قبل وفاته بأيام، وتعيين ابنه يوسف مكانه. وهذا ما يفسر في نظرنا عدول ابن رشد عن تلك المقدمة التي ورد فيها اسم الأمير المخلوع، الذي انتشر خبر سوء أخلاقه(٢٤)، وبالتالي كتابة مقدمة أخرى لِـ"الكليات" لا تتناقض مع المنزلة الرفيعة التي كانت له لدى أبي يعقوب يوسف، سواء قبل توليه الملك أو بعد ذلك.

تلك مجرد حدوس وتخمينات. والشيء الأساسي الثابت هو أن ابن رشد راجع كتابه عدة مرات واستمر يراجعه إلى أواخر عمره، عندما كان منصرفا إلى تلخيص مؤلفات جالينوس. ومع ذلك فإذا نحن أخذنا بعين الاعتبار الفهرس المفصل الذي ورد في المقدمة اللاتينية، بوصفه يلخص مضمون الصياغة الأولى لـ "الكليات"، فقد يمكن القول إن ابن رشد لم يغير من مضمون الكتاب وأن الإضافات والتعديلات كانت جزئية. وبناء عليه تكون الترجمة اللاتينية التي وردت فيها هذه المقدمة قد أضافت إلى هذه الصياغة الأولى ما ورد في النسخ

Lorsque m'a été transmise la volonté issue d'un noble précepte de la part du noble : فهذا نصها =
seigneur Audelach Sempse à mirelmomini / amirelmomini du Maroc, sur le conseil de ses deux philosophes Avofait / Avosait et Avenchalit, et qu'il m'eût poussé à composer un livre dans lequel serait contenu l'ensemble de la science médicale en arabe...

(٢٢) انظر تفاصيل عن هذا الحدث في : محمد عبد الله عنان. عصر المرابطين والموحدين في الأندلس. لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. ١٩٦٤. القسم الأول.ص٣٣٦.

(٢٣) محمد عابد الجابري. ابن رشد : سيرة وفكر. نفس المعطيات السابقة.

(٢٤) يذكر عبد الواحد المراكشي أن سبب خلع هذا الأمير هو :"ما كان عليه من أمور لا تصلح معها الخلافة، من إدمان شرب الخمر واختلال الرأي وكثرة الطيش وجبن النفس. ويقال إنه مع هذا كان به ضرب من الجذام". المعجب في تلخيص أخبار المغرب. دار الكتاب. الدار البيضاء. ١٩٧٨. ص٣٤٤. هذا ويجعل ابن الواحد المراكشي تعيين أبي يوسف مكان محمد بعد وفاة عبد المؤمن مباشرة، وذلك من طرف شيوخ الموحدين الذين خلعوه للأسباب المذكورة.

الأخرى المتأخرة من إضافات، وبذلك صارت أوفى وأكبر حجما. ومن المرجح أن المترجم اللاتيني قد استعمل في ترجمته جميع أو معظم النسخ التي عليها تعديلات ابن رشد، حرصا منه على أن يقدم في ترجمته أكمل نص لكتاب "الكليات". (أنظر افتراضات أخرى للباحثين الأوروبيين حول هذه المسألة في مقدمة التحقيق أسفله).

مقدمة التحقيق

بقلم **أحمد محفوظ**
منسق المشروع (*)

إشكال البحث في كتاب الكليات

لما وضع ابن رشد كتابه *الكليات في الطب* ظل على مر السنين يراجعه ويصححه ويحذف منه أشياء ويضيف أخرى بحسب تطور معارفه وأفكاره حتى توفي وهو مطمئن إلى صيغة نهائية تمت على يده لهذا الكتاب. وفي أيدينا اليوم خمس نسخ عربية من هذا الكتاب ونسخ عبرية ولاتينية كثيرة. ولما نقف عليها فإنا نجد ما حذف في نسخة منها لم يحذف في أخرى، وما أضيف أو صحح في واحدة منها لم يضف ولم يصحح في أخرى، وما أضيف أو صحح في نسخة سابقة ساقط في نسخة لاحقة، وما ثبت من كلام ابن رشد في ترجمة لاتينية لا أثر له في النسخ العربية، وما ثبت من كلامه في ترجمة عبرية بعض منه في نسخة عربية وبعض آخر في نسخة لاتينية، الخ.؛ ثم ما أضيف من كلام ليس بكلام ابن رشد في نسخة عربية أو في ترجمة عبرية أو لاتينية تنفيه نسخ وتتبناه أخر، وما حذف من كلام ابن رشد بيد ناسخ أو مترجم ما في نسخة ما نقف عليه في نسخ أو ترجمات أخرى؛ وقد تصحح نسخة متقدمة نسخة متأخرة، والعكس، وقد يثبت المترجم اللاتيني كلام ابن رشد الأصلي ويجهله الناسخ العربي تماما، الخ. وهكذا فنحن إذن أمام صعوبة كصعوبة لعبة القطع المشتتة المبعثرة التي يفترض أن تكمل بها الصورة (أو الصيغة النهائية) يوما ما، وليس يقف الأمر عند هذا الحد، بل قد أضيفت إليها قطع خادعة لا تمت إلى الصورة بصلة وضاعت قطع أصيلة من صميم الصورة.

إذا ما نظرنا في كل ما يسكن وراء هذا الإشكال من ظروف تاريخية

(*) تولى الباحث مراد محفوظ عملية تحقيق المتن مع مساعدين.

وسياسية، وقضايا علمية وفلسفية، وأمور لغوية ومنهجية، لتبين لنا أولا أن الدقة العلمية في تحقيق وضبط هذا الكتاب تقتضي أن لا يطمئن الباحث فيه إلى نتائج عمله إذا كانت وسائله المنهجية والمعرفية محدودة. فنص هذا الكتاب كما صححه ونقحه وأتمه ابن رشد نفسه لا يوجد كما هو مثبتا في مخطوط واحد وبلغة واحدة وفي ثقافة واحدة، بل هو موزع بين عدة نصوص ولغات وثقافات.

هذا مشكل أول يتعلق بضبط مادة الكتاب، ويقتضي حله أن تنسق للاشتغال فيه عدة تخصصات أو معارف منهجية ولغوية وتاريخية. ثم يرتبط به مشكل ثان يتعلق بضبط الأفكار المتضمنة في الكتاب، ويقتضي هذا معرفة عميقة بفكر ابن رشد وتطوره، ومعرفة دقيقة لتاريخ النظريات والمفاهيم الطبية منذ ما قبل أرسطو، وذلك ليستخرج من جميع النسخ العربية واللاتينية والعبرية ما يمكن أن يكون الصيغة النهائية لكتاب *الكليات*. فهذه الأدوات النظرية الفكرية من شأنها أن تعزز الأدوات اللغوية والمنهجية والتاريخية، فيصبح من الممكن أن يميز الباحثون ما قاله ابن رشد مما قوله إياه النساخ والمترجمون.

إن صعوبة الوقوف على أصل الزيادات والحذف والفروق الكبرى والتصحيحات الكثيرة التي ثبتت في جميع النسخ والترجمات ترجع إلى عامل آخر وهو موضوع الكتاب نفسه: الطب. فكثير من الملاحظات والتجارب في ميادين مثل التشريح والأدوية والأغذية ظلت تدون منذ العهود الإغريقية والرومانية وتنتقل من عصر إلى آخر ومن حضارة إلى أخرى بنفس اللغة ونفس الترتيب. وفي كتب الطب العربي نقف في مواضع كثيرة منها على عبارات ونصوص مطابقة تتكرر حرفا ولفظا عند مؤلفيها. ففي قسم التشريح من كتاب *الكليات* لابن رشد مثلا نقرأ جملا وفقرات هي نفسها بالحرف في كتب الرازي والمجوسي وابن سينا والزهراوي، – نقول هذا وإن كان ابن رشد قد صرح بنفسه بأنه لن يأتي بجديد في موضوع التشريح وأنه سيكتفي بنقل أقوال القدماء من الأطباء فيه.

يصعب إذن فيما يتعلق خصوصا بهذا النوع من المعطيات أن نقر بأن هذه الزيادات أو الفروق هي من عند ابن رشد نفسه أو من عند الناسخ أو من قارئ يراجع نسخة الناسخ، أو من عند المترجم أو ممن يراجع نسخة المترجم، ويزيد المسألة تعقيدا كثرة الخطوط المختلفة في النسخة الواحدة وهي أقلام نساخ ومراجعين لا نعرف شيئا عن هويتهم.

ولكن، لا شك أن معرفة تطور فكر ابن رشد وتاريخ قراءاته لكتب القدماء قد يساعد نسبيا في حل هذه المشاكل. فالزيادات والفروق التي وردت في

إطار تعزيز أو تصحيح فكرة أو نظرية فلسفية، والتي نقف فيها على تطور ابن رشد في مراجعة نسخته حيث يأتي كل مرة بتأويلات وشروح جديدة يستقيها خصوصا من العلم الطبيعي وعلم المنطق، هي عموما فروق ونصوص يمكن في أغلب الأحيان التحقق من أصلها الرشدي إذا تضلع الباحث فيها من معرفة فلسفة ابن رشد واشتغل في جميع مؤلفاته، خصوصا الشروح منها. ومن المفيد كذلك معرفة تاريخ قراءاته وتآليفه إذ نقف، في مراجعته لنسخته، على كثير من الفروق (حذف أو زيادات أو إحالات) التي يتزامن موضوعها مع أحد تآليفه أو شروحه المعتنية بذات الموضوع. ولا يصعب الأمر في هذه الحالات إلا إذا كانت النصوص المضافة في المتن -أو في الهامش- منقولة حرفا من مؤلفاته الأخرى، إذ يهون على كل ناسخ أو مترجم له بعض الدراية أن يقحم بنفسه نصا ما في الموضع الذي يناسبه. ولكن هذا المشكل حسب اطلاعنا لم يطرح إلا في حالة واحدة، وهي الزيادة التي وردت في بداية فصل حاسة البصر في كتاب المرض من النسخة اللاتينية (طبعة ١٥٦٠ بالبندقية، ورقتا ٤٨ ظهر-٤٩ وجه، حوالي ٣٥ سطرا)، وهي منقولة حرفا من كتاب *الحس والمحسوس* ويرد في آخرها ما معناه: ومن أراد أن يقف على ذلك فلينظر في كتاب *الحس والمحسوس*. وهذه الحالة، كما سنرى فيما بعد، هي بعض من آثار ترجمة جوامع الحس والمحسوس، الذكر والتذكر... (*Parva naturalia*) في نسخة بوناكوسا اللاتينية التي تزامنت ترجمتها مع ترجمة هذه الجوامع (القرن الثالث عشر).

إن البحث في كل هذه الفروق والإضافات والتداخلات والتنافرات بين النسخ يصل بنا، في حدود الوسائل المنهجية والمعرفية المتوفرة، إلى الإقرار بأن نسخة بيتيرسبورغ العربية، وسيأتي الكلام فيها لاحقا، هي أقرب إلى الصيغة النهائية لكتاب *الكليات* بالمقارنة مع النسخ العربية الأخرى؛ وأن نسخة بوناكوسا اللاتينية، الآتي ذكرها، تمثل عموما النص الأكمل أو الأقرب من الصيغة النهائية، ففيها إضافات كثيرة وتصحيحات أخرى لا شك أنها من عند ابن رشد ولا أثر لها في النسخ العربية ولا العبرية. وإذا نظرنا إلى ما صحح وأضيف في النسخ العبرية ولا أثر له في غيرها، أو ما ثبت في النسخ العربية دون غيرها، لصار من الممكن -بعد أن نقصي في هذا وذاك ما هو من فعل النساخ والمترجمين- أن نتصور أن نسخة *الكليات* المتضمنة صيغته النهائية قد ضاعت وفقدت، أو أن نتصور نسخا أخرى عربية أو أجزاء منها تضمنت التصحيحات والإضافات التي ثبتت ترجمتها في العبرية واللاتينية وقد ضاعت، وفي هذه الحالة ستكون الصيغة

النهائية مراجعات وتصحيحات أدرجها ابن رشد هنا وهناك في نسخ مختلفة كان يرجع إليها.

نقف عند هذا الحد في عرض إشكال البحث في كتاب *الكليات* لنسير إلى وصف المخطوطات العربية والنسخ العبرية واللاتينية ونقف على مظاهر هذا الإشكال فيها. ولا بد أن نشير قبل ذلك إلى أنه من الدراسات النادرة والجيدة التي نبهت على هذا الإشكال وحاولت رصد مواقعه مقال الباحث الألماني هيلموت جيتيي:

Helmut Gätje: " Probleme der *Colliget*-Forschung ", *Zeitschrift der Deutsche Morgenländischen Gesellschaft*, 130 (1-2), 1980, 278-303.

المخطوطات العربية

نعرض هاهنا أولا الأقسام (أو الكتب أو الأبواب) التي يتضمنها كتاب *الكليات* مع عناوينها حتى يتتبع القارئ إحالاتنا عليها فيما يلي:

- الكتاب الأول: كتاب التشريح
- الثاني: كتاب الصحة
- الثالث: كتاب المرض
- الرابع: كتاب العلامات
- الخامس: كتاب الأدوية والأغذية
- السادس: كتاب حفظ الصحة
- السابع: كتاب شفاء الأمراض

إن عدد المخطوطات العربية التي وصلت إلى أيدي الباحثين في هذا القرن ستة، وقد ضاع واحد منها في ظروف غامضة:

مخطوط حيدرآباد

اطلع على هذا المخطوط بعض الباحثين في حوالي سنة ١٩٣٠ وفقد منذ ذلك الحين. لم نقف على معلومات مفصلة عنه، وفي قاموس مانفريد أولمان Manfred Ullmann إحالة مقتضبة عليه.

مخطوط غرناطة

دير الجبل المقدس Abadia del Sacro-Monte، رقم ٤؛ ٢٢٧ صفحة، ٢٧ سطرا/صفحة.

إنه أشهر مخطوطات *الكليات* للأسباب التي سنرى. فهو أقدم نسخة

للكتاب، خلا منها ناسخها عيسى بن أحمد بن محمد بن قادر الأموي القرطبي في ٥٨٣ هـ /١١٨٧ م، أي في وقت كان ابن رشد ما زال فيه على قيد الحياة. وقد شاع خطأ -خصوصا في الأوساط الإسبانية- بأن ابن رشد قد راجعه بنفسه. ومصدر هذا الانطباع ما وقع من ربط بين كون هذه المخطوطة نسخت في تاريخ شهد ابن رشد حيا وبين فهم ما للعبارة التالية الواردة في آخر المخطوط: "بلغت مقابلة بكتاب مؤلفه الشيخ الفقيه القاضي (...) بن رشد". ولما زار المستشرق الراهب آسين بلاثيوس دير الجبل المقدس في غرناطة عثر فيه على هذا المخطوط، فوضع فهرسا لجميع مخطوطات الدير، وسجله تحت رقم ١، ونشر فهرسه في ١٩١١ M. A. Palacios, "Noticia de los Mss. arabes del Sacro-Monte de Granada", *Revista del Centro de Est. Hist. de Granada y su reino*, Granada, 1, 1911, 249-277؛ وقد كان هذا المخطوط قبل ذلك موضوع نزاع معقد بين أسرة كانت تمتلكه ورهبان الدير الذين ظلوا يطالبون به حتى استرجعوه، ويهمنا من ذلك أن امتلاك هذه الأسرة له أنقذه من بعض التلف بعد أن قضى أكثر من قرنين في سراديب قرب نهر حدرو بغرناطة تغزوها الرطوبة من كل جانب. وفي سنة ١٩٣٩ أعدت طبعة بالتصوير الشمسي لهذه النسخة تحت إشراف مؤسسة الجنرال فرانكو للأبحاث العربية الإسبانية، بالعرائش (المغرب). وتضمنت مقدمة وضعها ألفريد البستاني أستاذ الآداب العربية في معهد الدراسات المغربية بتطوان، وفهارس علمية للكتاب، وتولى الإسباني كريستوبال بيريث فيرا، مراقب أملاك الدولة في الناحية الغربية من منطقة حماية إسبانيا في المغرب، ترجمة المقدمة والمصطلحات العلمية إلى الإسبانية.

اعتمد الأستاذان خوصي ماريا فورنياس J. M. Forneas وكاميلو آلباريث دي موراليس C. A. de Morales في تحقيقهما كتاب *الكليات* مخطوط غرناطة الأصلي كنسخة أم، وصدرت طبعتهما في غرناطة في ١٩٨٧ (انظر معطيات المرجع تحت فقرة "الطبعات")؛ وأما تحقيق *الكليات* الذي أنجزه الأستاذان سعيد شعبان وعمار الطالبي بجامعة الجزائر، والذي صدر في ١٩٨٩ (اصطلحنا على هذه النشرة بطبعة الجزائر. انظر معطيات المرجع تحت فقرة "الطبعات")، فقد اعتمد فيه المحققان النسخة المصورة التي أصدرها معهد الجنرال فرانكو. هذه النسخة المصورة، التي نشرت فأصبح معها من الممكن الاطلاع على نص *الكليات* قبل تحقيقه وطبعه ومن دون مشاكل الحصول على النسخة الأصلية، أخلت في الواقع ببعض الدراسات التي اعتمدتها في موضوع الطب عند ابن رشد إذ

انتقلت إليها هفواتها وأخطاؤها الكثيرة وفوتت عليها كل ما لم يثبت فيها من تصحيحات ومراجعات قد ثبتت في النسخ الأخرى. ويضاف إلى هذا أن جميع أو أغلب الهوامش المثبتة في مخطوط الدير الأصلي جاءت مطموسة أو ساقطة من هذه النسخة المصورة.

قبل أن نصف المخطوط الأصلي بالمقارنة مع المخطوطات الأخرى الآتي ذكرها، لا بد أن نشكر هاهنا أستاذنا خوصي ماريا فورنيـاس بكلية الآداب بغرناطة الذي بذل جهودا كبيرة وظل شهورا طويلة يلح على رهبان دير الجبل المقدس لسماحهم لنا بالحصول على نسخة من المخطوط الأصلي. وعند حصولنا على هذه النسخة فإن كثيرا من الهوامش الطويلة والمهمة صارت للأسف مطموسة بسبب ما عرا المخطوط في السنوات الأخيرة من رطوبة وتلف في كثير من المواضع.

مخطوط غرناطة منسوخ بخط مغربي أنيق، وهوامشه وإن كان جلها ساقطا أو مطموسا فإنها -بخلاف المخطوطات الأخرى- تبدو قد كتبت في أغلب الأحيان بيد ناسخ المتن نفسه. فيه كثير من الأخطاء اللغوية وقليل من السهو، وإشارات عديدة لا تظهر هوامشها، ومتنه الكامل أوجز متن. واشتهرت هذه النسخة بأنها القاعدة أو النص الأصلي لكتاب *الكليات*، فحظيت بثقة كبيرة واعتمدت أكثر من غيرها. ولكن في واقع الأمر لا شيء يسمح بالإقرار بذلك. فإن كان المقصود بذلك أنها النسخة الأقرب إلى الصيغة التي أرادها ابن رشد لكتابه هذا فذلك طبعا غير صحيح، فالمؤلف قد راجع وصحح كثيرا مما جاء في هذه النسخة وقد ثبت في النسخ الأخرى؛ وإن كان المقصود بذلك أنها تمثل الصياغة الأولى لهذا الكتاب (بكل ما فيه من أخطاء أو آراء تراجع عنها المؤلف فيما بعد) فذلك لا يزيد في قيمتها العلمية، وإنما ستكون قيمتها بالأحرى منهجية حيث يمكن مقارنتها مع باقي النسخ لتتبع واكتشاف أصل المعطيات التي صححها أو حذفها ابن رشد فيما بعد.

مخطوط بيتيرسبورغ (لينينغراد سابقا)

مكتبة بيتيرسبورغ، رقم ١٢٤؛ ١٥٩ ورقة، ٢٦ سطرا/ورقة.

فرغ الناسخ منه في سنة ٦٦٩ هـ/ ١٢٧٠ م. هذه نسخة جيدة، فخطها أوضح وإن لم يكن في غاية الأناقة، وهو خط مغربي، وصفحاتها كاملة وسليمة في الغالب، ولا تكثر فيها الأخطاء اللغوية، بل نقف فيها عموما على فروق في اللغة والمحتوى تدل على أن لناسخها دراية لغوية متميزة ومعرفة دقيقة بمواضيع

الكتاب. فهي تعد النسخة العربية الأكمل، ولا ينافسها في تفوقها من حيث ما ترجحه من فروق ومعان سوى قطعة مخطوط جوتنجن الآتي ذكرها.

وهذه النسخة متنها أطول متون النسخ العربية. وفائدتها الكبرى تكمن في كونها تضمنت القسط الأوفر من الزيادات والتصحيحات والمراجعات التي يرجح أن يكون ابن رشد قد وضعها بنفسه. ولا تفضلها في ذلك سوى نسخة بوناكوسا اللاتينية، التي هي أطول جميع النسخ. من عيوب نسخة بيتيرسبورغ التضبيب الذي عراها في الجزء العلوي في كثير من ورقاتها، وكذلك بعض الترميمات التي طمست بعض الهوامش. وأما عيبها البالغ فإنه يتمثل في ضعف فروقها ومصطلحها وتعابيرها الواردة في قسم الأدوية والأغذية. في الواقع، هذا القسم من الكتاب عرا جميع النسخ فيه كثير من الأخطاء، وتضاربت فيه الفروق إلى حد كبير، فكان تحقيقه وضبطه أصعب من تحقيق الأقسام الأخرى. ولعل ذلك راجع إلى أن هذا الباب من *الكليات* قد تضمن كثيرا من المصطلحات التقنية والأسماء الغريبة في لغة الأعشاب وغير ذلك، وكان تداول هذه الأسماء محصورا في الأندلس وبلاد المغرب، حيث طبعتها لهجات محلية سواء كان أصل الاصطلاح فيها عربيا أو عجميا. وهذا الإشكال لم يصب النسخ العربية فقط، بل أصاب كذلك النسخ العبرية فجاءت أسماء الأدوية والأغذية فيها نادرة تختلف بحسب كل نسخة، ولذلك كانت إحدى نسخ ترجمة يعقوب بن قحطان في موضوع الأدوية والأغذية تحتوي على أسماء ومصطلحات مطبوعة بلهجة الوسط القروي الذي كان ينتمي إليه ناسخ الترجمة، كما سيأتي ذكر ذلك. ويضاف إلى هذا أن طرق وصف الأدوية والأغذية وأفعالها ليست كذلك من المعارف التي كانت ترسخ بسهولة في أذهان النساخ. بينما كان مخطوط تركيا أحسن حالا في هذا القسم من الكتاب، وليست عندنا معطيات لتبرير ذلك.

وقفنا في هذه النسخة على ورقتين أدرجتا في كتاب حفظ الصحة وهما ليستا من حجم ورقات النسخة، وثبت فيهما نص سورة التغابن تحت عنوان: "سورة التغابن مكية ثمان عشرة آية"؛ وورقة أخرى في كتاب العلامات ثبت فيها نص عنوانه: "من جوامع المقالة الأولى من الأعضاء الآلمة"، وكل هذه الصفحات جاءت بخط مغاير، ولا تحيل على شيء يفيد مصدرها، ولم نهتد إلى معنى ما لمحلها في سياق هذا الكتاب. وربما ليس هذا إلا بعض مما هو حاصل من تداخل وتراكم في عدد هائل من المخطوطات العربية المكدسة في المكتبات العالمية، والتي لم تحظ بعد بمشروع فهرسة علمية واسعة ومنظمة ليكشف ما

تتضمنه من نصوص قديمة نحسبها مفقودة أو من نصوص منسوبة إلى غير اسم مؤلفها كما حصل مثلا، فيما يعنينا هنا، مع مخطوط *الكليات* بمكتبة جوتنجن الذي ما زال مسجلا تحت عنوان "كتاب في الطب لعلي بن العباس المجوسي".

ما تجدر الإشارة إليه كذلك هو أن التصحيحات والإضافات التي ثبتت في مخطوط بيتيرسبورغ كتبت بأقلام مختلفة، وهو ما يدل على تراكم المراجعات المتعددة لهذا المخطوط على أيدي القراء والنساخ.

مخطوط مدريد

المكتبة الوطنية، رقم ٥٠١٣؛ ١٤١ ورقة، ٢٧ سطرا/ورقة.

نقف في الورقة الأخيرة من نص *الكليات* في هذا المخطوط على اسم ناسخه، وهو محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الملك بن حاضر، وفيها ثبت أنه فرغ منه في ٦٣٣ هجرية (١٢٣٥ م). ولكن ورد في مقدمة المحققين بجامعة الجزائر تاريخ آخر لنسخه وهو: ٦٦٣ هـ (١٢٦٥ م) وأحيل في ذلك على المرجع التالي: *مؤلفات ابن رشد*، الجزائر (؟) ٦٦٢٣١؛ وفي طبعة غرناطة نقف على أن تاريخ نسخه كان في ٦٣٨ هجرية. ولا يتضح لنا الآن مصدر هذا الاختلاف. أول ما نذكره عن هذه النسخة هو أن صفحتها الأولى مبتورة، وكذلك فقد سقطت منها فقرة طويلة في كتاب التشريح تتعلق بموضوع العروق غير الضوارب. كتبت هذه النسخة بخط مغربي واضح وأنيق، ولكنه رقيق لحد أنه تصعب أحيانا قراءته بسبب سوء تصوير النسخة، هذا فضلا عن التلف والطمس الذي عراها. ثم إن كثيرا من الإضافات والتصحيحات الواردة في هوامشها التي في باطن الكتاب طمست وسقطت تماما لهذا السبب نفسه فلم نستفد منها (إلا ما ثبت منها في كتاب الأدوية والأغذية، إذ حصلنا على صورة أخرى لذات المخطوط سلمها لنا الأستاذ عبد العزيز الساوري بالرباط، ونشكره على ذلك، وهي تتضمن القسم الخامس من كتاب *الكليات* فقط، باستثناء الصفحات الأولى منه، وهذه النسخة أكثر وضوحا وأحسن تصويرا، ولم نخبر بوضوح عن مصدرها، وإنما ورد في صفحة منها باللغة الإسبانية عنوان مصورها خ. ب. دي إيرانث بالإسكوريال، متبوعا برقم ٩٧٢، وإشارة إلى عدد الورقات (٣٢-٥٧)؛ ولكن لا وجود تحت هذا الرقم في قواميس الإسكوريال القديمة والحديثة لما قد يشير إلى هذا النص).

كتبت بعض الصفحات في وسط المخطوط بخط ناسخ آخر وبقلم يختلف سمكه. وأكبر عيوب هذه المخطوطة، بالمقارنة مع الأخريات، هو أن ناسخها وقع

منه كثيرا السهو الذي هو من نوع السهو الذي تسقط معه العبارات الواقعة بين لفظين مثلين (homéotéleute)؛ ثم وإن كانت أقرب إلى نسخة بيتيرسبورغ فإنها لا تخلو من أخطاء لغوية ومعرفية سافرة.

مخطوط جوتنجن

لا يشمل هذا المخطوط مجموع نص كتاب *الكليات*، بل أجزاء منه فقط. يعود تاريخ نسخه حسب مانفريد أولمان إلى القرن الخامس عشر أو السادس عشر. هذه النسخة، التي اعتنى بها كريستوف بورجل Christoph Bürgel، ظلت مخزونة ومسجلة تحت رقم Arab. 96 وتحت عنوان *كتاب في الطب* لعلي بن العباس المجوسي، إلى أن اكتشف أنها أجزاء من كتاب *الكليات* في الطب لابن رشد. ترقيم ورقات هذه النسخة كما هي محفوظة في مكتبة جوتنجن يقدم نصا غير مرتب تتداخل صفحاته وكثير منها ساقط، وبعد دراسته وإعادة ترتيبه نرى من الضروري أن نصحح أولا الخطأ الذي وقع فيه بورجل -سواء كان قد نظر في النسخة العربية أو في اللاتينية- في تعيينه وتحديده لأجزاء هذه النسخة بالمقارنة مع النص الكامل، وكذلك في إقراره بأن أجزاءها مطابقة لما ثبت في نسخة بيتيرسبورغ - وهذا ما جعل التحقيقات والدراسات تغفل دائما هذه النسخة. فأولا، ليست نسخة جوتنجن نصا مطابقا لنسخة بيتيرسبورغ، وإنما هي أقرب إليها في الفقرات الأولى من كتاب الصحة، كما أنها أقرب إلى نسخة مدريد في الفقرات الأخيرة منه؛ ثم ليس الأمر فيها أنها تتضمن نهاية الكتاب الثاني وجميع الكتاب الثالث وبداية الكتاب الرابع، بل إن محتوياتها هي على الترتيب التالي:

جزء من كتاب التشريح، ويشمل الفقرات التالية: القول في العضل (ينقصه حوالي السطر)، في هيئة الرأس، في هيئة العين، في هيئة الأنف، في هيئة الأذن، في هيئة اللسان، وفي هيئة الحلق والفم (من هذا الأخير سطران فقط)؛ ويقابل هذه الفقرات في الترجمة اللاتينية (طبعة ١٥٦٠) الفصول ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١؛

وجزء متفرق من كتاب الصحة. بما أن فقرات نسخة جوتنجن هنا قطع منفصلة غير مسترسلة، وأنه لا يسع المجال لمقابلتها مع النسخة العربية الكاملة لخلو هذه من فصول نحيل عليها، فإنه يكفي أن نطلع عليها من خلال مقابلتها مع فصول النسخة اللاتينية: السطران الأخيران من الفصل ١ ومجموع الفصل ٢ من النص اللاتيني: يقابله فقرة جوتنجن "أما العظام فظاهر..."؛ فصل ٣: تقابله فقرة "وإذ قد تبينت أمزجة الأعضاء المتشابهة..."؛ فصل ٤: فقرة "وإذ قد

تبينت أمزجة الأعضاء الآلية..."؛ فصل ٥: فقرة "وإذ قد تبين ما هي الحال..." (مع نقص في آخرها)؛ فصل ١٠: فقرة "يعطي للولد..." (مع نقص في أولها)؛ فصل ١١: فقرة "القول في منافع الأعضاء الحساسة"؛ فصل ١٢: فقرة "ومنفعة النخاع..."؛ فصل ١٣: فقرة "فنقول أما اللحم فإنه..."؛ فصل ١٤: فقرة " وأما اللسان..."؛ فصل ١٥: فقرة "وأما العينان..." (بضعة أسطر)؛ فصل ١٨: فقرة "ولنترلها كما قلنا..." (مع نقص في أولها)؛ فصل ١٩: فقرة "وإذ قلنا في منافع الحركات الإرادية..."؛ فصل ٢٠: فقرة "وأما القوة المتخيلة والمفكرة..."؛ فصل ٢١: فقرة "فقد قلنا في منافع عضو عضو..."؛ فصل ٢٢: فقرة "فهذا هو القول في جميع الأفعال الصحية..."؛

جميع كتاب المرض (باستثناء صفحته الأخيرة وجزء من ما قبل الأخيرة)؛
كتاب العلامات كاملا.

يضاف إلى هذا صفحات تشمل فقرات مبعثرة، وردت فيها وصفات وتذكر فيها حكايات عن بعض وجوه استعمال الأدوية، والظاهر أن لا محل لها من هذا الكتاب.

نسخت مخطوطة جوتنجن بخط مغربي واضح، ولعله أكثر خطوط النسخ وضوحا وإن كان أقلها أناقة. لغتها سليمة ودقيقة تفوق بقية النسخ، وفروقها وبنيتها تماثل حينا نسخة بيتيرسبورغ وحينا آخر نسخة مدريد، وتختلف عنهما في أشياء أخر. وهي عموما أقرب إليهما مما إلى نسخة غرناطة ونسخة تركيا. ونضيف أن في هذه النسخة، وكذلك في نسخة تركيا، يثبت رسم حرف الفاء بالنقطة من فوق وحرف القاف بالنقطتين من فوق.

مخطوط تركيا

الباب العالي، أحمد الثالث، إستانبول، رقم ٢٠٣٠؛ ٢٣٢ ورقة، ٢١ سطرا/ورقة، مقياس ١٦ X ٢٢.٥ سم.

نسخ هذا المخطوط في سنة ١٧٢٠ حسب ما ورد في مقدمة طبعة الجزائر؛ وحسب جيتيي (المرجع أعلاه، ص ٢٨٣) فإنه قد نسخ في أواخر ١٢٢٨ أو أوائل ١٢٢٩، وقد أحال جيتيي في ذلك على *قاموس مخطوطات الباب العالي* الصادر في ١٩٦٦ بإستانبول، ولكننا لم نقف فيه تحت فقرة ٧٢٩٨ حيث يرد وصف هذا المخطوط على تاريخ نسخه. وأما نسخة تركيا التي في أيدينا فلا يظهر أثر حرف في الورقة الأخيرة التي يرد فيها اسم الناسخ وتاريخ الفراغ من النسخ.

كتبت هذه النسخة بخط مغربي واضح وأنيق جدا. وقد عده بعض الباحثين خطا نسخيا وآخرين خطا مشرقيا، وهو ليس كذلك في رأينا، ولعل عناية الناسخ بمد الحروف وترتيبها بشكل أفقي سبيك هو ما أوحى بذلك.

خلصنا من عمل التحقيق إلى أن نسخة تركيا هي أضعف النسخ من حيث فروقها ومعانيها وتعابيرها. ولكنها تفاجئ الباحث بكونها أحسنهن فيما يتعلق بكتاب الأدوية والأغذية، ففيه جاءت فروقها وإضافاتها أحسن وأكثر دقة. ثم إنها لم تخل من إضافات سليمة متماسكة لم تثبت في أية من النسخ الأخرى، وأطول هذه الإضافات تلك التي وردت في أول كتاب شفاء الأمراض. وكذلك أضيفت فيها عناوين في الكتب الثلاثة الأخيرة، وبخاصة كتاب الأدوية والأغذية. وأما من حيث بنيتها اللغوية فإنها لا تخلو من أخطاء لغوية ومن عبارات قلقة؛ كما لا تخلو من سهو، فقد تكرر مثلا فيها سهوا من الناسخ سبع صفحات من أول كتاب الأدوية والأغذية. وفي هوامشها تصحيحات ومراجعات كثيرة بأقلام نساخ آخرين، وهذه التصحيحات هي أحيانا مماثلة لما يثبت في نسخة بيتيرسبورغ، وتختلف عنها أحيانا أخرى. ومعظم التصحيح والسقط فيها يستدرك في الهامش من دون الإحالة أو التشطيب على ألفاظ المتن التي يقصد تصحيحها. ومن أكبر عيوب المخطوط سوء ترتيب ورقاته إذ تداخلت واختلطت فيها وجوه الورقات وظهورها بشكل معقد. وكذلك فقد جاء فيها جزء كبير من الكتاب السابع مرمما بسبب التلف الذي أصابه فطمس الترميم جزءا كبيرا من المتن.

ملاحظات عامة

في هوامش جميع المخطوطات، ما عدا مخطوطة غرناطة ونسخة جوتنجن، نقف على عدد كبير من العبارات، بعضها شروح، وبعضها إضافات، وبعضها أقوال لمشاهير القدماء، وأغلبها تعابير إرشادية يقصد منها التنبيه والإحالة على موضوع معين قصد شرحه أو تبينه في موضع آخر، إلخ. وهي تقابل عموما بداية فقرة في المتن أو كلاما في مسألة طبية ما أو موضع انتقال إلى مسألة أخرى. وتصاغ إما باللغة التالية: "تأمل العرق الذي يجسه الأطباء..."، "انظر كيف وجدت الأعضاء البسيطة..."؛ أو بمثل هذه الجمل: "الدليل على أنه فضلة الدم أنه لا يوجد..."؛ أو تصاغ كعنوان موضوع أو كمعجم أو فهرس يوجه القارئ في تقصيه مواضيع المتن: "في شرياني السبات"، "في القيفال"، "منافع العصب". ومنها ما اكتفي فيه بعلامات مثل رسم يد تشير سبابتها إلى الهامش، كما ثبت ذلك في مخطوطة بيتيرسبورغ. ثم في جميع المخطوطات نسخت

الإضافات والتصحيحات بيد أكثر من ناسخ واحد. ونقف في بعضها (مخطوط بيتيرسبورغ، مخطوط مدريد، بعض مخطوط تركيا) على تصحيحات تتم بإقحام الفرق المرجح في اللفظ المراد تصحيحه فيضغط ويطبق عليه ويغير رسمه مما يؤدي أحيانا إلى طمس اللفظ. ونشير إلى أن الإضافات التي وردت في نسخة بيتيرسبورغ أكثر عددا مما ورد في نسخة مدريد، وما ورد في هذه أكثر مما جاء في نسخة تركيا.

ثم ما تجدر الإشارة إليه في ما يخص نسخة تركيا هو أنه لولا ما جاء فيها من التصحيح والسقط لكانت تكاد تكون مطابقة لنسخة غرناطة لكثرة تشابههما الذي نقف عليه خصوصا في الكتب الثلاثة الأولى والكتاب السابع. وأما في الكتب الأخرى فإن نسخة تركيا تنفرد بإضافات وهوامش خاصة؛ وتختلف عن نسخة غرناطة، زيادة على ذلك، بتعاليقها التي من نوع "تأمل..." و"انظر..."، التي سلف فيها القول.

النسخ العبرية واللاتينية

النسخ العبرية

اشتهرت من الترجمات العبرية لكتاب *الكليات* ترجمتان. أنجز الترجمة الأولى سليمان بن ابراهيم بن داود، وذلك في أوائل القرن الرابع عشر، ومن نسخها الموجودة نسختان أشهرهما نسخة المكتبة الوطنية بباريس (Hébr. 1172). ووقف زيسمان مونتنير، الآتي ذكره، في قاموس Gustav Sacerdote (Bibliotheca Hebraica Casanatensis) Florenz 1898 على نسخة أخرى تتضمن من *الكليات* مجموع نصه من الفصل الأول للكتاب الثاني إلى الفصل الأول للكتاب الخامس، وفي هذه النسخة عدد كبير من الكلمات العربية أبقي عليها كما هي. وأشار في لائحته التي عرض فيها بتفصيل النسخ العبرية للنصوص الطبية عند ابن رشد (*El XV Congreso Internacional de Historia de la Medicina*, Madrid, 1956,) 177-181) إلى نسخة أخرى توجد بأوكسفورد.

وما يثير الانتباه في ترجمة سليمان بن داود، هو أنه، زيادة على إضافاتها التي ثبتت مثيلاتها في النسخ الأخرى، اشتملت على إضافات أخرى ترجح نسبة مضامينها إلى فكر ابن رشد، ولم تثبت في أية من النسخ الأخرى، وهذا يجعلنا دائما نتصور أن المترجم قد وقف ربما على نسخة أخرى غير معروفة.

والترجمة الثانية موجودة في مكتبة ميونيخ تحت رقم Hebr. 29. كان يعد م. شتاينشنايدر Moritz Steinschneider واضع هذه الترجمة مجهولا، وقد قام ببحوث جيدة في هذا الميدان (*Die Hebräischen Übersetzungen des Mittelalters*

und die Juden als Dolmetscher. Nachdr. Graz, 1956 وسنقف فيما يلـــي علـــى بعض آرائه. بينما كان يرى الباحث المتخصص زيســـمان مونتنـــير Muntener Suessmann أن هذه الترجمة قد وضعها موسى بن تيبون (الذي ترجـــم شـــرح *أرجوزة ابن سينا في الطب* لابن رشد إلى العبرية)، ويضيف أنها قـــد أنجـــزت في وسط ما غير حضري مبرهنا على ذلك بورود الأسماء والمصطلحـــات المتضمنـــة في كتاب الأدوية والأغذية بطابع لهجة قروية، وقد أشرنا إلى هذا آنفا. ويذكـــر شتاينشنايدر أن مخطوط ميونيخ، وهو يحتوي على ٢٢٩ صفحة، قد جاء آخـــره، بخلاف الترجمات اللاتينية والترجمة العبرية الأخرى، واضحا ومطابقا لمـــا ورد في الأصل العربي. وتاريخ نسخ هذا المخطوط هو سنة ١٥٥٠، بينما تاريخ ترجمتـــه غير معروف. وأما م. زيسمان فقد طور بحثه في هذا الموضوع، ونشر مقالا له فيه باللغة العبرية (*Kirjat Sepher* XXIII, 1946, 62-72)تحت عنوان هذه ترجمته: "ابـــن رشد ومؤلفاته الطبية، وبخاصة *الكليات*"، وخلص منـــها، بعـــد بحـــث معمـــق في مخطوطة باريس حيث وقف على مقدمة شعرية في صفحة ١٢٦ مع "قـــول في الإسهال عند ابن رشد"، إلى أن واضع هذه الترجمة الثانية هـــو يعقـــوب بـــن قحطان وليس موسى بن تيبون، فتراجع عن رأيه الأول (انظر هـــامش ١٧، ص ٦٤ من المقال المذكور آنفا)، وأضاف أن المترجم قام بذلك بطلب من الفيلسوف موسى بن ميمون. بناء على هذه المعطيات نتصور أن هذه الترجمة قـــد أنجـــزت قبل سنة ١٢٠٤ (سنة وفاة موسى بن ميمون) أو بعدها بقليل.

ويذكر زيسمان أنه توجد حاليا في القدس نسخة أخـــرى مـــن الترجمـــة الثانية، تحتوي على ٢٦٣ صفحة، وهي مكتوبة بخط حاخامي (سوري)، وتـــاريخ نسخها يعود إلى القرن السادس عشر، وفيها صفحات مبتورة وبعـــض التلـــف، وتستهل النسخة بقصائد شعرية. وتوجد نسخة أخرى أشار إليها شتاينشـــنايدر (المرجع أعلاه، ص ٦٧٣)، وذكر أن فيها كثيرا من الطمـــس والتلـــف، وأنهـــا نسخت في ١٤٧٨، وسقطت منها مقدمة ابن رشد. وأما نسخة ميونيـــخ فقـــد سقط منها الفصل ٣١ من الكتاب الثالث، وأكبر جزء من الفصـــول ٣٥ و ٣٦ و ٣٧، وكذلك أجزاء من الكتاب الخامس. وجاء في مقدمة طبعـــة *الكليـــات* للمحققين بجامعة الجزائر أنه توجد ترجمة عبرية أخرى منها عدة نسخ، والنســـخة الكاملة منها موجودة في القدس، ولكن لم يشر إلى القاموس أو المصـــدر الـــذي يوقف فيه على ذلك، ونعتقد أن في هذا لبسا، فليست ربما هذه "الترجمة الثالثـــة" سوى نسخة الترجمة الثانية التي أخبر زيسمان بوجودها في القدس.

ومن التساؤلات التي تطرح حاليا فيما يخص الترجمة العبرية، هو هل التشابه والتقارب بين نسخها ونسخ الترجمة اللاتينية -بفروقها وإضافاتها- يعــود إلى أن كلا من هاتين الترجمتين اعتمدت نفس الأصل العربي أم يعــود إلى أن المتــأخرة منهما اعتمدت المتقدمة.

النسخ اللاتينية

وأما الترجمة اللاتينية لكتاب *الكليات* (*Colliget*)، فإن المرجع فيها ترجمــة العالم اليهودي بوناكوسا البادوي (حسب G. Sarton هذا الاسم صيغــة لاتينيــة للاسم العبري توبياه Tobiyah). وهي أول ترجمة لاتينية، وقد أنجــزت في ســنة ١٢٥٥، وصارت تطبع وتنشر انطلاقا من ١٤٨٢ في البندقيــة وستراســبورغ وغيرهما تحت العنوان الــتالي: *Liber universalis de medicina*. وأعيــد طبعــها ونشرها بشكل مكثف مرات متعددة انطلاقا من ١٥٣٠ إلى ١٥٦٢، وكــانت تصدر في كتاب ضخم يتضمن الترجمة اللاتينية للمؤلفات التالية: *شرح أرجــوزة ابن سينا* و *المقالة في الترياق* لابن رشد، و*كتاب التيسير* لابن زهر؛ وكانت تلحق كذلك بها ترجمات أخرى لاتينية جزئية لكتاب *الكليات* سنشير إليها فيما بعد.

ترجمة بوناكوسا تشمل عموما مجموع نص *الكليات* وأكثر، وتعد أكمــل نسخة بالمقارنة مع جميع النسخ الأخرى العربية منهاوالعبرية، فضلا عن اللاتينيــة. فهي تتضمن أكبر قسط من الزيادات والتصحيحات التي لا وجود لهـــا في أيــة نسخة أخرى. وتتضمن كذلك، وحدها دون جميع النســخ، مقدمــة أخــرى لكتاب *الكليات* من تأليف ابن رشد نفسه؛ وقد فقــد الأصــل العــربي لهــذه المقدمة، وسيأتي كلامنا فيها أدناه. وقد أجمع جل الباحثين إلى حد الآن علــى أن هذه الترجمة لم تبن على نسخة عبرية وإنما اعتمدت نسخة عربية أصيلة.

ثم وإن كانت هذه الترجمة أشمل لنص *الكليات* فإنه يوجد كذلــك مــن الإضافات والتصحيحات في النسخ العربية والعبرية ما لا أثر له فيــها. وتجــدر الإشارة إلى أن بين النسخ العربية والعبرية تقاربا وتشابها في الإضافات والفــروق والأسلوب لا تضاهيه هذه النسخة اللاتينية. وهذا واضح من جميــع الترجمــات العبرية للمؤلفات العربية آنذاك حيث إنها كانت دائما -لأسباب تاريخية وعلميــة خاصة- تنقل النص العربي بمنهج ترجمة حرفية تصل إلى حد نسخ الكلام العــربي بحروف عبرية. وهذا ما نقف عليه مثلا عند مقارنة نسخة ميونيخ العبريــة مــع النسخ العربية.

وعلى العموم فإن النسخة اللاتينية تأتي في المرتبة الأولى من حيث شمولهـــا

مادة الكتاب، وتليها في مرتبة أقل النسخ العبرية، ثم النسخ العربية. والنسخة اللاتينية لا تخلو بدورها من تصحيحات وإضافات وشروح ليست من كلام ابن رشد. وفي هذا السياق نشير على سبيل المثال إلى أن الترجمة اللاتينية لجوامع الحس والمحسوس... (*الطبيعيات الصغرى*: *Parva naturalia*)، التي تزامن ظهورها (القرن الثالث عشر) مع ترجمة بوناكوسا، قد حضر كثير من نصوصها وكثرت الإحالات على محتوياتها في ترجمة بوناكوسا، وكذلك فكثير من المواضع التي أضيفت فيها شروح في موضوع الذكر والتذكر والأحلام، الخ. صادفت زمن هذه الترجمة (التي يفترض أنه قد أنجزها Michel Scot)، وهذا هو ما يجعل البحث عن الأصل العربي المفقود في نسخة بوناكوسا يقتضي التبصر، بل ويوجهه إلى موضوع آخر، وهو أثر *جوامع الحس والمحسوس*... في نسخة بوناكوسا.

ورغم ذلك فإن بحوث المتخصصين الذين اشتغلوا في هذه النسخة إلى يومنا برهنت على أن أكبر قسط فيها من الإضافات والشروح، وحتى الحذف، هو مما يمكن نسبه إلى ابن رشد بلا حرج، خصوصا ما يتعلق منها بالشروح التي يعزز فيها نص نسخته الأولى بآراء فلسفية عميقة معروضة عنده في شتى مؤلفاته الأخرى، أو ما يتعلق بإحالاته على مؤلفاته أو على موضوعات معينة منها، أو بتصحيحات وإضافات تزامنت مع اقتنائه آراء جديدة في الموضوع الذي هو في صدد مراجعته في *الكليات*. وهكذا فإن السؤال المهم الذي يبقى مطروحا هو: ما هي النسخة العربية التي اعتمدتها هذه الترجمة اللاتينية، وكيف وصلت إلى المترجم هذه النصوص الطويلة، وخصوصا منها المقدمة المفقودة التي لا أثر لها في أية نسخة أخرى؟

وأما الأصل الذي انبنت عليه هذه الترجمة فلم يعد شك، بعد ما أنجز من دراسات في الموضوع، في أنه أصل عربي، فلا مجال للاعتقاد الآن بأنها اعتمدت نسخة عبرية (ويمكن الوقوف على ذلك بالرجوع مثلا إلى الفصل ٢ من الكتاب الثاني الذي جاء مطابقا للأصل العربي ومفارقا للنسخة العبرية)؛ كما أنه لم يعد هناك مجال للاعتقاد بأن صاحب هذه النسخة اللاتينية (١٢٥٥) هو أرمينجو دي بليز Armengaud de Blaise (مات في ١٣١٤) طبيب مدينة مونبيلييه الذي ترجم *شرح أرجوزة ابن سينا* لابن رشد إلى اللاتينية.

وأما الترجمة اللاتينية التي قام بها الفرنسي ج. ب. شامبيي Iohannes Bruyerinus Campegius (J. B. Champier) قد تناولت الكتاب الثاني والسادس وجزءا من الكتاب السابع، وأدرجت هذه الترجمة في طبعة ١٥٥٣،

ملحقة بترجمة بوناكوسا، من ورقة ١٧٥ إلى ٢١٧. واشتهرت بكونها تفوق غيرها بجمال الأسلوب وبلاغة اللغة، ولكنها بخلاف غيرها خالية من الهوامش والإحالات، باستثناء مقدمة هو واضعها؛ وأما عناوين الفصول التي أثبتها فأغلبها منقول عن نسخة بوناكوسا، وهي النسخة التي اعتمدها شامبيي بلا شك في ترجمته، إذ يحضر فيها كثير مما انفردت به نسخة بوناكوسا، وأبرز ذلك الإضافة التي في الفصل ١٩ من الكتاب الثاني التي لا وجود لها في أية نسخة أخرى. وأنجز الطبيب يعقوب المانتينوي Jacob Mantinus ترجمة لاتينية أخرى اقتصر فيها على الفصول ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ من كتاب الأدوية والأغذية، وقد اعتمدت ترجمته نسخة عبرية. وتجدر الإشارة إلى أن ترجمته أدق وأنضج من ترجمة بوناكوسا .

مقدمة ابن رشد اللاتينية المفقود أصلها العربي

من ألغاز المسار التاريخي لكتاب *الكليات* مقدمة "أخرى" وضعها ابن رشد لكتابه هذا فضاعت ولم تصل إلينا إلا في مرجع واحد وهو الترجمة اللاتينية التي أنجزها بوناكوسا.

وقد قمنا بنقلها إلى اللغة العربية وأدرجناها هنا في ملحق مقدمتنا هذه حتى يطلع عليها القارئ، وقد حاولنا في ترجمتها أن نقرب لغتنا ما أمكن من لغة ابن رشد بالرجوع إلى نصوصه في نفس الموضوع واستيحاء تعابيره، وأن نتصرف فيها أقل ما يمكن، فالعبارة اللاتينية غالبا ما تختزل العبارة العربية؛ وهذا بغض النظر عن العبارات أو الفقرات التي يرجح أن يكون قد صاغها وأدرجها المترجم نفسه.

يحتوي نص هذه المقدمة على حوالي ٢١٦٠ كلمة لاتينية، أي ما يعادل حوالي ستة عشر صفحة بحسب المعايير المعاصرة، وهو غني بما ينطوي عليه من معطيات. وهي تنقسم إلى فصلين: أولهما يذكر فيه سبب تأليف الكتاب؛ والثاني تعرض فيه محتوياته. وأول ما يثير انتباهنا هو أن الفصل الأول يرد الكلام فيه بصيغة المتكلم، وأما في الفصل الثاني فإنه يرد عموما بصيغة ضميرية، إلا في بعض المواضع حيث يقول مثلا بصيغة المتكلم إنه سيخالف جالينوس في رأي ما أو حين يقول في عرضه لمحتويات كتاب التشريح ما معناه أنه لا يعد القارئ بأي جديد في هذا الجزء من صناعة الطب... وما يلفت الانتباه كذلك هو دقة التفاصيل في عرض محتويات الكتاب، أي في الفصل الثاني من المقدمة، وهذا هو ما دفع ببعض الباحثين إلى تصور أن تأليف الكتاب (الأصل العربي للنسخة اللاتينية) سابق على كتابة هذه المقدمة.

ولقد استفدنا في اهتمامنا بهذه المقدمة من ملاحظات هـــــ. جيتيـــي في مقاله: Helmut Gätje: "Die Vorworte zum *Colliget* des Averroes ", *Zeitschrift der Morgenländischen Gesellschaft*, 136 (1986) 402-427 الذي هو كمـــا قلنـــا أحد الأعمال القيمة في هذا الموضوع، وكذلك استفدنا ممـــا تضمنتـــه دراســـة إ. طوري في موضوع علم الطب عند ابن رشد (Esteban Torre, *Averroes y la ciencia medica. La doctrina anatomofuncional del* Colliget, Madrid, 1974) وإن كانت أقل دقة في البحث والتأويل.

ما تجدر الإشارة إليه أولا هو إجماع أغلب الباحثين المتخصصين على صحة نسبة هذه المقدمة إلى ابن رشد (وهذا عكس ما حصل مع المقدمة التي انفردت بها ترجمة سليمان بن ابراهيم بن داود العبرية، وهي أيضا تحتوي على فهرس لمحتويات الكتاب، فلقد أجمع الباحثون على أنها أقرب إلى مـــــا في إمكـــان المـــترجم أن يصوغه بنفسه مما هي إلى كلام ابن رشد)، ورغم ذلك فهي لا تخلو مما قد يشـــك فيه من إضافة أو تصرف. ومما لا شك فيه هو أن هذا الموضـــوع زاد في حـــب استطلاع المتخصصين الأصول التي اعتمدها بوناكوسا في ترجمته التي كما يبـــدو شملت أكبر عدد من الدلائل على صياغة مفقودة لكتاب *الكليات* سواء كـــانت نسخة كاملة أو قطعا متفرقة.

يفترض بعض الباحثين (Manuel Alonso, *Teologia de Averroes*, Madrid (Granada, 1947; Gätje, " Probleme der... ") أن بوناكوسا قد اعتمد في ترجمتـــه صياغة ثالثة –كنسخة منقحة– لتأليف الكتـــاب (علـــى أســـاس أن التـــأليف الأول– فيما بين ١١٦٢ و ١١٦٩– هو الذي تمثله نسخة غرناطة؛ وأن الإخراج الثاني –حوالي ١١٨٤ أو ١١٩٤– تمثله نسخة مدريد أو نســـخة بيتيرســـبورغ، المعتمدة في نسخة جوتنجن)، وأن هذه الصياغة الثالثة كانت تتضمن هذه المقدمة (اللاتينية)، وأنها أنجزت في آخر حياة ابن رشد. هذا الافتراض واضـــح منـــه أن نقطة الضعف فيه تتعلق بتأريخ الصياغة الثالثة. أما البـــاحث نيميســـيو موراتـــا (Nemesio Morata, " La presentacion de Averroes en la corte almohade ", *La ciudad de Dios* 153 (1936)) فإنه، أولا، كجل الباحثين في الموضـــوع، يســـتنتج من إشارة ابن رشد إلى أبي مروان بن زهر كمعاصر له، وقد توفي أبو مـــروان في سنة ١١٦٢، أن ابن رشد –ما دام لم يترحم عليه في كتابه– قد ألف *الكليـات* لا شك قبل سنة ١١٦٢ (هذا الاستنتاج، وإن كانت مادته غير مقنعة، لكونه ينبـــي على مسألة أسلوبية غير قارة في كتابات ابن رشد، فإن ما خلص إليه لا تنفيـــه

استنتاجات أخرى تأخذ بعين الاعتبار وقائع تذكر في الكتاب تتعلق بـأحداث في حياة المؤلف أو بمؤلفاته...)؛ ثم يفترض أن ابن رشد قد ألف أولا كتابه في سنة ١١٥٩ بطلب من الأمير أبي يعقوب يوسف (قبل أن يتولى الخلافة)، ثم طلب منه الخليفة عبد المؤمن (توفي في ١١٦٣) فيما بعد أن يراجعه... وفي هـذه اللحظة بالذات، حسب موراتا، كتب ابن رشد مقدمته هذه التي فقدت. هذا الافتراض إذا كان مبنيا فقط على هذا الحدث فإنا لا نرى بعد ما يعززه في مـا تضمنته هذه المقدمة. وفي مقدمة طبعة الجزائر، يستبعد المحققان أن يكون قد تمت صياغة ثانية للكتاب قبل سنة ١١٨٧ بحجة أنه في هذه السنة تمت مقابلة مخطوطة غرناطة بكتاب المؤلف (التأليف الأول) فلو وجدت صياغة ثانية لكان قد اعتمدها الناسخ ليدرج زياداتها وتصحيحاتها في نسخته، ويضيف المحققان في نفس السياق حجة أخرى لذلك وهي عدم ترحم ابن رشد في آخر كتابه على أبي مـروان الـذي توفي في ١١٦٢... هذه الحجة لم يتبين لنا منطقها؛ وأما حجة نسخة غرناطة على عدم وجود صياغة ثانية قبل ١١٨٧ هي في رأينا قليلة الإقناع، إذ لا يستبعد أن تكون الصياغة الثانية قد كتبت ثم اختفت بعد ذلك لأسباب سياسية أو تاريخية أو غير ذلك، فلم تصل إلى يد ناسخ مخطوط غرناطة، أو ربما كانت موجـودة ولم يهتد إليها...

ما يظهر من جميع هذه الافتراضات والتخمينات -ما ذكرنا منها ومـا لم نذكر- أن قراء اللاتينية الذين تتبعوا بدقة تصحيحات وإضافات ابـن رشـد في ترجمة بوناكوسا هم أكثر من يرى أن لهذا الكتاب ثلاث صياغات -بـدلا مـن صياغتين-: مخطوط غرناطة، ومخطـوط مدريـد (أو بيتيرسـبورغ)، وترجمـة بوناكوسا. نعود الآن إلى موضوع مقدمة ابن رشد التي فقـد أصلـها العـربي واحتفظت بها ترجمة بوناكوسا اللاتينية، والتي هي من المعطيات الرئيسية التي انبنى عليها افتراض الباحثين أنه وجدت صياغة عربية أخرى (أولى أو ثالثة) ثم فقدت.

سنقتصر هنا في تعاليقنا على هذه المقدمة على بعـض مضامينـها فقـط ونكتفي في ذلك بالإحالة على أرقام فقرات نص ترجمتها العربية الملحق بمقدمتنـا هذه.

إن السطور الأولى من هذه المقدمة (فقرة ١)، وتتعلـق بذكـر أسـباب تأليف الكتاب، تذكر فيها أسماء الشخصيات الرسمية التي طلبت من ابـن رشـد أن يضع كتابا يثبت فيه جميع الأقاويل العلمية التي قيلت في صناعـة الطـب. إن هذه الأسماء (Audelach Sempse - Avofait/Avosait - Avenchalit) جاءت محرفـة كباقي الألفاظ العربية التي يبقي المترجم على أصلها في النص اللاتيني، وكلما كان

المترجم اللاتيني يجهل معنى اللفظ، ومن ثمة شكله، كان تحريفه أشد. وقد اجتهد الباحثون المتخصصون مرارا في استكشاف هذه الأسماء بحسب السياق الذي وردت فيه فلم تصل بعد تخميناتهم وحدوسهم إلى ما يطابق المعطيات التاريخية المعروفة. ورد اللفظان "آوديلاخ سيمبسي" في النص اللاتيني دالين على إسم "أمير المؤمنين" أو (حسب قراءة أخرى فصلت حرف "a" عن كلمة " mirelmomini " فعدته حرف جر) على إسم "السيد الفاضل الأجل" الذي بلغ ابن رشد ما يطلبه منه أمير المؤمنين؛ والإسمان الآخران (أفوفايت -وفي قراءة أخرى أفوسايت، فالعلامة المميزة لحرف السين من الفاء في اللاتينية لا تظهر واضحة في هذه النسخة-، آفينخاليت) -ويوحي أولهما باسم ابن طفيل- يحال بهما على إسمي الفيلسوفين الحكيمين (أو الطبيبين) اللذين أشارا على أمير المؤمنين بما طلبه من ابن رشد. إن استكشاف هذه الأسماء قد يعطي نفسا جديدا للبحث مستقبلا في ما حام حول هذا الكتاب، ويسير به ربما إلى معرفة سبب ما لضياع هذه المقدمة. ونشير إلى أنه بعد نقاشنا مع الأستاذ محمد عابد الجابري في هذا الموضوع أفادنا رأيا طريفا فيه، ونحيل القارئ هنا على رأيه في آخر مقدمته التحليلية لهذا الكتاب.

وأما موضوع القول في الأشياء التي تجرى مجرى الأصول والأمور الكلية من هذه الصناعة، إلخ.، (فقرة ٢) فإنه يمثل البنية الفلسفية لهذا الكتاب، وهو الموضوع الذي يفتح الباب للبحث الفلسفي في نظرية الطب عند ابن رشد والوقوف على تحليل يؤسس ويراجع القواعد النظرية لهذه الصناعة العملية منذ أرسطو وجالينوس، إلخ. وهذا الموضوع، الذي يختصر في فكرة أنه ينبغي تأسيس معطيات الطب التجريبية الجزئية على مبادئ العلم الطبيعي، هو نفس الموضوع الذي تنطلق منه كذلك مقدمة *الكليات* غير المفقودة، حيث يعرف الطب بأنه "صناعة فاعلة عن مبادئ صادقة...". ففي فكر ابن رشد يحضر دائما أنه ينبغي أن يبنى العلم العملي التجريبي على علم كلي يعطي الأسباب، ولهذا نراه مثلا يصحح تعريف ابن سينا في السطور الأولى من شرحه لأرجوزة ابن سينا في الطب قائلا: وتمامه أن تقول الطب صناعة فعلها عن العلم والتجربة. وهذا الموقف يعكس ضمنيا أولوية العلم بالبرهان، وهو الذي يكون العلم فيه "على الأمر الكلي وبالأمر الكلي"، إذ هو علم بالمبادئ والأسباب الذاتية التي يزود بها -هذا العلم النظري الكلي- العلوم النظرية الجزئية الناظرة إلى الأجسام الواقعة في الحركة والتغير مثل العلم الطبيعي، ومن هنا تكون مبادئ العلم الطبيعي هي

المبادئ الصادقة التي تستند إليها الصنائع العملية التجريبية التي يكون فيها العلم من أجل العمل مثل صناعة الطب.

في الفقرة ٤ يطرح ابن رشد بصرامة موقفه من تقسيم الكتاب إلى أبواب، حيث يرفض أن يعدد أقسام كتابه على غير الترتيب الذي أعده له لمن قد ينتظر منه ذلك، والعبارة التي وردت في النص اللاتيني تقول حرفيا "وأما أنا فلا تنتظر مني أن أقسم هذا الكتاب..."؛ ثم ينتقد طريقة علماء الأندلس وبعض القدماء في تقسيم الكتاب إلى أقسام صغرى وفصول عديدة، ويذكر بأن أرسطو لا يفعل ذلك. وهذا الموقف وارد في مواضع كثيرة من مؤلفات ابن رشد، وفي مقدمة *الكليات* الأخرى يطرح الموضوع بنفس الفكرة، وهو ما تنطوي عليه عباراته التالية التي جاءت فيها كما يلي: "وإذا كان ذلك كذلك، فباضطرار ما انقسمت هذه الصناعة [= صناعة الطب] إلى سبعة أجزاء عظمى "؛ "ونحن نقصد في ترتيبها هاهنا إلى هذه القسمة، إذ كانت هي القسمة الذاتية لها"... ما ينبغي أن نفهمه من كل هذا هو أن قسمة الكتاب ينبغي أن تكون قسمة ضرورية من صميم طبيعة الصناعة. في تصور ابن رشد، وفي الفكر الأرسطي عموما، موضوعات العلوم والصنائع هي كالموجودات بالنسبة إلى علم الطبيعة، فهي تنقسم ضرورة إلى أقسام أو أجزاء تحاكي مبادئ الطبيعة (صورة ومادة وفاعل وغاية، واللواحق)، وغيرها من المبادئ الكلية العامة. وهذا تؤكده كذلك عبارات أخرى واردة في هذا الكتاب، حيث يستعمل مثلا عبارة أسطقسات الصناعة (وهي هنا مبادئ الأشياء الجزئية في هذه الصناعة وكلياها، بل الأكثر كلية فيها -والأسطقس هو ما ينحل إليه الشيء كالأجسام الأربعة (الماء والنار والهواء والأرض) التي تتكون منها سائر الأجسام المركبة-) في سياق يريد منه أن يبين بأن تقسيمه وترتيبه لأجزاء صناعة الطب هو طبيعي وضروري مثل طبيعية وضرورية هذه الأسطقسات. ولذلك يقول عن كتابه إنه "كالدستور والقانون لمن أحب أن يستولي أجزاء الصناعة على هذا التقسيم". وإذا رجعنا إلى بعض الدراسات المهتمة بنية هذا الكتاب ونظرنا إليها في إطار هذا التصور لتبين لنا كذلك أن تقسيم أجزائه جاء محاكيا لأسباب الطبيعة الأربعة، حيث يمثل التشريح السبب المادي، ومعرفة الصحة والمرض السبب الصوري، والأدوية والأغذية السبب الفاعل أو الحافظ، وحفظ الصحة وإزالة المرض السبب الغائي.

وعلاقة هذا الموقف بفكر أرسطو واضحة في مؤلفات ابن رشد الذي حرص دائما الاحتفاظ بتقسيم أرسطو لمؤلفاته معارضا من حرّف ذلك من

القدماء ومن الفلاسفة العرب (هذا علما بأن ما وصل إلى ابن رشد من مؤلفات أرسطو لم يكن على أصله، وما كان ليعلم ذلك...). وهذا ما يظهر مثلا من قوله في مقالات ما بعد الطبيعة لأرسطو إنها "جارية على النظام الأفضل في الترتيب وإنه ليس فيها شيء وقع على غير ترتيب ولا نظام كما نجد نيقلاوس الدمشقي يزعم ذلك في كتابه (...)". وأما تقسيم ابن رشد صناعة الطب إلى سبعة أجزاء فلم يوقف بعد على الأصل فيه، ونقف على هذا التقسيم نفسه عند موسى بن ميمون في شرحه لأبقراط، وهو تقسيم يرجع فيه إلى الفارابي ولا نجد أصلا له عند جالينوس الذي اقترب منه في ذلك ابن سينا، ونحيل للاطلاع على هذا الموضوع إل المرجع التالي:

M. Plessner: *Al-Fârâbi's Introduction to the Study of Medicine.* In: *Islamic Philosophy and The Classical Tradition.* Ed. S. M. Stern..., Oxford, 1972, 307-314.

الطبعات والترجمات الحديثة

الطبعات

– طبعة غرناطة: *كتاب الكليات في الطب*، تحقيق خ. م. فورنياس و ك. آلباريث دي موراليس، مدرسة الدراسات العليا في غرناطة، المجلس الأعلى للبحوث العلمية، مدريد، ١٩٨٧.

تتألف هذه الطبعة من جزأين: يتضمن الجزء الأول نص الكتاب، ويحتوي الجزء الثاني على الهوامش. هذه الطبعة هي أول عمل تحقيق لمخطوطات هذا الكتاب. ولذلك فقد بذل هذان المحققان السباقان إلى مواجهة مادة خام لم تضبط من قبل جهودا كبيرة يشكران عليها، وقد اعتمدا مخطوطة غرناطة كنسخة أم (وقارناها بمخطوطتي مدريد وبيتيرسبورغ)، فقدما نصا أمينا مبنيا على عمل أكاديمي جدي. ورغم ذلك فإن هذه الطبعة لم يستحسنها كثير من القراء لأسباب أهمها سوء شكل طبعها وعدم انسجام صفحاتها وأسطرها. يضاف إلى ذلك أن المحققين لم يجهزاها بالنقط والفواصل والفقرات والشروح اللازمة. ولعل "الاستعجال" في إعداد هذه الطبعة، كما صرحا به في مقدمتهما، والإسراع والسبق الذي أريد لها كان السبب في ذلك. وأما التفضيل المطلق لنسخة غرناطة على نسختي مدريد وبيتيرسبورغ في هذه الطبعة فهو في رأينا اختيار فوت عليها التصحيحات والإضافات وجميع الفوائد العلمية التي تضمنتها هاتان النسختان الأخيرتان. وقد كان أيضا من الممكن أن يستفاد في هذا التحقيق من

نسخة تركيا التي أحيل عليها في دراسات متخصصة سابقة مثل الدراسات التي نشرت في المجلة الألمانية Z. D. M. G. في سنة ١٩٨٠ (جزء ١٣٠)، وليس اكتشافها الذي عبرت عنه مقدمة طبعة الجزائر (١٩٨٩) لنفسها اكتشافا. وبغض النظر عن هذا فإن الدقة في مراقبة مخطوط غرناطة في هذه الطبعة جعلنا لا نغفلها لما نضطر للتأكد من قراءة لفظ من ألفاظها المطموسة. ولذلك فهي تبقى مبادرة أولى مشرفة.

- طبعة الجزائر: *الكليات في الطب* لابن رشد، تحقيق وتعليق سعيد شعبان (أستاذ الطب) و عمار الطالبي (أستاذ الفلسفة) بجامعة الجزائر، مراجعة أبو شادي الروبي، تصدير ابراهيم بيومي مذكور، المجلس الأعلى للثقافة (بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩. اسم المدينة غير مذكور. وقد اصطلحنا تجاوزا على هذه النشرة بطبعة الجزائر.

اعتمد المحققان في هذه الطبعة أربع مخطوطات عربية، دون مخطوط جوتنجن الذي ذكرنا أعلاه الأسباب التي دفعت إلى إغفاله. وقد رجع المحققان كذلك إلى النسخة اللاتينية في بعض المواضع. وهذه الطبعة قد أقبل عليها القراء عند صدورها إذ جاء شكل الكتاب عموما منظما ومجهزا بالفقرات ومبرزا لعناوين الفصول. وقد انتبه المحققان بذكاء إلى عدد من الفروق المهمة في متون المخطوطات أو هوامشها وضبطاها بمقارنتها أحيانا مع النسخة اللاتينية، وشرحا كذلك أحيانا بعض المصطلحات الغامضة؛ ووضعا مقدمة للكتاب فيها معلومات وفوائد للقارئ. ومع هذا فما يؤسف له أن القارئ لما ينطلق في قراءة نص هذه الطبعة بجد وتأمل فإنه يجد صعوبة في تتبع جمل النص وفهم معانيه ويختلط عليه ترتيبه ويقف على ألفاظ كثيرة محرفة، والسبب في ذلك أن هذه الطبعة جاءت أولا مليئة بالأخطاء التي من نوع الأخطاء المطبعية في كل صفحاتها تقريبا، وقد زادت حدتها مع المصطلحات التقنية؛ ثم جاءت الفواصل والنقط فيها تلقائية لا تخضع على ما يبدو لأية قاعدة ولا تمد النص ببناء فكري، مما جعل القارئ لا يفهم معانيه أو يفهم ما لا يقوله النص؛ وترتيب الفقرات لم يخل بدوره من هذا العيب. وهذه الأشكال من القصور وعدم الضبط والترتيب غالبا ما تشوه للأسف الأعمال الفكرية وإن كانت وراءها مجهودات علمية يقوم بها باحثون كبار. وفي نفس السياق، فإن من يحقق اليوم ذات الكتاب ويرجع إلى هذه الطبعة للمقارنة والتحقق فإنه يقف فيها على أخطاء في هوامش الفروق، إذ يراها تحال على غير النسخة التي ثبتت فيها أو أنها تقرأ قراءة غير مناسبة...

ولكنه يقف فيها كذلك أحيانا على قراءات حسنة للألفاظ المطموسة. وأما الفروق المرجحة فكم منها لا يناسب المعنى بديهيا وبعض منها يبقى موضوع نظر. وعلى كل حال فإن هذه الطبعة قد تجاوزت رغم ذلك عيوب طبعة غرناطة، وإن كانت هي أيضا ميالة إلى مخطوط غرناطة، وقد أهدت للمكتبة العربية كتابا رائعا أطل عليه القراء في مجموع العالم العربي.

– طبعة العرائش (معهد الجنرال فرانكو، ١٩٣٩)

انظر معطيات هذه الطبعة أعلاه تحت فقرة "مخطوط غرناطة". لا يتعلق الأمر هنا بطبعة انبنت على تحقيق المخطوط، وإنما يتعلق بتصوير فوتوغرافي لمخطوط غرناطة، ودارسه ألفريد البستاني لم يعن بشرحه ولا بالتعليق عليه، وإنما اكتفى فيه بمقدمة عامة عرض فيها باختصار بعض آراء ابن رشد وعناوين فكره المعروفة، وأدرج في آخر الكتاب لائحة لبعض المصطلحات التقنية (خصوصا أسماء الأعشاب) المتضمنة في الكتاب، وهي وإن كانت مفيدة فإن نقله إياها عن لغة الأطباء في المشرق ونقل شروحهم لها جعلها فهرسة في غير محلها لكتاب ابن رشد الذي لغته فيها لغة أهل الأندلس والمغرب، هذا فضلا عن كون المفردات الإسبانية واللاتينية المقابلة لها التي أتى بها المترجم الإسباني جاءت غير دقيقة وأحيانا خاطئة. وأما الدور الإيجابي الكبير الذي لعبته مع ذلك هذه النسخة المصورة في أوساط البحث العلمي هو أنها على الأقل مكنت الباحثين في مختلف الأقطار من الوقوف على صورة لنسخة *الكليات* التي لم يكن من السهل الحصول عليها عند رهبان دير الجبل المقدس بغرناطة.

– طبعة القدس (١٩٤٦)

لم نقف على هذه الطبعة، وتذكر بعض الفهارس أنها تشمل النص العربي والنص العبري من *الكليات*.

<u>الترجمات</u>

– ترجمة كتاب الصحة إلى الألمانية

J. Christoph Bürgel: “ Das Kapitel über die Atmung im ‘Liber de Sanitate’ des Colliget von Averroes ”, in *Averroes contra Galenum*, Vandenhoeck and Ruprecht, 1968

– ترجمة كتاب التشريح وكتاب الصحة إلى الإسبانية. أنجزها F. J. Rodriguez Molero في إطار إعداد أطروحة دكتوراه تحت إشراف Emilio Garcia Gomez ربما في سنة ١٩٣٠ (غير منشورة).

– ترجمة المقدمة وكتاب التشريح وكتاب الصحة إلى الإسبانية. أنجزها Esteban Torre نقلا عن اللاتينية في إطار دراسة طويلة النفس حول علم الطب عند ابن رشد: Esteban Torre, *Averroes y la ciencia medica. La doctrina anatomofuncional del* Colliget, Madrid, 1974.

– يعد حاليا الباحث الإسباني C. Alvarez de Morales، الذي شارك في إعداد طبعة غرناطة المشار إليها أعلاه، الترجمة الكاملة لكتاب *الكليات* في إطار أعمال مدرسة الدراسات العربية في غرناطة، وهو اليوم على وشك إنهائها.

– يشرف حاليا الدكتور مصطفى محفوظ في كلية الطب بالرباط على مشروع ترجمة كاملة لكتاب *الكليات* إلى اللغة الفرنسية، وقد أنجز منها الآن ترجمة كتاب التشريح وكتاب الأدوية والأغذية وكتاب حفظ الصحة.

رموز المخطوطات الواردة في هوامش التحقيق

مخطوط غرناطة (دير الجبل المقدس)	غ
مخطوط مكتبة بيتيرسبورغ	ب
مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد	م
مخطوط مكتبة جوتنجن	ج
مخطوط تركيا (الباب العالي، أحمد الثالث)	ت

وفي الأخير أشكر زميلينا الأستاذين رضوان العيادي وأحمد بلا على الخدمات العلمية التي قدماها لنا. وأشكر للطالبة سناء أبو زينب مؤازرتها الفعالة في هذا العمل. وأعرب عن شكرنا لزميلنا الباحث مراد محفوظ الذي لم تقتصر خدماته العلمية والتقنية على تفانيه ومشاركته لنا في إخراج هذا الكتاب، بل رافقتنا منذ بداية مشروع تحقيق الكتب الأصيلة لابن رشد، هذا المشروع الذي التزمت بتنسيقه تحت إشراف أستاذنا الدكتور محمد عابد الجابري، وبتشجيع من مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت.

تطوان، يناير ١٩٩٩

مقدمة "الكليات" المفقود أصلها العربي
مترجمة عن اللاتينية (*)

[سبب تأليف الكتاب]

[١] سألني السيد الأجل Audelach Sempse بأمر من (وفي قراءة أخرى يسقط "بأمر من") أمير المؤمنين [ببلاد] المغرب أن أضع كتابا في الطب يتضمن – بلغتنا العربية – جميع موضوعات هذه الصناعة، وكان قد أشار عليه بذلك الحكيمان (الفيلسوفان) Avofait [أو Avosait] و Avenchalit، فبودر إلى امتثال رأيه العالي ومقصده الشريف؛ فشرعت في جمع الأقاويل الثبتة في كتب الأوائل [من الأطباء]، فنقلت من آرائهم ما كان منها نافعا وحذفت ما كان منها مبنيا على أصول فاسدة، وذكرت جميع الأشياء التي تجري مجرى الأصول والأمور العامة من هذه الصناعة. فسمينا كتابنا هذا [كتاب] الكليات.

[٢] وأما الترتيب المستعمل هاهنا فهو إنما أبتدئ أولا بالقول في الأمور الكلية ثم أسير إلى الأمور الجزئية، وذلك على نحو الطريقة المتبعة في المقالة الأولى من كتاب السماع الطبيعي في معرفة المبادئ الثلاثة التي تتقوم بها الأشياء. فإني رأيت أن أجمع هاهنا أولا الأقاويل العامة [في هذه الصناعة]، ثم إن فسح الله في العمر أضع كتابا آخر يكون مستوعبا لجميع أجزاء هذه الصناعة. ولذلك سمينا هذا الكتاب [كتاب] الكليات.

[٣] وما سلكناه في كتابنا هذا يخالف الطرق التي سلكها [الأطباء] الذين وضعوا الكتب، وطريقتنا أليق بهذه الصناعة. وينبغي أن تعلم أن الناظر في هذا الكتاب لن يقدر أن يتقصاه ولن يفهم جل معانيه إذا لم يتقدم فينظر في صناعة المنطق أدنى نظر فيعرف أصناف البرهان الثلاثة، وينبغي كذلك أن تكون له أدنى معرفة بالعلم الطبيعي. ومن لم يرتض أدنى ارتياض بالنظر في هذه الأشياء فلن يفهم الأقاويل المتضمنة في هذا الكتاب ولن ينتفع بها، بل قد يقع له عن ذلك ضرر إذ أنه سينكرها ويحسبها باطلة، واعلم أنه من ينكرها فإنه ينكر حقيقة هذه الصناعة.

[٤] وقسمت هذا الكتاب إلى سبعة أقسام، وكل قسم منها [هو بمنزلة] كتاب. وأنا فلن أعدد هاهنا أجزاء هذه الصناعة على غير هذا الترتيب وبغير هذه القسمة، فلا تطمع في أن أقسمها إلى

(*) نقلها من اللاتينية إلى العربية الأستاذ أحمد محفوظ منسق المشروع، متوخيا صياغتها بأسلوب ابن رشد ما أمكن.

[أقسام صغرى و] فصول مختلفة، فهذا شيء [يفعله و] يتمدح به علماء الأندلس وكذلك كثير من القدماء، وأما أب الفلسفة [أرسطو] فلا نراه في جل كتبه يتمدح بذلك. ولعلهم قد فعلوا ذلك لضعف المتعلمين في الفهم والتحصيل. وأما ذو الفطرة السليمة [المعدة] لتمييز الأشياء فإنه سيقدر أن يتعرف في جزء جزء من هذا الكتاب الأشياء التي بمنزلة الجنس والتي بمنزلة النوع وأن يفرق بين شيء وآخر. ومن أحب أن يقسم أجزاء هذا الكتاب [على غير ترتيبنا هاهنا] إلى أقسام صغرى أو إلى فصول فليفعل ذلك وليسمها كما يحب.

[محتويات الكتاب]

[٥] الكتاب الأول يذكر فيه التشريح: ليس في أيدينا أشياء نضيفها هاهنا إلى ما وقف عليه المتقدمون [من الأطباء] في هذا الجزء من الصناعة. وأما الأجزاء الأخرى [= الكتب الستة الباقية] فلنا فيها كلام لا يوقف عليه في كتب الأوائل من الأطباء ولم يتكلم بعد بمثله كثير [ممن وضعوا الكتب]، وقد أثبتناه على طريق البرهان الذي ينبني على مبادئ العلم الطبيعي.

[٦] الكتاب الثاني سميناه كتاب الصحة: نعرف فيه ما هو الحد الصحيح للصحة. وننظر فيه ما المزاج، فنقف على مزاج عضو واحد واحد من أعضاء الإنسان المتشابهة الأجزاء وعلى مزاج العضو المركب من أكثر من واحد منها؛ ثم نقف على ما هي الحال التي بها تفعل الأعضاء الفعل الذي لها أو تنفعل الانفعال الذي لها، ونعطي جميع أنواعها، بجميع ما تتقوم به وهي الأسباب الأربعة. وننظر على جهة الإيجاز ما هي القوى الموجودة في الإنسان ونعرف كم هي وفي أي عضو توجد واحدة واحدة منها، ونبين كل ذلك بحسب آراء أرسطوطاليس وجالينوس. ونذكر هاهنا الاختلاف الذي [بين الأطباء] في مسألة المنيّيْن [= مني الرجل ومني المرأة]: أيهما له تأثير في الولادة أو لا تأثير له، وأيهما يعطي المادة وأيهما يعطي الصورة [في المولود]؛ ثم ننظر أي قوة هي قوة المحرك الأول، مبدأ الحركات الإرادية، وهل هي في العصب أم في العضل. ونتكلم في حركة الصدر والرئة ونقف على اختلاف [الأطباء] في الأمور التي أتى بها جالينوس، ونحل الشكوك التي وردت لهم. ونختم بالتكلم، بحسب الإيجاز والاختصار، في طبيعية الهواء المعتدل وطبائع الفصول الأربعة، ونعرف ما مزاج فصل الربيع.

[٧] الكتاب الثالث سميناه كتاب الأمراض: نعرف فيه ما حد المرض، ونتعرف أنواع الأمراض البسيطة سواء في الأعضاء المتشابهة الأجزاء أو في الأعضاء الآلية [وذلك على نحو ما فعلناه في تعرف أنواع الصحة] فنحيط هاهنا أيضا علما بها بجميع الأسباب الأربعة، في الأمور الكلية والأمور الجزئية. وننظر كذلك في أنواع الأمراض المركبة ونعطي أسبابها على نحو ما سلف. ونذكر الأعراض اللاحقة لأفعال الأعضاء وذلك ما كان فيها عن نقص [عن الحال الطبيعية] أو عن ضعف، ثم نوفي أسباب جميع ذلك. ونعرف الأوجاع ونعددها ونذكر أسبابها، ونتحرى في ذلك أقاويل جالينوس. ونختم بالقول في أعراض الحواس والقوى ونبين أسبابها بما يلزم في ذلك عن رأي أرسطو.

[٨] الكتاب الرابع سميناه كتاب العلامات: نعدد فيه جميع أنواع العلامات الدالة على الصحة الموجودة بالفعل في جميع أعضاء البدن المتشابهة الأجزاء منها والمركبة؛ ونعرف جميع أنواع العلامات الدالة على الأمراض في عضو عضو من البدن والعلامات التي من أعراضه بحسب ما يقوله أرسطو. وينبغي هاهنا أن نعرف ما حد العلامة. فنصف علامات غلبة أحد الأخلاط على بدن الإنسان بحسب المزاج الطبيعي الخاص به؛ ونذكر علامات الأمراض والأعراض التي تحدث في البدن بسبب الهواء بحسب ما يقوله في ذلك أبقراط. ونصف العلامات الدالة على أشهر الأمراض في أول

حدوثها وظهور بعض أعراضها؛ والعلامات الدالة على الصحة والمرض العامة منها والخاصة [ويجب أن نبتدئ هاهنا بذكر جنسي العلامات المشتركين لأمراض كثيرة] وهما النبض والبول. ونقف على العلامات الدالة على الأمراض التي تصيب جميع البدن كالحمى وما يشبهها، ونبين أسبابها، ونبتدئ في ذلك من حمى يوم. ونذكر جميع العلامات الدالة على البحارين، فنعرف الأمراض التي تنقضي ببحران من الأمراض التي ليس فيها بحران، ونعرف البحارين المحمودة والمذمومة وأوقاتها وأسبابها وطول زمانها و [العلامات التي تدل على] الخلاص؛ ونبين هاهنا ما السبب في أن الأطباء يقولون إنه إذا وقعت البحارين في أيام (..؟). وننظر بعد ذلك هل للأجرام السماوية تأثير في أفعال الجسم [في هذا العالم] السفلي أم لا، وإذا كان الأمر كذلك فهل هو من قبل أنها أسباب فاعلة بعيدة أم من قبل أنها أسباب فاعلة قريبة، ثم ننظر هل تحتاج صناعة الطب إلى علم الهيئة. ونصف كذلك علامات البحارين فنبتدئ بالقول في ما يظهر من الجسم وما نشاهده من أفعال بدن العليل. ونذكر علامات أمراض الأعضاء الباطنة، ونبتدئ بوصفها مما يظهر في البدن من أسباب خاصة بالمرض ومن أعراض داخلة على [أفعال] الأعضاء [وانفعالاتها]. ونبين الفرق بين الاستفراغ الذي يكون [من جهة ما يدل على عضو آلم] عن مرض مادي في واحد من هذه الأعضاء أو في أكثر من واحد وبين الذي يكون عن مرض عام فيها. وننظر كذلك كيف ينتقل من دواء إلى دواء لمعالجة المرض الواحد، وما السبب في ذلك، ونأتي بأمثلة نافعة [في هذه المسألة]، ونبين أنفع مسلك في ذلك. ونختم بذكر جميع العلامات التي بها نعرف في مرض عضو عضو هل سببه مادي أم لا، وينبغي أن نوفي هاهنا بالقول هذه المسألة فهي مما يحتاج الطبيب إلى معرفته.

[٩] الكتاب الخامس سميناه كتاب الأدوية والأغذية: نرسم فيه أولا ما الدواء وما الغذاء بمعنى ما حدهما به أرسطوطاليس وجالينوس، ونرسم مع هذا [بخاصة] طبائع الأدوية وأفعالها العامة والخاصة في بدن الإنسان، وننظر كيف تفعل أفعالها في البدن؛ ثم نعدد قواها الرئيسية وننظر في التي يكون فعلها بالذات والتي يكون فعلها بالعرض، والتي تختص بعضو واحد والتي تختص بأكثر من واحد، ونعرف ما هي هذه الأعضاء. ونقف على الأفعال التي هي من قبل الكيفية أو المادة أو الصورة، ونبين أسبابها على ما يقوله أرسطو؛ ونذكر كذلك بحسب رأيه أصناف الأغذية والأدوية المعتدلة منها وغير المعتدلة. وننظر هل سبيل إدراك هذه الأمور يكون بالقياس أم بالتجربة، وهل يكفي واحد منهما في هذه الصناعة أم يجب جمع الطريقتين. ثم بعد ذلك نسير إلى القول في قوانين تركيب الأدوية ونتحرى في ذلك شهادة القدماء ورأيهم، ونبين هاهنا الاختلال الذي لزم [أبا يوسف] يعقوب الكندي في أقواله إذ أراد هذا الرجل أن يتكلم بكلام الفلاسفة في القوانين التي بها يعرف طبيعة الدواء المركب [فخرج إلى التكلم في صناعات أخرى]؛ ثم نشرح أقاويل جالينوس إذ جاء كلامه [في هذه الأمور] غامضا.

[١٠] الكتاب السادس سميناه كتاب حفظ الصحة: نشرح فيه أولا أقاويل جالينوس في التدبير الذي يصفه للمعتدل المزاج؛ ونذكر الاستعدادات الهيولانية الأول والثواني التي في الأبدان. ثم ننظر ما السبب في أنه لا تحصل الغاية المطلوبة وإن كان التدبير مناسبا، أعني أنه قد يدبر شخصان استعدادهما الهيولاني ومزاجهما واحد تدبيرا واحدا في زمان وفصل بلد واحد، ويكون هذا التدبير موافقا لاستعدادهما، فيختلفان فيما يصيبهما من كثرة وقلة، بل ترى من الناس من مزاجه هذا المزاج يتدبر بغير التدبير الموافق لاستعداده ويبقى على حاله صحيح البدن ويعيش دهرا طويلا. ونعترض هاهنا على رأي من يرى أن التدبير الذي يصفه جالينوس [للمعتدل المزاج] هو الذي يبلغ صاحبه أقصى العمر. ونبين كذلك في هذا الجزء [من صناعة الطب] المنفعة التي في الهواء والفساد [الداخل بسببه على البدن] بحسب الأمزجة المختلفة؛ ثم نقول في منفعة الرياضة ونرتب أصنافها حسب

الأعضاء المخصوصة بها؛ ونذكر منفعة الاستحمام وأصنافه؛ وكذلك المنفعة والضرر اللذين في النوم واليقظة. ونصف هاهنا جميع الأشياء على وجه حفظ الصحة. فنشرع في بيان تدبير معتدلي المزاج إذ ليس يمتنع أن يتولد عن هذا التدبير فيهم أخلاط رديئة، وكلامنا في هذه المسألة شبيه بما سلف القول فيه في أول هذا الكتاب وإنما نأتي هاهنا بمعان أخرى منفعتها كبيرة. ثم بعد ذلك نسير إلى تدبير سوء المزاج، وننظر في الإعياء الحادث من تلقاء نفسه، [أي] الذي يحدث حدوثا أوليا وليس ثانيا أو لاحقا عن مرض، ونفرق بينه وبين الذي يلحق عن الأمراض ويحدث بالعرض. ونقف على تدبير جذب الأخلاط الرديئة التي يجذبها البدن إلى داخل أو إلى خارج عضو واحد أو أكثر من عضو فيكون له عنها استعداد لقبول الأورام الرديئة. ثم نصف بما هو كاف في غرضنا الطريقة التي يحفظ بها البدن من الهواء الفاسد.

[١١] الكتاب السابع سميناه كتاب شفاء الأمراض: نصف فيه [استعمال] المعالجة وإزالة الأعراض. فننظر أولا كيف الحيلة في إزالة الأمراض المنسوبة إلى الأعضاء المتشابهة الأجزاء، المادية منها وغير المادية؛ ثم نعرف وجه الحيلة في إزالة الأمراض المنسوبة إلى الأعضاء المركبة، وذلك على نحو ما فعلناه مع الأعضاء المتشابهة الأجزاء، ونفصل القول فيه أكثر. ويتضمن هذا الكتاب القول في إبطال سوء المزاج المادي وغير المادي، وفي تدبير ومداواة سوء مزاج الشاب والشيخ، إذ لما تخرج هذه الأمزجة عن الاعتدال فإنه ينبغي أن ترد إليه، فننظر هاهنا كيف يتم ذلك بحسب التدبير بالضد [الذي يقابل المزاج في درجة خروج البدن من الصحة إلى المرض]، والأمر عندنا هنا ليس على ما يقوله جالينوس؛ وننظر كذلك كيف يرد كل عضو من جهة التضاد إلى مزاجه الخاص لما يخرج عنه، وفي هذا أيضا نخالف جالينوس. ثم بعد ذلك نصير إلى وصف طرق الاستفراغ بفصد العروق واستعمال الأدوية بحسب مريض مريض، وننظر من ينتفع بهاتين الطريقتين ومن لا ينتفع بهما، وما السن والفصل المناسب لذلك، ومن تنفعه طريقة واحدة فقط ومن يحتاج إليهما جميعا، ومن لا ينتفع بأية منهما؛ ثم نقف على مسائل أخرى شبيهة بذلك. ونقف هاهنا على تدبير الحمل وننظر فيما يستدل منه على استعمال الضد، وهو من أشرف [موضوعات هذه الصناعة]. ثم نسير بعد ذلك إلى القول بإيجاز في طرق مداواة الحميات الحادة والحميات العفونية؛ ونقف على مداواة سوء المزاج المادي الحادث في الأعضاء عن مادة رديئة تجذبها هذه الأعضاء أو تنصب هي إليها؛ ونصف مداواة جميع أصناف الأورام المتكونة في الأعضاء الباطنة والخارجة، ونعرف التي ينبغي أن يعتمد فيها القصد والتي لا يعتمد فيها، وننظر من أي جهة ينبغي أن يفصد فيها (ورد في النص اللاتيني *repercutere* وهو يدل على معنى الإخراج، إخراج الخلط، ويتضمن معنى الاستفراغ والفصد)، ونقف على المقادير التي ينبغي أن تستعمل من الاستفراغ [بالفصد]، ونعرف أي موضع يستعمل فيه الاستفراغ وما وقت المرض [= أوله أو نضجه أو حدته...] الذي ينبغي أن يقع فيه. ثم نسير بعد ذلك إلى معالجة مرض تفرق الاتصال [الحادث] في ظاهر البدن أو في باطنه، سواء كان من الأسباب التي من داخل أو التي من خارج، ومعالجة جميع الجراحات والضربات [التي تقع بعضو باطن]. وننظر هاهنا في معالجة أمراض الرئة والتفرق الذي يعتري العروق والشرايين وتورم العصب وأمراض الخلع.

النـــص

مقدمة الكتاب

باسم الله الرحمان الرحيم
صلى الله على سيدنا محمد نبينا الكريم وآله وسلم تسليما[1]
قال الفقيه القاضي العالم الفاضل، أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد رضي الله عنه:
أما بعد حمد الله والصلاة على محمد نبيه،

[١- في تعريف الطب]

[١] فإن الغرض في هذا القول[2] أن نثبت هاهنا من صناعة الطب جملة كافية – على جهة الإيجاز والاختصار– تتضمن أصول الصناعة[3]، وتكون كالمدخل لمن أحب أن يتقصى أجزاء الصناعة، وكالتذكرة أيضا لمن نظر في الصناعة؛ ونتحرى في[4] ذلك الأقاويل المطابقة للحق، وإن خالف ذلك آراء أهل الصناعة (= صناعة الطب)، فنقول:

[٢] إن صناعة الطب هي صناعة فاعلة عن مبادئ صادقة[*أ]، يُلتمس بها حفظ صحة[5] بدن الإنسان وإبطال المرض، وذلك بأقصى ما يمكن في واحد واحد من الأبدان؛ فإن هذه الصناعة ليس غايتها أن تبرئ ولابد، بل أن تفعل ما يجب بالمقدار الذي يجب[6] وفي الوقت الذي يجب، ثم يُنتظر[7] حصول غايتها، كالحال في صناعة الملاحة وقَوْد الجيوش[*ب].

[٣] ولما كانت الصنائع الفاعلة، بما هي صنائع فاعلة، تشتمل على ثلاثة أشياء: أحدها معرفة موضوعاتها، والثاني معرفة الغايات المطلوب[8] تحصيلها في تلك

(*أ) "صناعة فاعلة": ترمي إلى تغيير حال بحال، وهذا قريب من مفهوم العلم التطبيقي بالاصطلاح المعاصر. أما قوله "عن مبادئ صادقة" فهو استثناء لما قد يحصل –أو يعتقد في حصوله–من تغيير للأحوال بمبادئ غير صادقة كالسحر والتنجيم والطلاسم الخ.

(*ب) وذلك وفقا للتصور القديم للصحة بوصفها حالة التوازن الطبيعي للبدن – والمرض هو اختلال هذا التوازن. ومن هنا كانت صناعة الطب هي إعادة التوازن للبدن بالتدخل بالدواء أو بغيره من أنواع العلاج، وانتظار أن يستعيد الجسم توازنه . فدور الطبيب كدور الملاح قائد السفينة وكدور قائد الجيش، كل من هؤلاء له في نفسه تصور عن الحالة السوية ويحاول إيجادها أو تطبيقها في الموضوع الذي يعالجه وبلوغ الغاية التي يرمي إليها: الصحة بالنسبة للطبيب وبلوغ الشاطئ بالنسبة للملاح والنصر بالنسبة لقائد الجيش. وكل من هؤلاء يفعل ما يجب ثم ينتظر دون أن يكون على يقين بالنجاح. فهذه الصنائع (العلوم) يحكمها الاحتمال لا الحتمية، كما سيبين بعد قليل.

---

(١) ب: بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد نبينا الكريم وآله وسلم تسليما قال الفقيه القاضي العالم الفاضل أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد رضي الله عنه أما بعد حمد الله والصلاة على محمد نبيه فإن؛ ت: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أعن بفضلك أما بعد حمد الله والصلاة على محمد رسوله فإن (٢) ب، ت: سقط "في" (٣) ب: أضيف "تتضمن أصول الصناعة و" (٤) ب: ثبت في المتن "كل" وصحح في الهامش "أكثر"؛ ت: أضيف "أكثر" (٥) غ: سقط من المتن وثبت في الهامش "صحة" (٦) ت: سقط من المتن وثبت في الهامش العبارة "بالمقدار الذي يجب" (٧) غ: ننتظر؛ ت: الحرف الأول غير منقوط (٨) ت: المطلوبة.

الموضوعات، والثالث معرفة الآلات التي بها تحصل تلك الغايات في تلك الموضوعات، انقسمت باضطرار صناعة الطب أولا إلى هذه الأقسام الثلاثة.

[٢ - أقسام علم الطب]

[٤] فالقسم الأول، الذي هو معرفة الموضوعات، يُعرِّف[١] فيه الأعضاء(م)(*) التي يتركب منها بدن الإنسان –البسيطة والمركبة– وأخلاطه وأرواحه[٢] (م).

[٥] ولما كانت الغاية المطلوبة (أي المطلوب تحصيلها وهو القسم الثاني) هاهنا صنفين: حفظ الصحة وإزالة المرض، انقسم هذا الجزء إلى قسمين: أحدهما يُعرِّف فيه ما هي الصحة بجميع ما به تتقوم[٣]، وهي الأسباب الأربعة –التي[٤] هي العنصر (= المادة أو الهيولى) والصورة والفاعل والغاية– وجميع لواحقها (= لواحق الصحة)؛ والقسم الثاني يعرف فيه ما هو المرض أيضا بجميع أسبابه ولواحقه.

[٦] ولما كان أيضا ليس في معرفة ماهية[٥] الصحة والمرض كفايةٌ في حفظ هذه وإزالة هذا، انقسم هذان الجزآن أيضا إلى جزأين آخرين: أحدهما[٦] يعرِّف فيه كيف تحفظ الصحة، والثاني كيف يبطل المرض.

[٧] ولما كانت[٧] الصحة أيضا والمرض ليسا بَيِّنَيْن بأنفسهما من أول الأمر، احتيج أيضا إلى تعرُّف العلامات الصحية والمرضية الدالة عليهما[٨]، وصار هذا[٩] أيضا أحد أجزاء هذه الصناعة.

[٨] وإذا كان ذلك كذلك، فباضطرار ما انقسمت هذه الصناعة إلى سبعة أجزاء عظمى:

– الجزء الأول: يذكر[١٠] فيه أعضاء(م) الإنسان التي شوهدت بالحس، البسيطة والمركبة، وأخلاطه وأرواحه[١١]؛

– والثاني: تُعرِّف[١٢] فيه الصحة وأنواعها ولواحقها؛

– والثالث[١٣]: المرض وأنواعه وأعراضه؛

(*) حرف الميم (م) المكتوب فوق الكلمة يحيل إلى معجم المصطلحات حيث يجد القارئ شرحها. وقد رتبناها حسب الحروف الهجائية باعتماد صيغة الكلمة كما وردت في النص مع إهمال "أل" التعريف. هذا ولن نكرر وضع علامة الإحالة (م) على الكلمة إلا نادرا وبقصد التذكير فقط. وعليه يمكن للقارئ الرجوع إلى معجم المصطلحات كلما وجد نفسه أمام لفظ لا يستبين معناه. لذلك سنقتصر في الهوامش على الشروح التي تخص معنى الجملة أو الفقرة. أما معاني الكلمات ففي المعجم.

---

(١) ب: تعرف (٢) ب: أضيف "وأخلاطه وأرواحه" (٣) ت: يتقوم (٤) ت: الذي (٥) غ، ت: مائية (٦) ت: طمست الكلمة (٧) ب: أضيف "أكثر أنواع" (٨) ب: أضيف "الدالة عليهما" (٩) ت: أضيف "الحد" (١٠) ب، ت: نذكر (١١) ب: أضيف "وأخلاطه وأرواحه" (١٢) ت: تعرف (١٣) ب: أضيف "يعرف فيه".

- والرابع : العلامات الصحية والمرضية ؛
- والخامس : الآلات، وهي الأغذية والأدوية ؛
- والسادس : الوجه في حفظ الصحة ؛
- والسابع : الحيلة في إزالة المرض.

ونحن نقصد في ترتيبها هاهنا إلى هذه القسمة، إذ كانت هي القسمة الذاتية لها[*أ].

[٣- علم الطب بين العلم الطبيعي والممارسة الطبية]

[٩] ولما كانت الصنائع الفكرية[*ب] أحدُ ما يُتسلم فيها[١] هي الموضوعات والمبادئ -سواء[٢] كانت الموضوعات والمبادئ بينة بنفسها أو مما شأنها أن تتبين في صناعة أخرى- وجب أولا أن نعرف الصنائع التي تتسلم منها[٣] هذه الصناعة (= الطب كعلم) كثيرا من مبادئها[*ج]، ثم بعد ذلك نشير[٤] إلى القول في جزء[٥] جزء منها، فنقول:

[١٠] إن هذه الصنائع بعضها نظرية وهو[٦] العلم الطبيعي، وبعضها عملية[٧]؛ وهذه (الأخيرة) منها صناعة الطب التجريبية، ومنها صناعة التشريح. أما العلم الطبيعي فإنها (=علم الطب) تتسلم[٨] منه كثيرا من أسباب الصحة والمرض، ولا سيما الأسباب القصوى كالأسطقسات وغيرها. وأما صناعة الطب التجريبية (=الممارسة الطبية)،

(*أ) الذاتي هو المقوم للشيء الذي يدخل في ماهيته. والعرضي ما يعرض للشيء ويزول. والقسمة الذاتية للشيء هي التي تكون بحسب الذات لا بحسب الأعراض: أي حسب بنية الموضوع.

(*ب) الصنائع الفكرية هي التي تقوم على الروية وإعمال الفكر في المعطيات الحسية والتجريبية. وهي بهذا المعنى علوم تجريبية وتطبيقية، كالطب والأخلاق. وهي غير الصنائع النظرية التي تتعامل مع موضوعات مجردة، غير تجريبية غير تطبيقية، كالرياضيات والطبيعيات (الأرسطية) والإلهيات.

(*ج) مبادئ العلوم والصنائع -حسب التصنيف القديم- صنفان: صنف يُتسلم في العلم نفسه وهي المقدمات التي يقوم عليها الاستدلال في ذلك العلم، كالقواعد العامة في الفقه، والأصول العامة في علم المناظر أي البصريات الخ؛ وصنف يتسلمه ذلك العلم من علم آخر كأصول الفقه وعلم الكلام بالنسبة للفقه، وكالحساب والهندسة لعلم المناظر. كما أن الطب علم يتسلم كثيرا من مبادئه من العلم الطبيعي(الأرسطي). والعلم الطبيعي يتسلم مبادئه من علم "ما بعد الطبيعة" أو الفلسفة الأولى.

---

(١) غ، ت: سقط "فيها"؛ ب: ثبت "فيها" فوق السطر وفوقها علامة صح (٢) ب: ثبت "سواء" (في الهامش) (٣) ب: أولا أن نعرف...منها (٤) ب، ت: نصير (٥) ت: سقط من المتن وثبت في الهامش العبارة "الصنائع التي تتسلم هذه...في جزء" (سقط "عنها") (٦) ب: وهو (٧) م: عمل. (٨) ب، ت: فإنها تسلم (ل: تتسلم)؛ م: فإنه يتسلم.

فإنها (أي صناعة الطب=علم الطب) تستفيد[1] منها معرفة قوى أكثر الأدوية[*أ]، فإن الذي يدرك[2] منها (=الأدوية) بالقياس (=المنطقي: الاستنباط) نزر بالإضافة إلى ما يُحتاج من ذلك[3]، بل سبيل هذه الصناعة الطبية القياسية (=التي تعتمد الاستنباط والقياس: الطب كعلم) أن تعطي أسباب ما أوجدته[4] الصناعة الطبية التجريبية. وأما صناعة التشريح، فإنها (=صناعة الطب) تتسلم منها كثيرا من أجزاء موضوعاتها.

[١١] ولما كان صاحب الصناعة (=علم الطب) ليس يمكنه، بما هو[5] صاحب تلك الصناعة، أن يعلم المبادئ المتسلمة[6] في تلك الصناعة[7]- على ما لاح في "كتاب البرهان" (=في المنطق لأرسطو) - بل إن كان، فمن حيث هو صاحب صناعة أخرى، وجب أن يأخذ تلك المبادئ في صناعته (= علم الطب) من حيث هي مشهورة[*ب] وبخاصة في[8](الممارسة الطبية) التي[9] لا يتفق له[10] فيها الوقوف[11] على اليقين في جميع أجزائها كتجربة الأدوية؛ فإنه[12] بالإضافة إلى الوقوف على هذا الجزء (التجريبي) من الصناعة (الطبية) استقصر أبقراط العمر الإنساني في قوله: "العمر قصير" -وأما في الجزء القياسي منها (=علم الطب) فليس هنالك قصر[*ج]- وكذلك الأمر في زماننا هذا في كثير من الأعضاء المشاهدة بالتشريح، إذ كانت هذه الصناعة قد دثرت[*د].

[١٢] وينبغي أن تعلم أن صاحب العلم الطبيعي يشارك الطبيب (=في موضوع صناعته): إذ كان بدن الإنسان أحد أجزاء موضوعات صاحب علم الطباع[13]؛ لكن[14] يفترقان بأن هذا ينظر في الصحة والمرض من حيث هما[15] أحد الموجودات الطبيعية، وينظر الطبيب فيهما من حيث يروم حفظ هذه وإزالة هذا. ولذلك يحتاج الطبيب بعد معرفة الكليات التي تحتوي عليها هذه الصناعة (من العلم الطبيعي) إلى طول مزاولة، وحينئذ، يمكن أن يوجدها (= الكليات) في المواد (=الأبدان): فإن الكليات المكتوبة في هذه الصناعة يَلْحَقُها، عند إيجادها في المواد، أعراضٌ ليس يمكن أن تكتب. فإذا زاول

(*أ) قوى الأدوية: ما تقوى هذه الأدوية على فعله: مفعولها، تأثيرها.
(*ب) دون أن يبرهن على كونها يقينية، يأخذها كما هي متعارف عليها.
(*ج) اكتساب المعرفة الطبية بالتجربة يحتاج إلى ممارسة ومراقبة لمدة من الزمن طويلة. أما قياس الجديد على القديم أو حالة على حالة فهو عملية ذهنية لا تحتاج إلى زمان. وعبارة أبقراط التي أشار إليها ابن رشد كما يلي: "الصناعة (صناعة الطب) طويلة، والعمر قصير".
(*د) المقصود صناعة التشريح.

---

(١) ب، م، ت: فإنها تستفيد (٢) ب: تدركه (٣) م: أضيف "إليه" (٤) ب: أضيف "الصناعة" (٥) ت: بما كان (٦) ت: "من" وثبت فوق السطر "في" (٧) ب، م: أضيف "على ما لاح في كتاب البرهان" (٨) ت: سقط من المتن وثبت في الهامش "في" (٩) ت: الذي (١٠) ت: سقط "له" (١١) م: الوقوف فيها (١٢) ب: فبان (١٣) ب: ثبت "الطبائع" في الهامش؛ م: الطبائع (١٤) ب، ت: ولكن (١٥) ت: هي.

الإنسان أعمال[1] هذه الصناعة، حصلت له مقدمات تجريبية يقدر بها أن يوجد تلك الكليات في المواد. وذلك[2] كالحال في الصنائع العملية التي تستعمل الرويّة[3] كالملاحة وقوْد الجيوش، وأرسطو يخص هذه من بين الصنائع العملية بالقوى[*أ].

[٤- ما به يتميز الطب عن العلم الطبيعي]

[١٣] ومن هنا يظهر أن ما قيل في حد الطب، من أنه معرفة الصحة والمرض والأشياء المنسوبة إليهما، أنه حد غير صحيح. وذلك أنه أُسقِط من هذا الحد[4] الفصل[*ب] الذي به يتميز نظر صاحب هذا العلم من نظر صاحب العلم الطبيعي، وهو أن يزاد فيه: ليحفظ الصحة حاصلةً ويستردها زائلةً[5]. وكذلك أيضا لا يلتفت إلى ما يقولونه في الحد[6] (=تعريف الطب) من الحال التي ليست بصحة ولا مرض، فإنه ليس بين ضرر الفعل المحسوس ولا-ضرره وسط، وإنما يختلف بالأقل والأكثر. وليس المتوسط بين الضدين أن يكون كل واحد منهما في جزء غير الجزء الذي فيه الآخر، ولا في زمن غير الزمن[7] الذي فيه الآخر[*ج]. وهذا بين مما قيل في العلم النظري.

(*أ) أي فيها أشياء بالقوة يمكن أن تخرج إلى الفعل بالروية، بالبحث والنظر والتدبير. ذلك أن تطبيق كليات الطب، أي الجانب النظري العلمي فيه، على الأبدان يدل الطبيب على حالات من الاستجابة أو الرفض من طرف البدن يكتسب بها معارف جديدة، هي التي تعطيها الممارسة.

(*) ب الحد (=التعريف التام) يكون بالجنس والفصل: فحد الإنسان أنه حيوان (جنس) عاقل (فصل: ينفصل بالعقل عن الحيوانات). الطب والعلم الطبيعي يدرسان، كلاهما، جسم الإنسان. ولكن الطب ينفصل عن العلم الطبيعي من حيث إنه يهدف ليس فقط إلى معرفة بدن الإنسان بل أيضا إلى حفظ صحته وإزالة المرض عنه.

(*ج) "الوسط" بين المتقابلات أو المتناقضات ليس كالنقطة التي تقسم الشيء إلى قسمين متساويين، كما في العصا مثلا، كلا. الوسط في الأمور المعنوية والأعراض، كالصحة والمرض والسواد والبياض الخ، شيء اعتباري، تقريبي: فالبدن الذي في حال الصحة لا يكون خاليا من المرض تماما وإنما يكون في حال تغلب فيها الصحة. وكذلك الجسم الأسود فهو ليس خاليا من البياض تماما وإنما يغلب عليه البياض. وقد يتقلص المرض في الجسم الصحيح، والسواد في الجسم الأبيض، إلى درجة تقترب من الصفر، ولكنها لا تبلغ الصفر. فبين الأسود والأبيض متوسطات، ليست هي نصف بياض ونصف سواد، بل هي الألوان الأخرى التي يدخل السواد والبياض في تركيبها، مثل الأصفر والأدكن الخ. وهناك حالات ليس لها أسماء يعبر بها عن المتوسطات فيها، وإنما يعبر عنها بالسلب مثل قولنا: "لا-جيد"، و"لا-رديء"، و"لا-عدل"، و"لا-جور" الخ. (أنظر: ابن رشد. **تلخيص المقولات**. تحقيق موريس بويج. دار المشرق. بيروت ١٩٨٦. ص٩١).

---

(١) غ: هكذا "إعمال" (٢) ب: ثبت في المتن "وكذلك" وصحح في الهامش "وذلك" (٣) ب، م: أضيف "كالملاحة وقود الجيوش" (٤) ت: الجزء (٥) ب، م: أضيف "وهو أن يزاد فيه ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة" (٦) ب: أضيف "في الحد"؛ م: "يزيدونه في الحد" عوض "يقولونه" (٧) ت: زمان...الزمان.

[١٤] وإذ قد تبين من[1] هذا القول ما غرض هذه الصناعة وما أجزاؤها وكيف وجه النظر فيها، فقد ينبغي أن نشرع في القول[2] في جزء جزء منها[3].

---

(١) ب: في (٢) ب: سقط "في القول" (٣) ت: أضيف "هنا انقضى صدر الكتاب ونبدأ بعدُ كتاب تشريح الأعضاء بسم الله الرحمن الرحيم عونك اللهم".

الكتاب الأول

تشريح الأعضاء[1]

(١). غ، م، ت: كتاب تشريح الأعضاء.

[١- أصناف أعضاء بدن الإنسان]

[١] الأجزاء المشاهدة بالحسّ في بدن الإنسان صنفان: أحدهما الأعضاء (البسيطة وهي) المتشابهة الأجزاء[م]، أعني التي حدُّ الجزء والكل منها[١] واحد كاللحم والعظم، فإن[٢] جزء اللحم لحم ضرورة وكذلك العظم. والثاني الأعضاء[م] المركّبة، وهي التي ليس يشبه أجزاؤها بعضها بعضا كاليد المركبة من لحم وعَصَب ووَتَر[م].

[٢] والأعضاء البسيطة: عظامٌ وعصب ووتر[م] وعروق ورباط ولحم وشحم وجلد وغشاء[٣] ودم[م] وبَلْغَم[م] ومِرَّة سوداء[م] ومرة صفراء[م]، وروح[م]، وهو البخار المحسوس في القلب والدماغ[م][٤]. فنبتدئ أولا بذكر الأعضاء البسيطة ثم نذكر المركبة.

[٢-] القول في العظام

[٣] عظام الرأس – ما خلا الأسنان – ثلاثة وعشرون عظما: منها ستة تخصّ القِحْف[م]، ومُلتقى هذه العظام في ظاهر القحف[٥] يُسمى[٦] الشُّؤون[م]؛ وأربعة عشر عظما[٧] لِلَّحْي[م] الأعلى، فيها[٨] الخدّان والأذنان والعينان[٩]؛ واثنان للّحي الأسفل؛ وواحد، وهو المسمى وتدا، وهو عظم تحت القحف من ناحية خلف، فيما بينه وبين اللّحي الأعلى[م]. وجميع هذه العظام يتصل بعضها ببعض اتصالا دَرزيا[م]، إلا عَظْما الفك الأسفل، فإنهما يتصلان[١٠] اتصالا مفصليا[م].

[٤] والأسنان[١١] ستة عشر في كل لَحي. منها ثُنيَّتان ورَباعيتان ونابان، وخمسة أضْراس يمنةً، وخمسة أضراس[١٢] يسرة، وربما نقصت الأضراس فكانت أربعة [عند بعض الناس]. وأصول أضراس الفك الأعلى ثلاثة في كل واحد، وربما كانت أربعة. وأما أضراس الفك الأسفل فأصولها اثنان، وربما كانت ثلاثة[١٣]. وسائر الأسنان لها أصل واحد. فجملة عظام الرأس خمسة وخمسون عظما.

[٥] ويتصل بالرأس عند الثُّقْب الأعظم –الذي فيه من خلْفٍ– خَرَزاتُ[م] العُنق، وهي سبع، فيها ثقب من الجانبين. ويتصل بهذه خَرَزُ الظهر، وهي سبع عشرة خَرَزة:

---

(١) ت: منها والكل (٢) ت: لأن (٣) ت: وعصب وعروق ولحم وشحم وجلد ورباط وغشاء ووتر (٤) ب: ثبت "والدماغ" في الهامش (٥) م: سقط "وملتقى هذه العظام في ظاهر القحف" (٦) غ، ب، م: تسمى (٧) ب، ت: سقط "عظما" (٨) ب: فيه (٩) غ، ب، ت: سقط "والعينان" (١٠) م: فإنها تتصل (١١) م: أضيف "اثنان وثلاثون سنا" (١٢) غ، ت: سقط " يمنة وخمسة أضراس" (١٣) أضيف "وربما كانت ثلاثة" في م دون بقية النسخ.

اثنتا[١] عشرة[٢] خرزة[٣] منها تنسب إلى أنها خرز الصدر[٤]، وذلك أن حدّ الصدر عندها ينتهي؛ وخمس منها خرزُ القَطَن[م]. فجميع الخرز من لدن الدماغ إلى العَجُز[م] أربع وعشرون خرزة، وربما زادت واحدة أو نقصت واحدة[٥]، وذلك في الأقل.

[٦] ويتصل بالخرز من هذا الموضع عظمُ العَجُز، وهو مؤلف من ثلاثة أجزاء تشبه الخرز. ويتصل أيضا بهذا من أسفله عظمُ العُصْعُص[م]، وهو أيضا مؤلف من ثلاثة أجزاء[٦]، والثالث منها بالحقيقة هو العصعص، كأنه غُضْروف[م] عظمي. وجميع هذه الخرز تتصل[٧] اتصالا مفصليا، ما خلا الفقَارتين[م] الأُوليين[٨] من الرقبة[٩]. وأما[١٠] الفقارة الأولى، فإنها تتصل وترتبط مع الرأس[١١] بزائدتيْن تتشعّبان من قحف الرأس وتدخلان في نُقْرتين من الفقارة الأولى؛ وأما الفقارة الثانية، فتتصل بالرأس وترتبط بزائدة شبيهة بالسن ترتفع منها وتدخل في موضع من الفقارة الأولى، وترتبط بالرأس برباط قوي[١٢]. ويتصل من الجانبين بعظم خرز العجز عظمَا الخاصرتين[م]: من كل جانب واحدٌ. وفيهما[١٣] حُقٌّ[م] الوَرك[م] الذي فيه رأس الفَخِذ المسمى رُمّانة الفخذ.

[٧] فهذه هي[١٤] جميع العظام التي في المؤخَّر. وأما[١٥] التي في المقدَّم مما دون الرقبة، فالتَّرْقُوَتَان[م] وعظمَا[١٦] الكتف وعظامُ الصدر وعظام اليد وعظام العانة[م] وعظام الرِّجل. أما الترقُوَة فهو عظم مُحدَّب الخارج مقعّر الباطن، يتصل أحد رأسيه مع الـمَنْكِب ورأس العَضُد[م]، والطرف الآخر يتصل بأعالي[١٧] الصدر حيث نُقْرة[١٨] الحلْق. وأما الكتف فإنه من حيث هو موضوع على الظهر هو عريض، ويتصل به رأس غضروفي، ومن حيث يقارب الترقوة يستدير، وله نقرة[م] يدخل فيها رأس العضد.

[٨] وأما عظام الصدر فالقَصّ[م][١٩]، وهو مؤلف من سبعة أعظم، في طَرَفها الأسفل غضروف شبيه بالخنجر مشرف على فم المعدة، وابتداؤه من حيث نقرة الحلق وانتهاؤه إلى أسفل من الثُّدْي بقليل حيث أضيقُ موضع من المواضع التي تُحس من البطن ليّنةَ الغمز[م] لا عظم تحتها[٢٠]. وعظام الأضلاع –وهي من كل جانب اثنا عشر– محدّبةٌ، أطولُها أوسطها: سبعة يتصل منها أحدُ طرفيها من خلف بخرز الظهر ومن

---

(١) ب: اثنتا (٢) ت: عشر..عشر (٣) م: ثبت في الهامش "اثنا عشرة خرزة" (٤) ب: ثبت "حد الصدر" في الهامش؛ م: "الظهر...الظهر" عوض "الصدر...الصدر"، وصححت اللفظتان في الهامش (٥) ب، م: سقط "واحدة" (٦) م: سقطت العبارة "تشبه الخرز..ثلاثة أجزاء"؛ (٧) م: هذا...يتصل (٨) ب: الأوليين (٩) ت: سقط "من الرقبة" (١٠) م: "أما" عوض "وأما" (١١) غ، ت: "معها" عوض "مع الرأس" (١٢) غ، م، ت: سقط "وأما الفقارة الثانية فتتصل بالرأس بزائدة...الفقارة الأولى وترتبط بالرأس برباط قوي" (١٣) غ: وفيها (١٤) ب، م: سقط "هي" (١٥) م، ت: فأما (١٦) م، ت: فالترقوتين (م: فالترقوتان) وعظام (١٧) م: بأعلى (١٨) ب: ثبت في الهامش "ثغره" (١٩) غ: فالقس؛ م، ت: في القص (٢٠) غ، م، ت: سقط "شبيه بالخنجر مشرف على فم المعدة وابتداؤه من حيث نقرة الحلق وانتهاؤه إلى أسفل من الثدي بقليل حيث أضيق موضع من المواضع التي تحس من البطن لينة الغمز لا عظم تحتها".

قدّام بخرز عظام القص برؤوس غضروفية؛ وخمس منها تنقطع دون الاتصال بالقص وتسمى ضلوع الخلف، ولذلك تنغمز هذه داخلا[١] إذا غمزت. وليس فيما دون القص[٢] من البطن عظم إلا عظم العانة أسفل.

[٩] وأما عظام اليد (= الأطراف العليا) فثلاثون عظما: عظم العضُد، وهو واحد محدّب من خارج مقعّر من داخل، له رأس يدخل في نقرة الكتف، والطرف الآخر منه عند المِرْفِق، وله هنالك خَرَزة شبيهة بالبَكَرة يدخل فيها طرف الزَّنْد(م) الأعلى؛ وعظما الزند[٣]، وهما عظمان طولهما من المرفق إلى الرُّسْغ(م)، أحدهما أصغر ويسمى الزند الأعلى، والآخر أكبر ويسمى[٤] الزند الأسفل. ولهما في طرفيهما اللذين يليان الرسغ زوائدُ يلتئم بها - فيما بينهما[٥] وبين الرسغ - مفْصِلٌ؛ وثمانية أعظم يتركب[٦] منها الرّسغ منضودةً في صفين، وهي عظام صلبة عديمة المخ متقبية الشكل تقبّبا[٧]، يلتئم من اجتماعها هيئةٌ موافقة لما هو عليه الرسغ؛ وأربعة يتركب منها المُشْط(م) منضودة[٨] تتصل بأصل عظام[٩] الرسغ برباطات موثّقة؛ وخمسة عشر للأصابع الخمس، ثلاثة في كل أصبع، وهي التي تدعى السُّلاميات(م)، يتصل بعضها ببعض وتتصل هي[١٠] بعظم[١١] المشط بمفاصل موثّقة. والسلامية[١٢] الأولى من الإبهام تتصل بطرف الزند الأعلى بمفصل واسع سلس(*).

[١٠] وأما عظام الرِّجْل فتسعة وعشرون عظما[١٣]. أولها عظم الفخِذ، وهو عظم واحد محدّب الخارج أخمص(فارغ) الداخل، له طرف مستدير في أعلاه يسمى رمّانة الفخذ، و[له] من ناحية أسفل طرفٌ يدخل في نقرة الزند الأعظم من زنديْ السّاق(م). والزّندان[١٤] هما من لدن الرُّكبة إلى عظم الكَعب(م)، والأعظم منهما[١٥] يسمى الزند الأسفل، والأصغر يسمى الزند[١٦] الأعلى، ويلتقي[١٧] طرفا الزندين[١٨] عند الكعب.

[١١] فيحدث في الرِّجل (= يوجد إذن في الأطراف السفلى) ثلاثةُ مفاصل: مدخل عظم الفخذ في[١٩] الورك من ناحية خلف؛ ومدخل طرفه الآخر في نُقرة الزند

(*) هذا المفصل الذي في النهاية العلوية للإبهام له شكل جوف عنابي، وهو "سلس" إذ ينقاد بسهولة في الحركة، ولذلك يكون للإبهام القدرة على شمل الشيء في وسط الكف، وفي هذا السياق يقول بعض القدماء: "الإبهام كالصمام على ما يقبض عليه الكف".

---

(١) أضيف "داخلا" في ب دون بقية النسخ (٢) غ: القس...بالقس...القس (٣) ت: الزندين (٤) م: "وطرف" عوض "وعظما الزند...ويسمى" (٥) ب: بينهما (٦) غ، ت: "تركب" عوض "أعظم يتركب"؛ م: أعظم ركب (٧) م: متقننة...تقننا؛ ب: مقببة... (٨) غ، ت: سقط "منضودة" (٩) غ، ب، ت: "عظم" (١٠) ت: سقط "هي" (١١) م: سقط "بعظم" (١٢) ب: السلامى (١٣) ب، ت: ثبتت لفظة "عظما" في الهامش (١٤) ب: ثبتت لفظة "الزندان" في الهامش (١٥) م، ت: منها (١٦) غ، ب، ت: سقط "الزند" (١٧) ب: وملتقى (١٨) ت: طرف الزند (١٩) ب: سقط "الفخذ في".

الأعظم (= حفيرة عظم القصبة الكبرى)، وهو مفصل الركبة -وعلى هذا المفصل (=وهو الثاني) عظم مُطْبق[١] عليه مستدير، فيه غضروفية تسمى عين الركبة-؛ والثالث ملتقى الزندين، وهو الكعب[٢]. ويلاصق الكعبَ [عظْمان]: أمّا من قدام، فعظمٌ يسمى الزَّورقي[م]؛ وأما من أسفل[٣]، فعظمُ العَقِب[م]. ويتصل بهذين [العظمين] عظمُ الرُّسغ[م]، وهو مؤلف من ثلاثة أعظُم يلتئم منها شكلٌ موافق له؛ ثم يتصل بهذا[٤] مُشْطُ القدم، وهو مركب من خمسة أعظم؛ ثم سُلاميات الأصابع، وهي ثلاث لكل أُصبع، ما خلا الإبهام [= أغلظ الأصابع] فإن لها سلاميتين.

[١٢] فمبلغ جميع العظام[٥]-على رأي جالينوس- مائتا عظم وثمانيةٌ وأربعون عظما، سوى الأعظم الصِّغار التي حُشي بها خَلَل المفاصل وتسمى السِّمسمية[م] [٦]، وسوى عظم الحنجرة والعظم الغضروفي الذي يقول بعض المشرِّحين[٧] بأنه[٨] في القلب. وإنما أضربنا عن أشكال[٩] اتصالات هذه العظام بعضها ببعض لأن الذي يتصور منها[١٠] بالقول نزر بالإضافة إلى ما هو[١١] عليه الأمر في نفسه.

[٣-] [١٢]في العروق

[١٣] والعروق المحسوسة [١٣] صنفان: ضوارب وغير ضوارب[م]. أما العروقُ الضوارب فهي مؤلفة - إلا واحدا[١٤] - من طبقتين متشابهتي الأجزاء[*]. الداخلةُ منهما[١٥] لِيفُها ذاهب[١٦] عرضا[١٧] وهي أصلب وأغلظ[١٨]، والخارجة ليفُها[١٩] ذاهب بالطول[٢٠].

[١٤] وهذه العروق [الضوارب] يظهر بالحس أنها خارجة من القلب، وذلك أنه يخرج من تجويفه الأيسر شريانان: أحدهما أصغر وطبقته واحدة، وهي أرقّ من إحدى طبقتي سائر الشرايين، وهذا العرق يدخل إلى الرئة وينقسم فيها؛ وأما الآخر، فهو أكبر

(*) يتعلق الأمر هنا اصطلاحا بالطبقة الليفية (tunique fibreuse)؛ ويدخل تحت اسم الطبقة في المتن كما سنرى مجموعة من أشكال الطبقة التي يختلف اليوم اسمها حسب العضو: غشاء، لفافة، جليدة، صفاق (صفاق عضلات المقلة: tunica albuginea oculi)، الخ.

---

(١) م: منطبق (٢) غ، ت: سقط "والثالث ملتقى الزندين وهو الكعب" (٣) غ، م: أسفله (٤) غ، م، ت: بهذه (٥) غ: "عظام الانسان" عوض "العظام"؛ م: العظام، وسقط "جميع" (٦) ت: السمسمانية (٧) ت: "المشرحون" عوض "بعض المشرحين" (٨) غ، م، ت: انه (٩) م: شكل (١٠) غ، ب: منه (١١) غ، م، ت: سقط "هو" (١٢) م: أضيف "القول" (١٣) م: المحسوسات (١٤) غ، م، ت: سقط "إلا واحدا" (١٥) م: الداخلة منهما (سقط "و") (١٦) ب: سقط من المتن وثبت في الهامش "ذاهب" (١٧) ت: ثبت في الهامش "ذاهب بالطول" (١٨) غ، ب، ت: سقط "وأغلظ" (١٩) غ: ثبت "ليفها" في الهامش (٢٠) م: طولا؛ ب، م: أضيف "وفيها ليف يسير على الوراب".

كثيرا، وهو المعروف بالأبهر(م)[1]. وهذا حين يطلع يتشعّب منه شعبتان، فتصير إحداهما[2] إلى التجويف الأيمن من[3] تجويفَي القلب وهي[4] أصغر الشعبتين، والأخرى تستدير حول القلب كما يدور[5] ثم تدخل إليه وتتفرق فيه؛ ثم إن القسم الباقي[6] من العرق النابت من تجويف القلب الأيسر -بعد انشعاب هاتين الشعبتين منه- ينقسم قسمين، فيأخذ أحدهما إلى أسافل[7] البدن، ويأخذ الآخر إلى أعاليه.

[١٥] والقسم الآخذ إلى أعالي البدن تنقسم[8] منه في مصعده -في الجانبين- شعبٌ تتصل بما يحاذيها من الأعضاء، حتى إذا حاذى الإبط خرجت منه شعبةٌ مع العرق الإبطي الغير ضارب إلى اليد، وتنقسم فيه كتقسّمها[9] آنفا؛ وتتصل منه شعب صغار بالعضل الظاهر والباطن من العضد وهو مع ذلك غائر مندفن، حتى إذا صار عند المرفق صعد إلى فوق قليلا حتى أن نَبْضه يظهر في هذا الموضع[10] في كثير من الأبدان، ولا يزال تحت الإبطي(م)[11] ملاصقا له حتى ينزل عن المرفق قليلا؛ ثم إنه يغوص أيضا في العمق وتتشعب منه شُعَب شعرية(م) تتصل بعضل الساعد، إلى أن يقطع[12] من الساعد مسافة صالحة؛ ثم إنه ينقسم قسمين أيضا: فيأخذ أحدهما إلى الرسغ مارًّا على الزّند الأعلى، وهو[13] العرق[14] الذي يجسّه الأطباء(*)، ثم[15] يأخذ الآخر إلى الرسغ أيضا مارا على الزند الأسفل، وهو أصغرهما، ويتفرقان[16] في الكف، وربما ظهر لهما نبض في ظاهر الكف.

[١٦] وإذا بلغ هذا القسم الأعلى موضع اللَّبّة(م)، انقسم قسمين[17] آخرين، وجاوز[18] أحدُ هذين القسمين الوَدَج(م) الغائر ومر صاعدا حتى يدخل القِحْف، ويتصل[19] في مروره منه شِعب بالأعضاء الغائرة التي هنالك. وإذا دخل القحف انقسم هنالك تقسّما[20] كثيرا، وصار منه الشيءُ المعروف بالشبكة المفروشة تحت الدماغ[21]؛ ثم إنه بعد تقسمه يجتمع ويغُور[22]، فيخرج من هذه الشبكة عرْقان متساويان في العظم -كحالهما قبل الانقسام[23]-، ويدخلان حينئذ[24] جرمَ الدماغ، فينقسمان فيه.

(*) وهو الشريان الكعبري (artère radiale).

---

(١) ت: بالأبهرى (٢) م: فيصير أحدهما (٣) ت: في (٤) ت: وهو (٥) غ، م، ت: سقط "كما يدور" (٦) غ، ت: الثاني (٧) م: أسفل (٨) ب، م: ينقسم (٩) ب: وتنقسم فيه كقسمتها؛ م، ت: وينقسم (م: وتنقسم) فيه كتقسيمها (١٠) م: سقط "في هذا الموضع" (١١) ت: الإبط (١٢) غ، ب، ت: تقطع (١٣) ت: "وهذا هو" عوض "وهو" (١٤) ب: سقط من المتن وثبت في الهامش "العرق" (١٥) ب: أضيف "إنه" (١٦) ت: يتفرقا (١٧) ب: أضيفت العبارة "وانقسم كل قسم من هذين القسمين إلى قسمين" (١٨) م، ت: جاور (١٩) ت: وتدخل (٢٠) ب، ت: تقسيما (٢١) ب: أضيف "وهو جسم يشتبك شباكا كثيرة قد ألقى بعضها على بعض" (٢٢) ت: تقسيمه يجتمع ويعود (٢٣) ب: أضيف "إليها" (٢٤) غ، م، ت: سقط "حينئذ".

[١٧] وأما[١] القسم الآخر من هذين القسمين –وهو أصغرهما- فإنه يصعد إلى ظاهر الوجه والرأس، ويتفرق فيما هنالك من الأعضاء الظاهرة كتفرق الوَدج الظاهر[٢]. وقد يظهر نبض هذا القسم خلف الأذن وفي الصُّدْغ[م]. فأما[٣] النبض الظاهر عند الودَجين فإنه نبض القسم العظيم المجاور للودج الغائر، ويسمى هذان الشريانان شرياني[٤] السُّبات[م].

[١٨] وأما القسم[٥] النابت من القلب إلى أسافل[٦] البدن، فإنه يركَب خَرَز الصُّلب[م][٧] نازلا إلى أسفل، وتتشعب منه عند كل خرزة شُعَبٌ يمنةً ويسرةً وتتصل بالأعضاء المحاذية لها. وأول شعبة تتشعب منه شعبة[٨] تأتي الرئة؛ ثم شعب تأتي العضل الذي بين الأضلاع؛ ثم شعبتان تأتيان الحجاب[م]؛ ثم شُعب تأتي المعدة والكبد والطِّحال[م] والثرْب[م] والأمعاء والكُلى والأرحام والأُنثيَيْن[م] والمثانة والقضيب[م] وشعب[٩] تخرج منه حتى تتصل[١٠] بالعضل الخارج، المحاذية لهذه المواضع. [وهكذا] حتى إذا جاء إلى آخر الخرز انقسم قسمين، وأخذ كل قسم[١١] منهما نحو إحدى الرجلين وانقسما فيهما[١٢] كتقسّم العروق، إلا أنهما غائران. ويظهر نبضهما عند الأُرْبيَّتيْن[م] ، وعند العقب تحت الكعبين، وفي[١٣] ظهر[١٤] القدمين بالقرب من الوَتَر العظيم.

[٤-] [١٥] في العروق غير الضوارب[١٦]

[١٩] والعروق غير الضوارب[١٧] هي من طبقة واحدة. وتوجد[١٨] بالحس[*أ] متشعبة[١٩] من عرق عظيم في محدب الكبد يسمونه الأجوف[*ب][٢٠] وإذا طلع هذا العرق لم يمر كبير شيء حتى ينقسم بقسمين[٢١]: أحدهما –وهو الأعظم- يأخذ إلى أسافل البدن؛ والثاني يأخذ إلى أعالي البدن. وهذا [القسم] الأعلى يمر حتى يلاصق الحجاب.

(*أ) بالحس، أي بناء على المشاهدة والتجربة. يستعمل ابن رشد هنا قصدا عبارات: يظهر بالحس، يوجد بالحس، يرى متصلا... في نفس المواضع بالضبط التي استعمل فيها الأطباء قبله (خصوصا الرازي، ابن سينا، علي بن العباس) عبارات أخرى لا تفيد معنى بالتجربة والاستكشاف المتطور والاستقراء الذي هو بالنسبة إلى ابن رشد طريقة ضرورية للمعرفة من أجل العمل في صناعة الطب.

(*ب) العرق الأجوف (veine cave). وأضيف هنا في النسخة اللاتينية فقرة طويلة من حوالي ٣٠ سطرا لم ترد في النسخ العربية، ومثل هذه الزيادات واردة في الكتاب كله (انظر مقدمة التحقيق).

---

(١) ت: فأما (٢) غ، م، ت: سقط "كتفرق الوداج الظاهر" (٣) م: وأما (٤) ت: بشرياني (٥) ب، م: أضيف "النازل من قسمي العرق" (٦) ت: "الثاني الآخذ إلى أسفل" عوض "النابت من القلب إلى أسافل" (٧) م: الظهر (٨) غ: يمكن أن تقرأ "شعبته" (٩) ت: وشعبة (١٠) ت: تصل (١١) غ، م، ت: "واحد" عوض "قسم" (١٢) ب، م: وانقسم (ب: وانقسما) فيها (١٣) م: "في" عوض "وفي" (١٤) ت: ظاهر (١٥) م: أضيف "القول" (١٦) غ، ت: الغير ضوارب(١٧) نفسه (١٨) ب: "توجد" عوض "وتوجد" (١٩) ت: بالجس منشعبة (٢٠) غ، ب، ت: سقط "يسمونه الأجوف" (٢١) ب، ت: قسمين.

وينقسم منه هنالك عرقان يتفرقان في الحجاب، ثم ينفذان الحجاب. حتى إذا[1] نفذاه انقسمت منهما عروق دقيقة واتصلت بالغشاء الذي يقسم الصدر بنصفين وبغلاف القلب وبالغدة التي تسمى التُّوتة[م] وتفرقت فيها؛ ثم تتشعب[2] منه شعبة عظيمة تتصل بالأذن الأيمن من أذني القلب. وتنقسم هذه الشعبة ثلاثة أقسام: أحدها يدخل التجويف الأيمن من تجويفيْ القلب، وهو أعظم هذه الأقسام (الثلاثة)؛ والثاني يستدير حول القلب من ظاهره وينبث فيه كله؛ والثالث يتصل بالناحية السفلى من الصدر، ويغذو ما هنالك من الأجسام.

[٢٠] وإذا جاوز (هذا القسم الأعلى) القلبَ مر على استقامة إلى أن يُحاذي الترقُوَتين[م]. ويتقسّم[3] منه في مسلكه هذا شعبٌ صغار في كل واحد من الجانبين، وتخرج منها شعب إلى العضل الخارج المحاذي لتلك الأعضاء الداخلة. وعند محاذاته للإبط[4] يخرج منه إلى خارج شعبة عظيمة تأتي اليدين من ناحية الإبط، وهو المسمى الباسليق[م]. فإذا حاذى[5] من الترقوة الوسطَ – وهو موضع اللبة – انقسم قسمين: فصار أحدهما إلى ناحية اليمين، والآخر إلى ناحية اليسار. وانقسم كل واحد من هذين القسمين إلى قسمين: فركِب أحدُ القسمين الكتفَ وجاء إلى اليد من الجانب الوحشي[*]، وهو العرق المسمى القيفال[م][6]؛ وانقسم[7] الثاني قسمين، في كل جانب يمر أحدهما غائرا صاعدا [8] في العنق حتى يدخل القحف. وفي مروره في العنق[9] إلى أن يدخل الدماغ، تتشعب[10] منه شعب صغار تتصل بما في العنق من الأعضاء الداخلة، ويسمى هذا القسم[11] الودج الغائر؛ وأما الثاني، فيمر صاعدا في الظاهر حتى ينقسم في الوجه والرأس[12] والعين والأنف، وهو الودج[13] الظاهر.

[٢١] وتتشعب[14] من العرق الكتفي في مروره بالعضد شعب صغار تنبث في العضد. وتتشعب أيضا من الإبطي[15] شعبٌ صغار تتصل أيضا بباطن العضد. وإذا قارب العرقُ الكتفي والعرق الإبطي مفصلَ المرفق انقسما: فأحد[16] أقسام العرق الكتفي يمازج قسما من العرق الإبطي؛ ويتحدان[17] فيكون منهما عند المرفق العرقُ المسمى الأكحل[م].

(*) يقول الأطباء القدماء: "الوحشي من الجانبين هو الخارج عن عمود البدن والإنسيّ ضده". وفي قواميس اللغة هو "الجانب الأيمن من كل شيء أو الأيسر، ومن القوس ظهرها".

---

(١) غ، ت: "فإذا"؛ م: سقط ضمن عبارة طويلة (انظر هامش (١١)) (٢) ت: تشعبت (٣) غ، ت: وينقسم؛ م: سقط (٤) ت: الإبط (٥) ت: يظهر "جاور" (٦) غ: "القفال"، وصحح في الهامش "القيفال" (٧) ب: والقسم (٨) غ، ب: أحدهما...مصعدا؛ ت: إحداهما...صاعدا (٩) ت: بالعنق (١٠) غ: تشعب؛ ب: تتشعب؛ ت: يتشعب (١١) م: سقط ما يزيد عن فقرة؛ من "يمر حتى يلاصق الحجاب" إلى "ويسمى هذا القسم" (١٢) م: الجبهة (١٣) ت: الوداج...الوداج (١٤) غ: يتشعب؛ ت: وردت اللفظة من دون نقط الحرفين الأولين؛ م: كلمة مطموسة (١٥) غ، م، ت: من الابط (غ: الابطي) ايضا (١٦) ت: فأخذ (١٧) غ: هكذا "وينحدران".

والقسم الثاني من أقسام العرق الكتفي(م) يمتد في ظاهر الساعد، ويركَب بعد ذلك الزندَ الأعلى، وهو المسمى حبل الذراع. وقسم من العرق الإبطي وهو الأسفل مكانا- يمر في الجانب الداخل من الساعد حتى يبلغ رأس الزند الأعلى[١]، ويكون من بعض شعبه العرق الذي بين الخنصر والبنصر، المسمى الأُسَيْلِم.

[٢٢] وأما القسم[٢] الذي يأخذ إلى أسافل البدن، فإنه يركَب خرز الظهر آخذا إلى أسفل[٣]. وتتشعب منه أولا[٤] شعبٌ تأتي لفائفَ الكلى وأغشيتها والأجسام التي بالقرب منها؛ ثم تتشعب منه شعبتان عظيمتان تدخلان في تجويف الكلى؛ ثم شعبتان تصيران إلى الأنثيين؛ ثم يتشعب[٥] منه عند كل فقارة عرقان يمران في الجانبين ويتصلان بالأعضاء القريبة منهما[٦]، ما كان (منها) داخلا كالرحم والمثانة، وما كان منها خارجا كمراقّ البطن(*م) والخاصرتين؛ حتى إذا بلغ (=هذا القسم الآخذ إلى أسافل البدن) آخر الخرز انقسم قسمين: يأخذ أحدهما[٧] إلى الرجل اليمنى، والآخر إلى اليسرى. وانشعبت[٨] منه شعب تتصل بعضل الفخذين، منها غائرة ومنها ظاهرة؛ حتى إذا بلغ منتهى[٩] الركبة انقسم ثلاثة أقسام: فمر قسم منها في الوسط واتصل بشعب له بجميع عضل الساق الداخل والخارج؛ ومر قسم في الجانب الداخل[١٠] من الساق حتى ظهر عند الكعب الداخل، وهو الصافن(م)؛ والقسم الآخر يمر في الجانب الظاهر[١١] من الساق، وهو غائر إلى ناحية الكعب الخارج، وهو عرق النَّسَا(م).

[٢٣] وتتشعب[١٢] من كل واحد من هذين (=القسمين الآخذ أحدهما إلى الرجل اليمنى والآخر إلى اليسرى) عند بلوغه القدمَ شعبٌ تتفرق في القدم، فتكون الشعب التي هي[١٣] من القدم في ناحية الخنصر والبنصر من شُعب عرق النسا، والتي[١٤] في (ناحية) الإبهام من شعب الصافن(م).

(*م) مراقّ البطن ما كان منه رقيقا ولينا في أسفله. ويعرفه القدماء: "العضلات الممتدة على البطن". وكذلك: "الجسم المجتمع من الجلد والعضل الذي على البطن والغشاء الذي تحته، وهو الذي يحوي الأحشاء".

---

(١) م: الأسفل (٢) ب: أضيف "الثاني" (٣) ت: أسفله (٤) غ: اولا منه؛ ب: ثبتت لفظة "اولا" في الهامش (٥) غ: تتشعب؛ ت: وردت الكلمة من دون نقط الحرفين الأولين (٦) م، ت: منها (٧) غ: فاخذ احدهما؛ م: ياخذ احداهما (٨) م: وانشعب (٩) غ، ت: مثنى (١٠) ت: الظاهر، وصحح في الهامش "الداخل" (١١) ت: الآخر، وصحح في الهامش "الظاهر" (١٢) غ، م: يتشعب (١٣) ب: سقط "هي" (١٤) ب: "التي" عوض "والتي".

[٥-] في العَصَب

[٢٤] وهذه الأجسام تظهر متصلةً رؤوسُها إما بالدماغ وإما بالنُّخاع[٢][*أ]. ولذلك قد يُظن أن منهما[١] نشوءَ[٢] جميعها. والنخاع يُرى متصلا[٣] رأسُه بمؤخَّر الدماغ مُستجِنًّا[٤](= مستورا) بغشائه ممتدا إلى أن يبلغ العظمَ المسمى العُصْعص؛ ولذلك قد يظن أيضا أنه ينشأ من الدماغ.

[٢٥] ويتصل بالنخاع عند كل ملتقى[٥] خرزتين منه رؤوسُ[٦] زوج من العصب، يأخذ أحدُهما يمنةً والآخرُ يسرة، حتى ينتهي إلى آخر العصعص، فيتصل بأسفله رأس عصَبة واحدة. وكذلك، يتصل بالدماغ رؤوس سبعة أزواج من العصب[*ب]. الزّوج الأول عصبتان تظهران كأنهما تنشآن من الدماغ وتتصلان[٧] بالعينين. وهاتان العصبتان مجوّفتان[*ج]. فإذا[٨] بعدتا من الدماغ اتصلتا وأفضى ثقب كل واحد (=هذا الزوج) منهما

(*أ) لا تقدم مؤلفات الطب عند القدماء العرب عموما -بما فيهم الرازي وابن سينا- الكثير في موضوع النخاع (moelle épinière) ولم تخصص له فصلا كاملا، وذلك للشبه الذي كانوا يرونه بين طبيعتي النخاع والدماغ. هذا باستثناء ما جاء في *كامل الصناعة* أو "الكتاب الملكي" - كما عرف أيضا فيما بعد - حيث يقدم مؤلفه علي بن العباس المجوسي دراسة مستقلة في الموضوع (القسم الأول، الباب الثالث، فصل ١٢).

(*ب) ظل موضوع الأزواج السبعة منذ جالينوس يتواتر عند القدماء العرب بناء على فكرة تقول بأنه كلما ابتعد العصب عن الدماغ كان صلبا، وكان لينا رطبا كلما كان قريبا من الدماغ مثل عصب العين. وتصنيف الأزواج السبعة، كما سيأتي وصفه، وضعه مارينوس في القرن الأول الميلادي، ولم يكن جالينوس مقتنعا به كثيرا - خصوصا فيما يخص الزوجين الرابع والخامس -، وكذلك لم يقتنع به بعض الأطباء العرب، وقد حاول ابن سينا أن يصحح فيه أشياء. ورغم ذلك فقد تبناه الجميع. وأما ابن رشد فيبدو أنه قد تحاشى في عرضه كل التفاصيل والمعلومات التي كانت موضوع شك عند سابقيه.

(*ج) هذا الخطأ في التشريح الذي جاء عند ابن سينا ومن بعده، المتعلق بالتجويف في هاتين العصبتين، يرجع إلى خلط بين الشريان البصري والعصب البصري في الملاحظة؛ وللخطأ أصل آخر لم يكن حاضرا في ذهن أطباء العصور الوسطى، ويعود إلى مشرحين قدماء كانوا يعتقدون أن الأشياء والأجسام الخارجة التي ندركها لها أشباح (Lucrèce) أو صور (Cicéron) على شكل أغشية لطيفة تنسلخ عن أجسامها (عن الأشياء) فتدخل فينا عبر الأعضاء المجوفة فتحصل المعرفة... وعند القدماء ليس في البدن عصبة مجوفة غير هاتين العصبتين.

---

(١) ب، ت: منها (٢) ت: نشئ (٣) ت: متصل، وسقط "يرى" (٤) ب: منتسجا، وصحح في الهامش "مستجنا" (٥) ب: ملتقى كل (ثبت "كل" في الهامش، وثبتت علامة الإشارة بعد لفظة "ملتقى") (٦) ب: أضيف "كل" (٧) غ، ت: رؤوس سبعة...يظهر كأنها (غ: تظهر كأنهما) تنشأ من الدماغ وتتصل؛ في نسخة م عبارة "تنشآن" مطموسة؛ جاءت عبارة ت في الهامش وكتب فوقها "أصل" (أثبتنا في المتن عبارة ب) (٨) غ: وإذا.

إلى صاحبه، ثم تفترقان -وهما بعدُ داخلَ القِحف-، ثم تخرجان وتصير كلٌّ واحدة[1] منهما إلى العين التي تليها من جانبها(*). والزوج الثاني يُرى كأنه ينشأ من خلْفِ منشأ الزوج الأول، ويخرج من القحف في الثقب الذي في قعر العين، ويتفرق في عضل العين. والزوج الثالث يظهر أيضا كأنه ينشأ من خلف منشأ[2] الزوج الثاني من حيث ينتهي البطن المقدم إلى البطن الثاني[3]، ويخالط الزوجَ الرابع الذي بعده؛ ثم يفارقه وينقسم أربعة أقسام: أحدها ينزل إلى البطن إلى ما دون الحجاب؛ والباقية منها ما يتفرق في أماكن من الوجه والأذن والأنف، ومنها ما يتصل بالزوج الذي بعده. والزوج الرابع منشأه من خلف منشأ الزوج الثالث، ويتفرق في الحنَك. والزوج الخامس يصير بعضه إلى الأذن، وبعضه إلى عضل الخدّ. والزوج السادس يصير بعضُه إلى الحلَق واللسان، وبعضه يصير إلى العضل الذي في ناحية الكتف وما حواليها. وبعضه ينحدر في العُنق، وتتشعب منه في مروره شعبٌ يتصل بعضها بعضل الحنجرة، وإذا بلغت إلى[4] الصدر انقسمت أيضا فرجع بعضها صاعدا حتى يتصل بعضل الحنجرة، ويتفرق شيء منها في غلاف القلب والرئة والمَريء[4] وما جاورها[5]. ويمر الباقي[6] (=من هذه الشعب)-وهو أكثره[7]- حتى ينفذَ في[8] الحجاب، ويتصلُ بفم المعدة منه أكثرُه، ويتصل الباقي بغشاء الكبد

(*) أثارت هذه النقطة خلافا بين بعض الباحثين المعاصرين في حكمهم على آراء المشرحين القدماء في الشكل الذي تصير به هاتان العصبتان إلى العينين. فمنهم من يرى أن ابن رشد يقول بأن هاتين العصبتين -المجوفتين الناشئتين من الدماغ- تتصلان (تلتقيان وتجتمعان) ثم تصيران إلى العينين بحيث تصير العصبة الناشئة من الجانب الأيمن -بعد اتصالها بالأخرى- إلى العين اليمنى، والناشئة من الجانب الأيسر إلى العين اليسرى؛ وأن ابن سينا يقول بعكس ذلك إذ يقول: "(...) ثم يلتقيان على تقاطع صليبي (...)" -وهو التصالب المعروف على شكل X (chiasma)- فالعصبة المنطلقة إذن من الجانب الأيمن تصير إلى العين اليسرى والعكس. ومنهم من يرى عكس كل هذا. ويبدو أن الخلاف يعود أساسا إلى اعتماد الباحثين النص اللاتيني الذي جاءت الترجمة فيه غير دقيقة، بما فيه عبارة ابن سينا القائلة "وقد ذكر غير جالينوس انهما ينفذان على التقاطع الصليبي من غير انعطاف" ("الفصل الثاني في تشريح العصب الدماغي" من كتاب *القانون*)، وهذه العبارة نفسها أدت إلى تأويلات أخرى كثيرة. يمكن أن نقول عموما، وباختصار، إن النص العربي جاء إلى حد ما واضحا، وفيه نقرأ أن النابت يمينا يصير إلى العين اليمنى، والنابت يسارا إلى العين اليسرى. وأما اليوم فبين أن النابت يمينا يصير إلى العين اليمنى والعكس، وما جدّ هو أنه من التقاطع الصليبي تنطلق بعض ألياف العصبة اليمنى -فقط- إلى العين اليسرى والعكس. في النسخة اللاتينية لكليات ابن رشد إضافة تقول كيف تنتهي هاتان العصبتان في العين، ولا نقف عليها في النسخ العربية.

(١) ت: يخرجان ويصير كل واحد (٢) غ، م، ت: سقط "منشأ" (٣) ت: سقط من المتن وثبت في الهامش العبارة "من حيث ينتهي...الثاني" وكتب فوقه "أصل" (٤) ت: سقط "إلى" (٥) ت: جاوزها (٦) ب: الثاني (صحح في الهامش "الباقي") (٧) ب: أكبره (٨) غ، م، ت: سقط "في".

والطِّحال وسائر الأحشاء، ويتصل به هنالك بعض أقسام الزوج الثالث. والزوج السابع يبتدئ من مؤخر الدماغ حيث منشأ النخاع، ويتفرق في عضل اللسان والحنجرة.

[٢٦] ويظهر بالحس كأنه ينشأ من النخاع أحد وثلاثون زوجا من العصب وفردٌ لا مقابل له (= لا ثاني له). ثمانية أزواج منها تخرج ما بين خَرَز العنق؛ واثنا عشر زوجا من خرز الظهر إلى حيث يقابل من الظهر الصدر؛ وخمسة أزواج من خرز القَطَن -وهو أسفل الظهر-؛ وثلاثة (أزواج) من عظم العجز؛ وثلاثة من عظم العصعص؛ وفرد لا مقابل له يخرج من طرف[١] عظم العصعص من وسطه.

[٢٧] فالزوج الأول يخرج من الثُّقب الذي في الفقارة الأولى من فقار العنق، ويصعد حتى يتفرق في عضل الرأس. والثاني[٢] يخرج ما بين الثقب الملتئم فيما بين الفقارة الأولى والثانية، وينقسم[٣] قسمين: فيتصل بجلدة الرأس بعضه (= أحد هذين القسمين)، وبعضه (= القسم الآخر) بعضل العنق[٤] وعضل الكتف. والزوج الثالث مَخْرجُه من الثقب الملتئم فيما بين الفقارة الثانية والثالثة، وينقسم قسمين: فبعضه يصير إلى بعض العضل الذي في الخد؛ وبعضه يتفرق في العضل الذي بين الكتفين. والزوج الرابع منشأه فيما[٥] بين الفقارة الثالثة والرابعة، وينقسم قسمين: يأخذ أحدهما في العضل الذي في الظهر، والآخر يأخذ إلى قُدّام ويتفرق في العضل الموضوع بحِذائه وفوقه. و(الزوج) الخامس يخرج فيما بين الفقارة الرابعة و[٦] الخامسة، وينقسم أقساما: بعضها يصير إلى الحجاب، وبعضها يصير إلى بعض العضل الذي في الرأس والرقبة، وبعضها [٧] إلى عضل الكتف. والسادس منشأه مما بين الفقارة الخامسة والسادسة. والسابع (منشأه) مما بين السادسة والسابعة[٨]. والثامن مما[٩] بين السابعة والثامنة وهي آخر فَقار العنق. وينقسم العصب الخارج من هذه كلها، فيصير بعضٌ في عضل الصدر والرقبة، وبعض في عضل الصُّلب وفي الحجاب، ما[١٠] خلا الزوج الثامن فإنه لا يأتي الحجابَ منه شيء. وبعضها يصير إلى العضد وإلى الذراع وإلى الكتف. ومن الزوج السادس (يتّصل) بعضٌ بعضل[١١] الكتف وبعض بالعضد[١٢]. ومن السابع يصير بعض إلى العضل الذي في العضد،

---

(١) ت: ثبتت لفظة "طرف" في الهامش (٢) ت: "والزوج الثاني" (٣) غ، م، ت: فينقسم (٤) ت: العين، (٥) ت: مما (٦) ب: سقط من المتن وثبت في الهامش "الرابعة و" (٧) ب: أضيف "يصير" (٨) ب: السابعة والسادسة (٩) ب، ت: والسادس منشأه ما...ما...ما (١٠) ت: والحجاب ما؛ غ، م: سقط "ما" (١١) ب: في عضل (١٢) في جميع النسخ العربية وردت العبارة هنا كما يلي: "وبعضها يصير إلى العضد والى الذراع والى الكتف من الزوج السادس وبعض بعضل (نسخة ب: في عضل) الكتف وبعضل بالعضد". وفي تقديرنا لا تستقيم العبارة بهذا الشكل، وإذا رجعنا بهذا النص إلى مثيله في مؤلفات أخرى لغير ابن رشد نقف على ما يلي: "وبعضها يصير إلى العضد وإلى الذراع وإلى الكتف فيتصل من الزوج السادس بعضل الكتف وبعضه يُحرك العضل ويُنيل أعالي العضدِ الحسَّ". ثم لعل النسخة اللاتينية اعتمدت أصلا عربيا أصح (إن لم يكن تصحيحا من المترجم نفسه)، وقد جاء فيها "الزوج السادس" بداية جملة، وهي: ومن الزوج السادس يصير بعض إلى عضل الكتف، وبعض آخر إلى العضد.

وبعض يتفرق في جلدة العضد الباقي. وبعض من الزوج الثامن ينبث في جلدة الذراع، وبعضه يصير في عضل الذراع. والزوج التاسع يخرج ما بين الخرزة الثامنة والتاسعة، وهو أول العصب الخارج من[1] خرز الظهر. وينقسم بعضه في العضل الذي فيما بين الأضلاع، وبعضه في عضل الصلب، وبعضه[2] ينزل إلى الكتف وينبث فيه. والزوج العاشر يخرج ما بين الخرزة التاسعة والعاشرة، ويصير منه جزء إلى جِلدة[3] العضد، وباقيه ينقسم: فيأخذ منه قسمٌ إلى قدّام ويتفرق في العضل الذي فيما بين الأضلاع، والعضل المُلْبَس على الصدر؛ والآخر يتفرق في عضل الظهر والكتف. وعلى نحو هذا يكون خروج العصب وتفرقه إلى (=حتى الزوج) التاسع عشر. والزوج العشرون -وهو[4] أول العصب الخارج من خرز القطن- يخرج ما بين الفقارة التاسعة عشرة والعشرين، وعلى هذا القياس إلى أن تخرج خمسة أزواج من[5] بين هذه الخرز، ويصير بعضها إلى قدام فيتفرق في العضل الذي على البطن، وبعض يتفرق في العضل الذي على المتن[م]. ويخالط الثلاثةَ أزواج[6] العليا منه عصبٌ ينحدر من الدماغ، والزوجان اللذان تحت هذه الثلاثة ينحدر منهما[7] شعبٌ كبار إلى الساق، حتى يبلغ طرف القدم. والزوج الخامس والعشرون -وهو أول العصب الخارج من أول عظم العجز- يخرج من العظمِ الأولِ من عظام العجُز. (يخرج الزوجُ) الأولُ من (العظم) الأول[8] (=من عظام العجز)، و(يخرج) الثاني من الثاني، والثالث من الثالث. وكلها (= الأزواج من العصب) يخالط العصبَ[9] الخارج من أسفل الظهر، وينزل منها إلى الرِّجليْن شيءٌ كثير. وأما (الأزواج) الثلاثة الخارجة من عظم العصعص والفرد الخارج (= العصب الفرد) فكلها تنبثّ في القضيب وفي عضل المَقْعدة وفي المثانة[10] وفي العضل الموضوع بقرب هذا الموضع.

[٢٨] وأما الرباطات فجوهرها فيما بين جوهر العظم وجوهر العصب، ومنشأها من أطراف العظام المفصلية.

[٢٩] وأما الأوتار فإنها متوسطة بين الرباطات[11] والعصب، ومنشأها من العصب الجائي (الآتي) إلى العضل ومن الرباط النابت من العظم.

[٣٠] وأما اللحم فإنه ثلاثة أنواع: أحدها نوع اللحم المختلط مع العصب والوَتَر[12]، ويقال له العضل، وهذا[13] أكثر ما يكون في البدن، وهو يُذكر في الأعضاء الآلية (=الآتي ذكرها أسفله)؛ والنوع الثاني نوع[14] اللحم المفرد، والليفُ فيه كثير،

(١) غ، م، ت: سقط "العصب الخارج من" (٢) ب: بعضها...بعضها (٣) غ، م، ت: الجلد جلد (٤) ب: "هو" عوض "وهو" (٥) ب: سقط "من" (٦) غ، ت: الاجزاء؛ ب: الأزواج (٧) غ، م، ت: منها (٨) غ، ت: سقط "من الأول" (٩) غ، م، ت: سقط "العصب" (١٠) غ، م، ت: والمثانة (١١) غ، م، ت: الرباط (١٢) ب: الوتر والعصب (١٣) ت: أضيف "اللحم" (١٤) ب، ت: أضيف "من".

وهذا النوع[١] أقلّ ما في البدن؛ والنوع الثالث نوع[٢] اللحم الغُدَدي. واللحم المفرد منه ما هو في الفخذ، ومنه ما هو[٣] في باطن الصلب[م]، ومنه اللحم الذي بين الأسنان. وأما اللحم الغددي، فكالذي في الأنثيين وفي[٤] الثَّدييْن وفي أصل اللسان، وكاللحم الذي تحت الإبطين والأربيتين وخلف الأذنين وفي العنق؛ ومن هذا النوع اللحم الذي حول الأمعاء[٥] والعروق.

[٣١] وأما الأغشية، فسنذكرها عند ذكر الأعضاء المركبة التي في داخل الجوف، إذ كان ذلك أخص بها[٦].

[٣٢] وأما الأخلاط المشاهدة في بدن الإنسان فأربعة: الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء[٧].

[٣٣] ومن هذه الأعضاء البسيطة: الجلد والأظفار والشعر، والأمرُ فيها بيّن. ومنها الروحان: الروح[م] المشاهد في القلب، و[٨]الروح المشاهد[٩] في الرأس؛ وأما الكبد فليس يظهر فيها بالحس روح.

[٣٤] فهذه جملة القول في الأعضاء البسيطة الذي نظن[١٠] به أنه كاف في هذا الغرض. ومن أحب هاهنا أن يزيد في ذلك فليزد. فلنسِرْ بعدُ إلى الأعضاء الآلية، ونبتدئ[١١] من أبسطها وهو العضل.

[٦-] القول في العضل

[٣٥] العضل جسم مركّب من لحم أحمر ورباط وعصب وغشاء يعلوه، وهو مُلبَّس فوق العظام مرتبط برباطات تنشأ من العظم. وذلك أن العصبة إذا بلغت إلى الطرف الأعلى من العضلة انقسمت إلى أقسام واختلطت (هذه الأقسام) بليف لحم العضلة؛ ونبتَ من[١٢] العظم الموضوع تحت العضلة رباطٌ واختلط (هذا الرباط) مع العصب واللحم. فصار من جملة ذلك الجسمُ المسمّى عضلة. فإذا صارت أقسام العصب إلى الطرف الأسفل من العضلة، اتحدت أجزاءُ العصب[١٣] مع أجزاء الرباط على الانفراد من غير أن يخالطها شيء من اللحم. فصار منه[١٤] (= من جملة ذلك) جسمٌ يسمى وترا. ويمر هذا الوترُ[١٥] حتى يتصل من ذلك العضو بالطرف الأسفل.

---

(١) ب: ثبت "النوع" في الهامش (٢) ت: أضيف "من" (٣) ب، ت: سقط "ما هو"؛ غ: ثبت "ما"، وسقط "هو" (٤) غ، م، ت: سقط "في" (٥) غ: المعا (٦) غ، ت: هكذا "أخصَر"؛ م: "أخص"، وسقط "بها" (٧) ب: الدم والمرة الصفراء والمرة السوداء والبلغم (٨) غ، م، ت: سقط "الروح" (٩) ب، ت: المشاهدة...المشاهدة (١٠) ب: الذي يظن (١١) ت: سقط من المتن وثبت في الهامش "ونبتدئ" (١٢) غ، ج، ت: في؛ بغ، م: من (في نسخة ب: ثبت "من" في هامش السطر من دون أن يشطب على "في") (١٣) ت: العصبة (١٤) ت: منها (١٥) ب: وهذا الوتر يمر.

[٣٦] وجملة ما في البدن من العضل -على رأي جالينوس- خمسمائة وتسع وعشرون عضلة.

[٣٧] وهذه الأجسام -فيما زعموا- تختلف بالشكل والمقدار[١] والوضع، وفيما ينبت منها من الوتر وفي هيئة تركيبها. أما اختلافها في المقدار[٢]، فإن منها ما هو عظيم ومنها ما هو صغير. فالعظيم[٣] بمنزلة العضل الموضوع على الفخذ، والصغير كالعضل الموضوع على العين[٤]. وأما اختلافها في الشكل، فإن منها ما هو مثلث بمنزلة (= مثل) العضل الموضوع على الصدر، ومنها ما هو مدور بمنزلة العضل الموضوع حول[٥] المثانة. وأما اختلافها في التركيب، فلأنّ[٦] من العضل ما لا يختلط لحمه بالعصب[٧]. وأما اختلافها فيما ينبت من الوتر منها، فإن منها[٨] ما ينبت الوتر فيه من عضلتين، ومنها[٩] ما ينبت من كل عضلة وتران أو ثلاثة، وذلك للحاجة (= حسب المنفعة التي جُعل لها). وأما اختلافها من قبل الوضع، فإن منها ما وضْعُه باستقامة العضو، ومنها[١٠] ما ليس كذلك.

[٣٨] ووصف هذه الأشياء[١١] (= الشكل والمقدار، الخ) في عضل عضل (هو) ممّا يطُول، وليس له كبير جدوى في هذه الصناعة، أعني الصناعة التي تفعل بالغذاء والدواء؛ وأما التي تفعل بالحديد(*)، فله (= وصف هذه الأشياء) كبير منفعة (فيها). وأيضا فإنه ليس يحصل في تصور ذلك عن القول شيءٌ له قدْر. وسنعدد هذه العضَل عند تعديدنا منافعها وذلك في "كتاب الصحة" (= القسم الثاني من هذا الكتاب).

[٧-] في الرأس

[٣٩] والرأس شكله الطبيعي شكلٌ مستدير، فيه تفرطح قليل[١٢] من الجانبين جميعا، كما لو توهّمت[١٣] كرة شمع[١٤] قد غمزت(م) على جانبيها. وله في داخله تجاويف يُفضي بعضها إلى بعض تسمى بطون الدماغ: اثنان منها في مقدّم الدماغ، وواحد في وسطه، وآخر في مؤخّره. وعند اتصالات هذه البطون بعضها ببعض أجسامٌ شكلُها شكل[١٥] موافق لسدّها في بعض الأحايين ولفتحها[١٦] في أخرى.

(*) يشير إلى الجزء من الطب الذي يكون العلاج فيه باستعمال آلات حديدية كالجراحة والكيالخ.

(١) ب: بالمقدار والشكل (٢) غ، م، ج: وفي (م: سقط الواو) هيئة تركيبه...في مقدارها (غ: القدان) (٣) م: العظيم (٤) ت: العنق (٥) ت: تحت (٦) ب: فإن (٧) ت: أضيف "ومنها ما يختلط" (٨) ب، ج، م، ت: الوتر منه (ب: منها؛ ت: سقط) فان منه (٩) ب، م، ج، ت: ومنه (١٠) ب، م، ج، ت: واما اختلافها (ب: اختلافه)...فان منه...ومنه (١١) غ: ذلك (١٢) ب: يسير (١٣) ب: كما انك لو توهمت؛ م: كما لو توهمنا (١٤) غ، ج: راس شمعة؛ م: راس كرة شمع (١٥) غ، ب، م، ج: مشكلة بشكل (١٦) ب، م، ج: تسدها...وتفتحها.

[٤٠] وللدماغ زائدتان تنبتان من بطنيْه المقدَّمين، شبيهتان بحلمتَي الثَّدي، تبلغان إلى العظم الشبيه بالمصفى، وهو عَظم مُثْقب ثُقْبا كثيرة على غير استواء بل مُشَاشي، وموضعه من القِحف حيث ينتهي إليه أقصى الأنف. وللدماغ غشاءان: أحدهما صلب غليظ، والآخر رقيق. والرقيق ملاصق للدماغ، وهو المسمى أم الرأس، ويخالطه[١] في مواضع. والغليظ ملاصق للقحف، وملاصق[٢] للدماغ في أمكنة منه. وهذا الغشاء الصلب مُثقب ثُقبا كثيرة في موضعين: أحدهما عند الثَّقب الذي في أقصى الأنف المسمّى المصفى؛ والآخر عند العظم الذي في الحنَك، وهذا العظم أيضا مثقب. وتحت الدماغ، تحت الغشاء الغليظ (توجد) الشبكةُ العجيبة التي تتكوّن من الشّرايين الصاعدة إلى الرأس.

[٤١] وأما النخاع، فإن الفقار محتو عليه احتواءَ قحف الرأس على الدماغ، ويحيط به غشاءان منشأهما من غشائيْ الدّماغ، ومنه يخرج العصب الذي[٣] يتصل[٤] به.

[-٨] في هيئة العين

[٤٢] العين مركبة من سبع طبقات وثلاث رطوبات. فأولها، مما يلي القحفَ، طبقةٌ غشائية تنشأ من الغشاء الغليظ من أغشية الدماغ، وتسمى الطبقة الصلبة[م]؛ ثم تليها[٥] إلى خارج طبقةٌ أخرى غشائية تنشأ من الغشاء الرقيق من أغشية الدماغ، وتسمى هذه الطبقة المَشيمية[م][٦]؛ ثم يلي هذه[٧] طبقةٌ شبيهة بالشبكة[م] تنشأ من نفس العَصَبة الخارجة من الدماغ (=وتسمى الشبكية)؛ ثم (يتكوّن) في وسط هذا الغشاء (= الشبكية) جسمٌ ليّن رطب(*) يسمى الرطوبة الزجاجية[م]؛ وفي وسط هذا الجسم (يتكون) جسمٌ كُري (= مستدير) - إلا أن فيه أدنى تفرطح - شبيهٌ بالجليد في صفائه، ويسمَّى هذا الرطوبةَ الجليدية[م]، وهذا الجسم مغوص[٨] في الرطوبة الزجاجية إلى النصف؛ ثم يلي[٩] النصفَ الآخرَ الذي بجهة الهواء من الرطوبة الجليدية جسمٌ شبيه بنسج العنكبوت في غاية الصقالة والصفاء يسمى[١٠] الطبقة العنكبوتية[م]؛ ثم يلي هذا[١١] (الجسمَ) إلى خارج رطوبةٌ في لون بياض البيض تسمى الرطوبة البيضية.

(*) هذا الجسم هو في لون الزجاج.

---

(١) ب، م، ت، ج: "وهو مخالط له" عوض "ويخالطه" (٢) غ، م، ت: ملازق (٣) ج: سقط "الذي" (٤) بداية النقص في مخطوطة تركيا (من "به في هيئة العين" إلى "العضو الذي يسمى") (٥) غ: يليها (٦) غ: "المشيمة" (٧) ج: أضيف "الطبقة" (٨) غ: "معوم"، (٩) ب: أضيف "هذا" (١٠) غ: تسمى (١١) ج: هذه.

[٤٣] ويعلو هذه الرطوبةَ إلى خارج جسمٌ رقيق مُخْمل الداخل –حيث يلي البيضيةَ– أملسُ الخارج، ويختلف لونه في الأبدان، فربما كان شديد السواد وربما كان دون ذلك وربما كان أزرق، وفي وسطه حيث يحاذي الجليدية ثُقْب يتسع ويضيق[1] –في حال دون حال– بمقدار حاجة الجليدية إلى الضوء فيه، فيضيق عند الضوء الشديد ويتسع في الظلمة، وهذا الثقب هو المسمى حدقة(م)، وهذا الغشاء يسمى الطبقة العِنَبية(م)؛ ويلي هذه الطبقةَ مُغشِّياً لها[2] جسمٌ كثيفٌ صلب صاف شبيه بصفيحة[3] رقيقة من قرْن أبيض، وتسمى القَرْنية(م)، وهي تتلون[4] بلون الطبقة التي تحتها (=الطبقة العنبية).

[٤٤] ويعلو هذا الجسمَ جسمٌ أبيض اللون صلب يسمى المُلْتحِم –إلا أنه لا يغطي منه موضعَ سواد العين–، وهذا هو بياض العين، ونباتُه من الجلد الذي يلي القحف من خارج. ونبات القرنية من الطبقة الصلبة[5]؛ ونبات العنبية من المشيمية؛ ونبات العنكبوتية من الشبكية.

[٩–] في هيئة الأنف

[٤٥] مَجْريا الأنف إذا علَوَا[6] تقسّما[7] قسمين: فيُفضي أحدهما إلى أقصى الفم[8]؛ ويمر الآخر صاعدا حتى ينتهي إلى العظم الشبيه بالمصفي الموضوع في وجه زائدتيْ الدماغ الشبيهتين بحلمتيْ الثدي، وهذه المجاري مُلْبسة بغشاء غليظ منشأه من غشاء الفم.

[١٠–] في هيئة الأذن

[٤٦] إن مجرى الأُذن في عظم صلب يسمى الحَجَري، وهو كثير[9] التعاريج، ويمر كذلك إلى أن يلقى العَصبة الخامسة النابتة من الدماغ التي[10] ينشأ منها الغشاءُ الذي ينبسط على العظم الحجري. وأما الجسم الغُضْروفي الذي من خارج، وهو المسمى الأذن، فأمره بيّن.

[١١–] في هيئة اللسان

[٤٧] اللّسان لحم رخو أبيض قد التفّتْ فيه عروق صغار كثيرة فيها دم، وفيه عروق وشريانات، وأعصاب كثيرة فوق ما يستحقّ قدرُه من العِظَم (=من الحجم). وهو مغشي بغشاء الفم. وتحته فُوهتان تفضيان إلى اللحم الغددي الموضوع تحت أصله.

---

(١) م: تكررت العبارة "تتسع وتضيق" (٢) م: له (٣) غ، م، ج: صفيحة (٤) ب، ج: ...وهو يتلون؛ م: يسمى... (٥) م: الصليبية (٦) غ: عليا (٧) ب: انقسما (٨) ب: الأنف (٩) غ، ج: الكثير (١٠) غ، م: الذي.

[١٢-] في هيئة الحلق والفم[١]

[٤٨] إن أقصى الفم يفضي إلى مجريَين: أحدهما من قدام، وهو الحلقوم، ويسمى قصبة الرئة؛ والآخر موضوع من خلف، من[٢] ناحية القفا على خرز العنق، ويسمى المَريء، وفيه ينفذ الطعام والشراب. فأما الحلقوم، فإنما يخترقه وتنفذ فيه الريح التي تدخلُ وتخرج بالتنفس، وقد جعل له صِمَام (= سداد) يلزمه وينطبق عليه في وقت الازْدِراد لأنْ لا يدخلَ فيه شيء مما يُزدرد[م]، لأنه متى دخل فيه شيء أهاج ذلك سعالا. وقد هُيّئ في هذا الموضع آلةٌ يكون بها الصوت، أعني عند فم الحلقوم. وهذه الآلة هي العضو المسمى الحنجرة. وهو مؤلف من ثلاثة غضاريف[٣] تأليفا موافقا لكوْن (= ليكون ويحدث) الصوت؛ وذلك أنه يلتئم من هذه الثلاثة غضاريف أنبوبٌ شبيه بأنبوب المزمار، وفي هذا التجويف هو الجسم الشبيه بلسان المزمار[م]. وهناك عضل كثير[٤].

[١٣-] في هيئة الصدر والرئة

[٤٩] إن تجويف البطن كله -من لدن الترقوة إلى عظم[٥] الخاصرة- ينقسم إلى تجويفين عظيمين: أحدهما فوق، يحوي الرئة والقلب. والثاني أسفل، يحوي المعدة والأمعاء والكبد والطحال والمرارة والكلى والمثانة والأرحام[٦]. ويفصل بين هذين التجويفين العضوُ الذي يسمى الحجاب، وهذا الحجاب يأخذ من رأس القص[٧] ويمر بتأريب (=بصعوبة) إلى أسفل في كل واحد من الجانبين، حتى يتصل بخرز الظهر عند الخرزة الثانية عشر ويصير حاجزا بين ما فوقه وما تحته؛ ثم[٨] ينقسم هذا التجويف الأرفع[٩] إلى قسمين يفصل بينهما حجاب، ويمر في الوسط حتى يلصق أيضا بخرز الظهر، ويسمى هذا التجويفُ الأعلى كلُه صدراً، وحدُّه من فوق: الترقُوَتان، ومن أسفل: الحجابُ القاسم للبطن عرضا. فهذه هيئةُ الصدر.

[٥٠] وأما هيئة الرئة، فإن قصَبَتها تبتدئ من أقصى الفم -على ما ذكرنا-؛ حتى إذا[١٠] جاءت إلى ما[١١] دون الترقوة انقسمت قسمين. وينقسم كل قسم منهما أقساما كثيرة، وانتسج واحتشا حواليها لحمُ الرئة. فصار من جملة هذا[١٢] القصبِ المنقسم والعروقِ التي تحتها واللحم الذي يحتشي حواليها[١٣] بدنُ الرئة. فنصف الرئة في تجويفَ البطن الأيمن، والنصف الآخر في تجويف البطن الأيسر. فأما قصبتها فإنها

---

(١) ب: في هيئة الفم والحلق (٢) غ: سقط "من" (٣) ب، م: الغضاريف (٤) ب، م: أضيف "به يكون التصويت"
(٥) م: عظام (٦) ب: والرحم (٧) غ: القس (٨) م: سقط "ثم" (٩) ب: الأعلى (١٠) غ، م، ت: أضيف "ما"
(١١) غ، ت: سقط "ما" : سقط "ما" (١٢) ت: أضيف "النصف" (١٣) ب: يحشى حولها.

مهيّأة مؤلفة من غضاريف هي على شكل الدوائر، لكنها ليست بدوائر تامة بل مقدار ثلث[١] دائرة، ويصل[٢] بين طرفيها غشاءٌ لين[٣] يمر على خط مستقيم. ويصل ما بين هذه الحِلَق (= الدوائر) أغشيةٌ ليّنة لِيفِية. فأما الحلق نفسها[٤] فصَلبة غضروفية، وحَدَبة هذه الحلق تلي ظاهرَ البدن وتُلمس باليد؛ وأما[٥] الموضع المستقيم منها فيلاصق المريء[٦]. فإن أنت توهّمت أنبوبتَي قصب شُقّت إحداهما [بقسمين، أحدُ القسمين] على الثلث و[الآخر إلى] الثلثين، وألصق على ما شُق [في القسم الأكبر] منها كاغِد ثم جيء به فضُم إلى الأنبوبة الأخرى وألصق بها حيث هذا الكاغد، كنت قد لاحظتَ هيئة قصبة الرئة والمريء[*أ] على كنههما.

[١٤-] في هيئة القلب

[٥١] شكل القلب كشكل[٧] صنَوْبرة منكوسة، رأسُها[٨] المخروط إلى أسفل البدن وأصلُها إلى أعاليه. وله غلاف من غشاء كثيف يحيط به، غير أنه ليس بملتصق[٩] به كلِّه، لكنْ (يلتصق به) عند أصله. وهو موضوع في وسط[١٠] الصدر، إلا أن رأسه يميل إلى ناحية اليسار قليلا. والشريان العظيم إنما ينبت من هذا الجانب، فيتبين النبض في[١١] هذه الجهة؛ ولذلك ظن قوم أن القلب موضوع في هذا الجانب. وللقلب بطنان عظيمان: أحدهما في الجانب الأيمن، والآخر[١٢] في الجانب الأيسر. وعند أصله ومنبته شيءٌ شبيه[١٣] بالغضروف، وكأنه قاعدة لجميع القلب[١٤]. ومن البطن الأيمن إلى البطن[١٥] الأيسر مَنافذُ[*ب]. وللبطن الأيمن فوهتان: إحداهما فوهة العرق المتصل بالكبد،

(*أ) في هذه الجملة الأخيرة فروق بسيطة بين النسخ لم نر داعيا إلى إثباتها، فالمثال المذكور هنا معروف ومتداول عند الأطباء قبل ابن رشد، وقد صيغ كلامهم فيه تقريبا بنفس اللفظ والتركيب، فأثبتنا العبارة بناء على ذلك؛ سوى أنه عند البعض ورد "ألصق فمها حيث هذا الكاغد" عوض "ألصق بها..."!

(*ب) هذه من الملاحظات التي صارت تعد خاطئة منذ ابن النفيس الذي يؤكد أنه لا منفذ بين البطن الأيمن والأيسر من القلب (انظر المقدمة التحليلية).

---

(١) غ: ثلث؛ ت: ثلثا؛ ب، م: ثلثي (٢) غ: ويتصل (٣) ت: سقط من المتن وثبت في الهامش "لين" (٤) م: أنفسها؛ غ. ب، ت: نفسها (٥) غ، ب، م: فاما؛ ت: واما (٦) ب، ت: فملاصق للمريء (٧) ت: شكل (٨) ب: ثبت في المتن "شكلها"، وصحح في الهامش "رأسها" (٩) ب، ت: "لا يلتصق" عوض "ليس بملتصق" (١٠) غ: سقط من المتن وثبت في الهامش "وسط" (١١) ت: "من"، وصحح فوق السطر "في" (١٢) غ: "والأقرب"، وصحح في هامش السطر "والآخر" (١٣) غ: سقط "شيء شبيه"، وهناك هامش، لكنه غير مقروء؛ م: الأيسر عند أصله منبته شبيه (١٤) غ: ثبت "العلم"، وشطب على الكلمة وصححت في هامش السطر "القلب" (١٥) غ، م، ت: سقط "البطن".

الذي يرى جالينوس أنه نابت من الكبد ويرى أرسطو أنه نابت من القلب؛ وعلى هذه الفوهة أغشية ثلاثة تنفتح عند دخول الدم منه ثم تنسدّ انسدادا محْكما. والفوهة الثانية هي فوهة العرق الذي يتصل من هذا التجويف بالرئة، وهو عرق غير ضارب، إلا أن أغشيته غِلاظ، وهو شبيه بالشريان. وعلى هذه الفوهة [الثانية] أغشيةٌ تنفتح إلى خارج ولا تنفتح إلى داخل، بخلاف الأغشية التي على الفوهة الأخرى. وفي البطن الأيسر فوهتان: إحداهما فوهة الشريان العظيم [= الأبهر أو الأورطي]، وعلى فمها أغشية ثلاثة تنفتح من داخل إلى خارج؛ والثانية فوهة الشريان الذي يتصل بالرئة، وعلى هذه الفوهة غشاء ينفتح من خارج إلى داخل[1]. وله (= للقلب) زائدتان شبيهتان بالأذنين، إحداهما يمنةً والأخرى يسرةً. والرئة مجلّلة للقلب (= تعمه). وهو ذو ليفٍ كثير مختلفِ الوضع.

[١٥-] في هيئة المعدة والمَريء

[٥٢] قد قيل (=أعلاه في هيئة الحلق والفم) إنَ في أقصى الفم مَنفذَين[2]: أحدُهما منفذ النفس إلى الرئة، وهو المسمى قصبة الرئة؛ والثاني منفذ الطعام والشراب، وهو المريء. وهذا المجرى المسمى[3] مريئا مؤلف من طبقتين: إحداهما من خارج، وهي طبقة لحمية ليفُها ذاهب عرضا؛ والأخرى من داخل، عصبيةٌ[4] ليفُها ذاهب طولا، وفيه شيء من الليف ذاهب ورَابا (= مائلا منحرفا). وهو موضوع خلف على خرز العنق، ويمتد نازلا إلى أسفل حتى ينفذ إلى الحجاب. وهو مشدود مع الخرز بأغشية تربطه؛ حتى إذا نفذ[5] الحجابَ اتَّسع، ويكون هنالك العضوُ المسمى المعدة. وإذا هو نفذ الحجابَ، مال إلى الجانب الأيسر قليلا؛ فلذلك رأسُ المعدة مائل إلى الجانب الأيسر وقعرها مائل إلى الجانب الأيمن. وإن أنت توهمت قَرْعة[6] مستديرة طويلة العنق يتصل بها من أسفلها عنقٌ آخر، كنت قد لاحظت هيئة المعدة والمريء. غير أن المعدة من الجانب الذي يلي الظهر مستطيلة[7] قليلا. وأحد رأسيها - وهو الأعلى - هو المريء؛ والأسفل هو ابتداء المِعَى، وهو المسمى البَواب[؟]. وهي مربوطة مع[8] الفقار ومع غيره من الأحشاء برباطات وثيقة تمسكها. وجسم المعدة مؤلف من ثلاث طبقات: إحداها[9] يأخذ ليفها[10] ذاهبا طولا؛ وفيها ليف ذاهب ورابا وهي (الطبقة) الداخلة، وهذه الطبقة (الثانية) عصبية؛ والخارجة (= الثالثة) لحمية، وليفها ذاهبٌ عرضا.

---

(١) غ، م: داخله (٢) غ: منفذان (٣) غ: سقط "المسمى" (٤) ت: عصبته (٥) ب: أضيف "إلى" (٦) م: أضيف "طويلة" (٧) ب: صحح في الهامش "أسطوانية" (٨) ب: "من" (٩) ت: أحدها (١٠) غ: ليفا.

[١٦-] في هيئة الأمعاء

[٥٣] الأمعاء مؤلفة(١) من طبقتين، ولها ليف(٢) ذاهب عرضا فقط. وعلى الطبقة الداخلة لُزُوجات قد ألْبستها الطبيعةُ إياها. وجميع الأمعاء ستة: ثلاث دِقاق وهي العليا، وثلاث غلاظ وهي السفلى. فأول الدقاق هو المِعَى المتصل بأسفل المعدة، ويسمى الإثني عشر أصبعا(م)، ويتلوه معى يسمى الصائم(م)، وهذان جميعا(٣) منتصبان قائمان ممتدان في طول البدن، والفوهات التي بها تتصل بالكبد في هذا المعى أكثر منها(٤) في سائر الأمعاء(*أ). ويتلو الصائمَ معى يسمى الدّقيق(م)، [وهو] ملتفٌّ(٥) تلافيف [كثيرة]. وسَعَة هذه الأمعاء الثلاث كلها بقدْر سعة المعى المسمى(٦) البوّاب. ويتلوه المعى المعروف بالأعْور(م)، وهو معى واسع وليس له منفذ ولا مجرى، لكن(٧) كأنه وعاء أو كيس، لأن له فماً واحدا يدخل إليه ما ينزل في وقت ويخرج منه في آخر من ذلك الفم بعينه، وهو موضوع في الجانب [=البطن] الأيمن. ويتلوه المعى المسمى القُولون(٨)، وابتداؤه من الجانب الأيمن ويأخذ في عرض البطن(٩) إلى الجانب الأيسر. ويتلوه المعى(١٠) المسمى المستقيم(م)، وهذا المعى له تجويف واسع يجتمع فيه الثُفل(*ب) كما يجتمع البول في المثانة، وعلى فمه(١١) -وهو الدُبر- عضل(*ج).

[١٧-] في هيئة الكبد

[٥٤] الكبد موضوعة في الجانب الأيمن تحت الضلوع العالية من ضلوع الخَلْف. وشكلها هلالي له تقعيرٌ في الجانب الذي يلي المعدة وزوائدُ ربما(١٢) كانت أربعا وربما كانت خمسا (=حسب آراء الأطباء). وتحتوي (الكبد) على الجانب الأيمن من المعدة، وحَدبتها تلي الحجاب، وهي مربوطة برباطات(١٣) تتصل بالغشاء الذي عليها. وتنبت(١٤) من مقعّر الكبد قناةٌ تسمى باب الكبد، صورتها صورة عرق، لكنها لا تحوي

(*أ) هذه العبارة وردت في النسخة اللاتينية بالمعنى التالي: يتصل الاثنا عشر والصائم بالكبد أكثر مما تتصل بها [أي بالكبد] سائر الأمعاء الأخرى.

(*ب) الثفل في اللغة هو ما استقر تحت الشيء من كدرة. والمقصود هنا: الغائط.

(*ج) يشير إلى العضلة المانعة من خروج الثفل (البراز)- فلا يخرج إلا إذا أطلقته الإرادة-؛ وهذه العضلة هي على طرف (أو فم) المعى المستقيم الذي هو الدّبر. ولذلك رجحنا أن نثبت في المتن عبارة "وهو الدبر" التي أضيفت في ب.

---

(١) م: مركبة (٢) ب: "وليفها" عوض "ولها ليف" (٣) غ، ت: جميعان (٤) غ، م: منه (٥) ب، ت: يلتف (٦) ب: "الذي يسمى" عوض "المسمى" (٧) ب: ولكن (٨) غ، ب، ت: قولون (٩) ب: البدن (١٠) ب: لم ترد لفظة "المسمى" (١١) غ، م، ت: سقط "وهو الدبر" (١٢) ب، م، ت: وربما (١٣) ب: برباط (١٤) ب، م: ينبت.

دما. وتنقسم أقساما[1]، ثم تنقسم تلك الأقسام إلى أقسام كثيرة جدا. وتأتي منها أقسام كثيرة إلى قعر المعدة وإلى المعى المسمى: اثنا[*أ] عشر أصبعا، وأقسام كثيرة إلى المعى[2] الصائم، ثم (تمر) إلى سائر الأمعاء حتى تبلغ المعى[3] المستقيم. والقناة -التي في باب الكبد- تنقسم أيضا في داخل الكبد إلى أقسام في دقة الشَّعر. ويظهر من حدبة الكبد عرقٌ عظيم، منه تتفرع جميعُ العروق التي في البدن، على ما ذكرنا في تشريح العروق. وأصل هذا العرق ينقسم في الكبد إلى أقسام في دقة الشعر فتلتقي مع الأقسام المنقسمة في[4] المجرى الذي يسمى الباب. والغذاء الكيلوسي[م] يدخل الكبد من بابها وينطبخ في تلك العروق حتى يعود دما، ثم يخرج من العرق العظيم الذي في حدبتها[5].

[-١٨] في هيئة الطحال

[٥٥] الطحال مُطاول الشكل، وهو موضوع في الجانب الأيسر، مربوطٌ برباطات[6] تتصل بالغشاء الذي عليه. ويلزم المعدةَ من جانب، وضلوعَ الخلف من جانب آخر. وتنبت منه قناتان: إحداهما تتصل بفم المعدة، والأخرى بالكبد عند تقعيرها[7].

[-١٩] في هيئة المرارة

[٥٦] والمَرارة موضوعة على الكبد، ولها مَجْريان: أحدهما يتصل بتقعير الكبد، والآخر يتشعّب فيتصل بالأمعاء العليا وبأسفل المعدة.

[-٢٠] في هيئة الكلى

[٥٧] الكُلْيتان موضوعتان عند جنبتي خَرز الصُّلب بالقرب من الكبد. والكلية اليمنى أرفع موضعا (من اليسرى)[*ب]. ولكل واحدة منهما عُنقان: يتصل أحدهما بالعرق العظيم الطالع من حدبة الكبد؛ والثاني يمر سفلا حتى يتصل بالمثانة اتصالا عجيبا. وهذان المجريان يُسمَّيان الحالِبيْن[م].

(*أ) الرفع والنصب هنا كلاهما صحيح. والكلمة هنا مرفوعة على الحكاية، كما يقول النحاة، ونحن نعبر اليوم عن ذلك بالنقطتين.

(*ب) هذا أحد الأخطاء المعروفة عن الطب القديم، فالكلية اليسرى هي التي أعلى قليلا من اليمنى، إذ بما أن هذه تجاور من العالي وجه الكبد السفلي فإنها نظرا للحيز الذي يأخذه حجم الكبد تصير أدنى من الكلية اليسرى التي تجاور الطحال وحجم الطحال أصغر من حجم الكبد.

---

(١) غ: أضيف "كثيرة" (٢) ب: سقط "المعى" (٣) ب: أضيف "المسمى" (٤) ب: في (٥) غ، م، ت: بابه...حدبته (٦) ب: برباط (٧) غ: عن تقعيرة.

[٢١-] في هيئة المَثانة

[٥٨] المثانة (موضعُها) بين الدّبر والعانة، وهي مؤلفة من طبقتين، وعلى فمها[١] عضلٌ. والبول يجيئها من الكلى في عنقيهما اللذين[٢] يسميان الحالبين. وهذان المجريان يأخذان على تأريب[م]، ويمران طولاً[٣] حتى ينفذا إلى داخل المثانة. وتنشأ من جرمهما[٤] قشرة شبيهة بالغشاء تنفتح إلى المثانة وتنسد[٥] إلى جهة الكلى، وذلك -لا شك[٦]- لأن لا يرجع من البول شيء إلى الكلى.

[٢٢-] في هيئة مراقّ البطن

[٥٩] إن تحت العضل اللُّبس على البطن غشاءً مدمجا[٧] يسمى الصّفاق، ووراءه الثُّرب، ووراء الثرب الأحشاء. ومنفعة هذا الغشاء ألا تبرز الأمعاء كما يعتري ذلك في الفتوق[م]، ومنفعة الثرب تسخين الأحشاء. وهذا(= ما يتعلق بمنافع هذه الأعضاء، فذكره) أليق بكتاب الصحة.

[٢٣-] في هيئة الأنثيين والقضيب

[٦٠] [٨]ينبت من عظم العانة[م] جسمٌ عصبي كثيرُ التجاويف واسعُها، وتحته[٩] شريانات كثيرة واسعة[١٠] فوق ما يستحقّه قدره من العِظم[١١]، وهذا الجسم هو القَضيب. وينزل من الصفاق مجريان شِبْه[١٢] البَربخَيْن[م]، ثم يتشعبان[١٣] فتكون منهما[١٤] الطبقةُ الداخلة من كيس البيضتين، وفيه البيضتان[١٥]. وتجيء إلى ناحية البيضتين من أقسام العروق المنسفلة[١٦] شعبٌ تلتف لفائف كثيرة، ويحتوي عليها لحم غُدَدي أبيض. وللأنثيين[م] مجريان يفضيان إلى القضيب.

[٢٤-] في هيئة الثدي

[٦١] الثَّدْي مركّبة[١٧] من شرايين وعروق وعصب قد حُشيت بنوع من اللحم غُدديٍّ[١٨] أبيضَ. وهذه الشرايين والأوراد تنقسم في الثدي إلى أقسام دِقاق، وتستدير وتلتف لفائف كثيرة.

---

(١) م: فيها (٢) غ: عنقهما اللذان؛ ب: عنقيها اللذين؛ م: غير مقروء (٣) غ، م، ت: طويلا (٤) ب، ت: جرمها (٥) غ، ت: ينفتح وينسد (٦) ب: بلا شك (٧) م، ت: غشاء مدمج (ت: "مولج"، وصحح فوق السطر) (٨) ب: أضيف "و" (٩) ب: تحتها؛ ت: يجيبه (١٠) ب، م: واسعة كثيرة (١١) ب: أضيف "وعروق" (١٢) ب: شبيه (١٣) ت: يتسعان (١٤) ثبت في جميع النسخ: منه (١٥) ت: سقط "وفيه البيضتان" (١٦) ب: المتسفلة (١٧) غ، م، ت: مركبة (١٨) ب، م: الغددي.

[٢٥-] في هيئة الرحم

[٦٢] الرَّحِم موضوعة فيما بين المثانة والمعى المستقيم، إلا أنها تفضل على المثانة إلى ناحية[١] فوق. وهي مربوطة برباطات سَلِسة، وهي في نفسها عصبية يمكن فيها أن تمتد وتتسع وتنضمّ وتتقلص. ولها بطنان ينتهيان إلى فم واحد، وفي كل واحد[٢] من البطنين مواضعُ مقعّرة يقال لها النُّقَر، وهي أفواه العروق التي يصير فيها دم الطمْث إلى الرحم. وللرحم زائدتان تسميان قرنَي الرحم[٣]. وخلف هاتين الزائدتين بيضتا المرأة وهما أصغر من اللتين[٤] للرجل. ورقبة الرحم تنتهي إلى الفرج من المرأة. وللفرج زوائد تقيه[٥] من البرد. وفم الرحم من البكر مُغضَّن[٦]، وقد نشأتْ في ما بين تلك الغضون[م] عروقٌ دقاق؛ وهو ذو طبقة واحدة مؤلفة[٧] من ليفين: أحدهما ذاهب بالطول -وهو أقل ما فيه-، والآخر ذاهب بالعرض. وهذا القدر من القول في التشريح[٨] كافٍ هاهنا. ومن شاء أن ينقل إلى[٩] هاهنا أكثرَ منه، فليفعل[١٠].

---

(١) ب: جهة (٢) م: سقط "وفي كل واحد" (٣) م، ت: سقطت العبارة "وللرحم زائدتان تسميان قرني الرحم" (٤) غ، م، ت: "وهي...التي" عوض "وهما...اللتين" (٥) غ، م، ت: توقيه (٦) غ، م، ت: مغضنة (٧) م: مؤلف (٨) غ، م، ت: تشريح الاعضاء (٩) غ: أضيف "إلى" دون بقية النسخ (١٠) غ: أضيف (بخط أصغر) "بلغت مقابلة بأصل المؤلف رضي الله عنه".

الكتاب الثاني

الصحــة

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على سيدنا محمد نبينا الكريم وآله وسلم تسليما[١]

[١- معنى الصحة، وما يأخذه الطب من العلم الطبيعي...]

[١] الصحة هي حالة في العضو، بها يفعل الفعل الذي له بالطبع أو ينفعل الانفعال الذي له بالطبع[٢]؛ وهذا الحد للصحة هو من الحدود الظاهرة بأنفسها.

[٢] ولما كانت الأعضاء على ما يشاهد بالحس صنفين: إما متشابهة وإما آلية وجب أن ننظر، في صنف صنف منها، ما هي هذه الحال (=حال الصحة)، ونعطي أنواعها وفصولها[*]، ثم بعد ذلك نعرِّف[٣] ما الفعل الذي يخص عضوا عضوا، وما[٤] الانفعال (=الذي يخصه)، فإنا إذا فعلنا ذلك نكون قد أحطنا بمعرفة ما هي الصحة على التمام. ولنبدأ بالقول في الأجسام المتشابهة الأجزاء، فنقول:

[٣] أما الحال التي بها يفعل العضو المتشابه الأجزاء[٥] الفعل الذي له، أو ينفعل الانفعال الذي له، فالسبيل إلى الوقوف على ما هي هذه الحال يكون في هذه الصناعة بعد أن نتسلم في ذلك أشياء قد تبينت في العلم الطبيعي. وذلك أنه قد لاح هنالك أن جميع الأجسام المتشابهة الأجزاء، بما[٦] هي أجسام متشابهة الأجزاء، مركبة من الأسطقسات الأربعة، التي هي النار والهواء والماء والأرض؛ وذلك في كتاب الكون والفساد(=لأرسطو)، ولاح أيضا هنالك أن تولدها(=الأجسام) منها (=الأسطقسات) إنما يكون بجهة الاختلاط والمزاج.

[٤] وتبين مع هذا في (المقالة) الرابعة من (كتاب) الآثار (العلوية لأرسطو)، أن الاختلاط والامتزاج[٧] إنما يكون بالطبخ[م]، وأن الطبخ إنما يكون بالحرارة، وأن فصول[*] هذه الأجسام المتشابهة الأجزاء[٨] إنما هي في مقادير الحرارة والبرودة الموجودة فيها، وفي

(*) النوع كاللحم والفصول كأصنافه. والفصول النوعية، ما يفصل أفراد النوع عن الجنس الذي تنتمي إليه، كالعقل يفصل نوع الإنسان عن جنس الحيوان.

(١) غ: لم تثبت البسملة ولا باقي العبارة؛ ت: ثبتت البسملة وحدها؛ م: ثبتت البسملة وباقي العبارة بعد "...الصحة" (٢) غ، م، ت: سقط "بالطبع" (٣) ب: أضيف "فيه" (٤) ب: أو ما هو (٥) غ: سقط "الأجزاء" (٦) ب: إنما (٧): م،ت،غ: والمزاج. ب: والامتزاج...والامتزاج (كتبت الأولى فوق السطر وعليها علامة صح) (٨) غ، ت: سقط "الأجزاء".

مقادير الرطوبة واليبوسة. وبالجملة فتبين هنالك أنه ليست صورها شيئا غير صور[م] الامتزاج والاختلاط، وأن الأعراض الخاصة بصنف صنف منها إنما توجد تابعة لمثل هذه الصور المزاجية. فهذه أحد الأشياء التي ينبغي أن يُصادَر هاهنا عليها؛ وهي أشياء قد تبينت في العلم الطبيعي بالبراهين الخاصة المناسبة[م].

[٥] والأطباء إذا راموا التكلم في هذه الأشياء، في هذه الصناعة، كانت أقاويلهم في ذلك غير خاصة ولا مناسبة. وذلك أنهم يرومون بيان أمور عامة لموجودات خاصة، فتكون محمولاتهم غيرَ أوَّل ولا من طريق ما هو؟ [*أ] فيقعون[١] دون ما يرومونه من البرهان[٢]، فتصير أقاويلهم جدلية، وأرفع رتبتها أن تكون منطقية (صورية).

[٦] وهذا لائح لمن زاول صناعة المنطق ونظر في كتبهم (=الأطباء). ولذلك كثيرا ما تقع[٣] أقاويلهم في هذه الأشياء، إذا تكلموا فيها من حيث يظنونها[٤] جزءا من صناعتهم، أقاويلَ كاذبة. وجالينوس عرض له هذا كثيرا في كتاب المزاج: فإن كتاب المزاج ليس يتبع التعليمُ فيه التعليمَ الواقعَ في كتاب الأسطقسات[*ب] اتباعا برهانيا[٥]. فلنرجع إلى حيث كنا فنقول:

[٢- المزاج النوعي صنفان: معتدل وغير معتدل]

[٧] إنه إذا كانت هذه الأشياء على ما وصفنا فليست هذه الحال التي بها نقول في العضو المتشابه الأجزاء[٦]، إنه يفعل فعله أو ينفعل انفعاله[٧]، شيئا غير الصور[٨] المزاجية المتولدة عن مقادير اختلاط الأسطقسات الأربعة. ولما كانت الأشياء المختلطة إنما توجد في المختلط على ضربين[٩]: أحدهما أن تكون متساوية المقادير، وهذا الاختلاط يسمى معتدلا بالإضافة إلى الأطراف (=الأضداد)، إذ كان هو الوسط[م] بينها[١٠]. والوجه الثاني أن تكون مختلفة المقادير، وهذا الاختلاف ضروب. وبضروب[١١] هذا الاختلاف

(*أ) المحمولات في القضايا المنطقية هي الخبر، أو ما في معناه، في الجمل النحوية. والقضايا التي ذكر هي أمور عامة لا يتأتى تعريفها الجامع المانع من أمور خاصة كأشياء الطب بل مكان بحثها هو العلم الأعم من الطب وهو العلم الطبيعي. وبالتالي فما يقول الأطباء في شأنها ليس يقينيا، لأنهم لا يعطون الماهية (لا يجيبون عن سؤال ما هو؟). انظر معجم المصطلحات، مادة: مناسبة.
(*ب) لجالينوس كتاب باسم كتاب الأسطقسات وآخر باسم كتاب المزاج، وقد لخصهما ابن رشد.

(١) م، ب، ت: فيقفون؛ م: صحح في الهامش "فيقعون" (٢) ت: البراهين (٣) م،ت،غ: يتبع (٤) ب: ظنوا بها(٥) غ: سقطت العبارة "ولذلك كثيرا ما...اتباعا برهانيا"؛ ت: سقط "اتباعا برهانيا" (٦) غ، ت: سقط "الأجزاء" (٧) ب: فعله بالطبع...انفعاله بالطبع (٨) غ، م، ت: الصورة (٩) غ، ت: ضروب، وصحح فوقها "...بين" (صححت في النسختين بنفس الشكل تقريبا) (١٠) ت: بينهما (١١) ت: ولضروب.

اختلفت أمزجة الأنواع: فصار مثلا مزاج الفرس إنما يخالف مزاج الإنسان لأن مقادير الأسطقسات امتزجت فيه على نسبةٍ مخالفةٍ لنسبة امتزاج مقاديرها في الإنسان.

[٨] ولما كانت هذه الصورة المزاجية التي تخص نوعا نوعا يوجد فيها[١]، في النوع الواحد بعينه، الاختلافُ بالأقل والأكثر -ولذلك أطراف لا يخرج الاختلاف عنها[٢] إلا إذا فسدت صحة النوع- وجب أن يوجد في المزاج النوعيّ[٣] الواحدِ بعينه النوعان[٤]: معتدل وخارج عن الاعتدال -وذلك على ما يقوله جالينوس[٥]- إما في كيفية واحدة من الكيفيات الأربع (=الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة)، وإما في اثنتين منها مما يمكن أن تتركب منها، وهي الفاعلة والمنفعلة التي ليست بأضداد، مثل الحرارة والرطوبة (من جهة)، والحرارة[٦] واليبوسة (من جهة).

[٣- أمزجة الأعضاء المتشابهة الأجزاء]

[٩] وإذا كان ذلك كذلك فأمزجة[٧] المتشابهة الأجزاء تكون ضرورة، بحسب رأيه[٨]، تسعة أمزجة: إما معتدل، وإما حار، وإما بارد، وإما رطب، وإما يابس، وإما حار رطب، وإما حار يابس، وإما بارد رطب، وإما بارد يابس. وأما هل توجد هذه[٩] التسعة[١٠] في بدن الإنسان -بالإضافة إلى أطراف الأسطقسات فإنه إنما يمكن هذا إن أمكن أن يوجد جسم ما متشابه الأجزاء، مقاديرُ الأسطقسات فيه متساوية- فإن في ذلك موضع فحص.

[١٠] لكن[١١] يظهر أن ذلك غير ممكن في كمية أجرامها وفي الكيفية[١٢]: أعني الثقل والخفة والحرارة والبرودة[١٣]. وذلك أن الأجسام المتشابهة الأجزاء، الغالبُ عليها: الماء والأرض، وبذلك[١٤] كان لها قوام (=جسم). وأما وجود هذا التعادل في الكيفية، فقد يظن أن ذلك[١٥] ممكن، كما يقول جالينوس، في لحم[١٦] اليد وبخاصة اللحم الذي على الأنملة(*)، والكيفيات المكونة هي الطابخة المنضجة. ولذلك ما يكون الكائن منسوبا[١٧] إلى غلبة الجزء الحار المكوِّن وإلى القابل، وهي الرطوبة التي يكون بها النضج والاتحاد.

(*) تعادل الحرارة والبرودة في لحم النملة لشدة حساسيتها لكل منهما.

---

(١) ب: منها (٢) ت: "وأطراف لا يوجد الاختلاف فيها" (٣) غ: سقط "النوعي" (٤) غ: "النوعين" . م، ت: سقط (٥) غ، م: سقط "على ما يقوله جالينوس" (٦) م: والبرودة، (٧) ب: فأمزاج؛ ت: فالأمزجة (٨) غ، م: سقط "بحسب رأيه" (٩) غ: سقط "هذه" (١٠) م: يظهر "السبعة" (١١) م: ولكن (١٢)غ، م: سقط "وفي الكيفية" (١٣) غ، م: سقط "والحرارة والبرودة" (١٤) غ: لذلك(١٥) غ: "فذلك" (١٦) ب: لحمة (١٧) م "ما يكون الكائن منسوبا". غ،ب "كل...منسوب".

[١١] وهذا كله قد تبين في (المقالة) الرابعة من (كتاب) الآثار (العلوية لأرسطو). ومن تلك الأصول تبين أن الأمزجة خمسة فقط: معتدل وأربعة مزدوجة. وأنه ليس يمكن أن يوجد جسمان متساويان في الحرارة، وأحدهما أيبس من الثاني، كما توهمه جالينوس في الشاب والصبي. وقد بينا هذا في غير هذا الموضع.

[١٢] وجملة الأمر في ذلك أن مقادير الكيفيتين الفاعلتين تتبعها مقادير الكيفيتين المنفعلتين، فإن للصور الخاصة مواد خاصة. لكن، رَأَيْنَا أن مفارقة المشهور فيها[١] إيحاش[١-ه]، والخطأ الداخل منه[٢] في هذه الصناعة لعله يسير. وكذلك الخطأ العارض فيما قاله (=جالينوس) في المزاج المعتدل. فلنضع الأمر على ما يقوله جالينوس في لحم اليد وبخاصة في اللحم الذي على الأنملة[٣].

[١٣] وإذا كان هذا كله كما وصفنا، فالحال التي بها تفعل المتشابهة[٤] الأجزاء فعلَها، أو تنفعل، هي ضرورة أحد هذه الأمزجة التسعة، سواء كانت المتشابهة الأجزاء[٥] جزءَ حيوان أو لم تكن. ولهذا ما (=زائدة) ينبغي أن يعرِّف المزاجُ الطبيعي من هذه الأمزجة[٦] التسعة، لواحد واحد من الأعضاء المتشابهة الأجزاء التي[٧] للإنسان، فإن ذلك المزاج هو المعتدل بالإضافة إلى فعل ذلك العضو وانفعاله، وهو الاعتدال الذي يقال بالإضافة إلى النوع، وهو الذي ينبغي أن يقصد بالحفظ (للصحة) في هذه الصناعة، و[٨]الاسترداد إذا ذهب[ت].

[١٤] وبالوقوف على مزاج[٩] واحد واحد من أعضاء الإنسان المتشابهة الأجزاء نقف[ي] على مزاج العضو المركب من أكثر من واحد[١٠] منها. فإن المزاج إنما[١١] ينسب إلى العضو[١٢] الآلي من جهة الأعضاء المتشابهة الأجزاء التي[١٣] تركب منها، لا من جهة ما هو آلي: أعني من قبل العضو الأول[١٤]. وإذا وقفنا بهذا الوجه على مزاج عضو عضو من الأعضاء الآلية، قدرنا أن نقف بذلك على المزاج المعتدل المنسوب إلى جملة البدن. فإن المزاج أيضا إنما ينسب إلى جملة البدن من جهة وجوده للأعضاء الآلية الأول[١٥] التي تركب منها، وللأعضاء الآلية من جهة المتشابهة الأول التي فيه[١٦].

[١٥] وينبغي أن تعلم قبلُ، أن هذه[١٧] الأعضاء المتشابهة الأجزاء منها ما يتركب عن الأسطقسات تركيبا أوليا، ومنها ما يتركب تركيبا ثانيا ويتوسط[١٨] المركبات

(١-ه) في جميع الأصول والطبعات وردت "إيجاش" بالجيم، ولا معنى لها، ولعلها إيحاش أي استيحاش وخروج عن ما سار عليه الناس (م. ع.ج).

---

(١) ب: فيه (٢) م: فيه (٣) غ، ت: سقط "والكيفيات المكونة...الذي على الأنملة"؛ م: سقط "وبخاصة اللحم الذي على الأنملة" (٤) غ: يفعل المتشابه (٥)م: سقط "الأجزاء" (٦) غ، م، ب: سقط "الأمزجة" (٧) غ، ت: الذي (٨) غ، م، ت: ألذ (٩) غ، ت: سقط "مزاج" (ي) غ: تقف (١٠) غ: "واحد واحد" عوض "واحد" (١١) م: أضيف "قد"؛ غ: الكلمة لا تقرأ (١٢) م، ت: للعضو (١٣) غ: الذي (١٤) غ: سقط "أعني...الأول" (١٥) غ، ت: سقط "الأول" (١٦) غ، م: سقط "الأول التي فيه"؛ ت: المشابهة الأولى التي فيها (١٧) ب: سقط "هذه" (١٨) غ، م: يظهر "بتوسط"؛ ب: بتوسط.

تركيبا أوليا. والأعضاء المتشابهة الأجزاء التي هي أجزاء الحيوان هي من هذا الصنف[1]. وذلك أنها إنما تتولد عن الدم فقط، والدم يتولد عن الأغذية والأشربة. وليس المني مما يمكن أن يتولد منه جزء عضو بسيط، ولا عضو[2] أصلا، على ما لاح في العلم الطبيعي. ولا أيضا المِرّة السوداء أو[3] الصفراء والبلغم أسطقساتُ هذه الأعضاء المتشابهة على الجهة التي نقول إن الدم هو أسطقسها؛ وإنها متولدة عنه. وذلك أن الشيء المتولد عن أكثر من شيء واحد إنما يتهيأ ذلك بأن تختلط تلك الأشياء الكثيرة حتى تصير[4] واحدا بالطبخ والنضج[5]، كالحال في السكنجبين[م] الذي يكون عن اختلاط الخل والعسل والماء. وليس في الرحم مِرّة سوداء بالفعل، ولا صفراء تختلط بالدم، حتى يتولد منها هذه الأعضاء؛ بل المرة الصفراء والسوداء إنما[6] في بدن الإنسان لمنافع ستبين بعد. فأما البلغم فإنه مادة بعيدة. وذلك أن الأعضاء إنما تتولد منه بتوسط الدم. فأما المرتان فليستا بمادة للأعضاء، لا قريبة ولا بعيدة: إذ كان ليس يمكن فيهما أن تستحيلا إلى الدم، وإنما هما موجودتان في الدم بالقوة. والدم أيضا إذا فسد أكثر ذلك استحال إليهما[7].

[٤- ما هو أسطقس للعضو وما هو غير أسطقس]

[١٦] وإنما غلّطهم في ذلك موضعُ اللاحق[م] (والجمع: اللواحق). وذلك أن الأسطقسات موجودة في المركب منها بالقوة، وليس ينعكس هذا حتى يكون كل ما هو موجود في الشيء بالقوة فهو أسطقس له، بل الدم يكون هيولى لهذه بالعرض، كما تكون الحياة هيولى للموت[8]. والفرق بين القولين[9] لمن زاول العلم الطبيعي بين. ولذلك: لا نقول إن الدُّرْدِي[م] والرغوة أسطقسات الشراب، بل إنما يتكون الشراب بتمييز هذه منه. وذلك أنها فضول هيولانية[10] تتميز[11] عند الطبخ. وكذلك الحال في المِرّتين مع الدم: أعني أنهما فضلتاه المتميزتان من الدم عند كونه[12]؛ فإن لكل كائن فضلة تتميز عند الطبخ[13]. وإذ قد تبين هذا فلنرجع إلى حيث كنا وننظر في واحد واحد من أمزجة الأعضاء المتشابهة الأجزاء التي هي جزء من الحيوان[14]، فنقول:

[١٧] أما العظام فظاهر من أمرها غلبة البرد واليبس عليها، وكذلك الغضاريف والأظفار والشعر والرباطات والأوتار والعصب[15] والعروق والأغشية. وذلك أن الحرارة هي طابختها، وأن[16] البرد هو عاقدها. ولذلك كانت الحرارة تلينها، وهي في هذا متفاضلة.

---

(١) م: سقط وثبت في الهامش العبارة "تركيبا أوليا...الصنف" (٢) ت: أضيف "آلي" في الهامش (٣) ت: أو م،ب،: و (٤) ت: يصير، وأضيف "منها" (٥) غ: سقط "بالطبخ والنضج" (٦) غ، م، ت: سقط "إنما" (٧) غ، م، ت: يمكن فيها...إليها (٨) غ، ت: سقط "بالعرض ..." (٩) غ، م، ت: القوتين (م: صحح في الهامش "القولين") (١٠) غ، م، ت: هيولاه (١١) م: المتميزتان (١٢) م: سقط "عند كونه" (١٣) غ: سقطت العبارة "أعني...الطبخ" (١٤) ت: من الحيوان (١٥) ب، ج: الأعصاب (١٦) غ: سقط "الحرارة هي طابختها وأن".

وذلك أنه يشبه أن يكون أيبس هذه هو الشعر، وبعده العظم، وبعده الغضروف، ثم الرباط ثم الوتر ثم الغشاء ثم العروق الضوارب وغير الضوارب ثم العصب. وأما تفاضلها في البرد فالشعر أولا[١] ثم العظم ثانيا ثم الغضروف ثالثا ثم الرباط ثم الوتر ثم الغشاء ثم العصب[٢] ثم العروق غير الضوارب ثم[٣] الضوارب، لأن الحرارة لهذه إنما هي[٤] موجودة[٥] بضرب من العرض. وإنما تنسب هذه إلى البرودة[٦] لأنها هي المتممة لها، لا أنها تتكون من دون الحرارة والطبخ[٧]. وكذلك[٨] تنسب إلى اليبوسة لأن اليبوسة هي المتممة لها، لا أنها تكونت[٩] دون رطوبة، لأن بالرطوبة يكون النضج والطبخ[١٠].

[١٨] وأما الأعضاء[١١] الغالب عليها الحرارة والرطوبة فهي الدم واللحم والأرواح[؟]، وهذه أيضا في الحرارة والرطوبة على مراتب: فأحرها الأرواح ثم الدم ثم اللحم، وأرطبها الروح ثم الدم ثم اللحم، إذ كان الروح من جنس الهواء والهواء أرطب من الماء، على ما لاح في العلم الطبيعي. وأما الأعضاء الباردة الرطبة فالشحم ثم السمين ثم المخ وهو جوهر الدماغ[١٢]، وهي في الرطوبة على هذا الترتيب.

[١٩] وهذا الترتيب[١٣] ينبغي أن يتقصاه هاهنا من وقع له فراغ ونظر في كتابنا، فإنه يجب أن تكون مراتبها في القوة الفاعلة على نسبة مراتبها في المنفعلة[١٤]. وأما المرة الصفراء فحارة يابسة، والسوداء باردة يابسة، والبلغم بارد رطب والدم حار رطب[١٥]. وبالجملة فينبغي أن يَتَسَلَّمَ أمزجة هذه الأعضاء صاحبُ هذه الصناعة من العلم الطبيعي. وإذ قد تبينت أمزجة الأعضاء المتشابهة الأجزاء فقد يمكن أن نقف بذلك على[١٦] مزاج عضو عضو من الأعضاء الآلية فنقول:

[٥- أمزجة الأعضاء الآلية]

[٢٠] إن القلب، إذ هو مؤلف من أغشية ورباطات ولحم وعروق وغضروف ودم وروح، هو ضرورة حار، لمكان الروح العظيم الذي فيه والدم، إذ كان[١٧] كالمستوقد

---

(١) م: سقط "أولا" (٢) غ: العصبة (٣) ج: أضيف "العروق" (٤) م: سقط "لهذه إنما هي"؛ ت: سقط "لهذه" (٥) ت: أضيف "فيها" (٦) م: يظهر على عبارة "البرودة" تشطيب، ت: البرد (٧) م: "تكون دون الحرارة لأن بالحرارة يكون الطبخ" عوض "تتكون...والطبخ" (٨) م: ولذلك (٩) ت: سقط "تتكون...تكونت"؛ م: سقط "تكونت" (١٠) غ: سقط "وإنما تنسب هذه...يكون النضج"؛ م، ت، ج: سقط "والطبخ"؛ م: أضيف "لأن الحرارة لهذه إنما هي موجودة بضرب من العرض"، ويبدو أن الناسخ قد استدرك خطأه ووضع فوق كل كلمة خطًا كأنه تشطيب (أما عبارة ت فأتت كالآتي: وإنما تنسب إلى البرد لأنها هي المتممة لها لا آنها دون رطوبة لأن بالرطوبة يكون النضج) كتبت في الهامش (١١) ب، ت: أضيف "التي" (١٢) غ، م، ت: سقط "وهو جوهر الدماغ" (١٣) م: أضيف "هي في ترتيب الأطباء في الرطوبة السمين ثم الشحم بما هي أغذية أو أدوية" (١٤) غ: سقط "فإنه يجب...في المنفعلة" (١٥) غ، ت، ج: سقط "والدم حار رطب" (١٦) م: على ذلك، وشطب على "ذلك" (١٧) م، ب، ت: أضيف "هو".

لجميع البدن. وأما هل هو يابس أو معتدل، كما يقول الأطباء[١] في ذلك، أو مائل إلى الرطوبة، ففيه موضع نظر. والأقرب أن يكون مائلا إلى الرطوبة لكثرة الروح الذي فيه. وأما الكبد فالظاهر من أمرها أنها حارة رطبة، إذ كانت أكثر أجزائها لحمية دمية[٢]، وتأتيها أيضا شرايين كثيرة. وأما الدماغ فبارد رطب[٣] لأن أعظم أجزائه هو[٤] المخ والعصب[٥]. والمخ الذي فيه طبعُه[٦] بارد رطب، بخلاف المخ الذي في العظام. والدليل على أن مخ الدماغ بارد رطب أكثر من مخ العظام أنه ليس فيه جزء[٧] دسم، وإذا طبخ صار جاسيا (=صلبا يابسا). وذلك أن الجزء المائي يُنفش منه بالحرارة فيبقى الجزء الأرضي صلبا[٨]. وكذلك النخاع والطحال والكلى من الأعضاء الحارة الرطبة، وإن كانت الكلى في ذلك دون الطحال لمكان (بسبب) عكر الدم الموجود في الطحال، وهي في هذين أقل من الكبد.

[٦- المزاج المعتدل أو الحال الصحية]

[٢١] وإذ قد تبينت أمزجة الأعضاء الآلية والبسيطة، فقد يظهر من هذا ما هو المزاج المعتدل في جميع البدن. وذلك أن من وجدت هذه الأعضاء فيه على هذه النسب كان معتدل المزاج ضرورة، ولحقته تلك الخواص والعلامات التي يصفها جالينوس في المعتدل المزاج. وبيِّنٌ أن هذا الاعتدال إنما هو بالإضافة إلى جملة أفعال البدن. لكن لما كانت هذه الأعضاء المتشابهة الأجزاء مركبة[٩]، فقد يمكن أن تشذ[١٠] في مزاجها، وتخرج إما لكيفية[١١] واحدة على ما يراه[١٢] الأطباء بحسب المسامحة[١٣]، وإما لأكثر[١٤] من واحدة مما يمكن أن تتركب[١٥] من غير أن يكون ذلك الخروج ضارا بالفعل؛ وذلك إما لمكان الإقليم، أو لمكان الهيولى والفاعل، أو لمكان السن. فإن الصبي حار رطب والشاب[١٦] حار يابس والشيخ بارد يابس؛ وهذا بين من أفعالهم وقربهم وبعدهم[١٧] من الكون (=التكون). وكذلك أيضا مزاج الذكر أحر وأيبس من مزاج الأنثى، وذلك أيضا بين من فعلهما. وقد تختلف الأمزجة لمكان المهن والأغذية، وبالجملة الأمور[١٨] التي من خارج. وإذا أمكن هذا في الأعضاء المتشابهة أمكن أيضا في الأعضاء الآلية أن

---

(١) غ، م، ت: ثبت "كما يقول الأطباء" بعد "...يابس" التي قبلها في السطر (٢) ب، ج: دموية (٣) غ: سقط "رطب" (٤) ج: سقط "هو" (٥) م: ثبت "والعصب" في الهامش، وتأتي بعد الكلمة عبارة شطب عليها بالكامل (٦) غ، ت، ج: طباعه؛ م: طرفه، وقد شطب عليها وثبت "طباعه" في الهامش (٧) م: "جوهر" عوض "جزء"؛ ب: جزء جوهر (٨) غ، ت، ج: سقط "صلبا" (٩) غ، ت، ج: سقط "الأجزاء مركبة فـ..."؛ م: سقط "الأجزاء" (١٠) غ، م: تشتد (١١) م: بكيفية؛ ت: إلى كيفية؛ ج: "إلى كيفية" عوض "إما لكيفية" (يفهم من هذا أن ج أسقطت "إما" (١٢) م: يرومه (١٣) غ: سقط "على ما يراه...المسامحة"؛ م: يظهر "الصليقة" عوض "المسامحة" (١٤) غ، م، ج: أكثر؛ ت: شطب على "لأ" وكتب فوقها "ا" (١٥) ب: يتركب منها (١٦) غ: الشباب (١٧) غ، ت: أفعالهما وقربهما وبعدهما (١٨) ب، ت: يظهر "للأمور".

يوجد[1] فيها هذا الخروج. وإذا أمكن في الأعضاء الآلية أمكن في جملة البدن بمقايسة بعضها إلى بعض.

[٢٢] وإذا أمكن ذلك، وكان قد تبين[2] أن أصناف خروج الممتزج من جهة ما هو ممتزج يكون إلى ثمانية أصناف، بحسب رأي الأطباء[3]، فإذن الحالات التي يفعل بها عضو عضو أفعاله و[4] ينفعل انفعاله، أو[5] جميع البدن، هي أصناف تسعة: واحد معتدل وهو الطبيعي، وثمانية خارجة عن الاعتدال. والحق أن الخارجة عن الاعتدال أربعة[6]: وذلك أن البدن الذي تشذ[7] فيه أعضاؤه اليابسة الحارة أو أكثرها[8] ينسب إلى المزاج الحار اليابس[9]، وكذلك في صنف صنف منها. فعلى هذا ينبغي أن يفهم أن أصناف الأمزجة[10] الصحية[11] خمسة[12]. وبين أن هذا النوع من المزاج هو مشترك للصنفين من الأعضاء، لكن هو للبسيطة[13] بالذات، وللمركبة بالعرض وثانيا. وذلك أنه لما كان الأطباء[14] ينسبون أمزجة الأعضاء الخارجة عن الاعتدال إلى كيفية فاعلة و[15]منفعلة، فكذلك[16] يجب أن ينسب جملة مزاج البدن إلى كيفيتين فقط، فتكون الأمزجة الخارجة عن الاعتدال أربعة[17]. وإذ قد تبين ما هي الحال الصحية الموجودة بالذات في الأعضاء المتشابهة الأجزاء وأنواعها، وثانيا للعضو الآلي ولجميع البدن، فلنصر[18] إلى بيان الحال الصحية[19] الموجودة بالذات للعضو الآلي من جهة ما هو آلي، وإلى أنواعها[20] فنقول:

[٢٣] إن الأعضاء الآلية، من جهة ما هي مركبة، يظهر من أمرها أنها إنما تكون على الحال التي بها تفعل أفعالها[21] أو تنفعل انفعالها متى كانت من كيفيتها -أعني الكيفية التي في الكمية بما هي كمية- ومن كميتها ومن وضعها، على الحال الطبيعية، ومن مشاركة بعضها بعضا في اتصالها وانفصالها، وكيفية اتصالها وانفصالها[22]، ومن ترتيبها. وهذا قد يظن به[23] أنه يدخل في جنس الوضع (=مثل جالس، قائم). و[24] لكن إن قيل عليه اسم الوضع فباشتراك[25] (الاسم).

---

(١) ت: أضيف "أيضا"؛ ج: يظهر "يوخذ" (٢) ج: وضعنا (٣) غ، م، ت، ج: سقط "بحسب رأي الأطباء" (٤) ت: أو (٥) م: أما في (يظهر على "أما" تشطيب) (٦) غ: سقط "والحق...أربعة" (٧) غ: تشتد؛ م: تشد؛ ج: في المتن "تشتد"، وصحح في الهامش "تشذ" وعليها صح (٨) غ، ت: أو أحدها؛ م، ب، ج: " أو أحدها أو أكثرها"، وشطب بـ على "أو أحدها" (٩) غ، ت: سقط "اليابس" (١٠) ت: المزاج؛ ب، ج: الأمزاج (١١) م: الصحيحة (١٢) غ، م، ت: تسعة (١٣) م: هناك كلمة لا تقرأ شطب عليها، وثبت في الهامش "للمتشابهة" (١٤) ب: أنهم لما كانوا (١٥) ت: سقط "و" (١٦) م، ت، ج: فقد (١٧) غ: سقط "وذلك أنه لما...الاعتدال أربعة"؛ م: ثبتت الفقرة الساقطة من غ قبل عبارة "فعلى هذا ينبغي"؛ ج: ثبتت قبل عبارة "وبين أن هذا النوع". ويذكر جيز أن هذه الفقرة ثبتت في النص اللاتيني (١٨) ت: فلنصر، وكتب فوقها "فلنشر" (١٩) م: الصحيحة...الصحيحة (٢٠) م: سقط "للعضو الآلي...أنواعها" (٢١) ج: سقط "أفعالها" (٢٢) م، ج: سقط "وكيفية...وانفصالها"؛ ج: أضيف "ومن وضعها" (٢٣) غ، م، ت: فيه (٢٤) ب: سقط "و" (٢٥) غ: سقط "ومن ترتيبها...فباشتراك".

[٢٤] وأما من كيفيتها فأن يكون شكلها الشكل الطبيعي، وأن تكون التجاويف والمنافذ التي فيها على الحال الطبيعية في السعة والضيق، وأن تكون سطوحها في الملاسة والخشونة على الحال الطبيعية أيضا. وأما من الكمية، فمتى كان عدد أجزائها العدد الطبيعي، وكذلك مقاديرها[١]. وأما حالها في الاتصال والانفصال: أن[٢] يكون أيضا حالا طبيعية، مثل اتصال أجزاء العضو الآلي بعضها ببعض، وانفصالها بعضها عن بعض. وكيفية الاتصال والانفصال يدخل[٣] في هذا[٤]، وإن كان[٥] اسم الاتصال بالعضو المتشابه الأجزاء أولى منه بالعضو الآلي. والكبير والصغير يدخل في جنس المقدار، وهو خاص بالكم المتصل، كما أن القليل والكثير خاص بالكم المنفصل[٦]، وإن كان المقدار[٧] من جهة ما هو متصل أوْلَى بأن ينسب إلى العضو المتشابه، منه إلى العضو الآلي[٨]، لأن العضو الآلي إنما يكون بالمقدار الطبيعي متى كان كل واحد من المتشابهة التي تركب منها[٩] بالمقدار الطبيعي.

[٢٥] وأما الوضع الطبيعي الذي للعضو فهو أن تكون أجزاؤه محاذية لأعضاء محدودة، شأنه أن يحاذي[١٠] تلك الأعضاء. وبذلك[١١] يكون موضعه من الجسم الموضع[١٢] الطبيعي الذي له، مثل الكبد والمعدة وغير ذلك من الأعضاء. وكذلك الحال في وضع أجزاء العضو نفسه، بعضها من بعض[١٣]. وأما قولنا: وأن يكون حالها من مشاركة بعضها بعضا حالا طبيعيا، فإن هذا يوجد في التركيب الأول العام لجميع أعضاء البدن، مثل مشاركة الأعضاء الرئيسة[١٤] لما لا يتم فعلها إلا به. ويوجد هذا[١٥] في عضو مع عضو، مثل مشاركة الدماغ للمعدة في فعلها الذي هو الشهوة، وتوجد في أجزاء العضو[١٦] الآلي مع الجزء الأملك[١٧] لفعل ذلك العضو، مثل مشاركة جميع أجزاء العين للرطوبة الجليدية.

[٢٦] وأما جنس الاتصال والانفصال وكيفية ذلك[١٨] فإن من الأعضاء ما هي منفصلة من غير أن تكون مرتبطة كالأصابع، ومنها ما هي متصلة برباط أو بزوائد يدخل بعضها في بعض أو بكليهما. ومن هذه ما يكون اتصالها اتصالا مفصليا. ومعنى ذلك أنه يمكن أن يتحرك ذلك العضو الذي هو جزء المتصل بذاته. مثال ذلك الكف: فإنها جزء

---

(١) م: عدد مقادرها، وشطب على "عدد" (٢) ب، ت: الاتصال فأن (سقط "والانفصال") (٣) م: عبارة "يدخل" مطموسة (٤) ب: هذه (٥) ت: سقط "كان" (٦) غ: سقط "وأما حالها...بالكم المنفصل" (٧) ت: "والمقدار" عوض "وإن كان المقدار" (شطب على "وإن كان") (٨) ت: أضيف "والعضو الآلي" (كتبت العبارة "لأن العضو الآلي" في الهامش، كأنه استدراك من الناسخ، وتركت عبارة "والعضو الآلي" من دون تشطيب) (٩) م: أضيف "الآلي" (١٠) ب، ت: "شأنها أن تحاذي" (١١) م: ولذلك (١٢) م: الوضع (١٣) غ: سقطت العبارة "وكذلك الحال...من بعض" (١٤) غ، م، ت: الرئيسية (١٥) غ، م: "فعله إلا بها، وتوجد" عوض "فعلها...هذا" (١٦) ب: أضيف "الواحد" (١٧) م، ب: هكذا "الأملك" (في ب شُكل "الأملكِ"؛ في م: الاملك؛ عند فورنياس: الا ملك؛ طبعة الجزائر (جز): سقطت الكلمة ضمن عبارة من حوالي سطر) (١٨) غ، ت: سقط "فإن هذا يوجد في التركيب...وكيفية ذلك".

من الساعد، واتصالها به يكون برباط وزوائد، وهو مع هذا[1] اتصال مفصلي[2]. فهذه هي أنواع الهيئات التي إذا كانت في الأعضاء الآلية فعلت بها أفعالها التي لها بالطبع وانفعلت انفعالاتها الطبيعية.

[٢٧] وأنت قد سلف لك، مما ذكر في التشريح، كيفية كل عضو وكميته ووضعه ووجه مشاركته لغيره، أعني اتصاله وانفصاله وترتيبه[3]، فلا معنى لإعادة ذلك هاهنا. وأنت فلا يخفى عليك، إن كنت نظرت في كتب جالينوس أو[4] كتب المتبعين له من الأطباء، أن ما قلناه في قسمة أنواع الصحة هاهنا هو أولى مما[5] قاله الرجل؛ وبخاصة إن كنت قد ارتضت في العلوم. وإذ قد[6] تبين هذا، فنقول:

[٧- الهيأة الفاضلة]

[٢٨] إنه[7] لما كان قد يوجد من الأمزجة الصحية المنسوبة إلى الأعضاء المتشابهة الأجزاء ما هو في غاية الاعتدال، وما هو خارج عن الاعتدال، لكن خروجا لا يكون عنه ضرر محسوس في الفعل والانفعال، كذلك يشبه أن يكون الأمر في الأعضاء الآلية، فيكون هاهنا كيفية معتدلة وكمية معتدلة ووضع معتدل ومشاركة معتدلة، وهذه هي الهيئة الفاضلة التي رام وضعها[8] جالينوس في مقالته المترجمة بالهيئة الفاضلة. ويكون أيضا[9] هاهنا من هذه الأنواع ما هو خارج عن الاعتدال، فتكون على هذا أنواع الصحة الموجودة في الأعضاء[10] الآلية ثمانية أصناف: أربعة معتدلة وأربعة ناقصة عن الاعتدال أو زائدة عليه[11]. وأما الجنس الخامس من أجناس هذه الهيئات الذي نظن[12] أنه من أحد ما يشترك فيه الأعضاء الآلية والمتشابهة، وهو نفس الاتصال فيما[13] شأنه أن يكون منها[14] متصلا، فإن الاتصال قسمان: اتصال يكون بالربط، وهذا إنما هو تماس في الحقيقة، ولذلك مثل هذا الاتصال هو خاص بالآلية وهو معدود في هيئاتها الصحية. وأما الاتصال الذي هو اتصال حقيقي، وهو الموجود للعضو المتشابه الأجزاء، فيلزم ضرورة أن يكون معدودا في الهيئات الصحية التي للأعضاء المتشابهة الأجزاء. فقد تبين من هذا القول جميع أنواع الهيئات الصحية[15] للأعضاء البسيطة والآلية المشتركة منها والخاصة[16] بواحد واحد منها. وتبين مع ذلك في المشتركة على أي جهة[17] شركتها.

---

(١) غ: أضيف "أيضا" (٢) ت: متصل اتصالا مفصليا (٣) غ، م، ب: في حالي (غ: أعني؛ ب: وحال) اتصاله وانفصاله وترتيبه (غ: سقط "وترتيبه"؛ ب: أضيف "أعني اتصاله وانفصاله") (عبارة ب: وحال اتصاله وانفصاله وترتيبه أعني اتصاله وانفصاله) (٤) غ، م: و؛ ت: وفي (٥) ت: في ما (٦) م: "وإذا" عوض "وإذ قد" (٧) م: سقط "إنه"؛ غ: "لكن" عوض "وأنت فلا يخفى...فنقول إنه"؛ ت: ثبت "لكن" وعليها تشطيب (٨) غ، ت: وصفها (٩) ت: سقط "أيضا" (١٠) ت: هذا النوع...أعضاء (١١) ب: أضيف "بحسب رأي الأطباء" (١٢) غ، ب: التي يظن (١٣) ت: يظهر "فما" (١٤) غ: سقط "منها" (١٥) م: أضيف "التي" (١٦) ت: الخاصية (١٧) ت: أضيف "هي".

وإنما عرض هذا التداخل فيها في[1] الاشتراك، لأن الحد العام لها لم يكن مقولا بتواطؤ (=بنفس المعنى). وذلك أن نسبة المزاج إلى الأعضاء الآلية، غير نسبته إلى المتشابهة: فإنه للمتشابهة[2] بالذات وللآلية بالعرض. ولما لم يفصِّل الأطباء هذا التفصيل، كانت أقاويلهم في هذه الأشياء إقناعية أو منطقية (يقينها صوري = لا تقوم على الملاحظة). وقد ينبغي بعد هذا أن نصير إلى معرفة الأفعال والانفعالات التي تخص عضوا عضوا، وهذه هي التي تتنزل من معرفة الصحة منزلة الأسباب الغائية. والتي سلف القول فيها، إنما كانت معرفة الأسباب الصورية لها أو[3] المادية. وقبل هذا فلنقدم ما يجب تقديمه مما قد لاح في العلم الطبيعي فنقول:

[٨- المادة والصورة والغاية في أعضاء الإنسان]

[٢٩] إنه قد تبين هنالك أن كل جسم مركب من مادة وصورة، وأن المادة إنما وجدت من أجل الصورة، ومجموع الصورة والمادة، الذين هو بهما[4] الموجود الطبيعي ما هو، إنما هو من أجل فعله الذي يخصه. ولذلك ما يقول أرسطو: إن الطبيعة لا تفعل باطلا. مثال ذلك، في الأمور الصناعية، أن خشب السفينة إنما وجد من أجل صورة السفينة وشكلها، ووجد مجموع هذين من أجل فعل السفينة وهو سيرها[5] في الماء. وإذا كان ذلك كذلك فهذه الأعضاء الإنسانية فيها، ضرورة، شيء يجري هذا المجرى، أعني أنه يلزم أن يكون فيها شيء[6] يجري مجرى الهيولى، وشيء يجري مجرى الصورة، وشيء ثالث وهو الفعل والانفعال، ويكون هذا هو الغاية لمجموع تلك. ولهذا ما (=ما: زائدة) ينبغي أن نفحص هاهنا أولا ما[7] الشيء الذي يجري من هذه الأعضاء مجرى الصورة؟ وما الشيء الذي يجري مجرى المادة؟ وحينئذ[8] نشرع في بيان فعل واحد واحد منهما وانفعاله[9] فنقول:

[٣٠] أما الأعضاء البسيطة فإنه يظهر في أكثرها أنها شبيهة بالهيولى[10] للمركب، وذلك أن العظام الموجودة في اليد والرباط[11] والأعصاب والعروق واللحم والجلد، يظهر من أمرها أنها إنما وجدت من أجل خلقة اليد. وخلقة اليد المركبة من هذه إنما وجدت من أجل الأفعال التي تخصها والانفعالات. مثال ذلك أن اليد إنما أمكنها المد والانبساط والقبض وغير ذلك من أفعالها[12]، من جهة ما هي مركبة. ولكن وإن كانت الأعضاء المتشابهة الأجزاء[13] إنما كونت أولا من أجل المركب، فلواحد واحد

(١) م، ت: من (٢) ت: سقط "فإنه للمتشابهة" (٣) م: "و" ب: لها و (٤) غ، م، ت: بها (٥) ت: تسييرها (٦) غ: أضيف "يلزم"، وعليها تشطيب (٧) ب: عن (٨) ب: أضيف "ينبغي"، وعليها علامة تصحيح (صـ)(٩) غ: ...منها...؛ م: كل واحد منها أو انفعاله؛ ب: ...منها أو... (١٠) ت: بهيولى؛ غ، م: هيولى (١١) غ: الربط (١٢) م: أفعال لها، يظهر وكأن على "...ل" في آخر كلمة "أفعال" تشطيبا (١٣) غ، ب، ت: سقط "الأجزاء".

منها فعل خاص يتميز به في المركب. مثال ذلك أن اليد إنما كان لها قوام تحمل به الأشياء بما فيها من العظم، وإنما كان فيها الالتطاء (=الامساك بالشيء) بما فيها من اللحم. وهذا كله ظاهر بنفسه. وإذا كان هذا هكذا، ووضعنا (=افترضنا) أن[1] الأعضاء البسيطة إنما وجدت من أجل المركبة، فقد ينبغي[2] أن ننظر[3]: هل هاهنا شيء من أجله وجد المركب، وبمجموعها يلتئم فعل[4] المركب؟ فنقول:

[٣١] أما أن أفعال هذه الأعضاء الطبيعية وانفعالاتها إنما تكون بحرارة غريزية مبثوثة فيها، غير الحرارة المزاجية التي للأعضاء المتشابهة الأجزاء[5]، فذلك[6] يظهر مما لاح في التشريح ومما قيل في العلم الطبيعي. أما ما ظهر من ذلك في التشريح فهو أن القلب يوجد فيه جسم بخاري في غاية الحرارة متصل منه في السبل المسماة شرايين إلى جميع الأعضاء على ما قيل بعد[7]. وكذلك يظن أن الأمر أيضا في الدماغ. وإذا كان هذا هكذا، وأضيف[8] إلى هذا أن جميع الأفعال والانفعالات إنما تكون بالحرارة الغريزية على ما لاح في العلم الطبيعي وعلى ما سيتبين بعد، فجميع الأعضاء إنما تفعل أفعالها النفسانية بصورها المزاجية وبما يصل إليها من هذه الحرارة[9]، ومجموع[10] هاتين الحرارتين في العضو هي صورته التي هو بها فاعل أو منفعل.

[٣٢] ومن هنا تظهر رئاسة القلب على سائر الأعضاء: فإنه يظهر من هذا أنه مكتف بنفسه في فعله، وغيره مضطر في فعله إليه. وكذلك أيضا تظهر رئاسة الدماغ بهذا المعنى بعينه على الأعضاء التي هو رئيس عليها. وإذا وضع هذا هكذا فالأعضاء البسيطة إنما وجدت أولا من أجل المركبة، والمركبة من أجل هذه الحرارة المنبعثة من القلب وحده أو من الدماغ والقلب، فإنه لا نبالي[11] هاهنا كيف كان الأمر في ذلك. وهذه الحرارة هي التي تتنزل منها منزلة الصورة، وبمجموعها تكون الأفعال والانفعالات التي تخص عضوا عضوا. فأما هل في هذه الحرارة كفاية أم هاهنا قوة أخرى تتنزل من هذه الحرارة منزلة الصورة، فذلك شيء ليس[12] يحتاج الطبيب إلى الفحص عنه. و[13] لكن لنضع أن هاهنا قوى غير هذه الصور المزاجية، على ما تبين في العلم الطبيعي، وهي المسماة نفوسا. فهذا هو الذي كان ينبغي أن نقدم[14] قبل النظر في فعل واحد واحد[15] من الأعضاء وانفعالاته. وقد ينبغي أيضا قبل ذلك أن نعرف كم أصناف هذه الانفعالات والأفعال، وحينئذ نفحص عما يخص عضوا عضوا منها. والسبيل إلى ذلك يكون بأن

---

(١) غ: سقط "أن" (٢) ت: المركب وقد...؛ ب: كتب "فينبغي" وفوقها "فقد" (٣) ب: نبحث (٤) م: سقط "فعل" (٥) غ، م: سقط "الأجزاء" (٦) ب: أضيف "مما" وعليها (مـ) (٧) م: يقال بعد ذلك؛ وثبت في هامش غ "قَبْل" عوض "بعد"، التي وضع فوقها علامة تصحيح (٨) ت: أو أضيف (٩) م: أضيف "الغريزية" (١٠) م: سقط "ومجموع"، وهناك خط صغير يشبه أن يكون إشارة إلى الهامش (١١) غ: فإنا لا نبالي؛ م، ت: فإنه لا يبالي؛ ب: فإنه لا نبالي (١٢) ت: لا (١٣) ت: سقط "و" (١٤) غ: نقدمه (١٥) م: سقط "واحد".

نعرف أولا القوى الصادرة عنها هذه الأفعال، وذلك يكون بمعرفة أجناس الأفعال، لأن الأفعال عندنا أعرف من قواها، والقوى عند الطبيعة أعرف، فنقول:

[٩-وجهة نظر الأطباء ووجهة نظر الفلاسفة في قوى الكائن الحي]

[٣٣] إن الفلاسفة والأطباء لما نظروا إلى الأفعال قالوا[١] إن القوى الموجودة في الإنسان ثلاثة: إما قوى طبيعية، وإما قوى حيوانية، وإما قوى نفسانية. ويعنون بالقوى الطبيعية القوة التي بها تكون التغذية والتي بها يكون النمو والتي بها يكون التوليد[٢]. ويعنون بالقوى الحيوانية القوة النبضية التي في القلب والقوة النزوعية وهي التي يكون بها الاشتياق إلى الشيء أو[٣] الهرب عنه. ويعنون بالقوة النفسانية قوى[٤] الحواس[٥] الخمس التي هي اللمس والذوق والشم والسمع والإبصار -قالوا- والقوة المحركة في المكان، وقوة التخيل[٦] والفكر والذكر والحفظ. وهذه الثلاثة يدعونها بالسياسية (السياسة=التدبير). فهذه هي القسمة التي جرت عادة الأطباء أن يقسموا إليها قوى النفس. وهي وإن كانت قسمة غير صحيحة فيشبه أن تكون قليلة الضرر في هذه الصناعة، لكن الأولى أن نضعها نحن هاهنا على نحو[٧] ما تبين في العلم الطبيعي، فنقول:

[٣٤] إن هذه الأفعال قد تبين من أمرها أنها ليس يمكنها[٨] أن تنسب إلى الكيفيات الأربع فقط، بل إلى قوى زائدة عليها، وهي المسماة نفوسا. فلما اعتبروا أفعال هذه القوى المسماة نفوسا[٩]، قالوا: إن النفس منها[١٠] ما ينسب إلى النبات، وهي ثلاث قوى: إحداها الغاذية، ثم النامية وهذه هي كمال الغاذية، ثم المولدة وهذه كأنها كمال للنامية. وتبين هنالك[١١] أنها أنفس إذ[١٢] كانت آلية، وأنها ليست بقوى طبيعية. فلذلك كانت تسميتها قوى طبيعية مجازا. هذا إن أرادوا بها أنها أنفس. وإن أرادوا بذلك أنها قوى[١٣] مزاجية فقط، فهو خطأ. ومما يدل على أنهم يريدون بها هذا المعنى ما يُسمع جالينوس يشبِّهُها بحجر[١٤] المغنيطس، ويأخذه في تفهيمها. وأما قوة النبض فهي ضرورة قوة غاذية جزئية رئيسية إذ كان القلب بها يوزع الحرارة[١٥] على سائر الأعضاء. وأيضا فإنها كالخادمة للقوة الغاذية الرئيسية التي في القلب، لأن بها تحفظ[١٦]. ولذلك ليس تستحق أن توضع أنها[١٧] قوة أخرى من قوى النفس، فإن الحال في وجود هذه القوة للنفس الغاذية كالحال في الخمس القوى الموجودة لها، التي هي

---

(١) غ: سقط "وذلك يكون... الأفعال قالوا" (٢) ت: التولد (٣) ت: و (٤) م: قوة (٥) ت: الحس، وشطب عليها وصحح في الهامش "الحواس" (٦) م: التخييل (٧) ب: سقط "نحو" (٨) ب: يمكن (٩) غ: سقط "فلما...نفوسا" (١٠) غ: سقط "منها" (١١) غ: ويتبين هنالك أيضا (١٢) ت: إذا (١٣) م، ت: قوة (١٤) غ: بحجار (١٥) غ، ب: الحرارات (١٦) م: تنحفظ؛ غ: تتحفظ (١٧) غ، م، ت: سقط "أنها".

القوة الجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة والمميزة، وإن كانت القوة النبضية خاصة بالحيوان وذلك لموضع إفراط الحرارة فيه. وقد يسمى النبات بهذه القوى[١] حيا، ولا يسمى حيوانا.

[٣٥] ولعل الأطباء إنما سموا قوة النبض[٢] حيوانية، وإن كانت من جنس الغاذية، لكونها مختصة بالحيوان[٣]. وأما قسمتهم القوى النفسانية إلى الحواس والقوة المحركة في المكان والتخيل[٤] والفكر والذكر والحفظ، فقسمة[٥] غير[٦] صحيحة. لكن القوة المحركة في المكان ليست شيئا أكثر من القوة النزوعية، إذا اقترن إليها الرأي و[٧]الخيال وكان هنالك إجماع، على ما تبين في كتاب النفس (لأرسطو). وهم (الأطباء) يعدون القوة[٨] النزوعية في القوى الحيوانية، ويضعون المحرك في المكان نوعا[٩] آخر. وهذا كله ليس بصحيح، بل ليس هاهنا قوى إلا غاذية أو نامية أو مولدة أو حسية أو متخيلة أو نزوعية أو نطقية. ومن رواضع المتخيلة الذاكرة والحافظة. ومن رواضع النطقية وخدمها المفكرة والذاكرة[١٠]. والحافظة، كما قيل، أكثر روحانية من المتخيلة. فهذه أمور ينبغي أن توضع هاهنا وضعا، وتتسلم من صاحب علم الطباع. وإن كان ليس بصناعة[١١] الطب ضرورة إلى معرفتها إلا من جهة الأفضل، بل يكفي الطبيب من هذه[١٢] أن يعرف المزاج الذي يخص قوة قوة من هذه القوى[١٣] ليحفظه إذا وجد[١٤]، ويسترده إذا ذهب، فإنه يكفيه في[١٥] هذه الصناعة أن ينتهي من معرفة الصور[١٦] إلى الصورة المزاجية الروحية[١٧]، كما يكفيه أن ينتهي من معرفة المادة إلى معرفة الأعضاء والأخلاط الأربعة.

[٣٦] ولكن إذا تقرر[١٨] الأمر على ما وضع في هذه الصناعة[١٩]، فبين أن جميع الأعضاء[٢٠]، إنما وجدت من أجل هذه القوى. وهذه القوى من أجل أفعالها. فإذن ولا[٢١] عضو واحد في البدن إلا وهو موجود من أجل فعل واحد من أفعال هذه القوى وانفعالاتها. ولذلك قد آن هاهنا أن نفحص عن فعل واحد واحد من الأعضاء و[٢٢] انفعاله والمزاج الذي يخصه[٢٣]، فإن بمعرفة ذلك تحصل لنا معرفة صحة عضو عضو بأسبابه الغائية[٢٤]، إذ كنا قد عرفناه بالسبب الصوري والمادي. وأما السبب الفاعل

---

(١) ت: القوة (٢) م: القوة التنفس؛ ب: ...النفس (٣) غ: سقطت العبارة "وقد يسمى...مختصة بالحيوان" (٤) غ: سقط "والتخيل"؛ م: التخييل (٥) غ، ب: فقسمته (٦) غ، م، ت: سقط "غير" (٧) غ، م، ت: أو (٨) ب: القوى (٩) غ: ...نوع؛ ت: ...نوع (١٠) ب: الذاكرة والمفكرة، وصحح في الهامش "المفكرة والذاكرة" (١١) ب: بصاحب صناعة (١٢) غ، م: هذا (١٣) ت: سقط "القوى" (١٤) م: وجده (١٥) ب: وإنما يكفيه من (١٦) ت: الصورة (١٧) ب: الروحانية (١٨) م: تكرر (١٩) م، ت: سقط "في هذه الصناعة" (٢٠) غ: "وإذا كان هذا هكذا وتبين أن الأعضاء" عوض "وإن كان ليس بصناعة الطب...أن جميع الأعضاء" (ت وضع العبارة التي سقطت من غ في الهامش (٢١) م: "لا" عوض "ولا" (٢٢) م، ب: أو (٢٣) غ: سقط "والمزاج الذي يخصه"؛ ت: سقط "والمزاج" (٢٤) م: "بأسباب عامة العاميّة المطلوبة في هذه الصناعة أعني" عوض "بأسبابه الغائية".

فلا حاجة بنا إلى معرفته هاهنا[١]، إذ كان قد ذهب وبطل، اللهم إلا ما كان من الأسباب الفاعلة يجري مجرى الحافظ[٢]. فلنشرع في ذلك ونبتدئ من منافع الأعضاء البسيطة.

[١٠-] القول في منافع الأعضاء البسيطة

[٣٧] وينبغي أن تعلم أن الشيء يقال إنه موجود من أجل الشيء على أحد وجهين: أحدهما أن يكون من ضرورة وجود الشيء الأخير[٣] وجود الأول. مثال ذلك، أن من ضرورة وجود الأعضاء الآلية وجود الأعضاء المتشابهة الأجزاء[٤]. والثاني أن يكون ليس من ضرورة وجود الأخير[٥] وجود الأول، بل من جهة أن يوجد الأخير بالحال الأفضل [٦]. مثال ذلك أن العين إنما وجدت من أجل ضرورة الإبصار؛ فأما كونها مضاعفة[٧] فمن جهة الأفضل على ما سنبين بعد هذا[٨]. ونحن إنما نذكر من هذه المنافع ما نرى أنه أكثر ذلك نافع في صناعة الطب.

[٣٨] وهذه الأعضاء البسيطة منها عظام وما يشبهها من الغضاريف وأظفار وشعر وعصب وعروق ورباط وغشاء ووتر ومخ ودماغ ونخاع ولحم وشحم وما يشبهه من الثرب والسمين وجلد[٩] ودم وبلغم ومرة سوداء وصفراء[١٠] وروح.

[٣٩] أما العظام فأشهر منافعها أنها جعلت لموضع العمدة والوثاقة، وهي بالجملة كالأساس لجملة البدن. والمنفعة الثانية لتُجِّن (=تكون كالِمَجنّ: تقي) وتستر[١١] كعظام الصدر وعظام[١٢] القحف. وأما كثرتها في البدن فإنما جعلت أولا لمكان الحركات الجزئية. وذلك أن ما كان تتهيأ حركةٌ لليد[١٣] بذاتها لو لم تكن مفصلة من الساعد. وكذلك في عضو عضو من الأعضاء المفصلية المتحركة. والمنفعة الثالثة بسبب[١٤] تحلل الفضول البخارية كالشؤون[٢] التي في الرأس؛ وربما صحبت في ذلك منفعة أخرى. وذلك أنه متى نزلت بأحد العظام آفة لم تتعد إلى غيره من الأعضاء من جهة ما هو منفصل منه، وقد تكون الحاجة إلى كثرة العظام لاختلاف أشكالها وكيفياتها بحسب ما أعدت له، ولصغرها أيضا ولكبرها. أما اختلافها في الصغر والكبر[١٥] فمثل سلاميات الأصابع وعظام الساق. وأما اختلافها في الشكل فمثل أن العظم الذي احتيج فيه إلى وثاقة مفرطة جعل صلبا مصمتا، وما احتيج فيه إلى الخفة جعل أجوفا، وما احتيج فيه إلى أن

---

(١) ب: سقط "هاهنا" (٢) ب، ت: الحافظة (٣) غ، ب: الآخر (٤) غ، ت: سقط "الأجزاء" (٥) غ، ب: الآخر (٦) غ، م: أضيف "و" (٧) غ، م، ت: مضعفة (٨) غ: سقط "هذا" (٩) غ، م، ت: وأظفار وعصب...ومخ ونخاع وشحم...الثرب وجلد... (١٠) م: أضيف "مرة" (١١) م، ب: أضيف "وهي" (١٢) غ، م: وعظم (١٣) م، ت: يظهر "اليد" (١٤) ب: الثانية لسبب (١٥) م: الصغير والكبير.

يتصل باللحم جعل لينا كالغضاريف. وهذه المنافع بينة بنفسها، والإنسان يقدر أن يأتي بجلها من عند[1] نفسه إذا كان ممن ارتاض أدنى ارتياض بالنظر في هذه الأشياء.

[٤٠] وأما الأظفار فإنها جعلت لمنفعتين: إحداهما، وهي العامة لوقاية أطراف الأصابع، بمنزلة المراكز التي تجعل[2] في الرماح. والثانية لتدعم اللحم عند قبض الأصابع على الشيء، وهذه أخص بأظفار اليد وهي أقل في[3] أظفار الرجل. وأما المنفعة الأولى فهي عامة للإنسان والحيوان.

[٤١] وأما العصب ففي منفعته شكوك كثيرة: أما جالينوس فيرى أن منفعتها إنما هي لتؤدي الحس والحركة الإرادية إلى جميع الأعضاء. وأما اللازم عن رأي أرسطو فإن العصب إنما جعل لموضع تعديل الحرارة الغريزية حتى يكون بها الحس، وذلك تابع لرأييهما[4] في منفعة الدماغ. وأما كونها آلة الحركة الإرادية ففيه نظر أيضا. وما يحتج به جالينوس في إثبات وجود الحس والحركة عن الأعصاب من أنّ بارتفاع العصب يرتفع الحس والحركة فموضع غير برهاني، وقد قيل ذلك في كتب[5] المنطق[*] لكن يظهر بالجملة أن منفعتها من جنس منفعة الدماغ. ومن هنا يظهر كل الظهور أنها نابتة منه[6] لا من كونها مغروزة في الدماغ كما يقوله جالينوس.

[٤٢] وأما الرباط والوتر فمنفعتهما[7] في الحركة الإرادية ظاهرة للحس، متى كشطنا الجلد عن مفصل حيوان وجعلناه يتحرك.

[٤٣] وأما الأغشية فاحتيج إليها لمكان السترة والوقاية، ولتحمل أيضا الأعضاء التي هي متعلقة بها[8] وتربطها؛ وإن كانت هذه المنفعة أخص بالرباط. ومنفعة الصِّفاق[م] الموضوع على البطن هي من نوع هذه المنفعة، أعني أنه يمنع الأحشاء من أن تبرز كما يعتري ذلك في الفتق[م].

[٤٤] وأما العروق فهي قسمان: شرايين وهي التي تحمل الروح (الغريزي)[م] والدم الذي في القلب؛ وهذه لا شك هي من أجل حمل هذا الدم والروح. وإنما جعلت متشعبة في جميع البدن ومتفرقة فيه لتوصل إليه الشيء المبثوث فيها، إما من الروح فقط، وإما من الدم والروح معا. والقسم الثاني من العروق

(*) من الناحية المنطقية لا يلزم، ضرورة، عن غياب الحس والحركة غياب العصب. فقد يكونان راجعين إلى شيء آخر غاب مع غياب العصب.

---

(١) ب: سقط "عند" (٢) م: سقط "تجعل" (٣) ت: من (٤) غ، م، ت: لآرائهما (٥) م،ت: كتاب (٦) ب: أضيف "لكن" (٧) غ، ت: فمنفعتها (٨) غ، م، ت: سقط "بها".

وهي غير الضوارب[1] فليس يوجد بالحس فيها روح، اللهم إلا أن يؤدي إلى وجود ذلك القول -كما يزعم ذلك[2] جالينوس- في الكبد أنها معدن الروح الطبيعي، التي قلنا نحن فيها إنهم يعنون بها القوة الغاذية؛ وإنما الظاهر من أمر منفعة هذه العروق أنها جعلت لتوزيع الدم المنطبخ[3] في الكبد على سائر الأعضاء. ولذلك جعلت متشعبة كالحال في الشرايين. لكن ينبغي أن تعلم أن أرسطو يرى أن غذاء جميع أعضاء البدن[4] إنما يكون باختلاط هذين الدمين(=الآتي من القلب والآتي من الكبد)، وأن الدم الذي في الكبد والعروق غير الضوارب هو كالمادة للدم الذي ينبعث من القلب في الشرايين، وأن هذا الدم هو له كالصورة، أعني أنه المتمم له المنضج، المصير له غذاء قريبا بالفعل. وجالينوس يرى أن الدم الذي يأتي من الكبد في الأوراد إلى الأعضاء هو الغذاء القريب. وحجة الحكيم أن الذي للدم بما هو دم هو أن يكون غذاء للأعضاء. ولما كان هذان النوعان من الدم يظهر من أمرهما أنهما يجريان إلى كل عضو وجب أن يكون كل عضو يغتذي منهما[5]. ولما كان أحدهما نيئا والآخر نضجا وجب أن يكون النضج [6] يجري من النيئ مجرى المفيد للصورة والتمام. وهذا أمر قد تبين على التمام في كتاب الحيوان(لأرسطو). وجالينوس يظهر من أمره أنه يعترف أن الأعضاء تغتذي بدم الشرايين، ولذلك يأمر بقطع الشرايين في أمراض[7] الشقائق (ج. شقيقة: وجع نصف الرأس) والصداع الدائم[8].

[٤٥] وأما المخ فهو صنفان: أحدهما الموجود في القحف وهذا لا شك هو[9] هيولى الروح[10] الذي في الدماغ، الذي به تكون الحواس. وأما المخ الذي في العظام فإنه فضلة غذائها. والعظام المصمتة ليس لها مخ[11]، إذ ليس لها تجويف. واسم المخ بالجملة واقع عليهما باشتراك الاسم، وإنما سميناه بذلك لمكان عادة الجمهور. فإن المخ الذي في العظام فضلة (=كمخاط الأنف)، وهذا (=مخ الدماغ) جوهر رئيس. وأما النخاع فطباعه من طباع الدماغ، ومنفعته تلك المنفعة بعينها. وسيأتي تفصيل هذا عند ذكرنا[12] منافع الأعضاء الآلية.

[٤٦] وأما اللحم فهو أصناف على ما تبين. وأرسطو يرى في جميعها أنها آلة حس اللمس الخاصة[13]، التي تتنزل[14] منه منزلة العين من الإبصار. ويستشهد على ذلك من أن الحس البسيط إنما يُلفى لجسم بسيط. وأن العصب خادم للحم[15] في هذا

---

(١) غ، ت: الغير ضوارب؛ م: الغير الضوارب (٢) غ، م، ت: سقط "ذلك" (٣) ت: النضيج، وكتب وفقها "المنطبخ" وفوق هذه علامة خـ (٤) ب: الأعضاء (٥) م: تقرأ "منها" (٦) م: كتب "نضيجا...النضيج" (٧) غ، م: أمر (٨) غ، ت: سقط "لكن ينبغي أن تعلم...والصداع الدائم"؛ ت: يضع إشارة إلى الهامش في موضع هذا السقط، لكن من دون أن يثبته (٩) ت: وهو لا شك؛ غ: وهو لا شك هو (١٠) غ: "هيولى الصورة للروح" ووضع على "الصورة" علامة تصحيح (صـ) (١١) م: "عظام" وشطب على الكلمة وصحح في الهامش "مخ" (١٢) م، ت: سقط "ذكرنا" (١٣) م،غ،ب: الخاصية (١٤) غ، م: تنزل (١٥) ت: اللحم.

الإدراك على جهة تعديل الروح المنبث[١] إليه من القلب. وهذه كلها مفاحص طبيعية، فينبغي أن يتسلمها الطبيب(=من العلم الطبيعي). و[٢] لكن لنعمل(# لنعوِّل) هاهنا على أن الحس والحركة أحد ما به يتقوم هو الدماغ والأعصاب. وأما الجنس من اللحم الذي يسميه جالينوس العضل، فهو عضو آلي، وهو عنده آلة الحركة المكانية، وفيه المتحرك[٣] الأول إذ كان هو المتحرك من تلقائه، وليس يتحرك بأن جسما آخر يحركه؛ لأنه لو كان ذلك كذلك لأدى ذلك إلى جسم يتحرك عن جسم آخر، والآخر عن آخر[٤] إلى غير نهاية! لأن[٥] كل جسم لا يحرك إلا بأن يتحرك (# لا يتحرك إلا بأن يحرك). وهذا كله قد تبين في العلم الطبيعي[٦]، وسنتكلم فيه عند الكلام في الأعضاء الآلية. وأما اللحم الذي في الأربيتين وتحت الإباط فهو مع هذا لموضع[٧] دفع الفضول، وكذلك لا يبعد أن يكون كثير من اللحم لمكان الأملان والوقاية. وبالجملة فهو العضو البسيط المشترك لجميع الحيوان كما أن القلب هو العضو الآلي المشترك لجميع الحيوان أيضا.

[٤٧] وأما الدم فالأمر فيه بيِّن أنه إنما وضع لأحد شيئين[٨]، إما لمكان الغذاء كالدم الذي في الكبد والعروق التي يظن[٩] أنها نابتة منه، وإما لأن يكون مطية للروح[١٠] الغريزي الذي في القلب، وهذا هو دم الشرايين.

[٤٨] وأما البلغم فإنه دم غير منهضم، ولذلك هو فضلة الدم، أعني فضلة مقصرة عن أن يكون منها دم، لا فضلة تمييزُها[١١] شرطٌ في كون الدم كالصفراء والسوداء. وإذا كان ذلك كذلك[١٢] فإما أن يكون وجوده في البدن من أجل الضرورة، ومعنى ذلك أن الغذاء إذا استحال لم يمكن فيه ذلك إلا أن يتولد منه فضول بلغمية، أو يكون مع ذلك أيضا فيه منافع، وذلك لأنه[١٣] ينـدِّي الأعضاء ويرطِّبها وكأنه غذاء معد لها عندما يتأخر عنها الغذاء[١٤].

[٤٩] وأما المرة الصفراء والسوداء فإن وجودهما أولا وبالذات[١٥] إنما هو من أجل الضرورة، وذلك لأن الغذاء الكِيلوسي[*] الذي يصير من المعدة إلى الكبد، ما كان يمكن فيه[١٦] أن ينهضم، حتى يعود دما، دون أن تتميز منه[١٧] هاتان الفضلتان، كالحال في عصير[١٨] العنب الذي لا يمكن أن يكون منه شراب دون أن تتميز منه

---

(١) ب: المنبعث (٢) م، ت: سقط "و" (٣) م: وفيه هو المحرك؛ ت: "وهو المحرك" عوض "وهو عنده...وفيه المتحرك" (٤) م، ت: "متحرك من ذاته (ت: لتقائه) وإلا مر الأمر" عوض "يتحرك عن...عن آخر" (٥) ت: لكن (٦) غ: سقط "وفيه المتحرك...في العلم الطبيعي"؛ (جاءت عبارة ت "المحرك الأول إذ...الطبيعي وسنتكلم فيه" في الهامش؛ ووضعت الإشارة بين "وهو" و "عنده" وبقيت عبارة "عنده آلة الحركة المكانية" من دون تشطيب، رغم أنه بحسب الترتيب تسقط) (٧) ت: الموضع (٨) م: سببين (٩) ت: أضيف "بها" (١٠) ت: وإما أن...الروح (١١) م: تقرأ "يميزها" (١٢) غ: سقط "أعني فضلة...وإذا كان ذلك كذلك" (١٣) م: أنه (١٤) م: سقط "عنها الغذاء" (١٥) م، ت: سقط "و" (١٦) م: فيه يمكن؛ ت: فيه لا يمكن (١٧) ب: فيه (١٨) غ: عصر.

فضلتان : إحداهما غليظة أرضية والأخرى رقيقة. ولذلك أعدت لهما أعضاء خاصة بهما، ولم تُعَدَّ للبلغم: أعني من جهة أنه ليس في هاتين الفضلتين استعداد لأن يكون منهما[1] جزء عضو كالحال في البلغم. وقد يظهر مع هذا أن الطبيعة قد استعملتها[2] آلات خادمة للقوة الغاذية من جهة الأفضل. وذلك أنه يظهر بالتشريح[3] أن للمرارة التي هي كيس المرة الصفراء مجرى يتشعب فيتصل بالأمعاء العليا وبأسفل المعدة، وفي بعض الناس متصل[4] بالمعدة، فيفعل في المعدة مثل ما يفعل في المعي. وذلك أن المرارة ترسل[5] في هذا المجرى إلى المعي من المرة الصفراء ما يهيجها به[6] على دفع الأثقال[م] [7] ويكون كالجلاء لها. وكذلك أيضا الطحال له سبيل يتصل بفم المعدة، فيرسل إلى المعدة[8] من المرة السوداء ما فيه حمضةٌ مَا لتقوّي[9] شهوة فم[10] المعدة إلى الغذاء، إذ كان هذا فعل الأشياء الحامضة فيها[11].

[٥٠] وأما الشحم فمنفعته في الأجسام[12] الحيوانية التسخين، كالحال في منفعة الثُّرب[م]. والشحم هو فضلة الدم المنطبخ الذي تتغذى الأعضاء به. ولذلك متى وجد في الحيوان باعتدال دل على صحته، إذ كان يدل على فضل قوة في التغذي[13] وحسن حال. وإذا لم يوجد في الحيوان باعتدال[14] دل على أنه ليس هناك جودة طبخ، إذ ليس ثم فضلة تدل على جودة الطبخ[15]، وهي الفضلة الحارة الرطبة[16]، بل ما يرد من الغذاء على[17] أبدان أمثال هذه الحيوانات[18] مقصِّرٌ عما تحتاج إليه أعضاؤها. وأما[19] متى أفرط في الحيوان[20] فإنه يدل منه على سوء حال. وذلك أن أكثر هيولى الغذاء حينئذ، الذي هو[21] الدم، ينصرف إليه فتبرد أعضاء الحيوان فيهلك، لأن هذه الفضلة ليس فيها حس، فتبطل الأعضاء الحساسة[22] إذا كثرت[23].

[٥١] وأما الشعر فمنفعته في الرأس والحواجب للوقاية[24]، وذلك من أمره بيِّن. أما للرأس فمن الحر والبرد. وأما شعر الحواجب فلوقاية[25] العين مما يمكن أن ينزل من الرأس من المائعات التي تصب[26] عليه. وكذلك شعر الأجفان بيِّن من أمره أنه لمكان الوقاية. وأما شعر الإباط[27] والسرة وكثير من الشعر الخارج[28] على ظاهر البدن فالأظهر

---

(١) غ، م: لها...بها...منها (٢) ب: استعملتهما (٣) ب: من التشريح (٤) ب، ت: يتصل (٥) غ: "فترسل" عوض "وفي بعض الناس...المرارة ترسل" (٦) غ، ت: بها (٧) ت: يظهر "الأثقال" (ب: حرف الفاء منقوط من تحت ومن فوق) (٨) م: للمعدة (٩) م: ليتقوى (١٠) ت: سقط "فم" (١١) م: سقط "فيها" (١٢) ت: كتب "الأبدان" وعليها تشطيب، وصحح في الهامش "الأجسام" (وفوقها خ) (١٣) ت: التغذية (١٤) غ، ت: سقط "باعتدال" (١٥) ب: الطبيخ (١٦) غ: سقط "تدل على...الحارة الرطبة" (١٧) غ، ت: سقط "على" (١٨) م: أضيف "التي ليس فيها شحم" (١٩) م: وإنما (٢٠) ت: أضيف "هذه الفضلة" (كتب فوق السطر) (٢١) م: "وهو" عوض "الذي هو"، (كتب "و" اللاصقة بـ "هو" تحت السطر) (٢٢) ت: الحاسة (٢٣) غ: سقط "لأن هذه الفضلة...إذا كثرت"؛ ب: يظهر "إذ اكثرت"؛ م: كلمة "حس" لا تقرأ بوضوح (٢٤) غ: والحواجب (م: والحاجب) الوقاية (٢٥) غ: الحاجبين فلوقايته؛ ت: الحاجب... (٢٦) م، ت: تنصب (٢٧) م: أضيف "والعانة" (٢٨) م، ت: أضيف "الذي".

فيه أنه لمكان ضرورة الهيولى. وذلك أنه إنما يتولد في البدن من البخار الدخاني المحترق كما يقول جالينوس؛ وفي قوله نظر. وذلك أن الشعر[١] يظهر أنه جسم متمدد يابس، ومثل هذا هو فضلة للغذاء[٢] اليابس، إذا أفرط طبخه مع شدة مخالطة الدهنية[٣]. فليس هو بخارا متراكما بل جسما متصلا شديد[٤] الاتحاد نام[٥] في الطول. والذي يمكن[٦] أن يقال: إن الطباع[٧] تصرف هذا البخار مادةً للشعر، حتى يكون الشعر شأنه أن يجتذب تلك المادة الرديئة[٨] من الجسم لينقي بذلك الجسم، على ما نرى كثيرا من الفلاحين يعمدون إلى الأرض التي يريدون أن يصلحوها فيزرعون فيها من النبات ما شأنه أن يجتذب الجزء الأرضي المحترق الذي فيها. وعلى هذا الوجه فقد يكون له منفعة ما.

[٥٢] وأما الجلد فالظاهر أنه لمكان الوقاية والسترة، وهو من خارج بمنزلة الأغشية من داخل.

[٥٣] وأما الأرواح فإما أن تكون الآلة القريبة للقوة الأولى[٩] المدبرة لجسم الحيوان[١٠]، المستعملة للقوى الأربع أو الخمس، أعني الهاضمة والماسكة والدافعة والجاذبة والمميزة[١١]. وإما أن تكون هي المدبرة أنفسُها[١٢]. لكن الأولى أن نضع أنها الآلة القريبة والهيولى الخاصة، وأن[١٣] القوى[١٤] المدبرة العامة في بدن الحيوان هي نفس[١٥]. ولذلك كان عدمها في الجسم موتا ضرورة.

[٥٤] وإذ قد قلنا في منافع الأعضاء البسيطة فقد ينبغي أن نقول في منافع[١٦] الأعضاء الآلية وفي منفعة جزء جزء، ونتحرى من جميع[١٧] ذلك الأشهر وما يظن أنه ضروري في هذه الصناعة. ولنبدأ من القول في الأعضاء التي هي آلات القوة[١٨] الغاذية فإن هذه هي القوة الضرورية أولا في وجودنا ولذلك نرى أن إخلال فعلها موت، فنقول:

[-١١] القول في منافع أعضاء الغذاء

[٥٥] إنه يظهر بالحس أن الأعضاء المعَدَّة في البدن نحو فعل هذه القوة هي المعدة وما يخدمها من الفم وآلاته والمريء ثم المعي[١٩] والكبد والعروق والكلى والطحال والمرارة والمثانة.

---

(١) ت: سقط "أن الشعر" (٢) ب: الغذاء (٣) ب، ت: الدسومة؛ ب، م: أضيف "له"(٤) م: هو جسم شديد؛ ت: جسم متصل شديد في (٥) ب،: تامه (٦) غ: سقط "كما يقول جالينوس...في الطول والذي يمكن" (٧) ب: الطبائع (٨) في جميع النسخ "الردية" (٩) غ، م: للقوى الأول (غ: سقط "الأولى") (ت: يبدو أن الناسخ كتب في أول الأمر "القوى" ثم صححها بوضع "ة" فوق "ى") (١٠) ت: للجسم الحيواني (١١) م، ت: أضيف "أولا"؛ غ: سقط "المستعملة للقوى...والمميزة" (١٢) ت: شطب على "أ" (١٣) ب: فإن (١٤) ت: القوة (١٥) غ: سقط "وأن القوى...هي نفس"؛ ب: في بدن الإنسان...؛ ت: في الحيوان نفس (١٦) م: سقط "منافع" (١٧) ب: سقط "جميع" (١٨) م، ب: للقوة (١٩) ت: الأمعاء.

[٥٦] أما الفم فمنفعته الأولى في الغذاء سحق الطعام. ولذلك جعلت فيه الأسنان، وقدرت بهيئة موافقة لذلك: فجعلت الأسنان للقطع، والأنياب للكسر، والطواحن للطحن. وفي الفم مع هذا إنضاج ما.

[٥٧] وأما المريء فإنه المجرى الذي ينفذ فيه الطعام من الفم إلى المعدة، وفعله هذا إنما يكون بقوتين من رواضع القوة الغاذية، وهي الجاذبة والدافعة، لأنه يحتاج إلى[١] أن يجذب الطعام من الفم ويدفعه إلى المعدة؛ ولذلك من تعطل منه هذا الفعل مات جوعا. والآلة التي تصرفها الطباع في هذين الفعلين ينبغي أن تكون مختلفة. و[٢] لما كان قد ظهر بالتشريح أن المريء مؤلف من طبقتين، إحداهما لِيفُها ذاهب بالعرض والآخر بالطول، فمن البين أن بالطبقة الذاهب ليفها طولا، عندما تتقلص وتقصر وترتفع إلى الحنجرة نحو الفم، يكون الجذب. وبالطبقة الذاهب ليفها[٣] عرضا يكون الدفع عندما تنقبض وتعصر على الطعام، كما يقبض الكف على الأشياء الرطبة فيدفعها[٤].

[٥٨] وأما المعدة فأمرها بَيِّنٌ أنها لمكان (=من أجل) هضم الطعام السائر إليها من الفم حتى يصير كيلوسا، فإنه ليس في قوتها أن تصيِّره دما. وذلك ظاهر من أمرها. ويخدمها في هذا الفعل من القوى الجزئية: الجاذبةُ والماسكة والدافعة والهاضمة. أما الهضم فإنه يكون فيها بالطبقة الخارجة اللحمية، وبما يصل إليها من الشرايين والعروق و[٥] أيضا؛ فهي موضوعة من الكبد بهيئة يسخنها بها الكبد، إذ كانت محتوية على الجانب الأيمن منها. وكذلك وضعها من الطحال إذ كان في الجانب الأيسر منها. وأيضا فإن من فوقها الثرب. وأما جذبها الطعام من المريء فيكون بالطبقة الذاهب ليفها طولا، ويعينها في هذا الفعل ما فيها من الليف المورب (=الملتوي). وأما إمساكها ودفعها فيكون بالطبقة الذاهب ليفها عرضا: وذلك أنه إذا ورد عليها الغذاء احتوت عليه من جميع جوانبها إلى أن يكمل هضمه؛ وذلك من فعلها بين بنفسه. فإذا كمل هضمه انقبضت عليه أجزاؤها الفوقية[٦] فعصرته إلى أسفل ودفعته بهذا الليف الذاهب عرضا، ويكون لها هذان الفعلان أعني الدفع: إما[٧] إلى أسفل وذلك عند هضم الطعام، وإما إلى فوق عند القيء. وأما فعل القوة المميزة فليس يظهر كل الظهور في المعدة، إلا أن نضع أنها تتغذى بالكيلوس المنطبخ فيها. وهذا قد يعضده القياس(=المنطقي)، فإنا إن لم نضعها متغذية به[٨]، فلأي سبب[٩] تتشوقه وتنضم عليه، ويكف الجوع عند الأكل؟ وإن كان قد يشكك في هذا وذلك[١٠] أن الأعضاء إنما تتغذى بالكيلوس بعد أن يصير دما، وهو بعد لم يصر

---

(١) غ: سقط "إلى" (٢) ت: أضيف "لذلك" (٣) غ، ت: الذاهبة، وسقط ليفها (٤) م: فتدفعها؛ ب: ...تنعصر...تقبض...فتدفعها (٥) غ: سقط "و" (٦) م، ب، ت: الفوقانية (٧) غ: "بها" عوض "إما" (٨) غ، ب، ت: سقط "به" (م: ثبت فوق السطر) (٩) ب: كتب في الهامش "شيء" وعليها علامة ما (١٠) غ، م، ت: سقط "ذلك".

في المعدة دما. لكن عسى أن يقال في ذلك إنها تتغذى منه باليسير، وما تصيب من الطعام هو[١] أشبه بالكيفية منه بالكمية. والدليل على ذلك سكون الجوع عند تناول[٢] الطعام كسكون العطش عند شرب الماء[٣]. وأيضا فإنه غير ممتنع أن تكون فيها[٤] أجزاء تتغذى منه برطوبة ما، وإن كانت غير دموية؛ فإن كثيرا من الحيوان غير ذي دم. والهضم يكون فيها أولا بالحرارة والرطوبة، ويكون ثانيا بالاحتواء على الطعام وشدة الالتزاق به. ولذلك كلما كانت المعدة أعظم جرما في الحيوان وأصلب كانت أقوى هضما؛ وذلك مشاهد من قوانص الطير[٥]. ولذلك كان يرى قوم من قدماء الأطباء أن الهضم يكون بالسحق. ولذلك يظن أن قوانص الطير نافعة له مثل قوانص الدجاج والكراكي[٦]، لأن هذا العضو من هذا الحيوان[٧] جعل قويا صلبا، إذ ليس له أضراس[٨].

[٥٩] وأما المعي[٩] فأمرها بَيِّنٌ أنها أيضا آلة من آلات الغذاء: وذلك أنها إنما أعدت أولا لينفذ فيها[١٠] الغذاء المنهضم من المعدة إليها في[١١] الثقب الذي يسمى[١٢] البواب. فإن المعدة إذا أكملت[١٣] هضمها فتحت هذا الموضع وأرسلت الغذاء إلى المعي، فتجتذب[١٤] الكبد منها عصارة ذلك الكيلوس في العروق المتصلة بها. فإذا تم فعلها دفعت الأمعاء[١٥] تلك الفضلة[١٦] إلى أسفل، وهي الفضلة اليابسة. فإذن منفعة المعي[١٧] منفعتان: الأولى أنها طريق يسير فيها الغذاء إلى الكبد، والثانية لدفع[١٨] الفضلة اليابسة[١٩]. وأظهر ما فيها من القوى: القوة الدافعة. ولذلك كان ليف طبقتيها[٢٠] ذاهبا عرضا. وأما القوة الجاذبة فليس لها فيها أثر، ولذلك لم يكن لها ليف ذاهب طولا. وفيها قوة هاضمة إذ كان جوهرها قريبا من جوهر المعدة. وإنما كانت ذات تلافيف كثيرة ليقف هنالك الغذاء حتى تأخذ منه[٢١] الكبد حاجتها. ولذلك يقول أرسطو: إن ما كان من الحيوان قليلُ تلافيفِ الأمعاء فهو نهم. وجعلت ذات طبقتين للوثاقة إذ كانت سبيلا للفضول. وأيضا فإن فعل القوة[٢٢] الدافعة يكون بذلك أقوى.

[١٢- لمن الرئاسة على القوة الغاذية؟ للكبد أم للقلب؟]

[٦٠] وأما الكبد فأمرها بيِّن بالتشريح [٢٣] أنها التي تغير الغذاء حتى يصير[٢٤] دما، ثم تبعثه إلى جميع أعضاء البدن. ولرئاستها على جميع آلات الغذاء ظن بها

(١) ب: وهو (٢) ب: عندما يتناول (٣) غ: سقط "والدليل على...شرب الماء" (٤) ت: فيه (٥) م: الطيور(٦) م: قوانص الطيور نافعة للمعدة...؛ ت: قوانص الدجاج نافعة للمعدة وكذلك قوانص الكراكي (٧) م: سقط "الحيوان" (٨) غ: سقط "والهضم يكون فيها...ليس له أضراس" (٩) ب، ت: الأمعاء (١٠) غ، م، ت: منها (١١) م: ثبت "من" فوق "في" وسقط "من المعدة" (عبارة م "الغذاء المنهضم إليها من الثقب") (١٢) ت: "المسمى" عوض "الذي يسمى" (١٣) م: "إذ اكملت" أو "إذا كملت"(١٤) م، ب، ت: الأمعاء(ت: المعى) فتجذب (ب: فيجذب) (١٥) م: المعى (١٦) ت: أضيف "اليابسة" (١٧) ب: الأمعاء (١٨) غ: يدفع (١٩) م: سقط "فإذن منفعة...اليابسة" (٢٠) ت: طبقتها (٢١) غ: منها (٢٢) غ، م، ت: سقط "القوة" (٢٣) غ: أضيف "في"(٢٤) م، ت: تصيره.

جالينوس أنها الرئيسية[١] في هذه القوة بإطلاق، أعني القوة الغاذية؛ ولم يشعر أن الغذاء الأخير هو بالقلب[٢]، وأن فيه القوة[٣] الغاذية الأولى[٤]. وهو ظاهر من أمر هذا العضو أن فيه الخمس قوى: الهاضمة لفعلِه الدمَ[٥]، والماسكة زمان الهضم، والجاذبة إليه الكيلوس من المعي، والدافعة عنه ما قد انهضم، والمميزةُ الثلاثِ فضلاتٍ: أعني الفضلة المائية التي تجذبها الكلى، والفضلة المرارية[٦] التي تجذبها المرارة، والفضلة السوداوية التي[٧] يجذبها[٨] الطحال.

– وينبغي أن تعلم أن هذه الأربع قوى[٩]، أو الخمس، التي يضعها الأطباء أنها ليست مفترقة بعضها من بعض، بمنزلة الصناع الذين يجتمعون على مصنوع واحد؛ بل هي قوى كالآلات[١٠] لقوة واحدة، وهي منه في عضو واحد. و[١١]هي مدبرة الغذاء و[١٢]صانعته بالقوى الأربع في عضو عضو، وهي في جميع البدن لقوة واحدة[١٣] هي منه في عضو واحد وهي الغاذية الرئيسية[١٤]. فأما هل القوة الغاذية الرئيسية[١٥] هي في هذا العضو حتى يكون هو رئيس أعضاء هذه القوة، أم هاهنا عضو آخر يرأسه في هذا الفعل، فذلك يظهر مما[١٦] تبين في العلم الطبيعي، ومما[١٧] ظهر في التشريح.

– أما ما تبين من ذلك في العلم الطبيعي فهو أن هذه القوة إنما تفعل جزء عضو من المغتذي[١٨]. ولما كانت الأعضاء مركبة من الأسطقسات، والمركب من الأسطقسات إنما يتكون عنها[١٩] بالمزج، والمزج[٢٠] يكون بالطبخ، والطبخ بالحرارة الغريزية[٢١]، وجب ضرورة أن تكون هذه القوةُ آلتُها هذه الآلة، أعني: الحرارة؛ لأنه لا فرق بين ما يحتاج إليه في تكوين الجزء أو[٢٢] تكوين الكل. وإذا كان ذلك كذلك فالكبد وسائر آلات التغذي[٢٣]، هذه الحرارةُ ضرورةً موجودةٌ فيها.

– لكن إن كان الأمر، كما يقول جالينوس، أن سائر الأعضاء التي فيها هذه القوة إنما استفادت الحرارة التي بها تفعل فعلها من حرارة الكبد، فمن البين أن الكبد رئيس هذه الأعضاء. وذلك أن غيرها من الأعضاء[٢٤] إنما يتم لها هذا الفعل بالكبد، وللكبد[٢٥] بذاتها. وما هذا شأنه فهو لا شك رئيس. وهذا بعينه هو معنى الرئاسة في الأمور

---

(١) ت: الرئيسة (٢) ت، ب، غ: في القلب (٣) م: سقط "القوة" (٤) غ: سقط "ولم يشعر...الغاذية الأولى" (٥) غ، م: بفعله للدم (٦) ب، ت: المرية (٧) م: سقط "التي" (٨) غ: كلمة مشطب عليها، وصحح في الهامش "يجذبها" (٩) ب: القوى (١٠) ت: كآلات (١١) م، ت: سقط "وهي منه في عضو واحد و"؛ ب: ثبتت العبارة في الهامش (١٢) م: أو (١٣) م: أضيف "غريزية" (١٤) غ: سقط "وينبغي أن...الغاذية الرئيسية"؛ ت: أضيف "فليتأمل هذا"؛ ب: "الرئيسة" وأضيف "فلْتُتَأمَّل"(١٥) م: سقط "فأما هل القوة الغاذية الرئيسية" أو هو العبارة التي سقطت؛ ب: الرئيسة (١٦) ت: أضيف "قد" (١٧) ت: ما (١٨) ب: المتغذي (١٩) غ: عنه؛ م: عليها (٢٠) م: بالمزاج والمزاج (٢١) غ، م، ت: سقط "الغريزية" (٢٢) غ: و (٢٣) ب: "الغذاء" وصحح في الهامش "التغذي" (٢٤) م: سقط "التي فيها هذه القوة...غيرها من الأعضاء"، وسقط "يتم" التي بعد "إنما" في أول العبارة الموالية، (٢٥) غ، م، ت: والكبد.

الإرادية، فإنه لا فرق بينهما[١]. ولذلك قلنا في مدبر الفلاحين إنه[٢] رئيس الفلاحين: إذ كانت فلاحة أولئك إنما تتم بتدبيره وفلاحته هو بذاته. وكذلك في صنف صنف من أصناف الرئاسات.

– فليت شعري هل يمكن جالينوس أو[٣] غيره ممن يرى هذا الرأي أن يضع الكبد[٤] مكتفية بنفسها في هذا الفعل، مع أنه يُقِرُّ أنه[٥] يصل إليها من القلب شرايين كثيرة تحمل إليها حرارة كثيرة؟! فإن كانت الكبد مكتفية بنفسها في هذا الفعل فتلك الحرارة عبث لا معنى لها! فإن قالوا إن هذه الحرارة إنما تفيد الكبد[٦] قوة حيوانية، قلنا ما معنى القوة الحيوانية؟ وهل في الأعضاء شيء غير قوة تَغَذٍّ[٧] أو قوة حس؟ وليس ينطبق اسم الحيوانية على شيء غير هذين؟ وإن كان اسم الحيوانية أحق[٨] بالحس، فإن الذي أوقفَنا على كثرة هذه القوى هو كثرة أفعالها. وليس هاهنا فعل غير هذين الفعلين، أعني: التغذي أو الحس. فإن قالوا: إن القوة النبضية التي في القلب قوة ثالثة، وهي التي نعني بالحيوانية. قلنا: وإن سلمنا لكم هذا فليس يفيد القلب الكبد قوة نبضية؛ فإن الكبد لا تنبض عروقها. ومن هنا يظهر أن القوة النبضية خاصة بالقلب، وأن بهذه القوة هو رئيس إذ كان بها يوزع القوى على سائر الأعضاء بتوزيعه الحرارة الغريزية عليها[٩]، مع أن فيها أيضا حفظا له بالتنفس.

– وإذا كانت هذه القوة ،أعني: النبضية هي التي بها يفيد القلب غيره أولا الآلة الأولى للتغذي[١٠]، فهي ضرورة منسوبة إلى هذه القوة، أعني إلى قوة التغذي من جهة ما هي غاذية قلبية، إذ كانت هي الآلة التي تستعملها هذه القوة في إفادة التغذي. ولو كانت قوةً أخرى غير القوة الغاذية، لأفادها القلبُ غيرَها[١١] من الأعضاء، فإنه من المستحيل أن تكون في عضو قوة مباينة بالنوع لسائر القوى الموجودة في سائر الأعضاء، لا توجد في عضو آخر غيره، مع أن يكون أيضا ذلك العضو رئيسا. وجالينوس ليس يقول بذلك، ولا أحد من الأطباء.

– وإذا كان هذا كله كما وصفنا، وظهر أن نسبة القلب إلى الكبد في إفادتها الآلة الأولى للتغذي[١٢] هي النسبة التي يضعها جالينوس بين الكبد وبين سائر أعضاء التغذي، فالقلب ضرورة هو رئيس الكبد في هذه القوة: إذ كانت الكبد ليس فيها كفاية بأن تفعل فعلها بذاتها، بل بالحرارة المقدرة في الكيفية والكمية التي تصل إليها من القلب. وهذه

---

(١) م: بينها(٢) غ: سقط "إنه" (٣) م: و (٤) ب: يرى معه هذا الرأي أن يضع أن الكبد (٥) م: أن (٦) غ: سقط "الكبد" (٧) م: تغذو (٨) غ: أخص؛ ت: كتب في الهامش "أخص بالاسم" وفوقها علامة (خـ) (٩) غ: سقطت العبارة "بتوزيعه...عليها" (١٠) غ، م، ت: أولا التغذي (١١) م، ب، غ: غيره (١٢) غ: سقط "في إفادتها...للتغذي".

القوة المقدرة التي[١] في القلب هي ضرورة القوة الرئيسية[٢] الغاذية: فإنه لم يزعم قط أحد من المشرِّحين، وجالينوس في جملتهم، أن القلب تصل إليه حرارة من غيره من الأعضاء، بل هو مكتف[٣] في فعلهبذاته، على ما شأن الرئيس أن يكون. وكونه محتاجا إلى الكبد، في إعداد الغذاء له، لا يستحق بذلك الكبد رئاسة عليه؛ كما لا تستحق المعدة بإعدادها الغذاء للكبد رئاسة عليه، ولا الفلاح بإعداد الطعام لرئيس الفلاحين يستحق بذلك[٤] رئاسة عليه. وإذ قد تبين أن القوة الغاذية الرئيسية في القلب، وكان يظهر بالتشريح أنه ولا عضو واحد في البدن إلا وتتصل به شرايين القلب[٥]، فالقلب إذن يفيد سائر الأعضاء قوة التغذي لا الكبد، وإلا كانت تلك الشرايين عبثا؛ مع أن الكبد ليس يظهر فيها بالتشريح روح ينفذ منها في الأوراد إلى سائر البدن، بل ما في الأوراد من الدم هو دم غير نضج، وإنما مطية الروح الدم الشرايينى[٦].

– وعسى أن يقول قائل: إن هذا الفحص كله مما لا يحتاج الطبيب إليه! وأنا أقول: إن حاجة الطبيب إلى هذا أمس حاجة، وسنبين هذا فيما بعد. وما تسمع جالينوس يهزأ فيه بأركغانس[٧] عند معالجته القوة الذاكرة ويقول له: "يا هذا إن كنت تزعم أن القوة الذاكرة في القلب فما بالك[٨] لم تعلق المحاجم على القلب وتقصده بالمعالجة؟" فليس الأمر على ما يقوله جالينوس، وسنبين هذا فيما بعد. فالقلب لما كان رئيس هذه الأعضاء جُعل مكانُه المكانَ الأوسط، لأن هذا حق الرئيس: إذ كان يراد أن تكون نسبته إلى جميع ما[٩] يدبره بالسواء، وأيضا فلمكان الوقاية. ولذلك جُعل له غشاء كثيف يحيط به ووثق برباطه[١٠]. وأما جهة تغذيته[١١] فإنه يتغذى من العرق الواصل بينه وبين الكبد؛ والأغشية التي على هذه الفوهة من القلب إنما جعلت تنفتح إلى داخل لمكان دخول الدم إليه، ثم تنسد بعدُ انسدادا محكما. وأما الفوهة التي في هذا الجانب، وهي فوهة العرْق الذي يتصل من هذا التجويف بالرئة، فإنه يظن أن من هذا[١٢] العرق تتغذى الرئة إذ كانت[١٣] ليس يتصل بها أوراد. والأغشية التي على هذه الفوهة إنما جعلت أيضا تنفتح إلى خارج، ولا تنفتح إلى داخل بخلاف الأغشية التي على الفوهة الأخرى، لمكان خروج الدم منها إلى الرئة. وأما إحدى الفوهتين اللتين في البطن[١٤]

---

(١) م: سقط "التي" (٢) ب: الرئيسة (٣) م: كاف (٤) ب، ت: سقط "بذلك" (٥) غ، م، ت: سقط "القلب" (٦) ب: الشرياني (٧) م، ت: أركيغانس (٨) غ: "فما لك" وهناك إشارة إلى الهامش بعد "فما"، لكنه غير مقروء (٩) غ، م، ت: من (١٠) غ، م، ت: رباطه (١١) غ: تغذية؛ ب، ت: تغذيه (١٢) غ، ت: بهذا (١٣) م: سقطت العبارة "من هذا التجويف...الرئة إذ كانت" (مع أن العبارة التي تلي هذا السقط ("ليس يتصل بها أوراد") ثبتت في الهامش، في الجانب الأيسر من الوجه، عند جانب الصفحة في وسط الكتاب؛ مما قد يعني أن السقط ربما ثبت كله في الهامش لكن لم يظهر منه سوى آخره. أما بالنسبة لـ جز ولـ فورنياس فإن العبارة سقطت)؛ ت: ...كان (١٤) غ، م، ت: التي في البطين.

الأيسر، وهي فوهة الشريان العظيم، فإنه جعلت فيها[١] تلك الأغشية الثلاثة تنفتح من داخل إلى خارج، لأن يخرج منها[٢] الدم والروح إلى الشرايين ثم لا يعود. والفوهة الأخرى التي في هذا الجانب هي فوهة الشريان الذي يتصل بالرئة. ومن هذا الشريان يكون تنفسه. ولذلك جعلت تلك الأغشية في فم هذه الفوهة[٣] تنفتح من خارج إلى داخل.

[٦١] وأما الطحال، فلما كان ليس له إلا مجريان، أحدهما يتصل بالكبد والآخر بالمعدة، وكان يُلفى[٤] فيه عكر الدم، ظُن به أنه لموضع (=من أجل) جذب الفضلة السوداوية من الكبد. ويبعد[٥] أن يكون كبدا مضعَّفة، إذ كان ليس يلفى[٦] فيه عروق تتصل بشيء من الأعضاء.

[٦٢] وأما المرارة فالأمر فيها بين أنها أعدت نحو جذب الفضل المراري من الكبد.

[٦٣] والكلى أيضا من الأعضاء الخادمة للكبد: وذلك أنه يظهر من أمرها أنها تجتذب المائية التي في الدم. ولذلك كانت يتصل عنقها بالعرق العظيم الطالع من حدبة الكبد.

[٦٤] وأما المثانة فالأمر فيها أيضا بين أنها لمكان (=لأجل) الفضلة الرطبة: وذلك أنها تجذبها من الكلى. ومنفعة الغشاء الذي فيما بينها وبين الكلى أن ذلك الغشاء، الشبيه بالقشرة مادامت الفضلة الرطبة تجري إليها، ينفتح هو، فإذا تم جذبها[٧] انسد، لأن لا يرجع شيء من تلك الفضلة إلى الكلى.

[٦٥] وينبغي أن تعلم أن كل واحد من هذه الأعضاء التي أعدت لجذب هذه الفضلات من الدم أنها[٨] إنما تجذبها على جهة الملاءمة لها لتتغذى[٩] بها، فتصحب[١٠] في ذلك المنفعة المقصودة. ولذلك فيها ضرورةً الخمسُ قوى[١١] الجزئية، أعني: الجاذبة والماسكة والهاضمة والمميزة والدافعة[١٢]، والكلية التي تفعل بكل واحدة من هذه في الوقت الذي ينبغي[١٣].

[٦٦] فهذه هي[١٤] جميع آلات الغذاء[١٥]. وقد ظهر من ذلك أن الهُضوم المشتركة للأعضاء كلها هضمان: هضم في المعدة وهضم في الكبد؛ هذا إن لم نجعل للعروق في الدم[١٦] هضما آخر؛ لكن إن كان فيسير. وأما الهضم الثالث الخاص[١٧]، فهو الهضم

---

(١) غ: قيه (٢) غ، ت: فيها (٣) غ: سقط من المتن "في فم هذه الفوهة"، وهناك إشارة إلى الهامش لكنه لا يظهر (٤)غ، ت: يلقى (ج: يلفى) (٥) ت: أضيف "انه" (٦) غ: سقط من المتن "يلفى"، وهناك إشارة إلى الهامش لكنه لا يظهر؛ ت: يلقى ت: ثبت "فيها" وعليها تشطيب (٧) غ؛ م: "جريها" (٨) م: سقط "أنها" (٩) ت: للتغذي؛ م: مضببة (١٠) ت: فتصيب، وصحح في الهامش "فتصحب" (١١) غ: القوى (١٢) م: الهاضمة والماسكة والجاذبة والدافعة والمميزة (١٣) غ، ت: سقط "والكلية...ينبغي" (١٤) م: سقط "هي" (١٥) غ، م، ت: التغذي (١٦) ت: للدم في العروق (١٧) غ، م، ت: سقط "الخاص".

الذي في كل واحد من الأعضاء. وإذ قد تبين من هذا القول ما آلات أعضاء القوة الغاذية، فلنقل ما آلات القوة المولدة. فإنه ليس للقوة النامية أعضاء تختص بها بل هي بعينها أعضاء القوة الغاذية.

[١٣-] في منافع أعضاء التناسل

[٦٧] وهذه الأعضاء منها ما يختص بها الذكر وهي الأنثيان[م] والقضيب، ومنها ما تختص بها[١] الأنثى وهي[٢] الرحم والثدي. وأما الأنثيان فإنهما جعلتا لمكان تكوين المني، ولذلك جعلتا ذات لحم غددي أبيض كالحال في الثديين، فإن هذا اللحم عندما يحيل الدم ليشبهه به يصرفه[٣] إلى البياض كما أن الكبد لحمرتها عندما تحيل الكيلوس تصرفه[٤] أحمر. وذلك أن الفاعل إنما يصير المفعول شبيها به من جميع الوجوه.

[٦٨] وينبغي أن تعلم أن هذا العضو وإن كانت فيه القوة المولدة، فليست هي الرئيسة[٥] على ما يرى ذلك جالينوس؛ لأنه[٦] ليس مكتفيا في فعله بذاته بل بما[٧] يصل إليه من الروح الذي في القلب المقدر[٨] في الكيفية والكمية. ولذلك ما نرى أن القوة[٩] القلبية التي تقدر له هذه الحرارة حتى يفعل بها فعله هي القوة الرئيسة المولدة، وأن القوة التي في هذا العضو خادمة أو رئيسة[١٠] جزئية.

[٦٩] وأما الأنثيان التي (#اللتان) يزعم جالينوس أنها (#أنهما) توجد (#توجدان) للمرأة، فيشبه ألا يكون لهما تأثير في الولادة، إذ كان مني النساء المتولد فيهما لا مدخل له في الولادة. وليس ذلك بغريب: فإن الثدي في النساء لمكان الولادة، وليس لها[١١] في الرجال هذه المنفعة.

[٧٠] فأما من أين يظهر أنه ليس لمني المرأة[١٢] مدخل في الولادة فمن الحس[١٣] والقياس. أما من الحس فإن أرسطو يرى[١٤] أن المرأة قد تحمل دون أن تمني. وأما أنا فمذ سمعت كلام أرسطو لم أزل أتعمد جس[١٥] ذلك، فوجدت التجربة صحيحة، وألفيت أكثر الحمل الذي[١٦] بهذه الصفة إنما يكون بالذكورة[١٧]؛ وسألت النساء الثقات[١٨] عن ذلك فأخبرنني أيضا بذلك، أعني أنهن كثيرا ما يحملن دون أن تكون منهن لذة[١٩].

---

(١) غ، م، ت: به...به (٢) غ: ...وهو؛ م، ب، ت: المرأة... (٣) غ، ت: يصير به، (غ: صحح في الهامش "يصرفه")؛ ب: يصير إلى (٤) ب، ت: تصيره (٥) م، ب، ت: الرئيسية (٦) ب: فإنه (٧) ت: سقط "بما" (٨) ت: أضيف "الذي"، وعليها تشطيب (٩) ت: القوى (١٠) م: الرئيسية...رئيسية؛ ب، ت: ...رئيسية (١١) ب: لهما. غ، م، ت: لها...فيها...لها (١٢) ت: الرجال، وشطب عليها وصحح في الهامش "المرأة" (١٣) ت: يظهر "الجس" (١٤) ت: "قال" وصحح في الهامش "يرى" (فوق "قال" علامة مـ وفوق "يرى" خـ) (١٥) ب، غ: حس (١٦) ب: أضيف "يكون" (١٧) ب: بالذكور (١٨) غ، م: سقط "الثقات" (١٩) ت: أضيف "الجماع" (في الهامش).

وأما القول الموجب لذلك فلأن مني المرأة إن كان يفعل فعل مني الرجل فالمرأة مولدة بذاتها ولا حاجة هاهنا أصلا[١] إلى الذكر. وليس يمكن أن يتصور أن هذا الفعل ينقسم بينهما بالكمية حتى يكون مني المرأة يفعل بعض الأعضاء ومني الرجل يفعل بعضا آخر[٢]: فإن الأعضاء وإن كانت كثيرة فإنها واحدة بالمبدأ الواحد الذي فيها. ومعطي هذا المبدأ الواحد[٣]، الذي هو القلب، هو معطي جميع الأعضاء بالقوة. فإن كان في مني المرأة كفاية في إعطاء هذا المبدأ، فمني الذكر لا تأثير له في الولادة[٤]. وإن كان مني الرجل هو المعطي صورة هذا المبدأ فليس لمني المرأة هذا الفعل أصلا.

[٧١] وليس لقائل أن يقول: إن مني الرجل ومني المرأة ليس لواحد منهما هذا الفعل على الانفراد، حتى يمتزجا ويختلطا ويصير لهما كون آخر؛ كما أنه ليس في الخل مفردا ولا في[٥] العسل مفردا أن يفعل فعل السكنجبين[٦] لكن إن وضع هذا أيضا فالمازج إذن لهذين المنيين والمعطي لهما هذه الصورة هو ضرورة المكوِّن بالحقيقة، والمنيان يجريان منه[٦] مجرى الهيولى؛ وليس هاهنا شيء يفعل هذا الفعل. ويلزم أن يكون العضو الفاعل لذلك هو العضو الذي فيه القوة المولدة بالحقيقة[٧]، فتكون على هذا القوة المولدة إنما هي في الرحم. وأي حاجة، ليت شعري، كانت إلى المني والدم لأن[٨] يكون منهما مثل هذا الفعل، وفي الدم كفاية لأن تتكون منه جميع الأعضاء، إذ كان يظهر أنها تغتذي به.

[٧٢] وإذا كان ذلك كذلك، وظهر أنه ليس يمكن أن يكون فعل مني المرأة وفعل مني الرجل واحدا بالنوع، وكان يظهر أيضا أن للمرأة تأثيرا في الولادة، فمن الواجب أن يكون فعل هذا غير فعل ذلك بالضرورة[٩]، ويكونان يؤمان بفعلهما غاية واحدة، وهو وجود الولد. فكل واحد منهما يعطي للولد جزءا مما به يتقوم. وجزءا الشيء المتكون بما هو متكون على ما تبين في الأقاويل الكلية[١٠] هما المادة والصورة: فأحدهما ضرورة هو معطي المادة وهي الأنثى، والآخر هو[١١] معطي الصورة وهو الذكر[١٢].

[٧٣] وليس يمكن أن نقول إن المرأة هي التي تعطي الصورة، والذكر المادة؛ بل الأمر بالعكس، فإن الذي يعطي الغذاء هو الذي يعطي الهيولى ضرورة. فالذكر إذن هو المعطي الصورة كما يرى ذلك أرسطو. والأنثى تعطي المادة. وليس للأنثى شيء يمكن أن نظن أنه مادة إلا منيها أو دم الطمث[١٣]. لكن المني هو رطوبة مائية تشبه الفضلة، بل هي في الحقيقة فضلة، ليس يمكن أن تتغذى بها الأعضاء. ولو أمكن فيها ذلك لكان في

---

(١) غ: سقط "أصلا"؛ ت: كتب "بها" فوق "هاهنا" (٢) ت: "بعضها" عوض "بعضا آخر" (٣) غ، م، ت: سقط "الواحد" (٤) غ: الولادِ (٥) غ، م، ت: سقط "في" (٦) غ: منهما (٧) م: سقط "والمنيان...بالحقيقة" (٨) ت: لا (٩) غ، م: تلك، وسقط "بالضرورة" (١٠) غ، م: سقط "المتكون بما...الكلية" (١١) غ، م، ت، ج: سقط "هو" (١٢) غ، م: سقط "وهي الأنثى...وهو الذكر" (١٣) م: دم طمثها (غ: كتب "دم الطمث" فوق "طمثها").

الدم كفاية في ذلك: إذ[1] كان هو الذي به تتغذى الأعضاء[2]. فإنه لا فرق بين مادة الاغتذاء والتكوين إلا أن[3] الاغتذاء يكون في الجزء، والتولد[4] يكون[5] في الكل. ومادة الكل والجزء واحدة.

[٧٤] وأيضا فمما[6] يشهد على أن مني المرأة[7] ليس هو هيولى للمولود[8] أن نساء كثيرات يحملن دون أن ينزلن بالمني كما قلنا. وأيضا فإنا نجد الرحم تقذف بالمني إلى خارج وتجذب مني الرجل إلى داخل. وهذا كله مما يدل على أن[9] مني المرأة[10] رطوبة فضلية تسيل عند اللذة كما يسيل اللعاب من فم الجائع المبصر للطعام.

[٧٥] ومن الدليل عندي على أن مني الرجل يتنزل منزلة الفاعل أن الأعضاء لما كانت إنما تغتذي بالحرارة الغريزية القلبية، وكانت هذه الحرارة هي الآلة الأولى للنفس الغاذية، وجب ضرورة أن تكون هي الآلة الأولى للقوة المكونة. فلذلك ما(=زائدة) يلزم ضرورة أن يكون في مني الرجل، أو في الدم الذي في الرحم، جزء كبير من هذه الحرارة الغريزية موجودا بالفعل. وليس يمكن أن يكون هذا إلا في المني لموضع الحرارة والرطوبة الموجودة فيه. فأما الدم الذي يتولد منه الجنين وهو دم الطمث[11]، فإنه بعيد جدا عن أن يكون فيه بالفعل مثل هذا الجوهر، لأنه دم غير منهضم. وأبعد من هذا أن يكون في مني المرأة.

[٧٦] وليس لقائل أن يقول: إن الحرارة الغريزية تتولد في الجنين من ذاتها، فإنه لا يولد الحرارة الغريزية[12] إلا حرارة غريزية، كالحرارة الغريزية التي في المغتذي. وعلى هذا فليس ينبغي أن يتوهم أن المني إنما يفيد كيفية فقط، بل حرارة ذات كيفية[13].

[٧٧] ولذلك لا حجة لجالينوس ولا لأبقراط على أرسطو في الرقاصة التي أخبر أبقراط أنها أسقطت في اليوم السادس، والمني قد احتوى عليه أحد الأغشية المحيطة بالجنين. وقد حكى أرسطو أنه شاهد مثل هذا، وذلك في كتاب الحيوان[14]. ولا ينبغي أيضا أن يُطالب أرسطو، كما يفعل جالينوس، أين ينفش المني ويتحلل.

[٧٨] وأنا أعلم ضرورة أن هذا الفحص غير مهم في صناعة الطب، لأن أوْلى المواضع به هو القول في ولادة الحيوان. لكن آثرنا ذكره هاهنا لينقله من شاء إلى ذلك الموضع، فإنه بعد لم يتهيأ[15] لنا فراغ لتلخيص[16] تلك المقالات في كتاب الحيوان.

---

(١) ت: إذا (٢) غ: به تغتذي...؛ م، ج: تغتذي الأعضاء به (٣) غ، م، ت، ج: التكون لأن (٤) م، ت: التوليد (٥) ج: سقط "يكون" (٦) ت، ج: واحد (ج: واحدة)...مما (٧) م: المني (وهناك هامش غير مقروء)؛ ج: المني للمرأة (٨) ب: المولود (٩) م: سقط "أن" (١٠) ب: المني للمرأة (١١) غ، م، ت، ج: الأوراد (١٢) ج: حرارة غريزية (١٣) م: سقط "فقط..كيفية" (١٤) غ، م، ت، ج: سقط "وقد حكى...الحيوان" (١٥) ج: "ما كان في هذا الوقت تهيأ" عوض "بعد لم يتهيأ" (١٦) غ: لتلخيص؛ م: بتلخيص؛ م، ب: لتخليص.

وأما بعدُ، فقد تهيأ[1] لنا. فمن أحب أن يقف على جميع المسائل التي فيها الخلاف بين أرسطو وجالينوس فليقف على ذلك الكتاب[2] (*)، فلنرجع إلى حيث كنا، فنقول:

[٧٩] أما القضيب فمنفعته الأولى ليقذف بالمني[3] إلى داخل الرحم، وله مع هذا منفعة ثانية: وذلك أنه سبيل لخروج الفضلة الرطبة.

[٨٠] وأما الرحم فالأمر فيها بيِّن أنها لمكان الولادة. وللرحم مع هذا منفعة أخرى: وذلك أنها سبيل وطريق لفضول الدم غير النضج[4] الذي يتكون في النساء، وهو دم الطمث. وذلك أن النساء لمكان رطوبتهن وقلة الحرارة الغريزية في أبدانهن لا تفي الحرارة بإنضاج الدم الوارد على أعضائهن، فتدفعه الطبيعة بأدوار محدودة من هذا العضو؛ وجعلت (=الرحم) ذات ليف كثير ذاهب ورَابًا (=ملتويا) لما فيها من القوة الماسكة. وفيها بعض ليف ذاهب طولا لما فيها أيضا من القوة الجاذبة للمني. وأما القوة الدافعة فأمرها أيضا بيِّن فيها، ولذلك كان فيها ليف ذاهب عرضا. وأما هل في الرحم قوة مغيرة ففي ذلك نظر. وذلك أنا لسنا نقدر أن نقول إن الرحم هي التي[5] تفعل أعضاء الجنين، بل إنما تفعلها القوة المصورة بالحرارة الموجودة في المني. ولو كانت الرحم هي التي تخلق أعضاء الجنين لكانت الأنثى مولدة من ذاتها[6]. وإذا كان ذلك كذلك فالقوة المغيرة التي فيها إنما تتنزل منزلة الحافظة[7]، ولذلك متى صادف المني الهواء فسد مزاجه. فعلى هذا ينبغي أن يفهم أن في الرحم قوة مغيرة.

[٨١] وأما الثدي فالأمر فيها أيضا بيِّن أنها لمكان توليد اللبن؛ ولذلك كان لحمها غدديا أبيض. وهي[8] من الأعضاء المشاركة للرحم؛ ولذلك نجد الرحم متى انصرفت عنها المواد صارت إلى الثديين، كالحال في اللواتي يرضعن: فإن أمثال هؤلاء، إما أن يقل طمثهن، وإما أن لا يطمثن البتة، حتى أن بعض النساء لا يحملن ما دمن يرضعن. وكذلك متى انصبت المواد إلى الرحم انصرفت عن الثدي.

(*) هذا يعني أنه كتب الصيغة الأولى من كتابه هذا قبل ٥٦٥هـ، تاريخ تلخيص كتاب الحيوان. أما قوله " فإنه بعد لم يتهيأ لنا فراغ لتلخيص تلك المقالات"، فيعني أنه كان منهمكا بتلخيص كتب أخرى لأرسطو. وبما أنه قال هذا سنة ٥٥٧ هـ أو قبلها (عند كتابة الكليات) فإن شروعه في "تلخيص" كتب أرسطو لا بد أن يكون قبل ٥٥٧هـ. وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من أن شروعه في "تلخيص" كتب أرسطو بطلب من الأمير المتنور أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن بدأ بـ" الجوامع الصغار" التي كتبها سنة ٥٥٤هـ وأن لقاءه الأول مع هذا الأمير قد تم في تلك السنة أو قبلها. هذا من جهة ومن جهة أخرى واضح أن الفقرة : "وأما بعد...ذلك الكتاب"، قد أضافها ابن رشد بعد أن لخص كتاب الحيوان. وهذا يؤكد أن نسخة غرناطة، التي لم ترد فيها هذه العبارة، أقدم.

---

(١) ج: "فتهيأ" عوض "فقد تهيأ" (٢) غ، م: سقط "في كتاب...الكتاب" (٣) ب: أن يقذف المني (٤) غ، م، ت: الغير نضج (٥) غ، م، ت، ج: سقط "التي" (٦) ب، ج: بذاتها (٧) م، ت: الحافظ (٨) ج: فيه..أنه..لحمه..وهو.

فقد قلنا في منافع آلات التناسل. وينبغي أن نصير إلى القول في منافع[1] آلات الحس. فنقول:

[١٤- القول في منافع آلات القوى الحساسة]

[٨٢] أما الحواس الأربع التي هي السمع والبصر والشم والذوق فبيّن أن الدماغ إنما جعل لمكانها[2](=من أجلها)، وأنها موجودة فيه، وبخاصة السمع والبصر والشم. وكذلك أيضا بيِّن[3] أن لكل واحد منها آلة خاصة: فآلة البصر العين وآلة السمع الأذن وآلة الشم المنخر وآلة الذوق اللسان، وسنفصِّل بعدُ منفعةَ جزء جزء من أجزاء هذه الآلات. وأما آلة اللمس الخاصة[4] ففيها شكوك كثيرة.

[٨٣] وجالينوس يرى أن العصب النابت من الدماغ هو الآلة الخاصة بهذه[5] الحاسة، وأنه الذي يفيد غيره هذه القوة؛ وذلك فيما شأنه من الأعضاء أن يقبلها. وأرسطو يرى أنها اللحم، وذلك تابع لرأييهما[6] في الدماغ: فإن جالينوس يرى أن فيه الحواس الخمس، ويرى مع ذلك أنه رئيس في هذا الفعل، أعني أنه مستبد فيه بذاته غير محتاج إلى غيره. وأما أرسطو فيرى أن رئاسته رئاسة[7] جزئية خادمة في هذا الفعل لرئاسة القلب، سواء وجدت فيه الحواس الخمس أو الأربع فقط.

[١٥- لمن الرئاسة في الإحساس: للقلب أم للدماغ؟]

[٨٤] ولننظر نحن في ذلك على النحو الذي نظرنا في رئاسة الكبد، فنقول: أما أنه يظهر بالتشريح أن شرايين عظيمة كثيرة تتصل بالدماغ من القلب فذلك أمر يقرُّ به[8] جميع المشرحين وجالينوس في جملتهم؛ فمن هنا يظهر ظهورا أوليا أن الدماغ مضطر في فعله هذا إلى القلب. لكن إن كان على أن القلب إنما يفيد الدماغ بهذه الحرارة التي توصلها إليه القوة الغاذية التي بها يغتذي، فالقلب ضرورة خادم للدماغ في هذا ومرؤوس: إذ كان التغذي والقوة الغاذية إنما وجدا في الحيوان من أجل الحس والقوة الحساسة[9]. وإن كان إنما يفيده[10] بهذه الحرارة التي يوصلها[11] إليه[12] هذه الإحساسات الخمس فالقوة الحساسة[13] الرئيسية[14] الأولى فيه. وهذه القوة هي[15] التي تعرف بالحس المشترك. وقد تبرهن وجود هذه القوة في كتاب النفس (=لأرسطو). لكن جالينوس كما قلنا يرى أن هذه القوة المشتركة في الدماغ، وأرسطو يرى أنها في القلب.

---

(١) ب: معرفة، وثبت في الهامش "منافع" (من دون أي إشارة) (٢) ج: لمكانهن (٣) غ: يبين؛ ت: يظهر "نبين" (٤) غ، م، ت، ب: الخاصية (٥) ت، ج: لهذه (٦) ب، م، ت، ج: لرأيهما (٧) ج: سقط "رئاسة" (٨) ب: يعرفه (٩) م: الحساسية (١٠) م، ت: يفيد (١١) ب: توصلها (١٢) ج: سقط "إليه" (١٣) م: الحساسية (١٤) ب: الرئيسة (١٥) م: سقط "هي".

فأما من أين يظهر أن القلب هو الذي يعطي الدماغ الحرارة المقدرة في الكمية والكيفية بحسب حاسة حاسة من الحواس التي في الدماغ، فإنه ليس بأي حرارة اتفقت يكون أي حس اتفق، ولا أيضا الحرارة التي تكون بها القوة[1] الغاذية هي الحرارة التي يكون بها الحس، فذلك بين من حال النائم واليقظان: فإنا نرى أن القوة الغاذية أتم ما تكون فعلا[2] في جميع الأعضاء في وقت النوم، وليس هنالك حس. وإذا كان ذلك كذلك فالحرارة التي بها يكون الحس في وقت النوم غير موجودة في الحواس. وأبين ما يظهر ذلك في الذي ينام مفتوح العين[3]، فإنه لولا انصراف الحرارة التي بها يبصر حينئذ من العصبة المجوفة إلى داخل، لما كان يعدم البصر. فليت شعري هذه الحرارة إلى أين تنصرف؟ ومن أين تنبعث؟ فإن هنالك ضرورة القوة الحساسة المشتركة. أما أنا فيظهر لي ظهورا أوليا أن منبعث هذه الحرارة من القلب ومُنْصَرفُها إلى القلب[4]؛ ولذلك كان ظاهر البدن أحر في اليقظة. والقوة الغاذية أظهر فعلا عند النوم، وظاهر البدن أبرد. وليس لأحد أن يقول إن انتشار هذه الحرارة التي بها يكون الحس في اليقظة يكون[5] من الدماغ. فإن الدماغ عضو بارد والأعصاب أعضاء باردة، وأكثرها ليس يظهر أن فيها روحا، فضلا عن أن تسخن البدن. وأيضا فقد يظهر بالقول أن الحرارة، التي هي هيولى النفس الغاذية، هي والحرارة التي هي هيولى[6] النفس الحسية، واحدة بالموضوع، وليست اثنين بالموضوع ولا في عضوين مختلفين. وذلك أن النفس الغاذية لما كانت في الجنين مستعدة لقبول النفس الحسية، وكانت النفس[7] الحسية تتنزل منها منزلة الصورة والكمال، والغاذية منزلة الهيولى، فحيث الاستعداد للقبول فهنالك ضرورة يكون القبول[8]. وبين أن النفس[9] إنما صارت مستعدة بموضوعها الذي هو الحرارة الغريزية، فقبولها الصورة الحسية يكون ضرورة في هذا الموضوع[10] بعينه. وهذه حال الكمالات مع التوطئات، وبهذا صار المجتمع منها واحدا، أعني بالموضوع. وإذا كان هذا كله هكذا، وظهر أن الحرارة التي بها تتدبر[11] الحواس هي حرارة القلب، فالقوة المدبرة الحساسة المشتركة هنالك. والدماغ خادم لهذه القوة و[12] رئيس على غيره من الأعضاء، لا أن رئاسته رئاسة مطلقة. وقد كان[13] يمكن أن نبين هذه الأشياء بطرق أوضح، لكن قصدنا الإيجاز.

[٨٥] وإذ قد تبين أن الدماغ يخدم القلب في إفادته القوى[14] الحسية على جهة ما يخدم صاحب الجيش الملك في تتميم غرضه، والملك هو الذي رسم له الغايات التي

---

(١) ت: سقط "القوة" (٢) ج: يكون فعلها (٣) ت: العينين (٤) غ، م: إليه (٥) ج: سقط "يكون" (٦) غ، ب: سقط "هيولى"؛ ج: سقط "هي" (٧) غ، م، ت، ج: سقط "النفس" (٨) ج: ثبت فوق "القبول" علامة صح، وفي الهامش "المقبول" وعليها علامة خ (٩) م: أضيف "الغاذية" (في الهامش) (١٠) ت، ج: الموضع (١١) ب: تدبير (١٢) ت: سقط "و" (١٣) م: سقط "كان" (١٤) ت: إفادة القوة.

إليها ينتهي ونحوها يفعل، فقد ينبغي أن ننظر أي جهة هي[١] هذه الجهة التي بها نقول إن الدماغ يخدم القلب: فإنه قد كان ظهر[٢] النحو الذي به يخدم الكبدُ القلبَ، وذلك أنه يعد له الغذاء، فنقول: إنه لما كان ليس بأي مقدار من الحرارة يتم فعل حاسة حاسة، وكان يظهر من أمر الحواس أنها ليست تحتاج إلى[٣] حرارة قوية، فإن الحرارة القوية فيها[٤] تعوقها عن إدراك محسوساتها التي من خارج وتشوشها عليها، حتى إن الذين تسخن رؤوسهم في الأمراض الحادة يخيل إليهم أنهم[٥] يسمعون أشياء ويبصرونها من غير أن تكون موجودة. وأكثر ما يظهر هذا المعنى في حاسة اللمس: وذلك أنه لما أريد فيها أن تدرك المتضادات الأربع (= الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة)، ولم يمكن أن تكون آلتها خلوا منها، إذ كانت ممتزجة، جعلت في الغاية من الاعتدال ليكون بذلك حسها أصدق. ولما كان القلب في الغاية من الحرارة جُعِل يقابله[٦] الدماغ، ليعدل من حرارته حتى تظهر المحسوسات على كمالها. ولم يمكن أن تجعل هذه البرودة نفسها في خلقة القلب أولا: فإنه كانت تنقص أفعال[٧] الغاذية بذلك نقصانا بينا، وكأن الطباع لما رامت أن تجعل[٨] هذين الفعلين في الحيوان الكامل على أتم ما يكون، قرن إلى القلب الدماغُ. وأما في الحيوان النباتي المعروف بإسفنج البحر وفي كثير من الحيوان الناقص[٩]، فيشبه أن لا تكون الحاجة فيه مضطرة، مثل هذا الاضطرار، إلى وجود الدماغ، وبخاصة وجود[١٠] العصب النابت من الدماغ. ولذلك متى فصل جزء من ذلك[١١] الحيوان[١٢] النباتي، أي جزء كان، أمكن أن يعيش ويتغذى وينمو[١٣]، حتى يعود إلى حاله. وهذا هو السبب في أنك ترى كثيرا من الحيوان يعيش بعد أن يفصل. وهذه الجهة من خدمة الدماغ للقلب هي التي يراها أرسطو وجميع المشائين. وإنما جعل عظم الرأس ليحجب الدماغ، وجعل مستدير الشكل لأنه أبعد من الآفات. ومنفعة النخاع من جنس منفعة الدماغ. وأيضا فكأنه مسمار يربط الفقارات.

[٨٦] وإذ قد تبين من هذا القول كيف نسبة رئاسة الدماغ في الحس إلى رئاسة القلب، وتبين مع ذلك أي منفعة منفعته، فقد ينبغي أن نشرع في منفعة عضو عضو من الأعضاء التي أعدت نحو هذه القوى الخمس، فنقول:

---

(١) م، ب: سقط "هي" (٢) ج: يظهر(٣) م: "ليس بأي مقدار" عوض "ليست تحتاج إلى" (٤) ب: سقط "فيها" (٥) م: سقط "أنهم"(٦) ب: مقابله؛ ت، ج : بمقابلة (٧) غ، م، ت، ج: الأفعال (٨) غ، م، ج: ...رام أن يجعل؛ ت: وكأن الصانع لما أراد أن يجعل (٩) غ: إشارة إلى الهامش؛ ب: "الخزفي" عوض "الناقص" (١٠) غ، م، ت، ج: سقط "وجود" (١١) غ: سقط "ذلك" (١٢) ت: "العضو" وشطب عليها وصحح في الهامش "الحيوان" (١٣) في جميع النسخ "ينمى" (ب: هكذا "يَنْمِيَ").

[١٦- عضو اللمس.. واللسان..]

[٨٧] أما اللحم فإنه الآلة الخاصة لحس[١] اللمس، إذ كان هو العضو المشترك لجميع الحيوان، كما أن اللمس هي الحاسة المشتركة. وإنما جعل العصب في الحيوان الكامل لمكان تعديل مزاج اللحم. وذلك أنه لما كان شبيها بجوهر الدماغ لزم أن تكون منفعته من جنس منفعته. ولذلك[٢] كانت الأعضاء التي لا يأتيها عصب كثير عسرة[٣] الحس. وهذه القوة منها عامة[٤] لجميع أجزاء اللحم، وهي الإحساس بالكيفيات المتضادة[٥] الأربع، التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، ومنها خاصة كإحساس فم المعدة بما يتحلل منه –وهذا الإحساس يسمى جوعا و[٦]عطشا: أما الجوع فإنه الإحساس بتحلل الجوهر الحار اليابس[٧] وأما العطش فإنه الإحساس بتحلل الجوهر[٨] البارد الرطب– وكإحساس الكمرة[؟] بالدغدغة التي تكون عند الجماع. فهذان الصنفان من الإحساس[٩] هما ضرورة معدودان في هذا الجنس من الحس.

[٨٨] وأما اللسان فالأمر فيه بين أنه[١٠] إنما أعد نحو فعل الذوق وإن كان مع هذا يصحب فيه أمر آخر من جهة الأفضل؛ وهو أنه[١١] الذي به يتهيأ تقطيع الحروف. وفي أصل اللسان فوهتان تفضيان إلى لحم غددي يقال له مولد اللعاب. ومنفعة هذا اللعاب أنه يغسل الأشياء المذوقة حتى يظهر طعمها في الفم.

[١٧- العين وتركيبها...]

[٨٩] وأما العينان فالأمر فيهما بيِّنٌ أنهما آلة الإبصار. لكن لما كانت (=العين)، على ما ظهر بالتشريح[١٢]، مؤلفة من سبع طبقات وثلاث رطوبات، فقد ينبغي أن ننظر في منفعة واحدة واحدة منها.

[أ] وقد يظهر أن الآلة الخاصة بهذه الحاسة هي [١] الرطوبة المستديرة الشكل المسماة جليدية، أو الشبكة[١٣] العنكبوتية الموضوعة على هذه الرطوبة. وذلك أنه قد تبين في العلم الطبيعي أن آلة هذا الإدراك إنما يتم بالجسم المشف الذي هو الماء والهواء، وليس يظهر جسم في العين في غاية الصقالة والصفاء اللتين[١٤] شأنهما أن يتولد[١٥] عن ممازجة الهواء والماء غير هذين الجسمين. وبهذا الصفاء الذي فيهما والشفيف أمكن أن

---

(١) غ: بحس (٢) ج: "ولذلك أنه لما كان" وكتب فوق "لذلك" صح، وشطب على "أنه لما كان"، وفي الهامش "وذلك" مشطب عليها وفوقها صح (٣) غ، ج: كثيرة (ج: كثير) عسيرة (٤) ت: عامية (٥) م: المضادة (٦) ت: أو (٧) ت: الرطب (٨) م، ت، ج: سقط "الجوهر"؛ غ: يضع عليها علامة (مـ) (٩) م، ت: صنفان (ت: الصنفان) من الأجسام (١٠) م: إذ (١١) ب: سقط "أنه" (١٢) ب: في التشريح (١٣) ب: والشبكة؛ ت: والطبقة (١٤) ب: وهما اللذان (١٥) غ: تتولد؛ م، ب: يتولدا.

يقبلا الألوان. وإنما جعلت استدارة[1] هذه الرطوبة مفرطحة قليلا لتلقى من المحسوسات مقدارا كبيرا[2]. وأما سائر الرطوبات والطبقات فإنما جعلت لمكان هذه الرطوبة الجليدية. [٢] أما الزجاجية فإنها جعلت لتغذوها على جهة الرشح. وذلك أن الدم لما كان بعيد الطبع[3] من هذه الرطوبة احتيج إلى متوسط يصير إليه الدم أولا ويتحول، وحينئذ يمكن أن يكون غذاء لهذه الرطوبة. [٣] وأما البيضية فإنما[4] جعلت لتندي هذه الرطوبة وتحفظ مزاجها من[5] الهواء الذي من خارج، ولتمنعها أيضا من ملاقاة الطبقة التي فوقها وهي العنبية.

[ب] وأما الطبقات: [١] فإن الصلبة منها جعلت لتقي[6] العين من صلابة العظم، وأن تربط العين بالعظم[7]. [٢] وأما المشيمية فجعلت لتغذو الشبكية[8] بما فيها من الأوراد، وتفيدها أيضا الحرارة الغريزية بما فيها من الشرايين. [٣] وأما الشبكية فمنفعتها الأولى أن تؤدي الروح الباصر[9] بما فيها من العصب، وهو الحار الغريزي الذي قد تعدل مزاجه في الدماغ، وفي العصبتين اللتين تنفذان إلى العينين. وأيضا فإنها تغذي الرطوبة الزجاجية على طريق الرشح وتفيدها حرارة غريزية بما فيها من الشرايين. [٤] وأما الطبقة العنكبوتية فإن جالينوس يقر[10] أن هذه الطبقة[11] في غاية الصفاء والصقالة، وأنها[12] ترتسم فيها الألوان والأشكال. وإذا كان ذلك كذلك فهذه الطبقة هي الآلة الخاصة بالإبصار، إما مفردة بذاتها وإما مع عون الجليدية لها[13] على هذا الفعل. [٥] وأما العنبية فزعموا أن لها ثلاث منافع: إحداها أن تغذو القرنية، ولذلك جعلت كثيرة العروق. والثانية أن تحجب[14] الجليدية من القرنية لأن لا تضر بها صلابة[15] القرنية. ولذلك جعلت هذه الطبقة لينة. والثالثة لأن لا يتبدد الروح، وذلك باللون الأسود الذي لها، إذ كان من شأن هذا اللون أن يفعل هذا. والثقب الذي في وسط هذه الطبقة إنما جعل ليؤدي صورة الشيء المحسوس إلى الرطوبة الجليدية أو الشبكة[16] العنكبوتية أو كليهما، فإنه ليس الإبصار لشيء يخرج من العين على ما يرى ذلك[17] جالينوس، بل العين تقبل الألوان بالأجسام المشفة التي فيها على الجهة التي تقبلها المرآة. فإذا انطبعت الألوان فيها أدركتها القوة الباصرة. وهذا كله قد تبين في العلم الطبيعي. ولذلك

(١) ب: "استطالة" وصحح في الهامش "استدارة" (٢) م، ب، ت: كثيرا (٣) م: الطبخ (٤) ب، ت: فإنها(٥) م، ب، ت: أضيف "أجل" (ب: شطب على الكلمة) (٦) غ، م، ت: لتوقي (٧) م: بالعصب، وكتب فوقها "بالعظم" (٨) غ: الشبكة(٩) م: الباصرة (١٠) ب: يقول (١١) غ: الشبكة؛ م: "الطبقة الشبكية" وثبت بعد "هذه" وبعد "الشبكية" إشارتان، ربما يقصد التشطيب على "الشبكية" إذ ثبت في الهامش "الطبقة"؛ ب: ثبت في المتن "الشبكة" وعليها علامة تصحيح (صـ)، وثبت في الهامش "الطبقة" وعليها علامة (صح) (١٢) م: سقط "وأنها" (١٣) م: بها (١٤) ت: لحجب (١٥) م: تضرها بصلابتها (١٦) ب، ت: الطبقة (ب: ثبت "الشبكية" وعليها تشطيب، وصحح في الهامش "الطبقة") (١٧) ب: سقط "ذلك".

أي جسم من هذه الأجسام التي تركبت منها العين، كان أحرى أن تنطبع فيه الألوان لشدة صقالته[1]، فذلك الجسم هو الآلة الخاصة بالعين. [٦] والقرنية أيضا منفعتها الوقاية، وجعلت صافية رقيقة لأن لا تعوق الرطوبة الجليدية من قبول الصور. [٧] وأما الملتحم فمنفعته أن يربط العين كلها بالعظام، قالوا وأن يحرك العضل الذي يحرك العين.

[٩٠] فهذه منافع أجزاء العين على ما يراه جالينوس، وأكثرها كما ترى منافع حدسية وتخمينية. ولكن لا يشك بالقول المطلق أن في كل واحد منها منفعة ما خاصة، وأن الجزء الرئيس فيها إنما هو الذي شأنه أن تنطبع فيه الألوان.

[-١٨] في السمع

[٩١] وأما آلة السمع فالأمر فيها أيضا[2] بيِّن أنها الأذنان، والآلة الأولى فيها للسمع هي العصبة التي تأتيها المغشية لثقب الأذن. وجُعل ثقب الأذن موربا(=ملتويا)، زعموا، لأن لا يكون الهواء باردا في بعض الأوقات فيؤذي آلة السمع. والأشبه أن يقال في ذلك إنه إنما جعل موربا لأن لا يلقى الهواء المؤدي للصوت الصماخ[3] بشدة في الأصوات القوية. وبالجملة فينبغي أن يعتقد[4] أن لذلك الشكل منفعة ما في تأدية الصوت، ولذلك جعل الجسم الغضروفي المسمى عند الناس الأذن مقعرا. ومن منافع هذا الجسم: أما في الإنسان فلأن يستر الثقب مما[5] ينزل من الرأس، وأما في سائر الحيوان فإن فيه منفعة أخرى ليلقى بها[6] الأصوات من أي جهة وردت، ولذلك يحركها.

[-١٩] في الشم

[٩٢] وهذا[7] أيضا ظاهر أن آلة الشم هي الأنف، وأن ذلك يكون في الحيوان المتنفس بالاستنشاق، وفي غير المتنفس بغير استنشاق، كالزنابير وغير ذلك من الحيوان الذي ليس بمتنفس[8]. وأرسطو، فيما أحسب، يرى أن الموضع الذي به يكون هذا الإدراك هما المجريان الظاهران في الأنف. وجالينوس يرى أن هذا الإدراك إنما يكون بمقدمتي الدماغ بالزائدتين اللتين[9] هنالك المشبهتين[10] بحلمتي الثدي[11]. ويقول إن

(١) غ: فيها...صقالتها (٢) غ: سقط "أيضا" (٣) غ، م: المؤدي الصوت للصماخ؛ ت: المؤدي... (٤) م: سقط من المتن "يعتقد"، وهناك إشارة إلى الهامش (٥) غ: ما (٦) غ: ليلتقي بها؛ م: يتلقى به؛ ت: ليلقى به (٧) غ: وهو (٨) ب: يتنفس (٩) غ: أضيف "هما" (١٠) ب: الشبيهتين (١١) م: "بجملتي الثديان" وشطب على الكلمة الأولى وصحح في الهامش "بحلمتي"؛ ب: ...الثديين.

لبعد هذا الموضع احتيج إلى الاستنشاق. وأنا أقول إنه لو كان الأمر كما يقول جالينوس لكنا متى سددنا أنوفنا واستنشقنا الهواء على الفم أحسسنا بالروائح[١] ضرورة، إذ كان الحنك منفوذا إلى الأنف[٢]، وليس يلفى الأمر كذلك. وكان يلزم أيضا، كما يقول أبو نصر (الفارابي)، أن نحس بروائح الأطعمة عندما تبتدئ تنطبخ في المعدة. وليس الاستنشاق دليلا على أن بتلك الزائدتين يكون الشم. ولو كان ذلك كذلك لما أمكن أن يشم الحيوان الذي لا يستنشق، بل إنما جعل الاستنشاق لمكان الشم لأحد أمرين: إما من جهة الأفضل، وإما لغلظ هذه الحاسة في الحيوان المستنشق؛ لأنه قد كان يمكن أن يكون البخار يصل[٣] من ذاته إلى نفس الحاسة. لكن لما كان الحيوان المتنفس فعله أحد فعلين[٤]: إما إخراج الهواء، وإما إدخاله، ولم يكن[٥] يمكن أن يصل البخار المشموم عند إخراج الهواء، كان وصوله إلى[٦] حاسة الشم عند إدخاله أكثر: فإن وصول ذلك الهواء المشموم يكون بالاستنشاق أكثر منه بغير استنشاق؛ ولذلك يكثر من استعماله عند اختبار الروائح. ويشبه أن يكون الحيوان الذي يشم دون استنشاق أذكى حاسة من الذي يستنشق، كما نرى ذلك في النمل والنحل. ولضعف هذه الحاسة في الذي يستنشق[٧] يكون ما يصل إليه في غير حين الاستنشاق نزرا لا يحسه. والإنسان في هذه الحاسة مقصر[٨] بالإضافة إلى كثير من الحيوان الذي هي[٩] ضرورية في معاشه. ولذلك يقال، في أمثال هذه الحيوانات، إنها تأتي أغذيتها بوحي وإلهام. وإذ قد قلنا في آلات الحواس الخمس فلنقل في الأعضاء التي جعلت من أجل القوة المحركة.

[٢٠-] القول في منافع أعضاء الحركة الإرادية

[٩٣] وهذه القوة المحركة للحيوان هي القوة النزوعية إذا تقدمها خيال[١٠] ثم وقع بعد ذلك إجماع، وهو تحريك الصورة الخيالية للقوة[١١] النزوعية للبدن، لإحساس الصورة المتخيلة[١٢]، على ما تبين في كتاب النفس. لكن الذي[١٣] ينبغي أن نفحص هاهنا عنه[١٤] من أمر هذه القوة: ما هي الآلات التي تستعملها هذه القوة؟ وكم هي[١٥]. فنقول:

---

(١) غ: الروائح (٢) م، ت: الفم (٣) ب: "يصل البخار" عوض "يكون البخار يصل" (٤) غ: "هذين" وصحح في الهامش (لكنه لا يقرأ) (٥) ت: سقط "يكن" (٦) غ، ب، ت: سقط "إلى"(٧) م: سقط من المتن "كما نرى...في الذي يستنشق" (هناك إشارة إلى الهامش)(٨) غ: "ينقص" وصحح في الهامش (لكنه لا يظهر منه غير ...ص) (٩) ب: أضيف "فيه" (١٠) غ، ت: الخيالية...نزوع، وحددت هذه العبارة بعلامة تصحيح وكتب في الهامش "النزوعية...خيال...تحريك القوة النزوعية للبدن لإحساس الصورة المتخيلة"(١١) ت: يظهر "بالقوة" (في المتن قبل أن يتم التصحيح – هـ ٦٠٢) (١٢) غ، م: سقط "للبدن...المتخيلة"؛ ب: كتب في الهامش "تحريك القوة النزوعية للبدن لإحساس الصورة المتخيلة"، وعليها علامة (خ) (١٣) ت: سقط "الذي" (١٤) م: سقط "عنه" (١٥) م: سقط "وكم هي".

[٩٤] إن[١] هذه الحركة الإرادية منها كلية ومنها جزئية. أما الكلية فهي حركة المشي، وهي النقلة التي لجميع البدن. وأما الحركات الجزئية فمنها حركة جلدة الجبهة، وحركة العينين والخدين وطرفي[٢] الأنف، والشفتين واللسان، وحركة الحنجرة والفك، وحركة الرأس والعنق، وحركة الكتف، وحركة مفصل العضد مع الكتف، وحركة مفصل العضد[٣] مع الساعد[٤]، وحركة مفصل الساعد مع الرسغ، وحركة الأصابع وكل واحد من مفاصلها، وحركة الأعضاء التي في الحلق، وحركة[٥] الصدر للتنفس، وحركة القضيب، وحركة المثانة في غلقها على البول، وحركة طرف المعي المستقيم في منعه[٦] خروج الثفل، وحركة مراق البطن، وحركة مفصل الورك[٧]، وحركة مفصل الساق والفخذ والقدم، وحركة أصابع القدم. فهذه هي جميع الحركات التي يظن بجلها أنها إرادية. وينبغي أن نفحص عما تلتئم به هذه الحركات من أعضاء الإنسان فنقول:

[٢١- المتحرك الأول والمحرك الأول .. في جسم الإنسان]

[٩٥] إنه ظاهر من أمر هذه الحركات[٨] أنها تلتئم من محرك أكثر من واحد. ومثال ذلك أن حركة اليد إنما تكون مثلا بالوتر، وحركة الوتر إنما تكون بالعضل[٩]. وأما حركة العضل فهي للعضل[١٠] بذاته؛ والعضل هو المتحرك الأول. وليس هاهنا جسم آخر يحركه لأن كل جسم يحرك جسما فهو متحرك ضرورة. ولذلك ما يجب أن ينتهي الأمر في الأجسام التي يحرك بعضها بعضا إلى جسم يتحرك[١١] لا عن جسم آخر، لكن عن مبدأ فيه، على ما تبين في العلم الطبيعي، وإلا مر الأمر[١٢] إلى غير نهاية. وإذا كان ذلك كذلك فهذه القوة المحركة هي[١٣] في العضل ضرورة. وما يتوهمه الأطباء من أن حركة العضل إنما تكون بالعصب[١٤] باطل: لأنه لو كان ذلك كذلك[١٥] لكان العصب متحركا، إما من غيره وإما من تلقائه أي بمبدأ فيه. وذلك أنه[١٦] قد تبين في العلم

(١) غ: أضيف "هي"، وفوقها علامة تصحيح (٢) ب: طرف (٣) غ، ب: الكتف، (ب: شطب على "الكتف" وصحح في الهامش "مفصل العضد") (٤) ت: سقط "وحركة مفصل العضد مع الكتف...الساعد" (٥) ب: أضيف "الأعضاء التي في" (٦) ب، م: منفعة؛ ت: منع (٧) غ، م: أضيف "والفخذ" (ت: كتب "...الورك والفخذ والقدم وحركة...والقدم")؛ ب: الورك والفخذ والقدم وحركة مفصل الساق (٨) ت: الحركة (٩) غ: أضيف "وحركة العضل إنما تكون بالعصب مثلا وحركة العصب إما بذاته وإما بمحرك آخر" (وسقطت في غ الفقرة الموالية "أما حركة...بمبدأ فيه وذلك أنه"؛ ب: ثبتت نفس الإضافة لكن عليها تشطيب (وضع الناسخ خطوطا صغيرة فوق العبارة)؛ ت: ثبتت نفس الإضافة لكن الناسخ وضع الإشارة إلى الهامش الذي استدرك فيه السقط الحاصل في غ بعد "...الوتر إنما تكون بالعضل"، ما معناه أنه يلغي العبارة التي شطب عليها ب، وإن تركها من دون تشطيب، كعادته) (١٠) ب: ففي العضل (١١) م، ت: متحرك(١٢) ت: سقط "الأمر" (١٣) م: "فهو" عوض "فهذه القوة المحركة هي"؛ ت: سقط "هي" (١٤) ب: أضيف "فهو" (١٥) م: سقط "كذلك" (١٦) غ: سقط " أما حركة العضل... وذلك أنه"، ت: "لكانت حركة العصب إما بذاته وإما بمحرك آخر".

الطبيعي أن كل متحرك له[١] محرك، وأن المحرك إذا كان جسما فإنه إنما يحرك بأن يتحرك. فلذلك ما يحتاج المحرك إذا كان جسما إلى محرك آخر. فإن كان هذا أيضا جسما مر الأمر إلى غير نهاية، أو يكون هاهنا جسم متحرك يتحرك عن محرك فيه يحرك[٢]، لا بأن يتحرك؛ وذلك بأن لا يكون جسما. فهذا أحد ما يظهر منه[٣] أن المحرك الأقصى للحيوان في هذه الحركات ليس بجسم أصلا، وأنه قوة نفسانية، وأن هذه القوة هي في العضل ضرورة[٤]. ولننزلها كما قلنا القوة النزوعية إذا اقترنت إليها الخيالية أو التصورية[٥]، ووقع هنالك إجماع. ولأن هذا المحرك الذي ليس بجسم يلزم ضرورة أن يكون المتحرك الأول عنه جسما[٦]. وذلك بأن يكون[٧] المتحرك عنه كالهيولى له، وهو له[٨] كالصورة، إذ ليس يمكن في المحرك الأقصى في الحيوان أن لا[٩] يكون في غير هيولى، كما يقال إن هاهنا مبادئ بهذه الصفة.

[٩٦] وإذا كان ذلك كذلك، فلننظر أي جسم هو هذا الجسم؟ وهو ظاهر أنه الحرارة الغريزية[؟] التي في العضل الذي[١٠] في أبدان الحيوان: ولذلك متى بردت الأعضاء بطلت حركتها. وبالجملة فهو من البين بنفسه[١١]، ومما قيل في العلم الطبيعي، أن أحد ما يؤخذ في حد[١٢] هذه الأفعال[١٣] هي الحرارة الغريزية. لكن هذه الحرارة الغريزية تنقسم بفصول خاصة لعضو عضو هي المقتضية لفعله الخاص به[١٤]، وبخاصة أفعال الغذاء. وهذا مما لا خلاف فيه. لكن جالينوس[١٥] يرى أن ينبوع هذه الحرارة[١٦] هو الدماغ، وأنها تنبث منه في الأعصاب إلى جميع البدن. وأما أرسطو فيرى أن الدماغ خادم في هذا الفعل للقلب على جهة خدمته في[١٧] الحواس. أعني[١٨] أنه يعدلها وأن هذه الحرارة ينبوعها القلب. وقد يمكن أن نبين ذلك بمثل البيانات التي تقدمت: وذلك أنه يظهر أن الماشي في حين مشيه تنتشر في بدنه حرارة لم تكن قبل. والعضو الذي شأنه أن تنتشر منه الحرارة في جميع البدن هو القلب لاشك فيه. ولذلك متى طرأ على الإنسان شيء[١٩] يفزعه وانقبضت الحرارة الغريزية إلى القلب ارتعشت ساقاه حتى أنه

---

(١) ب، ت: فله (٢) غ، م: "محرك يحرك" عوض "جسم...يحرك"؛ ت: ثبت في المتن "متحرك يحرك"، وصحح في الهامش "جسم متحرك عن محرك فيه يحرك" (٣) ب: به (٤) غ: سقط "وأن هذه...ضرورة" (٥) غ، م، ت: المتخيلة...النزوعية، وسقط أو التصورية (م، ت: كتب "المتخيلة" فوق "النزوعية"، و"الخيالية" فوق "النزوعية") (٦) ج: أضيف "متحركا من ذاته" (يظهر "متحركا فذاته") (٧) ت، ج: أضيف "هذا" (٨) م: سقط "له" (٩) ت: إلا أن (كتب "أن" فوق السطر) (١٠) غ، م، ج: سقط "في العضل الذي"؛ ت: كتب "العضل" فوق "أبدان الحيوان" الموالية (١١) ج: "فهو...بنفسه" عبارة مضببة (١٢) م: الحد؛ ج: كلمة مضببة (١٣) غ: "الحركات" وصحح في الهامش "الأفعال"؛ م: كتب فوق السطر "الحركات" (١٤) غ: سقط "لكن هذه الحرارة...الخاص به" (١٥) ج: في الهامش ما يقرأ "الفقيه" وليس هناك إشارة واضحة إلى الهامش (١٦) ج: أضيف "العامة" (١٧) غ، م، ت: "خدمة" عوض "خدمته في" (ج: سقط "في" (١٨) م: أضيف "على" (١٩) م: أمر.

ربما سقط ولم يقدر أن يتحرك. وإذا كان ذلك كذلك فالقوة المدبرة الأولى في هذه الحركة، وهي التي تقدر هذه الحرارة في الكمية والكيفية، هي في القلب ضرورة. وأيضا فقد يقر جالينوس وجميع الأطباء أن القوة النزوعية في القلب. وإذا كان ذلك كذلك، وكان ظاهرا أن[1] الحيوان إنما يتحرك بالنزوع، فهذه القوة المحركة[2] إذن في القلب. والدماغ خادم لها على أنه معدل لها[3]. وسواء توهمت التعديل بجرم العصب أو بروح نفساني يسري فيه لا فرق بينهما، إلا أنه ليس من العصب شيء يظهر فيه روح على ما يقول جالينوس إلا العصبتان المجوفتان اللتان تأتيان العينين. وأما المتحرك الأول عن الحار الغريزي فإن جالينوس يرى أنه العضل. أما في الأعضاء التي ليس فيها عظام ولا هي مفاصل وهي صغار[4] فبنفسه. وأما في المفاصل فبالأوتار النابتة من العضلة إلى طرف العظم: وذلك أن العضل إذا انقبض إلى نفسه انجذب ذلك الوتر، ولأنه مربوط بطرف العظم[5] يتحرك ذلك العظم بحركته. وإذا كان للعضو حركتان متضادتان كانت له عضلات[6] متضادة الوضع[7]، تجذبه كل واحدة منها إلى ناحيتها وتمسك المضادة لها عن فعلها. فإن عملت كلاهما[8] في وقت واحد استوى العضو وتمدد وقام. مثال ذلك أن الكف إذا مدها العضل الموضوع في ظهرها انقلبت إلى خلف، وإذا مدها العضل الموضوع في باطن الساعد انثنت[9]، وإن مداها جميعا استوت وقامت.

[٢٢- العضلات: عددها، وظائفها]

[٩٧] والعضل الموجود في البدن، كما قلنا على رأي جالينوس، خمس مائة عضلة وتسع وعشرون عضلة[10].

- وذلك أن في الوجه خمسا وأربعين عضلة: أربع وعشرون منها لحركات[11] العين وأجفانها، واثنا عشر لحركات الفك، وتسع لحركات سائر ما يتحرك من أعضاء الوجه بالإرادة: منها عضلة مستبطنة[12] لجلد الجبهة تعين على شدة فتح العين، وعضلتان تحركان طرف[13] الأنف، وعضلتان تحركان الشفة العليا إلى فوق، وعضلتان تحركان الشفة السفلى إلى أسفل، وعضلتان تحركان الخد.

- والعضل الذي يحرك الرأس والعنق وهي ثلاث وعشرون عضلة. منها ما يجذب الرأس وحده إلى الجهة التي هي موضوعة فيها، ومنها ما يجذب الرأس

(١) ت: "ظاهر" عوض "ظاهرا أن" (٢) ب: المتحركة (٣) ج: سقط "لها" (٤) غ: سقط "وهي صغار"؛ ت: كتب "لها" فوق "هي" التي جاءت قبل "مفاصل" (٥) ت: العظام (٦) ج: "حركات" وكتب في الهامش "عضلات" وسقط "له" (٧) غ، م: الموضع (م: ثبت "الوضع" وكتب فوقها "الموضع") (٨) ب: منها كلتاهما؛ ج: كلتاهما (٩) غ: انبثت (١٠) م: سقط "عضلة" (١١) ب، ت: لحركة (١٢) ت: "منبسطة" (١٣) ت: عظم.

والعنق، ومنها ما يكون بها جذبه إلى فوق، ومنها ما يكون بها[١] جذبه إلى قدام، ومنها ما يكون بها[٢] جذبه إلى خلف. ومنها ما يجذب[٣] إلى ناحية اليمين، ومنها[٤] إلى ناحية الشمال.

– وتسع عضلات يحركن اللسان.

– واثنان وثلاثون عضلة لحركات الحلق[٥] والحنجرة.

– وسبع عضلات لكل كتف في كل جانب، تحركه جميع[٦] حركاته.

– وثلاثة عشرة في كل ناحية يحركن العضد جميع حركاته[٧].

– وأربع عضلات موضوعة على العضد في كل يد، اثنتان موضوعتان من داخل، تثنيان الذراع واثنتان من خارج تبسطانه.

– وسبع عشرة عضلة في كل ساعد، عشر منها موضوعة على ظهر الساعد، وسبع في باطنه[٨] تكون بها حركة الكف إلى داخل وإلى خارج وإلى ناحية الإبهام وإلى ناحية الخنصر، وتثني الأصابع الأربع وتبسطها.

– وثمان عشرة عضلة في الكف، في كل جانب، يكون بها ميل الأصابع إلى ناحية الإبهام وإلى ناحية الخنصر[٩] وتقعير الكف.

– ومائة وسبع عضلات لحركة الصدر، منها ما يقبضه ومنها ما يبسطه.

– وثمان وأربعون يحركن الصلب[١٠] جميع حركاته.

– وثمان عضلات ممدودة على البطن من لدن القص[١١] إلى عظم[١٢] العانة، منها بالطول ومنها بالعرض ومنها بالتأريب، تفعل جميع حركات البطن من الضم والعصر وتعين على حركات أخر.

– وأربع عضلات للأنثيين في الذكورة[١٣].

– وأربع عضلات يحركن الذكر.

– وعضلة تضبط فم المثانة لأن لا يخرج البول بغير إرادة.

– وأربع عضلات تضبط فم[١٤] المقعدة لأن لا يخرج النجو (؟) (=الريح والغائط) بغير إرادة[١٥].

---

(١) م: سقط "بها" (٢) غ، ت: سقط "بها" (٣) ت: يجذبه (٤) ب، ج: أضيف "ما يجذب" (٥) ج: كلمة مضببة وعليها تشطيب (٦) ت: بجميع (٧) م: سقط "وثلاثة عشر..حركاته" (٨) ب، ج: أضيف "وست وثلاثون موضوعة على الكفين (ب: على الكفين موضوعة)، ثمانية عشرة على كل كف" (٩) غ، ت، ج: سقط "وتثني الأصابع...وإلى ناحية الخنصر" (م: كتب في الهامش)(١٠) ج: الصدر، وصحح قدامه في السطر "الصلب" وعليها صح (١١) غ، م: القس (١٢) م: عظام (١٣) ب: الذكور (١٤) ب: سقط "فم" (١٥) غ، م، ت: وعضلة..المقعدة..النجو..المثانة ..البول..، وأضيف في غ. ت "وأربع عضلات تضبط المقعدة لئلا يخرج النجو بغير إرادة" (الفرق هنا بين عضلة للمثانة وأربعة للمقعدة والعكس).

- وست وعشرون عضلة لحركات الفخذين ووضعها فوق الفخذين.
- وعشرون لحركة[١] الساقين ووضعها على الفخذين[٢].
- وثمان وعشرون لحركة القدم وبعض حركات الأصابع، ووضعها على الساقين.
- واثنان وعشرون لبقية حركات أصابع الرجل[٣]، ووضعها على القدمين.

[٩٨] فهذه العضلات هي أول شيء يتحرك عن الحار الغريزي أو بالحار[٤] الغريزي الخاص بعضلة عضلة. وإذا كان كل عضو إنما يتحرك بحرارة غريزية هي فيه بمنزلة الصورة، وكانت الحرارة التي في العضل لا تحرك[٥] إلا بمبدأ[٦] نفساني. فما هذا المبدأ ليت شعري؟ لكن أنا[٧] أضيف إلى هذا ما[٨] تبين بالقول الكلي[٩] أن القوة المحركة في المكان هي النفس، وتبين[١٠] أن بدن الحيوان كله ينبغي أن يكون تحريكه بقوة[١١] نزوعية موجودة في عضو مشترك لجميع البدن متحرك[١٢] من ذاته[١٣]، وبقوة جزئية نزوعية في أعضاء جزئية متحركة بذاتها[١٤] وهي العضل. وإذا كان ذلك كذلك وكان يظهر بالحس أنه ليس في البدن عضو مشترك لجميع البدن متحرك[١٥] من ذاته إلا القلب، فبين أن القوة[١٦] النزوعية العامة هي في القلب، أعني في عضله، وأن القوة[١٧] الجزئية النزوعية هي في عضل عضل من العضل الجزئية. ولذلك ما نرى أن[١٨] الحركة الكلية للحيوان التي هي الانقباض والانبساط مبدؤها من القلب. وهذه الحركة[١٩] زائدة على حركة التنفس النبضية. ولذلك نرى النبض يعظم في وقت حركة الحيوان ويصغر في وقت السكونة[٢٠]. وإذا كان ذلك كذلك فالدماغ والأعصاب إنما هما معدلان[٢١] لهذه الحرارة التي فيها المبدأ النزوعي الكلي والجزئي[٢٢]. وجالينوس لما رأى تأثير الدماغ في هذه الحركة ظن أن القوة النزوعية فيه، وكذلك ظن أنها في[٢٣] العصب، وذلك كله مستحيل: لأنه قد تبين أنه يجب أن تكون هذه القوة[٢٤] في عضو متحرك من ذاته. ولذلك، [ف] المرض الذي يكون عنه[٢٥] اختلال الحركة هو[٢٦]: أما أولا وبذاته ففي العضل، وأما بطريق المشاركة ففي الدماغ والعصب. ولذلك ينبغي أن نعالج اختلال الحركة[٢٧]: أما أولا فبالقصد إلى العضل، وأما[٢٨] ثانيا فبالقصد إلى الدماغ

---

(١) ج: لحركات (٢) ج: سقط "ووضعها على الفخذين" (٣) ج: واثنتان وخمسون...الرجلين (٤) ب: وبالحار؛ ج: والحار (٥) ب: تتحرك (٦) ج: "إنما تحرك بمبدأ" عوض "إنما يتحرك بحرارة...تحرك إلا بمبدأ" (٧) ب، ج: إذا (٨) ج: ما قد، وشطب على الكلمتين (٩) ب: أضيف "من" (١٠) ج: سقط "تبين" (١١) ج: "تحركه..." وأضيف "واحدة" (١٢) ج: يتحرك (١٣) ج: أضيف ما يظهر "بها" (١٤) ب: بذاته وبقوى...من ذاتها؛ ج: سقط "وبقوة...بذاتها" (١٥) ج: يتحرك (١٦) ج: "القلب" وعليها علامة تصحيح وكتب قدامها في السطر "القوة" (١٧) ب: القوى (١٨) ب: سقط "أن" (١٩) ب، ج: أضيف "هي" (٢٠) ب، ج: سكونه (٢١) ج، م: هو معدل (٢٢) غ: سقط "أو بالحار الغريزي...النزوعي الكلي والجزئي"؛ ت: سقط " وإذا كان كل عضو...الكلي والجزئي" (٢٣) ب: من (٢٤) غ، م، ت، ج: سقط "القوة" (٢٥) غ، م، ت: عند (٢٦) غ، م، ت: سقط "هو" (٢٧) ج: الحركات (٢٨) م: سقط "أما".

والعصب[١]. وينبغي أن تعلم أنه[٢] غير ممتنع أن تكون هاهنا حركات إرادية بغير هذا العضل، بل بنفس الحار الغريزي أو ما يقوم مقامه في الحيوان الذي ليس بدمي[٣]. وإنما هذه العضلات لاشك في الحيوان الكامل. ولهذا اعتاص على جالينوس إعطاء عضل يحرك اللسان إلى خارج، وكذلك[٤] حركة الإنعاظ، لأنه رأى قطعا أنه لا تكون حركة إلا بعضل. بل ليس الأمر كذلك. وإذ قلنا في منافع أعضاء الحركات الإرادية فينبغي أن نقول في التنفس وأعضائه، فإن جالينوس يرى أنه داخل في الحركات الإرادية.

[٢٣-] القول في آلات التنفس

[٩٩] وآلات التنفس هي الحجاب، والرئة وقصبتها، والحنجرة واللهاة. وقد ينبغي قبل الفحص[٥] عن منفعة عضو عضو منها أن نبين ما منفعة هذا الفعل بإطلاق، أعني التنفس. فنقول:

[١٠٠] إنه قد جرت عادة الأطباء، من جالينوس فمن دونه، أن يقولوا إن للتنفس منفعتين: إحداهما ترويح الحرارة الغريزية التي في القلب، باستنشاق الهواء البارد ودفعه[٦] إذا سخن، مع ما يمكن أن يتحلل من الحار الغريزي من جوهر دخاني غير ملائم. وهذه المنفعة، لعمري، هي حق وهي ضرورية في وجود الحيوان[٧] الحار الدموي. وأما ما كان من الحيوان غير حار ولا دموي[٨] فلا ضرورة به إلى مثل هذا الفعل بل تكفيه من ذلك حركة[٩] الشرايين التي في القلب، فإنا نرى أن ذلك أيضا تنفس[١٠] ما.

[١٠١] وأما المنفعة الثانية، زعموا، فليغتذي[١١] الروح الغريزي بالهواء الداخل ويخلف منه بدل ما يتحلل. وهذا قول في نهاية السقوط. وذلك أن المركب ليس يمكن فيه أن يغتذي[١٢] من البسيط، لأنه لو أمكن ذلك لكان يوجد حيوان بسيط غير مركب، بل[١٣] من أسطقس واحد. وجالينوس ينكر ذلك، ولذلك يقول: إن الماء ليس بغاذ[١٤]. وهذا بين بنفسه[١٥] لمن زاول العلم الطبيعي. فلنعمل إذن على أن منفعة التنفس هي المنفعة الأولى.

[١٠٢] وأما لأي قوة من قوى النفس هو هذا الفعل، فإن جالينوس يرى أن ذلك[١٦] للقوة الإرادية. ويحتج على ذلك بأن لنا أن نتنفس وأن لا نتنفس. وأيضا

---

(١) م: ثبتت الفقرة "وجالينوس لما رأى...إلى الدماغ والعصب" بعد "وينبغي أن تعلم...الحركات الإرادية" (٢) م: أن (٣) ج: بدموي (٤) غ، م، ت: سقط "كذلك" (٥) م، ت: أن نفحص (٦) م: وبدفعه (٧) غ: سقط من المتن "الحيوان" (هناك إشارة إلى الهامش) (٨) ت: الدمي... (٩) ب: حرك (١٠) ت: بنفس (١١) ب: فليتغذى؛ ت: فليغذي (١٢) ب: يتغذى (١٣) غ: أضيف "هو" (١٤) م، ت: بغاذي (١٥) ت: سقط "بنفسه" (١٦) ب: أضيف "الفعل".

فإنه يزعم أن الآلة الخاصة بهذه القوة هي العصب والعضل. ويزعم أنه إذا بتر العصب الذي يحرك الحجاب لم يعش الحيوان إلا مقدار[١] ما يعيش المخنوق بالوهق[٢](=حبل للشنق).

[١٠٣] وأما غيره فيرى أنه[٣] للقوة الغاذية كالحال في النبض. ويمكن أن يُحتج لهذا الرأي بأشياء، أحدها أنا نتنفس في النوم، والفعل الإرادي إنما يكون مع تخيل ونزوع على ما سلف. والثاني أنا نرى التنفس الذي لا نتعمده[٤] يحاكي النبض حتى إن أبقراط كان يقيمه في أكثر الحالات مقام النبض، وذلك حيث لا يكون مرض في آلات التنفس. لأنه إذا كان الأمر هكذا دل حينئذ على مزاج القلب، كما يدل النبض نفسه.

[١٠٤] وقوم رأوا أنه مركب من الفعلين جميعا، أعني من الفعل[٥] الإرادي والفعل غير الإرادي[٦] وهو الفعل المنسوب للقوة الغاذية التي يعرفها الأطباء بالقوة الطبيعية، وذلك كحركات كثير[٧] من الأعضاء، مثل حركة الجفن، فإن الأمر فيها[٨] بين أنها مركبة. وكذلك حركة الازدراد، ولذلك متى تعاوقت القوتان فيه[٩]، أعني الطبيعية والإرادية[١٠]، صعب[١١] الازدراد[١٢] كما نرى ذلك[١٣] يعترينا عند[١٤] سقوط الشهوة. ويشبه أن يكون هذا الرأي الأخير أصوب الآراء، أعني أن هذا الفعل مركب.

[١٠٥] لكن ينبغي أن نعتقد أن الأملك به أنه فعل طبيعي، إذ كان أكثر تنفسنا في حال الصحة وفي حال المرض إنما يكون من غير أن نتعمده[١٥]. وبذلك أمكن أن يجعل دليلا على مزاج القلب. والتنهد الذي يصيب الإنسان هو شيء غير متعمد له. وأيضا إذا كثرت حاجتنا إلى التنفس فإنا لا نقدر أن لا نتنفس، كالحال في السعال و[١٦] غير ذلك. وإنما أرفدت الطبيعة هذه القوة بالإرادة للحاجة إلى ذلك في الموضع الذي لا تفي القوة الطبيعية بما يحتاج القلب من ذلك.

[١٠٦] وأما ما يحتج به جالينوس على أن هذه القوة إرادية محضة، من أنها تبطل بقطع العصب، فليس في ذلك [١٧] حجة، وهو موضع[١٨] مختل[١٩] كما قيل غير ما مرة. فإنه إذا ارتفع العصب فارتفع بارتفاعه حركة ما، فليس يلزم ضرورة إذا وجد العصب أن توجد تلك[٢٠] الحركة، حتى يكون العصب هو السبب[٢١] الخاص في ذلك الفعل. وقد شوهد[٢٢] أن من شُدَّ له عرقا السبات[م] الصاعدان إلى الدماغ أنه[٢٣] تختل

(١) ج: بمقدار (٢) غ: يظهر "الرّهــق" (٣) م: أن (٤) غ: "تصده" وصحح فوق السطر "نتعمده"؛ ب: "يعتمد" وصحح في الهامش "نتعمده" (٥) ب، ت، ج: سقط "الفعل" (٦) م، ت: الغير الإرادي؛ غ: الغير إرادي (٧) م: كثيرة (٨) م: سقط "فيها" (٩) ب، ج: سقط "فيه" (١٠) ب: الازدرادية(١١) م: ضعف(١٢) غ: سقط من المتن "ولذلك متى...الازدراد" (هناك إشارة وآثار من هامش لا يقرأ) (١٣) ب: "كثيرا" عوض "ذلك" (١٤) غ: عن (١٥) ب: نعتمده (١٦) ت: وفي (١٧) غ: هذا (١٨) م: سقط "موضع" (١٩) ج: مخيل (٢٠) م: سقط "تلك" (٢١) ج: "الذي" وصحح في الهامش "السبب" (٢٢) "زعم القدماء" عوض "شوهد" ؟؟ (٢٣) ت: أن.

أفعاله الإرادية كلها، ولذلك سمي هذان العرقان بهذا الاسم؛ وحكى الرازي أن ملوك الهند كانت تقتل بذلك. إلا أن جالينوس ينكر ذلك. وزعم أنه ليس يعرض عن شد هذين العرقين شيء، وإنما يعرض عن شد العصبتين الملتصقتين[1] به أن يبطل الصوت فقط[2]. وأيضا[3] فما الذي يمنع أن يكون فعل العصب في ذلك إنما هو أحد ما يتم به هذا الفعل؛ فإذا اختل هو ضرورة اختل ذلك الفعل. وليس هو سبب[4] خاص بذلك. ولا يلزم أن تكون كل حركة للعصب[5] مدخل في وجودها أن تكون[6] ولا بد إرادية محضة، وكيف لا[7] وهو يقر أن حركة الأجفان إنما تكون بالعصب. وهذا كله بين بنفسه.

[١٠٧] وإذ قد تبين ما منفعة التنفس وأي قوة هي[8] هذه القوة، فقد ينبغي أن نشرع في منفعة عضو عضو من الأعضاء المنسوبة إلى هذا الفعل، فنقول:

[٢٤- الرئة وعملها: لمن حركتها، لذاتها أم للصدر؟]

[١٠٨] إن أشهر الأعضاء منفعة في هذا الفعل هي الرئة. وذلك أنها إذا انبسطت جذبت الهواء إلى داخل، وإذا انقبضت دفعته إلى خارج. وبالجملة فمما لا يُشَك فيه[9] أنها الآلة الخاصة بهذا الفعل. لكن مما فيه موضع نظر: هل حركتها، هذه الحركة التي بها يكون إدخال الهواء و[10] إخراجه، تابعة لحركة الصدر من غير أن يكون لها في نفسها حركة؟ أم حركة الصدر في التنفس شيء مصاحب لحركتها وكأنه معين لها؟ أما جالينوس فيرى أنه ليس لها في ذاتها حركة تخصها، وأن حركتها إنما هي تابعة لحركة الصدر على جهة استتباع الاستفراغ الذي يكون من قبل ضرورة امتناع وجود الخلاء[11]. وأن حركة التنفس الذي على المجرى الطبيعي إنما تكون بالعضلة العظمى التي تسمى الحجاب، وهي الفاصلة بين الأعضاء الفوقية والسفلية[12]. ويرى أن أخص منافع هذا العضو هو هذا الفعل. وذلك أنه[13] يرى أن الصدر إذا انبسط تبع ذلك أن تمتلئ الرئة بالهواء[14]، كما يعتري في كير الحداد[15]. فإذا انقبض الصدر خرج الهواء كما يعتري أيضا ذلك في كير[16] الحداد. ويستدل على ذلك بأن الجراحة[17] إذا وقعت،

(١) م: العضلتين الملصقتين (٢) غ، ت، ج: سقط "إلا أن جالينوس...الصوت فقط" (٣) ب: "وكيفما كان" عوض "وأيضا" (٤) ب: بسبب (٥) م: سقط "في ذلك إنما هو...حركة العصب" (٦) ت: كتب في الهامش "إرادية محضة"، ووضعت الإشارة قبل "ولا بد"، ومن غير أن يشطب على "إرادية محضة" التي تليها (٧) ت: سقط "لا" (٨) ت: سقط "هي" (٩) ت: "لا شك" عوض "لا يشك فيه" (١٠) م: أو (١١) غ، ب، ت، ج: سقط "على جهة...الخلاء" (١٢) م، ب، ت، ج: "الفوقانية والسفلانية" ويطرد هذا الفرق إلى آخر النص (١٣) ج: سقط "أنه" (١٤) ب، ت، ج: هواءا (١٥) ج: الحدادين (١٦) ت: كور...كور (١٧) ت: الحنجرة؛ ب : الجراحات.

ودخل الهواء منها[١] إلى الصدر[٢]، تعطلت حركة الرئة ومات الحيوان. ويحتمل[٣] أن يكون تعطل حركة الرئة عند انخراق الصدر لأنها[٤] تبرد[٥].

[١٠٩] وأما في وقت أرسطو[٦] فلم يكن وُقِف من منفعة هذا العضو، أعني الحجاب[٧]، على شيء سوى أنه حاجز[٨] بين الأعضاء الرئيسية وبين الأعضاء التي تطبخ الغذاء، لأن لا يصل إليها في حين الطبخ شيء من الحرارة. وليس مثل هذا بنكير[٩]: فإن الحال فيما يدرك بالتشريح، كالحال فيما يدرك من حركات[١٠] الأجرام السماوية. وجالينوس، مع أن في زمانه كانت هذه الصناعة أعني صناعة التشريح[١١] أكمل شيء، يقول إنه ليس يمتنع[١٢] أن يقف غيري من هذه الأشياء على ما لم أقف. ولذلك جل الأمور التي يظن بجالينوس أنه يناقض فيها[١٣] أرسطو ليست في الحقيقة مناقضات، وإنما هي كالتتميمات والزيادات[١٤]. مثال ذلك[١٥] ما حكاه أرسطو[١٦] في منفعة الحجاب، وما يظن به[١٧] أنه لم يحس الأجسام التي تسمى عصبا[١٨]. لكن لم يكن ذلك ضارا له فيما يعتقده من الأقاويل الكلية، في الحركة[١٩] والحس، وفي منفعة القلب والدماغ. وكما أن من شأن من أدرك في علم الهيئة حركة زائدة أن يضيفها إلى ما أدرك المتقدم، كذلك ينبغي[٢٠] في هذه الأشياء هاهنا، لا أن ما أتى به جالينوس من[٢١] الأمور الجزئية يناقض تلك الكليات. وقد خرجنا عما نحن بسبيله فلنرجع إلى حيث كنا، فنقول:

[١١٠] إنا إنما قلنا[٢٢] فيما يراه جالينوس من أن حركة الرئة تابعة لحركة الصدر موضع نظر، لأنه إنما يُصَحِّح[٢٣] ذلك بأنه إذا تعطلت حركة الصدر تعطلت حركة الرئة و[٢٤] مات الحيوان. وكذلك أيضا إذا جرح الحيوان في صدره جراحة نافذة عظيمة يدخل منها الهواء عند حركة الصدر فلا يكون هنالك ضرورة تدعو إلى استتباع حركة الرئة لحركة الصدر، فيختنق الحيوان. وكل[٢٥] هذا ليس يظهر منه ولا بد أن حركة الصدر هي السبب الخاص لحركة الرئة[٢٦]. وذلك أنه قد يمكن أن يكون الصدر والرئة في هذه الحركة كل واحد منهما متحرك من ذاته، لكن ليس يمكن لأحدهما حركة دون الآخر[٢٧]. فعلى هذا أيضا متى تعطل أحدهما تعطل الآخر؛ وليس ولا واحد منهما

---

(١) ب: فيها (٢) ج: سقط "منها إلى الصدر"؛ م: أضيف "و" (٣) ج: ويمكن (٤) ب: أنها؛ م: وأنها (٥) غ: سقط "وذلك أنه يرى...لأنها تبرد"(٦) ب: أضيف "الحكيم" (٧) غ، م، ت: سقط "أعني الحجاب" (٨) غ، م، ج: حاجب (٩) م، ب: ينكر (١٠) ب: حركة (١١) غ، م: سقط "أعني صناعة التشريح" (١٢) ب، ت: بممتنع (١٣) ب: أضيف "الحكيم" (١٤) غ، م، ج: الزيادة (١٥) ب: أضيف "أن"(١٦) ب: الحكيم (١٧) ج: أضيف "من" (١٨) ج: أضيف "في وقته" (١٩) ج: الحركات(٢٠) ج: أضيف "أن يكون الأمر" (٢١) ت: في (٢٢) ت: أضيف "إن" (٢٣) ت: يصح (٢٤) م: "الرئة" عوض "الصدر"... (٢٥) ج: "حركة استتباع الرئة لحركة الصدر بدخول الهواء فيه تعطلت حركة الرئة ومات الحيوان؛ غ، ب، ت: سقط "كذلك أيضا...الحيوان وكل" (٢٦) ج: أضيف "على جهة استتباع دخول الهواء"(٢٧) م: "للرئة حركة دون الصدر" عوض "لأحدهما...الآخر".

بسبب لصاحبه[١] في هذه الحركة[٢]. ولو قدرنا الرئة في هذه الحركة غير متحركة، على ما يراه جالينوس، لتعطلت ضرورةً حركة الصدر. أفترى كنا[٣] نقول إذ ذلك[٤] إن الرئة تحرك الصدر، لأنها إذا لم تتحرك لم يتحرك الصدر؟! فهذا هو اختلال هذا الموضع هنا: فإنه غير ممتنع أن تكون حركة الصدر والرئة كالمتحركين معا من تلقاء أنفسهما في رباط واحد. فإنه متى لم يتحرك أحدهما لم يتحرك الآخر. وليس واحد منهما يحرك صاحبه. وأيضا فليس ممتنعا عندما يتولد بالصدر[٥] سوء مزاج من قطع العصب الواصل إليه أو شده[٦]، أن يتعدى ذلك إلى الرئة على سبيل المشاركة: فإن أحد ما تعتل[٧] به الأعضاء هي جهة مشاركتها، وجالينوس يقر بذلك. وعلى هذه الجهة تكون حركة الصدر كأنها معينة لحركة الرئة، ولا سيما عند الحاجة إلى التنفس الشديد. والأولى أن يكون[٨] العضو الذي يلحقه الأذى لعدم إدخال الهواء وإخراجه هو العضو الذي فيه مبدأ إدخال الهواء وإخراجه[٩]: فإن كان القلب هو الذي يلحقه الأذى بل الموت بانقطاع[١٠] هذه الحركة، فهو الذي فيه[١١] مبدأ هذه الحركة ضرورة.

[١١١] وحركة الرئة على مذهب جالينوس تكون قسرا على نحو ما تتحرك الأجسام الصناعية. والأولى أن يكون ذلك بمبدأ[١٢] فيها على ما عليه الأمر في الأجسام الطبيعية. وأيضا إن كانت هذه الحركة تتم بحركتين، طبيعية وإرادية، فالأولى أن يظن بهما أنهما يكونان متحركين أولين[١٣] من تلقائهما. فليكن[١٤] الأول في الحركة الإرادية هو[١٥] العضل، وليكن[١٦] الثاني[١٧] في الحركة الطبيعية هو القلب، أو القلب[١٨] والرئة[١٩]. وجالينوس لزم في هذا القول أصوله. وذلك أنه لما كانت هذه الحركة عنده إرادية، وكانت الحركة الإرادية عنده إنما تكون بالعصب فقط، ولم يكن ظهر له بالتشريح أنه يأتي من العصب للرئة ما به تحس[٢٠]، فضلا عما به تتحرك[٢١]، وكانت طريقة الارتفاع عنده يقينية، أعني أنه وجد حركة الرئة ترتفع بارتفاع حركة[٢٢] الصدر، حكم حكما باتا أن الصدر يحرك الرئة في هذه الحركة، وأن الرئة مستتبعة[٢٣] له.

---

(١) ج: سقط "لصاحبه" (٢) ج: أضيف "على الانفراد ولا يمكن أن يتحرك دون صاحبه حتى"، وسقط "و" الموالية (٣) م: "كنا" أو "كما" (٤) ب: أضيف "كذلك"؛ ج: ذاك (٥) ب: في الصدر (٦) م: يظهر "سدة"؛ ب: سُدّة، وأضيف "أو وقوع جراحة عظيمة"؛ ج: يظهر "شُدة" (٧) غ: تعتد؛ ت: "تغتذي" وصحح فوق السطر "تعتل" (٨) ب، ت، ج: "يظن أن" عوض "يكون" (٩) م: سقط من المتن "هو العضو...وإخراجه"، وهناك هامش لكنه غير مقروء (١٠) ب: لانقطاع (١١) ب: "إذن" عوض "الذي فيه" (١٢) ب: لمبدأ (١٣) ج: بها أنها تكون...أوليين (١٤) ب: فيكون (١٥) ب: سقط "هو" (١٦) ب: يكون (١٧) ج: "الأولى..." وسقط "ليكن الثاني" (عبارة ج: الأولى في الحركة...وفي الحركة...) (١٨) م، ت: سقط "أو القلب" (١٩) غ: سقط "والأولى أن يكون... أو القلب والرئة" (٢٠) غ، ت: يحس؛ ج: "تحص" وصحح في الهامش "تحس" (٢١) غ: "تتحرك" أو "يتحرك"؛ م: يتحرك (ت: الحرف الأول من دون نقط؛ غ: الحرف منقوط من فوق ومن تحت) (٢٢) غ، ت: سقط "حركة" (٢٣) م: يظهر "مستغينة".

[١١٢] ويشبه أن لا يكون في أيدينا من المقدمات ما نصل به إلى اليقين في كثير من هذه[١] المطالب، لكن مع هذا ينبغي أن يقال في ذلك بحسب الطاقة: فإنه غير ممتنع أن تلوح هاهنا أشياء فيما بعد يمكن منها الوقوف على اليقين في كثير مما لا يمكننا نحن في زماننا هذا. والسبب الذي أعطاه جالينوس في حركة الرئة، هو أن يكون سببا بالقسر أولى من أن يكون سببا بالطبع[٢]، وإنما قُسم الصدر بقسمين وجعلت أجزاء الرئة مضاعفة ليكون متى اعترى في أحدهما شيء يقوم الآخر[٣] بالمنفعة. مثال ذلك[٤] ما يعتري في الجراحات التي تخرق أحد التجويفين من تجاويف الصدر: فإن القسم من الرئة الذي في التجويف غير المنخرق[٥] يقوم حينئذ بمنفعة التنفس. وأما إذا انخرق تجويفا الصدر معا فيهلك[٦] الحيوان.

[٢٥- قصبة الرئة وعملها]

[١١٣] وأما قصبة[٧] الرئة فإنها أيضا من أجل إدخال الهواء وإخراجه، لكن يصحب إخراج الهواء منفعة أخرى، وهو حدوث الصوت. ولذلك جعل في طرفها العضو الذي به يمكن ذلك، وهو المسمى حنجرة. فإن هذا العضو خلق خلقة مواتية لحدوث الصوت ولذلك[٨] جعل فيه الجسم الشبيه بلسان المزمار، ووصل به من العضل ما يتأتى[٩] به أن يتشكل بأشكال مختلفة حتى تحدث عنه أصوات مختلفة. وهذه المنفعة في الحيوان هي من أجل الأفضل لا من أجل الضرورة: فإنه ليس الصوت ضروريا في وجود الشخص. وكثيرا ما تتوخى الطباع هذا: فتصرف[١٠] العضو الواحد في منفعتين وثلاث، إذا أمكن ذلك فيه، كالحال[١١] في الخياشيم: فإنها جعلت للشم، واتفق فيها أيضا أن كانت سبلا لتنقية فضول الدماغ. فهي بهذا الوجه تخدم القوة الغاذية، وبالوجه الثاني القوة الحساسة.

[١١٤] ومن الدليل على أن الحنجرة هي الآلة الخاصة بالصوت، أنا متى نفخنا بشدة في قصبة الرئة، رئة[١٢] أي حيوان اتفق[١٣]، حدث صوت شبيه بصوت ذلك الحيوان. وجعل على فم هذا المجرى غطاء يحجبه، لأن لا يصل إليه شيء مما يمر بالفم فيهلك الحيوان. ولذلك متى ذهب هنالك شيء له قدر ما، أحدث سعالا. وأما العنبة(م)[١٤] فإن منفعتها أن تمنع أيضا الغبار والدخان وما أشبهه مما يمكن أن يصل

---

(١) ب: سقط "هذه" (٢) غ، ت، ج: سقط "والسبب الذي...سببا بالطبع" (٣) غ: قام الثاني (٤) م: سقط "ذلك" (٥) غ، م: الغير منخرق (٦) غ: "فإنه يهلك" عوض "فيهلك" (٧) غ: قصبتا (٨) ج: "وكذلك" وصحح في الهامش "ولذلك" (٩) ت: يأتى (١٠) ت: أضيف "هذا" (فوق السطر) (١١) غ: سقط من المتن "فيه كالحال" (هناك إشارة إلى الهامش)؛ م: سقط "فيه" (١٢) غ، م، ت: "قصبة رئة" وسقط "الرئة"؛ ب: "قصبة الرئة" وسقط "رئة" (رجحتُ ج) (١٣) م: كان (١٤) ت: اللهاة.

إلى الحنجرة، وهي مع هذا تحجب البرد لأن لا يصل إلى أعضاء التنفس. ولذلك متى أفرط في قطعها غلب على الصدر والرئة البرد، حتى إن كثيرا من الناس يهلكون لذلك. ويشبه أن يكون لها أيضا مدخل في وجود الصوت. فهذا هو القول في منافع آلات التنفس.

[٢٦- المتخيلة والمفكرة والحافظة...]

[١١٥] وأما القوة المتخيلة والمفكرة والذاكرة والحافظة فإنها و[١] إن لم تكن آلية، فلها مواضع خاصة بالدماغ، فيها يظهر فعلها. أما القوة المتخيلة ففي البطن المقدم من الدماغ. وهذه القوة هي التي تحفظ صنم(=صورته) الشيء بعد[٢] غيبوبته عن الحس. وأما القوة المفكرة فظهورها يكون في البطن الأوسط من الدماغ، وبهذه القوة نروي في المجهول حتى نستنبطه[٣]. ولذلك لا توجد هذه القوة إلا للإنسان. وأما القوة الذاكرة والحافظة فموضعهما مؤخر الدماغ ولا فرق بين الذاكرة والحافظة إلا أن الذكر هو حفظ منقطع، والحفظ ذكر دائم[٤]. والفرق بين الذاكرة والحافظة وبين[٥] المتخيلة أن المتخيلة تحضر صنم الشيء المحسوس بعد غيبة المحسوسات، ولذلك لم تكن حسا. والقوة الحافظة إنما تحفظ معنى ذلك الصنم، وكذلك الذاكرة إنما تتذكر ذلك المعنى الذي للصنم. ومن هاهنا يظهر أنها أكثر روحانية من المتخيلة.

[١١٦] وينبغي أن لا يذهب علينا أن هذه القوى وإن كان أحد ما يتم به فعلها هي هذه البطون من الدماغ، أنه إنما وجودها بالحقيقة في القلب[٦]، وأن هذه المواضع إنما هي لها بمنزلة الآلات. فكما أن القوة الباصرة إنما تكون بالرطوبة الجليدية، مع أنها في القلب[٧]، كذلك[٨] هذه القوى. ومنفعة هذه المواضع في هذه القوى هي التعديل على ما قلناه في منفعة الدماغ[٩]، في سائر الإدراكات. والسبيل التي بها يتبين هذا هي السبل التي تقدمت. وذلك أن هذه القوى إنما تفعل بالحرارة الغريزية، والحرارة الغريزية المقدِّرة إنما تصل إليها من القلب. فالقوة المقْدِرة ضرورة في القلب. فهذه القوى إذن محلها[١٠] القلب. وأيضا فإن القوة المتخيلة، كما قيل، إنما[١١] فعلها في الآثار الباقية من المحسوسات في الحس[١٢]، على ما تبين في كتاب النفس. والحس المشترك قد تبين قبلُ أن محله القلب، لأنه كالصورة للقوة الغاذية[١٣]، والقوة الغاذية قد تبين أنها

---

(١) م: سقط "و" (٢) ت: وبعد (٣) ب: يروي...يستبطنه (٤) غ، م: سقط "والحفظ ذكر دائم"؛ ت: "متصل" عوض "دائم" (٥) غ: سقط "بين" (وهناك إشارة) (٦) ب: كتب في الهامش "الدماغ" وعليها علامة خ، وفوق "القلب" علامة صح (٧) م: كتب فوق السطر "الدماغ" (٨) م: أضيف "هي" (٩) ت: أضيف "و" (١٠) ت: إذن إنما محلها في؛ ج: أضيف "في" (١١) م: إن (١٢) م: أضيف "المشترك" (فوق السطر) (١٣) م: "للغاذية" عوض "للقوة الغاذية".

الصورة الأولى للقلب في الكون[1](=التكون، الوجود)، فالمتخيلة ضرورة محلها القلب. وأيضا فإن المتخيلة هي المحركة للحيوان بتوسط النزوعية، والنزوعية في القلب. فالمتخيلة إذن في القلب. وحيث المتخيلة فهناك[2] ضرورة المفكرة، فإن الفكر إنما هو تركيب[3] الخيالات وفصلها[4]، وكذلك حيث تكون المتخيلة فثم الذاكرة والحافظة. وليس يجب من كون اعتلال هذه القوى باعتلال هذه البطون من الدماغ أن يقال إن هذه القوى في الدماغ فقط[5]. كما أنه ليس يلزم عن اعتلال البصر باعتلال الرطوبة الجليدية أن يقال إن قوة الإبصار الرئيسية[6] إنما هي في الجليدية. وقد تعتل هذه القوى[7] باعتلال الحجاب، وليس أحد يظن أنها في الحجاب. ولما كانت هذه التجاويف من الدماغ، إنما وضعت أولا من أجل هذه القوى، هيئت في أمزجتها للفعل الموافق لهذه القوة[8]. فالروح الغريزي إنما يكون أولا في البطنين المقدمين، ومنهما يصير[9] إلى البطنين المؤخرين في المسلك[10] الذي بينهما. وللاحتياط والتقدير جعل في تلك المسافة أجسام تنفتح في وقت الحاجة لدخول[11] الحار الغريزي منها، ثم تنسد على ما ذكر في كتاب التشريح[12]. ولكون الدماغ جسما لينا رطبا وقي بعظم القحف وبالأغشية المحيطة به، كما وقي القلب بأضلاع الصدر، وجعل هذا العظم مستديرا إذ كان هذا[13] الشكل هو أحكم الأشكال. وذلك أنه يحتوي على أكثر مما يحتوي عليه سائر الأشكال المساوية له على ما بينه[14] المهندسون[15]. وأيضا فإنه أبعد شيء عن الآفات، وجعل الدماغ في أرفع موضع في الحيوان الكامل، لمكان الحواس. فإن الحواس كما يقول جالينوس هي[16] طلائع البدن. ومن شأن الطلائع أن تكون[17] في المواضع المشرفة.

[١١٧] فقد قلنا في منافع عضو عضو من أعضاء بدن الإنسان[18] بحسب ما رأينا أنه كاف في غرضنا. وقد بقي علينا أن نبين من[19] الأفعال الصحية، النوم[20] ما هو؟ وبأي عضو يكون؟ فإنه من الأمور[21] الضرورية في وجود الحيوان الذي شأنه أن ينام. والإنسان هو أحدها. ولذلك كان اختلال هذا الفعل[22] مما يهلك الحيوان. وعند تمام[23] القول في هذه القوة نختتم هذه المقالة، ونشرع في القول في الأمراض وأسبابها وأعراضها، فنقول:

---

(١) غ: سقط "لأنه كالصورة...في الكون" (٢) ب: أضيف "أيضا" (٣) ب: يكون بتركيب(٤) غ، م، ب: فعلها، (م: صحح فوق السطر "فصلها"؛ ب : صحح في الهامش "فصلها" وفوقها خ وفوق "فعلها" مـ)؛ ت: تخيلها (٥) م: سقط "فقط" (٦) غ: الرئيسة (٧) م: سقط "القوى" (٨) ت، ج: القوى (٩) غ، م، ب، ت: منه يسير (ب: يصير) (رجحت ج) (١٠) ت: المسالك (١١) م: إلى دخول (١٢) م: تشريح الأعضاء (١٣) ت: بهذا (١٤) ت: يبينه (١٥) غ، م: سقط "على...المهندسون" (١٦) غ: سقط "هي" (١٧) م: الطالع أن يكون (١٨) ب: البدن الإنساني (١٩) ت: في، وشطب عليها (٢٠) ج: كتب في الهامش أمام هذا السطر "انظر النوم" (٢١) ب: "الأفعال" وصحح في الهامش "الأمور" (٢٢) ت: "القوة" وشطب عليها وصحح فوق السطر "الفعل" (٢٣) ب: أضيف "هذا".

[٢٧- النوم: ما هو؟ وبأي عضو يكون؟]

[١١٨] أما أن[١] النوم هو[٢] سكون الحواس وانصرافها عن آلاتها إلى داخل البدن، فذلك من الأمور الظاهرة بأنفسها. ولذلك تمر بها في تلك الحال المحسوسات فلا تحسها[٣]. وأيضا فقد يظهر ذلك ظهورا أبين في من ينام مفتوح العينين[٤]، فإنه لو كانت هنالك القوة المبصرة لما مر به شيء إلا رآه. وليس هذا العارض يعرض[٥] لنا في وقت النوم فقط، بل قد يعرض عندما يفكر الإنسان في شيء ما[٦]. ولذلك كثيرا ما تمر بنا في تلك الحال محسوسات كثيرة لا[٧] نحسها. وإذا كان جنس النوم إنما هو انصراف الحواس إلى باطن البدن، وكانت الحواس إنما يمكن فيها الحركة بحركة الجسم الذي هو الهيولى الخاصة بها، وكان هذا الجسم قد تبين من أمره أنه الحار الغريزي، فالنوم إذن ضرورة يكون بانصراف الحار الغريزي إلى قعر البدن. وقد يشهد لهذا أن ظاهر البدن يبرد عند النوم. وأيضا فإن فعل الهضم يكون أتم عند النوم[٨]، وذلك أن الحرارة الغريزية[٩] التي كانت تستعملها الطباع في ظاهر الجسم في الحس والحركة تنصرف حينئذ داخل الجسم، إلى إنضاج الغذاء والفعل فيه. ولما كان[١٠] انبعاث الحرارة الغريزية على ما قيل قبل إلى ظاهر الجسم إنما يكون من القلب فرجوعها ضرورة في وقت[١١] النوم، إنما هو إلى القلب. وذلك أن الموضع الذي منه تبتدئ الحركة إليه تنتهي: كالحال في رئيس الجيش، فإنه الذي إليه تنتهي الأخبار، ومنه تبتدئ. وإذ قد تبين من أمر النوم أنه سكون الحواس وتعطل فعلها لانصراف الحار الغريزي المحمولة فيه إلى القلب، فلننظر ما سبب هذا الانصراف: فإن هذا هو الذي يجري من تصور ما هو النوم مجرى الفصل الأخير، فنقول:

[١١٩] إن انتشار الحار الغريزي إنما يكون ضرورة بتزيد في كميته[١٢]، والتزيد في الكمية إنما يفعله تزيد الحرارة فيه. وأما انقباضه فهو نقص في الكمية. وذلك يكون ضرورة لغلبة البرودة والرطوبة عليه. وإذا كان هذا كما وضعنا[١٣] فالنوم إنما يعرض لنا عند برد الحار الغريزي الذي في القلب ورطوبته: فإنه إذا[١٤] برد ورطب عاد إلى ينبوعه ونقصت كميته. ولما كانت منفعة الدماغ إنما هي في أن يعدل حرارة القلب ويبسه، وجب ضرورة أن يكون القلب إنما[١٥] يلقى أكثر[١٦] هذا الفعل من الدماغ، وذلك إذا

---

(١) غ: سقط "أن"؛ وكتب فوق السطر في ت (٢) ب: "أما ما النوم فهو" وشطب على العبارة وصحح في الهامش "أما أن النوم هو" (٣) ب: بنا...نحسها (٤) م، ج: العين (٥) م: سقط "يعرض" (٦) م، ج: سقط "ما" (٧) ج: فلا (٨) م: سقط "وأيضا فإن...عند النوم" (٩) ب، م: سقط "الغريزية" (١٠) ب، ج: تبين أن (١١) م: "إذن ضرورة عند" عوض "ضرورة في وقت" (١٢) ب، م: بتزيده (م: بتزيد) في الكمية (١٣) ب، ج: وصفنا (١٤) غ: فإذا (١٥) ت: أضيف "يكون" في الهامش (١٦) غ، ب: أضيف "ذلك"؛ ت: "ذلك من"؛ ج: "ذلك" عوض "هذا".

أفرط مزاجه في البرد والرطوبة. وإنما يكون ذلك عند وقت ورود الغذاء عليه[١]. وأيضا فمع هذا، إن القلب إذا ورد الغذاء عليه يرطب ويبرد[٢]. ولكون هذا الفعل إنما يوجد للقلب أكثر ذلك بتوسط الدماغ، وكان من قل نومه نطلنا (="خدرنا") منه الدماغ بالأشياء المرطبة، ظن كثير من الناس أن النوم إنما هو فعل خاص بالدماغ. وليس الأمر كذلك.

[١٢٠] ومن الدليل على أن النوم إنما[٣] يكون بالبرودة والرطوبة[٤] أن الأغذية المنومة هي باردة رطبة كالخس وغير ذلك مما شأنه أن ينوم. والأشياء المسهرة هي الحارة اليابسة. وإنما صار الحيوان يصيبه النوم كثيرا إثر التعب لأن الحيوان إذا تحرك وأجهد نفسه في ذلك تبددت الحرارة الغريزية ونقصت كميتها وبردت[٥]، فعادت ضرورة لمكان الاحتياط والتوفر[٦] إلى مبدئها؛ كما يعتريها ذلك عند ورود الأشياء المفسدة عليها[٧] والمضادة أن تتراجع إلى مبدئها. فإن الجند متى[٨] دهمهم أمر[٩] فإنما يفزعون إلى[١٠] الرئيس. ولذلك كان هذا العضو آخر عضو يبرد عند الموت. وهذا الفعل هو من فعل[١١] الطبيعة المدبرة لأبدان[١٢] الحيوان، ولهذا كان النوم من ضرورة وجود الحيوان الكامل. لأنه[١٣] لولا النوم لفسدت حواسه بكثرة الاستعمال. وإذا فسدت الحواس فسد الحيوان. ولذلك تصفر وجوه الذين لا ينامون وتعتل[١٤] أفعالهم وبخاصة الغاذية. وأيضا فإن استعمال الحواس مما يبدد[١٥] الحرارة الغريزية بانتشارها. وإذا بردت[١٦] عادت إلى عمق البدن ونقصت كميتها.

[١٢١] وينبغي أن تعلم أن هذا الفعل[١٧]، وإن كان إنما يكون بمزاج ما في الحرارة الغريزية، وهو مزاج البرودة والرطوبة[١٨]، فالفاعل بالحقيقة[١٩] لذلك هي القوة المدبرة التي في القلب. والحرارة التي بهذه الصفة هي آلتها. ولذلك قد ينشأ هاهنا موضع فحص: وهو لأي قوة من قوى النفس ينسب هذا الفعل، ويشبه أن يكون ذلك للقوة[٢٠] الحسية، إذ كانت هي التي تتوفر[٢١] بهذا الفعل[٢٢] وتكمل أفعالها. وليس هذا[٢٣] للغاذية بما هي غاذية: فإن النبات ليس له نوم، إذ كان ليس له حس. وهذه القوة هي من قوى الحس للحس[٢٤] المشترك. وإنما نسبنا هذا الفعل للقوة الحسية[٢٥] لأنها أحد ما ينحفظ وجودها به.

---

(١) ب، م، ت: إليه (٢) غ، م، ت، ج: ورده الغذاء ترطب وبرد (٣) م: سقط "هو فعل خاص...النوم إنما" (٤) م: أضيف "و" (٥) غ، ت: سقط "وبردت" (٦) ب: التوفير (٧) ت: يعترينا...علينا (٨) ت: إذا (٩) م: دهاهم شيء (١٠) ب، ج: أضيف "باب" (١١) م: أفعال (١٢) م: سقط "لأبدان" (١٣) غ، م: فإنه (١٤) م: "وتعتل" وكتب في الهامش "تختل" (١٥) ج: كتب أمام "يبدد" في الهامش "يبرد" (من دون وضع علامة) (١٦) ب، ج: تبددت (١٧) ج: "العلم" وصحح قدامها في السطر "الفعل" (١٨) غ، م: الرطوبة والبرودة (١٩) م: في الحقيقة (٢٠) ب: تكون تلك القوة (٢١) ب: تتدبر (وعليها خ، يظهر أنها شطبت) (٢٢) م: سقط "ويشبه أن...بهذا الفعل" (٢٣) غ، م: هو (٢٤) ت: سقط "للحس" (٢٥) ب: الحساسة.

[١٢٢] فهذا هو القول في جميع الأفعال الصحية بما هي صحية. وبين من منافع هذه ما هو ضروري في وجود[1] الحيوان وما ليس بضروري. أما أعضاء[2] القوة الغاذية وأفعالها فضرورية في وجود الحيوان ما عدا المولدة، وكذلك حاسة اللمس. ولذلك كان تعطل هذه القوة[3] موتا ضرورة. وكذلك التنفس فعل ضروري. ومن هنا يظهر أن الأشياء التي تجري من بدن الإنسان مجرى الحافظة هو الهواء والماء والغذاء. وإنما تكون هذه الأشياء حافظة إذا كانت على المجرى الطبيعي. ولما كان الهواء إنما يكون على صورته الطبيعية بحفظ الشمس والأجرام السماوية له، كانت الأسباب القصوى التي تجري من بدن الحيوان مجرى الحافظة له هي الأجرام السماوية. وهذا الفعل إنما يتم في الهواء بفعل الشمس فيه الفصول الأربعة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء، وذلك بمسيرها في فلكها المائل. ولذلك قد يجب على الطبيب أن يعرف هاهنا طبائع هذه الفصول، إذ كانت هي[4] أحد ما به تتقوم الصحة، فنقول:

[٢٨- الفصول الأربعة وتأثيرها في الصحة]

[١٢٣] أما الربيع فإنه الزمان الذي تكون[5] أفعال القوة الغاذية فيه أتم فعلا، وذلك إنما يكون بإنمائه[6] الحرارة الغريزية في أبدان الحيوان. ولما كانت الحرارة الغريزية حارة رطبة قلنا في هذا الفصل إن مزاجه الحرارة و[7] الرطوبة: فإن النظر في مزاجه هاهنا إنما هو بالمقايسة إلى بدن الإنسان. والشبان أتم ما يوجدون أفعالا في هذا الفصل[8]. ولذلك إن شئت فقل فيه إنه[9] الفصل المعتدل، وذلك بمقايسته إلى فعل الإنسان. وأما القول فيه إنه معتدل بإضافة الكيفيات التي يقوم[10] منها بعضها إلى بعض فباطل. وذلك أن كل منسوب إلى المزاج لابد[11] أن يكون منسوبا إلى غلبة كيفية واحدة من الكيفيات الفاعلة لضدها، وإلى غلبة كيفية واحدة من الكيفيات[12] المنفعلة، التي تتنزل من الكيفية الفاعلة الغالبة على ذلك الممتزج منزلة المادة، وإلا لم يكن ذلك الممتزج واحدا بالصورة، ولا كان له فعل واحد مأخوذ في[13] حده، حتى تكون فيه الكيفيتان الفاعلتان الغالبتان عليه بالقوة والغالبتان[14] بالفعل، فإن الأضداد ليس يمكن أن يتولد منها[15] واحد بالفعل وهما في مرتبة واحدة بالفعل، لأنه لا يكون من شيئين بالفعل شيء واحد[16] بالقوة[17]. وهذا ليس يشعر به كثير من المنتسبين[18] إلى الفلسفة في وقتنا

---

(١) م: لوجود (٢) م: منافع (٣) ب: القوى (٤) ب: سقط "هي" (٥) ت: أضيف "فيه" (من دون أن يشطب على "فيه" الموالية) (٦) ج: بإنمائها (٧) ج: أو (٨) ب: الزمان (٩) ج: سقط "إنه" (١٠) م: تقوّم؛ ج : تركب (١١) ج: مزاج فلابد (١٢) ج: أضيف "الفاعلة لضدها وإلى غلبة كيفية" وشطب على العبارة (١٣) م: من (١٤) م، ج: المقابلتان للغالبتين...والغالبتين (ج: والغالبتان) (١٥) ج: فيها (١٦) ج: وقع تكرار "بالفعل وهما...شيء واحد" (١٧) م، ج: بالعدد (١٨) ج: المنتمين.

هذا[1]، فضلا على الأطباء. ومن هاهنا يبين لك بيانا واضحا أنه ليس يوجد مزاج معتدل في الكيفيات الأربع أبدا، أعني الاعتدال في مرتبتها[2] المنسوب إلى الأطراف. كما أنه لا يوجد مزاج منسوب إلى كيفية واحدة من أجل أن كل كيفية[3] فاعلة لها في مرتبتها من الفعل كيفية منفعلة خاصة بها تتنزل منها منزلة المادة. وإذ قد تتقرر هذا فلنرجع إلى ما كنا بسبيله[4].

[١٢٤] وأما الصيف فيظهر من أمره أن الحر واليبس عليه أغلب، وكذلك يظهر أيضا[5] من أمر الشتاء أن البرودة[6] والرطوبة عليه غالبة. وهذا كله بالإضافة إلى مزاج الربيع[7] وإلى مزاج الإنسان: فالربيع موافق لهذين[8]، أعني الصيف والشتاء[9]، في نسبة مزاجه إلى غلبة كيفيتين ومخالفهما في نسبته إلى بدن الإنسان، لأنه بالقياس إلى بدن[10] الإنسان معتدل[11].

[١٢٥] وأما مزاج الخريف فمن حيث إنه متوسط بين الصيف والشتاء، قد كان يظن[12] أنه يلزم فيه أن يكون باعتدال[13] الربيع بالإضافة إلى بدن الإنسان[14]. لكن الأمر في ذلك بالعكس، بل هو في غاية المضادة لزمن الربيع: فإنه الزمن الذي فيه تهرم القوى وتتشتت. وذلك ظاهر من فعله ذلك في النبات وفي الحيوان. ولذلك قيل إن البرد واليبس غالبان[15] عليه، الذي[ن] هو[هما] ضد[16] الحرارة والرطوبة. وأما مزاجه في نفسه فإنه و[17]إن كان غير مفرط[18] الحرارة، فإن البرد واليبس غالبان[19] عليه. وهو بالجملة متشتت الأجزاء مختلفها: إذ[20] ليس هو على نسبة واحدة في اليوم الواحد بعينه[21]؛ فضلا عن أكثر زمانه[22]، ونسبة الشمس فيه إلينا في القرب والبعد، فإنها وإن كانت بعينها هي نسبتها في الربيع، فبين النسبتين فرق عظيم لمكان الاستعداد. وذلك أن في زمن الخريف قد تناهت فيه القوى، وقد استولى اليبس على جميع الموجودات، فيكون الاعتدال الموجود في الحرارة المكونة[23] في ذلك الوقت لا غناء له في[24] النشء. وأما الاعتدال الموجود في زمن الربيع الذي هو المكون[25] فهو وارد على هيولى ملائمة للنشء[26] وهي الرطوبة.

---

(١) ج: سقط "في وقتنا هذا" (٢) م، ج: سقط "في مرتبتها" (٣) م، ج: سقط "كيفية" (٤) غ، ت: سقط "وأما القول فيه إنه معتدل...فلنرجع إلى ما كنا بسبيله" (٥) غ، م: سقط "أيضا" (٦) ب، م، ت، ج: "(ت: سقط "أن") البرد" عوض "أن البرودة" (٧) غ: زمن...؛ م: مزاجها أنفسها؛ ت مزاجهما أنفسهما؛ ج: ...الربيع نفسه (٨) م، ت، ج: يوافق هذين (٩) ج: سقط "أعني...والشتاء" (١٠) ج: سقط "بدن" (١١) غ: سقط من المتن "وإلى مزاج الإنسان...الإنسان معتدل" (١٢) ج: أضيف "فيه" (١٣) غ: سقط من المتن "باعتدال" ذاك إشارة، وأضيف "ما عند" (١٤) غ: سقط "بالإضافة...الإنسان"؛ ج: جاءت العبارة بعد "لكن الأمر في ذلك" الموالية (١٥) ج: غالب (١٦) ب: ثبت في الهامش "وذلك ظاهر...الذي هو ضد" (١٧) ج: سقط "و" (١٨) غ: أضيف "في" (١٩) غ، ت، ج: فإن اليبس غالب (٢٠) ت: أي (٢١) ج: سقط "بعينه" (٢٢) غ، م: سقط "مختلفها إذ...أكثر زمانه" (٢٣) غ: سقط "المكونة"؛ م: سقط "في الحرارة المكونة" (٢٤) ت: "عن" وصحح فوق السطر "في" (٢٥) غ، م: سقط "الذي هو المكون" (٢٦) م: الشيء...للشيء، وصحح في الهامش "النشئ...للنشئ".

[٢٩- أعدل البلدان]

[١٢٦] وهذه الفصول ليس لها حد معلوم في القصر والطول بل تختلف في البلاد، وذلك بحسب عرضها(١). وأعدل البلاد هي البلاد التي يقصر فيها زمان الخريف ويطول فيها زمان الربيع. وتلك هي البلاد التي في الإقليم الخامس، وبخاصة ما كان منها قريبا من البحر. والخريف في بلادنا هذه، وهي بلاد الأندلس، هو نحو من(٢) شهرين. وهي في أول الإقليم الخامس. وليس تحت معدل النهار زمان معتدل كما يزعم ذلك كثير من الناس(٣). وقد تبين ذلك فيما كتبناه في غير هذا الموضع. ولا أيضا تفضيل من يفضل الإقليم الرابع على الخامس بشيء. وجالينوس يرى أن أعدل المواضع هي بلاد يونان(٤)، ومن هذه بلدة أبقراط، ويقول(٥) إن هذه البلدة يكاد أن(٦) يكون زمانها كله ربيعا.

[١٢٧] فقد تبين من هذا القول ما صحة(٧) عضو عضو من أعضاء الإنسان بجميع أسبابه الأربعة التي هي المادة والصورة والحافظ والغاية(٨)، وذلك ما قصدنا له(٩) من أول الأمر. وأنت تعلم أنه يلزم أن تكون جميع الأشياء التي قيلت هنا ضرورية من(١٠) معرفة الصحة وأنواعها، وأنها لذلك جزء واحد من هذا العلم. وهي في كتب جالينوس منتشرة. ولذلك يكاد أن لا يفهم من جميعها غرض واحد ولا تقرأ على الترتيب الذي ينبغي، أعني الترتيب البرهاني، بل كاد أن يكون ذلك ممتنعا فيها إلا(١١) بحسب ما توجبه الشهرة. كمل كتاب الصحة بحمد لله كثيرا(١٢).

---

(١) ت: عروضها (٢) ت: من نحو (٣) م: الأطباء، (ربما كانت "الناس" وأعيد كتابتها، إذ نقرأ "الأطباء"، أو لعله العكس) (٤) هكذا "يونان" في جميع النسخ (٥) ب: يقال، م: نقول (٦) ب: سقط "أن" (٧) غ: سقط من المتن، وربما صححت فوق السطر (٨) م: الحافظة والغائية (٩) ت: قصدناه (١٠) م: من ضرورة (١١) م: إلا (١٢) غ، ت: سقط "وأنت تعلم...لله كثيرا"؛ م: "كمل كتاب الصحة بحمد الله" ب: "بلغت القراءة والمقابلة والحمد لله كثيرا".

الكتاب الثالث

المــــرض [1]

(١) م، ج: أضيف "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم"؛ ت: أضيفت البسملة فقط؛ ب: بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وسلم تسليما".

[١- تعريف المرض مفهوم من تعريف الصحة]

[١] (*)إن حدَّ المرض مفـهوم مـن حـد الصحـة، إذ كـان مقابلـه[١]. ولما كـانت الصحة هي حال في العضو بها يفعل الفعل الذي له بـالطبع، أو ينفعل الانفعال الذي له، لزم ضرورةً أن يكون المرض حالة في العضو بها يفعل على غير المجرى الطبيعـي أو ينفعل.

[٢] وقد ينبغي أن نفعل أولا في تعرُّف أنواع المرض مـا فعلناه في تعـرف أنـواع الصحة: فنعرف أولا[٢] ما هي هذه الحال وأنواعها، ونعطي[٣] أسباب جميع ذلـك، ثـم نعرِّف بعدُ ما الأفعال التي تكون على غير المجرى الطبيعي، وما الانفعـال وهـو المسـمى عند الأطباء عرضا (=أعراض المرض)، فإنا أيضا متى فعلنا ذلك نكـون قـد أحطنـا علمـا بالأمراض بجميع[٤] الأسباب الأربعة(**) وهي غاية المعرفة بالشيء.

[٣] والوقوف على جميع ذلك، كما قلنا، يكون مما تقدم من معرفـة الصحـة: فإن أنواع المرض مُعَادَّةٌ (= مساوية في العدد) لأنواع الصحة ومفهومة منها. وإن كان يظن أن كثيرا من أنواع الأمراض أعرف من أنواع الصحة، لأن كثيرا من الأمراض لهـا أسمـاء وليس للصحة المقابلة لواحد واحد منها اسم. لكن لا سبيل هنا إلى معرفة الأمراض بيقين إلا بمعرفة مقابلها. ولذلك قيل إن علم الأضداد واحد.

فلنرجع[٥] فنقول:

(*) في جميع النسخ يبتدئ هـذا الكتـاب بـ"فنقـول" ممـا يـدل علـى أن العبـارة الأخـيرة في كتـاب الصحة كانت تقتضي هذا الربط.

(**) الأسباب الأربعة التي هي قوام الشـيء، وهـي المـادة: كالخشـب للكرسـي، والصـورة: شـكله وهيأته. والفاعل: النجار. والغاية: الجلوس. . وبمـا أن الصحـة والمرض يتعلقـان بجسـم الإنسـان، والجسم هو موضوع العلم الطبيعي، فإن معرفة كل منهما تنبني على النظر في الأسباب الأربعـة الـتي يتقوم بها الموجود الطبيعي وفي اللواحق العامة الخاصة بها. وهكذا فالبدن، بـدن المريـض مثـلا، هـو "مادة" أي السبب المادي، وحالة البرء كمـا يتصورهـا الطبيـب هـي "صـورة" أي السـبب الصـوري، وتدخل الطبيب ليساعد الجسم على استعادة الصحة هو السبب الفاعل، وتحقـق البرء هـو السـبب الغائي. واللواحق هي الأعراض الـتي تلحـق هـذه الأسـباب، فمثـلا القـوى الموجـودة في المعـدة لهـا أعراض لاحقة هي أفعال، منها أن فعل الهضم إذا نقص تولد عن ذلك حمضة في الطعـام، والحمضـة سببها البرد، ولذلك يكون هذا العرض لاحقا لها عن سوء مزاج بارد، الخ.

---

(١) ج: مقابلها (٢) ب: أيضا (٣) م: فنعطي (٤) غ، م: لجميع (٥) غ، م، ت، ج: فنرجع.

[٤] لما كانت الحال الصحية في العضو صنفين: إما مزاج وذلك في الأعضاء المتشابهة الأجزاء[١]، وإما تركيب وذلك في الأعضاء الآلية؛ وجب أن نقسم الأمراض أولا إلى هذين القسمين، فنبتدئ نحن فنعرف أولا أمراض الأعضاء المتشابهة الأجزاء، ونعطي أسبابها الفاعلة والمادية، ثم نعرف بعد ذلك أنواع أمراض التركيب ونعطي أيضا أسبابها. فنقول:

[٢- أصناف الأمراض]

[٥] لما كانت الأعضاء المتشابهة الأجزاء، إنما تفعل أو تنفعل على المجرى الطبيعي متى كانت مقادير الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فيها هي مقادير صنف صنف من أصناف الأمزجة[٢] الصحية التي عددت في كتاب الصحة، لزم أن تكون أمراض هذه الأعضاء إنما هو خروجها عن تلك المقادير في كيفية واحدة أو اثنتين مما يمكن أن تتركب[٣]، فتكون أصناف أمراض هذه الأعضاء ثمانية على مذهب جالينوس[٤]: إما حارة وإما باردة وإما رطبة وإما يابسة، وإما حارة رطبة وإما حارة يابسة وإما باردة رطبة وإما باردة يابسة. وهذه الأصناف المركبة فقط هي الأمراض على مذهب المشائين[٥].

[٦] وهذه الأصناف من الأمراض إنما توجد أولا للأعضاء المتشابهة الأجزاء، وثانيا للمركبة[٦] من جهة المتشابهة[٧]؛ وذلك كالحال في المزاجات الصحية. وهذه الأصناف الثمانية منها مادية ومنها غير مادية، إلا أنه يعسر تصور مرض مادي مفرد، بل إنما الأمراض المادية مركبة. وينبغي أن لا تفهم من الكيفيات الأُوَل فقط[٨]، كما يقول جالينوس، بل كل كيفية بها يفعل العضو فعله أو ينفعل انفعاله، كالصلابة واللين[٩] وغير ذلك مما يخص بعض الأعضاء[١٠]؛ لأن كل مرض مادي إنما يضر بالأفعال من قبل مرض غير مادي يحدث في العضو: إما حرارة وإما برودة[١١].

وينبغي أن نصير إلى إعطاء أسبابها، فنقول:

---

(١) غ، ج: سقط "الأجزاء" (٢) ت، ج: الأمزاج (٣) غ، م، ت، ج: يتركب (٤) غ، ت، ج: سقط "على مذهب جالينوس" (٥) ت: "وأربعة على مذهب المشائين وهي الأربعة المركبة" عوض "وهذه الأصناف...مذهب المشائين"؛ غ، م: سقط (٦) غ، ت: للمركب (ينبغي الإشارة إلى أن الفرق المأخوذ به هو من ب و م فقط، أما ج فقد سقطت الكلمة ضمن عبارة أطول ـ انظر هـ ١٣) (٧) ت: المتشابه؛ ج: سقط "الأجزاء وثانيا...المتشابهة" (٨) ت: سقط "فقط" (٩) ت: "مثل الصلابة" عوض "أو ينفعل انفعاله كـ (ج: من) ـالصلابة واللين" (ب: كتب "واللين" فوق السطر وبخط صغير) (١٠) ت، ج: جاءت العبارة "وينبغي أن لا...بعض الأعضاء" بعد "على مذهب المشائين" في آخر الفقرة السابقة؛ غ، م: سقط (في ت جاءت بالفعل بعد "...الأربعة المركبة") (١١) غ: سقط "لأن كل مرض...وإما برودة".

[٧] أما الأمراض المادية فأسبابها[١] هي الأخلاط الأربعة إذا خرجت عن الاعتدال، إما في كيفيتها وإما في كميتها. وسبب خروجها في كيفيتها وكميتها يكون إما من قبل الهيولى، وإما من قبل الفاعل. وذلك أن الأعضاء إنما تكون على أمزجتها الصحية إذا كان ما يصل إليها من الدم موافقا في الكمية والكيفية. وإنما تكون بهذه الحال متى كانت الأعضاء الفاعلة للغذاء على أمزجتها الصحية وكانت الأغذية التي ترد البدن أغذية طبيعية واستعملت بالمقدار الذي ينبغي، وفي الوقت الذي ينبغي، وعلى الترتيب الذي ينبغي، وموافقة الأشياءَ التي من خارج والأحوالَ النفسانية والنومَ واليقظة[٢].

[٨] وأما إذا كانت الأغذية غير طبيعية واستعملت على غير المقدار الذي ينبغي وفي غير الوقت الذي ينبغي أو على غير الترتيب الذي ينبغي[٣]، فإنها ليس تكون فقط أسبابا هيولانية لتولد مثل هذه الأخلاط في البدن، بل وتكسب[٤] الأعضاء الفاعلة للغذاء سوء مزاج حتى يكون تولد الأخلاط الخارجة عن الطبع من جهتين: من قبل[٥] الهيولى والفاعل. وقد تكون الأغذية طبيعية وتستعمل على[٦] المجرى الطبيعي، وتكون الأشياء التي من خارج تكسب الأعضاء الفاعلة سوء مزاج موافق لتوليد[٧] خلط خلط[٨] منها. والأشياء التي من خارج هي مثل الأهوية والمهن وغير ذلك. وقد يجتمع الأمران جميعا وحينئذ أعظم ما[٩] يكون تولد أمثال هذه الأخلاط وخروجها في الكمية والكيفية[١٠]. وقد يكون ذلك من رداءة مزاج أصلي في خلقة الأعضاء الفاعلة للغذاء. وكثيرا ما يكون سبب هذا المزاج الآباء إذا كانت أمزجتهم منحرفة. وبهذه الاستعدادات الأول التي في الخلقة[١١] ترى كثيرا من الناس متشابهين في الخلقة الظاهرة وفي التدبير، ويختلفون فيما يصيبهم من كثرة الأمراض وقلتها وفي طول العمر وقصره.

وإذ قد تبين أسباب حدوث هذه الأخلاط بإطلاق، فينبغي أن ننظر كيف حدوث واحد واحد منها وكم هي الأمراض التي تتولد عنه، فنقول:

[٣-] في أسباب الأمراض الحارة اليابسة المادية

[٩] إن المرض الحار اليابس إنما يحدث متى كانت الأغذية في أمزجتها أحر مما ينبغي وأيبس، أو كانت قليلة أو متباعدة الوقت: فإن الأغذية التي بهذه

---

(١) م: وأسبابها (٢) غ: سقط "وموافقة...واليقظة" (٣) غ، ب، ت: سقط "أو على غير الترتيب الذي ينبغي"؛ م: سقط "وفي غير...الترتيب الذي ينبغي" (٤) ب: وتكتسب (٥) ب: جهة (٦) ب: أضيف "غير" ثم شطب عليها (٧) ب: لتولد (٨) م: سقط "خلط" (٩) ب: يظهر "لما" (١٠) ج: كتب "وقد يكون ذلك من رداءة مزاج الأخلاط وخروجها في الكيفية والكمية" وشطب عليها (١١) ب، ج: وهذه...الخلقة هي السبب في أن.

الصفة، إذا وردت المعدة والكبد استحالت إلى أحر مما ينبغي وأيبس مما ينبغي، مع أنها(=إلى جانب أنها) تكسب[1] المعدة والكبد مثل هذا المزاج، فيكون فعلها ذلك بجهتين.

[١٠] وإذا كان ذلك كذلك، فيكون الدم المتولد عنها أحر وأيبس مما ينبغي، وتكون الصفراء حينئذ أحر مما ينبغي أو أكثر أو كليهما، فيختل لذلك فعل المرارة: إما أنها لا تفي بما تحتاج إليه من جذب الصفراء، وذلك لخروج الصفراء عن المجرى الطبيعي في الكمية أو في الكيفية أو[2] كليهما، فتبقى الصفراء مبثوثة في الدم فلا تزال الأعضاء إذا تغذت بمثل هذا تخرج شيئا فشيئا عن مزاجها الطبيعي إلى الحرارة واليبس، حتى يتولد فيها[3] أمراض كثيرة. وهذا المعنى الذي يلحق من أمر الأغذية يلحق من الأمور التي من خارج إذا أُحِرّت ويُبّست الأعضاء الفاعلة للغذاء.

[١١] والأشياء التي تفعل مثل هذا المزاج من خارج هي الهواء الحار، والرياضة المفرطة، والسهر، والأعراض النفسانية التي تُحرّ الجسم: مثل الغضب والفكر وغير ذلك. وأعظم هذه الأسباب فعلا هو الهواء والمهنة. وقد يفعل ذلك استحصاف (=استحكام،اشتداد) البدن[4]، لأن الحرارة حينئذ تحتقن. وقد يكون ذلك كما قلنا عن مزاج أصلي طبيعي[5].

[١٢] والصفراء غير الطبيعية المتولدة في أبدان المرضى عن هذه الأسباب هي في الأشهر أربعة أنواع:

– أحدها الشبيه بمح البيض. وجالينوس يرى أن هذا الصنف أحر من الطبيعي وأكثر نارية، وذلك أنه إنما غلظ عنده لفعل[6] الحرارة فيه؛ قال[7] ولذلك كان ناري اللون. وأما غيره من الأطباء فإنهم زعموا أن هذا الصنف أقل حرارة؛ قالوا[8] وسبب الغلظ فيه إنما هو مخالطة البلغم له. وهذا إن[9] كان، كما قالوا، فيجب أن يكون هذا الصنف أقل صفرة[10] من الطبيعية، وجالينوس يزعم خلاف ذلك. ويكون مع هذا فيه نيئية ما و[11] لزوجة ما، لمكان البلغم. وسبيل الوقوف على هذا الخلاف يكون بالحس والمشاهدة لهذه الأعراض[12].

– والنوع الثاني نوع أصفر، وتولده يكون عن مخالطة الصفراء الطبيعية للرطوبة المائية. وهذا لا خلاف فيه أنه أقل حرارة من الطبيعي. لكن الأمراض

(١) ت: تكتسب (٢) ب، م، ج: أضيف "في" (٣) م، ت: منها (٤) غ، م، ت، ج: السا (٥) م: سقط "طبيعي" (٦) ب: بفعل (٧) م: سقط "قال" (٨) م: سقط "قالوا" (٩) ب: وإن (١٠) غ، م، ج: حمرة (ج كتب "صفرة" وصححها في الهامش "حمرة" وعليها علامة صح) (١١) غ، ت: سقط "نيئية ما و"؛ ب: "نيوية..."، وسقط "ما" التي بعد "لزوجة" (١٢) ت، ج: أضيف "فيها".

الحادثة عن هذين الصنفين[١] أعني المحي -على رأي من يرى أنه إنما غلط لبلغم خالطه- والأصفر ليس ينبغي أن تعد[٢] في الأمراض الحارة اليابسة البسيطة، بل في المركبة. وأما على رأي جالينوس في المحي فالأمراض[٣] المتولدة عنه هي الغاية في الأمراض الحارة اليابسة البسيطة[٤]. وأظن أن هذه هي التي يسميها جالينوس المرة الحمراء [٥].

- وأما الصنفان الآخران فهما الزنجارية[م] والكراثية[م]. قالوا: وتولد هذين إنما يكون في المعدة. ولا أعلم جالينوس ينسب هذين الصنفين من الأخلاط إلى الصفراء البسيطة، بل قد صرح في كتابه "في القوى الطبيعية" أن سائر ضروب الصفراء إنما تتولد عن مخالطة المحية[٦] لسائر الأخلاط. ومما يشهد أن هذين الصنفين من الصفراء مركب أن تولدهما[٧]، زعموا، إنما يكون في المعدة، وليس المعدة مما شأنها أن تولد صفراء، لا طبيعية ولا غير طبيعية؛ فإن الذي شأنه أن يولد الطبيعية هو الذي شأنه إذا انحرف مزاجه أن يولد صفراء غير طبيعية. وإذا كان ذلك كذلك فهذه الكراثية والزنجارية ليست صفراء إلا باشتراك الاسم. ويشبه أن يكون السبب في تولدها[٨] إنما هي الصفراء الخارجة عن الطبع جدا في الحر واليبس إذا انصبت إلى المعدة ثم خالطها هناك بعض الأخلاط، وبخاصة السوداء، فتعفنت هنالك ضربا من التعفن[٩]، وحدث لها مثل هذا المزاج. ولذلك أمثال هذه الأخلاط في طباع السموم، وبخاصة، زعموا، الزنجارية. والأمراض المتولدة عنها لا يكاد يتخلص منها لأنها لا تجيب إلى النضج ولا تنفعل عن الحرارة الغريزية، بل تضادها بصورتها الطبيعية كما تضادها السموم. وهذه الأخلاط، كما قلنا، إذا تكونت في البدن حدثت عنها أمراض شتى. ومن أكثر ذلك حدوثا وأشهره هي الحميات الصفراوية والأورام الصفراوية.

وينبغي أن نقول كيف تولدُ هذين الجنسين عنها، فنقول:

[٤- الحميات الصفراوية]

[١٣] أما الحميات فيظهر أنها حرارة تعم البدن، مضرة بجميع أفعال الأعضاء وانفعالاتها. فمن حيث إنها مضرة بأفعال الأعضاء وانفعالاتها نرى أنها حرارة غريبة، ومن حيث إن لها أيضا أفعال الحرارة الغريزية، وذلك أنها تنضج الأخلاط ويكون عنها البرء. وبالجملة فليست هي مثل الحرارة الغريبة التي تكون في أبدان الموتى؛ قد نرى

---

(١) ب، ج: أضيف "من الصفراء" (٢) غ، ب، م: يعد (ج: يظهر "تعد"، ت: من دون نقط) (٣) ت: في الأمراض (٤) ت، م: سقط "البسيطة" (٥) غ: سقط "البسيطة وأظن...الحمراء" (٦) غ، م: المحي (٧) ت، ج: مركبان أن تولدهما (ت: تولده) (٨) م: تولدهما (٩) م: التعفين.

أيضا أنها طبيعية. ولذلك الحق من أمرها أنها حرارة طبيعية خالطتها عفونية ما، فاشتدت بذلك[1] كيفيتها. ومن حيث أيضا إن هذه الحرارة تعم جميع البدن وتنتشر فيه، وكان هذا من فعل الحرارة التي في القلب المنبثة[2] في الشرايين إلى جميع البدن، حكمنا أن الموضوع الأقرب لهذه الحرارة هو[3] القلب. وأيضا فلما كانت حرارة القلب هي التي بها تفعل جميع الأعضاء أفعالها، كان الضرر الداخل على جميع أفعالها إنما هو ضرورة من تغير مزاج هذه الحرارة. وإذا كان ذلك كذلك فحد الحمى إذن هو أنها حرارة ممتزجة من الحرارة الطبيعية والحرارة العفونية تنبعث في جميع البدن من القلب فتضر بجميع الأفعال والانفعالات. وإذا حققنا قلنا إن هذه الحرارة هي تغير[4] الحرارة الطبيعية في كيفيتها وكميتها لفعل منها[5] في مادة غير طبيعية[6].

وإذ قد تبين ما هي الحمى بإطلاق. فينبغي أن ننظر في تولد أمثال[7] هذه الحرارة في البدن، فنقول[8]:

[١٤] إن أسبابها هي بعينها أسباب تولد الحرارة الغريبة، لكنها على النصف، وإلا كانت حرارة غريبة محضة. وقد تبين في(المقالة) الرابعة من (كتاب) الآثار (العلوية لأرسطو) ما أسباب تولد الحرارة الغريبة وكيف تولدها. وذلك أنه قيل هنالك إن الفاعل للعفونة سببان[9]: أحدهما فاعل بالذات وعلى القصد الأول، وهي الحرارة التي[10] من خارج. وذلك أن من شأن هذه الحرارة أن تبدد الحار الغريزي، وبخاصة إذا اشتدت كيفيتها كالحال في زمن الحر. فإذا تبدد الحار الغريزي المستولي على الهيولى حدثت هناك في هيولاه حرارة غريبة، وبخاصة متى كانت رطبة: فإن الرطوبة[11] سهلة الانفعال عما من خارج عسرة الانفعال[12] من ذاتها[13]. وأما السبب الفاعل لذلك على القصد[14] الثاني فهي البرودة. وذلك أنه متى غلبت على الحرارة الغريزية أطفأتها فتولدت في هيولاها من[15] الحرارة التي من خارج حرارة غريبة. وبالجملة تبين هنالك أن الموجود الطبيعي[16] إنما ينحفظ بقاؤه مادامت القوى الفاعلة تقهر المنفعلة وتستولي عليها. وأعني بالفاعلة الحرارة والبرودة و[17]بالمنفعلة الرطوبة واليبوسة. وأما إذا ضعفت عن تدبيره، وفعلت فيه القوى التي من خارج، صار في طريق الفساد.

---

(١) ب: عفونة...؛ م: عفونة...لذلك (٢) م: منبثة؛ ت: المنبعثة (٣) ت، ج: "أن هذه الحرارة لا تسمى حمى حتى تصل(ت: تصين) إلى" عوض "أن الموضوع...هو"؛ م: ثبتت العبارة في المتن وحددت بعلامتي تصحيح، وكتب قدامها في السطر "أن الموضوع...هو" (٤) غ، ج: تغيير؛ ت: "إنها اشتداد" عوض "إن هذه...تغير" (٥) م: لفعلها؛ ت: لمكان فعلها (٦) غ: سقط "وإذا حققنا...غير طبيعية" (٧) ت، م: سقط "أمثال" (٨) ج: أضيف "إنه إن قلنا إن هاهنا حرارة غريبة فـ..." (٩) ب: شيئان (١٠) م: سقط "التي" (١١) ج: أضيف "كما قيل هناك" (١٢) ت: سهلة الانتقال...عسيرة الانفصال (فوق "الانتقال" علامة وفي الهامش "الانحصار"، وفوق "الانفصال" "...نحصار") (١٣) م: كتب فوقها "عن الحر الغريزي" (١٤) ب: بالقصد (١٥) ج: عن (١٦) غ، ت: سقط "الطبيعي" (١٧) م: سقط "بالفاعلة...الحرارة و".

[١٥] والأسباب المعينة في بدن الحي على تولد أمثال هذه الحرارة فيه، هي ضرورة الأسباب المعينة على إطفاء الحرارة الغريزية. وذلك إما استعداد الموضوع فقط لتكون الحرارة الغريبة[١]، كالحال في الدم إذا تولدت فيه صفراء خارجة عن الطبع في كميتها وكيفيتها، وإما بكثرة الدم وغلظه ولزوجته، فيبرد الحرارة الغريزية ويطفئها بمنزلة الحطب الكثير الأخضر إذا وضع على النار. والسدد الحادثة عن أمثال هذه الأخلاط مما يعين على ذلك، فإنها تمنع الحرارة الغريزية من أن تتنفس فيعتريها ما يعتري النار التي لا تتنفس، فإنها لا تلبث أن تنطفئ أو تضعف[٢]. وذلك بين من فعل الذين يعالجون عمل الفحم، فإنهم يغطونه بالتراب أن لا تسري النار في جميع أجزائه فيترمد.

وإذ قد تبين ما هي الحمى بإطلاق وما أسباب تولدها فقد يمكننا أن نقف على جهة تولد الحمى الصفراوية فنقول:

[١٦] إن أملك الأسباب في تولد هذه الحمى في أبدان الأحياء يكون لتزيد مزاج الدم في الحرارة واليبس، واستعداده لأن يتولد فيه مثل هذه الحرارة أو استعداد[٣] فضلات الهضم الأخير التي في الأعضاء. وأما الغلظ أو اللزوجة أو السدد فليس تتصور هاهنا، اللهم إلا في الصفراء المحية أو[٤] من جهة الكمية. وينبغي أن تعلم أنه ليس في بدن الحي صفراء محضة على أنها جزء عضو منه، على ما سلف من قولنا، إلا الصفراء الموجودة في المرارة أو ما تدفعها[٥] الطبيعة من الأعضاء أو الدم عند تميزها[٦]. ولذلك ليس يمكن أن يتوهم أن الموضوع لهذه الحميات الصفراوية هي صفراء محضة، بل إنما هو دم ورطوبة الصفراء أكثر أجزائه[٧]، وبذلك أمكن أن تقبل النضج وتصير إلى الحال الطبيعية. فمتى تميزت منه صفراء محضة دفعتها الطباع[٨]. وما أمكن فيه أن يقبل النضج تغذت به الأعضاء. وليس يمكن في الصفراء نضج بتة ولا فيها[٩] جزء تتغذى به الأعضاء أصلا. وإذا لم يكن ذلك في الطبيعية فكم بالحري أن لا[١٠] يكون ذلك في غير الطبيعية، وإنما هذا الرأي من آراء[١١] الأطباء مبني على رأيهم أن هذه الأخلاط الأربعة أسطقساتٌ المتشابهة الأجزاء، وقد بينا الأمر في ذلك في كتاب الصحة.

[١٧] ولما كانت(*) الحرارة الغريبة إنما تتولد في الرطوبة الخارجة عن الطبع، مع ضعف الحرارة الغريزية، لا[١٢] مع زيادتها كما ظن[١٣] جالينوس[١٤]، إذ كانت هي

(١) م: سقط "وذلك...الغريبة" (٢) ج: وتصعد (٣) غ: واستعدادات؛ ج: أو لاستعداد؛ م، ت: واستعداد (٤) م: و (٥) م: تدفعه (٦) غ، م، ت، ج: عندما تميزها (٧) غ، م، ت، ج: أو...أجزائها (٨) ج: الطبيعة (٩) ب: فيه (١٠) غ، ت: سقط "لا"؛ ب، ج: هكذا "بالحرا..." (١١) ت: في رأي؛ ب: سقط "آراء" (١٢) ب: أضيف "أنه" (١٣) م: قال؛ ب، ج: أضيف "ذلك" (١٤) غ: سقط "الخارجة عن الطبع...ظن جالينوس".

(*) جواب "لما كانت" سيأتي بعد. أنظر هامش (*) في الصفحة الموالية.

أسرع إلى التعفن[١]، {[٥]إن قلنا إن كل حرارة غريبة عفونية فإن فيه نظر، وذلك أن كل حرارة غريبة فإنها تتولد عند أرسطو أولا وبالذات إما عن الحر وإما عن البرد، فإذا ضعفت الحرارة الطبيعية من البرد غلبت الرطوبة، فتعجز الحرارة الغريزية أن تستولي على الرطوبة فيعرض العفن إذ كانت غير منحصرة من ذاتها[٢] بل من غيرها، وأما إذا كان سبب الحرارة الغريبة الحر فإن الذي يعرض هو الشيّ والاحتراق لا العفونة، فلذلك ليس يلزم ضرورة[٣] أن تكون كل حرارة غريبة عفونية ولا كل حمى، وبخاصة المحرقة؛ فإن كانت هذه الحرارة الغريبة في المواضع التي فيها الهضم، أعني في[٤] فضلاتها، نضج وطبخ من الأغذية، وصار جزء عضو بالفعل، إذا اجتمعت هنالك فضلات خارجة عن الطبع حارة[٥] منسوبة إلى الصفراء، إما في الكيفية أو الكمية أو كليهما}، **وكانت** الرطوبة[٦] الصفراوية في البدن إنما توجد في مواضع الهضم[٧]، **وكانت** أعظم هذه المواضع إما الموضع الذي فيه الهضم الثاني وهو[٨] الكبد والعروق، وإما موضع[٩] الهضم الثالث وهي التي في الأعضاء أنفسها، ولا يبعد أن يكون أمثال هذه الفضول في الهضم الأول[١٠]، **كانت هذه**[٥] الحميات صنفين: صنف يكون في العروق وصنف يكون في الأعضاء أنفسها[١١]، أعني في مواضع الهضم منها لا في أنفسها، وسنبين في كتاب العلامات الفصول[١٢] التي ينفصل بها هذان الصنفان من الحمى.

[١٨] وهذه الحميات يلفى لها فصول[١٣] أُخَر أيضا من قبل الأخلاط الصفراوية[١٤] التي هي أسباب تولدها. وذلك أن منها ما ينسب إلى الصفراء الخالصة وهي التي تعرف بالغب[م] الخالصة، ومنها ما ينسب إلى الصفراء غير الخالصة وستأتي العلامات التي ينفصل بها بعضها من بعض[١٥].

---

(١) غ، م، ت، ج: العفن (٥) العبارات التي بين الحاصرتين{...} أضيفت في ب، دون مراعاة الربط. أما وجواب "لما كانت"، في أول الفقرة، فهو "كانت هذه" الآتية بعد. غ، م، ت: جاءت العبارة "أسرع إلى التعفن من جهة أن الرطوبة تفوت (غ: تقرب) الحرارة الغريزية أن تستولي عليها إذ كانت غير(م: سقط "غير") منحصرة في ذاتها" عوض العبارة الطويلة التي أثبتنا في المتن " أسرع إلى التعفن إن قلنا إن كل حرارة...أو كليهما" (شطب م على العبارة وواصل التشطيب إلى "...توجد في مواضع"، وهناك هامش طويل بعد "التعفن" ("العفن" في م) يصعب قراءته) (في ب أضيفت العبارة التالية وشطب عليها: "وكانت أعظم إذ كانت هي أسرع إلى التعفن من جهة أن الرطوبة تفوت الحرارة الغريزية أن تستولي عليها إذ كانت غير منحصرة في ذاتها")؛ ت: إشارة إلى الهامش بعد "العفن" لكن يظهر في طرف الورقة أثر تمزيق (٢) ج: بذاتها (٣) ج: سقط "ضرورة" (٤) ج: سقط "في" (٥) ب: سقط "حارة" (٦) غ: الرطوبات (٧) ج: سقط "وكانت الرطوبة...مواضع الهضم" (٨) ت: "الذي فيه الهضم أما" عوض "أما الموضع...وهو" (٩) غ، ب، ت، ج: مواضع (١٠) غ، ت: سقط "ولا يبعد أن يكون أمثال هذه الفضول في الهضم الأول"(١١) م: جاءت العبارة بعد "...يكون في الأعضاء أنفسها" قبل "أعني في..." (١٢) ت: يظهر "الفضول" (١٣) م: يظهر "فضول" (١٤) م، ج: "اختلاف الاختلاط" عوض "الأخلاط"؛غ، م، ت : سقط "الصفراوية" (١٥) غ، ت: سقط "وذلك أن منها...بعضها من بعض".

وإذ قد تبين ما هي هذه الحميات الصفراوية وكم أنواعها فينبغي أن نقول في الأورام الصفراوية.

[٥- الأورام الصفراوية]

[١٩] والورم بالجملة إنما يحدث عن مثل هذه الأخلاط[١] في عضو عضو على أحد وجهين:

- إما أن يندفع إلى ذلك العضو من ذلك الخلط ما لا يفي[٢] ذلك العضو بهضمه، حتى يعرض لذلك العضو أن يتزيد في أقطاره، ولذلك يظن بالورم أنه مركب من أمراض المتشابهة الأجزاء[٣] والآلية على ما سيظهر بعد. وسبب اندفاع هذا الخلط يكون لوفور القوة الدافعة في العضو الدافع وضعفها في المندفع إليه، وقد يعين[٤] على ذلك سعة المجاري والوضع: مثل أن يكون العضو الدافع فوق[٥] المندفع إليه، وبخاصة متى كان الخلط أرضيا غليظا، فإذا اندفع هذا الخلط إلى عضو انغمرت[٦] هنالك الحرارة الغريزية وتولدت حرارة غريبة إن[٧] لم يكن الخلط في غاية اليبوسة، فإن[٨] كان الورم في عضو رئيس اتصلت تلك الحرارة الغريبة بالقلب، وكانت الحمى، وإن كان في عضو غير رئيس لم تكن حمى.

- وأما الوجه الثاني من تكون هذه الأورام فإنه يكون متى ضعف العضو عن هضم ما يصل إليه من الغذاء، إما لخروجه في الكمية وإما في الكيفية[٩]، ولم يقدر على دفعه: فإنه إذا كانت حال العضو مع ما يصل إليه هذه الحال لم تزل المادة تكثر في ذلك العضو حتى يعظم في أقطاره وتنطفئ حرارته، فتحدث هنالك حرارة عفونية.

[٢٠] والأورام الصفراوية، أعني التي الغالب عليها خلط صفراوي، والحادثة على هذا الوجه ضربان:

- الضرب المسمى حمرة، وهذا يظهر من أمره أن فيه خلطا دمويا صالحا لمكان الحمرة الظاهرة فيه، وليس يحدث منه في العضو كبير تزيد.

- والضرب الآخر المسمى نملة. وهذا الخلط الصفراوي فيه أكثر تمييزا[١٠]، ولذلك صار يقرح الأعضاء ويأكلها. وهذه منها ما يكون التآكل الحادث عنه في الجلد فقط، ومنها ما يكون في نفس الأعضاء[١١]، وهذا أشر[١٢] الصنفين. وربما استكن هذا الخلط في

---

(١) ب: أضيف "الصفراوية" وعليها علامة تصحيح (٢) ت: يظهر "يفنى" (٣) غ، م، ج: سقط "الأجزاء" (٤) ت: هكذا "تعينّ" (٥) ب: "قبل" وعليها علامة ولا يظهر هامش (٦) غ، م، ج: فانغمرت؛ ت: ما انغمرت (٧) غ: سقط "إن" (٨) ت: وإن (٩) غ، م، ت، ج: الكيفية، أو الكمية (١٠) م: "وهو...فيه تميزا" وكتب "تزيدا" فوق "تميزا"؛ غ، ت: تميزا (١١) ج: أضيف "فقط" (١٢) م: وهو أشد.

تجويف عضو فأضر بفعله مثل المعدة والأمعاء، على ما سنبين بعد[١]، من غير أن يورمه.

[٦-] القول في الأمراض الباردة الرطبة المادية

[٢١] وحدوث هذه الأمراض إنما يكون ضرورة عن خروج الخلط[٢] البلغمي في الكمية والكيفية، وأسباب خروج[٣] هذا الخلط في بدن الحيوان هي بعينها أضداد أسباب خروج المرة الصفراء. وأنت فقد يمكنك أن تفهم المقابل من مقابله. وأشهر الأمراض المتولدة عنه هي الحميات البلغمية والأورام البلغمية، إلا أن الذي يعين على تولد هذه الحمى، أكثر ذلك في بدن الحي[٤] من هذا الخلط[٥]، هي السدد الحادثة عن غلظه ولزوجته. وبالجملة إنما تحدث العفونة فيه من حيث تطفئ الحرارة الغريزية، كالحال فيما يلقى على النار من الحطب الأخضر. والحمى، أيضا، المتولدة عن هذا الخلط تكون في العروق[٦] وفي موضع الهضم الثالث[٧].

[٢٢] وهذا الخلط، الخارج عن الطبع في كيفيته، أربعة أصناف: (١) إما مالح وهو أيبس من (٢) الطبيعي الذي هو حلو، فإن الملوحة إنما تتولد عن جوهر أرضي محترق تخالطه رطوبة ما[٨] على ما يشاهد من تكون الأملاح. (٣) وإما حامض، وهذا مع أنه يابس هو بارد، فإن الحمضة إنما تكون عن[٩] البرودة. ولذلك ما ترى الفواكه تحمض أولا، ثم تحلى ثم تطيب. (٤) وأما الصنف المعروف بالزجاجي، فهذا هو أردأ أصنافه، إذ كان فيه مع البرد غلظ مفرط. وأصناف الحميات المتولدة من البلغم تختلف بحسب هذا الاختلاف[١٠]، لكن أصناف البلغم أكثر إمكانا فيها قبول النضج من الصفراء. وإنما صارت حمياتها أشد خطرا من حميات الصفراء لغلظ هذا الخلط[١١] وتسديده[١٢]، وأن العفونة لا تكاد تنفك منه لرطوبته إلا زمانا يسيرا على ما سيقال بعد.

[٢٣] وأما الأورام البلغمية فمنها ما يحدث عن بلغم رقيق، وربما كان ريحيا أكثره، كالذي يكون في أطراف المستسقين ومنها ما يحدث عن بلغم غليظ مثل الأورام المسماة خنازير، وهي أورام تحدث إما في اللحم الرخو الذي[١٣] في العنق أو في الأربيتين[م] أو في الإباط أو في المادة المحتقنة في هذه الأورام كأن لها غشاء خاصا. ومنها

---

(١) م: سقط "بعد" (٢) ت: البدن (٣) م: حدوث (٤) م: "الحميات البلغمية والأورام البلغمية" عوض "الحمى...الحي" (٥) ب: هذه الأخلاط (٦) ب: إشارة إلى الهامش لكن لا يظهر إلا قليل منه وغير مقروء؛ ت، ج: أضيف "أي في الهضم الثاني" (٧) م، ج: أضيف "وفي المعدة" (٨) ج: سقط "ما" (٩) م: كتب "من" فوق "عن" (١٠) ب: يظهر "الاختلاط" (١١) ت: الجوهر (١٢) م، ت: "وتبريده" وصحح في الهامش "وتسديده" (١٣) م: أضيف "يكون".

العقد الغددية وهـي أورام في مقدار البندقة أو الجوزة تحدث في المواضع من اللحم. وقريب من هذا الجنس هي الثآليل[١]، وكأنها مسامير العقد الغددية. ومن الأورام الرديئة المنسوبة إلى غلظ الأخلاط الخارجة عن الطبع الأورام[٢] المسماة دبيلات، وهذه الأورام توجد[٣] محتوية على مادة شبيهة بالحمأة أو الزبل أو عكر الزيت أو الطين أو الفحم. وهذه الأورام أكثر ذلك إنما هي مركبة من الخلطين الأسود والبلغم.

[٢٤] ومن الأورام المنسوبة إلى البلغم جنس الأورام المسماة سلعا[م]، وهي زعموا أصناف أربعة الشحمية والعسلية[٤] والأزدهالجية[م] والشيرازية: فالشحمية تتولد من بلغم غليظ، والعسلية تكون عن بلغم عفن وتحتوي على مادة شبيهة بالعسل، والأزدهالجية والشيرازية تحدث عن بلغم مثل البلغم[٥] الذي تحدث عنه العسلية. وإنما سميت بهذه الأسماء من الشبه الذي بين هذه المواد التي تلفى فيها[٦] وبين ما اشتقت لها منها هذه الأسماء[٧]. والأزدهالج[٨] هو الحسو المتخذ[٩] من الدقيق، والدبيلات هي أيضا منسوبة إلى هذا الخلط. وقد يحدث عن هذا[١٠] البلغم أمراض كثيرة سنخبر بها عند تصنيفنا الأعراض التي تلفى لأفعال[١١] الأعضاء وانفعالاتها[١٢].

[٧-] في الأمراض الباردة اليابسة المادية

[٢٥] وهذه الأمراض إنما تتولد عن الأخلاط السوداوية إذا خرجت عن الطبع[١٣] في كميتها أو كيفيتها أو كليهما. والأشياء المخرجة لهذه الأخلاط هي، كما قلنا غير ما مرة، إما المواد الشبيهة بها وهي الأغذية الباردة اليابسة أو الحارة اليابسة[١٤]، وإما[١٥] خروج أمزجة الأعضاء الفاعلة للغذاء إلى البرد واليبس أو الحر المفرط واليبس. وخروج أمزجة الأعضاء يكون من الأشياء التي من خارج كالهواء والمهن وقد يجتمع الأمران جميعا. وقد يكون ذلك شيئا في أصل الخلقة، ولا سيما في كثير من العلل التي تتولد عن هذا الخلط، كالجذام وغير ذلك. وأكثر ما يعتري ذلك على جهة الإرث عن الآباء. فمثل هذه إذا كثرت في البدن لم يف الطحال بجذبها، وذلك لخروجها إما في الكمية وإما في الكيفية أو كليهما، فتشيع في الدم فلا تزال الأعضاء تتغذى بها حتى تحدث عن ذلك أمراض صعبة عسيرة البرء؛ فإن هذا الخلط أشد شيء منافرة للطباع.

---

(١) م: يظهر "التآنيل"؛ غ، ت: الثواليل (٢) م: سقط "الأورام" (٣) ج: هكذا "توخد" (٤) م: سقط "والعسلية" (٥) م: سقط "البلغم" (٦) غ، م، ت: الذي يلفى لها(ت: بها)؛ ج: ...بها (٧) ت: الأشياء (٨) غ، ت: الأزدهالجية، (ت: صحح في الهامش "الأزدهالج") (٩) غ، ت: "الذي يعمل" عوض "المتخذ" (١٠) غ، م، ت، ج: سقط "هذا" (١١) غ: ...أفعال؛ م، ت: الذي يلفى لها أفعال (ت: لأفعال) (١٢) ب: أو انفعالها (١٣) م: سقط "عن الطبع" (١٤) غ: سقط "أو الحارة اليابسة" (١٥) ب: هكذا "وأما".

[٢٦] والسوداء غير الطبيعية في الكيفية صنفان: صنف يتولد عن احتراق المرة السوداء الطبيعية، وصنف يتولد عن احتراق الصفراء الخارجة عن الطبع. وهذان الصنفان فاعلهما حرارة ويبس، وهما في طباعهما باردان قد خالطتهما حرارة غريبة جدا، خارجة عن الطبع. ويدل على هذا المزاج منهما[١] الحمضة الموجودة فيهما، وأنهما إذا صبا على الأرض أحدثا نفاخات وغليانا، كما يغلي الخل. وكلا هذين الصنفين أكال للأعضاء، مقرح لها، وبخاصة الذي يكون عن احتراق الصفراء.

[٢٧] والأمراض الحادثة عن مثل هذه الأخلاط، منها حميات ومنها أورام. والحميات المتولدة عنها[٢] منها ما هي في مواضع الهضم الثاني وهي العروق، ومنها ما هي[٣] في الأعضاء أنفسها أعني في مواضع الهضم الثالث منها[٤]. وأسبابُ تولد هذه الحميات من هذه الأخلاط هي بعينها أسباب تولد سائر الحميات، ويعين على هذه الأشياء انسداد[٥] المسام وغلظ الخلط وعسر نضج. وأما الأورام الحادثة عنها فمثل الورم المسمى سفيروس[م][٦]، وهو يتولد[٧] عن الخلط السوداوي الطبيعي، ومنها الورم المسمى سرطانا. وهذا الورم صنفان: منه ما يكون بغير تآكل، وحدوث هذا عن السوداء الطبيعية؛ ومنه ما يكون معه[٨] تآكل، وحدوث هذا يكون عن السوداء غير الطبيعية. وربما انتشر هذا الخلط في جميع الأعضاء فحدث عنه المرض المسمى جذاما[م]. ولذلك قيل في الجذام إنه سرطان عام. وهذا أيضا نوعان: منه ما لا يكون معه تآكل، ومنه ما يكون معه تآكل، وهو[٩] المتولد عن السوداء الخارجة عن الطبع.

[٨-] في الأمراض الحارة الرطبة المادية[١٠]

[٢٨] وهذه الأمراض إنما تحدث عن خروج الدم عن الطباع[١١]: إما في كميته وإما في كيفيته[١٢]، لكن خروجا قليلا: لأنه متى خرج خروجا كثيرا نسب ذلك المرض إلى طبيعة الخلط الذي خرج إليه، لأنه إذا استحر أكثر مما ينبغي فإنما يكون ذلك لمكان ظهور[١٣] الخلط الصفراوي فيه ووفوره. ولذلك ينسب حينئذ ذلك المرض إلى ذلك الخلط. وكذلك إن برد جدا و رَطب نُسِب إلى البلغم.

[٢٩] وينبغي أن تعلم، كما قلنا، أن هذه الأمراض البسيطة ليست موجودة عن هذه الأخلاط صرفا، وبخاصة ما كان منها لا يجيب إلى النضج ولا يقبله. ومهما قربت

(١) ب، م، ت: منها (٢) ت: سقط "عنها" (٣) غ، م، ت، ج: سقط "ما هي" (٤) غ، ج: سقط "الثالث..."؛ ت: سقط "الثالث منها" (٥) ب: أضيف "المجاري و" (٦) ت: سقيروس (٧) م: "الورم" عوض "يتولد" (٨) غ، م: منه...منها...منها...؛ ب: منه...منه...منها...معها؛ت: منه... (٩) ت: وهذا (١٠) ت، ج: أضيف "المادية" (١١) غ، ت: سقط "عن الطباع"؛ ب، ج: الطبع (١٢) م: كمية...كيفية (١٣) م: "لظهور" عوض "لمكان ظهور"؛ ت : "لظهور" عوض "ذلك لمكان ظهور".

الأمراض من أن توجد عنها صرفا قتلت ضرورة[١] وبخاصة السوداوية والصفراوية، إذ كانت هذه من شأنها أن لا تقبل النضج. وإنما معنى البساطة هاهنا فيها نسبتها إلى الخلط الأغلب، كما أن معنى التركيب فيها إنما هو[٢] نسبتها إلى ظهور خلطين من هذه الأخلاط أو أكثر من ذلك فيها. والأمراض المتولدة عن الدم هي أيضا في الأكثر حميات وأورام. والحميات المتولدة عنه صنفان[٣]: إما حميات حادثة من قبل تزيده في الكمية فقط، فإنه إذا تزيدت كميته جدا انسدت المسام وكثرت الحرارة فأصابت منه هذا النوع من الحمى. وليس في هذه الحمى في أول حدوثها حرارة عفونية، لكن إن تروخي في علاجها حدثت فيها ضرورة. وهذا الصنف من الحميات كأنه متوسط بين الحمى العفونية وحمى يوم، المتولدة في الأرواح. والصنف الآخر من هذه الحميات هي التي تكون مع عفونة ما، وهذا النوع من الحميات أعني الدموية إنما تكون في العروق فقط، إذ كان ليس في البدن دم إلا محمول في العروق، وجميعها تسمى مطبقة من قبل أن ليس لها نوائب. وأما الأورام الحادثة عن هذا الخلط فمنها الورم المسمى فلغموني[٤]، وحدوث هذا الورم إنما يكون عن خروج هذا الخلط في الكمية أكثر ذلك. وقد يعين على حدوثه[٤] الأسباب التي من خارج بمنزلة الرض والقطع وحرق النار وغير ذلك. وهذا الورم يختلف بقدر غوره في الجسم وقلة غوره. وأخفه ما كان قليل الغور. وأما إذا كان الدم المنصب إلى العضو قد خرج في كيفيته خروجا يسيرا فإنه يحدث الورم المسمى حمرة خالصة. وإنما سميت بذلك لأن هاهنا حمرات[٥] تحدث عن اختلاط الدم بالمرة الصفراء المحترقة[٦]، وهو أشد أصنافها خطرا.

[٣٠] والأورام بالجملة ينبغي أن يعلم من أمرها أنها تختلف من جهة الأعضاء الحادثة فيها، وأنها متى حدثت في عضو رئيس يتبعها ضرورة مرض آخر وهو الحمى. والحميات التي تكون عن الأورام الفلغمونية عظام جدا. وربما حدثت أورام فلغمونية عظام جدا في الإباط أو في الأربيتين أو خلف الأذن[٧]، فدلت على عفن عظيم في الدم، وبخاصة ما كان منها في الإباط. لأن فضول القلب هنالك تندفع[٨]. ولذلك تسمى مثل هذه الأورام طواعن. وربما حدثت في هذه المواضع أورام عن ضربات تكون في أطراف الجسم، أو أورام[٩] في غيرها من المواضع. وهذه فلا خطر فيها لأن هذه الأماكن لما أعدتها الطبيعة مغيضا للفضول، وكانت رخوة جدا، صار متى اعتل عضو في البدن دفع

---

(١) ب: سقط "ضرورة" (٢) م: أضيف "أيضا" (٣) ت: سقط "صنفان" (٤) ت: حدوث (٥) غ، م: هكذا "جمرة...جمرات" (٦) م: المحرقة (٧) غ، م: الأذنين (٨) ت: "تندفع إليها" عوض "هنالك تندفع" (٩) ت: سقط "أورام".

إليها بقدر طاقته، فترمُ(=ورم يرم) هي لأدنى ورم يكون في الأطراف أو ما يجاورها[١]، لأن في كل عضو[٢] كماً قيل قوة دافعة.

[٣١] والجدري[م] والحصبة[م] من الأمراض[٣] الدموية. وهذان النوعان من الأمراض لما كانا يصيبان جميع الناس في وقت النشء لم يكن يمكن أن يظن أن سبب ذلك هي الأغذية، وبالجملة الأشياء التي من خارج: إذ الأمراض المتولدة عن هذه ليس تصيب جميع الناس. وهذا المرض كأنه شيء طبيعي، أي لاحق ولابد؛ فجعلوا سبب ذلك التغيير[٤] ما يكون من المادة الرديئة المحمولة في الدم الذي يغتذي به الجنين في زمان الحمل. وهذا المرض يكون معه ضرورة حمى دموية، وربما كان هذا المرض قتالا إذا كان[٥] الدم المتولد عنه دما فاسدا جدا.

[-٩] القول في الأمراض المركبة المادية

[٣٢] وينبغي أن تعلم أنه قليلا ما توجد هذه الأمراض التي وصفناها عن الأخلاط في الغاية من البساطة التي وصفناها وجعلناها أسبابا لمرض مرض من الأمراض المتولدة عن خلط خلط، بل إنما تلفى أكثر ذلك[٦] مركبة من أكثر من خلط واحد من هذه الأخلاط. وتركيبها يكون: أما في الأورام فعلى جهة المزاج وأما في الحميات فقد يكون على جهة المزاج وقد يكون على جهة التجاور[٧]، مثل أن يتفق أن يكون بإنسان واحد حمى صفراوية في مكان من جسمه، وحمى بلغمية في موضع آخر. ويتفق أن تكون نوبتهما[٨] واحدة . والمختلطة: منها ما هي محضة الاختلاط، ومنها ما هو أولى أن يسمى تركيبا منه اختلاطا، وإذا كان ذلك كذلك اشتركت في العلامات والخواص التي تخص البسائط.

[٣٣] وهذا الامتزاج والتركيب في الأخلاط يحدث أنواعا كثيرة من الاختلاط يكاد تكون غير متناهية. ولما كانت الحمى يلفى فيها هذان الصنفان من التركيب أمكن أن توجد حميات مختلطة، ليس من نوعين فقط من الأخلاط، بل من نوع واحد. وذلك إذا كانت في موضعين من البدن مختلفين. وأشهر الحميات المركبة هي الحمى[٩] المعروفة بشطر الغب[م]، وهي أصناف. وهي بالجملة إنما تتولد عن البلغم والصفراء: فمنها ما يتركب عن[١٠] حمى بلغمية[م] في العروق وصفراوية[م] في موضع الهضم الأخير، ومنها ما

---

(١) غ، م، ج: يجاوزها (في طبعة الجزائر ورد "يجاوزها" ولم يشر إلى فرق، أما في ب و ت فقد جاءت الكلمة بلا نقط، ولعل الصحيح "يجاورها") (٢) ب، م: أضيف "كان" (٣) غ، م: "الأورام" (م: في المتن "الأمراض" وفي الهامش "الأورام") (٤) م، ت، ج: التغير (٥) ت، ج: "إذ" عوض "إذا كان" (٦) ج: سقط "ذلك" (٧) غ، م: التجاوز (٨) ت: نوبتها (٩) م: الحميات (١٠) غ، ب، ت، ج: من.

يتركب عن[١] صفراوية داخل العروق، وبلغمية في موضع[٢] الهضم الأخير. ومنها ما يتركب من[٣] بلغمية وصفراوية في موضع واحد، وذلك إما في العروق وإما في موضع الهضم الأخير[٤].

[٣٤] والحميات تختلف بقدر[٥] الكمية والكيفية، مثل الحميات التي تسمى محرقة[م]، ومثل الحمى البلغمية التي يكون فيها الحر والبرد معا في باطن الجوف، وهي المتولدة عن البلغم الزجاجي. ومثل الحمى البلغمية أيضا، التي يجد صاحبها حرارة شديدة[٦] في باطن جوفه، وملمسه فاتر. وربما كان ظاهر البدن فيه برد شديد. وهذه تسمى الزمهريرية.

[٣٥] فهذه هي أشهر الأمراض المتولدة عن الأخلاط الأربع. ولجميع هذه الأمراض أوقات أربعة: ابتداء وتزيد وانتهاء وانحطاط. أما زمان الابتداء فهو الزمان الذي يظهر فيه[٧] المرض بالفعل من غير أن يبدو للطبيعة فيه فعل ما[٨]، فإذا ابتدأ الخلط ينضج وظهر فعل الطبيعة فيه فهو زمان التزيد. وإنما سمي زمان التزيد لأن الأعراض فيه تشتد. فإذا انتهى النضج فهو زمان الانتهاء، وهو أشد وقت تظهر فيه المقاومة بين المرض[٩] والخلط[١٠]. فإذا استولت الطبيعة على الخلط وقهرته سمي زمان الانحطاط.

[٣٦] ومن الأمراض ما يتحلل الخلط فيها من غير استفراغ محسوس، حتى تكون الصحة. ومنها ما تتحلل فيه القوى شيئا شيئا حتى يؤول ذلك إلى الموت. ومنها ما تكون الصحة أو الموت فيها باستفراغ محسوس[١١] من الطبيعة، وحركة عنيفة في زمان قصير[١٢] وهو المسمى بحرانا[م]. والذي تكون الصحة به نوعان: أحدهما أن يكون ذلك الاستفراغ يقع فيه[١٣] برء تام، والثاني أن تبقى بعدُ من[١٤] المرض بقيةٌ حتى تتحلل ويقع البرء. وكذلك يوجد هذان النوعان في البحران الرديء، أعني أن منه ما يقع فيه الموت دفعة، ومنه ما يؤول الأمر فيه بعدُ إلى الموت، والبحارين إنما توجد في الأكثر في الأمراض الحادة، وهي الأمراض التي يكون انقضاؤها في زمن يسير[١٥]. ولما كانت البحارين إنما تكون بعد نضج ما، وذلك إما تام كما يكون في البحارين المحمودة وإما غير تام، وكان النضج إنما يتم في زمان ما، طوله على مقدار نسبة الفاعل إلى القابل،

---

(١) ب: "تكون عن حمى" عوض "يتركب عن" (٢) ب: ...مواضع؛ ج : مواضع...مواضع (٣) ت: عن (٤) ج: سقط "ومنها ما يتركب عن بلغمية...الهضم الأخير"(٥) ت: بحسب (٦) م: سقط "شديدة"(٧) ب: منه(٨) م، ت، ج: سقط "ما" (٩) ج: الطبيعة (١٠) م: كتب في الهامش "والطبيعة" وعليها علامة خ (١١) ج: يظهر "ومحسوس" (١٢) غ، م: سقط "وحركة...قصير"؛ ج: سقط "في زمان قصير"(١٣) ج: به (١٤) غ: سقط "من" (١٥) ب: قصير.

فإنه ليس في أي زمان اتفق ينفعل أي منفعل اتفق عن أي فاعل اتفق[١]، بل لكل منفعل زمان خاص، بإضافة نسبة الفاعل إلى المنفعل. وذلك ظاهر في الأمور الصناعية، فإن مقادير أزمنة النضج في الأشياء التي تعالج بالمهنة مختلفة.

[٣٧] ولما كان ذلك كذلك، وطال إحساس الأطباء للأمراض[٢]، وقفوا منها على الأزمنة التي يكون فيها النضج، إما محمودا وإما مذموما، وهي الأيام التي تسمى أيام البحران[٣]. إلا أنه لما كان النضج[٤] المحمود فعلا تاما من الطبيعة كان زمانه في الأكثر محدودا[٥]. وأما النضج الذي هو غير تام فله عرض. فلذلك ليس صدق البحارين غير المحمودة كصدق البحارين المحمودة في الإنذارات الدالة عليها. وقد رأى قوم أن سبب كون هذه البحارين تجري على نظام وترتيب هو القمر. وأنت فينبغي لك أن تعلم أنه وإن كان سببا فإنما هو سبب بعيد. والسبب القريب في ذلك هو ما وصفناه.

[٣٨] والموت يكون في الأزمنة الأربعة، فقد يكون في الابتداء وذلك لغلبة الأخلاط الحرارة[٦] الغريزية وإطفائها دفعة واحدة، إما بكميتها وإما بكيفيتها وإما بكليهما، وقد يكون أيضا في التزيد وفي الانتهاء وفي الانحطاط. ومعنى الانحطاط في الأمراض التي يكون فيها الموت إنما هو من ضعف القوة، لا من ضعف المرض، كالحال في الانحطاط الذي يؤول بصاحبه إلى الصحة، فإن الانحطاط هاهنا إنما هو باستيلاء القوة على المرض. وهذا المقدار من القول في الأمراض المادية وإعطاء أسباب[٧] تكونها كاف بحسب غرضنا في الإيجاز. وينبغي أن نقول في الأصناف[٨] غير المادية.

[١٠-] القول في الأمراض غير المادية

[٣٩] وهذه الأمراض لما لم تكن أسبابها الأخلاط كانت موضوعاتها ضرورة هي إما الأعضاء وإما الأرواح، وكان فاعلها أحد أمرين: إما الأشياء التي من خارج وإما الأمراض المادية. ونحن نعدد من ذلك أشهره.

- **في المرض الحار اليابس:**

[٤٠] والأمراض الحارة اليابسة منها ما يكون في الروح الذي في القلب فقط، وهذا المرض هو المسمى بحمى يوم[٩]. وإنما سمي بذلك لقلة لبثه. وأسباب هذا النوع من الحميات هي الأشياء التي من خارج، وهي بالجملة منحصرة في أربعة أجناس: أحدها

(١) غ، م، ت: سقط "اتفق" (٢) ج: للمرض (٣) غ: هكذا "الحبران" (٤) ت: شطب على "النضج" وصحح في الهامش "للنضج" (٥) م، ج: محمودا (٦) ت: للحرارة (٧) ج: سبب (٨) م، ت: كتب "الأمراض" فوق السطر (ت: ...مراض).

الأشياء التي تلقى[١] ظاهر البدن[٢] من خارج؛ وهذه أقسام، منها بالذات ومنها بالعرض. والذي بالذات منه بالقوة ومنه بالفعل. أما الذي بالذات و[٣] بالفعل فمثل لقاء النار والشمس. وبالجملة الأشياء الحارة بالفعل من خارج. وأما الذي بالقوة فمثل الاستحمام بماء فيه أدوية حارة بالقوة بمنزلة ماء الكبريت وغير ذلك. وأما التي بالعرض فما يكثف المسام حتى تشتعل الحرارة داخل الجسم، كالاستحمام بماء الشب وغير ذلك. والجنس الثاني الأشياء التي ترد باطن البدن بمنزلة الأغذية الحارة والأشربة الحارة. والثالث الحركة المفرطة، إما للبدن بمنزلة الرياضة الشاقة وإما للنفس بمنزلة الغضب والهم والأرق. والرابع الأمراض التي تعرض في ظاهر الأعضاء من الأسباب التي من خارج مثل الأورام التي في الأربيتين[م] وفي الإباط، بسبب قروح في اليد أو في الرجل.

[٤١] ومن هذه الأمراض الحميات المسميات بحمى الدق[م]. وهذه الحمى هي حرارة غريبة قد تمكنت في الأعضاء أنفسها حتى عاقتها عن أفعالها الطبيعية. ولها عرَضَ ثلاث مراتب تختلف فيها أعراضها بالأقل والأكثر[٤]: فأخفها هي التي تشبثت الحرارة الغريبة[٥] فيها بالرطوبات الطبيعية التي في العروق الصغار أنفسها، ثم يتلو هذا أن تكون الحرارة[٦] في الرطوبات التي في اللحم نفسه الذي يمكن أن يعود بدل ما تحلل منها بالغذاء، ثم يلي هذه، وهو أشدها[٧]، أن تكون الحرارة في الرطوبات الأصلية التي في الأعضاء، وهي التي ليس يمكن أن يخلف الغذاء[٨] ما تحلل منها، بل مقادير أعمار الناس الطبيعية، إنما هي بقدر وفور هذه الرطوبة في شخص شخص. وحدوث هذا الصنف الأول من الحميات يكون في الأكثر عن حمى يوم. وأما الصنفان الأرديان فحدوثهما إنما يكون في الأكثر عن الحميات الخلطية.

- [في الأمراض الباردة اليابسة]

[٤٢] وأما الأمراض الباردة اليابسة فمنها المرض المسمى شيخوخة، وهو استيلاء البرد واليبس على الأعضاء. وذلك أنه لما كان فاعل الحياة إنما هو الحرارة والرطوبة كان هذا المرض لازما للشيوخ ضرورة، لكن إنما سمي مرضا، أكثر ذلك، إذا عرض لمن هو في غير سن الشيوخ. وأما مرض حار رطب في غير مادة، فيعسر وجوده. وكذلك بارد رطب. وأما يابس مفرد، أو بارد مفرد، أو رطب مفرد، أو حار مفرد، فقد

---

(١) ت: يظهر "تلقى" (٢) ج: الجسم (٣) غ، ج: سقط "و"؛ ب، م: سقط "بالذات و" (٤) غ، م، ت، ج: سقط "ثلاث مراتب...والأكثر" (كلمة "عرْض" هكذا شكلت في ب) (٥) ج: الغريزية (٦) غ، م، ت، ج: سقط "الحرارة" (٧) ت: أشرها (٨) ت: أضيف "بدل".

يمكن هاهنا أن يتصور وجودها إذا سلمنا وجود مرض(١) مادي مفرد(٢). وسنعدد جميع ذلك عند إعطاء(٣) الأشياء الضارة بالأفعال والانفعالات.

وإذ قد تبين كم أنواع الأمراض المنسوبة إلى الأعضاء المتشابهة(٤) وأسبابها، فقد ينبغي أن نشرع أيضا في أمراض الأعضاء الآلية.

[١١-] القول في أمراض الأعضاء الآلية

[٤٣] ولأنه قد سلف من قولنا أن صحة هذه الأعضاء الآلية تكون في الكيفية التي في الكمية(٥) وفي الكمية وفي الوضع وفي حال(٦) المشاركة -وذلك أن هذا هو جنس مفرد بعينه لا راجع إلى الأجناس الأربعة التي يذكرها الأطباء وهو داخل في مقولة الإضافة كما أن الأغشية والجلد داخلة في مقولة "له" (=الملكية)- فأجناس الأمراض توجد(٧) في خمس مقولات: في الكيف، وفي الكم المنفصل والمتصل، وفي الوضع، وفي مقولة "له"، وفي الإضافة. والاتحاد والانفصال هو من لواحق الكم المنفصل: وذلك أن الكم العددي ينقسم إلى وحدة وإلى كثرة، ثم يوجد هذا للكم(٨) المتصل بتأخير. وأما الترتيب الذي يوجد في الأعضاء الآلية، والتقديم والتأخير، [فـ]ـهو من(٩) لواحق المقولات.

[٤٤] وينبغي أن تعلم أنه ليس في كل جنس من أجناس الصحة يدخل المرض، مثل الترتيب الذي في طبقات العين، وفي أكثر الأعضاء الآلية، فإنه لا يلحقه مرض بأن يرجع المتقدم متأخرا. وأما الاتصال والانفصال وكيفية ذلك فقد تدخل في أجناس الأمراض(١٠). وجنس المشاركة لا يدخل في الأمراض أنفسها. وأما(١١) أمراض الأعضاء بذاتها فتدخل على الأعضاء بسبب أمراض الأعضاء المشاركة لها: فالمشاركة هي أحرى أن تعد في أسباب الأمراض منها في أجناسها(١٢). وأما الجنس من المرض الذي هو مقابل الاتصال الطبيعي، وهو المرض المعروف بتفرق الاتصال، فهو في الحقيقة قسمان: تفرق اتصال حقيقي، وهو الاتصال الموجود في العضو المتشابه الأجزاء، وهذا الجنس من المرض ينبغي أن يكون خاصا بهذه الأعضاء. وذلك أن مثل هذا التفرق إنما يوجد للآلي من

---

(١) ت: أضيف "مرض" (٢) غ: سقط "إذا سلمنا...مفرد" (٣) ب: أضيف "أسباب" (٤) غ، ب، م، ت: سقط "الأجزاء" (٥) ت: أضيف "بما هي كمية" (٦) ج: سقط "حال" (٧) م، ت: سقط "توجد" (٨) ج: "المعنى في" عوض "للكم" (٩) ب، ج: التقدم والتأخر فمن (ج: فهو من) (١٠) ج: سقط "وأما الاتصال...الأمراض" (١١) ج: وإنما (١٢) م: أضيف "فاعلم ذلك"؛ في غ و ت ورد "وفي حال المشاركة في الاتصال والانفصال وكيفية ذلك فقد يجب أن تكون أجناس أمراضها هي هذه الأجناس بعينها" عوض العبارة الطويلة التي أثبتنا في المتن " وفي حال المشاركة وذلك أن هذا هو جنس...منها في أجناسها"

أجل المتشابه. والقسم الثاني تفرق الاتصال الذي يكون بين أجزاء العضو الآلي، أو[1] بين الأعضاء الآلية أنفسها. وهذا الاتصال يكون[2] بالماسة والتداخل و[3] بالربط[4]. وهذا هو أحد أنواع الأجناس التي عددناها من أمراض الأعضاء[5] الآلية، وهو جنس مشاركة اتصالها وانفصالها وكيفية ذلك. فلذلك ليس تفرق الاتصال، كما يقول الأطباء، مرضا مشتركا للأعضاء المتشابهة الأجزاء[6] والآلية، بل معنى التفرق فيهما[7] معنيان اثنان.

[٤٥] ولما كان جنس الصحة الذي يكون[8] في الكيفية يكون في الشكل وفي المنافذ والتجاويف وفي الملاسة والخشونة كانت أمراض هذا الجنس تنقسم إلى هذه الأنواع الثلاثة. وكذلك أيضا[9] الأمراض التي في الكمية منها ما هي أمراض في المقدار، وذلك بالزيادة أو النقصان، وهذه إنما توجد أولا للمتشابهة على ما سلف من قولنا. لكن جرت عادتهم بذكرها هاهنا. ومنها في العدد. والتي في العدد صنفان: إما زيادة أو نقصان. والنقصان والزيادة، منها ما يجري مجرى الأمر الطبيعي مثل زيادة الأصبع السادسة أو نقصان أصبع من الأصابع[10] الخمسة، وإما زيادة ما هو خارج عن الطبع، مثل الدود وحب القرع[م]. وأما مرض الوضع فهو مثل الخلع وغير ذلك مما يمكن أن يفسد وضع العضو من عضو آخر، ووضع[11] أجزاء العضو الواحد بعضها من بعض.

[٤٦] وأما الأمراض التي يعرفها الأطباء بأمراض المشاركة فتكون في اتصال الأعضاء الآلية بعضها مع بعض بأجزاء الشرك[12]، مثل مشاركة القلب لجميع الأعضاء بالشرايين التي تتصل بها، ومشاركة الكبد[13]. وربما كانت المشاركة بين بعضها دون بعض مثل مشاركة فم المعدة الدماغ بالعصب الواصل بينهما[14]. وأما أمراض المشاركة فتكون في الاتصال والانفصال، وكيفية[15] الاتصال والانفصال[16]، فهذه هي أنواع أمراض[17] الآلية.

وينبغي أن نصير إلى القول في أسبابها فنقول:

[٤٧] أما المرض الطارئ على شكل العضو فإنه إنما يكون عن سببين[18]: إما من قبل الطبيعة، وإما من قبل الأشياء التي من خارج. أما من قبل الطبيعة فأن تكون المادة غير ملائمة لفعل القوة المصورة أو الآلة التي بها تفعل القوة المصورة. وأما الأشياء

---

(١) م: و (٢) م: سقط "يكون" (٣) غ، ت، ج: سقط "بين أجزاء...التداخل و" (٤) م: بالرباطات (٥) م، ت: من أعراض، م: صحح فوق السطر "من أمر..."، وسقط "الأعضاء" (٦) غ، م، ت، ج: سقط "الأجزاء" (٧) م، ج: فيها (٨) غ، م، ت: سقط "يكون" (٩) ب: سقط "أيضا" (١٠) غ، م، ت، ج: سقط "الأصابع" (١١) م: "وبعض وضع" عوض "ووضع" (١٢) م: هكذا "تسترها" (١٣) ج: كلمة مطموسة بعد "...الكبد" (١٤) غ، ت: سقط "من عضو آخر...الواصل بينهما" (١٥) ت: "بكيفية" (١٦) م: سقط "وأما أمراض...وكيفية الاتصال والانفصال"؛ ب: "وأما مرض المشاركة فيكون في الاتصال والانفصال، وكيفية الانفصال والاتصال مثل مشاركة المعدة للدماغ بالعصب الواصل بينهما" عوض "ووضع أجزاء العضو... وكيفية الاتصال والانفصال" (١٧) م: الأمراض في؛ ب، ت، ج: الأمراض (١٨) ب؛ ج: شيئين".

التي من خارج فمثل ما يعتري الأطفال في حين الولادة وفي حين التربية. وقد يكون ذلك من قبل المعالجة الرديئة مثل الأعضاء التي تجبر على اعوجاج.

[٤٨] وأما أسباب ضيق المجاري وانضمامها فيكون إما لغلبة البرد واليبس على مزاجها، وإما لتضاغط يعرض لها من غيرها، وإما لسدة. والسدة تكون إما لورم وإما لخلط غليظ متحجر كالحال في الحصى، أو غير متحجر(١). وربما كان ذلك الخلط دما منعقدا. وقد تكون السدة من شيء ينبت في نفس(٢) المجرى مثل ثؤلول(٣) أو غير ذلك. وقد يكون الانضمام لإفراط القوة الماسكة أو ضعف القوة الدافعة. وقد يمكن أن يجتمع جميع هذه. وأما أسباب سعة المجاري فهي إما حرارة ورطوبة، وإما(٤) خلط لذاع أو أدوية فتاحة. وقد يكون ذلك من(٥) ضعف القوة(٦) الماسكة.

[٤٩] وأما أسباب الملاسة فهي الأشياء اللزجة الرطبة مثل الأخلاط الغليظة وغير ذلك. وأما الخشونة فسببها الأشياء الحادة(٧) الأكالة، وذلك إما خلط وإما شيء من خارج.

[٥٠] وأما أمراض الغدد(٨) فما كان من ذلك زيادة تجري مجرى الأمر الطبيعي، فإنما يكون ذلك من قبل فضل يكون في المادة. وأما ما كان منها ليس يجري مجرى الطبع(٩)، كالدود وحب القرع فسببها خلط خارج عن الطبع: إما في الكيفية وإما في الكمية. وأما النقصان فإنه يعرض إما(١٠) عن عفونة كتساقط الشعر وكثير من الأعضاء المتعفنة، وبخاصة إذا كانت العفونة عن خلط أكال، وإما من سبب من(١١) خارج(١٢).

[٥١] وأما عظم الأعضاء فإنما يكون سببه، إذا كان يجري مجرى الطبع، وفور المادة واستيلاء القوة المصورة عليها. فأما إذا كان غير طبيعي فتزيد خلط من الأخلاط في ذلك العضو وانصبابه إليه. وأما صغره إذا كان يجري مجرى الطبع فقلة المادة، وما لم يجر منه مجرى الطبع فضعف القوة الغاذية كما يعتري المسلولين.

[٥٢] وأما أسباب اختلاف وضع العضو فسببان(١٣): أحدهما الحركة المفرطة كالذي يحدث(١٤) من(١٥) القفز والطفر، وبالجملة عما يكون من خارج مثل انخراق المجرى النافذ من الصفاق(؟) إلى الأنثيين(؟)، فتنزل فيه الأمعاء والثرب(؟)، ومثل انخراق صفاق البطن نفسه حتى تخرج الأمعاء أو الثرب، وربما انخرق حتى خرجت زائدة من

---

(١) ب: ذلك (٢) ب: بعض (كتب في الهامش) (٣) ت: ثوول (٤) ب: إما من...وإما من (٥) ت: في (٦) م: سقط "القوة" (٧) غ: الحارة؛ ت: الحادثة (٨) غ، م، ت: الغدد (في يـ و جـ هكذا: "الغَدَدِ") (٩) ت: سقط "فإنما يكون...مجرى الطبع" (١٠) ب، ج: سقط "إما" (١١) غ، م: سقط "من" (١٢) م: سقط "وإما من سبب من خارج" (١٣) ب: فشيئان (١٤) ب: يعرض (١٥) ت: في.

زوائد الكبد؛ أو كالذي يعرض في مفصل الورك[م] عند خروج الزائدة[1] التي في عظم الفخذ عن حفرة الورك. وأما السبب الآخر فالأشياء التي من داخل مثل رطوبة مفرطة ترخي العضو حتى تزيله عن موضعه، كالذي يعرض أيضا للثرب وللمعى[2] إذا حدث في المجرى النافذ إلى الأنثيين رطوبة لزجة.

[٥٣] وأما أسباب فساد مشاركة العضو في الاتصال والانفصال[3] فسبب الاتصال في ذلك سببان[4] أحدهما: ضعف القوة المصورة أو رداءة المادة، وذلك فيما كان من ذلك خلقة. وأما ما لم يكن من ذلك خلقة فسببه قرحة تخرج بين العضوين، فيعرض منها[5] عندما تندمل أن يتصل ما بين ذلك العضوين لفساد المادة أو لأن العضوين في حال نبات اللحم متصلان[6].

[٥٤] وأما أسباب تفرق اتصال[7] هذه الأعضاء فهي بعينها أسباب تفرق اتصال الأعضاء المتشابهة الأجزاء[8]: وذلك إما من الأشياء التي من خارج مثل الأشياء التي تقطع وتهتك أو ترض، وإما من[9] الأشياء التي من داخل بمنزلة الأخلاط الأكالة أو الهاتكة بتمديدها، وإما بثقلها[10] وإما لريح[11] تتولد منها[12].

[٥٥] فهذه هي جميع[13] أصناف[14] الأمراض البسائط ومن عرفها ضرورة عرف المركبات. فقد ينبغي بعد أن نقول في الأعراض التي تعرض في أفعال الغذاء و[15] انفعالاتها، وننسب واحدا واحدا منها إلى المرض الفاعل له فإنه بمعرفة هذا يحصل علم الأمراض على التمام في عضو عضو وعلم شفاء الأمرين جميعا[16].

[١٢-] القول في الأعراض

[٥٦] ولأن العرض، لما كان[17] ليس شيئا غير ضرر فعل الأعضاء أو انفعالاتها أو لاحق من لواحق ذلك، كانت أجناس الأعراض الأُوَل مُعادَّة لأجناس الأفعال والانفعالات. وقد تقدم في كتاب الصحة أن الأفعال منها ما ينسب إلى النفس الغاذية، ومنها ما ينسب إلى النفس الحساسة، ومنها ما ينسب إلى الحركة، ومنها ما ينسب إلى قوة التخيل والفكر والذكر.

---

(١) ت: عنه...الزوائد (٢) ب: الأمعاء (٣) م: أضيف "الغير طبيعي"؛ ج: "الاتصال الطبيعي +والانفصال غير الطبيعي" عوض "مشاركة...والانفصال" (٤) غ، م، ت، ج: شيئان (٥) غ، م، ت، ج: تحدث بين اللحمين فيعرض فيها (٦) ب: كانا متصلين (٧) ب: الاتصال في (٨) م: سقط "الأجزاء" (٩) ت: سقط "من" (١٠) م: أو...؛ ج: إما لثقلها (١١) غ: اما الريح (١٢) ت: فيها (١٣) غ، م، ت، ج: أضيف "أجناس" (١٤) ج: "أجناس" عوض "أصناف" (١٥) ج: "الأعضاء أو" عوض "الغذاء و" (١٦) غ، ت، ج: سقط "وعلم...جميعا" (١٧) ب: الأعراض...كانت.

وينبغي أن نبتدئ أولا بالأعراض التي توجد في أفعال القوى الغاذية إذ كانت هذه الأفعال أشد ضرورة[1] في وجود الحيوان فنقول:

[٥٧] إن الأعضاء التي أعدت نحو أفعال هذه القوة، كما قيل في كتاب الصحة هي الفم والمريء والمعدة والمعى[2] والكبد والكلى والمثانة والمرارة والطحال. والضرر اللاحق بالجملة لأفعال الأعضاء وانفعالاتها يكون على ثلاثة أنحاء: إما أن يعدم العضو فعله أو انفعاله أصلا، حتى يكاد يكون تعطلا محضا. وإما أن ينقص عن الحال الطبيعية، وإما أن يكون عنه فعل رديء أو انفعال رديء. وينبغي أن نبتدئ من أعضاء الغذاء على الترتيب الذي لها في خدمة الغذاء فنقول:

[٥٨] أما الفم فينقص فعله أو يتعطل بالبثور الحادثة فيه، والأورام، وتعفن الأسنان. وبالجملة جميع الأمراض التي تتولد عن سوء المزاج المادي[3]. وأما المريء فإنه أيضا يعتل بالأورام الحادثة فيه، وهي المسماة خوانيق[4]. ومن شأن هذه الأورام أن تحدث: إما في عضله وإما في غشائه. وقد يتعطل أيضا فعله بانخزال فقرات العنق إلى داخل، إما لخلط مخاطي تتزلق به[4]، وإما لشيء من خارج. وهذا النوع من الخوانيق[5] أكثر ما يعتري الأطفال لرطوبة مزاجهم. وبالجملة تلحقه جميع أصناف أمراض سوء المزاج المادي. وقد تلحقه أيضا أمراض سوء المزاج غير المادي، كما حكى جالينوس أن فتى كان الأطباء تمنعه من[6] الماء فشرب ماء باردا دفعة، فاختل فعل القوة الجاذبة والدافعة من مريئه، ولم يقدر أن يزدرد شيئا.

[-١٣] في المعدة

[٥٩] وأما المعدة فلما كانت توجد فيها خمس قوى، هاضمة وجاذبة وماسكة ودافعة ومميزة، وجب أن تكون الأعراض اللاحقة لها معادّة لهذه القوى. فنبتدئ[7] فنخبر بالأعراض اللاحقة لواحد واحد من هذه الأفعال فنقول:

[٦٠] أما فعل الهضم فيها فإنه إذا نقص يتولد عن ذلك حمضة في الطعام[8]، وذلك أن الحمضة سببها البرد[9]. ولذلك ما يكون هذا العرض لاحقا لها عن سوء مزاج بارد، إما مادي وإما غير مادي. وغير المادي يكون إما من الأسباب التي من خارج، وإما من الأسباب التي من داخل. أما الأسباب التي من خارج فمنها الأشياء الباردة

(١) غ، م، ت: ضرورية (٢) غ، م، ت، ج: سقط "والمعى" (٣) ت: سقط "المادي" (٤) غ، م، ت، ج: يتزلق...(ت: سقط "به") (٥) ج: خوانق...خوانق (٦) ج: أضيف "شرب" (٧) ب: أضيف "نحن" (٨) ب: "تولدت عنه حمضة في الطعم" عوض "يتولد...الطعام" (٩) م: أضيف "في الأكثر".

بالفعل، ومنها الأغذية الباردة بالقوة أو الكثيرة الكمية أو المتناولة في أزمنة متقاربة. وأما الأسباب التي من داخل فهي الأخلاط الباردة.

[٦١] وهذه الأخلاط على ضربين: إما أن تتولد فيها، وإما أن تنصب إليها من أعضاء أخر. والمخصوص بصب الخلط البلغمي إليها هو الدماغ. كما أن المخصوص بصب الخلط السوداوي إليها هو الطحال. لكن ما يصب الطحال من ذلك، إذا كان مقدرا[١] في الكيفية والكمية، كان فعلا طبيعيا. وأما إذا خرج في أحدهما فإنه يحدث فيها هذا النوع من المرض. وهذه الأسباب بعينها إذا أفرطت عليها تعطل فعلها جملة، كما يكون ذلك في الهيضة[م] التي يخرج فيها الطعام غير متغير. وقد تكون هذه الأخلاط، إذا طال مكثها في المعدة، سببا لأن تكتسب المعدة منها سوء مزاج بارد في نفس جرمها عسير البرء. وإن تمادى ذلك[٢] آل إلى المرض المسمى شيخوخة. وقد تكون الأورام الباردة سببا لأن تلقى المعدة عنها[٣] مثل هذا العرض، ولا سيما إذا يبس الورم وصلب. والإسكندر يرى أن الحمضة فيها قد تتولد عن الحرارة، ولكن ينبغي أن نفهم ذلك بالعرض مثل ما تحمض الأشربة في زمن الحر. ويشبه أن تكون كيفية عرضية يوجد لها أن[٤] تتولد عن شبيهها بالذات وعن ضدها بالعرض. فينبغي للطبيب أن يميز ذلك ويتحفظ منه غاية التحفظ[٥].

[٦٢] والأخلاط المتولدة[٦] في المعدة بالجملة قد تكون متشربة[٧] في جرمها، وقد تكون مصبوبة في تجويفها. ويتولد أيضا عن نقصان فعل[٨] هذه القوة القراقر والرياح، وإن كنا نرى أيضا[٩] أن هذا العرض[١٠] قد يشارك فيه ضعف القوة الماسكة، فإن المعدة إذا احتوت احتواء جيدا على الطعام فعلت فيه[١١] طبخا تاما. ومتى[١٢] لم تحتو عليه طفا إلى أعلاها فبرد هنالك وتولدت فيه رياح، لأن هذا الجزء منها عصبي كما تبين. وإنما كانت الحرارة الضعيفة سببا لتولد الرياح لأن القوية تفشها وتحللها[١٣] تحليلا غير محسوس، كما أن البرودة القوية ليس يتولد عنها رياح، إذ كانت ليس من شأنها أن تفعل في الغذاء تبخيرا. وأما رداءة الفعل اللاحق لهذه القوة فيلزم عنها بالجملة استحالة الطعام فيها إلى كيفية رديئة: إما دخانية وإما سهكية[م][١٤] أو غير ذلك. وهو ظاهر أن هذا العرض، أعني تغير الطعام إلى السهوكة أو التعفن بالجملة[١٥]، إنما يعرض لها من جهة الحرارة الغريبة. لكن بالجملة هي حرارة[١٦] خارجة عن الطبع أكثر من الحرارة التي تدخن الأطعمة. ولذلك كان المتولد عن هذه في الكيلوس[م] إنما هو عفونة وطعوم

(١) م: مقدارا معتدلا (٢) م: أضيف "منه" (٣) ت: يلفى للمعدة، وسقط "عنها" في كل من غ، م، ت، و ج (٤) ب، ج: توجد لها وأن (ج: أو) (٥) غ، ت: سقط "والإسكندر...التحفظ" (٦) ت: المولدة، وأضيف "سحجا" (٧) ت: شطب على "متشربة" وكتب فوقها "مبثوثة" (٨) م: سقط "فعل" (٩) م، ت: سقط "أيضا" (١٠) غ، ت، ج: العارض (١١) م: به (١٢١) ت: وما (١٣) ج: سقط "وتحللها" (١٤) غ، م، ت، ج: سهكة (ب: هكذا سهكية) (١٥) غ، م، ت: سقط "أعني تغير...التعفن بالجملة" (١٦) غ، م، ت، ج: سقط "حرارة".

رديئة مثل الجشأ[؟] السهك[؟] ، والذي رائحته شبيهة برائحة من أكل الفجل، فإنه يظهر من أمر هذه البقلة أنها تستحيل في المعدة استحالة رديئة.

[٦٣] وإذا كان ذلك كذلك، وتبين أن هذا العرض إنما تلقاه الأطعمة في المعدة من أجل الحرارة الغريبة، فالأمراض الفاعلة لهذه[١] هي ضرورة سوء مزاج حار: إما مادي وإما غير مادي. وغير المادي يتولد من الأطعمة الحارة والأشياء التي من خارج. وأما المادي فيكون عن الأخلاط الصفراوية. وهذه الأخلاط إما أن تكون منصبة إليها من غيرها من الأعضاء، والعضو الأخص بذلك هو الكبد والمرارة في الذين تتصل المرارة بمعدهم. وذلك أن المرارة في بعض الناس يلفى لها مجرى متصل بالمعدة كالحال في الطحال. وإما أن تكون متولدة فيها، لكن إن قيل لهذه صفراء فباشتراك الاسم. والخلط الذي بهذه الصفة، إما أن يكون مصبوبا في قعرها، وإما أن يكون متشربا في جرمها. وقد تلقى المعدة[٢] مثل هذا العرض بالأورام الحارة الحادثة فيها. فهذه هي جميع الأعراض التي تلحق القوة الهاضمة.

[٦٤] وأما القوة المميزة التي فيها فإنه إذا بطل[٣] فعلها أو نقص تبع ذلك ضرورة ذبول فيها، و[٤] نقص في سائر أفعالها. وسبب ذلك أحد أمرين: إما سوء مزاج حار يابس، قد تشبث بجوهرها الأصلي. وإما بارد يابس. والأول إذا طال به[٥] الزمان أفضى بصاحبه إلى حمى الدق. والآخر إلى الهرم المسمى شيخوخة. وإنما كان كذلك لأن المميزة متى ضعفت أو بطل فعلها تبع ذلك أن تضعف الغاذية التي فيها، أو تبطل. فإنا قد كنا وضعنا أن للمعدة اغتذاء ما بالكيلوس وإلا لم تحتو عليه.

[٦٥] وأما القوة الماسكة فإنه إذا نقص فعلها تبع ذلك نفخ وقراقر، وربما خرج الغذاء غير منهضم. وسبب هذا هو سوء مزاج بارد رطب أو بارد فقط، مادي أو غير مادي: فإذا كاد أن يتعطل[٦] هذا الفعل جملة حدث عن ذلك المرض[٧] المسمى بزلق المعا[؟]. وأما[٨] إذا كان إمساكها الطعام إمساكا رديئا فإنه تعرض لها[٩] حركة رعشية للمقاومة التي هنالك بين القوة الماسكة التي فيها وبين الثقل الذي في الأغذية. ولذلك إنما يظهر مثل هذا العرض، في من شأنه أن يعرض فيه أكثر ذلك، عند الشبع المفرط والتملي[١٠] من الطعام، وهذا العرض إنما تلقاه المعدة عن[١١] أحد أصناف سوء المزاج المادي أو غير المادي.

---

(١) غ، م، ت، ج: لذلك (٢) ب، ت، ج: يلفى للمعدة (ب: في المعدة) (٣) ب، ج: تعطل (٤) ب، ت: أو، وسقط "فيها" (ذبول أو نقص...) (٥) ب: بصاحبه (٦) ب: "تعطل" عوض "فإذا...يتعطل" (٧) ب، ج: الداء (٨): ج: سقط "أما" (٩) ب، ت: له (١٠) ج: يظهر "المتملي" (١١) غ، م: من.

[٦٦] وأما القوة الدافعة فإما أيضا[١] أن ينقص فعلها. وهذا يلزمه ضرورة أن تبطئ الأغذية في المعدة أو تتعطل، فيكون عنه ضرب من المرض المسمى قولنجا[م]. وسبب هذا سوء مزاج بارد، إما مادي وإما غير مادي. وقد يتعطل فعل القوة الدافعة لسدة حادثة في الأمعاء، كما يعتري ذلك في القولنج. لكن هذا التعطل هو لها عرضي. وأما الإفراط الحادث في فعل هذه القوة فيتبعه ضرورة ضرب من زلق الأمعاء، هو غير هذا النوع الحادث عن تعطل فعل[٢] القوة الماسكة. ولذلك، سبب هذا[٣] إنما هو شيء يهيج القوة الدافعة إلى الدفع حتى يفرط في ذلك، كالأخلاط اللذاعة مثل الصفراء والبلغم المالح البورقي[م] والسوداء الحامضة. وربما كان ذلك لقروح في سطح المعدة[٤]. وقد يكون ذلك أيضا لفساد[٥] الأغذية واستحالتها إلى مثل هذه الأخلاط، كما نرى ذلك يعرض في الهيضة العظيمة. وربما ارتفعت أمثال هذه الأسباب وبقيت القوة الدافعة تتحرك هذه الحركة الرديئة عن أدنى شيء يطرأ عليها، وذلك منها على سبيل الغلط. لأن تلك الحال قد صارت كأنها ملكة ثابتة لها. ولذلك جعل الأطباء المخدرات من أحد ما يعالج به هذا العارض. وسنبين هذا في الجزء العلاجي.

[٦٧] والعارض[٦] المسمى فواقا[م]، هو منسوب إلى هذه القوة. وسبب ذلك شيء مؤذ بكيفيته: إما بارد وإما حار. وقد يكون ضرب منه عن سوء مزاج حار يابس، قد تمكن من جرم المعدة حتى أحدث فيها ضربا[٧] من التشنج. وهذا الصنف برؤه عسير أو ممتنع. وربما كان هذا التشنج من رطوبة في جرم المعدة العصباني، على ما سيقال[٨] في أسباب التشنج. وكذلك القيء هو أيضا منسوب إلى فعل هذه القوة، لكن ليس طبيعيا كالدفع الذي يكون إلى أسفل. وذلك سببه إنما هو شيء يطفو على فم المعدة، إما رطوبة بلغمية أو صفراوية: وذلك أنه متى كان أمثال هذه الأخلاط في أعلى المعدة هاج عنها القيء، ومتى كان في أسفلها هاج عنها[٩] الذرب[م]. وربما كانت أمثال[١٠] هذه الأخلاط منصبة إلى المعدة من سائر الأعضاء[١١] من الكبد ومن غيرها، كما نرى ذلك في الذين يفرط بهم القيء ويلقون منه برحا شديدا، وبخاصة ما يكون عن الأخلاط الصفراوية. وقد يكون عن السوداوية، وهو رديء جدا.

---

(١) ت: فإنها أيضا إما (٢) م، ت، ج: سقط "فعل" (٣) ب: وهذا (٤) م، ت، ج: أضيف "وربما كان سبب ذلك قروحا في سطح المعدة"؛ غ: حدد العبارة "وربما...المعدة" بعلامتي تصحيح (صـ صـ)؛ ب: علامة (صـ) فوق كل كلمة (٥) م: من قبل فساد؛ ب: من فساد؛ ج: سقط "أيضا" التي قبلها (٦) ت: العرض...والعرض (٧) ب: ضروبا (٨) ب: يقال (٩) ب: أهاج عليه...أهاج عليه؛ م: ...منه (سقط "عنها" السابقة في السطر)؛ ج: ...عنها...عنه (١٠) غ، ت، ج: سقط "أمثال" (١١) ت: الأمعاء.

[٦٨] وأما اختلال القوة الجاذبة من[1] هذا العضو[2] فأسبابها هي أسباب اختلال المريء. وأما ما يعرض لها من سقوط الشهوة وإفراطها فسنذكر أسباب ذلك[3] عند ذكرنا الأعراض التي تلقى القوى[4] الحسية.

[-١٤] في الأمعاء

[٦٩] وأما الأمعاء فلما كانت أظهر القوى فيها هي الدافعة ثم الماسكة كانت الأعراض اللاحقة لها بحسب اختلال هاتين القوتين. أما القوة الدافعة فإنه إذا تعطل فعلها أو نقص كان عنه[5] المرض المسمى قولنجا، والعلة في اختلال هذه القوة إما سوء مزاج بارد أو حار مادي أو غير مادي. أما البارد فالأمر فيه بين لأنه يخدر القوة الدافعة[6]. وأما الحار فليس أيضا بغريب أن يعرض عنه مثل هذا التعطل، فإن الأعضاء إنما[7] تفعل أفعالها بحرارة مقدرة. فمتى خرجت تلك الحرارة في إحدى الكيفيتين، خروجا كثيرا، تعطل فعلها: أعني متى خرجت إلى البرودة أو إلى الحرارة. إلا أنه متى خرجت إلى البرودة خروجا قليلا نقص فعلها. وأما إذا[8] خرجت إلى الحرارة[9] خروجا[10] قليلا فإنه يكون لها[11] فعل رديء، مثل الدخانية التي تحدث في المعدة الحارة.

[٧٠] وقد يكون السبب أيضا في تعطل فعل هذه القوة في الأمعاء السدة الحادثة فيها. وذلك إما زبل غليظ أو خلط غليظ أو ريح أو ورم، وإن كان الورم يوجد فيه ضرر الفعل بالجهتين: أعني من حيث تكتسب المعى به سوء مزاج مادي، ومن حيث يطمس المجرى. والريح تسد المعى بجهتين: إما أن تقوم في وجه الثفل، كما يعتري ذلك في القنوات التي يسير فيها الماء تحت الأرض،وإما أن ينفتل بها المعى حتى تنسد. وقد تنسد المعى من الحيات المتولدة فيها. ويعرض في هذا النوع من اختلال القوة الدافعة: أعني الذي يكون بالسدة أن ينعكس فعلها فتدفع الثفل الذي فيها إلى المعدة فتدفعه المعدة[12] بالقيء.

[٧١] وقد يكون سبب ضعف هذه القوة انسداد المجرى الذي يصل بين المعى وبين المرارة، فلا ينفذ إليها من المرارة ما يهيجها على دفع الثفل. وأما إذا كان فعل هذه القوة فعلا رديئا فإنه يكون عنه إسهال. وذلك أن الثفل ليس يمكث فيها الزمان الذي ينبغي له أن يمكث فيها. وسبب إفراط القوة الدافعة يكون من انصباب الأخلاط

(١) ج: أضيف "فعل" (٢) م: سقط "من هذا العضو" (٣) ت، ج: أسبابها (٤) ت: تلفى للقوى (٥) ج: سقط "عنه" (٦) غ، م، ت، ج: سقط "الدافعة" (٧) ت: إما (٨) غ، م: متى (٩) ج: سقط "إلا أنه متى...إلى الحرارة" (١٠) ب: سقط "خروجا" (١١) ت: إما (١٢) ت: سقط "المعدة".

اللذاعة إليها: إما من الكبد والعروق وإما من المعدة وإما من المرارة. وبالجملة من سائر الأعضاء. وإذا أفرط لذع مثل هذه الأخلاط المعى حتى ينكأها يكون عن ذلك المرض المسمى سحجا[م]. وقد يكون اختلال هذه القوة لموضع كيفية الأغذية إذا كانت منحرفة، أو دفعتها المعدة إليها غير منهضمة. وقد يكون لموضع كميتها إذا كانت كثيرة، وقد يكون ذلك لقروح في سطحها[1]. وقد يكون ذلك لموضع انسداد المجاري التي بين الكبد وبين المعى فلا ينفذ إلى الكبد من الغذاء شيء[2] فيثقل على القوة الدافعة فتدفعه. وقد يكون أيضا السبب في أن لا ينفذ الغذاء إلى الكبد غلظه في نفسه. وهذا الغلظ إما أن يكون من طبيعة الغذاء، وإما من ضعف فعل المعدة فيه أو من كليهما. وقد يكون ذلك أيضا من تعطل فعل القوة الجاذبة التي في الكبد، كما نرى يعتري في أمراض الكبد.

[٧٢] وأما القوة الماسكة فإنه أيضا[3] متى ضعف فعلها حدث عن ذلك ضرب من الخلفة[م]. وسبب ذلك ضرورة يكون من سوء مزاج: إما مادي وإما غير مادي. وإما متى تعطل فإنه يحدث عنه نوع من أنواع العلة المسماة زلق الأمعاء. وإما طرف المعى وهو العضو المسمى مقعدة، فإنه يختل فعله بثآليل تتولد فيه، وإما من هتك البراز اليابس للحم الذي في ذلك الموضع. وإما من انفتاح العروق التي في ذلك الموضع، وهذا النوع من الثآليل[4] يكون عنه[5] نزف الدم. وربما كان خروج الدم من هذا الموضع على سبيل التنقية، ويكون حينئذ محمودا. ولذلك ما يقول أرسطو إن الدم الرديء يجري من الأنف والمقعدة واللثة[6].

[١٥-] في الكبد [7]

[٧٣] وأما الكبد فإنه لما كانت أيضا توجد فيها القوى الخمس كانت الأعراض اللاحقة لها بحسب ذلك: فالقوة الهاضمة التي في هذا العضو إما أن ينقص فعلها فتولد دما بلغميا فلا تزال الأعضاء تغتذي بذلك حتى ينقلب مزاجها إلى طبيعة هذا الخلط، وحينئذ يحدث المرض المسمى استسقاء[م] لحميا. وسبب حدوث هذا العرض لها يكون لسوء[8] مزاج بارد يغلب عليها: إما مادي وإما غير مادي، وهذا المزاج قد يكون سببه[9] الأغذية وتدبيرها، وقد يكون من الأمور التي تلقى البدن من خارج. وبالجملة الأشياء التي عددنا أنها أسباب المزاج البارد[10]، وقد يكون ذلك[11] أيضا من مشاركة الأعضاء

---

(١) غ، ت: سقط "وقد يكون ذلك...سطحها" (٢) ت: سقط "شيء"؛ ج: "الغذاء" عوض "من...شيء" (٣) غ: أضيف "من ضعفها" (٤) غ، ت، ج: بثواليل...الثواليل (٥) ب: ثبت "عند" وفوقها "عنه" (٦) غ، ت، ج: سقط "اللثة" (٧) غ، م، ب، ج: سقط "في الكبد" (٨) ت: ...العرض يكون سوء (٩) ج: أضيف "سوء" (١٠) ت: سقط "البارد" (١١) غ، م، ت، ج: سقط "ذلك".

الخادمة له في فعله والمعينة كالمعدة، فإنها متى قصرت في طبخ الكيلوس وأرسلته إليه غير نضج ودام ذلك منها استحالت طبيعة الكبد إلى البرد، ويشبه أن يكون الطحال يفعل ذلك عند ضعفه، فإنه إذا لم ينق الدم من الجزء البارد[1] اليابس أحال طبيعة الكبد إلى البرد. وكذلك أيضا تفعل المعى الدقاق، فإنه قد يستضر الكبد بمشاركتها أعني متى عرض للمعى[2] سوء مزاج.

[٧٤] وسوء المزاج المادي الحادث في الكبد قد يكون مع تورم، وقد يكون مع غير تورم[3]. لكن الأورام إنما تكون أكثر ذلك سببا لمثل هذا المرض عندما تتحجر وتصلب. وقد يكون سبب سوء هذا المزاج في الكبد مرض آلي كالسدة[4] العارضة فيه: فإن السدة من شأنها أن تطفئ الحرارة الغريزية لا سيما إذا كان الخلط الفاعل لها باردا. وأما إذا كان فعل القوة الهاضمة في هذا العضو[5] رديئا فإنه يتبع ذلك من الأعراض أحد أمرين: إما الاستسقاء المعروف بالطبلي[6]، وإما الأمراض المتولدة عن المرة[6] الصفراء.

[٧٥] وذلك أنه ينبغي أن نتصور من أمر هذه الأعضاء أنها تفعل أفاعيلها الطبيعية بحرارة مقدرة بالبرودة. فإنه قد تبين في العلم الطبيعي أن البرودة آلة[7] على جهة التعديل للحرارة التي هي الفاعلة أولا وبالذات. وإذا كان ذلك كذلك فكل عضو إنما يفعل بحرارة مقدرة ملائمة لفعله. فمتى تزيدت البرودة في ذلك العضو تزيدا ليس بالمفرط ولا تخرج به تلك الحرارة عن صورتها الطبيعية نقص فعل ذلك العضو ضرورة[8]، كالطعام الذي يحمض في المعدة الباردة والدم البلغمي الذي يتولد في الكبد الباردة. ومتى تزيدت الحرارة الفاعلة تزيدا يسيرا ليس يبلغ بذلك أن تخرج تلك الحرارة الفاعلة عن طبيعتها، أفرط ذلك العضو في فعله كالمعدة التي تدخن الأطعمة والكبد التي تولد مرارا كثيرا[9]. وأما متى تزيدت الحرارة أو البرودة تزيدا كثيرا حتى يخرج بذلك الحار الغريزي الذي في ذلك[10] العضو عن صورته الطبيعية، كان فعله حينئذ مباينا بجوهره للفعل الطبيعي، كالمعدة التي تتعفن فيها الأطعمة وتسهك. ولذلك أمثال أسباب[11] هذه الأمراض تكون عن سوء المزاج الحار، كما تكون عن سوء المزاج البارد: أعني قد يكونان سببا متقدما لذلك.

[٧٦] وإذ قد تبين هذا بالقول العام، من أمر جميع الأعضاء، فالكبد إذا أصابها سوء مزاج حار غير مفرط ولدت مرارا كثيرا. وإذا أفرط ذلك بها[12] حتى يكاد أن تخرج بذلك عن صورتها الجوهرية، كانت -بالحرارة التي فيها- أفعالها حينئذ غريبة عن

---

(١) ت: سقط "البارد" (٢) ب: للكبد (٣) م: "وقد يكون مع تورم" عوض "قد يكون...غير تورم" (٤) م: كالسدد (٥) غ، م، ت: الفعل (٦) ب: سقط "المرة" (٧) ت: حالة (٨) ب: سقط "ضرورة" (٩) م: أضيف "فإنه ما قيل من أصناف المغيرات التي تعرض للغذاء في المعدة ينبغي أن يفهم مثله في جميع الهضوم" (١٠) ب: سقط "ذلك" (١١) م، ت: سقط "أسباب" (١٢) ت: فيها.

الأفعال الطبيعية، فتكون حينئذ أكثر أفعالها إنما هي من حيث هي حرارة مطلقة لا من حيث هي حرارة كبدية. وإذا كان ذلك كذلك فالفعل الذي[1] للحرارة بما هي حرارة بسيطة إذا وردت عليها رطوبة مائية هو أن تبخر الجزء المائي[2] الذي فيها وتولد عنها رياحا. ولذلك ما يحدث عن مثل هذه الحرارة إذا حصلت في الكبد النوع من الاستسقاء المعروف بالطبلي. فإن كان السبب في انسلاخ الحرارة الطبيعية مرضا حارا نسب إليه، وإن كان باردا نسب إليه. ولذلك ما نرى الأطباء يتحيرون في توفية أسباب هذا النوع من الاستسقاء، لأنهم يجدونه يحدث عن الحر كما يحدث عن البرد، وهو من أعسر أنواع الاستسقاء علاجا لهذا السبب بعينه. وأما أسباب حدوث سوء المزاج الحار[3] في الكبد فهي بالجملة أسباب حدوث الأمراض[4] المادية وغير المادية.

[٧٧] ويخص الكبد أنها ربما لحقها هذا الضرر من تعطل فعل المرارة: إما لسدة تعرض في المجرى الواصل إليها، وإما لضعف القوة الجاذبة التي في المرارة، وإما لانسداد المجرى النافذ من المرارة إلى المعى ولضعف القوة الدافعة، لأن هذا إذا انسد عرض عن ذلك ما يعرض لمن انسدت أمعاؤه من أنه لا يشتهي الغذاء ولا يطلبه. وإنما كان ذلك كذلك لأن كل عضو إنما فيه القوة الجاذبة من أجل الغاذية. والغاذية، إنما يتم فعلها بالأربع قوى. فمتى تعطلت واحدة تعطل الغير. وكذلك ينبغي أن يتصور الأمر في الكبد مع المرارة.

[٧٨] والعرض المسمى يرقانا[?] إنما يحدث ضرورة لأحد أمرين: إما لتعطل فعل المرارة أو نقصان فعلها فيبقى المرار منبثا في الدم فتقذف به القوة الدافعة إلى سطح البدن على جهة ما تدفع الفضول، وهذا نوع سالم[5]. وإما لأن الكبد أو الأعضاء قد ساء مزاجها وأفرط جدا في الحر، كما يعرض ذلك عند[6] تولد الورم الصفراوي فيها أو شرب السموم الحارة، فيكثر توليدها للمرة الصفراء حتى تظهر على سطح البدن ويكون ظهورها لمكان كثرتها، لا لمكان الأصلح وتنقية البدن. ولذلك كان هذا الصنف مذموما. وقد يحدث ذلك في الكبد عن دواء سمي يسقاه الإنسان كالبيش[?] وغير ذلك.

[٧٩] وأما القوة المميزة التي في هذا العضو فإنها إذا ضعف فعلها تبع ذلك انتشار الأخلاط في البدن حتى تحدث عن ذلك آفات كثيرة: وأحد ما يحدث عن ذلك هو الاستسقاء الزقي[?]. وذلك أن المائية المبثوثة في الكيلوس إذا لم تخلصها هذه القوة انتشرت في الدم فتدفع بها الطبيعة إلى ما تحت صفاق البطن. وقد قيل إنها إنما تدفع

---

(١) ب: سقط "الذي" (٢) ت: المادي (٣) غ، م، ت، ج: سقط "الحار" (٤) : غ، م، ت، ج: أضيف "الحارة"
(٥) ب: أضيف "منه" (٦) ت: عن.

بها[١] إلى ما تحت الصفاق في عروق السرة. وذلك أن هذه العروق متصلة بالكبد، ومنها تخرج الفضلة المائية التي في الجنين في حين تكونه في الرحم.

[٨٠] وقد يلفى هذا العرض أيضا لضعف القوة الجاذبة التي في الكلى، أو انسداد المجرى وضيقه. وقد يمكن أن يكون عدول هذه الفضلة عن طريقها خروجها عن الطبع خروجا لا يصلح أن يكون غذاء للكلى، فلا تجذبها الكلى حينئذ فتعدل[٢] بها الطبيعة إلى تلك المواضع. ولهذا تجد هذا الماء ينعقد سريعا كما ينعقد ماء الملح[٣].

[٨١] وأما القوة الماسكة فإنها أيضا إذا ضعفت في هذا العضو كان ذلك سببا لأن يخرج عنه الدم غير منهضم فجا. و[٤] القوة الدافعة إذا ساء فعلها في هذا العضو قذفت بالدم المتولد فيه إلى المعى، وكان ذلك سببا لأن يخرج عنه الدم[٥] على الجداول التي منها تجتذب الغذاء، فتحدث عن ذلك خلفة دموية. وذلك لمكان حدة الدم أو لسوء المزاج.

[٨٢] أما القوة الجاذبة فإنها إذا ضعفت أو تعطل فعلها حدث عن ذلك خلفة وذرب. وسبب الضرر الداخل على هذه القوى بالجملة يكون إما من الأمراض المنسوبة إلى الأعضاء الآلية أو البسيطة، لكن الآلي إنما يكون هاهنا سببا بالعرض وبتوسط المرض المزاجي المنسوب إلى الأعضاء البسيطة. وهذان الصنفان من الأمراض يضران العضو بجهتين إما بحلولهما أولا فيه وإما بكونهما في عضو مشارك له.

[٨٣] وقد يسأل سائل ويقول: إذا كان أحد ما تختل به أفعال الأعضاء هي أمراض الأعضاء المشاركة لها، وكان على رأيكم القلب هو الذي يعطي الكبد الحرارة الغريزية التي بها تكون أفعاله، فما بال الكبد لا تختل أفعالها بأمراض القلب؟ فنقول: لما كان القلب هو العضو الرئيس بإطلاق لم يحتمل أن يوجد فيه من الأمراض ما يضر بالكبد أو غير ذلك من الأعضاء، والحيوان بعد حي، وذلك على الأكثر. بل معظم الآفات التي يلقاها القلب، والحيوان حي، هي بالنسبة إلى غيره من الأعضاء غير محسوسة. لكن مع هذا ليس بممتنع أن تلحق القلب أمراض خفية[٦] من سوء المزاج هي بالإضافة إلى الكبد عظيمة: فإن أدنى حركة تقع للسكان [٧] تكون سببا لحركة عظيمة في مقدم المَرْكَب. وكذلك يشبه أن يكون حال القلب مع الأعضاء الرئيسة[٨] كلها. و[٩]لذلك ينبغي عند معالجة الكبد أن لا تهمل العناية بالقلب كل الإهمال، بل يجب أن يصرف

---

(١) غ، م، ت، ج: تندفع(م: تدفع)، وسقط "بها" (٢) م: "حيث تتعدى" عوض "فتعدل" (٣) غ، ت، ج: سقط "وقد يمكن...الملح" (٤) ج، ت: وأما (٥) غ، ت، ج: سقط "وكان ذلك...الدم" (٦) م: خفيفة (٧) ب: بالسّكان (٨) م، ت: الرئيسية (٩) ت: إذ.

إليه منها مقدار كبير. وسنبين هذا عند القول في حيلة البرء[1]. وكلام الحكيم يدل على أنه إذا مرض القلب لم يمكن برؤه[2]، لأن القوة المبرئة الأولى هي في القلب[3].

[٨٤] وأما الهضم الذي يكون في العروق فإن الأعراض التي تلحقه هي أكثر ذلك تابعة لأمراض الكبد. وقد تلقى العروق عرضا خاصا بها، وهو انبثاق الدم وسيلانه. وسبب ذلك يكون: أما في الأمراض فالقوة الدافعة وخاصة في البحارين المحمودة، وأما ما كان منه عرضا صرفا فالسبب فيه يكون إما لذع الدم وحدته حتى يفرق الاتصال الذي في أفواه العروق، وإما لطافته كما نرى ذلك في الخيلان[4] التي تخرج على الجسم، وكما يعتري ذلك في زقاق الزيت، وإما لموضع كثرة الدم إذا لم يسع تجاويف العروق. وقد يكون ذلك بسبب ضعف العروق أنفسها وتأتّيها لأن تتصدع، إما لرقتها وإما لإفراط الصلابة عليها. والذي يهتك مثل هذه العروق بسرعة هي: إما كثرة الدم وإما الأشياء التي من خارج بمنزلة السقطة والطفرة. وقد[4] يلحق عن الأمراض الموجودة في هذه الأعضاء، وفي الكبد، أعراض كثيرة[5] سنفصلها في كتاب العلامات، فإن أولى المواضع بذكرها هو ذلك الكتاب. وأما الأعراض التي تلحق الهضم الأخير الذي في الأعضاء أنفسها فإنها أيضا تلك الأصناف الثلاثة بعينها: إما أن تبطل أفعال الغاذية فيه كالذي يعرض في السل، وإما أن تنقص كالذي يعرض في الهزال، وإما أن تختل فيعرض عن ذلك البرص والبهق[6].

[٨٥] وسبب هذه الأعراض يكون إما لسوء مزاج في الأعضاء أنفسها، وإما بالمشاركة. مثال ذلك البرص، فإنه يتولد من أحد أمرين: إما لضعف القوة الهاضمة التي في العضو المبروص[6]، وإما لرداءة المادة الواصلة للعضو، وذلك[7] لرداءتها في نفسها أو لضعف الكبد والعروق. وأما البهق فالسبب فيه، أكثر ذلك، إنما هو من ضعف القوة المميزة التي في الكبد، أو لضعف الطحال عن جذب العكر السوداوي، أو سوء مزاج الكبد والعروق حتى يكثر تولد هذا الخلط عنها. وقد يكون ذلك لسوء مزاج في الأعضاء أنفسها: فإن هذا غير ممتنع. وقد يكون ذلك لمكان الأغذية أنفسها.

[٨٦] وينبغي أن تفهم عنا، عند تعديدنا لأسباب هذه الأعراض، أنه ليس تعديدا لأشياء[8] متعاندة لا يمكن أن تجتمع بأسرها، بل في الأكثر إنما تكون الأعراض اللاحقة لها عن أكثر من سبب واحد منها. وربما كانت عن جميعها.

---

(١) م: أضيف "في معالجة الكبد" (٢) م: يكن برء (٣) غ، ت: سقط "وكلام الحكيم...في القلب" (٤) غ، م، ج، ت: سقط "قد" (٥) غ: أضيف "في النزل"؛ ج: هكذا "في الرنل" (٦) غ، م، ت، ج: سقط "المبروص" (٧) ج: أضيف "إما" (٨) م: تعديد هذه الأشياء؛ ب، غ: تعديد الأشياء.

[٨٧] وأما الهضم الذي يكون في الدماغ فيلقى عرضا خاصا به. وذلك أنه تنقص قوته الهاضمة أو[١] تتعطل، فيلحق عن ذلك سيلان فضول على الأنف والحنك غير نضجة. وهذا العرض هو المسمى نزلة[؟]. وهذا المرض[٢] يلفى متكونا عن الأشياء الباردة التي من خارج، وقد يلفى عن الأشياء الحارة.

[٨٨] وينبغي أن ننظر كيف تولد ذلك عنهما[٣] فنقول: لما كانت الفضلة التي تسيل في هذا المرض نيئة غير نضجة دل ذلك على أن الفاعل لهذا المرض هو ضعف القوة الهاضمة لسوء مزاج بارد غلب عليها. لكن: أما هذا في النزلات التي سببها الأشياء الباردة التي من خارج فمطابق لما يظهر من هذا القول. وأما النزلات التي تحدثها الأشياء الحارة من خارج فيعسر فيها تصور ضعف القوة الهاضمة. لكن ضعفها في هذا المرض إنما يكون بضرب من العرض، أعني لكثرة المادة ورطوبتها. وذلك أن الحرارة من شأنها أن ترطب الأشياء المنعقدة وتذيبها مع أنها تجذبها إلى الرأس من جميع البدن.

[٨٩] فإذا كان ذلك كذلك فتلقى القوة الهاضمة التي في الدماغ مثل هذا المرض[٤] أعني أنها تبرد، مع أن الحرارة الغريبة[٥] التي من خارج من شأنها أن تبرد الحرارة الغريزية كما تفعل الشمس بالنار. فهذا هو القول في جميع الهضوم إن شئت أن تجعلها ثلاثة على ما يقول[٦] جالينوس أو أربعة على ما يقوله ابن سينا. إلا أن الأولى أن لا تجعل الهضم الذي في العروق هضما ثالثا: إذ كان ليس يلفى فيها للدم انقلاب[٧] إلى صورة أخرى، كالحال في المعدة والكبد والأعضاء أنفسها، فإن المعدة تقلب الغذاء كيلوسا والكبد تقلب الكيلوس[٨] دما أحمر والأعضاء أنفسها[٩] تقلب الدم منيا[١٠] أبيض. وأما العروق فليس لها فيه[١١] مثل هذا التأثير. وإن كنا ندرك بالقياس أن لها فيه تأثيرا ما.

[٩٠] وقد ينبغي أن نصف الأعراض الداخلة على العضو الرئيس في هذه القوة الغاذية وهو القلب، ثم نصير بعد ذلك إلى الأعراض التي[١٢] تدخل على الأعضاء الخادمة للكبد، ثم الأعراض الداخلة على أعضاء آلات التناسل، وبذلك يكمل القول في الأعراض الداخلة على القوة[١٣] المنسوبة للنبات من قوى النفس، فنقول:

[١٦-] القول في القلب

[٩١] إن الأعراض التي تلحق القلب هي الغشي والخفقان، وبالجملة خروج النبض عن المجرى الطبيعي. وسبب هذا ضرورة يكون إما من شيء من خارج، وإما من

---

(١) ب، ت: و (٢) ت: النوع (٣) م، ج: عنها (٤) غ، م، ت، ج: العرض (٥) ت: سقط "الغريبة" (٦) غ، م، ج: يفعل (٧) ب: انفلات (٨) غ، م، ج: تقلبه (٩) غ، م: "وسائر الأعضاء" عوض "والأعضاء أنفسها" (١٠) م: "تقلبه شيئا" عوض "تقلب...منيا" (١١) ب، ج: فليس فيها (١٢) ب: ونكمل القول بالتي (١٣) ب: النفس.

شيء[١] من داخل. أما الأشياء التي من خارج: فالأمور النفسانية التي تسخن[٢] مزاج القلب كالغضب والحزن[٣]، أو التي تسير بالحرارة المنتشرة في جميع البدن إليه، كالفزع. وذلك أن من شأن مزاج القلب، إذا استحر أكثر مما ينبغي، أن تفرط حركته النبضية طلبا لتعديل مزاجه بإدخال الهواء وإخراجه. وأما الأشياء التي من داخل فهي سوء المزاج: إما فيه أولا، وإما في عضو مشارك له. وسوء المزاج المتولد في القلب ربما كان غير مادي كحمى الدق وغير ذلك، وربما كان ماديا: وذلك بأن يتغير الدم الذي فيه بعض التغير[٤]. فأما الورم فلا يحتمله هذا العضو في نفس جرمه، بل يبادر الموت إلى العليل في أول حدوثه. قالوا وربما حدث الورم في غشائه فلم يقع الموت، فإن بادر الطبيب إلى علاج ذلك أمكن الخلاص منه وإلا قتل. وقد حكى جالينوس أن من[٥] أمراضه المادية رطوبة مائية[٦] تكون في غشائه، يتبع ذلك ذبول البدن. قالوا ويعرض فيه أن تتراكم على غشائه أشياء صلبة. وبالجملة فليس يمتنع عليه جميع أصناف سوء المزاج، ما لم يكن مفرطا أو[٧] لم يكن عن ذلك تورم. وأما إذا أفرط به[٨] سوء المزاج فإنه يؤدي إلى الغشي.

[٩٢] والغشي هو انصراف الحار الغريزي دفعة إلى القلب عن سائر الأعضاء وتخليه عن تدبيرها، وذلك لقلته وفرط تحلله. وأما الأعضاء التي يختل بمشاركتها[٩] فجميع الأعضاء الضرورية التي لها رئاسة، ومن أقواها مشاركة فم المعدة، ولذلك سمته القدماء فؤادا باسمه. وذلك أنه كثيرا ما يعرض من[١٠] ألم هذا الموضع العارض[١١] المسمى الغشي[١٢]. ولكون (=بسبب) مشاركته لهذه الأعضاء كانت الأعراض التي تلحقه في النبض دلائل على أكثر أمراض هذه[١٣] الأعضاء. وتعديد أنواع هذه الأعراض وإعطاء أسبابها: كتاب العلامات أولى بذلك.

[١٧- الأعضاء الخادمة للكبد]

وأما الأعضاء الخادمة للكبد فقد قلنا إن منها المرارة والطحال والكلى والمثانة:

[٩٣] أما المرارة فقد تبينت أسباب الأعراض اللاحقة لتعطل فعل فعل[١٤] من أفعالها، عندما ذكرنا أعراض الكبد[١٥].

---

(١) ت، م، غ: سقط "من شيء" (٢) ت، م، غ: تحر (٣) ت، ج، م، غ: سقط "والحزن" (٤) م: التغيير (٥) ت: سقط "من" (٦) ت: سقط "مائية" (٧) ب: و (٨) ب: سقط "به" (٩) م: يختل القلب...؛ت: تختل بمشاركته (١٠) م: عن (١١) ت: العرض (١٢) ب، ج: الذي يسمى(ج: المسمى) غشيا (١٣) غ، ت: سقط "هذه" (١٤) غ، م، ت: سقط "فعل" (١٥) ت: أضيف "في الطحال" (كعنوان، وهكذا عند كل فقرة يبدأ فيها الكلام عن عضو من الأعضاء).

[٩٤] **وأما الطحال** فإذا تعطلت قوته الجاذبة حدث عن ذلك كما قلنا انتشار المرة[١] السوداء في الدم، فربما دفعتها الطبيعة إلى سطح البدن، فيحدث عن ذلك اليرقان الأسود. وبالجملة يلحق هذا العرض جميع الأمراض السوداوية. وإذا أفرطت قوته الدافعة حدث عن ذلك مرض المعدة المنسوب إلى هذا الخلط[٢]؛ وقد يحدث عن ذلك خلفة سوداوية. وسبب هذه الأعراض اللاحقة هي ضرورة أسباب سائر الأعراض. وذلك إما مرض آلي وإما سوء مزاج وإما مركب منهما كالورم. وهذا العضو لغلظ ما يتغذى به كثيرا ما تصيبه أورام جاسية[م].

[٩٥] **وأما الكلى** فإنه يظهر من أمرها أن فيها[٣] أيضا الخمس قوى: فإذا ضعفت القوة المميزة التي فيها أو الهاضمة أو الماسكة تبع ذلك أن يخرج الدم مبثوثا في البول، لأن المائية الدموية الواصلة إليها من الكبد لتغتذي بها لا تغيرها. وأما متى ضعفت القوة الجاذبة في هذا العضو، فإنه يحدث عنه الاستسقاء الزقي، كما قلنا (=فقرة ٧٩). وقد يفرط فعل القوة الجاذبة في هذا العضو فيتبع ذلك سلس بول مع شرب ماء كثير، وهذه العلة هي المسماة **بالبركار**[م][٤]. ويصحب إفراط فعل القوة الجاذبة في هذا العضو ضرورة ضعف الماسكة والهاضمة. ولذلك يخرج البول في هذه العلة غير نضج. وسبب هذه الأعراض يكون أحد أصناف سوء المزاج، والأمراض الآلية أو المركبة منهما[٥] جميعا. وأنت فقد ظهر لك من قوة القول[٦] المتقدم ما تقدر به، من تلقاء نفسك، كيف تنسب عرضا عرضا من هذه الأعراض إلى صنف صنف من أصناف الأمراض. لكن علة **البركار** هي أولى أن تنسب إلى المزاج الحار، من جهة أن الجذب إنما يكون بالحرارة، من أن تنسب إلى المزاج البارد. وجالينوس ينسبها إلى المزاج البارد كالحال في **الشهوة الكلبية**[م] في المعدة. ويشبه أن يكون هذا العارض في الفضلة الرطبة شبيها بالعارض الذي يعرض في الفضلة اليابسة المسمى إسهالا، بل وجوده في الفضلة الرطبة أولى من وجوده في الفضلة اليابسة[٧]. وغير ممتنع أن يكون شدة الجذب لضعف الماسكة، فإنها متى ضعفت لم تتغذ الكلى بالمائية التغذي الذي يجب لها لقلة وقوف المائية فيها، فتتحرك[٨] القوة الجاذبة فيها أكثر مما يجب. لكن هذا الصنف يلزم أن يتبعه قلة وقوف البول في المثانة من غير أن تمتلئ، وقد تختل القوة الدافعة التي في هذا العضو لسدد[٩] تعرض فيها من أجسام حجرية تتولد فيها عن أخلاط غليظة وحرارة مجففة، على جهة ما

---

(١) م: المرار (٢) غ، م، ت: سقط "المنسوب...الخلط" (٣) ج: أمرهما أن فيهما (٤) غ: يظهر "بالبركان" (٥) م: منها (٦) ج: يظهر...الفعل (٧) غ، ت: سقط "من أن تنسب إلى...الفضلة اليابسة" (٨) ت: فتحرك (٩)غ، م، ت: بسدد.

ينعقد الخزف. قالوا وأكثر ذلك إنما يتولد في جرمه لا في تجويفه، وهذا المرض هو[١] الذي يسمى[٢] حصاة.

[٩٦] **في المثانة.** وأما المثانة فإنه يختل فعل القوة الدافعة فيها لسدة حادثة فيها: إما مثل[٣] ورم أو خلط غليظ أو دم جامد، وإما بالحصى المتولدة[٤] فيها؛ ويتبع جميع ذلك عسر خروج البول. وقد يكون عسر البول لاختلال القوة الدافعة نفسها، وقد يكون تقطير البول لإفراط فعل[٥] القوة الدافعة التي فيها. وسبب ذلك إما قروح فيها، وإما أن في البول كيفية[٦] لذاعة. وأما الذين يخرج عنهم البول بغير إرادة أصلا، ولا وجع، فذلك يكون من استرخاء العضلة المحيطة بعنق المثانة. وهذا سيعدد في الأعراض الداخلة على الحركات الإرادية. وينبغي أن تعلم أن هذين العضوين، أعني الكلى والمثانة، كثيرا ما تلحقهما أعراض رديئة من أمراض الخشونة، حتى أنها ربما آلت إلى التقرح، وهو المرض المسمى في أول الأمر جربا[م]. وذلك يكون عن أخلاط رديئة تنصب إليها، أعني في نفس جرمها، وفي تجويفها. وبالجملة الفاعل لهذا المرض المسمى جربا إنما هو سوء مزاج مادي خبيث. وحق لمثل هذا العضو أن يلقى مثل هذا العرض، إذ كان[٧] طريقا لفضول الجسم ومغيضا لها[٨].

[١٨- في الأعراض الداخلة على آلات التناسل]

وهذه الأعضاء، كما قلنا، منها الرحم والأنثيان والقضيب والثدي.

[٩٧] أما الأنثيان فإنه قد[٩] يلحقهما ضعف قوتهما الهاضمة حتى لا تفعلا منيا[١٠] مولدا. وذلك ضرورة عن أحد أصناف سوء المزاج: فإنه متى أفرط مزاجها في الحر واليبس شيطت (=جعلته قريبا من الاحتراق) المني وأحرقته. وكذلك إن أفرط في البرد واليبس أو في الرطوبة أو في البرد مفردا لم تنضج المني وخرج رقيقا مائيا. وهذه الأمزاج منها ما هي في أصل الخلقة، وهذه لا سبيل إلى برئها، ومنها ما هي عرضية وهذه يمكن برؤها. وقد يختل فعل هذا العضو من الأورام المتولدة فيه ومن انقطاع معاليقه أو من المرض الذي يعتريه في المقدار والوضع، وهو المرض المسمى أدرة[م]. وهذا المرض يحدث من اتساع الثقب الذي فيه معاليق الأنثيين: وذلك أن ثقب هذه المعاليق[١١] إذا اتسع[١٢]، إما لرطوبة فضلية تكون هناك وإما لقحل[١٣] يعرض للمعاليق أنفسها[١٤]،

(١) ت: الصنف (٢) ب، ت: المسمى (٣) ت: "من" عوض "مثل" (٤) ب: بالحص المتولد (٥) ب: سقط "فعل" (٦) ب: أضيف "حارة" (٧) غ، م، ت، ج: هذه الأعضاء أن (ت: سقط "أن") تلقى...إذ كانت (٨) ب: له (٩) م: سقط "قد" (١٠) ب: شيئا (١١) ت: التعاليق (١٢) غ، ب: أن هذه...اتسعت (١٣) ت: لحفوف (١٤) ب: أضيف "و".

انحدر المعى إلى هناك. وربما اندفع إلى كيسها رطوبة أو ريح فيحدث المرض المسمى أدرة. وقد يكون هذا المرض عن خرق كبير يكون في هذا الثقب حتى ينزل في الكيس شيء من المعى، وهو أردأ أصنافها.

[٩٨] وأما القضيب فإنه تختل القوة الدافعة التي فيه بانسداد مجراه أو لضعف[1] طارئ عليه أو لفساد[2] في شكله عند الإنعاظ. والفساد في الشكل يعرض له[3] إما إذا انقطع[4] الوتر الذي به يكون إنعاظه مستقيما، وهو المسمى شكالا، وإما من يبس مفرط وإما من ورم متحجر.

[٩٩] وأما الأرحام فلما كانت خلقتها لمكان الولادة (=من أجلها)، مع أنه صحب ذلك أن كانت سبيلا لفضول الهضم الثاني، كانت الأعراض اللاحقة لها داخلة على هذه الأفعال أنفسها. والرحم، كما قيل، فيها الأربع قوى: الهاضمة وإن شئت سميتها الحافظة فهو أليق بها. ولهذا ما ليس يظهر فيها فعل القوة المميزة، إذ كان لا يظن أنها تغتذي بما تحتوي عليه؛ وإن كان في هذا موضع شك. ولذلك[5] ينبغي أن نعتقد أن جذبها المني واحتوائها عليه هو لمناسبة[6] طبيعية بينهما، وكذلك احتواؤها على الجنين. والشك إنما هو في أمر المعدة هل تحتوي على الطعام لمكان الاغتذاء أو للمناسبة التي بينهما، أو للأمرين جميعا[7]. وأما الجاذبة والدافعة والماسكة فأمرها فيها بين.

[١٩- الأعراض والأمراض الداخلة على الرحم]

[١٠٠] فنبتدئ[8] بذكر الأعراض الداخلة على واحدة واحدة من هذه القوى فنقول:

- أما القوة الحافظة التي فيها للجنين[9] فإنها متى ضعفت أو بطلت كان عن[10] ذلك إما قلة الحمل وإما ألا تحمل المرأة أصلا. وسبب هذا يكون ضرورة أحد أصناف سوء المزاج المادي وغير المادي؛ إلا أن غير المادي، منه ما هو في أصل الخلقة وهذا يسمى عقرا[11]، ومنه ما هو طارئ. وجهة ضرر هذه الأمزجة بالمني هي بعينها جهة ضرر سوء المزاج في الأنثيين به. وذلك أنها متى كانت حارة يابسة شيطت المني وأحرقته[12]. ومتى كانت باردة بردته حتى يعود مائيا.

---

(١) غ، م، ت: بضعف (٢) م: بفساد (٣) غ، ت: سقط "له" (٤) غ، م، ت، ج: بقطع (٥) م، ج: وكذلك (٦) ب، ج: لمشابهة (الفرق المثبت في النص يوجد في نسخة م وحدها) (٧) غ، ت: سقط "ولذلك ينبغي...للأمرين جميعا"؛ م: جاءت العبارة الساقطة في غ و ت بعد "...بما تحتوي عليه"، وبعدها جاءت العبارة "وإن كان في هذا موضع شك" (٨) غ: أضيف "فلنخبر"؛ م، ت، ج: أضيف "فنخبر" (٩) ت: سقط "للجنين" (١٠) ب: على؛ ت: "تبع" عوض "كان عن" (١١) ت: عقما (١٢) غ، م، ت، ح: سقط "وأحرقته".

– وأما إذا ضعفت القوة الماسكة فيه فإنها تكون سببا للإسقاط. والسبب، أكثر ذلك في ضعف هذه القوة، هي رطوبة مزلقة.

– وأما القوة الدافعة فيه فإن ضعفها يكون سببا لعسر الطلق، كما أن إفراطها في الدفع يكون سببا للإسقاط.

– والقوة الجاذبة في هذا العضو قد تكون سببا لعسر الحمل أو لعدمه، وذلك إذا تعطل فعلها أو نقص.

[١٠١] وقد تختل جميع هذه القوى في الرحم من الأورام التي تصيبها، ومن[ـها] المرض المعروف باختناق الرحم. وهذا المرض ليس يضر بأفعال الرحم فقط، بل وبأفعال سائر الأعضاء وبخاصة أعضاء التنفس[١]. وذلك أن سبب هذا المرض إنما هو عن تولد خلط سمّي يتكون في هذا العضو، فيترقى منه بخار مضاد بصورته للحرارة الغريزية على جهة ما تضادها السموم، فيعتري عن ذلك تعطل أفعال الحياة حتى لا يكاد في تلك الحال أن يحس للقلب نبض. ولما كان يصيب مثل هذا العرض في الأكثر النساء البعيدات العهد بالجماع ظن أن هذا التعفن إنما يعرض لمني النساء، إذا لم يستفرغن بالجماع[٢]؛ مع أنه أكثر شيء استعدادا لأن يلقى[٣] مثل هذا العرض. وليس يمتنع في الأبدان الرديئة أن يتولد في أعضاء منها أخلاط تشبه السموم في جواهرها، وبخاصة في هذا العضو لكونه مغيضا لفضول البدن التي هي أكثر شيء استعدادا لقبول العفونة. ولذلك رأى بعضهم أن هذه العلة قد تعرض عند[٤] امتناع درور الطمث. ولكون هذا العضو مغيضا لهذه الفضلة كان كثيرا ما يصيبه التآكل، فيعسر برؤه أو لا يمكن. وهذا العضو يصيبه من أمراض الوضع المبطلة لجميع أفعاله، أنه يسترخي حتى يخرج[٥] عن موضعه ويتعلق. وهذا قد يكون سببه الأشياء التي من خارج كالطفر والولادة، وقد يكون سببه رطوبة لزجة، وقد يجتمع الأمران جميعا.

[١٠٢] ومما يعوق الرحم عن الحمل العلة المعروفة بالرحى[٦]. وهذه العلة تعرض عن[٦] تقصير القوة المصورة التي في المني، وذلك إما من فساد الآلة وإما من فساد الهيولى فتتولد في الرحم بضعة لحم. ويعرض للمرأة أن يكون بطنها شبيها ببطن الحبلى، حتى ترمي بتلك البضعة، وقد تنضجها الطبيعة إلى رطوبات ورياح. وأما الأعراض التي تلحق دم الطمث فالفاعلة لها[٧] هي الأعراض التي تلحق القوى التي في هضم العروق، وذلك أن إفراط خروج هذا الدم إنما يكون سببه أحد أمرين: إما ضعف القوة الماسكة وإما إفراط دفع الدافعة وإما كلاهما. أما السبب في ضعف القوة الماسكة

---

(١) غ، م، ت: سقط "وبخاصة أعضاء التنفس" (٢) غ، م، ت: سقط "إذا لم...بالجماع" (٣) ب: يلفى (٤) غ، م، ت: عن (٥) ب: فيخرج (٦) غ، م، ج: من (٧) م: فيها.

فهو أحد أصناف سوء المزاج. وأما السبب في إفراط القوة الدافعة فهو إما خلط لذاع وإما الكثرة. وأسباب امتساك هذا الدم هي أضداد هذه الأسباب بعينها، إلا أن أحد ما تضعف به القوة الدافعة أو يتعطل فعلها في هذا العرض هي السدد الحادثة[1] عن غلظ الدم ولزوجته. والطمث الطبيعي في النساء أقل زمانه يكون يوما وأكثر زمانه سبعة أيام، والطهر المتخلل بين هذه[2] الحيض أقل زمانه عشرون يوما، وأطوله ثلاثون يوما.

[٢٠-أعراض تنسب إلى النفس النباتية]

[١٠٣] فهذه هي جميع الأعراض الداخلة على القوى المنسوبة للنفس النباتية. وقد تظهر في جميع البدن أو في عضو منه أعراض تنسب إلى القوة الدافعة فقط من خوادم هذه القوى[3]. أما التي في جميع البدن فالرعدة والنافض(م)[4] والقشعريرة والتمطي[5] والاختلاج(م)[6]. وأما التي في أعضاء خاصة فكالسعال في الرئة والعطاس في الرأس[7] والتثاؤب في الفم والفواق(م)[8] في المعدة. ونحن نشير إلى[9] أسباب جميع هذه. وإنما نسبنا[10] هذه الأفعال إلى هذه النفس (النباتية) إذ كانت ليست إرادية، وإن كان قد يكون للإرادة[11] في بعضها مدخل ما، فنقول:

[١٠٤] أما النافض فإنه حركة القوة الدافعة التي في العضل لدفع الخلط المؤذي لها بالحرارة و[12] البرودة. ومن الدليل على ذلك أن مثل هذا العرض يلقى البدن عن الأشياء التي من خارج. مثال ذلك أنه متى صب على البدن ماء حار شديد الحرارة اقشعر منه الجسم[13] على المكان، وربما ارتعد. وكذلك يلقى من الهواء البارد. وإذا ضعفت أسباب هذا العرض كان عنه قشعريرة، فإذا اشتدت أسبابه كان عنه النافض. ولذلك لا يرى نافض إلا تتقدمه قشعريرة. وهذا النافض إنما يكون أكثر ذلك في الحميات، وبخاصة النافض الذي يكون عن الأخلاط الحارة. وأما الذي يكون عن الخلط البارد البلغمي، فقد يكون عنه، فيما زعموا، نافض بغير عفونة. وذلك في النوع الزجاجي منه فقط.

[١٠٥] وزعم الأطباء أن النافض الذي يكون عن الخلط الحار أشد، لمكان (بسبب) لذعه، وأن الذي يكون عن الخلط البارد أقل لذعا. ونحن نرى أن الأبدان إنما تلقى هذا العرض أشد ما يكون عن الهواء البارد. وأما الهواء الحار فليس يكاد يعرض

---

(١) ب: هو السدة العارضة؛ ت: ...العارضة (٢) ب: "لهذا" عوض "بين هذه" (٣) غ، م، ت، ج: القوة (٤) غ، ت، ج: سقط "والنافض" (٥) ج: سقط "والتمطي" (٦) م، ت: سقط "والاختلاج" (٧) ت: سقط "في الرأس" (٨) ج: أضيف "والجشأ" (٩) ت: نسير إلى تعديد (١٠) ت: سقط "جميع هذه وإنما نسبنا" (١١) غ، ج: للإرادية (١٢) غ، ت، ج: أو (١٣) م: أضيف "كله".

عنه نافض، بل إنما تعرض عنه قشعريرة. والشاهد على هذا[١] الرعدة التي تصيب المقرورين[٢]. ولهذا ما نرى أن أقوى[٣] الأسباب في النافض هو غور[٤] الحرارة الغريزية إلى باطن البدن وبرد الأعضاء التي من خارج، فتتحرك الطبيعة إلى دفع ما يضادها، سواء كان باردا أو حارا، إلا أن البارد أشد مضادة. وأما صاحب الكتاب الملقب بالنفخ، وهو منسوب إلى أبقراط، فهو يرى أن سبب ذلك هي[٥] رياح غير طبيعية. تتولد عن أخلاط في البدن. ويحتج لذلك بأن الجزء الرياحي[٦] هو أشد[٧] الأسطقسات[٨] تحريكا للبدن. وأن ما يلحق بذلك للبدن شبيه بمثل ما لحق منه للأرض[٩] في الزلازل[١٠].

[١٠٦] وأما النافض الذي يكون عند الموت فسببه هو تحريك[١١] القوة الدافعة لضعفها عن حمل الأعضاء أنفسها[١٢]، ولذلك تنطفئ بأثره[١٣] الحرارة الغريزية على المقام وتتحلل. وحركتها في هذه[١٤] شبيهة بالحركة غير المحصلة، التي ليس لها سبب إلا الضعف فقط، كحركة السراج عندما يريد أن ينطفئ. ولذلك ما ترى الطبيعة عندما يطرأ عليها أمر مهلك من خارج، مثل ضرب العنق وغير ذلك، تدفع بفضول الجسم بهتا[م][١٥] منها لما طرأ عليها من خارج. وأما على قول أبقراط فيكون[١٦] لموضع تحلل الروح إلى خارج أو لموضع استيلاء الريح، الخارجة عن الطبع المرضية، على البدن في ذلك الوقت أو للأمرين جميعا، وهو الأشبه[١٧].

[١٠٧] وأما السعال فإنه حركة القوة الدافعة التي في الرئة للأشياء المؤذية لآلات التنفس، وقذفها بها بالهواء[١٨] الخارج بمعونة الصدر لها. ومن هنا يظهر[١٩] أن للإرادة مدخلا ما في هذا الفعل. والسبب الفاعل للسعال هو أحد أصناف سوء المزاج المادي وغير المادي. أما المادي فإنه إما أن يكون من رطوبة تنزل من الرأس، كما يعتري في النزلات، وإما من شيء يصل إلى الرئة من الصدر ونواحيه كما يعتري ذلك في الأورام التي فيه، وإما من شيء يتكون في جوهر الرئة بمنزلة الورم أو القرحة أو الدم المنفجر. والدم ينبعث من هذا العضو، إما عندما ينشق[٢٠] عرق من عروقه وهو خطر، وقد ينبعث منه الدم على جهة الرشح لتخلخله، وقد يصير أيضا إليه من نواحي الصدر. وقد زعموا أنه كان برجل سعال شديد حتى قذف حجرا من رئته، فسكن سعاله[٢١]. وقد زعموا أنه

---

(١) غ، ت: هذه (٢) ت: المحرورين (٧) ب: أولى (٤) ب: غؤور(٥) م: "يقول إن النافض إنما يتولد عن" عوض "يرى...هي" (٦) م، ج: الريحي (٧) م: أقوى (٨) ج: سقط "الأسطقسات" (٩) م: وأن ما يلقى منه شبيه بما يلقى منه الأرض؛ ج: وأن ما يلحق البدن من ذلك شبيه بما يلحق الأرض (١٠) غ، ت: سقط "وأما صاحب...الزلازل" (١١) غ، ت: تحرك (١٢) ت: سقط "أنفسها" (١٣) ب: سقط "بأثره"؛ ج: بأثر ذلك (١٤) م: بهذه (١٥) ب: هناك هامش غير مقروء؛ م: تهيبا (١٦) م: "وعلى قول يكون" عوض "وأما...فيكون" (١٧) غ، ت: سقط "وأما على قول...وهو الأشبه"(١٨) م: في الهواء (١٩) ت: نظن (٢٠) ب: ينبثق (٢١) ب: سقط "سعاله".

يكون ضرب من السعال عن تولد يعوض[1] في الرئة؛ وقد تكون المواد المحركة للسعال أمورا تطرأ من خارج، بمنزلة الغبار والدخان، وبالجملة الأشياء التي[2] من طبيعتها[3] أن تهيج هذا العرض، كالقطن الذي يكون في عليق الكلب. وأما الأمزجة غير المادية فإنها أيضا تهيج هذا العرض، وإن كانت القوة الدافعة لم تعد نحو هذا الفعل، لأنه ليس يحصل عن ذلك الفعل[4] منفعة، كالحال في السعال المادي. لكن لحقها ذلك بالعرض. وذلك أنه لما أريد من هذا[5] العضو أن يتحرك لقذف الأشياء التي ترد عليه، جعل فيه قوة جيدة الحس. فعندما تحس بأدنى شيء يصل[6] إليها قذفت به الدافعة، فإذا عرض لها سوء مزاج غير مادي وأحست به[7] تحركت القوة الدافعة على جهة تحركها عن المادي[8]، لأنه لم يمكن[9] في طباعها غير ذلك؛ فإن كل ما في الطباع إما أن يكون لمكان الضرورة، وهو الذي لا يمكن غيره، وإما أن يكون لمنفعة. وهذا المزاج يعرض إما من الأشياء التي من خارج، كما يحكى أن بعض الأطباء أمر من كان يشكو سعالا أن تضم أطواق ثيابه فبرئ. وربما كان هذا المزاج من خلط متقدم. وربما كان من مزاحمة بعض الأعضاء للرئة، كما يعتري ذلك في تورم الكبد وفي الشبع المفرط.

[١٠٨] وأما العطاس[10] فإنه حركة بالقوة[11] الدافعة التي في الدماغ، لتنقية الفضول التي فيه. وقد يصحب[12] فيه مع تنقية الدماغ أنه ينقي مع ذلك الفضول التي في الصدر والرئة. وربما اندفع به[13] بعض ما يكون في فم المعدة. ولذلك ما نرى العطاس يهيج الجشاء. وهذه الحركة للقوة الدافعة إنما تكون عن[14] لذع الخلط المؤذي بكيفيته[15] باطن الأنف. ولذلك ما نرى الأشياء التي تدخل في الأنف تهيج العطاس. وأما هل يكون هذا الفضل في بطون الدماغ فيهيج منه عطاس من قبل أن يسيل منه شيء[16] إلى المنخرين فيبعد ذلك.

[١٠٩] وأما الفواق فهو من حركات القوة الدافعة في المعدة، وقد ذكرناه. وكذلك الأمر في الجشاء، أعني أنه أيضا من حركة القوة الدافعة للرياح المستكنة هنالك. وأما التمطي فهو تمديد الأعضاء لينتفض منها[17] الفضل البخاري المحتقن فيها. والتثاؤب هو تمط في عضل الفكين لتنقية الفضل الذي هنالك. وأما الاختلاج فإنه يكون عن فضل بخاري تولد في العضو عن تقصير القوة الهاضمة أو[18] رداءة المادة، أعني إذا كانت

---

(١) ب: عن مواد تغوص؛ ت: عن ثؤلول يعرض (ت: شطب على "تولد" وثبت "ثؤلول" في الهامش) (٢) غ، م، ج: لأشياء، وسقط "التي"؛ ت: مطموسة (٣) ب: شأنها؛ م: طبعها (٤) غ، م، ت، ج: سقط "الفعل" (٥) ب، ت: ذلك (٦) ب: قوة تصل (٧) ج: أضيف "القوة الحساسة" (٨) م: للمادي (٩) غ، ب، ت: يكن (١٠) ت: أضيف "المفرط" (١١) غ، م، ج: القوة (١٢) ت: أضيف "مع ما" (١٣) ت: فيه (١٤) غ، م، ت، ج: عند (١٥) ب: بكيفية (١٦) م: سقط "شيء" (١٧) ب: لتنقية؛ م: لتنفض عنها؛ ج: لتنفض (١٨) ب، م: و.

منتفخة[1]. فهذا هو القول في جميع الأعراض الداخلة على القوة الغاذية والقوى المنسوبة إليها. وينبغي أن نصير إلى القول في الأعراض الداخلة على قوى الحس ونبتدئ من ذلك بأبسطها وهو اللمس.

[٢١-] في الأعراض الداخلة على حس اللمس

[١١٠] والقوة الرئيسة[2] المشتركة الحساسة، وإن كانت في القلب كما قلنا، فإنه لا يتم فعلها إلا بالدماغ والنخاع والعصب. ولما كانت هذه الأعضاء أعني الدماغ والنخاع والعصب باردة المزاج بالطبع، رطبة سهلة الانفعال، ولم تكن رئاستها في شرف رئاسة القلب، كانت الأعراض الداخلة على هذه القوى إنما هي[3] أكثر ذلك من جهة الدماغ أو النخاع أو[4] العصب النابت منهما. وأما القلب فليس يحتمل أن يلقى من الآفات والأمراض[5] ما يكون عنه تعطل هذه القوى، بل الموت يبادر قبل ذلك؛ وإن كان ليس ممتنعا أن يعرض عنه ضعف في هذه الحواس. والدليل على ذلك أنه متى[6] قطع شريان كبير من بعض الشرايين التي تأتي الأعضاء عسر حس ذلك العضو. وما يعتري عند الغشي من ذهاب الحس والحركة شاهد على ذلك. وكذلك ما يعتري عند الفزع من الرعشة.

[١١١] وليس استعمالنا هذا الموضع على الجهة التي استعمله جالينوس في الأعصاب[7]، لأنه قد تبين بالقول أن للقلب مدخلا في فعل هذه القوى. وإنما استعملنا هاهنا موضع الوجود والارتفاع على جهة الاستظهار. ولما كان الأمر على ما قلنا، كان توفية الأطباء أسباب دخول الأعراض على هذه القوى[8]، إنما هي فقط من جهة الدماغ والنخاع والعصب. وأنت فينبغي لك أن تفهم الأمر على ما قلناه. ومتى قصدت بالعلاج إلى هذه الأعضاء فلا تهمل أمر القلب على ما سنقوله في الجزء العلاجي. وإذ قد تبين هذا فلنشرع في تعديد[9] الأعراض الداخلة على حس اللمس، ثم نصير بعد إلى إعطاء أسبابها وهي الأمراض الفاعلة لذلك، فنقول:

[١١٢] إن هذه القوة هي من جنس القوى المنفعلة. وذلك[10] أنها تنفعل عن الكيفيات الأربع فتحكم عليها. والأعراض الداخلة عليها أصنافها هي أصناف الأعراض الداخلة على سائر القوى. وذلك إما أن تتعطل جملة كالفالج، أو تنقص مثل الخدر، أو

---

(١) غ، ج: منفخة (في غ شكلت الكلمة هكذا: مُنَفَّخَة) (٢) م، ت: الرئيسية (٣) غ، م، ج: "تكون" عوض "هي" (٤) ب: أو في...أو في (٥) م، ج: الأعراض (٦) ب: أضيف "عرض" (٧) م: الأعضاء؛ ت: شطب على "الأعضاء" وثبت "الأعصاب" في الهامش (٨) م: هذا اقوى (٩) ت: تقرير (١٠) م: سقط "ذلك".

يكون انفعالها انفعالا رديئا مثل حس الوجع. لكن تعطل هذه الحاسة[١] جملة في جميع أجزاء البدن هو موت ضرورة. وأما تعطلها في عضو أو نقصها في جميع[٢] البدن فذلك ممكن. والأسباب الفاعلة لهذه الأعراض هي ضرورة أحد أصناف سوء المزاج المادي أو غير المادي[٣]. ولننزل أن هذه الأعراض[٤] إنما تحدث، أكثر ذلك والإنسان حي، متى كان سوء المزاج الفاعل لذلك إما في الدماغ[٥] وإما في النخاع وإما في الأعصاب النابتة منهما.

[١١٣] لكن ينبغي أن ننظر هل هذه الأعراض تحدث عن جميع أصناف سوء المزاج الثمانية المرضية[٦]، أم إنما تحدث عن بعضها، فنقول: إنه لما كانت هذه الأعضاء منها باردة يابسة وهي الأعصاب، وباردة رطبة وهي الدماغ والنخاع، كان تأثر[٧] هذه الأعضاء عن البرد أسرع[٨]، أو عن البرد والرطوبة. ولذلك كانت أسباب هذه الأعراض في الأكثر هي البرد مفردا أو البرد والرطوبة. وأما سوء المزاج الحار فلست أمنع أن يعرض عنه هذا العرض: فإنه إذا تبين أن كل عضو إنما يفعل بحرارة مقدرة[٩]، فلا فرق في أي جهة كان خروج تلك الحرارة التي بها تفعل في كونها سببا في تعطل فعله و[١٠] اختلاله، لكن إن كان مثل هذا فهو نادر. وأما اليبس فلست أمنع كذلك[١١] أن تتولد مثل هذه الأعراض عنه. ولذلك ما نرى الذين علت أسنانهم يعسر حسهم، لكن مثل هذا السبب يبعد أن يحدث دفعة. لكن ينبغي أن تعلم أن المرض إذا نسب إلى كيفية واحدة أن ذلك لمكان شدة تأثير[١٢] تلك الكيفية في ذلك المرض[١٣]، وذلك أنه ليس تلفى يبوسة خارجة عن الطبع خلوا من برودة، أو حرارة خارجة عن الطبع. وكذلك الأمر في الحرارة والبرودة مع الرطوبة واليبوسة. لكن لما كانت إحدى الكيفيتين[١٤] المتلازمتين هي أملك بذلك المرض. نسبه الأطباء إليها: فإن الأمر في الأخلاط المرضية كالأمر في الأخلاط الطبيعية، أعني أنها إنما تتقوم بغلبة الكيفيتين[١٥]، مثل الصفراء بالحرارة واليبوسة والدم بالحرارة والرطوبة.

[١١٤] وإذ قد (# وإذن فقد) تبين أن المزاج البارد، بما هو بارد، هو السبب أكثر ذلك في هذه الأعراض، سواء كان رطبا أولم يكن، وإن كان أيضا المزاج الرطب قد يمكن أن يفعل ذلك بإرخائه. لكن يعسر، كما قلنا، أن يوجد مزاج مادي رطب فقط، بل إنما يكون مركبا مع برودة أو حرارة، لكن متى كان مع حرارة،[فـ] ـبعد أن يولد

---

(١) ب: الحواس (٢) ب: أضيف "أجزاء" (٣) غ، م، ج: الذي ليس بمادي (٤) ت: سقط "هي ضرورة...أن هذه الأعراض" (٥) غ، م، ت، ج: أضيف "نفسه" (٦) غ، ت، ج: سقط "المرضية" (م: كتبها في الهامش، ووضعت علامة ـ فوق "الثمانية") (٧) م: تأثير (٨) ب: أكثر (٩) ت: مفردة (١٠) ج: سببا لتعطل...أو (١١) ب: لذلك (١٢) م: سقط "تأثير" (١٣) م: سقط "المرض" (١٤) م: سقط "الكيفيتين" (١٥) م: كيفيتن.

مثل هذا العرض[١]، وإن كنت لا أمنع ذلك. وإنما يعسر تصور مزاج مادي رطب فقط، لأن الحامل[٢] لهذا المزاج إنما هو خلط خارج عن الطبع في البدن. والأخلاط الأربعة هي إما باردة رطبة أو باردة يابسة أو حارة رطبة أو حارة يابسة.

[١١٥] وإذ قد تبين أي أصناف سوء[٣] المزاج يكون في الأكثر سببا لدخول الأعراض على انفعالات هذه الحاسة، فلننظر كيف دخولها فنقول: إن هذا المزاج إذا حدث في الدماغ تبع ذلك عسر الحس في جميع البدن. وحدوثه في الدماغ يكون إما حدوثا أوليا، وإما بمشاركة فم المعدة. وأما متى حدث في جانب واحد منه فإنه يعتري ذلك الشق من البدن هذا العرض. وكذلك أيضا[٤] متى عرض في عصب خاص بعضو ما تعطل ذلك العضو. والخلط الذي من شأنه أن يفعل هذا في العصب إنما يفعل ذلك بأحد وجهين: إما بأن يغتذي به العصب قليلا قليلا، حتى يسوء مزاجه. وإما أن يكون العصب مستنقعا فيه وهو مبثوث حواليه. وقد يعرض ذلك في العصب المجوف من قبل السدة. والسدة تحدث من الورم ومن الخلط الغليظ ومن الضغط. وهذا مع أنه مرض آلي هو أيضا مرض متشابه: فإن الورم والخلط الغليظ والضغط يتبعها[٥] سوء مزاج. وهذه الأسباب إذا قويت كانت سببا إما لتعطل الحس في عضو واحد أو أكثر من واحد، وإما في جميع البدن. وإذا كانت يسيرة كانت سببا لنقصه. فأما الإحساس الرديء، وهو المسمى وجعا، فإن سببه إما سوء مزاج حار وإما بارد مادي أو غير مادي.

[١١٦] والوجع إنما يحدث متى لم يغلب مثل هذا المزاج على جملة العضو. وهذا هو الذي يعرفه الأطباء بسوء المزاج المختلف. وأما متى غلب على جميع العضو هذا المزاج فإنه لا يحسه[٦] بتة[٧] أو يعسر حسه. والسبب في ذلك أن العضو إنما يحس بمزاجه الطبيعي: فمتى كان فيه سوء مزاج خارج عن الطبع فإنما يحسه بمزاجه الطبيعي، فإذا أفرط سوء المزاج حتى يتغير جملة مزاجه الطبيعي لم يحس به أصلا. وكان ذلك شبه موت للعضو. والكيفيات المنفعلة التي هي الرطوبة واليبوسة يقل[٨] حدوث مثل هذا العرض عنها مفردة[٩]، إذ كانت هذه الكيفيات إنما من شأنها في الأكثر أن تنفعل لا أن تفعل، بخلاف الأمر في البارد والحار، فإن الفعل في هذه أكثر. كما أن الانفعال في تلك أكثر. ولذلك ينبغي أن تعلم أن حدوث الأمراض يكون عن سبب فاعل وقابل وكيفية تحدث من الفاعل في القابل، فتكون الأمراض مؤلفة من شيئين: شيء

---

(١) غ، م، ت: المرض (٢) م: "الحال الولد" عوض "الحامل" (ثبت "المولد" في الهامش) (٣) غ، م، ت، ج: سقط "سوء" (ب: ثبت في الهامش) (٤) ب: سقط "أيضا" (٥) غ، م، ت: يتبعه؛ ب: يتبعهما (٦) ت: يحس (٧) م: ضرورة (٨) غ، ت، ج: تقبل (ب: كتب في المتن "تقبل" وصححها في الهامش "يقل") (٩) م، ت، ج: مفردا.

يجري منها[1] مجرى المادة، وشيء يجري مجرى الصورة، كالحال في الموجودات الطبيعية والصناعية[2].

[١١٧] وليس سبب الوجع تفرق الاتصال، كما يقول ذلك جالينوس، بل تفرق الاتصال هو سبب سوء[3] المزاج الذي يحدث الوجع. فإن تفرق الاتصال[4] إنما يكون بحركة، والحركة من شأنها أن يتبعها سوء مزاج. ولا أيضا يكون سبب الوجع من الأمرين معا: أعني التفرق والحرارة أو[5] البرودة، كما يقول ذلك ابن سينا، فإنه قد تبين في كتاب النفس (لأرسطو) أن هذه الحاسة إنما تحس حسا أوليا الكيفيات الأربع، التي هي الرطوبة واليبوسة والحرارة والبرودة. وإذا كان ذلك كذلك فالآلام إنما تعتريها في إفراط محسوساتها الخاصة، على نحو ما يعتري سائر الحواس. فإن العين إنما تألم لإفراط الألوان وخروجها عن التوسط. وكذلك حال اللسان مع الطعوم والسمع مع الأصوات، والشم مع المشمومات[6]. ولو كانت هذه الحاسة، أعني حاسة اللمس، إنما يحدث لها الوجع بتفرق الاتصال لكان محسوسها الخاص بها إنما هو نفس تفرق[7] الاتصال فقط؛ كما أن العين إذا كانت تألم بالألوان المفرطة فمحسوسها إنما[8] هو جنس الألوان. وإنما تفرقُ الاتصال شيء يعرض عن الكيفيات المفرطة. ونفس الإحساس إنما[9] هو للكيفيات. وجالينوس يقر بذلك ويقول: إن جلدة الكف إنما جعلت في غاية الاعتدال من المزاج لتدرك بها المتضادات الخارجة.

[١١٨] وإذا كان ذلك كذلك، فإفراط المتضادات هو السبب في ألمها. فإن الأقل والأكثر[10] يلزم ضرورة أن يكون في جنس هو هو. واللذة التي هي مقابل الوجع ليست شيئا أكثر من إدراك الحاسة المتوسطة الشبيه بها، كالحال في استلذاذ حاسة اللمس بالماء اللين[11]، وحاسة البصر باللون الأخضر، وحاسة الذوق بالطعوم المركبة، والسمع بالألحان المعتدلة، والشم بالروائح العطرة. فمن هذه اللذات ما يتقدمها[12] أذى قبل، فيكون موضع[13] اللذة في ذلك أظهر عند الطباع. ومنها ما ليس يتقدمها أذى، فإنه ليس من شرط اللذة ولابد أن يتقدمها أذى. والأوجاع منها ما يحدث في جملة البدن، ومنها ما يحدث في عضو من أعضائه، مثل الأوجاع الحادثة في الرأس، وأوجاع المعدة، والأوجاع الحادثة في المعى. ونحن نعدد من هذه أشهرها، ونعطي أسباب جميع ذلك، فنقول:

---

(١) م: سقط "منها" (٢) غ، ت، ج: سقط "ولذلك ينبغي...والصناعية" (٣) غ، ت، ج: "في" عوض "سوء" (٤) م: سقط "هو سبب...الاتصال" (٥) غ: أو...و؛ ب، ت: و...و (٦) م: أضيف "واللمس مع الملموسات" (٧) ب: وضع علامة تصحيح فوق الحرف الأخير من "تفرق" وكتب في الهامش "نفس الاتصال" وفوقها ظ (٨) غ، م، ت، ج: سقط "إنما" (٩) ب: وضع فوق "إنما" علامة تصحيح (مـ) (١٠) ت: والأنقص (ب: ثبت في المتن "الأنقص") (١١) م، ت، ج: اللبني (١٢) ت: يتبعها (١٣) م: موقع.

[٢٢- الأوجاع : أنواعها وأسبابها]

[١١٩] إن من الأوجاع ما يحدث بالرأس، ويسمى[١] صداعا، وسببه لا شك يكون إما سوء مزاج حار أو بارد مادي أو غير مادي. وينبغي أن تفهم من المادي الريحي وغير الريحي. وسوء هذا المزاج ربما حدث أولا في نفس الدماغ، وربما عرض له بمشاركة عضو آخر. وأكثر ما يعرض له ذلك بمشاركة المعدة. ومن أنواع الصداع نوع مزمن يكون في جوهر الدماغ وهو المسمى بيضة[م]، ينوب بأدوار، وليس يكون هذا النوع إلا من قبل رداءة الأخلاط مع استحالة القوى[٢] التي في الدماغ وتوليدها لمثل هذا الخلط: فإنه هكذا ينبغي أن يفهم الأمر في الأمراض المزمنة، أعني أن الأعضاء لا تزال الأخلاط تغيرها حتى تكتسب سوء مزاج فعال لذلك الخلط. ولذلك يعسر برؤها أو يمتنع. ومن هذا النوع الصداع المسمى شقيقة[م]، وهو وجع يأخذ في نصف الرأس مع الصدغ الذي في ذلك الجانب والعين. والمادة الفاعلة لبعض أنواع هذا المرض قد تكون محمولة في دم الشرايين. والدليل على ذلك أنها قد تبرأ بسل الشريان. وهذا النوع يحدث عن صنفي سوء المزاج أعني الحار والبارد، إلا أنه لا يكون إلا ماديا فإن غير المادي قليل اللبث.

[١٢٠] ومن الأعضاء التي يحدث بها الوجع كثيرا المعدة والمعى، وذلك لمكان الطبخ الذي يكون فيها[٣]، و[٤]بالجملة إنما تحدث فيها عندما يسوء هضمها. والأسباب الفاعلة لذلك: إما غذاء ريحي وإما خلط. والأخلاط التي تحدث بها الأوجاع[٥] في المعدة[٦] إما خلط سوداوي ريحي، وبالجملة خلط غليظ، وهذا النوع من الأوجاع هو أبرح[٧] أوجاعها. وقد يحدث ذلك عن خلط صفراوي. وأما الأخلاط التي تحدث منها[٨] الأوجاع المزمنة[٩]، فهي إما خلط غليظ بارد كالبلغم[١٠] الزجاجي وغيره، وإما خلط حار. وأما الأوجاع الحادثة في جملة البدن فهي المسماة إعياء. وأصناف الإعياء عند الأطباء ثلاثة: الإعياء القروحي[م] والتمددي[م][١١] والورمي[م]. وهذه الأصناف الثلاثة منها ما يحدث من خارج، ومنها ما يحدث[١٢] من قبل الأخلاط أنفسها. فالإعياء القروحي فاعله بالجملة رداءة الأخلاط. وذلك إما في النوع الذي يحدث عن التعب فيما[١٣] يذوب منها عند الحركة، وإما في الذي سببه خلط مادي فبكثرة[١٤] مثل هذا الخلط في البدن، أعني الأخلاط الرديئة الكيفية. وأما النوعان الآخران من الإعياء فهما من نوع واحد و[١٥]، إنما يختلفان بالأقل والأكثر. وذلك أن التمددي[١٦] إذا قوي حسه عاد ورميا.

---

(١) غ، م، ت، ج: وهو المسمى (٢) غ، م، ت: القوة (٣) ب: فيهما (٤) غ، م، ت، ج: أضيف "هي" (٥) غ، م، ت، ج: يحدث منها...(غ: الوجع) (٦) غ، م، ت، ج: أضيف "هي" (٧) ت: أبرد (٨) ت: عنها (٩) غ، م، ت، ج: أضيف "في المعى" (١٠) ج: كالبلغمي (١١) غ، ت: المدي (١٢) م: سقط "من خارج...يحدث" (١٣) ت: وفيما (١٤) ت: فكثرة (١٥) ب: سقط "و" (١٦) م: التمددي؛ ت، ج : التمدد.

وفاعل هذين أيضا إما الأخلاط التي في البدن وإما الحركة والتعب. والذي يكون منه عن الأخلاط إنما يكون ضرورة مع كثرة الأخلاط وتزيدها في الكمية، سواء كانت خارجة في[1] كيفيتها أو لم تكن. والكثرة في الأخلاط إنما تكون[2] إما من قبل الأخلاط أنفسها أو من قبل ضعف القوة أو من كليهما. والكثرة التي تكون[3] من قبل الأخلاط أنفسها مع صحة القوة، تعرَّف عند الأطباء: الامتلاء بحسب الأوعية. وأما الكثرة التي تكون مع[4] أحد هذه الأعراض فيعرِّفونه: الامتلاء بحسب القوة. وذلك أن القوى تكون قد ضعفت من جهة الكمية والكيفية، وذلك في الأكثر. و[5]غير ممتنع أن يكون ضعفها من قبل الكمية، لكن عند ضعف القوى تصحبه[6] ضرورة رداءة الكيفية. وقد يحدث الإعياء عن[7] سوء المزاج الحار أو[8] البارد من غير مادة، وبالجملة فالأوجاع تحدث في البدن عن الأورام، كما تحدث عن الأخلاط أنفسها.

[٢٣- حس الشهوة للطعام والأعراض اللاحقة له]

[١٢١] ولما كان الحس المسمى شهوة يخص فم المعدة فقد ينبغي أيضا أن ننظر[9] في الأعراض اللاحقة له فنقول: إن الأعراض تدخل على هذا الانفعال على ما من شأنها أن تدخل على جميع الأفعال والانفعالات، وذلك إما بأن تبطل وإما بأن تنقص، وإما بأن يكون[10] انفعالا رديئا. والأسباب التي تكون للنقصان هي بعينها سبب البطلان إذا قويت[11]. والأشياء التي تبطل هذا الانفعال المسمى شهوة أو تنقص منه هي ضرورة أحد أصناف سوء المزاج المادي وغير المادي. وهذه الأصناف من سوء المزاج منها ما يحدث بهذا العضو حدوثا أوليا، ومنها ما يحدث فيه بمشاركة غيره على ما من شأن الأعضاء أن تلقى الآفات من غيرها[12]. فالمزاج الذي إذا حدث بنفس هذا العضو أضر بانفعاله هي[13] الحرارة الخارجة عن الطبع. وأما البرودة فقد يظن بها أنها أولى أن تكون سببا في إفراط[14] الشهوة منها لبطلانها: لأن هذا[15] الفعل من هذا العضو إنما يتم بالبرودة. ولذلك[16] كان ما يصير إليه من الطحال من الحمضة معينا على هذا الانفعال. لكن متى أفرطت البرودة لست أمنع أن تكون سببا لتعطل هذا الانفعال. وكذلك متى أفرطت عليه الرطوبة أو اليبوسة، فإن كل عضو إنما يفعل أو ينفعل على المجرى الطبيعي بمزاج مقدر في الكيفيات الأربع. وأما الذي يكون لها بمشاركة غيره فمثل أن يكون سوء المزاج الواصل إليها من قبل الدماغ للمشاركة التي بينهما. وذلك إما في الدماغ

---

(١) ت: عن (٢) ب: سقط "إنما تكون" (٣) غ، م، ت، ج: سقط "تكون" (٤) غ، م، ت، ج: يكون معها (٥) م: سقط "و" (٦) غ، م، ت، ج: يصحب (٧) ب، ت: من (٨) ب: و (٩) غ، م، ت، ج: أضيف "هاهنا" (١٠) ت: تكون (١١) غ: أضيف "في النفس"، وتبدو فوق العبارة علامتا تصحيح (١٢) غ، م، ت: سقط "من غيرها" (١٣) م: أضيف "اما" (١٤) غ، م، ت: لإفراط (١٥) م: سقط "هذا" (١٦) غ: أضيف "ما".

نفسه، وإما في[١] العصب الواصل إليها منه[٢]. وقد يكون ذلك من قبل أن البدن يكون مملوءا فضولا كثيرة يعسر تحللها. فلا تحتاج الأعضاء عند ذلك إلى غذاء، لأن حس الشهوة إنما يكون عندما يتحلل من أبداننا شيء يجب أن يخلف مكانه. وليس يمتنع، كما يقول جالينوس، أن يكون أحد أسباب حس هذا العضو أنه إذا فقدت الأعضاء الغذاء اجتذبت من الكبد، فتجتذب الكبد[٣] منها وبخاصة بالعروق الواصلة منها لفم المعدة، فيفرط تحلل فم المعدة، فيحدث الاشتياق إلى بدل ما تحلل مع ما تحلل[٤] أيضا من العضو نفسه. والجذب في هذه الحركة هو مضاد للجذب الذي يكون على طريق التغذي؛ لأن الذي يكون على طريق التغذي هو جذب فم المعدة من الكبد. والجذب الذي يحرك[٥] الشهوة هو جذب الكبد من فم المعدة[٦]. لكن إنما أنسنا بهذا القول أن كل واحد من الأعضاء مضطر[٧] في أن يخلف فيه بدل ما تحلل منه، وليس فيه مع هذا حس بهذا الألم، أعني بالتحلل[٨] الذي يصيبه[٩].

[١٢٢] وإذا كان ذلك كذلك كان جميع الأعضاء إنما تحس بالتحلل بهذا العضو وهو خادم لها في هذا[١٠]. و[١١]نقول أيضا إن التحلل الذي[١٢] يصيبه في ذاته[١٣] هو أبدا كأنه مقارن لتحلل الأعضاء أنفسها من جهة ما هو عضو واحد منها، لأن[١٤] الأعضاء من شأنها أن تجتذب منه شيئا. لكن لما كان مع تحلل الأعضاء تفرط شهوة هذا العضو وتنقص مع عدم التحلل، ظهر أن[١٥] ذلك لمناسبة ذاتية ومواصلة غير عرضية بينه وبين سائر الأعضاء، وكأنه كما قلنا سبارها الذي[١٦] تحس به هذا الألم. كما أن بالعصب تحس الأعضاء التي ليست عصبا[١٧]، وباللسان يدرك المرء[١٨] الأغذية الموافقة لجميع جنسه[١٩] و[٢٠] غير الموافقة[٢١].

[١٢٣] ولما كان حس هذا العضو واشتياقه إلى الحار اليابس[٢٢] وهو الغذاء، و[٢٣]البارد الرطب وهو الماء، وجب أن يكون لقاؤه للأعراض في هذين الصنفين. أما تعطل شهوته للحار اليابس[٢٤] أو نقصانها فمن قبل وجود الحار اليابس له[٢٥] فقد وفينا أسباب ذلك[٢٦]. وأما تعطل شهوة البارد الرطب فمن قبل أيضا وجود هذا المزاج له؛ ولذلك قال الأطباء إن عدم شهوة الغذاء يكون من الحرارة واليبس، وعدم شهوة الماء من

---

(١) م: إما من...وإما من (٢) م: كتب في الهامش "من الدماغ" (٣) ت: "فتجذب" عوض "فتجتذب الكبد" (٤) غ، م، ت، ج: يتحلل (٥) غ، م، ج: يحدث تحرك (٦) ت: سقط "لأن الذي...فم المعدة" (٧) ت، ج: يضطر (٨) ب: بهذا التحلل (٩) ب: هكذا "يُعيينُه" أو "يُعيِنُه"(١٠) ج: أضيف "العضو" (١١) غ، م، ج: أو (١٢) غ: سقط "الذي" (١٣) ت: سقط "في ذاته" (١٤) غ، ت، ج: لا أن (١٥) م: لأن (١٦) ب: ...التي؛ ت: هكذا "سبادها..." (١٧) م: "لها عصب" عوض "ليست عصبا" (الهوامش من ٥٩٧ إلى ٦٠٠ تتعلق بالنسختين غ و ت) (١٨) ج: أضيف "لذة" (١٩) ب: جَسَدِه (٢٠) ج: من (٢١) غ، ت: سقط "كما أن بالعصب...غير الموافقة" (٢٢) ت: الرطب (٢٣) غ، م، ت: أو (٢٤) ت: الرطب (٢٥) غ، ت: سقط "فمن قبل...اليابس له" (٢٦) م: سقط "فقد...ذلك".

وجود الرطوبة والبرودة له. وبالجملة فإنه[1] يكون عن سوء[2] مزاج بارد رطب، أو بارد فقط[3]. وأما عن سوء مزاج حار يابس فيعسر تصوره، اللهم إلا ما يظن[4] أن ذلك يعتري في أواخر الحميات المحرقة عند القرب من الموت. وأما اختلال هذا الانفعال و[5]خروجه عن المجرى الطبيعي، إما في الكمية وإما في الكيفية: أما في الكمية فمثل الشهوة التي تكون أكثر من الهضم، وأما في الكيفية فمثل اشتهاء الأشياء الرديئة الطعوم، مثل أكل الفحم والطفل(=سقط النار) وغير ذلك، فسببه يكون: أما في إفراط كمية شهوة[6] الطعام فأحد أمرين، إما تحلل مفرط أصاب الجسم كما يعتري الناقهين، فإن هؤلاء شهوتهم أكثر من هضمهم، وإما لبرد في فم المعدة أكثر مما ينبغي، فإن هذا الفعل كما قلنا إنما يتقوم ويتم بالبرد، فإذا تزيد برده من غير إفراط حدثت شهوة كاذبة. ولذلك كانت الأشياء الحامضة تهيج الشهوة. وهذا سوء المزاج[7] قد يكون غير مادي، وقد يكون[8] ماديا عن بلغم حامض أو سوداء. والحادث عن سوء المزاج المادي يسمى الشهوة الكلبية. وأما[9] إفراط الشهوة للبارد الرطب فسبب ذلك ضرورة سوء مزاج حار يابس مادي أو غير مادي. وسوء المزاج المادي الذي يفعل هذا العرض في هذا العضو هو إما مرة صفراء وإما بلغم مالح. وسوء[10] المزاج الحادث بهذا العضو قد يكون حدوثه فيه أوليا، وقد يكون لمجاورة[11] غيره ومشاركته[12] مثل الكبد والرئة وغير ذلك.

[١٢٤] وبالجملة فكما قلنا قبل إن إحساس الأعضاء بما يتحلل منها من الجزء الحار اليابس إنما يكون بهذا العضو عندما[13] يجذب منه غيره من الأعضاء[14]، كذلك لست أمنع أن يكون الأمر في شهوة البارد الرطب. وينبغي أن تعلم أنه قد تدخل أعراض رديئة على القوة الدافعة أو الجاذبة من تعطل فعل الحس: وذلك أن القوة إنما تدفع في الأكثر عندما تحس بالمؤذي كالحال في المعى. ولذلك متى تعطل حسه عرض عن[15] ذلك نوع من القولنج، وكذلك متى تعطل حس فم المعدة تعطلت القوة الجاذبة التي في المعدة.

[٢٤-الأعراض الداخلة على الحركات الإرادية]

[١٢٥] وإذ قد قلنا في الأعراض الداخلة على حس اللمس فقد ينبغي أن نقول في الأعراض الداخلة على الحركات الإرادية، فإن في الأكثر مع[16] تعطل أحدهما يتعطل

---

(١) غ، ت: سقط "فمن قبل...وبالجملة فإنه" (٢) ت: سقط "سوء" (٣) م: "فقد وفينا أسباب ذلك" عوض "فإنه يكون...فقط" (٤) ج: سقط "ما يظن" (٥) ب: أو (٦) غ، م، ت، ج: شهوة كمية (٧) غ، م: السوء مزاج؛ ت: لسوء مزاج (٨) م: سقط "غير مادي وقد يكون" (٩) غ، م، ت، ج: أضيف "سبب" (١٠) غ، ت: السوء (١١) غ، م، ت: بمجاورة (١٢) م: أو بمشاركته (١٣) ب: هكذا "نما" (ويبدو هناك أثر محو لحرف "إ") (١٤) غ، م، ت: سقط "غيره من الأعضاء"؛ ج: سقط "منه" (عبارة ج: "يجذب غيره...") (١٥) غ، م، ت: من (١٦) ج: متى.

الآخر، وبخاصة إذا كان العرض في جملة البدن. وأما إذا كان[1] في عضو واحد منها فقد يتفق فيه أن يتعطل أو يعسر منه[2] الحس والحركة، وقد يتفق أن تبطل الحركة ويبقى الحس أو يبطل الحس وتبقى الحركة، وذلك فيما حكى جالينوس. وهذه المشاهدة مطابقة لما قيل في سبب الحس والحركة، فإن الحرارة النفسانية التي بها يكون الحس غير الحرارة النفسانية[3] التي بها تكون الحركات، والمغايرة التي[4] بينهما إنما هي في المزاج المقدر في حرارة حرارة[5] من الحرارات المختصة[6] بفعل ذلك العضو. ولذلك ما يلزم ضرورة أن تكون أمزجة أعصاب الحركة غير أمزجة أعصاب الحس لموضع تعديلها للحرارة[7] التي بها يكون هذان الفعلان، ولذلك متى بتر عصب الحس ارتفع الحس وبقيت الحركة، ومتى بتر أو شد عصب الحركة بقي الحس وتعطلت[8] الحركة، ومتى شد العصبان بطلا معا. وهذا العرض إذا حدث[9] في جميع البدن أعني عدم الحركة سمي استرخاء، وإذا[10] حدث في عضو واحد سمي فالجا.

[١٢٦] وأنت فتقدر من نفسك أن تأتي بعرض عرض من الأعراض الداخلة على جميع أعضاء الحركة لعلمك بها مما قد سلف، فإنه متى انقطع عصب الصوت تعطل[11] أو ضعف، وكذلك عصب حركة الصدر والحجاب متى تعطل اختنق العليل، وبالجملة سائر الحركات الإرادية. كما يصيب من يخدر منه العصب الذي به تكون حركة عضل المثانة أو عضل الدبر، فإن هؤلاء تخرج منهم الفضلة الرطبة واليابسة من غير إرادة. وأنت أيضا بمعرفتك بمنابت العصب وباتصاله بعضو عضو فقد تقدر أن تعلم، إذا اختل فعل[12] عضو ما، أيَّ العصب هو السبب في اختلال فعل ذلك العضو. والأعراض اللاحقة لهذه الآلات، أعني آلات الحركة، هي أيضا ثلاثة أصناف: إما أن تتعطل فتسمى كما قلنا استرخاء أو فالجا، وإما أن تنقص فيسمى ذلك خدرا، وإن كان هذا الاسم إنما ينطلق على نقصان الحس والحركة، وإما أن يجري مجرى رديئا وهذا يسمى رعشة وتشنجا.

[١٢٧] وينبغي أن ننظر في جميع أسباب[13] ذلك فنقول: أما أسباب تعطل الحركة أو نقصانها فهي بعينها أسباب تعطل الحس، وينبغي ما قلناه هنالك من مشاركة القلب أن تتصوره أيضا هاهنا. وكذلك ما قلناه أيضا في تعديد[14] أصناف سوء المزاج الفاعلة لذلك العرض يجب أن يتصور الأمر هاهنا كذلك. وأما الرعشة فهي حركة مركبة تحدث للعضو من مقاومة القوة المحركة النفسانية لقوة الميل التي في العضو

---

(١) ج: أضيف "ذلك" (٢) ت: فيه (٣) م: سقط "التي بها...النفسانية" (٤) م: أضيف "تكون" (٥) م: سقط "حرارة" (٦) غ، ت: المختص (٧) ب: الحرارة (٨) غ، م، ت: بطلت (٩) ت: وجد (١٠) ب: ومتى (١١) غ، م، ت، ج: متى تعطل...انقطع (١٢) غ، م، ت: سقط "فعل" (١٣) غ، م، ت، ج: أسباب جميع (١٤) م: سقط "تعديد".

ومجاذبتها لها، إذا[١] لم تستطع القوة المحركة[٢] أن تغلبها كل الغالبة[٣] بل تحدث بينهما[٤] حركة متضادة[٥] أحيانا إلى فوق، إذا غلبت القوة المحركة، وأحيانا إلى أسفل، إذا غلبت قوة الميل التي في العضو فيحدث بينهما لذلك تجاذب[٦] ما. وسبب هذا الضعف يكون أحد أصناف سوء المزاج. لكن أكثر ذلك إنما يعرض هذا العرض[٧] عن المزاج البارد فقط، أو البارد الرطب. والسبب في ذلك أن العصب إنما يلقى الآفات أكثر ذلك عن هذا المزاج[٨] على ما سلف من قولنا. وأما التشنج فإنه اجتماع العصبة إلى نفسها وقصرها في الطول، فينجذب[٩] لذلك العضل نفسه حتى[١٠] يتشنج العضو. وهذا العرض يلقاه من أحد شيئين[١١] على مثال ما تلقاه الأشياء التي من خارج، مثل الأوتار وغيرها. وذانك الشيئان[١٢] هما إما سوء مزاج حار يستولي عليه فينقبض ويتشنج، كالحال في الأوتار في زمن الحر، وإما سوء مزاج رطب مادي يملأ العصب ويمدده فيتزيد[١٣] عرضه. وعندما يتزيد[١٤] عرضه ينقص[١٥] من طوله بذلك المقدار ضرورة. والشيء الذي يفعل ذلك في العصب حتى يمدده هو استحالة تلك الرطوبة إلى هوائية مائية[١٦]، فيضيق عند ذلك جرم العصب عنه مثل ما يعتري في الدنان[م][١٧].

[١٢٨] وإنما كان ذلك كذلك لأن الأجزاء الهوائية أعظم مقدارا من الأجزاء المائية والأرضية. ولذلك متى استحالت الأشياء الرطبة إلى اليبوسة تقبضت واجتمعت بمنزلة السيور(قطع من الجلد) التي تلقى على النار. ومتى استحالت إلى الهوائية كانت أعظم كمية. لكن الذي يلزم عن[١٨] الرطوبة الزائدة في العصب أن يتمدد في جميع الأقطار لا أن يتشنج[١٩]. ولِمَ، ليت شعري، يكون التمدد في العرض دون الطول، إلا أن نقول إن التمدد الذي في العرض يغلب في حال التشنج[٢٠] التمدد الذي يعرض في الطول فيتشنج العصب[٢١] ضرورة. وجالينوس لا يعرف إلا التشنج، وهو النقصان الذي يكون في الطول؛ ويسميه في بعض الأحيان تمددا، ولا سيما التشنج العام في جميع البدن من خلف وقدام. وأما بعض الأطباء فإنهم يفهمون من التمدد مقابل التشنج، وهذا لا يعرض ضرورة إلا من الرطوبة فقط. لكن كونه في الطول دون العرض فيلحق فيه الشك الذي

---

(١) غ: إذ (هذا الهامش لا يعني تِ) (٢) ت: سقط "النفسانية...المحركة" (٣) ت: أضيف "قوة الميل" (٤) ب: منها؛ ج منهما (٥) م: مضادة (٦) ب: لذلك بينهما مجاذبة (٧) ب: سقط "هذا العرض" (٨) م: أضيف "البارد" (في الهامش)؛ ج: أضيف "البارد فقط أو البارد الرطب"، وشطب عليها (٩) غ، م، ج: فيجذب؛ ت: فيحدث (١٠) م: سقط "حتى" (١١) غ، ج: سببين (١٢) م، ج: السببان (١٣) غ، م، ت: يمده(م: يمدده؛ ت: يبرده) فيضيق (١٤) غ، ت: يضيق (١٥) غ، م، ت، ج: يقص (١٦) غ، م، ج: "ما فيه" عوض "مائية" (١٧) ج: هكذا "الدفاق" (١٨) م: من (سقط في غ و تِ فقرة تبتدئ من "لكن الذي يلزم" إلى "قولا برهانيا". فالهوامش من ٦٤ إلى ٦٧ لا تتعلق إلا بالنسخ ب و م و ج) (١٩) ب: تتمدد...تتشنج (٢٠) م: سقط "التشنج" (٢١) م: العضو.

لحق في التمدد الذي يكون في العرض دون الطول الذي هو عند جالينوس سبب التشنج الرطب. وبالجملة ما يقوله الأطباء في هذا العرض هو أن يكون قولا شعريا أحرى منه أن يكون برهانيا. ولعلنا سنفرد في ذلك قولا برهانيا[١]. وعندما يعرض أيضا هذا التشنج كثيرا ما تحدث مقاومة بين هاتين الحركتين، حركة القوة الدافعة[٢] وحركة التشنج. وقد يعتري العصب ضرب آخر من التشنج ليس سببه استيلاء الحر واليبس، ولا رطوبة هوائية تمدده بل إنما يكون سببه إفراط تحرك القوة الدافعة التي فيه للشيء[٣] المؤلم له، فيجتمع عند ذلك إلى نفسه وينقبض ليقوى[٤] على دفع الشيء المؤذي. وهذا النوع متى عرض كان سريع الانحلال.

[٢٥- في حاسة الذوق]

[١٢٩] وإذ قد بينا الأعراض الداخلة على هذه القوة وعلى قوة حس اللمس فلنقل في حاسة الذوق. وحاسة الذوق تدخل عليها الأعراض على تلك الأوجه الثلاثة. وذلك إما أن تبطل أو تضعف أو تحس حسا رديئا. والسبب في بطلانها هو أحد أصناف سوء المزاج. وذلك إذا كان حدوثه إما في آلة هذه الحاسة نفسها وهو اللسان. أو في العضو المشارك له وهو الدماغ. أو العصب الذي يأتيه منه. وضعفه يكون لهذه الأسباب بعينها إذا كانت أنقص. وأما ما يعرض له من أن يحس إحساسا رديئا فذلك يتفق له على أحد وجهين: إما أن يحس طعما ما من غير ذوق شيء، وإما أن يجد طعم الأشياء المذوقة على غير كنهها، مثل أن يجد الحلوة مرة أو حامضة أو غير ذلك. أما[٥] إحساسه طعوما من غير أن يذوق شيئا من خارج فذلك يعرض له ضرورة من سوء مزاج مادي، فيجد طعم ذلك الخلط إن مرا فمرا، وإن حامضا فحامضا، وإن حلوا فحلوا.

[١٣٠] وإذا تمكن سوء هذا المزاج عرض له أن يحس الأشياء كلها بذوق ذلك الطعم المتمكن[٦] فيه. وذلك أنه قد تبين في العلم الطبيعي أن جميع الحواس ينبغي أن تكون آلتها خالية من جنس مدركاتها، وإلا لم تدركها. مثال ذلك أن ناظر العين لو كان ذا لون لم يقبل الألوان. وكذلك الحال في هذه الحاسة. ولذلك متى عرض لها هذا العارض أحست الأشياء كلها بطعم واحد. وقد يعرض لها عندما يكون الطعم الغريب الذي فيها غير متمكن إذا ذاقت الأشياء أن تحس طعوما ممتزجة عن الطعم الغريب الذي في هذه الآلة والطعم الوارد عليها من خارج، كما يحدث لمن يأكل شيئا مرا ثم يشرب ماء أن يجد طعم ذلك الماء حلوا. وأما حاسة الشم فإنه يعرض لها أيضا إما أن

---

(١) غ، ت: سقط "لكن الذي يلزم...قولا برهانيا" (٢) غ، م، ت، ج: المحركة (٣) غ، م، ت: الذي فيه للشيء (ت: الشيء)؛ ب: "التي فيه الشيء" وسقط "له" التي بعدها في السطر (٤) م: فتقوى (٥) م: وأما (٦) م: للتمكن.

تبطل، وإما أن تنقص، وإما أن تحس حسا منكرا. أما بطلانها فإنه يعرض لها لأحد أمرين: إما لسوء مزاج يغلب عليها، وإما لسدة تعرض في مجرى هذه الآلة. ونقصانها يكون من ضعف هذه الأسباب بعينها. وأما حسها المنكر فإنه يعرض لها[1] عندما يعرض في الآلة عفونة ما، فتحس روائح كريهة.

[٢٦- في حاسة السمع]

[١٣١] وأما حاسة السمع فإنه يعرض لها إما أن تبطل، وذلك إما لسوء مزاج وإما لسدة في آلة هذه الحاسة وهي الأذن. ومن هذه بعينها يعرض لها أن تنقص. وأما السمع الكاذب الذي يعرض لها فإنما[2] يكون من أحد أمرين: إما لإفراط[3] حسها حتى تحس[4] بأدنى حركة تكون للهواء المبثوث في الأذن، وإما لريح مستكنة خارجة عن المجرى الطبيعي.

[٢٧-] في حاسة البصر

[١٣٢] وهذه الحاسة تدخل عليها الآفات أيضا من ثلاثة أوجه. وذلك إما أن لا[5] تبصر أصلا ويسمى ذلك عمى، وإما أن تضعف ويسمى ذلك عَشًا. وإما أن تبصر إبصارا[6] منكرا. والأسباب الفاعلة لهذه الأعراض تدخل على هذه الحاسة من تغير واحد من الأجسام التي أعدت نحو هذا الإدراك أو أكثر من واحد.

[١٣٣] وأنت فقد تبين لك من كم من[7] شيء تلتئم هذه الحاسة[8]، ولذلك قد ينبغي أن نصير إلى إعطاء أسباب هذه الأعراض من هذه الجهة، فنقول: أما أسباب العمى فهي أمور أحدها السدة التي[9] تحدث في العصبة الآتية من الدماغ إلى العينين بالروح الباصر. ولست أمنع أن يعرض ذلك من قبل[10] سوء مزاج في ذلك الروح[11]: فإن الأعضاء إنما تفعل أو تنفعل بأمزجة مقدرة[12] في الكمية والكيفية. وسوء هذا المزاج إما أن يكون باردا فيكثفه ويغلظه حتى لا يمكن فيه انفعال الإبصار، وإما أن يكون حارا فيفرقه ويبدده حتى لا تنضبط فيه الصور. وقد يعتري ذلك أيضا من أمراض الرطوبة الجليدية أو الطبقة العنكبوتية أو كليهما. وذلك أيضا إذا كدرت وعدمت الصفاء جملة حتى لا يمكن أن تنطبع فيها الألوان. وكذلك يحدث أيضا من نزول الماء في الرطوبة البيضية حتى تكدر وتعدم الصفاء. وقد يعرض من انخراق القرنية انخراقا شديدا و[13] نتوء العنبية،

(١) غ، م، ت، ج: "يكون" عوض "يعرض لها" (٢) م: فإنه (٣) غ، م، ت، ج: من إفراط (٤) غ، م، ت، ج: أضيف "أبدا" (٥) ت: لا (٦) غ، م، ت: بصرا (٧) غ، ت: سقط "من" (٨) م: سقط "الحاسة" (٩) غ، ت: سقط "التي"؛ م: "لسدة" عوض "السدة التي" (١٠) م: سقط "قبل" (١١) ت: "المزاج" عوض "مزاج في ذلك الروح"؛ ج: المزاج في هذا... (١٢) غ، م، ت، ج: موافقة (١٣) ت، ج: أو.

كما يعتري ذلك في قروح العين الرديئة. وكذلك يعتري من سيلان الرطوبة البيضية. وقد يعتري ذلك من الظفرة النابتة في الملتحم، إذا غشت ثقب الحدقة كله. وأكثر من هذه كلها[1] وأحرى أن يكون سببا للعمى هي الأورام العظام التي تحدث في جملة العين، حتى تقيح بجميع أجزائها أو أكثرها وتسيل. وكذلك القروح العظام التي تتآكل بها طبقات العين.

[١٣٤] وأما أسباب ضعف البصر فهي متشعبة من قبل أن ضعف البصر يعرض للناس على أوجه شتى. وذلك أن منهم من لا يبصر الأشياء على بعد ويبصرها على قرب، ومنهم من يلفى الأمر فيه بعكس[2] هذا، أعني أنه يبصر الأشياء على بعد ولا يبصرها على قرب. ومن الناس من يكون على القرب والبعد ضعيف البصر[3]، لكنه إذا كان على القرب فهو على البعد أكثر. وهذا في مقابل الجيد البصر على الإطلاق. وذلك أن جودة البصر إنما تكون بأن تبصر الأشياء على القرب والبعد على[4] حالة واحدة. وبالجملة فقوة البصر إنما تنسب إلى رؤية الأشياء على بعد[5]، كما يقال في زرقاء اليمامة. وذلك إنما يكون لصفاء الآلة وجودة القوة وذكاء حسها[6] كما نرى ذلك في الجوارح[7] وفي كثير من الطير، فإنه يظن أن الإنسان أضعف بصرا من كثير من الحيوانات وبخاصة الطائرة. وكذلك يظن به في آلة السمع والشم.

[١٣٥] وإذا كان هذا كله كما وصفنا فضعف الإبصار الذي هو في مقابل جودة الإبصار يكون[8] ضرورة إما لضعف قوة الحاسة[9] وقلة ذكائها، وإما لقلة صفاء هذه الآلة[10]. والضعف قد يكون لقوة هذه الحاسة طبيعيا، وقد يكون عرضيا مثل أن تكون العين بارزة إلى خارج فتضعف من لقاء الهواء والنور لها، وتمكنهما[11] منها. وقد يكون ذلك لاتساع الثقب الذي في العنبية فيتمكن الهواء من مزاج العين ويغيرها. وأسباب اتساع هذا الثقب يكون إما لتقلص يعتري الطبقة[12] العنبية من جفوف، وإما لرطوبة تمددها حتى تتشنج، وإما لكثرة الرطوبة البيضية حتى تمددها. وقد يعتري هذا العرض[13] لضيق هذا الثقب أكثر مما ينبغي. وذلك[14] يكون إذا استرخت الطبقة العنبية. واسترخاؤها يكون إما من رطوبة فيها وإما من قبل قلة[15] الرطوبة البيضية، فتسترخي العنبية وتقع أجزاؤها بعضها على بعض، قالوا. وأما متى كان ضيق هذا الثقب طبيعيا[16] فهو محمود، وقد يكون ضعف البصر عن مرض من أمراض الأجفان، وقد عددها أصحاب الكنانيش وهي بالجملة إنما تتولد عن سوء مزاج مادي.

---

(١) م: ذلك كله (٢) غ، م، ت، ج: بخلاف (٣) غ: النظر (٤) غ، م، ت، ج: "بقريب من" عوض "على" (٥) ب: البعد (٦) ب: الحس (٧) ت: في المتن "الجوارح" وفي الهامش "الحيوان" (٨) ب: فيكون (٩) غ، ب، ت، ج: الحس (١٠) غ١، م، ت، ج: سقط "الآلة" (١١) غ، ت: تمكنها؛ م: لتمكنهما؛ ج: وتمكنه (في الهامش) (١٢) ب: سقط "الطبقة" (١٣) ب: العارض (١٤) ب: أضيف "بأن" (في الهامش) (١٥) م: سقط "قلة" (١٦) م: طبعا.

[١٣٦] وبالجملة فأسباب ضعف البصر هي على النصف من أسباب العمى. وأما الذين يبصرون الأشياء على القرب بصرا جيدا ولا يبصرونها على البعد، فإما أن نتوهم أن بصرهم للأشياء على قرب ليس يكون على نحو إبصار[١] الذين يبصرون الأشياء على قرب وبعد إبصارا[٢] جيدا، فيكون هؤلاء من ضعف البصر في الحال المتوسطة بين الضعيف البصر بإطلاق، وهو الذي يبصر الأشياء بصرا ضعيفا على القرب والبعد، وبين الجيد البصر[٣] بإطلاق لأنه ليس يمكن أن يكون نظر الأشياء القريبة والبعيدة نظرا واحدا لا في الضعيف البصر بإطلاق ولا في القوي البصر. ونقول إن الأبصار السليمة إنما تتفاضل في رؤية الأشياء البعيدة. وأما القريبة فتراها على كنه واحد، فإنه ليس يشك أحد أنا نبصر الأشياء القريبة منا على نحو ما تبصرها العِقبان (ج عُقاب=طائر). وإنما تفضُلنا في النظر إلى الأشياء البعيدة، وإذا كان هذا موجودا في الأنواع فكذلك لا يمتنع أن يوجد في الأشخاص. وأما لِمَ كان بعض الناس يبصرون على بعد ولا يبصرون من[٤] قرب، فالسبب في ذلك ضعف بصره وقلة إشفافه، وذلك أن الأشياء لما كانت إنما تبصر بتوسط الهواء و[٥] الضوء، كانت الأبصار الضعيفة تحتاج إلى ضوء[٦] أكثر مما تحتاج إليه الأبصار الحادة وإلى أن يكون الشيء المبصر منه بعيدا، لأنه يكون أضعف تحريكا للبصر. وأما إذا قرب فإن البصر الضعيف لا يحتمله[٧]. والشيء إذا بعد من البصر كان الضوء الواقع بينه وبين المبصر[٨] أكثر ضرورة. ولكون[٩] الألوان إنما تبصر بتوسط الضوء والهواء[١٠] صارت المرئيات إذا وضعت على الحدقة نفسها لم تبصرها، لأن إدراك هذه الحاسة لا يكون إلا بتوسط[١١] وضوء. فالبصر الضعيف يكدره المرئي القريب. والذين يحتاجون إلى تحريك من المبصرات قوى[١٢] يبصرون من قرب ولا يبصرون من بعد، وهم أكثر ذلك الجهر وتكون أعين هؤلاء بارزة لضعف تحريك المبصر[١٣] الضعيف في حقه[١٤]. ولذلك كانت الأعين الغائرة تبصر من بعد لأن الشعاع إذا انضم وتكاثف قوي كالحال في جري الماء[١٥]. ولهذا نرى من ضعف بصره من الشيوخ ليس يمكنه أن يقرأ الخط الدقيق إلا في الشمس ويبصر الأشياء البعيدة ولا يبصر الأشياء القريبة[١٦]. ويشبه أن يكون مثل هذا الضعف في الإبصار إنما سببه سوء مزاج يابس: إما عرضي وإما طبيعي أو رطوبة كدرة. وذلك أن اليبوسة كما قيل عسرة الانفعال من غيرها. والرطوبة سهلة الانفعال من

---

(١) غ، م، ت: بصر (٢) غ، م: بصرا؛ ت: هكذا "نضرا" (٣) ت: سقط "البصر" (٤) م، ج: يبصر من بعد ولا يبصر من؛ ت: ...على (٥) غ، م، ت، ج: سقط "الهواء و" (٦) م: الضوء (٧) غ، م، ت: سقط "وإلى أن يكون...لا يحتمله" (٨) ج: البصر (٩) ت: ولكن (١٠) غ، م، ت: سقط "والهواء" (١١) ج: أضيف "هواء"، وفوقها علامة تصحيح (١٢) هكذا في ب: قَوى، وفي ج: قوى (١٣) ج: كتب في الهامش "تحريك البصر" (١٤) ج: يظهر "جفنه" (١٥) غ، م، ت: سقط "لأن إدراك...في جري الماء" (١٦) غ، م، ت: سقط "ويبصر...القريبة"؛ ج: ...القريبة...البعيدة.

غيرها[1] ومن هذا القبيل هو المرض المسمى عشا العين بتخصيص. وذلك أن صاحب هذا المرض يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل لأنه لا يكتفي بشعاع الكواكب ولا بالسرج وذلك[2]، إما لكدره وإما لعسر قبوله[3].

[١٣٧] فهذه هي الأشياء[4] التي تطابق ما قيل من أمر الإبصار في العلم الطبيعي. وأما الأسباب التي يروم الأطباء أن يعطوها في هذه الأعراض فتلك أشياء مبنية على أصول فاسدة، فإنه ليس في العين جسم يمكن أن يتوهم خارجا منها على ما يقوله أصحاب الشعاعات غير الحار الغريزي الواصل من الدماغ إلى العينين[5] في العصبتين المجوفتين. والحار الغريزي[6] ليس يمكن[7] أن يفارق البدن طرفة عين، فيبقى حارا غريزيا فضلا[8] عن أن يمتد حتى يلقى الكواكب، بل كان قبل ذلك يتهيأ[9] ويفسد مزاجه من جهة ما هو حار غريزي. ولا أيضا العين جسم فلكي ولا ناري فيكون فيها شعاع فتكون مضيئة بالطبع. على أن الشعاع هو المرئي الأول بذاته، ولا يصح أن يكون للقابل[10] في جوهره شيء من المقبول. وهذا كله قد تبين في العلم الطبيعي.

[١٣٨] بل ينبغي أن يوضع وضعا أن الإبصار يكون بارتسام الألوان في الهواء المضيء[11]، وتأدية الهواء[12] تلك الألوان بعينها إلى الحدقة، حتى ترتسم فيها فتدرك معاني تلك الألوان القوة المبصرة. ولذلك جعلت الحدقة مركبة من أجسام شفافة وهما الماء والهواء، فإنه[13] لا يمكن في هذه الحاسة أن تدرك صورة الألوان إلا بعد حصولها في المتوسط[14]، بخلاف الحواس التي لا تحتاج إلى متوسط[15].

[١٣٩] وأما الأعراض المنكرة التي تدخل على هذه الحاسة فهي أشياء كثيرة قد تبينت[16] في علم المناظر. لكن الذي ينبغي أن يذكر بحق[17] هاهنا من ذلك ما كان سببه مرضا من الأمراض، فنقول: إنه يعرض لها إذا اختلف وضعها أن تبصر الشيء الواحد شيئين، مثل أن ترتفع الحدقة الواحدة وتنزل الأخرى. وسبب هذا معطى في علم المناظر. وقد يعرض لها أن ترى جميع الألوان حمرا أو صفرا أو مسودة، والسبب في ذلك[18] الأبخرة التي تترقى إلى الرطوبة المشفة التي بها يكون الإبصار. وذلك أنه متى كانت صفراوية أبصرت جميع الأشياء صفرا، وكذلك متى كانت مسودة، وقد يرى أيضا بعض الناس بقا أو ذبابا يطير بين يديه. والسبب في ذلك أبخرة متشتتة[19] تترقى إلى

---

(١) غ، م، ت: سقط "والرطوبة...من غيرها" (٢) ج: سقط "وذلك" (٣) غ، م، ت: سقط "وذلك...قبوله" (٤) غ، م، ج: الأسباب (غ: في المتن "الأشياء" وفي الهامش "الأسباب") (٥) غ، ب، م، ج: العين (٦) غ، م، ت، ج: سقط "الغريزي" (٧) غ، م، ج: أضيف "فيه"؛ ت: يمكنه (٨) غ، ت، ج: أضيف "فيه" (٩) غ، ب، ت، ج: هكذا "يتهبا"؛ م: يتهيأ (١٠) غ، ت، ج: القابل (١١) غ، م، ت، ج: أضيف "أو(م: و) الماء المضيء" (١٢) غ، م، ت، ج: أضيف "والماء" (١٣) م: وانه (١٤) ج: التوسط (١٥) غ، ت: سقط "فإنه لا يمكن...إلى متوسط"؛ في ج جاءت العبارة بعد "...القوة المبصرة" (١٦) ب: بينت (١٧) غ، ت، ج: نذكر نحن؛ م: سقط "بحق" (١٨) غ، م، ت، ج: أضيف "ألوان" (م: الألوان) (١٩) غ، م، ج: مشتتة؛ ت: متشبثة.

العين. وقد ينظر إلى الأشياء كأن فيها كوة، والسبب في ذلك بخار أسود يكون في وسط الناظر إلا أنه لا يبلغ أن يسد جميع الناظر. وقد تعرض أيضا إحساسات رديئة للذين يفسد تخيلهم، فإنه لما كانت حركة المحسوسات إنما تكون من خارج إلى داخل لم يمتنع أن ينعكس الأمر، فيكون من تخيل شيئا ما وتقوى تخيله له[1] تعود تلك الصورة المتخيلة، فتحرك الحاسة. فترى تلك الصورة كأنها خارج العين، وقد تبرهن سبب هذا في العلم الطبيعي.

[١٤٠] فهذه جميع الأعراض الداخلة على الحواس الخمس؛ وينبغي أن نقول في الأعراض التي تدخل على التنفس ثم نصير[2] بعد ذلك إلى الأعراض التي تدخل على قوة التخيل والذكر والفكر، ثم أعراض النوم واليقظة، ثم نعدد[3] بعد ذلك من الأمراض ما يلفى فيها أكثر هذه الأعراض أو جميعها، مما شأنه أن يحدث في الأكثر. وبتمام هذا الغرض يتم هذا الجزء من الطب.

[٢٨-] في أعراض التنفس

[١٤١] والأعراض الداخلة على هذه القوة هي من جنس الزيادة والنقصان، لأن تعطل هذا الفعل هو[4] موت ضرورة؛ وإن كان قد يعرض له في كثير من الأمراض أن يخفى على الحس في بادئ الرأي، كما يعتري ذلك في العلة المسماة اختناق الرحم. ولما كان هذا الفعل إنما يكون عن حركتي[5] إدخال الهواء وإخراجه، وكان كل حركتين بينهما[6] سكون على ما تبين في العلم الطبيعي[7]، وجب أن تكون الزيادة والنقصان يلحقان هذه الأشياء الأربعة: أعني الحركتين والسكونين، وأما السكونان فنقصهما يسمى تواترا، وزيادتهما تفاوتا. وأما الحركتان فتلحقهما الزيادة والنقصان في شيئين: أحدهما السرعة والبطء، والآخر عظم الأبعاد الثلاثة، التي هي الطول والعرض والعمق، وصغرها[8] وهو[9] الانبساط والانقباض. والزيادة في هذا المعنى تسمى عظما والنقصان يسمى صغرا. فهذه جميع أنواع سوء التنفس البسيطة.

[١٤٢] وينبغي أن نقول في الأسباب الفاعلة لواحد واحد منها، فإن بمعرفة البسيط يعرف المركب، فنقول: أما سبب[10] العظم فالحاجة الشديدة إلى التنفس. وذلك يكون مع صحة القوة الفاعلة ومواتاة الآلات، ويكون سبب ذلك: أما في إدخال الهواء فشدة الحاجة إلى التبريد، وأما في إخراجه فشدة الحاجة إلى نفض[11] الجوهر

(١) غ، ت، م، ج: يتخيل...ويقوى على(ج: سقط "على") خياله له (م، ت: ويقوى خياله) (٢) م: نشير (٣) م: سقط "نعدد" (٤) غ: سقط "هو" (٥) غ، م، ت، ج: من حركتين (ج: حركتي) (٦) غ، ت، ج: فبينهما (٧) غ، م، ت: سقط "على ما...الطبيعي" (٨) غ، ت: "قصر المسافة وطولها" عوض "عظم...وصغرها"؛ ج: ...وصغرهما (٩) م: سقط "هو" (١٠) ب: أسباب (١١) ت: نقصان (في باقي النسخ "نفض"، بالفاء والضاد).

الدخاني[١]. ولذلك قد يعظم أحدهما ولا يعظم الآخر. وكذلك السرعة أيضا سببها[٢] شدة الحاجة إلى التنفس، إلا أنه ليس يلزم ولا بد أن يكون مع صحة القوة الفاعلة ومواتاة الآلات؛ بل كثيرا ما تستعمل القوة السرعة عند عجزها عن أن تفعل التنفس العظيم، لتستدرك بالسرعة ما فاتها من العظم. وكذلك[٣] يعتري ذلك[٤] عندما تكون القوة قوية، والآلات غير مواتية لذلك.

[١٤٣] وأما التواتر فإنه أيضا لمكان الحاجة الشديدة إلى التنفس. لكن ليس يلزم أن يكون مع صحة القوة ومواتاة الآلات، بل كثيرا ما تستعمله[٥] الطباع عندما يفوتها العظم. وكذلك قد تستعمله[٦] عندما تفوتها السرعة لعجز القوة عن ذلك. وإذا كان هذا كله كما وصفنا، فإذا اتفق في التنفس أن كان سريعا عظيما متواترا، فهناك أشد الحاجة إلى التنفس مع صحة القوة ومواتاة الآلات[٧]. وأما أسباب النقص في هذه الأشياء فهي أضداد أسباب الزيادة: أما الصغر فإنه يفعله إما ضعف القوة وإما لأن[٨] الآلات لا تواتي. وعدم مواتاة الآلات[٩] يكون إما لسدد[١٠] في تجاويف قصبة الرئة، والسدة فيها تكون من أخلاط بلغمية تنصب من الرأس وبخاصة في المرض المسمى بهرا، أو تكون[١١] أيضا من الأورام، وبالجملة من الأشياء التي تعرض منها السدد. وقد يكون ذلك لضيق تجويف الصدر الذي فيه تتحرك الرئة، إما لورم هنالك، وإما لضغط كما يعتري في أورام الكبد وفم[١٢] المعدة. وقد يعتري ذلك عند الشبع الكثير. وقد يكون سبب[١٣] سوء التنفس في أناس أن الصدور منهم ليست على نسبة رئاتهم. وقد يكون أيضا سبب ضيق الصدر القماط وغير ذلك. ومن أسباب الصغر الوجع الحادث في الحجاب أو الصدر أو[١٤] الأعضاء المشاركة لها. وأما أسباب[١٥] البطء فالفاعل له شيئان: إما ضعف القوة وإما قلة الحاجة إلى إدخال الهواء وإخراجه. لكن إذا كان السبب في ذلك قلة الحاجة لم يكن هنالك تواتر. وأما إذا كان السبب في ذلك ضعف القوة فقط، فربما كان هنالك تواتر. فهذه جميع أنواع سوء[١٦] التنفس البسيطة وأسبابه.

[١٤٤] ولن[١٧] يخفى عليك المركب مثل التنفس الذي يسميه الأطباء نفس[١٨] الانتصاب، فإنه تنفس صغير سريع متواتر. والسبب فيه أن القوة قوية والحاجة شديدة والآلة غير مواتية. وذلك أن هذا التنفس إنما يحدث عن[١٩] الأورام العظام الحادثة في

---

(١) غ، ت، ج: البخاري (٢) م: سببهما (٣) غ، ت: وكذلك، م :لذلك (٤) م: سقط "ذلك" (٥) غ، م، ت: تستعملها (٦) غ، م، ت، ج: تستعملها (٧) غ، م، ت، ج: وسلامة الآلات (٨) غ، م، ت، ج: أن (٩) غ: الآلة (١٠) م: لسدة (١١) غ، م، ت، ج: ويكون (١٢) غ، ت، ج: سقط "فم" (١٣) غ، ب، ت: سقط "سبب" (١٤) ب: والصدر و؛ ت: ...و (١٥) ت: سبب (١٦) غ: سقط "سوء" (١٧) ب: وليس (١٨) ب: ثبت في المتن "تنفس"، وكتب في الهامش "هو نفس الانتصاب" (١٩) غ: عند؛ ب : في.

الرئة والسدد العظام. وإنما سمي نفس الانتصاب من هيئة صاحبه. وذلك أنه لا يستطيع أن يستلقي على ظهره، لأن أجزاء الرئة حينئذ يقع بعضها على بعض، وتقع أيضا أجزاء الصدر عليها، فيضطرهم الأمر إلى هذا الوضع[1]. وينبغي أن تعلم أن الوقوف الذي يكون بعد إدخال الهواء أقصر مدة في التنفس الطبيعي من الوقوف الذي يكون بعد إخراج الهواء، وأن حركة الإخراج في النوم أطول من حركة الإدخال للحاجة هنالك إلى نفض الجوهر الدخاني[2]. وهذا الذي قلناه في أعراض التنفس كاف بحسب غرضنا في الإيجاز.

[٢٩-] القول في أعراض القوى... السياسية[3]

وهي التخيل والفكر والذكر

[١٤٥] وهذه القوى يظهر من أمرها أنها لا يتم فعلها إلا بالدماغ. ولما كان الدماغ سهل الانفعال لكونه باردا رطبا، كانت الأعراض الداخلة على هذه القوى أكثر ذلك إنما سببها أمراض الدماغ: إما مرض أولي فيه، وإما بمشاركة غيره من الأعضاء. وهذه القوى إما أن يعتل جميعها، وذلك إذا كانت الآفة في[4] جميع الدماغ، وإما أن يعتل بعضها وذلك إذا كانت الآفة في الموضع الذي يخص قوة قوة من هذه القوى؛ فإنه متى اعتل مقدم الدماغ اعتل التخيل، ومتى اعتل وسطه اعتل الفكر، ومتى اعتل مؤخره[5] اعتل الذكر والحفظ.

[١٤٦] وهذه القوى تلقى الأعراض أيضا على الأنحاء الثلاثة التي لقيتها سائر القوى. وذلك إما أن تبطل، وإما أن تنقص، وإما أن يجري فعلها مجرى رديئا. فأما سبب تعطل هذه الأفعال أو نقصانها فهو سوء المزاج البارد الرطب، أو البارد فقط. وهذا منه مادي ومنه غير مادي. والمادي إنما يوجد أبدا[6] مزدوجا في كيفيتين، مثل ما يعتري ذلك في المرض المسمى سكاتا أو[7] سباتا(م). وربما كان المزاج المادي مع تورم، مثل العلة التي تعرف بالشرسام البارد[8]. وربما كان هذا الألم للدماغ بتوسط[9] فم المعدة.

[١٤٧] وأما السبب في أن يكون فعل هذه القوى فعلا منكرا فهو سوء المزاج الصفراوي أو السوداوي. وذلك أنه متى غلب على الدماغ سوء مزاج صفراوي حدثت تخاييل فاسدة وتوثب وأرق وغير ذلك من اختلال الفكر والذكر. وهذا ربما كان عن سوء مزاج حادث في الدماغ فقط، دون تورم. وهذا أيضا ربما كان في الدماغ نفسه وربما كان بمشاركة غيره من الأعضاء، كما يعتري ذلك في الحميات الحادة[10] من الأبخرة الصاعدة

---

(١) غ: الموضع (٢) م: الجواهر الدخانية (٣) ج: بالسياسية (٤) ت: من (٥) م: آخره (٦) م: أولا (٧) غ، ب، ت، ج: و (٨) م: سقط "البارد" (٩) م: "يتوسط"، وسقط "هذا" التي قبلها في السطر (١٠) غ، م: الحارة.

من المعدة إليه، وربما كان هذا مع تورم. والتورم ربما كان في نفس الدماغ وربما كان في الحجاب أو عن الأورام التي تكون في فم المعدة. وأما الفساد الذي يعرض عن سوء المزاج السوداوي فيخصه فزع من غير سبب، وأفكار رديئة[1] وهموم وسوء ظنون، وخوف أمور غير ممكنة الوقوع[2]. وإذا كانت هذه السوداء محترقة[3] شابتها أعراض الصفراء، فكان عن ذلك توثب وتهور وأخلاق سبعية. وهذا الفعل للنفس إنما هو شيء تابع للمزاج السوداوي، لا أن سبب ذلك هو ظلام السوداء وسوادها، كما تسمع الأطباء يقولون ذلك؛ فإنه ليس اللون بالذات سببا لاختلال قوة من قوى النفس، وإنما سبب ذلك أحد أصناف سوء المزاج. كما أنها السبب في جميع الآفات. وقولهم إن النفس تستوحش من الخلط السوداوي كما يستوحش المرء من الظلمة قول شعري، لأن[4] الأذى الذي يلحق النفس في الظلام ليس شيئا أكثر من عدم حاسة البصر محسوسها. والنفس داخل الجسم ليست مبصرة فتحس سواد الخلط، بل ينبغي أن تعلم أن الخلط السوداوي من شأنه أن يتبعه هذا العرض[5]، كما أن[6] من شأن الدم أن يتبعه الطرب والسرور، أفترى يلزم أن يكون الدم نيرا! وهذا بين بنفسه لمن ارتاض بالعلم الطبيعي.

[١٤٨] وهذه العلة هي المعروفة بالمالنخونيا[م][7]. وهذه العلة ربما كانت من قبل الدماغ نفسه، وربما كانت من قبل[8] القلب إذا احترق دمه، وربما كانت من قبل المعدة، وهي العلة المعروفة[9] بالمراقية[م][10]، وقد اضطرب الأطباء في إعطاء سبب هذه العلة: فقوم رأوا أن سببها ورم حار[11] في قعر المعدة، وآخرون رأوا أنها إنما تكون[12] عن ورم في الماساريقا[م]، وآخرون رأوا أن السبب في ذلك هو أن الطحال يصب في المعدة خلطا سوداويا خارجا عن الطبع في كيفيته، ورأوا أن ما يقوله أولئك ممتنع[13] لمكان ظهور الأعراض التي تعرض في هذه العلة. وذلك أن أصحاب هذه العلة يتجشؤون جشاء حامضا وتعتريهم نفخة، وليس يعطشون عطشا كثيرا[14]. فهذا أحد ما دفع به من رأى هذا الرأي، أعني أن يكون سبب ذلك ورما حارا. وأيضا فإنهم دفعوا ذلك من جهة أن الأورام الحارة، فيما زعموا، متى كانت في هذه الأعضاء تبع ذلك[15] حمى ضرورة. وهذه العلة ليس بصاحبها حمى أصلا.

[١٤٩] ونحن نقول: أما احتجاجهم بأنها لو كانت عن ورم حار هنالك لتبع ذلك أعراض الحرارة، مثل العطش الشديد واستحالة الغذاء إلى الدخانية وقلة النفخ،

---

(١) غ، م، ت، ج: سقط "رديئة" (٢) م: الوقاع (٣) ج: محرقة (٤) غ، م، ت، ج: فإن (٥) ت: سقط "العرض" (٦) غ، م، ت، ج: سقط "أن" (٧) غ، م: بالملخونيا؛ ت: سقط "وهذه العلة...الملخونيا" (٨) م: سقط "الدماغ...قبل"؛ ت: سقط "قبل" (٩) غ، م، ج: سقط "العلة"؛ ت: سقط "العلة المعروفة"، وكتب "وهي" في الهامش (١٠) م: بالمرافية (١١) غ، ت: سقط "حار" (١٢) ب: سقط "إنما"؛ ج: "أن السبب" عوض "أنها إنما تكون" (١٣) ت: كتب "شنع" في الهامش (١٤) م: شديدا (١٥) م: "تبعها" عوض "تبع ذلك".

فليس يلزم ضرورة. بل قد بينا أن الحرارة الغريبة[١]، من جهة ما هي حرارة غريبة، غير ممتنع عليها، من جهة ما تبدد الحار الغريزي وتضعفه، أن تتبعه[٢] أعراض البرد في العضو، فيتولد فيه شبيه[٣] بهذه الأعراض. ولا سيما متى اتفق فيها أن كانت بصورتها الطبيعية مضرة بالحرارة الغريزية مضادة لها. ولذلك ما[٤] يقول الإسكندر تكون الحمضة عن البرودة والحرارة معا[٥]. وإنما تشتد أفعال الحرارة الغريزية بالحرارة التي ليست مضادة لها بالصورة[٦] بل بالكيفية فقط، وبخاصة إذا طال نكؤها للعضو. وأما قولهم إن كل ورم حار[٧] يحدث في هذين العضوين يلزم فيه ضرورة أن يحم صاحبه، فإن شهدت التجربة بذلك فليس يمكن أن تكون هذه العلة بغير حمى عن مثل هذا السبب، اللهم إلا بعد انحطاط الورم حين[٨] ليس يبقى من الحرارة الغريبة ما يصل إلى القلب، بل ما يضر بالمعدة والدماغ فقط. وأما كون هذه العلة عن الطحال، فذلك ممكن. ويشبه[٩] أن يكون أحد أنواعها.

[١٥٠] وأما الأعراض الداخلة على النوم فهو استغراقه، وهو المسمى سباتا[م]. والسبب في ذلك غلبة البرودة مع الرطوبة على الدماغ أو على العضو المشارك له. ومن الأعراض الداخلة على هذا الفعل السهر. وسببه هو ضد استغراق النوم، وهو[١٠] الحر واليبس. وقد يتركب عن هذين الشيئين[١١] مرض يسمى صاحبه المنتبه، وسببه برودة ويبوسة. أما من حيث البرودة فهو ملقى كالنائم، ومن حيث اليبوسة فهو كالساهر فاتح جفنيه.

[١٥١] فهذا هو القول في جميع الأعراض الداخلة على الأفعال السياسية وإعطاء أسباب جميع ذلك. وهاهنا أمراض تجتمع فيها جل هذه الأعراض أو جميعها. ولن يخفى على من عرف هذا المقدار الذي كتبنا إعطاء أسبابها، إذا شاهدها أو وصفت له. ولكن الأولى أن نذكر نحن منها أشهرها ونوفي أسباب جميع ذلك[١٢] فنقول: إن هذه الأعراض[١٣] منها الدوار ومنها الكابوس ومنها الصرع ومنها السكتة[١٤].

[١٥٢] فأما الدوار فإن الفاعل له خلط ريحي يصعد إلى الدماغ ويتحرك هناك فيحس الإنسان كأن الحركة[١٥] من خارج. وذلك معروف من فعل الحواس، فإنها وإن كانت المحسوسات إنما تحركها من خارج فقد[١٦] تعود فتتحرك أيضا عن الأخلاط التي من داخل، فإن ساء مزاج الدماغ جدا[١٧] بذلك[١٨] التموج سقط السدر على الأرض كأنه

---

(١) غ، م، ت، ج: سقط "الغريبة" (٢) غ، م، ت، ج: يتبعها (٣) غ، م، ت: شبيها (٤) م: كما (٥) غ، ت: سقط "ولذلك ما...والحرارة معا" (٦) ت: بالضرورة (٧) م: سقط "حار" (٨) ب: حتى (٩) ب، ج: شبيه (١٠) م، ج: أضيف "ذلك" (١١) ت: السببين (١٢) ت: سقط "ونوفي...ذلك" (١٣) غ، م، ج: الأمراض (١٤) ب: سقط "ومنها السكتة"، وربما يكون صحح في الهامش لأن هناك إشارة بعد "الصرع" (١٥) م: كالحركة (١٦) غ، م، ت، ج: قد (١٧) ب: أيضا (١٨) غ، ب، ت، ج: لذلك.

مصروع. وهذا البخار قد يتولد في الدماغ نفسه، وبخاصة في الشرايين، وقد يصعد إليه من المعدة أو غيرها من الأعضاء.

[١٥٣] وأما الكابوس فهو أن يحس الإنسان في النوم كأن شيئا يضغطه ويثقله ولا يقدر هو على النهوض. ومن البين أن ذلك إنما هو تعطل ما في القوة المحركة، إلا أنه لما كان[١] ينحل بسرعة ظن أن الفاعل له[٢] إنما هو خلط بخاري يصعد إلى الدماغ فيخدره بكيفيته[٣].

[١٥٤] وأما الصرع فهو[٤] سقوط الإنسان بغتة مع تشنج يعتريه في جميع بدنه، فيتحرك[٥] بذلك حركة منكرة إلى أن يزبد. فكون الإنسان يسقط إلى[٦] الأرض ويفقد حواسه وجميع قواه النفسانية دال على أن ذلك الألم في الدماغ. وكونه تتشنج أعضاؤه مع[٧] حركة منكرة دليل على أن هذا النوع من التشنج هو الذي يعتري عن حركة القوة الدافعة واجتماع الأعضاء إلى نفسها[٨] لتدفع[٩] الشيء المؤذي، وبخاصة الدماغ. ولذلك ما ترى أن هذا الخلط في غاية المضادة لمزاج الدماغ: إما بإحدى كيفياته وإما بصورته. والدليل على أن هذا النوع من التشنج ليس هو الذي يكون لموضع[١٠] رطوبة العصب واستنقاعه، سرعة تحلل هذا العارض. وأما الخلط الفاعل لهذا العارض[١١] فيلزم ضرورة من سرعة انقضاء نوبته ومدته[١٢] أن يكون لطيفا على ما شأنه أن يوجد الأمر في الأمراض الحادة. لكن لما رأينا أكثر الذين يعتريهم هذا المرض أمزجتهم باردة رطبة كالصبيان، أو باردة يابسة كالكهول، وبالجملة فالأعراض التي تظهر على أكثر من يصيبه هذا الألم تدل على أن الفاعل له خلط غليظ، وكان الخلط الغليظ بما هو خلط[١٣] غليظ ليس يتحلل بسرعة، كان جاريا على ما يقول جالينوس في مجار واسعة أو ضيقة. لأن معنى التحلل ليس شيئا أكثر من أن تستولي الطباع عليه فتنضجه وتغتذي بما شأنه منها[١٤] أن يقبل التغذي وتدفع الباقي. وهذا ليس يتفق في الخلط الغليظ بما هو خلط[١٥] غليظ، إلا في زمان له عرض على ما أعطته المشاهدة في الأمراض. ولذلك ما نحدس[١٦] أن هذا المرض إنما يحدث عن ريح تتولد إما في الدماغ نفسه، وإما في عضو آخر، وتترقى منه إلى الدماغ، كما حكى ذلك جالينوس عن الفتى الذي كان يحس كأن ريحا باردة تصعد من بعض أعضائه، ثم يصرع. وقد كانت هذه المشاهدة من أمر هذا الفتى كافية في

---

(١) غ، م، ت، ج: أضيف "ذلك" (٢) غ، م، ت، ج: "لذلك" (٣) ج: يظهر "بكيفيتيه" (٤) غ، م، ت: فإنه (٥) غ، ب، ت، ج: يتحرك (٦) ج: على (٧) ب: عن (٨) غ، م، ت، ج: لأنفسها (٩) غ، م، ت، ج: أضيف "بذلك" (١٠) ج: "عن" عوض "لموضع" (١١) غ، م، ج: المرض (١٢) غ، م، ج: ...ومدتها؛ ت: نوبتها ومدتها (١٣) غ، م، ج: سقط "خلط"؛ ت: إنما هو خلط، وسقط "غليظ" التي بعدها (١٤) غ، م، ت: منه؛ ج: سقط "الدافعة" (١٥) غ، م، ت، ج: سقط "خلط" (١٦) م: ما نجد من؛ ت، ج: ما يحدس.

أن سبب هذا الألم، إنما هو ريح. وحكى الرازي في[1] الحاوي أن هذا[2] هو مذهب أرسطو[3]. لكن هذه الريح، ضرورة، هي مضارعة للأخلاط[4] الباردة الرطبة أو الباردة اليابسة. ومثل هذه الأخلاط إذا كانت في البدن[5] هي هيولى هذه الريح. ولذلك كان شفاءُ، مَن شأنُه أن يقبل الشفاء من أصحاب هذه العلة، باستفراغ تلك الأخلاط منهم. ومع هذا فقد حكي أنه قد[6] يكون هذا العارض عن خلط مراري؛ ولست أمنعه[7]: فإن سرعة انقضاء النوبة يشهد بذلك[8]. وقد ترى الذين يصرعون بمشاركة معدهم إنما يعتريهم ذلك في الأكثر عند الجوع الشديد والصوم، أو عند ضيق الحلق[9]. فهذا أيضا دليل على أن الخلط الفاعل لذلك خلط مراري[10]. وجالينوس يستفرغه بأرياج الفَيْقَرَا[م]. وقد علمنا أن الصبر[م][11] إنما يخرج أحد أمرين: إما صفراء وإما خلطا شابته صفراء. وزعم بعضهم أن هذا المرض قد يكون عن سوء مزاج غير مادي بارد يابس، وهذا يبعد لكون هذا[12] المرض إنما يصيب[13] في الأكثر بأدوار، وأيضا فلو كان عن سوء مزاج غير مادي فإنما كان يكون عن الأشياء التي من خارج، لأن سوء المزاج غير المادي الذي يكون سببه سوء[14] مزاج مادي هو عسير الانقلاع[15]. وليس يمكن عن مثل هذا أن تعتري نوبة الصرع. وإذا كان ذلك كذلك فإنما يكون هذا النوع عن الأشياء التي من خارج، لأن سوء المزاج المتولد عن مثل هذه الأشياء أعني التي من خارج[16] سريع التحلل. لكن يبعد أن تبلغ رداءة مزاج دماغ إنسان ما[17] أن يصرع عن الأشياء التي من خارج: أعني الهواء البارد. لكن هذا الذي قلناه إنما هو استبعاد، فإن شهدت التجربة بذلك فيشبه أن يكون قليل الوقوع.

[١٥٥] وينبغي أن تعلم أنه لا سبيل إلى الوقوف في هذا العلم على إمكان مرض يحدث، أو لا إمكانه مما لم يشاهد، إلا بطريق تخميني، وذلك في الأكثر. بل سبيل جميع الأمراض هاهنا أن تثبت بالحس والمشاهدة، ثم نعطي فيها الأسباب. والسبب في هذا معطى في غير هذا الموضع[18].

[١٥٦] وأما السكتة فهي سقوط الإنسان بغتة على الأرض، وانقطاع صوته وجميع أفعال الحركة في جميع البدن، ما خلا التنفس: فإنه إذا انقطع في هذه الشكاية

---

(١) م: وذكر...؛ ج: سقط "الرازي في" (٢) ب: أضيف "إنما" (٣) غ، ت: سقط "وحكى...أرسطو" (٤) م، ت: الأخلاط؛ ب: أضيف "الغليظة" (٥) غ، م، ج: الدم (٦) ب: سقط "قد" (٧) غ، م، ت، ج: "أمنع أن يقع مثل هذا" عوض "أمنعه" (٨) م: لذلك (٩) غ، ت، ج: يظهر "الخلق" (١٠) م: "مرار ما" عوض "خلط مراري"؛ غ، ت، ج: سقط "خلط" (١١) ب: هكذا: "الصَبِرَ"؛ وفي باقي النسخ هكذا: "الصبر" (١٢) غ، م، ج: سقط "هذا" (١٣) غ، م، ج: أضيف "هذا" (١٤) غ، ج: سقط "سوء" (١٥) ت: سقط "لأن سوء المزاج...الانقلاع" (١٦) ب: أضيف "هو" (١٧) ج: الإنسان (١٨) في ت فقد سقطت الفقرتان.

مات العليل. ولذلك ما يستدل على شدة[1] هذه الشكاية[2] وضعفها من التنفس، أعني أنه إذا كان التنفس فيها عسيرا مستكرها دل على عظمها، وإذا كان سهلا دل على خفتها. وأبقراط يقول: إن السكتة إذا كانت ضعيفة لم يسهل برؤها، وإذا كانت قوية لم يبرأ صاحبها. فأما سبب هذا المرض فإنه يكون ضرورة من تعطل مبدأ[3] الحركة الكلية والجزئية. ولما كان قد تبين أن للحركة[4] الكلية مبدأين: مبدأ[5] أول وهو القلب، ومبدأ[6] ثان وهو الدماغ، وكان الدماغ[7] إنما يفعل فعله بالقلب، فقد يجب أن تحدث بالدماغ في هذه العلة آفة عامة. وذلك ضرورة:

أ - إما بانسداد مجاري الروح التي بين القلب والدماغ، وهي العروق المسماة شرايين،

ب - وإما بانسداد بطون الدماغ انسدادا تاما[8]: إما لأن بطون الدماغ إذا انسدت منعت الروح النفساني الذي ينبعث[9] منه إلى جميع الأعصاب التي بها[10] يكون الحس والحركة، إن كان ينبعث من الدماغ روح نفساني[11] على ما يراه جالينوس، كما ينبعث من القلب روح غريزي، وإما لأن مزاج الدماغ إذا فسد فسد[12] التعديل الذي يوجد منه للحار الغريزي، حتى لا[13] يفعل الحس والحركة، على ما تقرر من هذه الأشياء في العلم الطبيعي،

ج- وإما أن يحدث هذا المرض لآفة نزلت في بطون القلب، فليس يمكن ذلك لأنه متى حدثت آفة في هذه البطون مات العليل من ساعته.

[١٥٧] وإذا تقرر بالبرهان أن الآفة التي هي سبب هذه الشكاية تحدث في هذين الموضعين (=أ،ب)، فقد يظهر لك من هذا صدق ما قاله أبقراط في إعطاء سبب هذه الشكاية، وما قاله جالينوس أيضا. وذلك أن أبقراط قال: من انقطع صوته بغتة وسقط على الأرض فإن آفته انطباق العروق[14] يعني الشرايين التي بين القلب والدماغ. وقد اعترف جالينوس بكون[15] هذه العلة حادثة عن هذا السبب في كتابه في العلل والأعراض. وقال في كتاب الأعضاء الآلمة: إنها[16] تحدث عن سدة في بطون الدماغ عظيمة. والحق هو الجمع بين القولين، أعني أنه قد يكون سكاتا[17] يحدث عن الأمرين جميعا. وعلامة ما يحدث منها عن انطباق الشرايين ظهور علامة[18] غلبة الدم على العليل، وهذا النوع من السكتة يشفى منه بالفصد[19]. وعلامة النوع الثاني ظهور[20] غلبة

---

(١) ج: كتب "قوة" فوق "شدة" (٢) م: العلة (٣) ب: "عن تعطل هذه" عوض "من تعطل مبدأ" (٤) م: لحركة (٥) م، ج: سقط "مبدأ" (٦) م، ج: سقط "مبدأ" (٧) ج: سقط "وكان الدماغ" (٨) م، ج: ثابتا (٩) م، ج: "أن تنبعث" عوض "الذي ينبعث" (١٠) ب: الأعضاء التي به (١١) ج: سقط "نفساني" (١٢) م: سقط "فسد" (١٣) ج: سقط "لا" (١٤) ب: عروقه (١٥) م: من تكون (١٦) ب: يظهر "إنما" (١٧) ب: "منها ما" عوض "سكاتا" (١٨) ب: علامات (١٩) م، ج: القصد (٢٠) م، ج: أضيف "علامة".

الخلط البارد[١] على البدن، وهذا الخلط شفاؤه يكون[٢] بالإحالة لمزاج ذلك الخلط بالأدوية الدرياقية[؟] المحيلة واستفراغه[٣] بالأدوية المسهلة للأخلاط الباردة والحقن. وأما العلة التي تعرف بالسبات فإنه أقرب أن تكون من انسداد الشرايين من أن تكون من انسداد العصب. وذلك لأنها[٤] لا يعرض فيها[٥] عسر التنفس ولا تنحل[٦] إلى فالج كالحال في السكتة. والسبات إن كان من خلط يابس كان مفتوح العينين وهو الذي يعرفه الأطباء بالجمود، وإن كان رطبا كان مغمّض العينين وهو الذي يخصه الأطباء باسم السبات[٧].

[١٥٨] فقد قلنا في الأمراض والأعراض، ووفينا أسباب جميع ذلك بحسب ما ظهر لنا أنه كاف في غرضنا في الإيجاز. فإن هذا الكتاب إنما قصدنا فيه أن نجعله كالدستور والقانون[٨] لمن أحب أن يستوفي أجزاء الصناعة على هذا التقسيم والترتيب. وبالجملة فنسبته إلى الصناعة يشبه أن تكون نسبة أسطقسات الصناعة إلى الصناعة. فكما أن الزواقين إنما يرسمون أولا الصورة التي يقصدون تصويرها، ثم يملئون تلك الرسوم بالأصباغ والألوان حتى تحصل تلك الصورة على الكمال الأخير، كذلك حالنا نحن في هذا الكتاب. فإن فسح الله في[٩] العمر، وأفرج عن ضيق الوقت، فسنكتب في هذه الصناعة كتابا نحتذي به هذه القوانين التي سلكناها هاهنا، يكون مستوعبا لجميع أجزاء الصناعة. والله[١٠] الميسر بمنه وعونه[١١]. وهنا انقضى هذا الجزء من العلم يتلوه إن شاء الله كتاب العلامات والحمد لله كما هو أهله[١٢].

---

(١) م، ج: الأخلاط الباردة (٢) م، ج: سقط "يكون" (٣) ب: واستفراغها (٤) م: "ولذلك" عوض "وذلك لأنها" (٥) ج: سقط "فيها" (٦) م، ج: عسر في التنفس ولا تتحلل (٧) ت: سقط "وأما السكتة فهو...باسم السبات" (٨) ب: أضيف ما يظهر "هو" (٩) ب: أضيف "مدة" (١٠) ب: أضيف "المستعان و" (١١) ب: سقط "وعونه" (١٢) غ: أضيف "بلغت مقابلة بكتاب مؤلفه رضي الله عنه وعلى سلفه فصح"؛ م: و"لواهب العقل الحمد بلا نهاية والشكر بلا غاية" عوض "يتلوه...هو أهله"؛ ت: "وهنا انقضاء هذا الجزء من العلم" عوض "والله الميسر...كما هو أهله"؛ ب: أضيف "بلغت القراءة بحمد الله والتفهم وله الحمد حق حمده"، وفي الهامش، كما جاء في طبعة الجزائر، ثبت "بلغت القراءة ثانية والحمد لله".

الكتاب الرابع

العــلامــات

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما[١]

[١- علامات الصحة وعلامات المرض]

[١] هذا الجزء ينقسم قسمين: الجزء الأول نعدد فيه العلامات الدالة على الصحة الموجودة بالفعل في جميع البدن وفي عضو عضو منه، والجزء الثاني[٢] نُعرِّف فيه العلامات الدالة على الأمراض وأسبابها. وهذا الجزء ينقسم أقساما: إما علامات تدل على أمراض حاضرة، وهو[٣] الأكثر في هذه الصناعة؛ وإما علامات تدل، في الصحة أو في المرض، على أمراض ستحدث؛ وإما علامات تدل على أمراض قد حدثت ثم بطلت، وهذه قليلة النفع في هذه الصناعة. فنبتدئ نحن فنخبر أولا بالعلامات الدالة على الصحة الموجودة في جميع البدن وفي عضو عضو منه، ثم نردف ذلك بالعلامات الدالة على أمراض ستحدث، ثم بعد ذلك نصير إلى القول في علامات الأمراض الحاضرة. وأما العلامات الدالة[٤] في الأمراض على أمراض ستحدث، فإنا سنذكرها مع هذه العلامات؛ وكذلك[٥] التي تدل[٦] في الأمراض على صحة ستحدث: فإنها وإن كانت صحية[٧] فإنا إنما[٨] آثرنا ذكرها في هذا الجزء لأنها أحد ما يكتسب منها الطبيب العلاج، وأيضا فمع أنها علامات صحية هي أيضا بوجه ما مرضية، إذ كانت دالة على ارتفاع المرض. فنبتدئ بالعلامات الصحية فنقول:

[٢] إنه لما كانت الصحة كما قيل في حدها: حالة في العضو بها يفعل أو ينفعل على المجرى الطبيعي، وكانت هذه الحال تنقسم قسمين: أحدهما[٩] المنسوبة إلى المتشابهة الأجزاء، وهي الأمزجة التسعة، والثانية إلى الأعضاء الآلية، وهي الأربعة الأجناس التي عددت فيما سلف، وكانت أكثر هذه الهيئات في الأعضاء: منها[١٠] ما هي غير بينة الوجود من أول الأمر وبخاصة ما كان من الأعضاء غير ظاهر للحس،

(١) غ: بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما اللهم يسر على عبدك بكرمك؛ ب: بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد نبيه الكريم وآله وسلم تسليما؛ م: بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم؛ ت: من دون البسملة ولا باقي العبارة التي تليها (ج يبتدئ كتاب العلامات من أول سطر في رأس الصفحة بالنص مباشرة، ولا نتوفر على الصفحة السابقة) (٢) م، ج: القسم الأول...والقسم...؛ ت: سقط "والجزء الثاني" (٣) م: وهي (٤) غ، م، ت، ج: التي تدل (٥) م: سقط "وكذلك" (٦) ج: تدخل (٧) ج: صحيحة (٨) غ، م، ت، ج: "فإنما" عوض "فإنا إنما" (٩) غ، م، ت: إحداهما (١٠) غ، ب، م، ت: أضيف "منها".

وجب أن تُعطى هاهنا العلامات الدالة على هيئة هيئة من هيئات الأعضاء التسع الموجودة للمتشابهة الأجزاء أولا، وللمركبة ثانيا. وكذلك أيضا نعطي العلامات التي يستدل بها على المعتدل وغير المعتدل في الصحة المنسوبة إلى الأعضاء الآلية، وذلك فيما لم يكن منها ظاهرا من أول الأمر.

[٣] والسبيل إلى ذلك أولا[١] إنما يكون من أفعال هذه الأعضاء وانفعالاتها و[٢]الأمور اللازمة عنها، إذ كانت الأفعال والانفعالات[٣] والأمور اللازمة هي أعرف عندنا[٤]؛ ونحن إنما نترقى من الأعرف[٥] إلى غير المعروف[٦]. والأمور اللازمة عن الأفعال هي مثل اللون والقضافة[؟] والسمن. والأعراض هي[٧] التي تظهر في الفضول البارزة من البدن، وهي فضول التغذي.

[٤] وينبغي أن تعلم أن الأطباء إنما جرت عادتهم أن يذكروا من هذه العلامات العلامات الدالة على الصحة المنسوبة إلى الأعضاء المتشابهة الأجزاء[٨] وذلك في الأكثر. وأما العلامات التي تدل على الصحة المنسوبة إلى الأعضاء الآلية فإنهم لم يتعرضوا[٩] لذكرها إلا بالعرض. ونحن ينبغي لنا أن نعنى بهما جميعا، وينبغي أن نبتدئ بالعلامات الدالة على المزاج المعتدل، إذ كان هو أقدم بالطبع. وأيضا فإن الأطراف إنما تفهم بالمقايسة[١٠] إلى المعتدل، فنقول:

[٥] إنه لما كانت الأمزجة التسعة قد تنسب إلى عضو عضو، كما سلف من قولنا، وقد تنسب إلى جملة البدن بمقايسة الأعضاء بعضها إلى بعض، وجب أن نعرف أولا العلامات الدالة على مزاج عضو عضو من الأمزاج التسعة[١١]، فإن بمعرفتها يمكن الحكم على[١٢] مزاج البدن، وبخاصة الأعضاء الرئيسة: فنبتدئ بمعرفة مزاج القلب إذ كان هو العضو المشترك مزاجه لجميع الأعضاء، فإنه متى كان هذا العضو معتدلا كانت الأعضاء كلها معتدلة، وذلك في الأكثر، من جهة أنه المعطي لجميعها الهيئة المزاجية التي بها تفعل أو تنفعل[١٣]. وأيضا فمتى كان مزاج غيره من الأعضاء غير معتدل، كأنك قلت مزاج الكبد، لم يكن[١٤] مزاج القلب معتدلا للمشاركة التي بينه وبين سائرها. ولذلك ما نرى أن الحكم على مزاج هذا العضو بالاعتدال أو الخروج عن الاعتدال حكم على الجميع.

---

(١) ب: سقط "أولا" (٢) م: أضيف "من" (٣) ب : سقط "والانفعالات"؛ م: سقط "إذ...الانفعالات" (٤) غ، م، ت: أضيف "عندنا" (٥) ب، ج : الأعرف (٦) غ: ثبت فوقها صح؛ ب: فوقها ما يشبه علامة (٧)، وكتب في الهامش "والأعراض التي تظهر في الفضول البارزة" وفوقها ظ (٨) غ، ت: سقط "الأجزاء" (٩) غ، م، ج: يعرضوا (١٠) غ: بمقايستها (١١) م: كتب "الخمسة" في الهامش (١٢) م: أضيف "معرفة" (١٣) ب : يفعل أو ينفعل (١٤) غ، ت، ج: يبق.

[٢-] في العلامات الدالة على مزاج القلب

[٦] أما أخص العلامات التي منها يوقف على مزاجه فهي النبض، ثم يتلوه التنفس. وقد يستدل عليه بهيئة الأعضاء التي تجاوره؛ كما أنه قد يستدل عليه بأمزجة الأعضاء المشاركة له، فنقول:

[٧] إنه متى كان النبض ليس بالعظيم ولا بالصغير ولا بالسريع ولا بالبطيء ولا بالمتفاوت ولا بالمتواتر، دل ذلك ضرورة على اعتدال مزاج القلب في الحرارة والرطوبة. وهذا النبض إنما يحس أكثر ذلك في الأناسي الذين ينشئون في الإقليم المعتدل، من غير أن تعرض لهم عوارض من خارج. ويشبه أن يكون تولد مثل هذه الشخوص في الإقليم المعتدل، وفي البلد المعتدل منه كبلدة أبقراط وكثير من بلاد اليونانيين أكثريا[١]. ولذلك ما يقول جالينوس في أهل البلاد الحارة: إنهم لو تكلفوا جهدهم أن يرونا مزاجا معتدلا لما أمكنهم ذلك. وليس لقائل أن يقول: إن النبض العظيم هو الطبيعي، إذ كان قد يوجد كثيرا في الأقاليم غير المعتدلة، كما أنه ليس للإنسان أن يقول إن اللون الأسود هو الطبيعي، إذ كان ليس يوجد في بلاد الحبشان أبيض واحد.

[٨] وأما التنفس فحاله في اعتداله[٢] دليل أيضا على اعتدال مزاج القلب، هذا إن لم تكن آلات التنفس أعظم نسبة إلى القلب مما ينبغي؛ فإنه إذا كان الأمر فيها هكذا كان التنفس المعتدل بالإضافة إلى القلب غير معتدل، بل مفرط؛ فإنه ليس يمتنع أن يكون مزاج القلب حارا و[٣] يكون الصدر والرئة قد اتفق لهما أن كانا أعظم مما ينبغي أن يكونا عليه بحسب مزاج القلب، فيكون التنفس غير العظيم[٤] لسعة مجاريها وعظمها يفعل ما يفعله التنفس العظيم[٥]، إن لو كانت الرئة والصدر مناسبين[٦] لخلقة القلب، وان كان عظم الصدر والرئة تابعين في الأكثر لحرارة القلب.

[٩] وأما ما يستدل عليه من هيئة الأعضاء، فإن الصدر متى كان متوسطا بين العظم والصغر دل دلالة أكثرية على اعتدال مزاجه، وكذلك يدل على اعتدال مزاجه دلالة ضرورية اعتدالُ مزاج الكبد أو اعتدال مزاج الدماغ أو كليهما؛ فإنه ليس في الكبد ولا في الدماغ حرارة تخصهما[٧] إلا حرارة الأجزاء المتشابهة التي بها تركيبا. والحرارة التي بها يفعل كل واحد منهما فعلَه هي ضرورةً الحرارةُ الواصلة إليه من القلب. وهذه الحرارة هي التي تتنزل من هذين العضوين منزلة الصورة. وأما الحرارة التي تخصهما[٨] فمنزلتها منزلة المادة. ولما كان اعتدال الشيء وكمال فعله إنما هو بصورته وجب ضرورةً،

---

(١) م، ج: أكثريا؛ ب: أكثرها (٢) م: الاعتدال (٣) ت: أو (٤) غ: ...عظيم؛ ت: سقط "غير" (٥) ت: الغير عظيم (٦) غ، ب، ج: مناسبة؛ م: مناسبتين (٧) م: تخصمها (٨) غ، م: تخصمها.

إذا كان هذان العضوان معتدلين، أن يكون اعتدالهما إنما هو بصورتهما. واعتدال صورتهما إنما هو ضرورة باعتدال المعطِي لهما تلك الصورة، وهو القلب. وليس لقائل أن يقول: إنه قد يمكن أن تكون الحرارة التي يبعثها القلب إليهما أحر مما ينبغي أو أبرد مما ينبغي، ويكون مزاج ذينك العضوين الحاصل عن المتشابهة الأجزاء مضادا لذلك الخروج أو[1] الإفراط الذي في القلب، فيجتمع عن ذلك للكبد والدماغ[2] اعتدال مزاج، فإن مثل هذا الاعتدال هو مقول بالاشتراك[3].

[١٠] وقد يستدل أيضا على اعتدال مزاج القلب من ملمس الصدر: فإنه متى كان معتدلا دل ذلك على اعتدال مزاج[4] القلب إن لم يكن ذلك من أجل اعتدال اللحم نفسه. لكن اعتدال اللحم أكثر ذلك تابع لاعتدال القلب، وبخاصة اللحم الذي على هذا الموضع. ولذلك يكون بدنُ مَن قلبُه هذا القلب لا بالقضيف[م] ولا بالسمين المفرط السمن. وقد يوقف أيضا على اعتدال مزاج[5] القلب بتوسط[6] الإنسان في الغضب والحلم والشجاعة والجبن، وبالجملة باعتدال[7] جميع أفعال النفس وانفعالاتها.

[١١] وأما الاستدلال على اعتدال التركيب في وضعه وفي مقداره وفي خلقته فذلك أيضا يكون بأفعاله ومزاجه، فإنه متى كان مزاجه معتدلا دل في الأكثر أن وضعه ومقداره وخلقته على الأمر الطبيعي. وكذلك متى كانت أفعاله ملائمة لمزاجه دلت على ذلك أيضا، فإنه ليس يمتنع أن يكون بعض[8] النبض سريعا لمكان ضيق الشريانات التي فيه، لا لمكان حره[9]، كما نرى ذلك يعتري في الذين يفرط سمنهم. وبالجملة فكثيرا ما يعتاص إعطاء العلامات الدالة على وضع الأعضاء التي في داخل الجوف، وعلى مقدارها وخلقتها ومشاركتها. ولهذا نجد الأطباء قد أضربوا عن هذا النوع من علامات الصحة، واقتصروا من ذلك على العلامات المزاجية. وحاجة الطبيب إلى ذلك ليست بدون (=بأقل من) حاجته إلى معرفة المزاج، ولذلك قد ينبغي أن ننظر في ذلك جهدنا فنقول:

[١٢] ومما يدل على أن القلب معتدل التركيب اعتدال تركيب الأعضاء التي خارج الجسم، وبخاصة الصدر وما قرب منه وتناسبُها[10]، وهذا هو المدعو عند الناس جمالا، فإن الجمال أكثر ذلك إنما هو في التركيب، كما أن القوة والوثاقة إنما هي أكثر ذلك[11] في المزاج. وإنما قلنا إن اعتدال الأعضاء دليل على اعتدال القلب لأن القوة المصورة إنما تصور سائر[12] الأعضاء بتوسط الحرارة التي فيه، كما أن القوة الغاذية إنما

---

(١) ج: و (٢) غ، ب، ت، ج: أو الدماغ (ت: للدماغ) (٣) غ، م، ت، ج: باشتراك (٤) غ، ت، ج: سقط "مزاج"؛ م: سقط "القلب من...اعتدال مزاج"، ووضع على "مزاج" التي قبلها علامة تصحيح (مــ) (٥) غ، م، ت، ج: سقط "مزاج" (٦) م: يتوسط (٧) ت: هكذا "فاعتدال" (٨) ت: سقط "بعض" (٩) ت: الذي فيه...حرارة (١٠) غ: وتناسبهما (١١) غ، م، ج: سقط "ذلك" (١٢) م: سقط "سائر".

تفعل فعلها بتوسط مزاجه. وينبغي أن تعلم أن هذا الاستدلال غير منعكس، فإنه قد يكون القلب معتدل المزاج حسن التركيب، ويكون تركيب بعض الأعضاء مؤوفا(=مصابا بآفة) لمكان الهيولى. لكن هذا لعمري يقل وقوعه كما يقل وقوع الأشياء العارضة من قِبَلها، ومع هذا فإنها تعود فتفسد مزاج القلب بالمشاركة[1].

[١٣] وأما الاستدلال على خروجه في الكيفيات الأربع فعلامات ذلك أضداد هذه العلامات، فإنه متى كان النبض عظيما سريعا متواترا دل على حرارة مفرطة[2]، ما لم يكن هنالك ضيق طبيعي في مجاري الشريانات؛ وإن كان هذا يقل وقوعه في المزاج الحار. فإن الحرارة من شأنها أن تعظم العضو ما لم يكن يابسا، فإن اليبوسة عسرة التمدد من غيرها. فإن انضاف إلى هذا صلابة في المجس[3] فهو[4] في الغاية من اليبس. وكذلك الحال أيضا في التنفس ما لم يكن الصدر أو[5] الرئة أصغر مما ينبغي، أو كانت التجاويف التي فيها أصغر مما ينبغي[6]. وقد يشهد لهذا المزاج نبات الشعر الذي يكون على الصدر والملمس الحار. وبالجملة فتَتْبع حرارتُه حرارةَ سائر الأعضاء إلا أن تكون هنالك مقاومة عرضية من[7] الأعضاء التي لها رئاسة في البدن، وهما الكبد والدماغ، أعني أنه قد يتفق لهذين أن تكون أمزجتهما التي لهما من جهة الأعضاء المتشابهة الأجزاء[8] التي تركبا منها أبرد مما ينبغي، فحينئذ يكون القلب حارا والدماغ باردا. لكن مثل هذا المزاج سيبرد فيه[9] القلب بآخِرَةٍ[10](=في نهاية الأمر)، وبخاصة إذا كان الدماغ باردا، إذ كان هذا العضو إنما جعل لتعديل حرارة القلب.

[١٤] وقد يستدل أيضا على حره ويبسه من أفعال النفس مثل الغضب وغير ذلك، فإن السريع الغضب حارٌّ مزاجِ القلب ضرورة[11]، فإن كان بطيء انحلال الغضب فهو يابس، وكذلك صغر الصدر والقضافة في الجسم تدل على يبسه.

[١٥] وأما المزاج المفرط في الحرارة والرطوبة فيستدل عليه بعظم النبض ولينه، فإن كان لينا غير عظيم دل على الرطوبة فقط. ومن علامات الحرارة والرطوبة عظم الصدر وعظم سائر الأعضاء، ولذلك ما كان من الحيوان أرطب وأحر فهو أعظم جثة، ككثير من الحيوانات التي تنشأ في المواضع الرطبة.

[١٦] وأما علامات البرودة واليبوسة فمؤلفة من ضد علامات الحرارة ومن علامات اليبوسة[12] أنفسها، ولذلك يكون نبض هؤلاء صغيرا متفاوتا بطيئا

---

(١) ب: أضيف "له" (٢) غ: أضيف "هناك" (٣) م: الحس (٤) ب، ت: فهي (٥) ب، ت: و (٦) م: سقط "أو كانت... مما ينبغي" (٧) ج: في (٨) غ، م، ت، ج: سقط "الأجزاء" (٩) ت: به (١٠) هكذا في غ: بأخره؛ ب، ت: "بأَخرَة"، م، ج: باخرة (والصحيح ما أثبتنا. وتلك عبارة شائعة عند القدماء توازن ما نعبر عنه نحن اليوم بقولنا: في نهاية الأمر، في آخر المطاف، النتيجة النهائية. م.ع.ج) (١١) م: سقط "ضرورة" (١٢) غ، م، ت، ج: اليبس، وشطب ت على "اليبس" وكتب فوقها "الرطوبة".

صلبا وتنفسهم أيضا بهذه الحال، ويكون ملمس صدورهم باردا، وكذلك أمزجة سائر أعضائهم إلا أن تكون هناك مقاومة عرضية، وتكون الصدور من هؤلاء زعرا لا شعر فيها، ويكونون في غاية الجبن وعدم الغضب والبلادة وقلة الذكاء. وبالجملة فتكون شبيبتهم أشبه شيء بالشيخوخة، وشيخوختهم إن وصلوها أشبه شيء بالموت. وأما من أين يوقف على رداءة خلقة القلب فمن مزاجه أيضا ومن أفعاله. وإذ قد قلنا في العلامات الدالة على صحة القلب المنسوبة إلى الأعضاء المتشابهة الأجزاء وعلى صحته المنسوبة إلى الأعضاء(١) الآلية، فلننقل في العلامات الدالة على صحة الدماغ.

[٣-] في علامات الدماغ المعتدل

[١٧] والاعتدال في الدماغ كما(٢) في سائر الأعضاء، إما أن ينسب إلى المتشابهة الأجزاء التي فيه، وإما(٣) إلى تركيبه. ولنبدأ من القول في علامات المزاج(٤) المعتدل: والعلامات التي يستدل منها(٥) على مزاج الدماغ بعضها مأخوذة من أفعاله. والأفعال التي للدماغ(٦) هي منسوبة إما إلى الحس وتوابعه من التخيل والفكر والذكر، وإما منسوبة إلى القوة الغاذية وهي الأفعال التي تظهر(٧) في الفضول البارزة من الأنف والحنك، وقد يستدل أيضا على الدماغ من ملمسه ومن الشعر النابت عليه ومن شكله.

[١٨] أما الفضول البارزة منه فمتى كانت معتدلة في الكمية والكيفية دلت على اعتدال مزاجه، وكذلك متى كانت أفعال النوم واليقظة أفعالا معتدلة دلت على ذلك أيضا(٨). وقد يدل(٩) على ذلك(١٠) أن يكون صاحب هذا الدماغ غير كسلان ولا سريع الحركة، معتدل الفهم جيد الحواس ذكيها. والملمس(١١) من هذا الدماغ يكون معتدلا لا بالحار ولا بالبارد، والشعر النابت عليه يكون لا بالجعد ولا بالسبط (=سلس رطب الملمس) ولا بالأسود ولا بالأبيض.

[١٩] وأما الاستدلال عليه بالشكل فإن شكل الدماغ متى كان معتدلا دل على اعتدال مزاجه. وشكل الدماغ المعتدل هو، كما يقول جالينوس، مثل كرة شمع قد غمزت عليها بإصبعيك من الجانبين، وأن يكون مع هذا لا بالكبير ولا بالصغير.

[٢٠] وأما الأدمغة الحارة فإن الفضول التي تسيل منها تكون قليلة، نضيجة أكثر مما ينبغي، فإن كانت مع هذا غليظة دلت على يبس، وإن كانت نضيجة مع كثرة دلت على حرارة ورطوبة. ومتى كانت كثيرة الكمية غير نضيجة دلت على برد، فإن

---

(١) غ، م، ج: أعضائه؛ ت: سقط "المتشابهة...الأعضاء" (٢) م: أضيف "قلنا" (٣) م: أضيف "أن ينسب" (٤) ب، م: العلامات التي للمزاج (٥) ت: بها (٦) غ، م ت، ج: في الدماغ (٧) ب : تفعل (٨) م: "اعتدال" عوض "ذلك أيضا" (٩) م: أضيف "أيضا" (١٠) ج: أضيف "أيضا" (١١) ب، ت : واللمس.

كانت مع هذا مائية دلت على رطوبة وبرودة. وصاحب هذا المزاج يقول فيه أبقراط إن صحته أقرب أن تكون سقما[1] منها أن تكون صحة. وأما أفعال الدماغ الحار فالسهر وقلة النوم، ما لم يكن مع رطوبة؛ فإن أفرط السهر فدليل[2] على اليبوسة. وأصحاب هذا المزاج يكونون عجولين مبادرين إلى الأشياء من غير تأمل، لا تستقر خيالاتهم على شيء بعينه، يأخذون التشابه بين الأشياء ولا يأخذون التباين، كثيري الخطأ والوهم.

[٢١] وأما من كان في هذه الأحوال على الضد، أعني أن يكون نومه كثيرا[3] كسلانا بليدا بطيء الفهم لا يقدر على أن يأخذ التشابه[4] بين الأشياء فهو بارد مزاج الدماغ ضرورة. فإن أفرطت فيه هذه الأفعال فهو مع هذا رطب. وصاحب المزاج البارد اليابس يكون أقل نوما من صاحب المزاج البارد فقط، كما أن صاحب المزاج البارد فقط يكون أقل نوما من صاحب المزاج البارد الرطب. واللمس أيضا مما يحكم به على هذه الأمزجة.

[٢٢] وأما الاستدلال من الشعر، فلأن الشعر لما كان تولده إنما هو من الفضل الدخاني المتولد في[5] البدن، كان الشعر الأسود دليل احتراق: فإن النارية شأنها أن تفعل في الأبيض التسويد، فإن اجتمع إلى ذلك الجعودة كان أيضا دليل يبس، كالحال التي تعرض له عندما يدني من النار. وأما الشعر الأبيض فإنه يدل على نهوءة (=قلة نضج)[6] وقلة طبخ، فإن كان مع ذلك سبطا(=غير جعد) فإنه يدل على إفراط الرطوبة. وكذلك[7] الشعر السريع النبات يدل على الحرارة، والبطيء بخلاف هذا. وأما المتوسط[8] في اللون والجعودة والسبوطة وسرعة النبات وبطئه فهي علامة مزاج معتدل. والشكل المعوج يدل على رداءة المزاج، وكذلك أيضا الرأس الكبير والصغير.

[٢٣] والعين أيضا قوية الدلالة على مزاج الدماغ: فإن العين الحمراء، والتي فيها عروق حمر، تدل على حرارة الدماغ. والعين التي على خلاف[9] هذا تدل على برودة الدماغ. وسرعة حركتها تدل أيضا على حرارة[10]، كما أن بطء حركتها وقلة إطرافها[11] دليل على مزاج بارد. والتوسط في[12] هذه الأشياء دليل على مزاج معتدل. وزرقة العين دليل على برودة مزاج الدماغ، كما أن الكحلة دليل على الحرارة. والشهولة دليل على مزاج معتدل. وإنما كان ذلك كذلك لأن الزرقة إنما تحدث عن قلة طبخ وعدم

---

(١) م: مرضا (٢) غ: فإن إفراط السهر دليل (٣) في غ "نَوَمَةً" و ج "نؤوما" عوض "نومه كثيرا"؛ ت: سقط؛ م: أضيف "ويكون" (ب : كتب في المتن "نؤومة" وصححها في الهامش "نومه كثيرا") (٤) ب، م، ت، ج: التباين (٥) ت: من (٦) ج: نيئية؛ (غ، ب، م: هكذا "نُهُؤَة"؛ ت: وضع "هو" فوق "هؤ"؛.(والصحيح ما أثبتنا. كذا في قواميس اللغة). (٧) ت: وذلك أن (٨) غ، م، ت، ج: أضيف "في هذه" (٩) غ، ت، ج: "بخلاف" عوض "على خلاف" (١٠) غ: حرارته؛ ت: حرارتها (١١) م: سقط "وقلة إطرافها" (١٢) ب، ت: والمتوسط بين(ت: في).

نضج. ولذلك كان ذلك اللون قريبا من لون الماء البسيط. وأما الكحل فإن فاعله هو إفراط النضج والطبخ. ولذلك كان السواد غالبا عليه، لأن السواد أمارة أجزاء أرضية محترقة غالبة على الشيء. وأما الشهل ففاعله طبخ في غاية الاعتدال، قد انحط عن إفراط فاعل الكحل وارتفع عن فاعل الزرق، وليس هذان فقط هما أسباب حدوث الكحل والزرق، بل قد يعين أيضا على ظهور هذه الألوان أمور أخر غير المزاج. وذلك أن الكحل يدل على كثرة رطوبة العين وتزيدها في عمقها كالحال في الغدران العميقة، فإنها تظهر سوداء[1]. وذلك أن كثرة الماء لا ينفذ فيه الشعاع كل النفوذ فيظهر بهذه الصفة، والعين الزرقاء بخلاف ذلك. وقد يرى جالينوس أن مما يعين على الزرق كثرة الرطوبة الجليدية، وذلك لأن لون هذه الرطوبة في لون الجليد، كما أن قلتها يعين على الكحل. والتوسط في هذه كلها[2] دليل على الاعتدال.

[٢٤] فهذا هو القول في العلامات الدالة على مزاج الدماغ. وأما الدلائل والعلامات التي بها يوقف[3] على تركيبه فهي أيضا تؤخذ من مزاجه ومن أفعاله ومما[4] يظهر فيه من هيئات التركيب. وذلك أن الشكل والمقدار ظاهران[5] من أمر هذا العضو على أي حال هما فيه. وقد وصفنا قبلُ الشكل الطبيعي لهذا العضو، وكذلك أيضا مشاركته ظاهرة للحس، فإن بعض الرؤوس له عنق مناسب لحمله وإقلاله، وبعضها الأمر فيه بالعكس. وأما ضيق مجاريه أو سعتها فيوقف عليها من مزاجه. وذلك أن الدماغ الحار الرطب تكون مجاريه وبطونه في الغاية من السعة، والبارد اليابس في مقابل هذا؛ وبينهما الحار اليابس والبارد الرطب. والمزاج المعتدل[6] تكون مجاريه وبطونه في غاية الاعتدال. وأما من أفعاله، فإن الدماغ إذا كان ضيق البطون والمجاري كثيرا ما يعرض لصاحبه السدر[7](=عدم التركيز) والصرع وما أشبه ذلك من الأمراض. وجوهر الدماغ إذا كان ناقصا بالطبع لحق ذلك آفة في الذهن ورعونة فيه، كما[8] يعتري الذين علّت أسنانهم. وبالجملة فمتى فسد شكل الدماغ الظاهر فسد الباطن. فهذا هو القول في العلامات الدالة على صحة الدماغ المنسوبة إلى المتشابهة التي فيه[9] وإلى الآلية[10].

[٤-] القول في صحة الكبد

[٢٥] العلامات الدالة أيضا على صحة الكبد منها علامات تدل على المزاج ومنها علامات تدل على التركيب. ولنبدأ بالعلامات الدالة على المزاج. وهذه العلامات

(١) ت: سقط "فإنها"؛ ج: فإنه يظهر سُودًا (٢) ب: هذا كله؛ م، ت، ج: أضيف "هو" (٣) ب: يظهر "يؤخذ" (تبدو الكلمة وكأنه أعيدت كتابتها؛ فربما كانت "يوقف" وصححت "يؤخذ"، أو عكس ذلك) (٤) ب، م، ت، ج: ما (٥) ت: هكذا "ظاهرٌ أنّ" (٦) غ، ت، ج: أضيف "هو الذي" (٧) غ، ب: السدِ (٨) غ، ت؛ ج: أضيف "نرى ذلك" (٩) ت: سقط "التي فيه" (١٠) غ، م، ت، ج: أضيف "ويتلو".

هي مأخوذة من الأفعال، وقد تؤخذ من جهة هيئة العروق واللمس. أما الكبد المعتدلة فهي تفعل دما أرجوانيا أحمر، ويكون ضرورةً لون صاحبها أبيض مشربا بحمرة. قالوا وهذا اللون[1] دليل على اعتدال مزاج[2] الكبد. وأبدان هؤلاء تكون لا قضيفة ولا سمينة، وإذا لمست من هؤلاء ما على المراق وجدت ذلك الموضع منهم معتدلا. وكذلك إذا كانت الأوراد (=العروق) معتدلة في السعة والضيق دلت على اعتدال مزاج الكبد.

[٢٦] وأما المزاج الحار في الكبد فإنه يدل عليه[3] كثرة توليدها للمرار الأصفر، وبخاصة عند منتهى الشباب. والألوان من هؤلاء تكون إلى الصفرة ما هي، وإن تزيدت الحرارة واليبس تولد عن ذلك في البدن صفراء محترقة. والألوان من هؤلاء تكون كمدة، وخاصة محاجرهم، وربما اسودت شفاههم.

[٢٧] وأما الكبد الباردة فإنه يستدل عليها من كثرة توليدها للبلغم ونيئة الدم وشدة بياض اللون وجصيته[4] (=بلون الجص). فإن كانت مع هذا يابسة كان توليدها للمرة السوداء الطبيعية كثيرا. وأما رطوبة مزاج الكبد فإنه يستدل عليها بالعفن الذي يعرض لصاحبها كثيرا وغلبة الدم على البدن إذا كانت مع ذلك حارة. وأما إذا لم تكن مع ذلك حارة فإنه يستدل على ذلك بالترهل الذي يعرض في البدن، فإن أفرط ذلك آل إلى الاستسقاء[؟]. والعروق تكون في الكبد الحارة واسعة وبخاصة إذا اقترن لذلك[5] رطوبة. وتكون في الكبد اليابسة الباردة على ضد ذلك وهي في الحارة اليابسة على حالة متوسطة. وقد يستدل أيضا على مزاج الكبد من الشعر، فإنه متى كان نابتا على مراق البطن دل على حرارة الكبد. وذلك أيضا بحسب[6] مزاج الشعر في نفسه. فإن كان خشنا جعدا أسود دل على حرارة ويبس، وإن كان لينا زعرا[7] دل على رطوبة هنالك. وأما متى لم يكن على مراق البطن شعر فإنه يدل على برد الكبد، فإن كان مع هذا المراق لينا فإنه يدل على رطوبتها، وإن كان يابسا فإنه[8] يدل على يبسها.

[٢٨] وأما العلامات الدالة على تركيبها فهي أيضا مأخوذة من المزاج والأفعال. أما المزاج المعتدل فإنه يدل على اعتدال الشكل والوضع والكبر والصغر وعلى التوسط في سعة المجاري وضيقها. وأما المزاج الحار الرطب فإنه يدل على عظم الكبد وسعة الأوراد، كما أن البارد اليابس بخلاف ذلك. وبينهما المزاج الحار اليابس والبارد الرطب.

[٢٩] وينبغي أن تعلم أن الأمزجة التي تدل على خلق هذه الأعضاء إنما هي الأمزجة الطبيعية الحاصلة عند الكون، وذلك أن هاهنا أمزجة حارة أو[9] باردة مكتسبة

---

(١) غ، ج : "واللمس : وهذا اللون قالوا للعين" (٢) غ، ب، ت، ج: سقط "مزاج" (٣) م: على (٤) ب: هكذا "حصيته"؛ ت: خصبته (٥) غ، ج: إن...إلى ذلك (٦) ب: حسب (٧) ت: سقط "زعرا" (٨) ب: سقط "فإنه"
(٩) غ، م، ت: و.

من التدبير، وبالجملة من الأشياء التي من خارج. مثال ذلك أنا[1] متى وجدنا إنسانا سحنةً بدنه تدل على البرودة، والعلامات التي تدل على مزاج كبده علامات تدل على الحرارة، مثل أن تكون عروقه غير ضيقة، حكمنا أن مزاجه الطبيعي مخالف للعرضي. وكذلك متى ألفينا ذلك بالعكس: أعني أن يكون إنسان مزاجُ كبده بارد يابس، وهو مع هذا عبل (=ضخم). والعبالة تدل على الحرارة والرطوبة.

[٣٠] وأما كيف يستدل على التركيب من الأفعال، فإن الكبد متى كانت ضيقة العروق كانت كثيرا ما تعتري السُّددُ أصحابَها من غير أن تكون الأطعمة المتناولة مسدِّدة بطبعها. وأيضا فإنه متى كانت الكبد صغيرة بالإضافة إلى المعدة ولم يكن هنالك عارض يوجب لين[2] الطبع فإن طبع هؤلاء يكون أبدا لينا وتلك دلالة قاطعة على صغر الكبد، لأنها إذا كانت صغيرة لا تفي بجذب الكيلوس[2] الذي تهضمه المعدة فيخرج البراز لينا. وقد زعموا أيضا أن قصر الأصابع دليل على صغر الكبد. وذكر أرسطو أنه قد تكون كبد بعض الناس في الجهة اليسرى في النادر. وهؤلاء إذا أصابتهم أمراض الكبد وجدت علامتها من[3] جهة اليسار. فهذا هو القول في العلامات الدالة على صحة الأعضاء الرئيسة[4]. وينبغي أن نقول في العلامات الدالة على صحة[5] الأعضاء الخادمة لهذه.

[٥-] في الرئة

[٣١] إذا كانت الرئة معتدلة المزاج كان التنفس متوسطا بين العظم والصغر، ولم تتأذ بالهواء الحار ولا البارد، والصوت يكون معتدلا من صاحب هذه الرئة في العظم والصغر. وأما إذا كانت الرئة حارة فإنه يكون تنفس صاحبها عظيما ويتأذى بتنشق الهواء الحار ويستلذ البارد ويكون صوته عظيما. وأما إذا كانت باردة فعلاماتها أضداد هذه العلامات، أعني أن يكون التنفس صغيرا والصوت كذلك، ويتأذى بالأشياء الباردة. وأما اليبس في مزاج[6] الرئة فإنه يستدل عليه بصفاء الصوت وقلة النفث، والرطوبة بضد ذلك: أعني تكدر الصوت وكثرة النفث. وأما تركيبها فإنه يستدل عليه من مزاجها ومن أفعالها. أما من مزاجها فإن المزاج المعتدل يتبعه ضرورة اعتدال التركيب. وذلك في الصغر والعظم والشكل وسعة المجاري وضيقها وغير ذلك. وأما إذا كانت حارة فإنها تكون عظيمة واسعة المجاري، وعظم الصوت دال على سعة مجاريها[7]. وإنما قلنا قبل إن عظم الصوت دال على حرارة مزاجها من قبل أن عظم الصوت يتبع سعة مجاريها، والسعة تتبع الحرارة ضرورة. وأما المزاج البارد فإنه يدل على الصغر وضيق المجاري،

---

(١) غ، م، ج: أنه (٢) م: يبس، وكتب فوقها "لين" (٣) ب: في (٤) ب، م، ت: الرئيسية (٥) غ، م، ت: سقط "صحة" (٦) ب : سقط "مزاج" (٧) ج: المجاري.

ولا سيما إن انضاف إلى البرودة يبوسة. وسرعة التنفس إذا لم يكن مزاج القلب حارا قد يدل على صغر الرئة وضيق مجاريها. والصدر المجنح الذي وصفه الأطباء يدل على رداءة وضع الرئة منه، ولذلك قال الأطباء إن صاحبها كثيرا ما تعتريه قروح الرئة ويسرع إليه السل.

[٦-] في المعدة

[٣٢] والمعدة[١] يوقف على مزاجها من أفعالها: فالمعدة المعتدلة هي التي تستمرئ جل الأطعمة ما لم تكن خارجة عن الطبع جدا، وليس يلحقها عرض من أعراض المعدة المنحرفة المزاج، وتكون شهوتها طبيعية. وأما المعدة الحارة فإنها تتدخن فيها الأطعمة اللطاف وتستمرئ[٢] الغلاظ وتكون شهوتها ناقصة. وأما المعدة الباردة فإنها بعكس ذلك: أعني أنها تستمرئ الأطعمة اللطاف، وتحمض فيها الأطعمة الغلاظ وتكون شهوتها زائدة. وأما المعدة اليابسة فعلامتها فيما زعموا كثرة العطش والاكتفاء بالماء اليسير[٣]. ومتى تناول صاحبها فضلا قليلا أحدث فيها خضخضة. وأما المعدة الرطبة فعلامتها قلة العطش وميل إلى الأغذية الرطبة، كما أن المعدة اليابسة يميل صاحبها إلى الأغذية اليابسة، هذا إذا كان اليبس والرطوبة فيهما طبيعيين. وأما إذا كانا عرضيين فإن الأمر فيهما يكون بالضد، أعني أن[٤] الذي معدته يابسة يشتهي الأشياء الرطبة، والذي معدته رطبة يشتهي الأشياء اليابسة.

[٣٣] والمعدة قد تكون معتدلة في العظم والصغر[٥]. ويستدل على ذلك من احتمالها[٦] التوسط[٧] بين الكثرة والقلة من الأغذية. وقد تكون صغيرة[٨] ويستدل عليه من قلة[٩] احتمالها لكثرة الطعام، فإذا قسم عليها[١٠] جاد هضمها. والمعدة الكبيرة الأمر فيها بالعكس.

[٧-] في تعرف[١١] مزاج الأنثيين

[٣٤] والعلامات المأخوذة هاهنا هي أيضا من الأفعال والأعراض التابعة للأفعال. أما الأفعال فإن الإنسان متى كان[١٢] متوسطا في شهوة الجماع دل ذلك على اعتدال مزاجهما[١٣]، ومتى كان في ذلك مفرطا دل على حرارة مزاجهما[١٤]. فإن كان إفراطه في

---

(١) م: أضيف "قد" (٢) ب: أضيف "بها" (٣) غ، م، ت، ج: والاكتفاء فيه (ت: سقط "فيه") بشرب الماء القليل (غ، ت، ج: اليسير) (٤) غ، ب، ت: سقط "أن" (٥) ب : في الصغر والكبر (٦) ب: استعمالها (٧) ت: المتوسط (٨) غ: جاءت العبارة "ويستدل على...صغيرة" في الهامش لكنه لا يقرأ بالكامل (٩) غ: "جهة"، وفوقها علامة غير واضحة (١٠) م: سقط "صغيرة...عليها" (١١) م: تعريف (١٢) م: "فمتى كان الإنسان" عوض "فإن الإنسان متى كان" (١٣) غ، م، ت: مزاجها (١٤) نفسه.

ذلك مع احتمال دل على رطوبة هنالك مع حرارة[١]. قالوا ومزاج الأنثيين إذا كان حارا يولد لصاحبها[٢] الذكور أكثر من الإناث. وأما متى كان مزاج الأنثيين باردا فإن علاماته تكون ضد هذه العلامات، أعني أن صاحبها يكون كسلانا في الجماع ويولد له في الأكثر الإناث. فإن اقترن إلى ذلك يبس فيكاد يبطل فعلها. وأما من كان مفرط الشهوة إلى الجماع[٣]، وهو مع هذا يضعف عن الجماع، فإن مزاجه مائل إلى اليبس.

[٣٥] وأما الاستدلال على مزاج هذا العضو من قبل الأعراض التي تظهر في المني، فإن المزاج المعتدل يكون المني عنه معتدلا في الكمية والكيفية. وأما إن كانت الأنثيان أحر مما ينبغي فإن المني يكون زائدا في الكمية أغلظ مما يجب. وأما متى كان مزاجهما[٤] باردا، فإن الأمر في ذلك يكون بالضد: أعني أن المني يكون قليلا غير نضيج، والرطوبة أكثر ملاءمة لهذا الفعل من اليبوسة. وقد يستدل على مزاج هذا العضو بالشعر على جهة ما يستدل به على أمزجة كثير من الأعضاء على ما سلف.

[٣٦] فهذه هي الدلائل التي بها يوقف على صحة عضو عضو من الأعضاء الرئيسة[٥]، وبمعرفة[٦] جميعها والمقايسة بينها يفهم المزاج المعتدل المنسوب إلى جملة البدن، والمزاج الخارج عن الاعتدال. فالبدن الذي مزاجه معتدل يكون ضرورة متوسطا بين الهزال والسمن، ويكون لونه أبيض مشربا بحمرة، وشعره أشقر إلى الحمرة ما دام صبيا، فإذا صار إلى سن الشباب صار الشعر أسود رَجْلا (=بين الجعود والاسترسال). وملمس هذا البدن يكون معتدلا في الحرارة والبرودة واللين والجساوة (=الصلابة والخشونة) وتكون أخلاقه في غاية الاعتدال، وفهمه أجود الأفهام: متوسطا بين فهم العَجول وإبطاء البليد.

[٣٧] وبالجملة فإن بمجموع الدلائل التي وصفنا يحكم[٧] على المزاج أنه معتدل. وأما الأمزجة الخارجة عن الاعتدال فإنه يحكم عليها أيضا بمجموع تلك العلامات أعني العلامات المأخوذة من الأفعال والأعراض التابعة لها، كالسمن والقضف واللون والشعر وغير ذلك. غير أنه ينبغي أن تعلم أن دلالة اللون والشعر إنما تصدق أكثر ذلك في الأقاليم المعتدلة، وإن كان يمكن أن تستعمل استعمالا ما في أي إقليم كان، بالإضافة إلى أهل ذلك الإقليم. لكن هذا لم يتكلم بعد فيه الأطباء، فإنه قد كان ينبغي أن نقول في العلامات التي بها يوقف على المعتدل مثلا[٨] في الصقلب، والمعتدل في الحبشان. وإنما

---

(١) غ، م، ت، ج: الحرارة (٢) غ، م، ت: لصاحبه (٣) م: في الجماع؛ غ، ت، ج: سقط "إلى الجماع" (٤) غ، م، ت، ج: مزاجها (٥) ب، م، ت: الرئيسية (٦) ب: وبسبب معرفة (٧) ب، م، ت: مجموع الدلائل التي وصفنا تحكم (٨) ب، ج: في المثل.

كانت دلالة الشعر واللون غير قاطعة، لأن الحبشان ألوانهم سود وشعورهم في غاية الجعودة، وليس يدل ذلك منهم على أمزجة حارة. بل هذه الأعراض أولى أن تنسب فيهم إلى الحرارة التي من خارج. وكذلك أيضا الصقالب[1] وغيرهم من سكان البلاد الباردة ليس الزعر الذي بهم وسبوطة الشعر دليلا على برد أمزجتهم، بل أمزجتهم في غاية الحرارة لمكان انعكاس الحار الغريزي في داخل أجوافهم، كما يعتري ذلك في الشتوة. وهذا المقدار من القول في العلامات الصحية كاف بحسب غرضنا في الإيجاز.

[٨-] القول في العلامات المنذرة بالأمراض[٢]

[٣٨] والعلامات المنذرة بالأمراض أجناس: فبعضها مأخوذة من الأعراض التابعة لغلبة الأخلاط على البدن، وبعضها مأخوذة من مزاج البدن واستعداده لمرض مرض. وقد يستدل أيضا على الأمراض بالتدبير المتقدم[٣]. والفصول الأربعة أنفسها مما يستدل بها[٤] على تقدمة المعرفة بأمراض ستحدث، ولا سيما التغايير التي تكون فيها[٥] على غير المجرى الطبيعي. وهذه العلامات مختلفة في القوة والضعف وسنشير إلى مراتبها في ذلك فنقول:

[٣٩] إنه قد قلنا فيما سلف إن الدم متى تزيد في الكمية، وذلك في جميع البدن حتى يمدده، سمي ذلك امتلاء بحسب التجاويف؛ وأنه متى تزيد في الكمية مع رداءة[٦] في الكيفية، وأعني بالرداءة في الكيفية انحرافه إلى واحد من الأخلاط الثلاثة أو أكثر من واحد، سمي امتلاء بحسب القوة. وذلك أن من شأن هذا الامتلاء أن يخل بالقوة[٧] لرداءة الكيفية[٨]. ولذلك يتبعه سقوط الشهوة وثقل في[٩] الحركات. وبالجملة عن جميع الأفعال النفسانية والطبيعية. وأما الامتلاء الأول[١٠] فإنه لا يوجد هذا المعنى فيه، وعلامات الأول هي علامات غلبة الدم. وعلامات الثاني هي علامات غلبة أحد الأخلاط الثلاثة على البدن أو أكثرها، فينبغي أن نصير بعد إلى تعديد العلامات الدالة على غلبة واحد واحد من الأخلاط، فإنه إذا فهمت البسائط فهمت المركبات.

[٩-] في علامات غلبة[١١] الدم

[٤٠] والأعراض التي تلزم في البدن عن كثرة الدم هي عظم النبض، وامتلاء العروق أنفسها، شرايين كانت أو أوردة، وثقل الرأس والعين والأصداغ، وكدر الذهن

---

(١) غ، ت: الصقلب (غ ص ٧٩ ناقصة، وتبتدئ من "القول في العلامات المنذرة بالمرض" إلى "وسواد المحاجر والدم من هؤلاء إذا فصدوا") (٢) ب: المرض (٣) م: المقدم (٤) ج: به (٥) م: بها (٦) م: عبارة "وأنه...رداءة" لا تقرأ (٧) ت: هكذا "يحيل القوة" (٨) ج، م، ت: أضيف "التي فيه" (٩) م، ت، ج: ويقل (ج: ثقل) عن (١٠) غ، ب: الأولي (١١) غ، م، ت، ج: كثرة.

والحواس. وبالجملة أن تكون حال البدن شبيهة بحال الإعياء الذي يكون من خارج. وحمرة اللون أيضا وسخونة البدن، إن لم يكن تصرف الإنسان في هواء حار، مما يشهد لغلبة هذا الخلط على البدن[1].

[٤١] ويتبع هذه الكثرة في البدن استغراق نوم، وربما تبع[2] ذلك أن يرى في منامه أشياء حمرا[3]، كالرجل الذي حكى لجالينوس[4] أنه كان يرى في النوم كأنه يسبح[5] في بركة دم، وكانت أمارات[6] الدم لائحة عليه فأمره جالينوس بالفصد، فمشى الرجل إلى بعض الأطباء الذين كانوا على رأي أرسطو في ترك الفصد فأمره بالرياضة، فعندما شرع الرجل في الرياضة وذابت أخلاطه انطفأ.

[٤٢] وربما قطر الدم من الأنف عند الامتلاء الدموي أو رشح من اللثة[7]، وقال أرسطو: إن الدم إذا كثر[8] سال من الأنف أو المقعدة. والدماميل أيضا والبثور والبول الغليظ كل ذلك دليل على غلبة الدم. وحلاوة الفم أيضا دليل على ذلك. قالوا وإن كان ممن اعتاد إخراج الدم فإنه سيصيبه حكاك وأكال في تلك المواضع.

[٤٣] وأما العلامات المأخوذة هاهنا من المزاج والتدبير[9] والهواء فإنها[10] مما يستظهر به[11] على هذا، إذا كانت موافقة: مثل أن يكون السن سن الشباب. والتدبير[12] يوجب ذلك، مثل الإدمان على الخمر واللحم، وكذلك متى كان الفصل ربيعا. إلا أن هذه العلامات ليس يلزم عنها ضرورة غلبة الدم، لأنه قد يكون المزاج نفسه فعالا للدم، سواء كان الفصل ربيعا والسن شبابا، والتدبير يوجب[13] ذلك، أو لم يكن ولا واحد من هذه، وإن كان التدبير أقوى هذه الأسباب. فالعلامات[14] القاطعة على غلبة الدم هي الأعراض التي تتبعه ضرورة.

[١٠-] في علامات[15] غلبة الصفراء

[٤٤] علامة ذلك تكون[16] سرعة النبض وتواتره، والبول الرقيق الناري، والقيء المراري، والاختلاف[م] اللذاع (=المؤلم، المحرق) ومرارة الفم وشدة العطش ويبس اللسان وخشونته وصفرة اللون. وربما كان عن ذلك صفرة بياض العين، كما يعتري ذلك في أول حدوث اليرقان[م]. فإن انضاف إلى ذلك أن يكون الزمان صيفا والسن شبابا والأغذية حارة يابسة و الرياضة المفرطة أو المهن المحركة كصناعة الحدادة وغير ذلك، فلا شك حينئذ في غلبة هذا الخلط على البدن.

---

(١) م، ت، ج: سقط "على البدن" (٢) م: سقط "هذه الكثرة...وربما تبع" (٣) ت: أضيف "كالدم" (٤) غ، ب: جالينوس (٥) م، ت، ج: يعوم (٦) ج: أمارة (٧) م، ت، ج : ورشحت اللثة (٨) م، ت : فسد(٩) ج: أضيف "والسن" (١٠) ب: فإنه (١١) م، ت، ج: بها (١٢) م: أضيف "والهواء"؛ (١٣) ت، ج، م: أضيف "تدبيرا" (١٤) ت: والعلامات (١٥) م، ت: سقط "علامات" (١٦) غ، م، ت: سقط "علامة..تكون".

[-١١] في غلبة السوداء

[٤٥] سواد البول أو حمرته إلى الكمدة أو خضرته، وربما تبع ذلك حرقة في المعدة وهيجان الشهوة الكلبية[؟]، دليل أيضا على ذلك. وكذلك كمدة البدن[١] وسواد المحاجر. والدم من هؤلاء إذا فصدوا يكون أسود ذا علق كثير. وأكثر هؤلاء يكونون مطحولين(=مرضى الطحال). فإن انضاف إلى ذلك أن يكون الزمان خريفا والمزاج مزاجا مستعدا لتولد[٢] هذا الخلط، والتدبير تدبيرا يوجب ذلك، فاقطع على غلبة هذا الخلط على البدن.

[٤٦] والأمزجة التي هي مستعدة لتولد[٣] هذا الخلط هي إما الباردة اليابسة أو الحارة اليابسة، ولذلك قل ما يتولد في الأبدان البيض السمان الزعر هذا الخلط، ويكثر تولده في الأبدان القضاف. والبَهَق[؟] الأسود إذا ظهر على الجسم دليل قاطع على غلبة هذا الخلط وكذلك القروح الرديئة.

[-١٢] في غلبة البلغم

[٤٧] البول الأبيض والنبض الصغير المتفاوت اللين ورهل البدن والكسل وغلبة النوم وبطء الهضم وقلة العطش وكثرة الريق ولزوجته، فإن انضاف إلى ذلك موافقة المزاج والفصل والتدبير فاقطع على ذلك (=على غلبة البلغم): مثل أن يكون المزاج يغلب عليه البلغم، والسن[٤] سن الشيخوخة، والفصل شتويا، والتدبير الدعة والخفض، واستعمال الأغذية الباردة الرطبة والتناول منها أكثر مما يجب. والأحلام عند غلبة هذه الأخلاط ربما دلت أيضا[٥] على ذلك، فإن من غلبت على بدنه[٦] الصفراء فإنه كثيرا ما يرى نيرانا، وكأنه يحترق، وبالجملة أشياء حمرا[٧]. وكذلك غلبة السوداء يدل عليها رؤية المخاوف والفزع ورؤية الأمطار والبحار. وأن يحس الإنسان كأنه في هواء بارد أو ماء بارد[٨] مما[٩] يدل على غلبة البلغم.

[٤٨] فهذه هي الدلائل التي تدل على غلبة خلط خلط من هذه الأخلاط. وبالجملة فهي دالة على الأمراض التي من شأنها أن تحدث عن واحد واحد من هذه الأخلاط أو[١٠] أكثر من واحد. والإعياء الذي يعرض في البدن من غير سبب متقدم إنما[١١] يكون ضرورة عن غلبة واحد من هذه الأخلاط أو أكثر من واحد، إلا أن الإعياء

---

(١) ت، م، ج: اللون (٢) م: لتوليد (٣) غ، ب: لتوليد (٤) ب: "وأن يكون السن" عوض "والسن"؛ غ، ت، ج: سقط "يغلب...السن" (٥) غ، م، ج: سقط "أيضا" (٦) م، ت: غلب على دمه (٧) م: صفرا (٨) ج: سقط "أو ماء بارد" (٩) غ، م، ت: سقط "مما" (١٠) م: وعن؛ غ، ت، ج: أو عن (١١) ب: إما أن.

المخصوص بالتمددي غلبة الدم عليه أكثر، وكذلك الورمي. وأما القروحي فرداءة الكيفية فيه أغلب[1] من الكمية.

[٤٩] وإذ قد قلنا في العلامات الدالة على غلبة الأخلاط في الأبدان فلننقل في التغايير التي إذا حدثت في الهواء دلت على أمراض ستحدث. والطريق التي بها يوقف على الأمراض التي تحدث عن تغيير تغيير من أصناف التغايير الخارجة عن الطبع[2] هي التجربة. وأما هل يمكن أن يوقف عليها ببرهان فذلك مما يعسر أو لا يمكن. ولذلك قد ينبغي[3] أن نتحرى فيها شهادة القدماء ثم نروم إعطاء السبب في[4] ذلك.

[١٣- العلامات الهوائية المنذرة بالأمراض]

[٥٠] قال أبقراط إذا كان الشتاء شماليا عديما للمطر، وكان الربيع جنوبيا مطرا، عرض من ذلك في الصيف حميات حادة ورمد واختلاف دم. وأكثر ما يعرض ذلك لمن كان مزاجه رطبا كالنساء والصبيان. والسبب في حدوث هذه الأمراض هو أن الأبدان إذا كانت الشتوة يابسة تولدت فيها أخلاط يابسة، وبالجملة فالأخلاط المحترقة التي تتولد في زمان الخريف ليس تنقلب طبيعتها في مثل هذه الشتوة إلى البرودة والرطوبة، بل تبقى على النصف مما عرض لها في الخريف. فإذا كان الربيع مع هذا أرطب مما يجب اجتمعت أخلاط متضادة. فإذا دخل الصيف عفنت الأخلاط لموضع الرطوبة العرضية التي فيها. ولموضع الانحراف الذي في الأخلاط تكون الحرارة العفونية المتولدة حينئذ أنكأ شيء وأحدّه. ولذلك تتولد عن ذلك حينئذ حميات حادة لموضع رداءة هذا الامتزاج. ويحدث عن ذلك كما قال[5] اختلافِ دم ورمد[6]. وإنما يعرض ذلك لذوي الأمزجة الرطبة لسرعة قبولهم للتأثر[7] عن مثل هذا الهواء. وإنما ينسب أبقراط اليبس إلى الشمال والرطوبة إلى الجنوب، لأن طبيعة هذين الريحين توجد[8] بهاتين الحالتين. فأما السبب في ذلك فقد قيل في غير هذا الموضع.

[٥١] قال: فإن كان في مثل[9] هذه السنة، بعد طلوع نجم الكلب، مطر مع برد، وكان هبوب الريح الشمالية على العادة، فإن تلك الأمراض تكون هادئة ساكنة. وإنما كان ذلك كذلك لموضع برودة فصل الحر[10]، لأن الأمطار تبرد الهواء. والشَّمال (=ريح الشمال) أيضا تفعل ذلك، مع أنها يابسة. ومعلوم أنه إذا برد الهواء قل التعفن[11].

---

(١) ب : أكثر (٢) في م: "هذه" وفي غ و ت: "هذه التغايير" (٣) ب: يمكن (٤) غ، ت: "أسباب" عوض "السبب في" (٥) م: قلنا (٦) ت: الدم والرمد (٧) م: للتأثير؛ غ، ت، ج: التأثر (٨) غ، م، ت، ج: توجدان (٩) ب : سقط "مثل" (١٠) ب : يظهر فوق عبارة "فصل" رسم يشبه علامة، وثبت "الجو" عوض "الحر" (١١) غ، ت، ج: العفن.

[٥٢] وبالجملة فينبغي أن تعلم أن هذه الأمراض التي ذكر أبقراط في هذه الفصول إنما أملك أسبابها تغير طبيعة الهواء. وذلك أن الفصول إنما جعلت مختلفة الطبائع[١] لمكان نضج الأخلاط وتعديلها. مثال ذلك أن رطوبة فصل الشتاء وبرده إنما هي مصلحة ليبس الخريف والصيف وحرهما. فإذا كانت الشتوة يابسة بقيت تلك الأخلاط بحسبها وليس تصلحها رطوبة الربيع. فإنها رطوبة في غير وقتها. وذلك أنها تلقاها حرارة الصيف بغير متوسط، فتحدث[٢] هذه الأمراض. وأما الرطوبة التي تكون في الشتوة [٣] فإنها تلقاها حرارة الصيف[٤] بمتوسط، وهي حرارة الربيع. ولذلك ليس يرد الصيف إلا وتلك الرطوبة قد تنشفت واستعدت الأجسام ألا تتأثر عن الحر. وبالجملة[٥] فحال الفصول الأربعة من الأخلاط الأربعة كحالها من الأسطقسات الأربعة، أعني كما أن الفصول الأربعة[٦] هي التي تمنع أن يغلب بعض الأسطقسات على بعض، كذلك حالها مع الأخلاط. فلولا الفصل المناسب لخلط خلط لفسد ذلك الخلط عن ضده[٧].

[٥٣] قال أبقراط: متى كان الشتاء جنوبيا دفئا مطرا، وكان الربيع شماليا عديما للمطر، فإنه يعرض اختلاف دم ورمد يابس. والكهول تعرض لهم النزلات والسكات[م] والفالج[م]. قال والحوامل يعرض لهن الإسقاط كثيرا[٨]. أما كون النزلات والسكات[٩] والفالج يحدث في مثل هذا الربيع فأمر بين: وذلك أن الأدمغة تترطب في مثل هذه الشتوة أكثر مما يجب، فإذا كان الربيع باردا مع ما فيه من تحريك الأخلاط وتثويرها، وبالجملة مع ما فيه من مضادته لمزاجه الطبيعي، بردت تلك الأخلاط وسالت فحدث عن ذلك أمثلة هذه الأمراض. وليس لقائل أن يقول: إن فصل الشتاء إذا كان بهذه الصفة أولى بهذه الأمراض، لأن الأخلاط في هذا الفصل جامدة غير متحركة، وإنما تتحرك في زمان الربيع لموضع[١٠] الحرارة التي في هذا الفصل. فإذا كان أبرد مما ينبغي أحدث مثل هذه الأمراض.

[٥٤] وأما اختلاف الدم فإنه[١١] يعني به السحج (=التقشر) الذي يعرض عن النزلات المتولدة عن هذا الاختلاف. والنساء أيضا إنما يسقطن في مثل هذا الاختلاف، لأن أرحامهن يرطبن أكثر مما ينبغي فتضعف لذلك القوة الماسكة التي فيها، مع أنه قد يمكن أيضا أن يكون هذا الاختلاف ضارا بالأجنة أنفسها، وذلك أنه إذا رطبت أبدانهن أكثر مما ينبغي ثم دخل عليها برد الربيع حدث للأجنة شبيه بما يعرض للناس من خارج. بل الأجنة أحرى بذلك لموضع ضعفهن ورطوبة أمزجتهن فيموتون.

---

(١) ت، ج: الطباع (٢) م: أضيف "مثل" (٣) ت: "الشتوية" عوض "التي تكون في الشتوة" (٤) غ: سقط "بغير متوسط...حرارة الصيف" (٥) م: سقط "وبالجملة" (٦) م: سقط "كحالها...الفصول الأربعة" (٧) غ، ت: سقط "وبالجملة فحال...الخلط عن ضده" (٨) ج: الاستسقاط...؛ م: استسقاط كثير (٩) ج: "والسكتات...والسكتات" (١٠) ب: لمكان (١١) غ، م، ت، ج: فإنما.

[٥٥] قال أبقراط: إذا كان الصيف قليل المطر، وكان الخريف شديد الحر مطِرا جنوبيا، عرض في الشتاء صداع شديد وسعال وبحوحة وزكام، وعرض لبعض الناس السل. وإنما كان ذلك كذلك لأن الرؤوس تمتلئ في مثل هذا الخريف فضولا، فإذا جاء الشتاء وبردت تلك الفضول ولم يمكن[١] فيها أن تنضج، أحدثت هذه الأمراض وذلك أنها متى ثبتت[٢] في الرأس أحدثت صداعا ومتى انحدرت حدث عن ذلك سعال وبحوحة وزكام فإن تقرحت الرئة حدث عن ذلك سل.

[٥٦] قال أبقراط: إذا كان الخريف شماليا يابسا حدث لأصحاب الأمزجة المرارية رمد يابس وحميات حادة ووسواس سوداوي، وهذا أيضا بين من طبيعة هذا الفصل. وذلك أنه إذا اشتد في اليبس أحدث أمراضا سوداوية. وقد ينبغي أن تفهم هاهنا من الحميات حميات السوداء. وأما الرمد فإنما[٣] يعرض في مثل هذا الوقت إذا اندفعت مثل هذه الأخلاط إلى العينين، ولذلك قال: رمد يابس.

[٥٧] قال أبقراط: إن الأمراض التي تحدث عند كثرة الأمطار هي في أكثر الحالات: حميات طويلة، واستطلاق البطن، وصرع[م]، وسكات[م]، وسبات[م][٤]، وذبحة[م]. قال: وقلة المطر أصح[٥] للأبدان. والسبب في هذا كله أن الرطوبة إذا كثرت لم تستول عليها الحرارة الغريزية فحدثت هنالك هذه الأمراض، إلا أنه ليس ينبغي أن يفهم من قول أبقراط إن الهواء اليابس أصح للأبدان[٦]، أن هذا القول مطلق. بل إنما يعني بذلك ما لم يكن في اليبس مفرطا، فإنه متى أفرط أحدث أمراضا مناسبة له. ولذلك قال أبقراط أيضا في فصل آخر: إذا احتبس المطر حدثت حميات حادة.

[٥٨] وأبقراط يرى أن الهواء المعتدل هو الهواء[٧] الذي لا تغبُّه (= لا تفسده، لا تنتنه) الأمطار بل تتعهده تعهدا متوسطا ليس بالزائد ولا الناقص. وينبغي أن تعلم أن الهواء إذا[٨] خرج في إحدى كيفياته خروجا مفرطا أحدث أمراضا مناسبة له. فأما الهواء الوبائي فإنه[٩] يكون عن تعفن جوهر الهواء، وذلك يعرض إما من قبل كثرة الأمطار في الصيف، كما ذكر أبقراط أنه عرض في مدينة قرابون. قال: جاء مطر جود في زمان صائف، ودام ذلك الصيف كله، فأصابت الناس بثور رديئة وحكاك شديد، حتى أن بعضهم كان تسقط منهم أذرعتهم وأرجلهم، وقد يكون ذلك[١٠] لموضع أبخرة عفنة تخالط جوهر الهواء من الجيف والمستنقعات العفنة وغير ذلك. و[١١]تحدث أمراض وبائية من فساد الماء والأغذية، كما يعتري ذلك في المجاعات، إلا أن أمراض الهواء أوحى (أسرع)

---

(١) غ، ب: يكن (٢) ج: يظهر "تلبثت" (٣) ج: فإنه (٤) غ، م، ت، ج: سقط "وسبات" (٥) م: أصلح (٦) غ، م، ت، ج: سقط "للأبدان" (٧) م: سقط "الهواء" (٨) ب: متى (٩) غ، م، ت، ج: فإن ذلك (١٠) م، ج: أضيف "أيضا" (١١) ج: وقد.

موتا لموضع العفونة التي تتصل بالقلب من الهواء. ولذلك الأعراض التي تظهر في حميات هؤلاء أعراض خبيثة من سوء التنفس وغير ذلك، وليس يظهر في حمياتهم عظم، ولا يحسون منها كبير ألم لموضع استيلاء سوء المزاج على البدن؛ فإن الذي يفعل الألم هو[١] المزاج المختلف. وينبغي أن تعلم أنه ليس كل أحد يمرض عند تغير الأهوية، وإنما يلقى ذلك من في بدنه استعداد.

[٥٩] وأما[٢] إذا كانت الفصول على طبائعها فليس يكاد تكون سببا للأمراض، وإن كان يظهر أن هاهنا أمراضا هي أخص بفصل فصل، وهي الأمراض التي تتولد عن الخلط المناسب لفصل فصل، مثل الأمراض الدموية في زمان الربيع والبلغمية في زمان الشتاء والصفراوية في زمان الصيف والسوداوية في زمان الخريف، وإن كان يلحق الربيع بالعرض أن تتولد فيه أمراض سوداوية مثل الوسواس السوداوي والجنون والقوباء[م] والبهق[م] والصرع وأوجاع المفاصل. وإنما يكون ذلك لموضع تحرك الأخلاط في هذا الفصل في البدن وغليانها، فإنه يعرض لأخلاط الحيوان في هذا الفصل شبيه بما يعرض للرطوبات التي في النبات.

[٦٠] وهذا الذي قلناه من العلامات الهوائية المنذرة بالأمراض كاف بحسب غرضنا في الإيجاز. وهاهنا أمراض صغار تنذر بأمراض كبار ينبغي أن نذكر هاهنا منها طرفا، وحينئذ نصير إلى ذكر العلامات الدالة على طبائع الأمراض أنفسها وعلى أسبابها، وهي الأهم في هذه الصناعة.

[١٤- أمراض صغار تنذر بأمراض كبار]

[٦١] قالوا الصداع الدائم والشقيقة[م] تنذر بنزول[٣] الماء في العين والانتشار. واختلاج[م] الوجه إذا كثر ودام ينذر بلَقْوَة[م]، واختلاج جميع الجسد[٤] ينذر بتشنج رطب. الخدر[م] ينذر بالفالج. حمرة الوجه والعين وظهور العروق فيها والدموع السائلة منها والنفور عن الضوء مع شدة الصداع مع الحمى[٥] ينذر بالورم الحار في الدماغ. الكابوس والدوار إذا أزمنا وقويا أنذرا بالصرع. الغم الدائم الذي لا يعرف له سبب ينذر بالمالنخوليا[م][٦]. البق الذي يظهر للإنسان أمام عينيه كأنه يطير، أو الشعر الذي يظهر أمام العين، هي علامة منذرة بنزول الماء، إن لم يكن هذا العارض من قبل المعدة. تواتر النزلات يُخاف منه السل. العرق الكثير يدل على امتلاء. الخفقان الدائم الشديد ينذر بالموت فجأة. الامتلاء[م] المفرط يخاف منه نفث الدم والسكتة والموت فجأة. كدر الحواس

(١) م: أضيف "سوء" (٢) ب : شطب على "أما" (٣) غ، م، ج: يخشى منها (ج: منهما) نزول (٤) ت، ج: البدن (٥) غ، م، ت: سقط "مع الحمى" (٦) غ، م: بالمالخونيا؛ ت : بالمالنخوليا.

وضعف الحركات مع الامتلاء يخاف منه السكتة. الثقل في الناحية اليمنى عند[1] ضلوع الخلف والوخز والتمدد ينذران بعلة في الكبد. البراز الكثير الصبغ ينذر باليرقان[م]. تهيج الوجه والورم في الأجفان والأطراف ينذر بالاستسقاء[م]. نتن البراز يدل على تخم وثقل في العروق. نتن البول ينذر بعفونة وحمى تحدث الإعياء. والتكسر[م][2] من غير سبب باد مع سقوط الشهوة ينذر بالحمى. ذهاب الشهوة مع الغثي(=من الغثيان)[3] والنفخ ينذر بالقولنج[م]. الثقل والتمدد في أسفل البطن والخواصر مع تغير حال البدن عن العادة ينذر بعلة في الكلى. البول الذي يحرق إذا دام أورث قروحا في المثانة والقضيب. الخُلْفة (بقية الطعام) التي تحرق المقعدة تؤدي إلى السحج[م]. الحكاك في المقعدة ينذر ببواسير إلا أن تكون من داخل ديدان صغار كثرة[4]. الدماميل يخشى منها خراج عظيم. كثرة السَّلَع (الشقوق) يخشى منها دبيلة. البهق يخشى منه البرص. شدة حمرة الوجه وضيق النفس[5] وبحة الصوت ينذر بالجذام.

[٦٢] وبالجملة متى تغير حال من الأحوال المعتادة دل ذلك على مرض يحدث، مثل إفراط الشهوة أو نقصانها، أو إفراط فيما يبرز من البدن أو تقصير فيه، أو كثرة النوم أو قلته، إلى غير ذلك من الأعراض. وإذ قد قلنا في هذا الجنس من العلامات فلنقل في علامات الأمراض أنفسها[6].

[٦٣] والعلامات التي نذكر[7] هاهنا هي، ضرورة، إما علامات تدل على الأمراض أنفسها، وإما على أسباب الأمراض، وإما على العضو الذي فيه المرض، وإما على جميعها كالحال في العلل التي في الأعضاء الباطنة. وأما الأمراض التي في ظاهر الجسم فإنما يستدل على أسبابها: إذ كانت هذه الأمراض ظاهرة للحس. والعلامات بالجملة إنما هي الأعراض الظاهرة في الأفعال والانفعالات النفسانية، أو الأعراض اللازمة عنها. ولما كان هاهنا جنسان من العلامات مشتركان لأمراض كثيرة وجب أن نبتدئ أولا بذكرهما، ثم نصير بعد ذلك إلى العلامات الخاصة بمرض مرض. وهذان الجنسان هما النبض والبول.

[٦٤] أما النبض فدلالته تكون من جهة مشاركة القلب لجميع الأعضاء. وأما البول فهو دليل على مقدار الطبخ في الكبد وفي العروق. وبهذا صارت دلالته ليست مقصرة عن أمراض أعضاء القوة الغاذية. فلنبدأ أولا بالنبض إذ كان أشرف معرفة.

---

(١) ج: تحت (٢) غ، ت: التكسير (٣) ت، م، ج: الغشي (٤) ت: سقط "كثرة" (٥) ج: التنفس (٦) ت: أضيف -كعنوان- "القول في علامات الأمراض أنفسها" (٧) ج: نذكرها .

[١٥-] القول في النبض

[٦٥] والنبض لما كان مركبا من حركتين وهما حركتا(١) الانقباض والانبساط، وسكونين وهما السكون الذي يكون(٢) بين الحركتين، -إذ قد تبين أن كل حركتين متقابلتين(٣) فبينهما ضرورة سكون، وأيضا فإن المهرة المرتاضين بهذا العلم يزعمون أنهم يدركون هذين السكونين، وبخاصة السكون الذي(٤) بعد الانقباض، لأن السكون الذي يكون(٥) بعد الانبساط هو ظاهر لغير المرتاض فضلا عن المرتاض وإن كان ليس يحس متميزا دون حركة الانقباض لأن حركة الانقباض يعسر إدراكها إلا على المرتاضين وهي لا تدرك إلا في النبض(٦) القوي ومع هذا فليس يدرك آخرها الذي يلي السكون كما لا يدرك أول الانبساط- ولما كان أمر النبض هكذا(٧)، كانت الأعراض التي تلحقه بالذات إنما توجد في أحد هذه الأمور، أعني في الحركات أنفسها وفي الأزمنة التي تتخللها. ولهذا ما نرى أن أجناس النبض الأول سبعة:

[٦٦] فالجنس الأول المأخوذ من مقدار الانبساط. والثاني من مقدار زمان الحركة. والثالث من مقدار القوة المحركة. والرابع من زمان السكون. والخامس من مقايسة السكونين إلى الحركتين. والسادس من اختلاف النبض واستوائه وتشابهه. والسابع من الانتظام وعدم الانتظام.

[٦٧] وأما الثلاثة الأجناس التي جرت عادة الأطباء أن يذكروها مع هذه الأجناس السبعة: فأحدها هو الجنس المأخوذ مما يحتوي عليه جرم الشريان. والثاني من كيفية جرم الشريان. والثالث من قوام جرم الشريان. وهذه الثلاثة الأجناس(٨) كأنها ليست خاصة بالنبض من جهة ما هو نبض، إذ كان النبض إنما وجوده في الحركة والسكون.

[٦٨] ونحن نعدد الأنواع الداخلة تحت كل واحد من هذه الأجناس ثم نصير بعد ذلك إلى إعطاء أسباب جنس جنس منها، ونوع نوع؛ فإنه إذا عرفت أسبابها الفاعلة أمكن حينئذ أن تستعمل(٩) دلائل على الأمراض، إذ كانت هي الأسباب الفاعلة لها. ولذلك متى كان النوع منها أو الجنس عن سبب خاص كان(١٠) دليلا لازما على(١١) وجود ذلك النوع من المرض أو الجنس. وما كان منها عن أكثر من سبب واحد لم يدل على المرض الفاعل(١٢)، إلا بأن يضاف إليه استدلال آخر. ومثال ذلك أن النبض

---

(١) غ، ب، م، ت: وهي حركة (٢) ب، م، ت: وهو...؛ ج: ...السكونان اللذان يكونان (٣) غ، م، ت، ج: سقط "متقابلتين" (٤) غ، م، ج: سقط "الذي" (٥) ب: سقط "يكون" (٦) م: سقط "النبض" (٧) غ، ت، ج: سقط "وإن كان ليس...أمر النبض هكذا" (٨) م، ت، ج: سقط "الأجناس" (٩) ب: إذا عرفنا (م، ت: عرفت)...أن نستعمل (١٠) م: أضيف "ذلك" (١١) ب، ت: عن (١٢) ج: أضيف "له".

النملي[١](=السريع) دليل قاطع على حمى الدق[م]، إذ كان عرضا لازما عن وجود[٢] هذه الحمى. وأما النبض المختلف فلما كان يوجد في الحمى العفونية[م] وفي أوجاع فم المعدة لم يكن بذاته ومفردا دليلا قاطعا على حمى العفونة[م]، إلا[٣] أن يقترن به دليل آخر. والدليل الآخر ربما كان من نوع النبض، وربما لم يكن.

[٦٩] ولذلك ما اضطر الأطباء بعد إعطاء أسباب النبض أن يعطوا النبض الخاص بمرض مرض، فإن[٤] أكثر مثل هذا النبض إنما هو مركب، مثل النبض الدال على الأورام الحارة[٥] فإنه نبض صغير[٦] سريع متواتر مختلف اختلافا منشاريا[م][٧]. فمثل هذا المرض، النبضُ الخاص به إنما هو مركب. وقد يكون النبض دليلا قاطعا على مرض ما مع استعمال غيره من العلامات، مثال ذلك أن النبض المختلف إذا كان مع حرارة ظاهرة في الجسم وليس في فم المعدة لذع ولا وجع، فإنه دليل قاطع على حمى العفونة. وإذ قد تبين كيف وجه الاستدلال بالنبض بالقول الكلي فلنصر إلى تعديد أنواعه ثم نعطي بعد أسباب جميع ذلك فنقول:

[٧٠] أما الجنس المأخوذ من مقدار الانبساط فينقسم إلى النبض العظيم[٨] والصغير[٩] والمعتدل في ذلك[١٠]، وإلى النبض الطويل والقصير والمعتدل في ذلك، وإلى النبض العريض والرقيق والمعتدل في ذلك، وإلى الشاخص والغائر والمعتدل في ذلك[١١]. ومعنى العظيم هو انبساط الشريان انبساطا مفرطا في جميع أقطاره[١٢] الثلاثة التي هي العمق والعرض والطول، ومعنى[١٣] الصغير[١٤] هو ضد هذا. والاعتدال في هذا الجنس هو المتوسط[١٥] بين ذلك.

[٧١] وأما الطويل فهو الذي يكون انبساطه في الطول أكثر منه في العرض والعمق، وهو الذي يجاوز الأربع أصابع من يد الجاس. والقصير[١٦] هو ضد هذا، والمعتدل هو المتوسط بين هذين. وأما العريض فهو الذي يكون انبساطه في العرض أكثر منه في[١٧] سائر الجهات. والرقيق[١٨] ضد ذلك. والمعتدل في هذا الجنس هو المتوسط بين هذين. وأما الشاخص فهو الذي انبساطه زائد في العمق، والغائر بضده. والمعتدل المتوسط[١٩] بين هذين. وربما تركبت هذه الأصناف بعضها مع بعض، لكن تمييز أمثال هذه الأشياء بالحس عسير، وإنما هي أشياء تؤخذ بالقول[٢٠] أكثر ذلك.

(١) ت، ج: المسلى (٢) غ: وجوده (٣) م: إلى (٤) ت: وإن كان (٥) م: الحادثة (٦) ج: سقط "صغير" (٧) م: متساويا (٨) م، ت: الكبير (٩) ج: والصغر (١٠) غ، ت، ج: سقط "في ذلك" (١١) غ، م، ج: سقط "في ذلك" (١٢) م: الأقطار (١٣) م: سقط "ومعنى" (١٤) غ، م، ت، ج: الصغر (١٥) غ، م، ج: التوسط (١٦) ج: القصر (١٧) غ: الذي انبساطه في العرض أكثر في؛ ت: "من" عوض "منه في" (١٨) ت: والدقيق؛ م: أضيف "هو" (١٩) غ، م، ت، ج: الوسط (٢٠) ج: توخذ بالقول؛ م، ب: يوجدها.

[٧٢] فهذه هي الأنواع المأخوذة من مقدار الانبساط. وأما الجنس المأخوذ من زمان الحركة فينقسم إلى السريع والبطيء والمعتدل. وأما[١] المأخوذ من مقدار القوة فينقسم إلى القوي، وهو الذي يقرع الأنامل بشدة، وإلى الضعيف، وإلى المعتدل فيما بين ذلك.

[٧٣] وأما الجنس المأخوذ من زمان السكون فينقسم إلى المتواتر والمتفاوت والمعتدل[٢] بينهما. وجالينوس يقول: إن المتواتر هو الذي يكون زمانُ سكونه بعد الانقباض يسيرا. والمتفاوت بضد ذلك. والمعتدل هو[٣] المتوسط بين هذين. وهذا ليس يدركه إلا من يدرك السكون الذي بعد الانقباض. وذلك أمر يعسر، اللهم إلا أنه يشبه أن يكون غير ممتنع على المرتاضين جدا، الجيدي الحس، فإن الناس يتفاوتون في هذه الإدراكات لتفاوتهم في الارتياض والذكاء. وأما من لم يحس بهذا السكون فليس يفرق بين[٤] النبض السريع[٥] والمتواتر.

[٧٤] وأما الجنس المأخوذ من المقايسة بين الأزمنة الأربعة التي في النبض فينقسم إلى النبض المعتدل الوزن وغير المعتدل الوزن. والمعتدل الوزن هو الذي تكون فيه نسبة الحركتين بعضها إلى بعض نسبة طبيعية وعلى المجرى الطبيعي. وكذلك نسبة السكون إلى السكون ونسبة الحركة إلى السكون. وهذه المقايسة والمناسبة تختلف بحسب اختلاف الفصول والأسنان والأمزجة. وجالينوس يزعم أن هذه المناسبة[٦] الطبيعية إنما تلفى أبدا على أحد النسب المتفقة النغم[٧]، وهي نسبة الضعف ونسبة الجزء[٨]، ويزعم أن أصغر النسب المحسوسة في النبض هي نسبة الزائد ربعا. وهذا إن كان كما قال فأمر عجيب! وإنما يبعد إدراك مثل هذه النسب في النبض، مع أن كثيرا من الناس يدركونها[٩] في النغم، لأن[١٠] النغم لها فضل تمديد[١١] حتى يدرك منها[١٢] مثلا البعد الأرخى، وهو الزائد، جزءا من ستة وثلاثين. وأما في النبض فالأزمنة التي توجد[١٣] فيها هذه المقايسة قصيرة. وأيضا فإن السكون الذي يكون بعد الانقباض عسير الحس، لكون الشريان تحت اللحم. ولهذا ما تخيروا من الشرايين[١٤] للإحساس ما كان قريبا من سطح البدن[١٥]، وكان مع ذلك قريبا[١٦] من المبدأ. والتي بهذه الصفة هي الشرايين التي يجسها الأطباء.

[٧٥] وأما الجنس المأخوذ من تشابه النبض واختلافه، فهذا الجنس يلحق جميع الأجناس التي سلفت. وذلك أن التشابه في النبض هو أن تكون الأجناس التي تقدمت على حال واحدة: مثال ذلك إن كان النبض عظيما أن يتمادى على عظمه،

(١) ت: أضيف "الجنس" (٢) ج: أضيف "فيما" (٣) م، ت، ج: سقط "هو" (٤) ب: أضيف "هذا" (٥) م: الصغير (٦) غ، م، ت: المناسبات (٧) م: للنغم (٨) ب، ج : "الزائد جزءا إلى الزائد جزءا" عوض "الجزء" (٩) غ، م، ج: يدركها (١٠) غ، م، ت: ان (١١) ب: تعدد (١٢) غ، م، ج: فيها (١٣) غ، ج: تؤخذ (١٤) غ، م، ت، ج: الشريان (١٥) غ، م، ت: "أنشز" عوض "قريبا من سطح البدن" (١٦) ج: وهو مع ذلك قريب.

وكذلك إن كان سريعا أو متفاوتا أو بطيئا أو غير ذلك. والنبض المتشابه بإطلاق هو الذي يتشابه في جميع أجناس النبض. وأما النبض المختلف فهو أيضا ضربان: إما مختلف في جميع أجناس النبض، وإما في جنس واحد أو أكثر من واحد. والنبض المختلف[١] في أي جنس كان، منه ما يكون اختلافه في نبضات كثيرة، ومنه ما يكون اختلافه في نبضة واحدة. والمختلف ربما كان منتظما، وهو الذي يحفظ الاختلاف في أدوار محدودة[٢]. وربما كان غير منتظم، وهو الذي لا يحفظ الاختلاف[٣]. وإحصاء أنواع المختلف هو أليق بإحصاء الأنواع[٤] المركبة. وسنعدد منها فيما بعد أشهرها.

[٧٦] وأما الجنس المأخوذ من كيفية الشريان فأصنافه ثلاثة: الحار والبارد والمعتدل. وأما الجنس المأخوذ من قوام جرم[٥] الشريان فهي أيضا ثلاثة: اللين والصلب والمعتدل. وأما الجنس المأخوذ مما يحتوي عليه الشريان فأصنافه أيضا ثلاثة: الممتلئ والفارغ والمعتدل. فهذه هي أصناف النبض[٦] البسيطة.

[٧٧] ومنها[٧] أصناف من النبض مركبة لها أسماء مشهورة، وقد ينبغي أن نعددها: فمنها الغزالي وهو نبض مختلف في نبضة واحدة، وذلك في السرعة والبطء. وذلك أنه يعرض للعرق في هذا النبض أن يسرع ثم يقف وقفة، ثم يتم[٨] حركته بسرعة. وإنما سمي غزاليا لشبه هذه الحركة بطفرة الغزال. ومنه المسمى ذنب الفأرة: وهو نبض لا يزال في الاختلاف، آخذا إما من زيادة إلى نقصان، وإما من نقصان إلى زيادة. وهذا الانحطاط أو التزيد ربما كان منتظما، وربما لم يكن. وأحد الاختلاف الذي يسمى[٩] بهذا الاسم هو الاختلاف الذي يكون في العظم والصغر، وقد يكون في غير ذلك من الأجناس. ومنه الموجي: وهو المختلف في عظم أجزاء العروق وفي[١٠] صغرها أو في شهوقها وغورها، أو في دقتها[١١] وعرضها[١٢]، وفي التأخير[١٣] والتقدم، مع لين موجود فيه، وهو إلى الصغر أقرب ما هو، لكنه ليس بالصغير جدا. وبالجملة إنما سمي موجيا لشبه حركته بحركة الموج.

[٧٨] ومنه الدودي، وهو شبيه به إلا أنه أصغر منه وأشد تواترا. ومنه النملي وهو أصغر من هذين وأشد تواترا. ومنه المنشاري(م)[١٤] وهو شبيه بالموجي في اختلاف الأجزاء، إلا أنه أصلب[١٥]. ومنه ذو القرعتين وهذا ربما أطلق على الاختلاف الذي يكون في نبضة واحدة أعني أنها تنقطع ثم تعود وربما أطلق على النبضتين اللتين بينهما

---

(١) ب، ت: سقط "المختلف" (٢) م: سقط "وهو الذي...محدودة" (٣) م: سقط "وهو الذي لا...الاختلاف"؛ ج: سقط "في أدوار...الاختلاف" (٤) م: أنواع (٥) غ، م، ت، ج: سقط "جرم" (٦) غ، م، ت، ج: "الأصناف (م: أصناف)" عوض "أصناف النبض" (٧) غ، م، ت: وهنا؛ ج: وهاهنا (٨) ب، ت، ج: تتم (٩) غ، ت، ج: "المسمى" عوض "الذي يسمى" (١٠) غ، ت، ج: سقط "في" (١١) غ، ج: رقتها (١٢) ب: هكذا "وَغِرَضيها" (١٣) م، ت، ج: التأخر (١٤) هكذا في غ: المنثاري؛ ب: النساري؛ م: الميشاري (١٥) غ، م: صلب.

من السكون ما لا يستحق أن يكون سكونا. ومنه المرتعد، وهو الذي يحس فيه[١] بحال[٢] تشبه الرعدة. ومنه الملتوي وهو الذي يحس فيه[٣] كأن العرق يفتل ويلوى. ومنه المنحني وهو الذي يكون في وسطه غليظا شاهقا وفي طرفيه غائرا. فهذه جميع الأنواع البسيطة والمشهورة من المركبة. وقد ينبغي أن نصير إلى إعطاء أسباب ذلك فنقول:

[١٦- أسباب تنوع النبض واختلافه]

[٧٩] أما أسباب عظم النبض فهي صحة القوة والآلة وشدة الحاجة إلى النبض، ولذلك كان هذا النبض دليل غلبة الدم على البدن، وبخاصة إذا اقترن إلى ذلك سرعة وتواتر، لأن هذه كلها شواهد على شدة الحاجة مع صحة القوة والآلة.

[٨٠] وأما الصغر[٤] فأسبابه ضد هذه الأسباب: وذلك إما ضعف فقط، وإما صلابة الآلة وقلة مواتاتها، وإما قلة الحاجة إلى النبض. ولذلك إن كان الفاعلُ لهذا النبض ضعفَ القوة دل ضرورة على سوء مزاج رديء، إما مادي فيغمر القوة ويضعفها، وإما على استفراغ مفرط قد حلل الروح الغريزي. وأما متى كان الفاعل لهذا النبض[٥] صلابة العروق[٦] فيدل ضرورة إما على سوء مزاج يابس مادي، كما يعتري ذلك في غلبة الصفراء والسوداء، أو على[٧] استيلاء مزاج يابس غير مادي على البدن مثل حمى الدق[م]، وإما على جمود من سبب بارد، وإما على تمدد في الشريان كما يعتري ذلك في الأورام. وأما ما سببه قلة الحاجة فيدل على انطفاء الحرارة وقلتها. وقد تجتمع الأسباب الثلاثة فيدل[٨] على جميع هذه. وأما الاعتدال[٩] فأسبابه ضرورة هي كون هذه الأشياء معتدلة.

[٨١] وأما النبض الطويل فسببه تقصير القوة عن بسط الشريان في العرض والعمق على نسبة بسطه في الطول، وذلك إنما يكون في الأكثر لقلة مواتاة الآلة مثل الصلابة أو كثافة اللحم. وأما القصير فأسبابه ضد أسباب الطويل: وذلك ضعف[١٠] القوة، وربما كان سبب ذلك الصلابة، وربما اجتمع الأمران. وأما العريض فسببه وفور القوة مع لين الآلة واسترخائها أو سدة[١١] فيها. والدقيق أسبابه صلابة العروق[١٢] وضعف القوة. والشاهق[١٣] أسبابه قريبة من أسباب الطويل إلا أن القوة فيه أعظم أو الآلة أكثر مواتاة. والغائر أسبابه ضد هذه الأسباب. وأما السريع ففاعله شدة الحاجة

---

(١) م: "منه" وكتب فوقها "فيه" (٢) م: حال (٣) م: "فيه" وكتب فوقها "منه" (٤) غ، م، ت: الصغير (٥) غ، م، ت، ج: "له" عوض "لهذا النبض" (٦) غ، ت: العرق (٧) غ، ب، م، ت: عن (٨) ب: فتدل (٩) ت: المعتدل (١٠) ت: لضعف (١١) ج: شدة (١٢) غ، ت، ج: العرق (١٣) ب: وأما الشاهق فـ..؛ م: والشاخص.

إلى النبض، إلا أنه ليس يلزم أن يكون معه النبض عظيما[1] وذلك أن كثيرا ما تستعمل الطبيعة السرعة في النبض إذا فاتها العظم عوضا منه، وذلك إما لضعف القوة نفسها أو لقلة[2] مواتاة الآلة. وأما البطيء فأسبابه[3] ضد هذه الأسباب أعني إما قلة الحاجة إلى التنفس وإما ضعف القوة وإما كليهما[4] ولذلك كان هذا الجنس من النبض يدل على سوء مزاج بارد، إما مادي وإما غير مادي، وإما على ضعف القوة لاستفراغ يكون هنالك أو لنكء[5] أخلاط رديئة تحلل الروح الغريزي بكيفيتها.

[٨٢] وأما الجنس المأخوذ من القوة فأسبابه أيضا بينة، وكذلك الجنس المأخوذ من التواتر أسبابه أيضا هي أسباب السرعة. والطبيعة قد تستعمله حيث يفوتها العظم أو السرعة. وأما التفاوت[6] فسببه ضرورة هو عدم الحاجة إلى التنفس وغلبة البرد.

[٨٣] وأما الجنس المأخوذ من مقايسة الأربعة الأزمنة التي يفعلها النبض فسببه[7] الخروج في ذلك[8] عن المجرى الطبيعي. أما إذا كانت حركة الانبساط أعظم نسبة إلى حركة الانقباض من النسبة الطبيعية، فسبب ذلك هو شدة الحاجة إلى التنفس مع قلة الحاجة إلى إخراج البخار الدخاني. وإذا كانت حركة الانقباض أعظم نسبة فذلك لشدة الحاجة إلى إخراج البخار الدخاني. وأما إذا كان السكون[9] أصغر نسبة إلى الحركة من النسبة الطبيعية فالسبب فيه هو شدة الحاجة إلى التنفس مع قلة الحاجة إلى إخراج البخار الدخاني. وأما إذا كان السكون أعظم نسبة فالسبب فيه[10] ضعف القوة مع شدة الحاجة إلى التنفس. والأمر أيضا في اختلاف نسبة السكونين بعضهما إلى بعض هو الأمر في اختلاف[11] نسبة الحركتين، أعني حركة الانقباض وحركة[12] الانبساط.

[٨٤] وأما الجنس المأخوذ من تشابه النبض واختلافه فالأمر في ذلك بين: إن التشابه إنما تفعله جودة القوة كما أن الاختلاف إنما سببه اختلال القوة وضعفها. والسبب في مثل هذا الاختلاف يكون من[13] أحد أمرين ضرورة: إما ما يثقل القوة وينهضها[14] مثل غلبة الأخلاط، وإما ما ينكأ الحار الغريزي الذي في القلب حتى يبدده، مثل الوجع الذي في فم المعدة. وربما كان ذلك لضعف القوة نفسها عن حركة الآلة كما يعتري ذلك في أواخر الأمراض الناكثة، فإن الضعف إنما يكون أبدا بالإضافة[15]. فكما أنه قد يكون عن كثرة الخلط[16] كذلك لا يمتنع أن يكون في بعض

(١) م: صحح في الهامش "عريضا" (٢) ب، ت: قلة (٣) غ، م، ت، ج: والبطيء أسبابه (٤) ب، ج: لضعف...لكليهما (ج: كليهما) (٥) م: لتولد (٦) ج: المتفاوت (٧) غ، م: فبسبب؛ ت، ج: فسبب (٨) غ: سقط "في ذلك" (٩) غ، ت: سقط "السكون" (١٠) غ، م، ت، ج: سقط "هو شدة...فالسبب فيه" (١١) ج: اختلال (١٢) غ، م، ت، ج: سقط "حركة" (١٣) غ، ت، ج: سقط "من" (١٤) غ: يهيضها؛ ج: يظهر "ينهضها" (١٥) غ، م، ت، ج: بإضافة (١٦) ب: الأخلاط.

الأحيان عن تحريك الآلة نفسها. وما كان من هذا الاختلاف في نبضات كثيرة فهو أقل رداءة كما أن المنتظم منه[1] أيضا أقل رداءة من غير المنتظم. وذلك أن المنتظم يحفظ دوره في[2] الاختلاف، والحفظ إنما هو استيلاء القوة بوجه ما.

[٨٥] وأما الضروب المركبة من ضروب الاختلاف فنحن نعدد أسبابها في هذا الموضع: أما النبض الغزالي(=نسبة إلى الغزال) فسببه صلابة الآلة. وأما ذنب الفأرة(؟) فسببه هو سبب الاختلاف، لكن إذا كان من تزيد إلى انحطاط دل على قوة منحطة، فإن عاد إلى ما كان عليه أولا دل على وثوب[3] القوة[4]، وإن كان آخذا من انحطاط إلى تزيد دل على خلاف هذا. وأما الموجي فأسبابه هي ضعف القوة ولين الآلة وتواتر ما هنالك، وكأن القوة في هذا النبض إنما تشمل جزءا جزءا من العضو[5] حتى تشبه تلك الحركة حركة الموج التي هي مؤلفة من حركات كثيرة. والنبض الدودي أسبابه شبيهة بهذه إلا أنه أضعف قوة. وكذلك النملي إلا أنه أيضا أضعف قوة، ولذلك ما قيل لا[6] يحدث النملي إلا أن يتقدمه الدودي. وأسباب ضعف القوة معلومة: إما استفراغ مفرط كما يعتري عند الغشي، وإما فساد الحار الغريزي في أكثر أجزائه لمضادة الأسباب الفاعلة للمرض[7] ونكئها. وأما النبض المنشاري فإن سببه أيضا الضعف والصغر، وأن تتقدم فيه أجزاء وتتأخر أجزاء، كالحال في الموجي إلا أن اليبس في هذا ظاهر. ولما كان اليبس يعرض من التمدد كان النبض المنشاري دليل الأورام الحارة، وخاصة إذا كانت في الأعضاء العصبية. فإن الصلابة تكون هنالك أكثر[8] لموضع العصب. وأما ذو القرعتين(؟) وهو المعروف بالمطرقي، شبيه بضرب المطرقة على السندان الذي يعود فيضرب ثانية من تلقائه، فالسبب فيه صلابة العرق[9]، فكأنه ينبو في القرعة الأولى فيقرع الثانية. وأما الارتعاشي فسببه ضعف القوة، وأما الملتوي فهو يدل على تشنج ما. وأما المنحني فسببه أيضا ضعف القوة التي لا تشمل أجزاء العرق[10] باستواء.

[٨٦] فهذه هي أسباب هذه الأنواع من النبض بحسب الإيجاز والاختصار. وأما النبض الخاص بالأورام، وبالجملة بالأمراض أنفسها، فهي كما قلنا أصناف من النبض مركبة، وسنذكرها عند ذكرنا علامات مرض مرض.

[٨٧] وأما الأجناس الثلاثة من أجناس النبض[11] وهي المأخوذة من كيفية الشريان ومن قوامه ومما يحتوي عليه فأسبابها[12] بينة مما تقدم[13] من أسباب سوء المزاج، ولأن هذه الأنواع[14] من النبض إنما تتصور في[15] إنسان بالمقايسة إلى

---

(١) ب: فيه (٢) م: كتب "من" فوق "في" (٣) ب: ثبت في المتن "تووب" وصحح في الهامش بما يظهر "وقوف"؛ م: ثبوت (٤) ج: أضيف "الغاذية" (٥) غ: العرق؛ م: "العضو" وكتب فوقها "العرق" (٦) ت: ألا (٧) غ، ت، ج: أضيف "له" (٨) ب: سقط "أكثر" (٩) م: العروق (١٠) غ، م، ج: العروق (١١) ج: سقط "النبض" (١٢) ب: فأسبابه (١٣) غ، ت: تقدمت (١٤) ج: أنواع (١٥) ج: أضيف "نفس".

النبض الصحي. وذلك إما في البدن المعتدل المزاج[١] وإما في[٢] مزاج من الأمزجة الثمانية على ما يقوله جالينوس، وإما في الأربعة على ما يظهر من أصول[٣] العلم الطبيعي. ولما[٤] كان النبض الصحي تختلف ضروبه[٥] في هذه الأبدان وجب ضرورة أن يعرف الاختلاف الذي بينها[٦]. فإنه متى لم نعرف ذلك لم نقدر أن نفهم النبض المرضي، إذ كان إنما يفهم بالإضافة إلى الصحي، ولذلك ما يحتاج صاحب هذا العلم أن يعتني بجس ذلك في الأصحاء على اختلاف أمزجتهم. ولهذا ما يجب عليه[٧] أيضا أن يعرف الأشياء التي إذا اقترنت بالإنسان[٨] من خارج جعلت نبضه مختلفا، فإن جميع هذه أيضا متى لم يعلمها الطبيب أمكن أن يغلط فيظن بالنبض الصحي أنه مرضي.

[-١٧] في نبض الأمزجة

[٨٨] المزاج الحار يكون نبضه ضرورة أعظم وأسرع من المعتدل، وربما كان أكثر تواترا. والبارد يكون[٩] بضد ذلك: أعني أن[١٠] النبض منه[١١] يكون أصغر من المعتدل وأبطأ، وربما كان أشد تفاوتا. وأما المزاج اليابس فإن النبض منه[١٢] يكون صلبا مع صغر. وذلك[١٣] أن الصلابة في الأصل[١٤] لا تواتي[١٥] الانبساط. وأما الرطب فإن النبض منه يكون لينا إلى العظم، إذ الرطوبة مواتية. وللسمن أيضا تأثير بضرب ما[١٦] في ظهور النبض، وذلك أن الأبدان القضيفة[٢] يظهر فيها النبض أعظم منه في الأبدان العبلة (الغليظة). لأن الشرايين في الأبدان العبلة مستورة، وأيضا فكأنها مثقلة بكثرة[١٧] اللحم. ولذلك يكون النبض فيها أشد تواترا لما يفوته من العظم.

[٨٩] والأسنان أيضا مما يختلف فيها النبض لاختلاف أمزجتها: فنبض الصبيان لموضع حرارتهم يكون سريعا متواترا، وذلك لحرارتهم مع ضعف قوتهم. وأما نبض الشباب فيكون عظيما لموضع حرارتهم وقوتهم، ولذلك ليس[١٨] فيه من التواتر ما في نبض الصبيان. وأما المشايخ فنبضهم صغير ضعيف بطيء متفاوت، وطبيعة الذكورة والأنوثة أيضا مما يخالف بين النبض. وذلك أن نبض الذكور أقوى وأعظم من نبض النساء[١٩]. ونبض النساء أصغر من نبض الرجال وأضعف. ولذلك هو أسرع لتكون[٢٠] السرعة تقوم مقام ما فات من العظم. فهذه هي الأمزجة التي توجب تغير النبض. وللنوم أيضا واليقظة تأثير في النبض.

---

(١) ت: سقط "المزاج" (٢) م: من (٣) م: "في" عوض "من أصول"؛ (٤) غ، ت: "و" عوض "على ما يقوله...الطبيعي ولما" (٥) غ، م، ت، ج: يختلف ضرورة (٦) م، ت، ج: بينهما (٧) ب: على هذا (٨) غ، م، ت، ج: إلى... (٩) غ، م، ت، ج: سقط "يكون" (١٠) غ، م، ت: سقط "أن" (١١) م، ت: أضيف "ما" (١٢) م: أضيف "ما" (١٣) ب: أضيف "أيضا" (١٤) غ، م، ت، ج: سقط "في الأصل" (١٥) غ، م، ت، ج: أضيف "إلى" (١٦) ج: سقط "ما" (١٧) ب: مستورة لكثرة (١٨) غ، ت، ج: سقط "ليس" (١٩) ب: الإناث (٢٠) غ: لكون.

[١٨- تأثير الأشياء الخارجية في النبض]

[٩٠] وأما الأمور التي من خارج المغيرة للنبض فمنها فصول السنة الأربعة، ومنها الأغذية والأشربة، والاستحمام والعوارض النفسانية مما يغير النبض. وأنت فتقدر من تلقاء نفسك، مما سلف لك من معرفة النبض ومما يكسبه كل واحد من هذه الأمور للبدن[١] من أصناف الحرارة أو البرودة أو الرطوبة أو اليبوسة، أن تعرف مقادير اختلاف النبض عند ذلك.

[٩١] مثال ذلك أن الغذاء أول ما يرد البدن يكون النبض صغيرا ضعيفا متفاوتا، فإذا انهضم صار الأمر بالضد. وذلك أن الغذاء ما دام لم ينهضم تكون[٢] الحرارة مغمورة[٣] به، مثل الحطب أول ما يوضع على النار، فإذا استحال اشتعلت الحرارة الغريزية. وكذلك الحال في النوم واليقظة، إذ كان النوم إنما يعرض عند خمود الحرارة الغريزية بالطعام. واليقظة تعرض عند تمام الهضم وذلك في الأكثر.

[٩٢] وأما[٤] الفصول فلن يخفى عليك أمرها: فإن الربيع لما كان مزاجه الحرارة والرطوبة كان نبضه يشبه[٥] نبض أصحاب هذه الأمزاج. وكذلك الأمر في الصيف والخريف والشتاء. وأما من يزعم أن النبض في الخريف يكون من العظم والاعتدال والتواتر مثله في الربيع فمخطئ قطعا. وذلك أن القوى في زمان الخريف أكثر شيء انحطاطا، وكأنها في هذا الزمان تشبه قوى[٦] الشيوخ. فإن هذا الزمان في الأزمنة يشبه زمان الشيخوخة، ولذلك ما تكون فيه شيخوخة كثير من الأشجار والثمار. وأيضا، فإنه الفصل الذي تكف فيه القوة المولدة في أكثر النبات وفي أكثر الحيوان. وكف[٧] هذه القوة هو هرم أو شبيه بالهرم ضرورة. وللبلدان أيضا تأثير في نبض سكانها لكونها أيضا مؤثرة في أمزجتهم. فهذا القدر من القول في[٨] النبض كاف بحسب قصد الإيجاز فلننقل في البول[٩].

[١٩- البول والأعراض التي تظهر فيه]

[٩٣] و[١٠]الأعراض التي تظهر في البول، كما قلنا، تدل على الهضم الذي في الكبد والعروق والأعضاء أنفسها، وهي أيضا مع هذا تدل على أمراض الكلى والمثانة. وينبغي أن نعدد الأعراض[١١] المحسوسة فيه أولا تعديدا، ثم نصير إلى تعريف ماذا يدل

---

(١) ب، ت: يكسب (ت: يكسبه)...البدن (٢) ب، غ، ت، ج: سقط "تكون" (٣) ب: مغمومة (٤) ب: أضيف "في" (٥) غ، م، ت، ج: سقط "يشبه" (٦) م: سقط "قوى" (٧) غ: هكذا "كيف" (٨) ب: سقط "القول في" (٩) ت: أضيف -كعنوان- "القول في البول" (١٠) غ، ت، ج: سقط "و" (١١) م: الأمراض.

عليه[١] صنف صنف منها. والأشياء التي يستدل منها في البول أكثر ذلك ثلاثة أصناف: أحدها اللون والثاني القوام والثالث الثفل.

[٩٤] فاللون بالجملة ينقسم خمسة أقسام: اللون الأصفر وهذا مراتب، كالتبني والأترجي[؟] ثم الأشقر ثم الأصفر النارنجي[؟] ثم الناري الذي يشبه صبغ الزعفران ثم الزعفراني الذي يشبه شعره[٢] وهو الأحمر الناصع. والجنس الثاني من الألوان[٣]: الأحمر وهذا أيضا مراتب كالأصهب والوردي والأحمر والقاني والأحمر الأقتم. والجنس الثالث اللون الأخضر، وهذا أيضا مراتب كاللون الذي يضرب إلى الفستقية ثم الزنجارية[؟] والاسمانجوني[؟] والنيلجي[؟][٤] والكراثي[؟]. والجنس الرابع من أجناس اللون الأسود وهذا أيضا مراتب، فمنه أسود آخذ إلى القتمة ومنه[٥] آخذ إلى الزعفرانية ومنه أسود آخذ إلى[٦] الخضرة والنيلجية[٧]. والجنس الخامس من أجناس اللون[٨]: الأبيض وهذا ربما أطلق بالاستعارة على البول[٩] الصافي الذي في لون الماء وشفيفه. وأما الأبيض بالحقيقة فهو الذي[١٠] في لون اللبن وهذا منه ما يشبه المني ومنه ما يشبه اللبن. فهذه هي الألوان البسيطة التي تظهر. وهنا أيضا ألوان مركبة مثل اللون الزيتي واللون الشبيه بغُسالة[؟] اللحم.

[٢٠-] في القوام: [قوام البول]

[٩٥] وأما القوام فمنه الرقيق ومنه الغليظ ومنه المعتدل[١١]. والبول تعرض له أربعة أحوال: إما أن يبال رقيقا ثم يغلظ، وإما أن يبال[١٢] غليظا ثم يصفو ويرق[١٣]، وإما أن يبال رقيقا ويبقى رقيقا، وإما أن يبال غليظا ويبقى غليظا. والقوام أيضا منه الكدرومنه الصافي والصفاء أكثر[١٤] ذلك إنما يكون مع الرقة.

[٢١-] في الثفل : [ثفل البول]

[٩٦] والثفل الذي في البول يستدل منه أكثر ذلك من طبيعته ومن لونه ومن مكانه ومن وضعه. أما جوهر هذا الثفل فهو يظهر على أصناف: فمنه ما هو أبيض غليظ نضيج، وهذا يعرض له أن يكون في أسفل القارورة، وأن يكون مستوي الأجزاء، ويكون شكله في الأكثر شبيها بشكل الصنوبرة، هذا[١٥] هو الطبيعي. ومنه نخالي وكرسني[؟] وحشيشي، ومنه مدي قيحي، ومنه مخاطي، ومنه دموي علقي، ومنه شعري، ومنه

(١) غ، ت: سقط "عليه"؛ م : على (٢) ج: "شعر الزعفران" عوض "شعره" (٣) ب: اللون (٤) ج: النيلنجي؛ ت: سقط (٥) ج: أضيف "أسود" (٦) م: سقط "القتمة...آخذ إلى" (٧) ج: النيلنجية (٨) م، ت: البول (٩) م: كتب "اللون" فوق "البول" (١٠) غ: سقط "الذي" (١١) غ، م، ت: سقط "ومنه المعتدل" (١٢) ج: سقط "رقيقا...يبال" (١٣) م: سقط "ويرق" (١٤) ب: أكثره (١٥) ج: وهذا.

رملي، ومنه شبيه بقطع الخمير، ومنه قشوري شبيه بالصفائح، وهذه كلها غير طبيعية. وأما الألوان فمنه الأبيض وهو الطبيعي، ومنه الأحمر ومنه[١] الأسود ومنه الكمد.

[٩٧] وأما الموضع فمنه ما هو في أعلى القارورة، ومنه ما هو في وسطها، ومنه ما هو في أسفلها. وأما الوضع فمنه المستوي الأملس، ومنه الخشن أو المتفرق الأجزاء.

[٩٨] وإذ قلنا في الأعراض المشاهدة في البول[٢] فلنقل في دلالاتها[٣] ونبتدئ أولا باللون[٤] فنقول: أما الألوان الصفر فإنها بالجملة على اختلاف مراتبها تدل على مخالطة المرة الصفراء للبول، فالأترجي[م] منه[٥] هو اللون الطبيعي وما عدا ذلك من مراتب الألوان[٦] الصفر[٧] فدالة على حرارة زائدة، وذلك بحسب قربها من لون النار وانصباغها. وأما الألوان الحمر فإنها تدل بالجملة[٨] على غلبة الدم وضعف القوة، وبخاصة ما كان منها أميل إلى القتومة، كما أن ما كان[٩] أميل إلى النارية فهو أدل على المرة. وزعموا أنه قد يبال[١٠] في الأمراض الحادة دم صرف من غير انبثاق عرق، وذلك يدل إما على بحران وإما على غلبة الدم. وأما البول[١١] الأسود فإنه يدل على الاحتراق[١٢]، ويدل على غلبة البرد. وذلك أن من شأن الحرارة والبرودة أن تفعل هذين الفعلين. والذي فاعله الحر يتقدمه ضرورة أحد الألوان الدالة على الحرارة، والذي فاعله البرد تتقدمه[١٣] خضرة أو كمدة، وبالجملة لون يدل على البرد. وقد يكون البول أسود لمخالطة المرة السوداء على جهة الدفع من الطبيعة، وهذا البول أكثر ما يظهر[١٤] في المطحولين(=مرضى الطحال).

[٩٩] وأما الخضرة فإنها تدل على برد، إلا[١٥] الزنجاري والكراثي فإنهما يدلان على احتراق شديد. وغير ممتنع أن تكون الخضرة الفستقية والاسمانجونية عن[١٦] الحر، فإنا قد نرى أبوال أصحاب اليرقان[م] تخالط صفرة أبوالهم خضرة ما، وبالجملة لما كانت الخضرة أول مراتب السواد كانت الأسباب الفاعلة للسواد[١٧] هي بعينها أسباب الخضرة، إلا أنها في الخضرة أقل. وأما اللون الأبيض الصافي الذي في لون الماء فإنه يدل على عدم النضج وضعف القوة الغاذية أو السدد أو كليهما. وأما اللبني و[١٨]الذي يشبه المني فهو[١٩] يدل على أخلاط بلغمية غير نضيجة، ولذلك كثيرا ما يكون دليل سكات[م] وغير ذلك من الأعراض التي تتبع هذه. والصبيان كثيرا ما يبولون مثل هذا البول إذا أصابهم الصرع[٢٠]. وربما كان بمثل هذا[٢١] البول بحران من الأمراض التي

---

(١) ب: سقط "منه" (٢) ت: سقط "في البول" (٣) غ، م، ت: دلالتها (٤) ج: بالألوان (٥) م: ومنه؛ ت: أضيف "هذا" (٦) م، ج: سقط "الألوان" (٧) م: الصفرة؛ ت، ج: الصفراء (٨) م، ت: سقط "بالجملة" (٩) م: أضيف "منها" (١٠) م: يقال (١١) ت: اللون (١٢) ج: الانحراق (١٣) ج: أضيف "ضرورة" (١٤) ت: يكون (١٥) ت: أما (١٦) م، ج: "تدل على" (١٧) م: للسوداء (١٨) غ، ب، م، ت: سقط "و" (١٩) م: أضيف "الذي"؛ ت: فإنه (٢٠) ب: وكثير ما يبول مثل هذا البول الصبيان الذين يصيبهم الصرع (٢١) غ، م، ت، ج: بهذا.

تجانس هذا الخلط. وربما حدث اللون الأبيض في الأمراض الحادة؛ وذلك دليل مهلك لأنه يدل على تصاعد المرار إلى الرأس وإحداثه هنالك ورما. وقد يكون بول أحمر وعلته[1] باردة، وذلك إما لإفراط الوجع كما يعرض في القولنج، وإما لانسداد المجرى الذي يتصل من المرارة بالمعى فيضطر هذا الخلط أن يخرج في البول.

[١٠٠] وأما الألوان المركبة فالشبيهة بغُسالة اللحم يدل على ضعف قوة الكبد أو الكلى. وأما البول الزيتي فإنه إذا كان زيتيا في لونه فقط فهو علامة سل، وذلك أنه يدل على ذوبان السمين من الأعضاء، إلا أن يتقدمه سواد فإنه علامة صلاح. وقد يظهر أيضا هذا البول في الحميات الحادة[2] ويكون فيما زعموا علامة بحران من مواد دسمة وذلك في الأقل.

[٢٢-] في القوام: [قوام البول ودلالته]

[١٠١] أما البول الرقيق فإنه يدل على عدم النضج، فإن النضج يغلظ المواد ضرورة. وعدم النضج يكون إما لفجاجة الأخلاط وإما لضعف القوى أنفسها، وإما لكثرة ما يرد عليها من الغذاء والشراب. ومما يعين على الرقة السدد، ولذلك كانت أبوال أصحاب الحصى بهذه الصفة.

[١٠٢] وأما الغلظ فإن كان ظهوره بعد رقة، فإنه يدل على أن الطبيعة قد أخذت في الإنضاج. وأما[3] إن كان من أول الأمر غليظا وبقي على غلظه فإنه يدل على أخلاط هنالك متثورة بالحرارة الغريبة[4]، ولذلك كان علامة رديئة. وأما البول الذي يبال غليظا ثم يرق فإنه إن كان الغلظ من فعل الطبيعة فإنه يدل على أن الطبيعة قد ضعفت بعدما[5] أخذت في الفعل، وإن كان الغلظ إنما هو من تثور الأخلاط فإنها علامة خير، وذلك أنه يدل على أن الطبيعة قد أخذت في الإنضاج. وقد اعترض قوم هذا النحو من الاستدلال وقالوا إنما ينبغي أن يستدل بالأعراض التي تظهر في الماء عن فعل الطبيعة، وأما التي تظهر عن فعل الهواء من خارج فليس ينبغي أن يستدل بها. وهؤلاء جهلوا أن الهواء إنما يفعل في المياه أفعالا مختلفة بالاستعدادات التي فيها من قبل فعل[6] الطبيعة. والبول الذي يكون في أول المرض غليظا عن فعل الطبيعة ثم يرق، فإنه يدل على طول من المرض. قالوا وبول الصبيان غليظ بالطبع وبول الشباب رقيق.

(١) م، ت: وعلة (٢) غ، ت: الحارة (٣) ت: سقط "أما" (٤) م، ت،ب: الغريزية (٥) ج: بعد أن (٦) ت: الفعل.

[٢٣-] في الثفل: [ثفل البول ودلالته]

[١٠٣] أما الثفل[م] الراسب في قعر القارورة الأبيض المستوي الأجزاء الشبيه الشكل بالصنوبرة، فإنه الثفل الصحي بإطلاق. أما رسوبه فلأنه فضلة الهضم[١]، والفضلات ثقيلة. وأما بياضه فلأن[٢] الأعضاء إنما تغتذي بالدم بعد أن تبيضه وتشبهه بها، فيكون لون الفضلة شبيها بلون الغذاء. وهذا لازم[٣] ضرورة متى كانت القوة الغاذية تفعل فعلها الطبيعي. وأما كونه أملس[٤] مستوي الأجزاء، فلاعتدال نضجه وطبخه في جميع أجزائه. وأما كونه صنوبري الشكل فلتناسب أجزائه في الثقل[٥] والخفة واستيلاء فعل الحرارة فيه[٦]، وذلك أن الأجرام الثقيلة تنبسط أكثر وتتسع، والأجزاء الأخف[٧] تجتمع إلى أنفسها، طلبا للفوق حتى تنخرط مثل ما يعتري ذلك في لهب النار.

[١٠٤] وأما دلالته من موضعه[٨] فإن المتعلق منه في رأس القارورة وهو المعروف بالغمامة، فإنه[٩] يدل على أن الطبيعة قد شرعت في الإنضاج، هذا إذا كان أبيض. ولذلك قال أبقراط: إذا ظهرت في البول غمامة بيضاء في اليوم الرابع دلت على أن البحران[م] يكون في اليوم[١٠] السابع. وأما الذي يكون في الوسط فإنه يدل دلالة أكثرية على النضج. وأما الراسب فإنه يدل على تمام النضج. والثفل الذي يظهر بهذه الحال في أيام من[١١] المرض ثم ينقطع فإنه[١٢] يدل على ضعف الطباع أو تخليط المريض. وأما لون الثفل فأحمدها كما قلنا الأبيض، وينبغي أن تعلم أنه قد يرسب في البول ثفل أبيض من مادة بلغمية غير نضيجة، وهذا يتميز من الطبيعي بأنه[١٣] منثور[١٤] الأجزاء. وأما اللون الأصفر فإن دلالته على غلبة الصفراء، ولذلك هو علامة رديئة. وأما الأحمر فإنه يدل على كثرة المادة فقط، وعجز الطباع عن إحالتها[١٥] من جهة كثرتها. ولذلك كان المرض الذي يظهر فيه هذا الثفل ينذر بطول مع سلامة، ما لم تكن معه علامة رديئة. فإن كانت فإنه ينذر بهلاك بعد طول. والسبب في ذلك أن الذي تظهر فيه علامة رديئة تكون كثرة المادة ستغلب فيه القوى ضرورة وتقهرها بآخرة[١٦]. والذي تظهر فيه علامة حميدة[١٧] يدل على عكس هذا. لكن لما كان الفساد هاهنا، والمضادة، إنما هي من قبل الكمية، كان في الأكثر دليل سلامة.

[١٠٥] وأما اللون الأسود فإنه دليل احتراق في الحميات الحادة وإنذار بالموت، والفرق بينه وبين الخلط الأسود الذي تقذف به الطبيعة على طريق البحران، أن هذا

---

(١) غ: أضيف "الثالث" في الهامش (٢) م: فإن (٣) ج: اللازم (٤) ت، ج: سقط "أملس" (٥) م: الثقل (٦) ب: فيها (٧) م، ج: الخفيفة (٨) ج: وضعه (٩) م: سقط "فإنه" (١٠) غ، م، ت: سقط "اليوم" (١١) ت: سقط "من" (١٢) غ، م، ت، ج: سقط "فإنه" (١٣) م، ت: فإنه (١٤) ت: يظهر "منثور" (١٥) ت: احتمالها (١٦) هكذا في غ، ج: باخره؛ ت، ب: بأَخَرَة (الصواب: بآخرة أي في آخر الأمر. م. ع. ج) (١٧) ب: جيدة.

يكون مستقرا في قعر القارورة. والخلط[١] يكون مبثوثا في جميع أجزاء الماء، ولهذا ما تنعكس هاهنا دلالة الموضع[٢]. وذلك أن الثفل الأسود إذا كان متعلقا كان أقل رداءة لأنه يدل على ابتداء نضج رديء. وأما الراسب فإنه يدل على تمامه، وربما دل الثفل الكمد على برد الطباع وخمود الحرارة الغريزية.

[١٠٦] وأما وضعه، فكما قلنا، أحمدها المستوي الأجزاء. وأما المختلف فإنه يدل على تثور الأخلاط وعدم نضجها. وأما جواهر هذا الثفل الخارجة عن المجرى الطبيعي فإن الجريشي[م] والشبيه بالكرسنة[م] يدل على احتراق الأخلاط وذوبان الأعضاء وانحلالها[٣] إلى أجزاء مختلفة، وهو في الأمراض الحادة رديء جدا. ويستدل على الخلط المحترق والعضو الذائب بلونه، فإن كان أحمر كان الخلط دمويا أو جزءا من الكبد أو من[٤] الكلية. قالوا والأصفر أخص بالكلية. وأما الصفائحي[م] فإنه أردأ من هذا الصنف من قبل أنه يدل على انحلال الأعضاء الأصلية وتقطعها. وأما النخالي فقد يكون من جرب المثانة، وقد يكون من ذوبان الأعضاء. والفرق بينهما حكة في أصل القضيب، وبالجملة أعراض أمراض[٥] المثانة. والرملي يدل على حصاة منعقدة أو[٦] في الانعقاد. فإن كان أحمر دل على حصاة الكلية، وإن كان[٧] غير ذلك دل على المثانة. وأما المدي[م][٨] فيدل على قرحة منفجرة، وبخاصة في أعضاء البول. وأما الشعري فهو انعقاد رطوبة مستطيلة من حرارة غريبة[٩]. وهذا[١٠] يكون انعقاده في الكلية. وأما الخميري فيدل على ضعف المعدة. وأما الدموي العلقي فإنه يدل على جراحة في أعضاء البول وانبثاق عروق[١١] هنالك. وهذا المقدار من القول في دلالة[١٢] البول كاف.

[١٠٧] وينبغي بعد أن نقول في دلائل مرض مرض من الأعضاء الظاهرة والباطنة وأسبابها. والأمراض كما قلنا منها ما هي في ظاهر الجسم، وهذه بينة الوجود بنفسها. وذلك أن القول الذي ترتسم به أمثال هذه كاف في معرفتها عند من لم يحسها قط، فضلا عن من أحسها. والاستدلال في هذه إنما يكون على أسبابها فقط، وأما الأمراض التي في باطن الجسم فإنها تحتاج إلى ثلاثة أحوال من الاستدلال: أحدها الاستدلال[١٣] على العضو الآلم، والثاني الاستدلال على المرض نفسه، والثالث الاستدلال على سببه. ونحن نبتدئ بالاستدلال على الأمراض الباطنة فنقول:

[١٠٨] قد قيل إن الأمراض المزاجية صنفان: مادي وغير مادي. وهذه صنفان: إما في جميع البدن وإما في عضو منه. والمادي إذا كان في عضو من البدن فإما أن[١٤]

---

(١) م: أضيف "الذي تقذف به الطبيعة" (في الهامش) (٢) ت: الوضع (٣) غ، م، ج: انسلالها؛ ت: هكذا "استيلاها" (٤) م: "و" عوض "أو من" (٥) ب: أمراض أعضاء (٦) ج: أضيف "هي" (٧) م: أضيف "على" (٨) م، ت، ج: المادي (٩) ت: غريزية (١٠) ت، ج: وهو أن (١١) غ، م: عرق (١٢) ج: الدلالة على (١٣) ت: سقط "أحدها الاستدلال" (١٤) م: فإنما .

يكون في تجاويفه، وإما أن يكون متشربا في نفس العضو مثل الأورام والقروح. والذي في التجاويف الاستدلال عليه من جنس الاستدلال على الأمراض الباطنة. وأما الأورام فتكون داخل الجسم وخارجه. وأما الأمراض الآلية فإن منها ما يكون في ظاهر الجسم مثل الفك والخلع وغير ذلك، وأمرها بين بالحس، ومنها ما يكون داخل الجسم مثل السدد وخشونة الأعضاء وملاستها. ولنبدأ من سوء المزاج العام لجميع البدن، وهو المسمى حمى.

[٢٤-] في حمى يوم

[١٠٩] وحمى يوم(م) لابد أن يتقدمها أحد(١) الأسباب التي عددناها(٢) أنها فاعلة لها، وهي الأسباب التي من خارج. إلا أنه ليس ذلك من العلامات الخاصة، بل متى وجدت حمى يوم لزم أن توجد تلك ضرورة .وليس يلزم عن وجودها وجود حمى يوم. ولذلك ما ينبغي هاهنا أن نتحرى من العلامات، العلامات(٣) الخاصة، ونستعمل العامة على جهة الاستظهار. وأيضا فإنها نافعة في الإبطال.

[١١٠] والعلامة(٤) الخاصة بهذه الحمى علامتان: إحداهما أن يكون النبض ليس فيه اختلاف، وذلك أن الاختلاف إنما فاعله في الحميات(٥) العفونية(م) كثرة الأخلاط و(٦)رداءتها. والثانية(٧) أن يكون في البول الرسوب المعهود، لأن البول إنما يتغير في هذه الحمى في اللون فقط. وأما إذا خرج الرسوب عن معهوده فإنما ذلك لموضع الخلط العفن. ولذلك ما يلزم أن يبقى الرسوب في هذه الحمى على حاله. وقد يستدل على هذه الحمى بأن لا تكون فيها أعراض صعبة، وأن تكون حرارتها لينة غير لذاعة. وأكثر ما تمكث هذه الحمى نوبة واحدة، وقد تعود ثلاث مرات. قالوا: وإذا أدخلت صاحبها الحمام فلم يقشعر فتلك علامة قاطعة عليها.

[٢٥-] في الحميات(٨) العفونية

[١١١] وهذه الحميات بالجملة صنفان: صنف يكون في الهضم الذي يكون في العروق، وصنف يكون في الهضم الذي يكون في الأعضاء أنفسها. والفصل(*) الذي به

(*) الفصل: في الاصطلاح المنطقي وهو المقصود هنا: هو ما يفصل شيئا عن الأشياء التي يقع معها تحت جنس واحد. فالعقل فصل يفصل الإنسان عن جنسه الذي هو الحيوان في قولنا: الإنسان حيوان عاقل. وفي الحميات جنس ينقسم إلى نوعين يفصل كل منهما فصل خاص به كما يبين ابن رشد في النص.

---

(١) م: سقط "أحد" (٢) غ، م، ت، ج: عددنا (٣) م: سقط "العلامات" (٤) ج: العلامات (٥) ت: الحمى (٦) غ، م: أو (٧) غ، م، ت، ج: الثاني (٨) ت: الحمى.

ينفصل هذان الصنفان هو أن الحميات التي تكون في داخل العروق غير مفترة[م] ولا مرعدة[م]، وإن كانت نوبتها[م] تشتد أحيانا، وأما التي في الأعضاء فمفترة ونائبة[م][1] ومرعدة.

[١١٢] والسبب في كون هذه الحميات ذوات نوائب، في قول الأطباء وجالينوس فمن دونه[2]، هو أن الخلط المستعد للعفن ليس يعفن كله دفعة واحدة، إذ[3] كان غير متشابه الاستعداد للعفن؛ وإنما يعفن شيئا فشيئا. وذلك يجري[4] على نظام وترتيب: إذ كان هذا الفعل طبيعيا بوجه ما؛ أعني أن الطبيعة لها تدبير في هذا الفعل. وذلك أنه عفن مع نضج ما. ولذلك عدم النظام في النوائب دليل رديء. ولهذا المعنى ليس ينبغي أن ينسب هذا الفعل إلى الحرارة العفونية، بل إلى الحرارة الطبيعية من جهة ما هي فاعلة في مادة غير طبيعية.

[١١٣] وكون جالينوس يروم أن ينسب هذا الفعل لحرارة عفونية بالذات، أعني انتظام النوائب بسبب[5] الزبل الذي شاهده، هو منه حجة واهية غير جارية على أصوله. ولذلك ما(=ما: زائدة) نرى أن فاعل النوبة هي الطبيعة بالحرارة الغريزية، وإن كان قد عرض لها بعض خروج عن الطبع في الكمية والكيفية، وذلك لفعلها في مادة غير طبيعية وهي الخلط. ولذلك كان ما يعرض لها مع الخلط في مثل هذا الحال[6] شبيهها بما يعرض لها مع الغذاء من أن يبرد البدن أولا، ثم يسخن ثم يبرد[7]، لا فرق بينهما إلا أن ما يعرض للبدن من ذلك[8] مع الغذاء طبيعي لكون الغذاء طبيعيا، وما يعرض مع الخلط غير طبيعي: أعني من انغمار الحرارة من المادة أول ما تباشرها، وتزيدها عندما تستولي[9] عليها، ورجوعها إلى حالتها الأولى عند تمام نضج المادة. وقد بينا هذا في تلخيص كتاب الحميات لجالينوس(*)[10]. وهذا النظام والترتيب يختلف أيضا بحسب طبيعة الخلط الفاعل للحمى وكميته كما سنقول بعد.

(*) قوله : "وقد بينا هذا ...لجلينوس" غير موجود في مخطوطة غرناطة ولا في مخطوطة تركيا. وبما أن كتابه "تلخيص كتاب الحميات لجالينوس" قد أرخ الفراغ منه بـ "يوم الأربعاء عقب المحرم سنة تسع وثمانين وخمسمائة" (تلخيص كتاب الحميات ضمن "تلخيصات ابن رشد لجالينوس" المعهد الإسباني العربي للثقافة. مدريد ١٩٨٤، ص ١٩٩، والمعنى الذي يشير إليه ابن رشد أعلاه يقع في ص ١٩٥)، فإن هذه الإضافة لابد أن تكون قد حدثت بعد ذلك، وهذا يعني أن النسخة الأخيرة من الكليات ترجع إلى السنة المذكورة ٥٨٩هـ على الأقل.

---

(١) غ، ج: هكذا "نابية"؛ ت: ثابت (٢) غ، م، ت: سقط "في قول الأطباء... دونه"؛ ج: سقط "الأطباء" (٣) غ: إذا (٤) غ: ولذلك يجري؛ م، ت، ج: ويجري ذلك (٥) ج: يروم أن يثبت...بثبت (٦) ج: سقط "في...الحال" (٧) ج: تبرد...تسخن...تبرد (٨) ج: سقط "من ذلك" (٩) ب: يستولي (١٠) غ، ت: سقط "ولهذا المعنى ليس ينبغي...كتاب الحميات لجالينوس".

[١١٤] وأما السبب في كون الحميات التي في العروق غير مفترة، فهو أن الجزء من الخلط العفن إذا اشتعلت فيه الحرارة العفونية[١] ليس يمكن الطبيعةَ أن تحلله وتخرجه من الجسم حتى يشتعل جزءا جزءا، وذلك لموضع (بسبب) صلابة العروق[٢]؛ لكن ضرورةً يكون[٣] وقت النوبة فيها أقوى. ولهذا السبب بعينه ليس يكون عنه نافِض[م]، لأن ما يتحلل منه غير محسوس بالإضافة إلى الأعضاء الحساسة.

[١١٥] وأما العفونة التي تكون في الهضم الذي[٤] في الأعضاء أنفسها فإن الأمر فيه بضد هذا: أعني أن الأعضاء[٥] متخلخلة بالمسام التي فيها، ولذلك كانت نوائب هذه الحمى مفترة ومرعدة؛ وذلك لمرور هذا[٦] الخلط، اللذاع بكيفيته، على[٧] الأعضاء الحساسة، أو الخلط الريحي. وذلك أن النافض هو أشبه أن يكون عن خلط ريحي متحرك لا عن ساكن[٨].

[١١٦] والعلامة الخاصة بحمى العفونة علامتان: إحداهما[٩] أن لا يكون في البول رسوب أصلا. وذلك أن الطبيعة مغمورة في أول المرض، وهو زمان الابتداء. والعلامة الثانية أن يكون النبض مختلفا، وقد يستدل أيضا[١٠] على هذه الحميات بظهور العلامات[١١] الدالة على صنفي الامتلاء، أعني الذي بحسب القوة والذي بحسب التجاويف. والإعياء المتقدم من غير سبب إذا أحدث الحمى دليل على أنها حمى عفونة. وحرارة هذه الحمى أيضا[١٢] حرارة رديئة الكيفية وهي في الأكثر يظهر فيها أعراض رديئة. فهذه هي العلامات[١٣] الخاصة بحمى العفونة بإطلاق. وأما العلامات[١٤] التي تخص حمى حمى من هذه الحميات[١٥] فهي هذه:

[٢٦-] في حمى الصفراء

[١١٧] أما التي تكون من هذه الحميات في الهضم الثالث فعلامتها نافض شديد ناخس[م]. والنبض يكون في أول النوبة في هذه الحمى وفي غيرها صغيرا ضعيفا متفاوتا، وذلك لموضع (بسبب) إطفاء الخلط الحرارةَ الغريزية وخمودها عن الخلط، كما تخمد النار إذا وضع عليها حطب غير ملائم[١٦]. ولذلك كانت الأجسامُ في ابتداء النوائب تبرد ضرورة لموضع انسلاخ الحرارة الطبيعية عن الأجسام التي تَعْفُن. فإذا اشتعلت فيها الحرارة الغريبة[١٧] امتزجت مع الطبيعية[١٨] وانتشرت على الجسم. ويخص هذه

(١) ب: العفنة (٢) ج: العرق (٣) م: أضيف "في" (٤) م: الخلط الذي يكون في الهضم (٥) ج: أضيف "الحساسة" (٦) غ، م، ت، ج: سقط "هذا" (٧) م: عن (٨) غ، ت: سقط "أو الخلط الريحي...عن ساكن" (٩) غ، ت: سقط "إحداهما" (١٠) ج: سقط "أيضا" (١١) م، ج: العلامة (١٢) م: سقط "أيضا" (١٣) غ، م، ت: العلامة (١٤) غ، ت، ج: العلامة (١٥) م: سقط "من هذه الحميات" (١٦) غ، م، ت، ج: سقط "وخمودها عن الخلط...غير ملائم" (١٧) ت: الغريزية (١٨) غ: الطبيعية.

الحمى أن النبض فيها لا يبقى على هذه الصفة بل يعود قويا عظيما، وذلك لموضع الحرارة التي تنتشر فيها. والبول في هذه الحمى يكون في الأكثر ناريا. ويكون في هذه الحمى ضرورة عطش شديد، وربما كان قيء مرة.

[١١٨] قالوا ونوبتها إذا كانت خالصة أطولها نحو[١] من اثنتي عشرة ساعة. ونوائب هذه الحمى تكون غِبًّا[؟]، إلا أن هذا الاستدلال غير منعكس[٢]. وذلك أن النوائب المُغِبَّة ليس يلزم أن تكون عن صفراء (المرة[؟] الصفراء)، بل قد يمكن أن تكون ربعين[؟][٣] وذلك إنما يعرض في ابتداء المرض[٤]. فهذه هي العلامات الدالة على طبيعة هذه الحمى، أعني العلامات[٥] الخاصة المنعكسة. وقد يستظهر(=يستعان) على هذا الاستدلال[٦] بأمور عامة، مثل أن يكون المزاج والهواء والسن والتدبير مناسبا لهذا الخلط. والهواء يكون مناسبا بشيئين[٧]: إما بالوقت مثل زمان الصيف، وإما بخروجه عن المجرى[٨] الطبيعي إلى الحر واليبس، مع أنه غير[٩] صيف. ولذلك قيل إن من الاستدلال على جميع الحميات أن يكون ذلك الجنس من المرض حادثا بكثير من الناس في ذلك الوقت من السنة.

[١١٩] وأما غير المفترة (من الحميات) فتشارك هذه في جميع العلامات سوى النوائب و[١٠] النافض. وفي هذا الجنس تدخل الحمى المسماة محرقة، وهي حمى عظيمة داخل الأوراد وبخاصة ما حول[١١] فم[١٢] المعدة منها والكبد. ولذلك يصحب في هذه الحمى قلق وكرب عظيم. والعطش الشديد علامة خاصة بهذه الحمى. وأخبث أصناف[١٣] هذه الحمى[١٤] المحرقة ما كان[١٥] عن خلط زنجاري[؟] أو كراثي[؟]. والنوبة حينئذ تطول[١٦] لعسر قبول هذه الأخلاط النضج جدا[١٧].

[٢٧-] في دلائل الحمى[١٨] البلغمية

[١٢٠] الأعراض الخاصة بهذه الحمى أنها[١٩] تبتدئ ببرد في الأطراف ويطول زمان البرد فيها، وهو زمن ابتداء النوبة. وعندما تريد[٢٠] الحرارة أن تظهر فيها يعود البرد فيغلبها. ولهذا[٢١] تكون مدة[٢٢] النوبة في هذه الحمى نحوا من ثمان عشرة ساعة. والحرارة في هذه الحمى تكون غير لذاعة ولا هائجة، وليس تظهر إلا بعد لبث اليد على

---

(١) ب: "أطول ما تكون" عوض "أطولها نحو" (٢) غ، م، ت، ج: ليس ينعكس(ج: بمنعكس) (٣) ب: أضيف "وغبين" وفوقها علامة ظ (٤) غ، م، ج: أول المرض؛ ت: سقط "وذلك...المرض" (٥) غ، ت، ج: العلامة (٦) م: هذه الاستدلالات (٧) ت: بسببين (٨) ت: المجرى (٩) غ، م، ت، ج: سقط "غير" (١٠) ب: كتب في الهامش "في المحرقة منها" (١١) م: كتب في الهامش "ما حوى" (١٢) ت: سقط "فم" (١٣) م: يظهر "أصحاب" (١٤) غ، م، ت، ج: سقط "الحمى" (١٥) غ، م، ت: كانت (١٦) ب: سقط "فيها" (١٧) ت: سقط "جدا" (١٨) ت: حمى (١٩) غ، م، ت: إنما (٢٠) ت: ترد (٢١) م: ولذلك؛ ت: وإنما (٢٢) ت: "هذه" عوض "مدة".

البدن مدة ما[1]. والنبض في هذه الحمى يكون أصغر منه في حمى الصفراء وأشد تفاوتا في الأزمنة الأربعة من أزمان النوبة الجزئية. ويكون البول في هذه الحمى إما رقيقا أبيض، أو ثخينا كدرا. وإن كانت الحرارة العفونية شديدة وكان البلغم ليس بخالص ربما حمرته. وأطراف هؤلاء وأجفانهم[2] تكون رهلة (=مسترخية) رخوة والأكثر ممن تصيبه هذه العلة يكون[3] فم المعدة منه باردا، و[4]إن تقيأ يتقيأ[5] بلغما.

[١٢١] وهذه الحمى تنوب وردا[6]، لكن ليس ذلك علامة خاصة، فإنه متى كانت حميان[6] صفراويتان[7] أمكن أن تفعل مثل هذه النوب[8]. وإنما[9] طالت النوبة الجزئية[10] لموضع فجاجة الخلط وعسر إجابته إلى التحلل، و[11]كانت نوائبها أشد تداركا من نوائب الصفراء لموضع سرعة إجابة هذا الخلط إلى العفن[12]. وأيضا فبطول نوبته يحدث استعدادا[13] في الخلط الذي لم يعفن، وذلك لطول بقاء الحرارة الغريبة في الجسم في وقت النوبة، أعني التي تولدت من قبل الخلط، لأن حرارة الحمى هي ممتزجة ولا بد[14]. وأما الصفراوية فبسرعة ما تنطفئ الحرارة الغريبة فيها فلا يتبع ذلك استعداد له قدر فيما[15] لم يعفن منها. وبالجملة الحرارة الغريزية في هذه الحمى مغمورة جدا ولذلك تداركت فيها أزمنة حدوث الحرارة العفونية. وأخبث أجناس هذه الحميات ما يتولد[16] عن البلغم النيئ الزجاجي، وقد يستدل على هذه الحمى بأن يكون المزاج والسن والهواء والتدبير مناسبا للخلط الفاعل لهذه الحمى.

[٢٨-] في دلائل حمى الربع

[١٢٢] وهذه الحمى تبتدئ بنافض شديد تصطك به الأسنان، ويحس الإنسان فيه كأن جسمه يرمى بالبرد، وذلك لموضع (بسبب) برد هذا الخلط. والنبض أيضا يكون في هذه الحمى بطيئا صغيرا متفاوتا أكثر مما هو في حمى البلغم، وذلك في أول النوبة. قالوا وهو في حين صعود النوبة أعظم منه في حمى البلغم، لأن الحرارة في هذه الحمى تظهر أشد وأكثر[17]. وأما البول فإنه يظهر فيها بألوان شتى: فمرة أبيض رقيقا يضرب إلى الخضرة، ومرة غليظا أسود وأحمر. وأكثر ما تعتري هذه الحمى إثر حميات أخر. ومدة هذه الحمى طويلة. وأما دورها فإن النائبة منها تريح[18] يومين وتأخذ في الثالث،

---

(١) ب: سقط "ما" (٢) ب: أضيف "ربما" (٣) ب: فيكون (٤) ت: أو (٥) ب، م، ج: تقيأ (٦) غ، ت: حماتين؛ م: حميتين؛ ج: حمتين (٧) م، ت، ج: صفراويتين (٨) ج: النوائب (٩) ت: وإذا (١٠) غ، م، ت، ج: أضيف "في هذه الحمى" (١١) م: أضيف "ربما" (١٢) ب: التعفن (١٣) ت: فطول نوبته تحدث استعدادا؛ غ، م: ...استعداد (١٤) غ، ت، ج: سقط "في وقت النوبة...ممتزجة ولا بد" (١٥) ت: "يمتنع...استعدادا...معا" عوض "يتبع...استعداد...فيما" (١٦) ج: "المتولدة" عوض "ما يتولد" (١٧) غ، م، ت، ج: سقط "وأكثر" (١٨) غ، م، ت، ج: "في...فتريح" عوض "فإن...تريح" (ج: كتب في الهامش "فالنائبة منها تريح" وفوق العبارة كل من علامة ظ صح و خ).

وهذا كأنه علامة خاصة بهذه الحمى، إذ[١] لا يتصور مثل هذا الدور في غيرها من[٢] الحميات، كانت بسيطة أو مركبة. وأصحاب هذه الحمى يكونون في الأكثر مطحولين[م]. وقد يستظهر على هذه الدلائل بالتدبير المناسب والهواء المناسب[٣] والسن والمزاج والعلامات الدالة على غلبة هذا الخلط التي قد سلف ذكرها.

[٢٩-] في دلائل[٤] الحمى الدموية

[١٢٣] وهي[٥] المطبقة[م]، وهذه الحمى تكون ضرورة من غير نافض إذ[٦] كان الدم داخل العروق، إلا[٧] أن تكون[٨] عن ورم فلغموني[م] في أحد الأعضاء الرئيسة[٩] كالكبد والحجاب. ونوبة هذه الحمى قيل إنها قد[١٠] تكون حينئذ[١١] شبيهة بنوبة الصفراء أعني غبا[م]. وإنما كان ذلك كذلك لأن الدم إذا استحر(=اشتد) مال ضرورة إلى طبيعة الصفراء، ولذلك ليس تخالف[١٢] هذه الحمى حمى الصفراء التي في داخل العروق إلا بالأقل والأكثر: فإنه كما قلنا ليس يكون في البدن حمى صفراوية محضة، بل متى حدثت مثل هذه الحمى قتلت ضرورة، لأن الصفراء لا تجيب إلى النضج إلا من جهة ما هي محمولة في الدم أو في المادة التي تتغذى بها[١٣] الأعضاء الأصلية، وهو الدم الأبيض.

[١٢٤] والعلامات الدالة على هذه الحمى هي علامات غلبة هذا الخلط، أعني الدم، وقد سلف ذلك. والنبض يكون في هذه الحمى في غاية العظم والقوة. ويكون البول أحمر غليظا. والكرب والقلق خاص[١٤] بهذه الحمى وحمى الصفراء، إلا أنه في الصفراء أشد. واختلاط الذهن خاص[١٥] بالحميات الحادة. وقد اضطرب قول جالينوس في الحمى الدموية: فمرة قال إنها الصفراوية الدائمة[١٦]، ومرة قال إنها غير الصفراوية، وأنها تفارق الصفراوية بأنها ليس فيها عفونة، وأن طبيعتها متوسطة بين طبيعة[١٧] حمى يوم وحمى العفونة[١٨].

[١٢٥] وهذه[١٩] الحمى إنما لها نوبة واحدة، فإما أن تقلع وإما أن تقتل؛ لكن ربما ابتدأت بخف (خفيف) وجعلت تتصاعد إلى أن تبلغ النهاية من الشدة، وربما كان الأمر بالعكس، وربما ثبتت على حال واحدة.

[١٢٦] فهذه هي الدلائل التي منها يوقف على هذه الحميات البسيطة. ومن عرف البسيط عرف المركب[٢٠] ضرورة. وإنما ذكرت هذه البسائط على جهة الدستور

---

(١) م: يظهر "أو" (٢) ب: غير هذه (٣) ت: سقط "والهواء المناسب" (٤) غ، م، ت، ج: سقط "دلائل" (٥) ت: سقط "وهي" (كتبت "المطبقة" بخط عريض ضمن عنوان الفقرة) (٦) م، ت: إذا (٧) م: وإلا (٨) غ، ب، م، ت: يكون (٩) م، ت: الرئيسية (١٠) غ، م، ت: سقط "قيل إنها قد"؛ ج: قد قيل... (١١) ج: سقط "حينئذ" (١٢) غ: يخالف (١٣) ت: منها (١٤) ب: خاصا (١٥) م: سقط "خاص" (١٦) ج: سقط "الدائمة" (١٧) ج: سقط "طبيعة" (١٨) غ، ت: سقط "وقد اضطرب... وحمى العفونة" (١٩) م، ج: وأن هذه (٢٠) ج: البسيطة...المركبة.

والقانون لأن حدوثها[١] أقلي[٢]، والأكثر إنما هو في المركب. وأيضا فجل هذه الأعراض التي جعلت هاهنا[٣] علامات لواحدة[٤] واحدة من أصناف هذه الحميات إنما تصدق في الحميات التي هيولاها الأخلاط القريبة[٥] من أن تكون طبيعية، مثال ذلك أن الحمى الصفراوية إنما تكون أعظم نوبتها نحوا من اثنتي عشرة ساعة متى كانت الصفراء الطبيعية هي التي تعفنت. و[٦] متى كانت (الحمى) محية (من لون مح البيض) أو زنجارية[م] فإن النوبة فيها تكون أطول والأعراض أخبث. وقلما يفلت من تصيبه أمثال هذه، وبخاصة الزنجارية إذ كانت لا تجيب إلى النضج، فإنه كلما كان الخلط متميزا في البدن وبالفعل أكثر كانت الحمى أردأ عاقبة، ومتى كان وجوده أقرب إلى القوة كانت أسلم.

[١٢٧] والتركيب يعرض في الحميات إما من قبل الأسباب الهيولانية وذلك على ضروب: أحدها (وهو الضرب الأول) أنه إذا امتزج[٧] خلطان فصاعدا فإنه يحدث عن[٨] ذلك حمى متوسطة بين البسيطتين اللتين تحدثان عن ذينك الخلطين، فتختلط الأعراض. و(الضرب) الثاني أن تكون الحمى الواحدة عفونية، و(الحمى)الثانية في الأعضاء الأصلية، والوجه (=الضرب) الثالث أن يكون من[٩] الخلط الفاعل للحمى الواحدة مع ورم، و(الحمى) الثانية بغير ورم. وربما تركبت الحميان[١٠] واختلطت نوائبهما (إما) من غير اختلاط موادهما[١١]، وإما من قبل الموضع[١٢] مثل أن يكون أحدهما داخل العروق والآخر[١٣] خارج العروق -وفي هذا الجنس تدخل الحمى المسماة شطر الغب[م][١٤]- أو تكون في موضع واحد لكن متجاورة لا ممتزجة. وربما تركبت جميع هذه الأصناف. وقد تختلف الحميات من قبل العظم والصغر: وأعني بالعظم أن تكون الأسباب الفاعلة لها قوية، وبالصغر ضد ذلك. وهذه أيضا يتصور فيها التركيب.

[-٣٠] في دلائل[١٥] حمى الدق

[١٢٨] وهذه الحمى لها مراتب[١٦] ثلاثة كما سلف تختلف فيها أعراضها بالأقل والأكثر؛ ولكن أعراضها تخفى من أول الأمر، فمتى رأيت في الجسم حرارة دائمة لينة قد أقامت أكثر من ثلاثة أيام وليس لها كبير حس عند العليل ولا فيها أمارة من أمارات حمى العفونة فينبغي أن يظن بها أنها[١٧] دق؛ فاطعم العليل وتفقد نبضه

---

(١) م: سقط "لأن حدوثها" (٢) ت: أوليا (٣) ت: جعلناها هنا (٤) غ، م، ت، ج: واحدة (٥) ب: يمكن أن تقرأ "الغريبة" (٦) غ، م، ت، ج: أضيف "أما" (٧) ج: أضيف "فيها"، ت: "فيه" (٨) م: سقط "عن" (٩) غ، م، ت، ج: سقط "من" (١٠) غ، ت: الحماتين؛ ج: الحميات (١١) غ، م، ت، ج: نوائبها...موادها (١٢) ت: الوضع (١٣) غ، م، ت، ج: تكون إحداهما...والأخرى (١٤) غ، م، ت، ج: سقط "وفي هذا الجنس...الغب" (١٥) غ، م، ت، ج: سقط "دلائل" (١٦) ت: "بالجملة...نوائب" عوض "الحمى...مراتب" (٧) م: سقط "أنها".

والحرارة التي عليه، فإن رأيته بعد أخذ الطعام بثلاث ساعات أو نحوها تتزيد الحرارة عليه، ويسرع نبضه ويتواتر ويعظم عظما ما، فاقطع أنها دق.

[١٢٩] والسبب في ذلك هو أن الأعضاء لما صار بها سوء مزاج حار، وكان المغتذي من شأنه أن يصير الغذاء[١] شبيها به، كان الغذاء، ضرورة، إذا ورد أبدان هؤلاء اكتسب[٢] حرارة غريبة، سواء كان في نفسه باردا أو لم يكن، فتعظم حينئذ الحمى وتقوى أعراضها. وليس يلزم مثل هذا في حمى العفونة، فإن الحرارة الغريبة فيها لم تتشبث بالأعضاء الفاعلة في الغذاء. وما يقوله الأطباء في إعطاء سبب هذا العرض فقول خطبي مثالي(=يقوم على المماثلة) ، وذلك أنهم يشبهون حال الغذاء مع هذه الأبدان بمنزلة الماء الذي يرمى على الحجر المطبوخ، وهو حجر النورة[م]. وهو قول شعري: فإن البدن ليس يمكن فيه أن يتباعد من الغذاء حتى تكون المضادة التي بينهما شبيهة بالمضادة التي بين الماء وحجر النورة، فإن كل واحد منهما[٣] يفسد صاحبه[٤].

[١٣٠] وهذه الحمى ليس تكاد تكون إلا بعد أحد[٥] الحميات الأخر: إما حمى يوم[٦] في الأبدان المستعدة لذلك، وإما بعد أحد[٧] الحميات العفونية، وهو[٨] الأكثر. وإذا اشتدت هذه الحمى هزل جسم العليل ويبس جلده وضمر وجهه وغارت عيناه. وأما إذا صارت إلى المرتبة الأخيرة من الذبول فإن العين حينئذ تكون كأن[٩] عليها رَمَصًا[م] بمنزلة من يتصرف في غبار. وتنجذب الأجفان إلى أسفل بمنزلة من به نعاس، وتكون جلدة الجبهة ممتدة يابسة كأنها جلدة مشكزة[١٠](=فيها أثر وخز)، والصدغان لاطئان(لاصقان بالرأس: صغيران)، والأذنان معققتان، ولونهما أصفر. ومراق البطن[م] يابس ذابل. ويكون النبض في هؤلاء صلبا[١١] ممتدا كأنه وتر[١٢] متواتر[١٣] ضعيف. وأما الماء فيكون زيتي اللون. وإذ قلنا في علامات الحميات فلننقل في علامات الأورام، فنقول:

[٣١- في علامات الأورام]

[١٣١] أما علامات[١٤] الأورام الدموية فحمرةُ لونها، وشدة الحرارة، ووجع إلا أن يكون العضو قليل الحس، وتمدد، وضربان[م]. وهذه الأورام تختلف بالعظم والصغر. والدم في هذه الأورام يكون بريئا من العفن، وأما متى كان عفنا فإنه كما قلنا تحدث عنه الحمى[١٥]. وعلامات[١٦] هذه الأورام أن يكون اللهب فيها والحرارة أشد منهما[١٧] في

---

(١) غ، م، ت: الغاذي (٢) غ، م، ج: اكتسبت (٣) م: واحدة من هذه؛ ج: ...من هذه (٤) ت، ج: سقط "وهو قول شعري...يفسد صاحبه" (٥) ج: هكذا "أخذ"؛ ت: أضيف "هذه" (٦) غ: سقط "يوم" (٧) غ، ت: أخذ (٨) م: سقط "الأخر...وهو"؛ ب: أضيف "في" (٩) م، ت: سقط "كأن" (١٠) ت: منكرة (١١) غ: سقط "صلبا" (١٢) ت: أضيف "والنبض" في الهامش (١٣) ب: هكذا "متوتر" (١٤) غ، ت: علامة (١٥) غ، م، ت: الجمر؛ ج: الحمر (١٦) ج: علامة (١٧) ت، ج: منها؛ ب: منه.

الفلغموني والحمى اللازمة. ومن هذا الجنس الطواعن التي تحدث[١] تحت الإبط والأربيتين[م]. وأما الأورام الصفراوية فعلامتها رقة الخلط والوجع الشديد من غير تمدد ولا ضربان. وأما النملة فعلامتها سعيها في الجلد.

[١٣٢] وأما الأورام البلغمية فعلامتها بياض لونها مع عدم الوجع إذا غمز عليها[٢]، فضلا عن أن توجع بذاتها[٣]. وبالجملة فالأمر في هذه الأورام ظاهر للحس، أعني البسيطة. وإنما يحتاج إلى فضل تمييز فيما تركب عن هذه؛ وذلك يوقف عليه باختلاط هذه الأعراض. وأما الأورام السوداوية فتوافق البلغمية في عدم الوجع، إلا أنها صلبة كمدة الألوان(=غير صافية). والورم المعروف بالسرطان من[٤] هذا الجنس. إنما سمي[٥] بذلك لأن شكله شبيه بشكل السرطان: وذلك أن العروق التي حول هذا الورم تظهر مملوءة دما أسودا كدرا شبيهة[٦] بأرجل السرطان. فهذه هي علامات الأورام التي تكون في ظاهر الجسم. وأما التي تكون[٧] في باطن[٨] الجسم فسنذكرها عند ذكر العلل الباطنة

[١٣٣] وأما العلل التي تظهر في سطح البدن، وهي الجُدَري[م] والحَصَبة[م] والجُذام[م] والجرَب[م] والبهَق[م] والبرَص[م]، فقد عرِّفت أسبابها، والأقاويل الشارحة لها كافية في معرفتها، إلا أن لبعض[٩] هذه العلل علامات تدل على حدوثها، قبل أن تحدث: مثل الجذام والجذري والحصبة. وذلك أن بحوحة الصوت واحمرار الوجه مع خشونةٍ وتعجر (انكماش) وكمدة بياض العين واستدارة شكلها علامة دالة على حدوث الجذام. وأما الدلائل التي تدل على حدوث الجدري فهي حمى لازمة وانتفاخ الوجه والأصداغ والأوداج وحكة الأنف وحمرة الوجه وخشونة الحلق وأن يكون العليل ممن لم تظهر فيه[١٠] هذه العلة.

[١٣٤] وينبغي أن تعلم أن جميع البثور التي تظهر في سطح الجسم مع حمى[١١] أنها علامة قاطعة على أمراض عفونية خبيثة وبائية، أعني أنها من جنس الأمراض التي تحدث عن الوباء، ولا سيما ما كان من هذه البثور سُودا باذنجانية. وإذا انفجرت تصير عليها خشكريشة[م][١٢] سوداء شبيهة بحرق النار. ولما كانت الحميات، وبالجملة الأمراض الحادة[١٣]، إنما تنقضي ببُحران[م]، فقد ينبغي أيضا هاهنا أن نذكر العلامات الدالة على البحارين المحمودة أو المذمومة[١٤].

---

(١) غ، ت، ج: أضيف "عنها" (٢) ب، ج: عليه (٣) ب، ج: يوجع بذاته (٤) غ، م، ج: في (٥) ت: فإنما يسمى (٦) ب، ت، ج: شبيها (٧) م: سقط "في ظاهر...تكون" (٨) ب: "داخل" عوض "في باطن" (٩) غ: ...بعض (١٠) غ، م، ج: ...به؛ ت: "تعتريه" عوض "تظهر به" (١١) ت: سقط "حمى" (١٢) هكذا في م: حشكرية؛ ج: حشكريشة (١٣) ب: الحادثة (١٤) ت: سقط "أو المذمومة".

[٣٢-] في البحارين

[١٣٥] ومعرفة ذلك تتم بأشياء، أولها[١]: معرفة الأمراض التي تنقضي ببحران من الأمراض التي ليس فيها بحران. والثاني معرفة العلامات الدالة على أوقات الأمراض الأربعة: فإنه ليس في أي وقت اتفق منها[٢] يكون البحران جيدا. والثالث معرفة الشيء الذي به يكون الاستفراغ في نوع نوع من أنواع الأمراض: فإن الأشياء المستفرغة إذا كانت مناسبة لطبيعة المرض كانت محمودة، وإلا فهي مذمومة. والرابع العلامات الخاصة بحضور[٣] البحران أو بالإنذار به. والخامس معرفة الأيام التي تقع فيها البحارين المحمودة والأيام التي تقع فيها[٤] بحارين رديئة[٥]. ثم نختم ذلك بذكر العلامات[٦] الرديئة بإطلاق في جميع الأمراض، كان انقضاؤها ببحران أو لم يكن. والعلامات الجياد التي تدل على الخلاص، فنقول:

[١٣٦] أما معرفة[٧] الأمراض التي تنقضي ببحران من[٨] الأمراض التي تنقضي بلا بحران، وهي التي تنقضي[٩] بتحلل غير محسوس، فذلك يوقف عليه من معرفة طول زمان المرض أو قصره. وذلك أن البحارين إنما تظهر في الأمراض العظيمة[١٠] القصيرة الأزمان. وقصر زمان[١١] المرض أو طوله يوقف عليه من نفس طبيعة المرض ومن مناسبة الأمور التي من خارج له أو مضادتها، وهي الهواء والبلد والتدبير والمهن، وكذلك الأمر في السن والمزاج. وقد يوقف على العظم أيضا من نفس طبيعة العضو، إذا كان شريفا، مثل الأورام الكائنة في الأعضاء الرئيسة[١٢]. وقد يوقف عليه[١٣] أيضا من الأعراض أنفسها: فإن من الأعراض ما يدل على قصر زمن المرض[١٤]، ومنها ما يدل على طوله. وأكثر هذه الأعراض هي التي تظهر في الفضلات من البدن من علامات النضج وعدمه. وهذه أيضا قد تدل على أزمنة المرض، ليس من قبل كيفياتها فقط، بل ومن[١٥] قبل كمياتها[١٦]: فإنها متى كانت عظاما دلت على أن المرض ينقضي بسرعة، ومتى كانت صغارا دلت على ضد ذلك. والأمراض التي تقتضي بطبيعتها قصر الزمن هي الحميات الدموية والصفراوية، كانت مع أورام في أعضاء شريفة أو لم تكن. وذلك أن الغب[م] الخالصة ليست تمكث أكثر من أربعة عشر يوما النهاية، وربما انقضت في

---

(١) ب: فأولها (٢) م: فيها (٣) ت: بخطور (٤) ج: سقط "البحارين...تقع فيها" (٥) م: مذمومة، وصحح في الهامش "رديئة" (٦) غ: العلامة (٧) ج: أضيف "علامات" (٨) غ، ب، ت: أضيف "غير" (٩) غ، م، ت: سقط "بلا بحران وهي التي تنقضي" (١٠) غ، م، ت، ج: سقط "العظيمة" (١١) م: سقط "زمان" (١٢) م، ت: الرئيسية (١٣) غ، م، ت، ج: عليها (١٤) م: "الزمن" عوض "زمن المرض" (١٥) م: ...كيفياتها بل من؛ ج: وهذه أيضا ليس تدل على أزمنة المرض من قبل كيفياتها بل من (١٦) غ، ت: سقط "فإن من الأعراض ما يدل...من قبل كمياتها".

الأسبوع الأول أو فيما دونه، وما كان من هذه داخل العروق فهي أحدّ. وكذلك الأمر في الحمى الدموية المسماة مُطبقة(م)[1]، أعني أنها في غاية الحدة.

[١٣٧] وبالجملة فإنما[2] كان القدماء يخصون أكثر ذلك بالأمراض[3] الحادة التي تنقضي في أربعة عشر يوما فما دون ذلك[4]. وهذا، ضرورة، إنما يوجد في هذين الجنسين من الحميات والأورام، أعني الدموية والصفراوية .وأما الحميات البلغمية فطويلة،وليس يظهر فيها نضج قبل الثلاثة الأسابيع، وهي قد[5] تمكث أشهرا. وكذلك المركبة من البلغم والصفراء. وحمى السوداء طويلة المدة حتى أنها تبقى الستة أشهر أو نحوها، وربما بقيت عاما[6]. والأشياء، كما قلنا، التي من خارج إذا كانت مناسبة للمرض نفسه وللمزاج والسن والتدبير، كانت سببا إما في القصر وإما في الطول. وذلك في الأمراض التي تقتضي بطبائعها القصر والطول. مثال ذلك شاب حُمَّ حمى صفراوية خالصة في بلد حار وزمان حار، وقد كان تدبيره تدبيرا حارا ومزاجه مزاجا حارا[7]، فأقول إن مرض هذا ينقضي قبل السابع ضرورة، وفي الضد[8] من هذا شيخ مرض من حمى سوداوية في زمن خريف وفي بلد بارد ومزاجه سوداوي وتدبيره يقتضي ذلك، فأقول إن مثل هذا ليس تنقضي حماه في[9] أقل من ستة أشهر. وهذه الأشياء متى كانت غير مناسبة للمرض دلت على أمر مضاد لما تقتضيه طبيعة المرض، من قصر أو طول.

[١٣٨] وأما الأعراض التي تدل على قصر المرض فهي شدة الحرارة وسرعة النبض وعظمه، وبالجملة شدة حركة المرض وتغير سحنة البدن في زمن يسير إلى الصفرة أو الحمرة والقضف(م). والأعراض الدالة على طول المرض فهي[10] أضداد هذه، والمتوسطة فيما بين هذين تدل على أزمنة متوسطة في الطول والقصر. وأما العلامات الدالة على الأزمنة الأربعة من أزمان الأمراض التي تنقضي ببحران أو بغير بحران[11] فإن علامات[12] زمن الابتداء هي أن تكون الأعراض بحالة واحدة غير شديدة[13]، مثال ذلك في[14] الحميات النائبة أن تكون أزمنة النوب والفترات التي بينها متساوية. ومما يخص هذا الزمن أنه لا يظهر فيه للطبيعة نضج في البول أصلا، ولا في النفث إن كان المرض في الصدر.

[١٣٩] وأما زمان التزيد فهو الزمن الذي تتزيد فيه أعراض المرض، مثال ذلك أن يطول زمان النوبة أو[15] يقصر زمن[16] تفتيرها. وأما اعتبار التقدم في النُّوْب فليس

(١) م: سقط "داخل العروق...مطبقة" (٢) م: فإذا (٣) ت: في الأمراض (٤) م: سقط "ذلك" (٥) م: سقط "قد" (٦) غ، ت، ج: سقط "وربما...عاما" (٧) ت: حاد (٨) ج: بالضد (٩) ت: مثل حمى هذا ليس تنقضي في (١٠) غ، م، ت، ج: هي (١١) ت: سقط "أو...بحران" (١٢) غ، ت، ج: علامة (١٣) ت: "ثم تتزيد" عوض "غير شديدة" (١٤) غ، ت، م: سقط "في"(١٥) غ، م، ت، ج: النوب و (١٦) ت: "من" عوض "زمن".

بدليل على تزيد المرض إن لم يكن هنالك عظم من النوبة وطول زمن، فإنه إذا كان السبب في تقدم النوبة عظم المرض وحفزه تبع ذلك، ضرورة، طول النوبة وعظمها. وأما متى كان السبب في تقدمها[1] نضج الخلط ورقته مع استيلاء الطبيعة عليه، لم يصحب ذلك طول في النوبة[2] ولا عظم. ولذلك ليس تقدم النوبة مجردا دليلَ تزيُّدٍ. ومما يخص زمان التزيّد أن النضج يظهر في البول، وذلك إما غمامة متعلقة في الوسط أو في أعلى القارورة وأقل ذلك[3] في اللون. وأما زمان الانتهاء فهو الزمن الذي تتشابه فيه الأعراض والنّوب وتتساوى ويكمل فعل الطبيعة في النضج. وذلك بأن يظهر في البول رسوب كثير. وزمان الانحطاط هو الزمن الذي تخف فيه الأعراض، وتستولي الطبيعة على المرض[4] وتتباعد فيه النوب وتقصر. وكما أن تقدم النوبة مفردا ليس دليلا على تزيد المرض كذلك ليس ينبغي أن[5] يكون هاهنا تأخرها[6] دليلا على الانحطاط حتى يقترن[7] بذلك قصر النوبة وخفة[8] أعراضها، فإن التأخر قد تفعله قلة المادة وقد يفعله ضعف الطبيعة.

[١٤٠] وأما أنواع الاستفراغات التي تكون بها البحارين فهي الإسهال والقيء والعرق والبول والرعاف وانفتاح أفواه العروق من المقعدة، ودرور دم الطمث في النساء خاصة. وقد تكون البحارين بأورام، لكن إنما تكون هذه البحارين سليمة إذا كانت تلك الأورام في أعضاء خسيسة. وقد تكون بخراجات في المفاصل. وكل نوع من هذه الاستفراغات يخص مرضا ما، وذلك في الأكثر. وإذا كان البحران[9] محمودا فالحميات الصفراوية بحرانها[10] يكون بالقيء والإسهال والعرق والبول، وبالجملة باستفراغ الصفراء والحميات الدموية بالرعاف وانفتاح عروق المقعدة[؟] ودرور الطمث في النساء. وقد يعين أيضا على نوع[11] الاستفراغ مشاركة العضو العليل. فإن الدماغ إذا[12] ورم كان بحرانه بالرعاف[13] أكثر منه بانفتاح عروق المقعدة. والورم الذي يكون في محدب الكبد يكون بحرانه بالبول. وأما الذي يكون في مقعره فبالإسهال إن لم يكن دمويا، و[14]درور عروق المقعدة، و[15]الطمث إن كان دمويا. وأما البحارين التي تكون بالخراجات والأورام فإنها إنما تعرض أكثر ذلك في الأمراض الطويلة، وهي التي تكون بحرانها أكثر ذلك بعد العشرين. وربما حدث في الأمراض الحادة بحارين مهلكة بأورام أعضاء رئيسة[16]، ولذلك يوصي أبقراط في مثل هذه الأمراض بأن يستفرغ الخلط في زمن الابتداء ولا ينتظر النضج.

---

(١) غ، م، ت، ج: أضيف "سرعة" (٢) غ، ت: ولا نوبة؛ ب، ج: من النوبة (٣) ب: "وأقله" عوض "وأقل ذلك" (٤) ت: "وتستوي الطبيعة" عوض "وتستولي...المرض" (٥) ب: ألا (٦) غ، م، ت، ج: "تأخره" (٧) غ، ت، ج: تقترن؛ م: يقتصر (٨) ب: خفوف (٩) ت: سقط "البحران" (١٠) م: سقط "بحرانها" (١١) غ، م، ت، ج: نحو (١٢) غ، م، ت، ج: متى (١٣) ت: في الرعاف (١٤) غ، ت، ج: أو (١٥) غ، م، ت، ج: أو (١٦) م، ت: رئيسية.

[٣٣-] في أيام البحران

[١٤١] (*)وأشهر الأيام في كونها محمودة البحارين(١)، هي الأيام التي تحسب من أيام المرض على جهة التربيع: فإن لها(٢) يوم الرابع ثم(٣) السابع. لأن الرابع هاهنا يؤخذ(٤) مشتركا للأَرْبُوعين، ثم الحادي عشر غير مشترك، ثم الرابع عشر مشترك ثم السابع عشر غير(٥) مشترك أيضا(٦)، ثم العشرون مشترك. هذا فيها بحسب المشهور من قول أبقراط، وبحسب رأي جالينوس. وأما أرسجنجانس فإنه يرى أن الثامن عشر والحادي والعشرين أملك بالبحران من السابع عشر والعشرين(٧)، ثم الأربعة والعشرين، ثم السبعة والعشرين، ثم الواحد والثلاثين، ثم الأربعة والثلاثين، ثم السبعة والثلاثين، ثم الأربعين.

[١٤٢] وأما ما بعد الأربعين من الأمراض المتطاولة فليس يكاد(٨) يظهر فيها بحران محسوس، وما قبل العشرين فقوة البحارين فيها تكون للأرابيع، أعني أنها تحدث في الأرابيع وتنذر بها الأرابيع المتقدمة. مثال ذلك أن البحران الذي يكون في السابع يتقدمه إنذار في الرابع إذا كانت علامة محمودة، مثل الغمامة البيضاء المتعلقة (في البول)، واليوم الحادي عشر منذر بالرابع(٩) عشر، واليوم الرابع عشر منذر بالسابع عشر، والسابع عشر منذر بالعشرين. ثم ما بعد العشرين إنما تكون قوة الإنذارات(١٠) في السوابع. وهذه الأيام كلها محمودة البحارين، والبحارين تكون فيها على الأكثر وإن كانت تتفاضل في هذين المعنيين، لكن الأمر فيها متقارب(١١). وهاهنا أيام باحورية دون هذه في كثرة ما يحدث فيها من البحران وفي جودته، ولكنها بالجملة محمودة، وهي الأيام التي ليس يجري فيها البحران على أدوار محدودة(١٢). وهذه الأيام هي الثالث والخامس والتاسع والثالث عشر والخامس عشر(١٣) والتاسع عشر والواحد والعشرون، ثم ما بعد العشرين. فليس لهذه الأيام قوة أصلا في البحران(١٤) ولا في الإنذار، والتاسع من هذه الأيام كثيرا ما ينذر بالحادي عشر.

[١٤٣] وأما الأيام المذمومة البحارين فهي اليوم السادس، وهذا(١٥) هو أردؤها،

(*) عند بداية هذه الفقرة كُتب بِ في الهامش، لكن من دون أي إشارة إلى مكانه: "جالينوس من ذلك أن اليوم الثاني عشر من المرض واليوم السادس عشر أما أنا فلم أر أحدا قط أصابه فيه بحران فأما اليوم السابع فلست أقدر أن أحصي كم من مريض رأيته قد أصابه فيه بحران" (المحقق).

---

(١) ج: سقط "البحارين" (٢) غ، م، ت، ج: "من(ت: في) ابتداء...فأولها" عوض "من أيام...فإن لها" (٣) غ: "والثاني" عوض "ثم" (٤) م، ت: يظهر "يوجد" (٥) غ، ت، ج: سقط "غير" (م: ثبت فوقها ما يشبه أن يكون علامة تصحيح) (٦) م، ت: سقط "أيضا" (٧) غ، م، ت: سقط "هذا فيها...والعشرين" (٨) ت: سقط "يكاد" (٩) غ، م، ت: باليوم الراب (١٠) غ، م، ت، ج: الإنذار فيه (١١) ت: متفاوت (ب: في المتن "متفاوت" وصحح في الهامش "متقارب") (١٢) ج: سقط "وهي الأيام...محدودة" (١٣) غ، م، ت، ج: سقط "والخامس عشر" (١٤) غ: البحارين (١٥) م: سقط "هذا".

وكثيرا ما تقع فيه البحارين الرديئة. وينذر به الرابع إذا ظهرت فيه علامة رديئة مثل غمامة سوداء، ثم يتلو هذا في الرداءة الثاني عشر ثم[1] الثامن ثم العاشر ثم السادس عشر[2] ثم الثامن عشر. والثاني عشر قليل ما يقع فيه بحران. وينبغي أن تعلم أن هذه البحارين تعد من وقت الابتداء والوقت[3] الذي يظهر فيه ضرر الفعل، إلا النفساء فإنه متى أصابها مرض عدت بحارينها من وقت الولادة. هكذا زعم أبقراط.

[١٤٤] وبين القدماء اختلاف في الأيام الحميدة من هذه والذميمة، لكن هذه الأيام هي التي شهد بها الرجلان المتقدمان في هذه الصناعة، وهما أبقراط وجالينوس. والظن بهما أوثق، والنفس إليهما أميل. لكن مع هذا ينبغي أن تعلم أن هذه أمور أكثرية[4] لا أمور ضرورية. وقد زعم الرازي أنه جرب في المارستان نحوا من ألفي رجل صدقت في أكثرهم دلالات هذه البحارين وكذبت في الأقل. فأما من أين يعلم أن البحران[5] قريب فهي سرعة[6] حركة المرض وهيجانه وظهور علاماته[7] في البول والنفث وعظم النبض. وطبيعة المرض مما يوقف به على ذلك. وكذلك تقدم نوبة الحمى إن كانت الحمى ذات نوائب. وأما متى كانت هذه العلامات على خلاف هذا فهي تدل على بطء البحران، كما أنها إذا كانت متوسطة دلت على توسط[8] في قربه وبعده.

[١٤٥] فأما العلامات الدالة على البحران الحاضر فهي الأعراض الصعبة التي تكون معه، مثل القلق الشديد والتوثب واختلاط الذهن والصداع والسبات وحمرة العينين وحمرة الوجه وضيق النفس وخفقان القلب ووجع الرقبة واختلاج الشفة السفلى ولذع في المعدة والنافض والرعدة والرعشة وعسر البول واحتباس الطبيعة والعطش الشديد. فمتى ظهرت هذه العلامات أو بعضهاليلا دلت على أن البحران يكون من غد. وإن ظهرت نهارا فإنها تدل على أن البحران يكون في ليلة ذلك اليوم. ويستدل في هذه الحال على النوع الذي يكون به البحران من جهة حركة الخلط، وذلك أن اختلاج الشفة السفلى[9] يدل على قيء وحمرة الوجه، والتآكل في الأنف يدل على رعاف[10]. وقد يستدل أيضا على ذلك من النوع الذي به وقع الإنذار: فإنه من ذلك النوع يكون البحران. مثال ذلك إن كان الإنذار برعاف فإن البحران يكون بذلك، وكذلك بقيء أو عرق أو إسهال أو غير ذلك. وإذا كان هذا[11] كما وصفنا، فالبحران المحمود هو[12] الذي يأتي في نهاية المرض[13] بعد نضج محمود وتكون المادة المستفرغة فيه مناسبة للمرض، أعني الفاعلة له.

---

(١) ت: سقط "الثاني عشر ثم" (٢) غ: سقط "ثم الثامن...السادس عشر" (٣) غ، م، ت، ج: وهو الوقت (٤) م: "تقول إن...الأكثرية" عوض "تعلم أن...أكثرية" (٥) ج: البحارين (٦) ت: أضيف "في" (٧) م: علامته (٨) ج: توسطه (٩) غ، م، ج: سقط "السفلى" (١٠) ت: سقط "وذلك أن اختلاج...رعاف" (١١) غ، م، ت، ج: أضيف "كله" (١٢) غ، م، ت، ج: أضيف "البحران" (١٣) ت: النضج.

ويكون مع هذا في يوم محمود، وتكون الإنذارات التي تدل عليه[١] إنذارات[٢] محمودة، والعلامات الدالة على حضوره علامات غير رديئة ولا مخوفة مثل الغشي الشديد ووجع الفؤاد والخفقان.

[٣٤- علامات الخلاص والبرء]

[١٤٦] وإذ قد قلنا في البحارين المحمودة والمذمومة و[٣] فيما يحتاج إليه في معرفة ذلك وهي الأمور التي يوقف منها أكثر ذلك في الأمراض الحادة على السلامة أو العطب، فلنقل في غير ذلك من العلامات والدلائل التي لها قوة في هذا الشأن، ونبتدئ بذكر العلامة[٤] المنذرة بالخلاص والبرء. وهذه العلامات[٥] مأخوذة من الأفعال و[٦]الأعراض التي توجد[٧] عن الأفعال، وقد تؤخذ[٨] عن[٩] أمراض تحدث عقب أمراض.

[١٤٧] فمن الدلائل المأخوذة من الأعراض أن يكون وجه العليل شبيها بوجه الأصحاء[١٠] أو قريبا منه، وبخاصة الوجه الصحي له، لأن الأوجه الصحية[١١] تختلف في الناس، فإن ذلك دليل على السلامة.

– استواء[١٢] الحرارة في جميع الجسم[١٣] يدل على سلامة الأحشاء من الأورام.

– البراز المعتدل في الرقة والغلظ المنحل[١٤] الذهبي اللون يدل على سلامة المريض إذ[١٥] كان هذا البراز يدل على جودة القوة[١٦] الغاذية.

– البول الأترجي اللون[١٧] الذي فيه ثفل راسب أبيض[١٨] مستو أو متعلق ينذر بسلامة، وبخاصة الراسب. والبول الذي بهذه الصفة إنما نحسبه[١٩] علامة جيدة في الحميات وأورام الجوف.

– البصاق الأبيض المعتدل الغلظ[٢٠] الذي ينفث بسهولة غير الكريه الرائحة في ذات الجنب وذات الرئة دليل على السلامة.

– العرق إذا حدث بمن به حمى حادة في يوم من أيام البحران، وكان معتدل الحرارة مستويا في جميع البدن، وكانت مدة زمانه معتدلة[٢١] ولونه أبيض ورائحته ليست بالكريهة، دل ذلك على السلامة من المرض وانقضائه.

– الرعاف متى كان في يوم من أيام البحران في الحميات الدموية أو[٢٢] التي تكون عن أورام الدماغ أو أورام الأحشاء دل ذلك على السلامة.

---

(١) ب: عليها (٢) م: سقط "التي...إنذارات" (٣) ت، ج: سقط "و" (٤) غ، م، ت، ج: "بالعلامات" عوض "بذكر العلامة" (٥) غ، م، ت، ج: أضيف "هي" (٦) غ: أو (٧) ب: تؤخذ (٨) م، ت، ج: توجد (٩) ب: من (١٠) م: الصحيح (١١) م: الصحيحة (١٢) ج: واستواء (١٣) م: البدن (١٤) ت: يظهر "القحل" (١٥) م: إذا (١٦) غ، م، ت، ج: القوى (١٧) ب: سقط "اللون" (١٨) ت: سقط "أبيض" (١٩) ت: يحسب (٢٠) غ، ت: الغليظ (٢١) ت: وكان....معتدلا (٢٢) ج: و.

[١٤٨] فأما المأخوذة من الأفعال: فإن صحة الذهن في الأمراض الحادة وصفاء الحواس وسهولة تقلب المريض وحسن اضطجاعه دليل على السلامة.

- التنفس إذا كان حسنا جيدا ليس بالمتواتر ولا بالمتفاوت ولا بالمنقطع وكان النبض قويا قليل الاختلاف دليل قوي على الأمن والسلامة(١).

- الشهوة الصادقة للغذاء دليل جيد(٢).

[١٤٩] وأما الأمراض التي تنذر بإقلاع الأمراض المتقدمة: فهي الأمراض(٣) التي تكون أسبابها مضادة للأمراض المتقدمة، أو الأمراض التي تحرك الأسباب الفاعلة للمرض المتقدم إلى جهة أخرى مضادة، أو عضو أقل شرفا(٤). مثال القسم(٥) الأول أنه متى(٦) كان بإنسان تشنج من امتلاء وحدثت به حمى فإنه يبرأ من تشنجه، وذلك لمضادة السبب الفاعل للحمى للسبب الفاعل للتشنج. وكذلك من(٧) حدث به وجع في معدته أو كبده أو معاه أو طحاله من ريح أو سوء(٨) مزاج بارد، فإن الحمى إذا حدثت تحله. ومثال القسم الثاني إذا تأملته في أقاويل القدماء كثير: من ذلك قولهم إذا حدث بصاحب الحمى المطبقة نافض في يوم من أيام البحران، كان ذلك دليلا على انقضاء حماه لدفع الطبيعة الخلط الفاعل للمرض(٩) من داخل العروق إلى ظاهر البدن(١٠). ومن ذلك قولهم إذا حدثت(١١) الدوالي بأصحاب وجع النقرس(م) ووجع المفاصل وعلل الكلى انقضى بذلك مرضهم. وكذلك قولهم حدوث البواسير في الماليخونيا(م)(١٢) دليل على إقلاعها. فإن أنت تفطنت لهذه الأشياء لم يخف عليك ذلك. وقد يكون عرض ما تابع لمرض حدث دليلا على خفة المرض المتقدم، إذا(١٣) كانت أسباب المرض الثاني من جنس أسباب المرض الأول، إلا أنها أقل منها(١٤) وأضعف: مثال ذلك قول أبقراط الجشاء الحامض في أصحاب زلق الأمعاء دليل محمود(١٥).

[٣٥- العلامات الرديئة]

[١٥٠] وإذ قد قلنا في العلامات المخلصة، فلنقل في العلامات الرديئة؛ ولهذه العلامات مراتب في الدلالة. ونحن نخص واحدا واحدا منها بلفظ خاص على ما جرت به عادة القدماء. وهذه العلامات هي أيضا مأخوذة(١٦) من الأفعال والأعراض اللاحقة عن الأفعال، وذلك إما في ظاهر البدن وإما فيما يبرز من البدن. وقد تكون أيضا أمراض تحدث بعد أمراض متقدمة. ولنبدأ من القول(١٧) بالعلامات التي من الأعراض:

---

(١) ت: سقط "التنفس...والسلامة" (٢) ج: سقط "الشهوة...جيد" (٣) غ: في الأمراض؛ ب: سقط "الأمراض" (٤) غ، ت، ج: سقط "أو عضو أقل شرفا" (٥) غ، م، ت: سقط "القسم" (٦) ب: إذا (٧) ب: متى (٨) ت: سقط "سوء" (٩) غ، م، ت، ج: سقط "للمرض" (١٠) ت: سقط "إلى ظاهر البدن" (١١) ب: حدث (١٢) ت: المالنخوليا (١٣) ت: إذ (١٤) غ، م، ت، ج: منه (١٥) ج: "محمودة" (١٦) ت: موجودة (١٧) ب: بالقول.

– الوجه[1] الذي يصفه أبقراط، وهو الوجه الشبيه بوجه الميت، وذلك أن يكون الأنف منه حادا والعينان غائرتين، والأذنان باردتين وشحمتاهما منقلبتين، وجلدة الوجه ممتدة، واللون إما كمد وإما أخضر، أو تعلوه غبرة أو صفرة، فإنه يدل على الهلاك، إذ[2] كان ذلك إنما يعرض في الأمراض الحادة لتبدد[3] الحرارة الغريزية وذهابها بالمرض، وشدة مضادة الحرارة الغريبة للحرارة الغريزية[4]. وبالجملة فهو دليل في الأمراض الحادة على عظم[5] المرض، إذ كان هذا العرض إنما يظهر في الأمراض المتطاولة، كأصحاب السل وغيرهم. اللهم إلا أن يكون أصاب العليل استفراغ بإسهال أو سهر، فإن دلالته حينئذ تكون أخف.

– إذا كان بياض العين أحمر وعروقها كمدة أو سودا، كان ذلك دليلا على الهلاك لا محالة، وذلك في الأمراض الحادة. لأن السواد يدل على موت الحرارة الغريزية، والحمرة تدل على امتلاء الدماغ.

– ونتوء العين في الأمراض الحادة رديء، إذا لم يكن عن رمد[؟] أو قيء.

– إذا كان الجفن والشفة والأنف متلونة[6] كمدة فالموت قريب.

– برد الأطراف رديء جدا، وذلك أنه يدل على غوص الحرارة إلى باطن الجسم[7]: إما لورم عظيم هنالك، وإما أن ذلك لسبب أخلاط باردة كثيرة. وبالجملة فيدل على انطفاء الحرارة الغريزية.

– وكذلك متى كان بإنسان حمى وظاهر بدنه بارد وباطنه حار، فإن ذلك دليل على الموت، لأنه يدل على ورم حار في باطن البدن تنعكس إليه الحرارة. وبالجملة الحرارة التي ليست مستوية في جميع البدن دليل رديء، لأن ذلك[8] يدل على ورم في الأعضاء الشريفة كالدماغ أو الكبد أو المعدة.

– إذا كان في اللسان بثور مع برد في الأطراف دل ذلك على أن الموت قريب: إذ كان ذلك يدل على أن في المريء والمعدة قروحا خبيثة.

– إذا كانت الأصابع والأظفار خضرا تضرب إلى الكمدة، والنبض قد ضعف، فالموت قريب. وإن كانت سودا مع قوة النبض، و[9] في يوم باحوري، دل ذلك على السلامة وأن المرض ينقضي بتقيح تلك المواضع، أو بخراج يخرج.

– إذا كان في بدن العليل قرحة متقدمة فاخضرت أو اسودت، فتلك علامة رديئة: وذلك أن العضو المؤوف (المصاب) هو أول عضو تخمد[10] فيه الحرارة الغريزية إذا

---

(١) ت: والوجه (٢) ت: إذا (٣) ت: لبرد (٤) غ: سقط "للحرارة الغريزية" (٥) ت: ضعف (٦) ب: يظهر "متلوية"؛ م: سقط؛ ت: من دون نقط؛ ج: الأنف والشفة ملتوية (٧) ب: البدن (٨) غ، ت: لأنه (٩) م، ج: سقط "و" (١٠) غ، م، ج: تجمد؛ ت: يظهر "تجد".

ظهر في البدن في[١] الأمراض الحادة نقط صغار، كحب الجاورس[م]، فهو دليل[٢] رديء. وذلك أنه يدل على قلة قبول المادة للنضج.

– الفصل الذي يقول فيه أبقراط: إن حدوث اليرقان[م] قبل السابع دليل[٣] رديء قد أكذبته التجربة في بلادنا هذه، وبخاصة في الأمزجة الحارة والفصل الحار فيما حكاه أطباء العراق وبعض أطباء الأندلس[٤]. وعسى ذلك كان بالإضافة إلى بلاد اليونانيين: فإن تلك البلاد أبرد. وإنما كان عند أبقراط دليلا رديئا لأنه أحد ما تكون به[٥] البحارين. والبحارين[٦] التي تكون[٧] قبل النضج دليل سوء، وكأنه شاهد في بلاده أن ما كان يأتي من البحارين بيرقان قبل السابع، فإن ذلك يكون عن غير نضج.

[١٥١] وأما الاستدلال بالأعراض التي تظهر فيما يبرز من البدن:

– فإن البراز الأسود والأخضر[٨] والمنتن والدسم في الأمراض الحادة، دليل على الموت. لأن الأسود يدل على الاحتراق، والدسم على ذوبان الأعضاء والشحم.

– والبراز الرقيق الأبيض[٩] رديء أيضا، لأنه يدل على ضعف الهضم وعلى أن المرار ترقى إلى أعالي البدن، وذلك في الحمى الحادة. والحال في ذلك كالحال في الماء الأبيض في هذه الحمى.والبراز الأبيض[١٠] يدل أيضا على يرقان.

– البراز اللزج اليسير رديء، وذلك أنه يدل على الذوبان.

– البراز المختلف الألوان منذر بطول المرض وغلبة الأخلاط المختلفة، وهو في الإسهال من علامات السلامة[١١].

– وكل مرض تخرج في ابتدائه المرة السوداء، إما من فوق وإما من أسفل، فإنه يدل على الموت: وذلك أنه إذا خرج هذا الخلط في ابتداء المرض دل إما على كثرته وإما على ضعف القوة[١٢] أو على كليهما.

– والسحج[م] الذي يكون عن المرة السوداء الحامضة مهلك إذا كان البراز مرارا[١٣] صرفا وذهبت به شهوة الطعام فإنه رديء. وكذلك سقوط الشهوة الذي يتبع[١٤] إسهال الدم رديء أيضا.

– البول الأسود الثفل يدل على الهلاك.

– البول[١٥] الرقيق في الصبيان إذا دام مدة من الزمن طويلة كان رديئا، وذلك أن البول الطبيعي منهم غليظ وفيه رسوب.

---

(١) ت: الأبدان من (٢) غ، م، ت، ج: سقط "دليل" (٣) ت: سقط "دليل" (٤) غ، ت: سقط "فيما حكاه...الأندلس"؛ ج: ثبتت العبارة قبل عبارة "وبخاصة...الحار" (٥) ت: فيه (٦) ت: سقط "والبحارين" (٧) غ، م، ت، ج: تأتي (٨) ت: الأبيض (٩) ت: الأصفر (١٠) ج: سقط "الأبيض" (١١) غ، ت: سقط "وهو في...السلامة" (١٢) غ، م، ج: القوى؛ ت: سقط (١٣) ب، ج: مراريا (١٤) غ، م، ت: التي تتبع (١٥) ت: أضيف "و".

– والبول[1] المائي في الأمراض الحادة رديء مهلك.

– البول المتثور الذي لا يصفو رديء. وذلك أنه يدل على قوة الحرارة الغريبة[2] وتثورها.

– البول السويقي والنخالي والصفائحي كلها مع الحمى الحادة رديئة متى لم تكن من الكلى والمثانة، فإنه إذا كانت منهما فلا[3] تدل على الهلاك. وإنما تدل على الهلاك إذا كانت من ذوبان الأعضاء. والفرق بين الذي يكون من المثانة والكلى وبين الذي يكون عن ذوبان الأعضاء: الوجع الذي يكون هنالك. أعني في الكلى والمثانة.

– والقيء الأسود والزنجاري رديء فإن كان مع هذا مُنْتِنا دل على الموت.

– العرق الذي يكون في غير يوم من أيام البحران، وليس تسكن به الحمى، دليل رديء. فإن كان مع هذا باردا، وكان في الرأس والرقبة، كان أردأ. فإن كان مع حمى حادة دل ذلك على الموت. وإن كان مع حمى غير حادة دل على طول المرض.

– الرعاف الذي تكون فيه قطرات قليلة سود[4] فإنه يدل على الهلاك في الحميات المحرقة، وذلك أن هذا دليل على ورم عظيم في الدماغ.

[١٥٢] وأما العلامات المأخوذة من الأفعال فهي هذه:

– إذا كانت العينان تحيدان عن الضوء وتدمعان من غير إرادة، فذلك دليل رديء. وإن كانت مع ذلك حركتهما[5] كثيرة، وهما مزورتان، وإحداهما أصغر من الأخرى، فإنها علامة مهلكة، والازورار في العين يكون لتشنج الدماغ. وكذلك تقلص إحداهما، إذا[6] وجدت[7] العليل ينحدر عن رأسه نحو قدميه، كان ذلك دليلا على الموت. وذلك أن هذا يدل على أن القوة الحاملة للبدن قد بطلت. وهذه العلامة[8] شاهدتها في أستاذي، رحمه الله، وأنا فتى لم أنظر في شيء من صناعة الطب فمات لأيام يسيرة[9].

– وبالجملة متى كان وضع العليل وضعا ليس يكون من أوضاع[10] الأصحاء فإن ذلك دليل رديء. وكذلك إذا لم يكن من عادته. وكذلك التوثب الشديد للجلوس[11] والتعلق بما يجد[12] في وقت المنتهى دليل مهلك.

– إذا لم يسمع العليل أو لم يبصر وقد ضعفت قوته فالموت منه قريب.

– التنفس المتفاوت العظيم رديء لأنه يدل على اختلاط العقل، وذلك أن من يختلط عقله أو يذهل شأنه أن يفعل أفاعيل من غير نظام.

---

(١) ج: سقط "و" (٢) ت: الغريزية (٣) ب، م، ج: فإنها...منها(ج: منهما) فإنها لا(م، ج: فلا) (٤) ب: سود (٥) غ، ب، م، ت: حركتها (٦) ج: وإذا (٧) م: وجدها (٨) ج: العلة (٩) غ، م، ت: سقط "وهذه العلامة...لأيام يسيرة" (١٠) غ، م، ت، ج: سقط "أوضاع" (١١) ت: والجلوس (١٢) م: يحدث.

- التنفس[١] المتعثر في مجاريه دليل رديء، لأنه يدل على تشنج عضل الصدر.
- إذا كان النوم يحدث وجعا فذلك من علامات الموت.

[١٥٣] وأما الدلائل المأخوذة من الأمراض، فهي كل مرض يحدث[٢] عقب مرض آخر، وكان الحادث أشد من الأول، أو في عضو أشرف فهو رديء جدا، مثال ذلك: ورم الذبحة إذا انتقل إلى الرئة في الرابع، فإن المريض يموت في السابع. ومنها كل مرض دل[٣] على عظم السبب الفاعل للمرض المتقدم، مثال ذلك: اسوداد موضع في الجنب في صاحب ذات الجنب[م]، فإنه يدل على الموت السريع. ومنها أن يكون المرض الحادث من جنس السبب الفاعل للمرض الأول، مثل[٤] حدوث الزكام بصاحب قرحة الرئة. والفواق في الأمراض الحادة دليل مهلك، وذلك أنه يدل على التشنج[٥]. ومنها أن يكون المرض الحادث في الغاية من المضادة للمرض المتقدم كالاستسقاء الذي يحدث بعقب الأمراض الحادة.

[١٥٤] وهذا القدر من العلامات فيه كفاية في التنبيه على ما ذكره الأطباء من ذلك، فإن كتابنا هذا ليس كتابا حافلا في الصناعة، وإنما نذكر فيه الأشياء التي تجري مجرى الأصول والأمور الكلية من هذه الصناعة. والذي بقي علينا القول فيه من العلامات هي علامات[٦] أمراض الأعضاء الباطنة.

[٣٦-] في دلائل الأعضاء الآلمة

[١٥٥] والأشياء التي يطلب الاستدلال عليها هاهنا هي أحد ثلاثة أشياء، كما قلنا: إما العضو الآلم. وإما مرضه، أي مرض هو؟ وإما سبب المرض، أي سبب هو[٧]؟ وأعني هاهنا بالسبب: الفصل[م][٨] الخاص بالمرض. والأشياء التي منها يكون الاستدلال على هذه الأشياء في الأكثر هي الأعراض الداخلة على أفعال الأعضاء وانفعالاتها والأعراض اللازمة عنها. وذلك إما في ظاهر البدن، وإما فيما يظهر في الفضلات البارزة من البدن. أما الأعراض الداخلة على الأفعال والانفعالات فتدل أكثر ذلك على العضو الآلم، وذلك متى كان الفعل المضرور أو الانفعال خاصا بذلك العضو ومساويا، مثل سقوط الشهوة الدال[٩] على اعتلال فم المعدة. وأما متى لم يكن خاصا فإنه لا يدل على العضو الآلم. مثال ذلك عسر حركة الأصابع، فإنه لا يدل على أن الألم في الأصابع أنفسها، بل قد يكون ذلك عن اعتلال العصب الواصل إليها. وقد يتفق أن يكون العرض الداخل

---

(١) ب: النفَسُ (٢) غ، م، ج: حدث (٣) ت: دال (٤) ت: ومثل؛ ج: مثال ذلك (٥) ب: أضيف "اليابس"
(٦) م: سقط "هي علامات" (٧) غ، ت، ج: سقط "أي مرض هو" و "أي سبب هو" (٨) ت: في المتن "الفعل" وفي الهامش "الفاعل"؛ ج: الفاعل (٩) م: الدالة.

على أفعال الأعضاء وانفعالاتها دالا على العضو وعلى المرض نفسه، وذلك إذا كان خاصا بهما معا. مثال ذلك الوجع الحاد الناخس، فإنه يدل على أن العضو المؤوف غشائي، وأن فاعله خلط مراري. والجشاء الحامض يدل على اعتلال[١] فم المعدة وأن الفاعل سبب بارد. والمواضع من ظاهر البدن التي يحس بحذائها الألم تدل على العضو الآلم، إذا كان ذلك الموضع خاصا بذلك العضو. مثال ذلك الوجع فيما دون الشراسيف[م] فإنه دليل على أن المرض في المعدة. وأما متى لم يكن خاصا فإنه ليس بدليل. مثال ذلك وجع الخاصرة[م]، فإنه قد يمكن أن يكون عن مرض في المعى الغلاظ أو في الكلية.

[١٥٦] والأشياء التي تبرز أيضا من البدن تدل على العضو الآلم، وذلك: إما بطبائعها وخلقها مثل القشر الصفائحي، فإنه يدل على علة الكلى، والنخالي على علة المثانة، وذلك إذا[٢] لم تكن هنالك حمى حادة؛ وإما بمقاديرها مثال ذلك أنه متى نفث إنسان بالسعال عرقا[٣] كبيرا دل على أنه من الرئة، وإن كان صغيرا دل على أنه من قصبة الرئة؛ وإما[٤] من موضع خروجها أو من جهة خروجها. أما من الواضع[٥] فمثل خروج الدم من المقعدة، فإنه يدل على أن المرض: إما في المعى، وإما في مقعر الكبد. وإذا خرج من طريق البول دل على أن المرض إما في المثانة وإما في الكلى وإما[٦] في محدب الكبد. ومثال جهة خروجها أن الدم الذي يكون بالسعال يدل على أن خروجه من الرئة، والذي يكون بالتنخع[م] يدل على أنه من المريء. وللنبض والوجع دلالة قوية على العضو الآلم وإن كانا[٧] من جنس الأعراض الداخلة على الأفعال والانفعالات، فإن تفصيل دلالتهما[٨] يجري مجرى القوانين الكلية.

[١٥٧] أما النبض المئشاري[م][٩] فإنه يدل على أن العلة في عضو عصبي، وأما الموجي فإنه يدل على عضو لحمي. وأما الوجع إذا كان ناخسا كأنه يستدير عرضا فهو في عضو غشائي. وإن كان رخوا دل على أن المرض في اللحم. وإن كان ضاربا دل على أن الألم[١٠] في عضو[١١] كثير الشرايين، ومعنى ذلك أن الإنسان يحس بضربان (=نبض) العرق في موضع الألم. وإن كان ثقيلا دل على أن العلة في عضو عديم العصب كالكبد والطحال. وإن كان ممتدا بالطول دل على أن العلة في عصبة أو عرق. وإن كان شبيها بالمثقب والمسلة[م] فهو يدل على أن المرض في عضو غليظ. وذلك إما في الكلى وإما في المعى الغليظ[١٢]. وإن كان مكسرا[١٣] دل على أن الألم[١٤] في عضو عظمي.

---

(١) ت: اختلال (٢) ب: إن (٣) ت: علقا (٤) ت: فأما (٥) ج: الموضع (٦) غ، ت؛ ج: المرض في المثانة أو...أو؛ ب: المرض في المثانة... (٧) ت: كان (٨) ب، ت: دلالتها (٩) غ، ت: النشاري، ويطرد هذا الفرق في باقي النص (١٠) ب: الوجع (١١) ج: سقط "عضو" (١٢) ج: الغلاظ (١٣) ب: مكتنزا (١٤) م: المرض.

[١٥٨] فهذه هي الطرق التي منها يمكن أن يوقف على العضو العليل. ولست أحتاج أن أفصل لك هاهنا الأفعال الخاصة، والانفعالات، بعضو عضو، ولا المشتركة: فإن ذلك شيء قد عرفته من كتاب الصحة. ولا أيضا مواضع الأعضاء. والذي يحتاج فيه هاهنا إلى بعض تفصيل هو أن نقول في أصناف دلالات ما يبرز من البدن على العضو، فنقول:

[١٥٩] إن الأشياء التي تبرز من البدن صنفان: صنف شأنه أن يبرز منه كالبول والغائط والبصاق، وصنف ليس شأنه أن يبرز منه كالدم وبعض أجزاء الأعضاء. فأما الصنف الذي شأنه أن يبرز فالأعراض اللاحقة له إنما يستدل بها[١] أكثر ذلك على الأمراض وأسبابها، وقد قيل فيما سلف في دلالاتها[٢]. وأما الأشياء التي تبرز من البدن من غير أن يكون شأنها أن تبرز منه فهي تدل أكثر ذلك على العضو الآلم. وأنت فقد عرفت جواهر الأعضاء من كتاب التشريح فلا يخفى عليك ذلك، والذي ينبغي أن نفصل هاهنا هي دلالة خروج الدم، فنقول:

[١٦٠] إن الدم إما أن[٣] يبرز من أعالي الجسم وإما من أسفله. فأما الدم[٤] الذي يبرز من أعالي الجسم فإما أن يكون من الفم، وخروج هذا يكون بالبصاق. وإما أن يكون من الحلق، وخروج هذا يكون بالتنخع. وإما أن يكون من المعدة، وخروج هذا يكون بالقيء. وإما أن يكون من الرئة أو من الصدر، وخروج هذا يكون بالسعال. لكن الذي يكون من الرئة يكون كثيرا ويقذف به دفعة واحدة ويكون مع ذلك دما شريانيا زبديا، وبغير وجع. والذي يكون من الصدر يكون معه وجع، وليس يكون[٥] بتلك الكثرة ولا يخرج دفعة، ولا يكون لونه لون دم[٦] الرئة، ويخرج فيه علق اللهم إلا أن ينبثق[٧] هنالك شريان، وقد ينزل دم من الرأس يحدث سعالا ويظن[٨] أنه من الرئة. لكن هذا الدم يخالف دم الرئة بلونه وقوامه، فإن كثيرا ما يكون هذا الدم منعقدا. ويستدل أيضا عليه بعلامات[٩] الامتلاء في الدماغ. وقد يخرج الدم من المريء وعلامته الوجع بين الكتفين.

[١٦١] وأما الدم الذي يخرج من أسفل فقد يكون من انفتاح أفواه العروق التي في فم المقعدة، وهذا تستعمله الطباع على وجه الاستفراغ، ما لم يفرط و[١٠]ذلك عند تزيد الدم في كميته[١١] أو فساد كيفيته. وهذا يوقف عليه من الأعراض التي تعرض لفم[١٢] المقعدة[١٣]. وقد يكون الدم الذي يخرج من هذا السبيل إما لقروح وسحج في المعى، وإما

---

(١) ب: به (٢) ب، م، ج: دلالتها (٣) ت: إنما (٤) ت: فالدم (٥) ت: يكاد (٦) م: ثبت "الدم" وتحت السطر ما يقرأ "الدم الذي يكون من" (٧) ج: ينشق (٨) غ، م، ت، ج: فيحدث...ويظن به (٩) غ، م، ت، ج: بعلامة (١٠) غ: سقط "و" (١١) ج: سقط "في كميته" (١٢) غ، م: بفم؛ ت: في فم (١٣) ت: المعدة.

لضعف القوة الماسكة في الكبد، أو لرداءة كيفية الدم، فتدفعه القوة الدافعة. ويعم هذين الصنفين من الدم، أعني الذي يكون عن ضعف القوة الماسكة وعن السحج، أنهما يكونان شبه[1] الماء الذي يغسل به اللحم، أعني أنه لا يكون دما صرفا. ويخص الذي يكون عن سحج المعى أنه يكون بوجع في العضو الآلم، ويكون خروجه قليلا قليلا، ويكون مختلطا بالخراطة[م] التي في الأمعاء. وأما الذي يكون من الكبد فيستدل عليه بالأعراض الدالة على ضعف الكبد مع أنه يخرج بغير وجع. وأما الذي تدفعه الكبد لرداءته فيستدل عليه بلونه، وذلك أنه دم أسود محترق. وأما الدم الذي يخرج[2] من مجرى البول فقد يكون من المثانة ومن الكلى ومن مقعر[3] الكبد. والذي يكون من الكلى يكون خروجه على أحد وجهين: إما لانفتاح[4] عرق فيها أو لانصداعه[5]، كما يعتريها في الحصى المتولدة فيها. فإن هذه الحصى زعم جالينوس أن منها ما يتولد[6] في نفس جرمها ثم يشق[7] اللحم ويخرج[8]، والأشهر أنها تتولد في التجويف[9]. وتولدها أما أولا فيكون[10] لضعف القوة المميزة للجزء المائي من الجزء الأرضي من المائية التي تغتذي بها الكلى والمثانة، وقد يكون ذلك لضعف القوة المشبهة[11] تلك المائية التي يغتذي بها العضو بذلك العضو[12] بأن[13] تقلبها حجرية لا جزء كلى ولا جزء مثانة. وذلك إما لغلبة اليبس والحرارة، وإما اليبس والبرودة على ما يعتري ذلك في قنوات الماء. وقد يكون الأمر للعلتين جميعا. وقد يكون لكون الأغذية التي يغتذي بها العليل أرضية.

[١٦٢] وقد تجتمع الأسباب كلها كما يقول جالينوس في هذه الأشياء[14]. ولذلك[15] إذا ابتدأت الحصى في التكون ابتدأ الوجع حتى تندفع[16]. وإما لضعف القوة الغاذية التي فيها عن أن تغتذي بتلك المائية الدموية التي أعدت لغذائها[17]. ويستدل على الدم الذي يكون من مقعر[18] الكبد من الأعراض الدالة على ضعف الكبد مع عدم الأعراض الدالة على ضعف الكلى. ويستدل على الذي يكون لضعف الكلى بالأعراض التابعة لضعف[19] الكلى، مثل الوجع الذي يصيبها لسوء[20] المزاج وهزال الجسم وضعف الباه[21][م]. وأما[22] إذا كان الدم الخارج عنها لانفتاح عرق فالفرق بينه وبين الدم الذي عن ضعف القوة الغاذية التي فيها أن الدم الذي يكون عن انفتاح العرق يغلب على طبيعة البول حتى يظهر البول كله دمويا، وذلك في أول الأمر. وأما الدم الذي يكون

---

(١) غ: شبيه؛ ج: شبيهي (٢) ج: يجري (٣) م، ج: محدب (٤) غ، ت: بانفتاح (٥) ت: لانصداعها (٦) غ، ت: "إنما تتولد" عوض "زعم جالينوس...يتولد" (٧) م: ينشق (٨) غ، ت: تشق...وتخرج؛ ج: سقط "ثم يشق اللحم ويخرج" ((٩) غ، م، ت: سقط "والأشهر...التجويف"، ويمتد السقط في غ و ت إلى "...جالينوس في هذه الأشياء" (١٠) في م: "يكون أولا" وفي ج: "أبدا يكون أولا" عوض "أما أولا فيكون" (١١) م: الشبيهية (١٢) م: سقط "بذلك العضو" (١٣) م: لأن (١٤) ج: أضيف "أنها تتولد في نفس جرمها ثم تشق اللحم وتخرج" (١٥) غ: وكذلك (١٦) ب: يندفع (١٧) م: سقط "وكذلك إذا...أعدت لغذائها" (١٨) م، ج: محدب؛ (١٩) ج: التابعة الدالة على ضعف (٢٠) ب: لضعف (٢١) ب: الباءة (٢٢) غ، ت، ج: سقط "أما".

من[١] ضعف الكلى فإنما يكون غُساليا[٢]. وأيضا فإن الأعراض التابعة لضعف الكلى ليس تكون في أول الأمر ظاهرة في هذه العلة كظهورها في العرض التابع لضعف القوة الهاضمة. وأما إن كان لانصداع عرق فيها أو تآكله فإنه يستدل عليه بالوجع، فإن هذا شيء ينبغي أن تخطره[٢] ببالك. أعني أن الدم الذي يكون عن انفتاح أفواه العروق يكون أكثر ذلك بغير وجع، كما يعتري المرعوف.

[١٦٣] وأما الذي يكون عن الانصداع أو عن التآكل[٣] فإنه يكون أكثر ذلك بوجع، ما لم يتمكن بالعرق سوء مزاج مستو[٤]. وأما الذي يكون من المثانة فإنما يكون بوجع لأن الدم إنما يخرج من هذا العضو أكثر ذلك[٥] من جهة الأخلاط التي تسحجه. ومن الأشياء البارزة عن البدن، مما شأنه أن يخرج منه[٦] مما[٧] لم نذكره بعد، إذا خرجت عن الطبع في كميتها وكيفيتها دلت على الأعضاء الآلمة: العرض المسمى إسهالا وإن كان لم يذكره جالينوس[٨]. فإنه قد تبين في كتاب المرض أن هذا العرض قد يكون لضعف المعى أو لضعف المعدة أو لضعف الكبد أو لضعف الأعضاء أنفسها، وأعني هاهنا بالضعف سوء[٩] المزاج غير المادي. وقد يكون هذا العرض أيضا لسوء مزاج مادي حاصل في واحد[١٠] من هذه الأعضاء أو في أكثر من واحد، وحينئذ لا يدل هذا العرض على العضو الآلم فقط، بل وعلى السبب الفاعل.

[٣٧- الاستفراغ .. والعضو الآلم]

[١٦٤] وينبغي أن نشرع في العلامات التي إذا اقترنت بهذا الاستفراغ دلت على العضو الآلم. فنقول: إن الفرق بين الإسهال الذي يكون عن مرض مادي في واحد[١١] من هذه الأعضاء أو في أكثر من واحد، وبين الذي يكون عن مرض غير مادي: أن الذي يكون عن مرض مادي يخرج مع الثفل فيه الخلط الفاعل لذلك المرض. فإذا كان الإسهال[١٢] عن المعدة استدل عليه بالأعراض التابعة لألم[١٣] المعدة، سواء كان مرضها عن سوء[١٤] مزاج مادي أو غير مادي. ويخص ذلك ضرورة قلة لبث الطعام في المعدة[١٥]. وذلك أن الذي يكون من قبل المعدة إنما سببه أحد أمرين: إما ما يزعج القوة الدافعة إلى الدفع ويرهقها، وإما لضعف القوة الماسكة. وأي ما كان، فيلزم عن ذلك ضرورة قلة لبث الطعام فيه[١٦].

---

(١) م: عن (٢) م: تحضره (٣) ج: انصداع أو تآكل (٤) ج: ثبت في الهامش "صوابه كذا مستوْل" (٥) م: سقط "ذلك" (٦) ب: سقط "منه" (٧) ت: ما (٨) غ، ت: سقط "وإن كان...جالينوس" (٩) ب: السوء (١٠) غ، ب، م، ت: واحد واحد (١١) ت: واحد واحد (١٢) ت: سقط "الإسهال" (١٣) غ، م، ج: لآلام؛ م: أضيف "فم" (١٤) ت: لسوء (١٥) غ، م، ت: فيه؛ ج: فيها (١٦) ت، ج: فيها.

[١٦٥] وقد يكون الإسهال من المعى نفسه كما قلنا، ويستدل عليه بالأعراض التابعة لضعف المعى، وأن تكون مع ذلك المعدة ليس بها ضرر، بل يمكث فيها الطعام الزمن الطبيعي للبثه[١]. وأما الذي يكون من الكبد أو من العروق أو من بعض الأعضاء كالرأس وغير ذلك، فيستدل عليه إن كان ماديا بالعلامات[٢] الدالة على غلبة الخلط على ذلك العضو، وبالأعراض الخاصة بذلك العضو، كما حكى بعض الأطباء أن إنسانا كان به إسهال فكان يشتد عقب النوم ويخف في اليقظة، فحدس من ذلك أن الخلط الفاعل لذلك من[٣] الدماغ، فقصد إلى معالجته فبرئ. وأما النوع من الإسهال الذي يكون عن السدد[٤] العارضة في الجداول الواصلة من المعى إلى الكبد، فإنه يستدل عليه بأن يخرج الطعام كيلوسا مع لبثه الطبيعي في المعدة والمعى أو قريبا من لبثه الطبيعي. وإذا عرض هذا المرض لحق عن[٥] ذلك هلاس(؟) البدن في مدة يسيرة أقصر من مدد الزمن الذي يلحق فيه[٦] الهلاس من ضروب الإسهال الأخر. وإذا تركبت هذه الأمراض صعب الوقوف عليها.

[١٦٦] وبالجملة فجل هذه العلامات إنما هي حدسية تخمينية من جنس الأقاويل الظنية[٧]. ولذلك ما(=ما: زائدة) ينبغي أن يتحرى الاجتهاد فيها. فإذا غلب على ظنه شيء ما من ذلك استعمل أولا في ذلك لطيف العلاج، وذلك بحسب ما ظن في المرض، فإن أنجح تمادَى وعلم أن الذي ظن صادق وإلا أعرض عن ذلك. مثال ذلك أنه متى ظن أن السبب في الإسهال هو السدد استعمل في أدويته يسير تفتيح[٨]، فإن رأى النُّجْح(=النجاح) تبع ذلك ووثق[٩] بظنه، وإلا تدارك بعد ذلك خلل ما صنع. ولذلك تعدُّ[١٠] الأطباء السبار(؟) الذي يكون بالعلاج أحدَ الأجناس التي يوقف منها على الأمراض وأسبابها. وكذلك متى ظننا أن سبب المرض سبب حار عالجناه بالأشياء المبردة تبريدا يسيرا، فإن وجدناه ينتفع بذلك وثقنا بظننا[١١] وقوينا على المرض في قلعه[١٢].

[١٦٧] فهذه هي الطرق التي يوقف منها أكثر ذلك على تعرف الأعضاء الآلمة. وقد يوقف على ذلك بأعراض[١٣] تعرض في العضو المشارك للعضو المريض. مثال ذلك السعال الحادث عن ورم الجنب وعن ورم الكبد وانجذاب الترقوة عن ورم الكبد. لكن أمثال هذا الاستدلال إنما تدل[١٤] على العضو الآلم باقتران غيره إليه[١٥] من الدلائل. مثال ذلك أن السعال والنفث إنما يستدل منه[١٦] على ورم الجنب متى كان هنالك وجع

(١) م: يلبثه (٢) م، ت، ج: بالعلامة (٣) غ، م، ت، ج: في (٤) ب: السدة (٥) غ، ب، م، ت: سقط "عن" (٦) ب، م: من مدة...فيها (٧) ت: الطبية؛ ب: صححها في الهامش (٨) غ، م، ت: تفتح (٩) غ، ب، م، ت: يتبع ذلك وثق (ب: تحت عبارة "وثق" ما يمكن أن يكون "و") (١٠) ج: جعل (١١) غ: يظهر "بطبنا" (١٢) م: فعله (١٣) ت، ج: بالأعراض التي (١٤) غ، ب، م، ت: يدل (١٥) ج: سقط "إليه" (١٦) ب: به.

ناخس[١] وحمى حادة. والأعضاء الآلة منها ما يكون حدوث الألم فيها حدوثا أوليا، ومنها ما يكون بمشاركة غيره من الأعضاء. والقانون الطبي في ذلك أن الأعضاء التي يزيد اعتلالها باعتلال أعضاء أخر وينقص بنقصانها أن تلك الأعضاء مريضة عن[٢] غيرها. مثال ذلك أن الصداع الذي يزيد بتهوع[م][٣] المعدة أو فساد الأغذية فيها أو خلوها من الطعام، فإنما هو عارض من الدماغ[٤] بمشاركة المعدة. وهذا الموضع هو موضع إقناعي. وذلك أنه قد يتفق أن يتزيد[٥] مرض عضو ما بتزيد مرض[٦] عضو آخر بضرب من العرض، أو لأن العضو به[٧] مرضان: مرض خاص ومرض مشارك، فيزيد المرض المشارك في المرض الخاص، فيظن به أن مرض ذلك العضو مرض مشارك فقط. ولذلك موضع الوجود والارتفاع هو أقوى من هذا. وذلك أن العضو الذي يصح بصحة عضو آخر ويمرض بمرضه، قد يظن أن ذلك العضو هو السبب في مرضه. لكن في هذا أيضا اختلال ما. وذلك أنه قد يكون مرضاهما تابعين لمرض عضو آخر، ولموضع وهاية (وهيٌ)[٨] هذا الاستدلال فينبغي للناظر في هذه الصناعة أن يستكثر من الأدلة ما أمكنه، فإذا قوي ظنه في أمر ما امتحن ذلك بالمعالجة الرفيقة، فإن شهدت بصدق ما ظن قطع بذلك وإلا استدل على العلة بوجه آخر.

[٣٨- الطرق التي بها يوقف على الأمراض وأسبابها]

[١٦٨] وإذ قد قلنا في الطرق الكلية التي منها يوقف على الأعضاء الآلة فلنقل في الأمور التي منها يوقف على الأمراض وأسبابها، فنقول: إن الأمراض التي يحتاج إلى الاستدلال عليها هي بالجملة إما سوء مزاج مادي أو غير مادي. والمادي إما مع ورم وإما بغير ورم. أما سوء المزاج المادي فيستدل عليه بالعلامات الدالة على غلبة الأخلاط[٩] على البدن أو على العضو المؤوف، وقد تقدم لنا[١٠] ذكر ذلك. وقد يستدل أيضا من الأشياء التي تبرز من البدن على الخلط الفاعل لسوء المزاج المادي. وذلك فيما يخرج بالقيء أو بالبراز[١١]، وفي البول علامة صالحة على جنس السبب الفاعل، وجميع هذا قد تقدم. وكذلك النفث أيضا مما يستدل به على نوع السبب الفاعل: مثال ذلك أن النفث[١٢] الأحمر دليل على غلبة الدم، والأصفر دليل على غلبة الصفراء، والأسود دليل على غلبة الخلط الأسود المحترق. ولذلك كان في أمراض الصدر دليلا[١٣] على الهلاك. وإنما[١٤]

---

(١) م: سقط "ناخس" (٢) ت: من (٣) ب، ت: عند تهوع (ت: تفرغ) (٤) غ، م، ت، ج: للدماغ (٥) ب: يزيد (٦) م: "من" عوض "ما بتزيد مرض"؛ ج: سقط "مرض" (٧) ت، ج: للعضو (٨) ج: ثبت في المتن "وهاء" وكتب في الهامش "صوابه وَهْي" (٩) غ، م، ت، ج: بالعلامة...الخلط (١٠) غ، ب، م: لك (١١) ب، م: من القيء (ب: بالقيء) أو البراز (١٢) م: سقط "أن النفث" (١٣) م: سقط "على غلبة الخلط...الصدر دليلا" (١٤) م: وأما.

النفث المحمود[1] الأبيضُ الأملس المستوي الذي ينفث ويخرج بسهولة. وأما الأورام فإنه[2] يستدل على الخلط الفاعل لها بالعلامات الدالة على غلبة الخلط. والوجع أيضا دليل على السبب الفاعل. وذلك أن الأوجاع الحادة إنما تكون بالجملة عن الأخلاط الحارة. وأما الوجع المثقبي والمسلي[4] فإنما يكون عن الخلط البارد كالوجع الحادث في القولنج، أو عن خلط متحجر كما يعرض في وجع الحصى.

[١٦٩] والنبض أيضا له[3] دلالة خاصة على طبيعة الأورام. ولذلك قد ينبغي أن نشير إلى طرف من ذلك، فنقول: إن النبض في الأورام الحارة هو النبض الصلب الصغير[4] السريع المتواتر المختلف اختلافا منشاريا. أما صلابته فلموضع تمديد المادة للشريان، وأما صغره فلموضع صلابة العرق، وأما تواتره وسرعته فلموضع الحاجة إلى التعديل ليستوفي بدل ما فاته من العظم بالسرعة والتواتر، وأما المنشارية فسببها أن القوة تضطر الشريان إلى أن ينبسط و[5]لأنه لا يواتي لذلك فلا تنبسط جميع أجزائه معا بل بعضها يتلو بعضا في الانبساط حتى يعرض عن[6] ذلك[7]، شبيه بإحساس من[8] حركة المنشار. والنبض في الأورام الصفراوية أشد تواترا منه في الدموية لموضع شدة حرارتها، وأكثر منشارية لموضع يبس الصفراء وتصليبها للشريان. وأما الأورام البلغمية فإنها تجعل النبض صغيرا متفاوتا بطيئا. وسبب هذا هو غلبة البرد وضعف القوة. وهذا النبض لا يكون فيه اختلاف منشاري بتة، لرطوبة الخلط الفاعل لها. وأما الأورام السوداوية فإن النبض فيها يكون صلبا لموضع يبوسة هذا الخلط[9] رقيقا، والمنشارية فيه ظاهرة، ويكون مع هذا متفاوتا بطيئا. ومما يتبع الأورام الحادثة في الأعضاء الشريفة[10] الحمى. ولذلك كانت أحد الدلائل الدالة عليها إذا[11] كانت تلك الأورام مما شأنها أن تقيح[12]، لأن ما ليس شأنه أن يقيح فليس تتولد فيه حرارة غريبة، كالأورام الريحية[13] أو الصلبة. وهذه الأعضاء على ما أعطت المشاهدة هي الدماغ والكبد والرئة والمعدة والمعى الدقاق[14] والطحال[15] والكلى والمثانة والرحم.

[١٧٠] فهذه هي جميع أجناس العلامات التي يستدل منها على نوع المرض الحادث بالعضو المؤوف. وأحسبني لو لم أذكر لك العلامات الخاصة بمرض مرض في[16] عضو عضو من الأعضاء الباطنة وبالأعضاء أنفسها لأمكنك من تلقاء نفسك أن تأتي بها.

---

(١) ت: سقط "المحمود" (٢) م: فإنما (٣) ج: وللنبض أيضا (٤) غ، ت، ج: سقط "الصغير" (٥) ج: سقط "و" (٦) م: من (٧) ت: لذلك (٨) ج: سقط "من" (٩) ج: أضيف "وغلظه" (١٠) م: سقط "الشريفة" (١١) ب: إنما؛ ت: إذ (١٢) ج: شأنه أن يقيح (١٣) ت: الذبحية (١٤) جل النسخ تتأرجح بين تسمية هذا العضو بـ"المعى الرقاق" و "المعى الدقاق" (١٥) ت: لم يرد "والمعدة" و "والطحال" (١٦) غ، ت: سقط "مرض في" (ب، ج: انظر الهامش التالي).

لكن الأولى أن نعدد الأمراض[١] التي تجري مجرى الفروع من هذه الصناعة. وهو أن لا[٢] (# ولو كان لا) ينظر في عضو عضو من هذه الأمور الجزئية[٣] النظر الذي يخصه لاكتفينا بالأمور الكلية، ولكن النظر الأتم، كما يقول جالينوس، هو أن نتكلم[٤] في الأمور الجزئية على طريق الرياضة، إذ كانت هي المطلوبة في هذه[٥] الصناعة، فنبتدئ نحن فنعدد من ذلك أمراض[٦] الأعضاء المشهورة ونرشد إلى العلامات الدالة عليها، فإن في ذلك رياضة ما، واستيفاء أمور جزئية ربما لم تنطو[٧] في الأقاويل الكلية. ولأن أيضا كثيرا من هذه العلامات ليست تدل، إذا أخذت من حيث هي مفردة لكونها أعم من المرض أو من العضو المريض، بل[٨] إذا أضيف إليها غيرها، كان أيضا من الواجب أن نشير إلى مجموع الأعراض الخاصة بمرض مرض. مثال ذلك أن الوجع الناخس في الجنب مع الحمى والنفث والنبض المنشاري دليل على ورم الغشاء الذي في الأضلاع. فلنبدأ بأمراض الدماغ.

[٣٩- أمراض الدماغ]

[١٧١] وأكثر أمراض الأعضاء الباطنة التي يحتاج إلى الاستدلال عليها هي إما أورام وإما سوء مزاج مادي أو غير مادي. والدماغ يعرض له أصناف سوء المزاج، أعني الحار والبارد والرطب واليابس. ويستدل على واحد واحد منها بالعلامات الدالة على غلبة ذلك المزاج على الدماغ، مثل حمرة الوجه والعينين وسخونة الملمس التي تدل على غلبة الدم. ويخص[٩] سوء المزاج الحار أو البارد أنه يتبعهما الوجع المسمى صداعا إلا أنه في المزاج الحار أحَدُّ[١٠]. وأما الرطوبة واليبوسة فليس يكون عنهما وجع، بل إنما يكون عن الرطوبة ثقل فقط. ويستدل على الرطوبة بثقل الرأس وكثرة النوم وكدر الحواس، وعلى اليبوسة بأضداد هذه الأعراض. وربما كان هذا المزاج العارض للرأس حادثا فيه حدوثا[١١] أوليا، وربما كان من عضو آخر. وأكثر ذلك إنما يكون عن المعدة. ويستدل على ذلك بالصداع الذي يهيج عند تهوع[١٢] المعدة أو خلوها عن الطعام أو فساد الأغذية فيها. وبالجملة أن يتزيد[١٣] مرض الدماغ بتزيد مرضها، وينقص بنقصانه. وربما كان بمشاركة[١٤] العرقين السباتيين، كما يعتري في الصداع المسمى شقيقة. ويستدل على ذلك

---

(١) ب، ج: "وهي التي تجري مجرى الأصول من هذه الصناعة(ج: سقط "من هذه الصناعة") وأحسبني لو لم أذكر لك العلامات" عوض "وأحسبني...نعدد الأمراض" (٢) ج: سقط "لا" (٣) ب، ت: الكلية؛ ج: الجزئية (٤) ج: سقط "هو أن نتكلم" (٥) ب، ج: بهذه (٦) م: أعراض؛ غ، ت: "نحن من ذلك أمراض" عوض "الأمراض التي تجري...فنعدد من ذلك أمراض" (٧) م: "تنطوي" عوض "لم تنطو" (٨) ت: سقط "بل (٩) ب: ويُخَصُّ به (١٠) م: آخر؛ ت: أشد (١١) ت: سقط "حدوثا" (١٢) ت: تصدع، وفي الهامش "تمدد" (١٣) ج: يزيد (١٤) ب، ت، م، بمشاركته؛ ج: بمشاركة.

بالعلامات الدالة على امتلاء الرقبة، وربما كان ذلك بمشاركة جميع البدن. ويستدل عليه بالعلامات[١] الدالة على أحد صنفي الامتلاء. ويحدث بالدماغ جميع أصناف[٢] الأورام الحارة والباردة. والاستدلال هاهنا على العضو الآلم وعلى المرض قد يكون من الأفعال الخاصة به[٣]، وذلك أن الدماغ إذا أصابته مثل هذه الآفة تبعها اختلاط[٤] ذهن ملازم. وإنما قلنا، "ملازم"، فرقا بينه وبين الاختلاط الذي يكون بمشاركة عضو آخر، كالذي يعرض عن ورم الحجاب. فأما كيف يستدل من هذه الأعراض الداخلة على الأفعال على نوع المرض الفاعل لذلك فإن الذي يكون منها[٥] صفراويا يعرض لصاحبه خيالات رديئة، ويخيل إليه كأن زئبرا[٦] على ثيابه فهو يلتقطه، ويصيبهم سهر، وإذا انتبهوا، انتبهوا مذعورين. وأما الذي يكون عن الدم فإن السهر فيهم يكون أقل، ويعرض لهم ضحك وانبساط، كما أن الذي يكون عن الصفراء يكون مع غضب وسوء خلق. وأما الذي يكون عن السوداء فإن فساد الذهن فيه يكون مع جزع شديدوخوف وبكاء. وأما الذي يكون عن البلغم فإنه يكون عنه تعطل في القوى النفسانية لا تزيّدٍ منكر.

[١٧٢] وأما العلامات[٦] الخاصة بغلبة خلط خلط من هذه الأخلاط على الأورام الحادثة في الدماغ فهي علامات[٧] غلبة الأخلاط، مثل حمرة الوجه والعينين وحرارة ملمسهما، وعظم النبض الدال على غلبة الدم، لاسيما إذا انضاف إلى هذا التدبيرُ الملائم السن والمزاج والوقت. وليس ينبغي أن نطالب بتكرير الشيء الواحد مرارا كثيرة، بل أن تكون أنت ذاكرا له مما قيل[٨].

[١٧٣] وأما النبض الدال على هذه الأورام فيخصه، من حيث هو في عضو غشائي ومن حيث إن حدوثه إنما يكون أولا والقوة قوية، اختلافٌ منقطع وارتعاد للمجاهدة التي بين القوة وبين صلابة الشريان. وأظهر ما يكون هذا العرض في الأورام الحارة. وأما الأورام البلغمية والسوداوية فتكون فيها هذه الأعراض أقل، وبخاصة في البلغمية، حتى يكاد يقاوم[٩] اللين[١٠] الذي في النبض[١١]، لمكان رطوبة[١٢] الخلط، الحركةَ[١٣] المنشارية التي فيه لمكان العضو. والأغشية التي ترم (=من الورم) في الدماغ هي إما الغشاء الرقيق الذي في أم الدماغ[١٤]، وإما الغشاء الذي تحت القحف، وقد يرم الدماغ نفسه. والخطر في هذا يكون أشد والأعراض أقوى وأخطر، وذلك أنه

---

(١) ت: سقط "الدالة على امتلاء...عليه بالعلامات" (٢) ج: الأصناف من (٣) ب: سقط "به" (٤) غ: أخلاط (٥) ت، ج: منه (٦) غ، ت، م، ج: العلامة (٧) ت، ج، ب: علامة (٨) ت: "من قبل" عوض "مما قيل" (٩) م، ت، ج: تكاد تقاوم (١٠) ج: سقط "اللين" (١١) غ، م، ج: أضيف "أولا"؛ ب: ثبتت العبارة وعليها ما يبدو تشطيبا (١٢) ت: الرطوبة في (١٣) غ، م، ت، ج: سقط "الحركة" (١٤) ب: صححها في الهامش "الذي هو أم الدماغ".

يتبع هذه الأورام الاسترخاء، وربما تبع ذلك الاختناق لتعطل حركة الصدر[١]. قالوا وقد ترم الشبكة المعروفة بالشبكة العجيبة[م]. ويتبع ذلك[٢] أن يكون الوجع الذي يخص هذا الموضع ضربانيا بكثرة الشرايين. قالوا ومن العلامات الخاصة بذلك شدة حمرة بياض العين وغلظ أجفانها وثقل حركتها. والحمى كما قلنا شيء لازم لجميع هذه الأورام إلا أنها في الحارة حادة[٣] وفي الباردة لينة هادئة. فهذه هي الأمراض التي يحتاج أن يستدل عليها أكثر ذلك[٤] من أمراض الدماغ.

[١٧٤] وأما السَّدَر[م] والسكتة والصرع وغير ذلك من أمراض العصب فكلها ظاهرة للحس. والقول في أسبابها قد قيل في كتاب المرض. والذي بقي[٥] من أمرها هو أن يقال في العلامات التي تخص سببا سببا[٦] من أسباب العلة. وذلك فيما يلفى منها عن أكثر من سبب واحد، وفيما كان منها[٧] يوجد للعضو وجودا أوليا، وما كان منها يوجد باشتراك عضو آخر. مثال ذلك الصرع: فإنه قد تبين في كتاب المرض أن الخلط الفاعل له قد يكون بلغميا وقد يكون سوداويا؛ وهل يكون دمويا مائيا[٨] أو ريحيا؟ فيه بين الأطباء خلاف[٩]؛ وأنه قد يكون حدوثه في الدماغ حدوثا أوليا، وقد يكون بمشاركة عضو آخر. لكن الوقوف على هذه العلامات هي منطوية بالقوة القريبة[م][١٠] فيما تقدم. وذلك أن ما كان من هذه الأمراض يُلْفى عن أكثر من سبب واحد فالعلامات الدالة عليه هي العلامات الدالة على[١١] غلبة ذلك الخلط، وكذلك ما كان يلفى منها بمشاركة عضو آخر فقد قيل في وجه الاستدلال عليه: وذلك أن يكون ذلك العضو يزيد اعتلاله باعتلال المشارك له وينقص بنقصانه، وأن يكون مع هذا الألم في العضو غير ملازم. فإن جميع هذه الأعراض تدل على أن حدوث المرض بالعضو[١٢] ليس حدوثا[١٣] أوليا.

[١٧٥] ويفرق بين أسباب الأمراض التي تكون عن سوء مزاج مادي وعن غير مادي: أن المادي تظهر فيه علامات غلبة الخلط الفاعل له. وأما غير المادي فإن كان يسيرا فإن الفاعل له تكَوُّن[١٤] الأشياء التي من خارج ويكون لبثه يسيرا، مثل الصداع العارض عن[١٥] حرارة الشمس، والذرب[م] الحادث عن ملاقاة أعضاء الغذاء الهواء البارد. وأما ما كان حدوثه ثانيا[١٦] فإن الفاعل له في الأكثر هو المرض غير المادي، مثل حمى الدق والتشنج الحادث عن اليبس، ويخص هذا الصنف من المزاج أن حدوثه يكون[١٧] قليلا قليلا.

---

(١) غ، ت، ج: حركته (٢) غ، م، ت: سقط "ذلك" (٣) ت: في الحادة حارة (٤) ت: سقط "ذلك" (٥) ت: يعني (٦) م: يظهر وكأن الناسخ أراد أن يصحح الكلمتين "أسبابا أسبابا" (٧) م، ت: سقط "منها" (٨) م: "وقد يكون ماديا" عوض "وهل يكون دمويا مائيا"؛ ج: سقط "دمويا" (٩) غ، ت: سقط "وهل يكون دمويا خلاف" (١٠) م: الغريبة (١١) ت: سقط "هي...على" (١٢) ت: أضيف "و" (١٣) م: سقط "حدوثا" (١٤) ت: يكون عن (١٥) غ، ج: من (١٦) غ، م، ج: ثابتا (١٧) ب: يكون حدوثه.

[٤٠-] في العين

[١٧٦] والعلل الحادثة في العين فأكثرها ظاهرة[١] للحس، وسنستوفي ذكرها عند معالجة العين. والذي ينبغي أن يستدل عليه من أمراضها هو ما يعتري[٢] العصب الواصل إليها بالروح النفساني[٤] الذي به يكون الإبصار، وما يعتري الروح نفسه. والعصبة الواصلة إلى العين تنالها المضرة إما من سوء مزاج مادي مع ورم، وإما[٣] من سدة، أو من سوء مزاج من غير ورم ولا سدة. وعلامة الورم فيها معلومة وهي الضربان والحمرة والحرارة. والسدة علامتها الثقل فقط. وأما سوء المزاج الحادث بها فعلامته علامة سوء المزاج المطلق. ومن السدد[٤] العارضة في العين العلة المعروفة بنزول الماء، وهي سدة تحدث بين الطبقة القرنية والرطوبة الجليدية. وأمر هذه السدة ظاهر للعين، وهي ذات ألوان: فمنه ما هو أبيض ومنه ما هو أخضر ومنه ما هو أزرق[٥]. ويتقدم[٦] هذه العلة حدوث خيالات تعرض في العينين، وإن كان قد تعرض هذه الخيالات عن مشاركة المعدة لما يرقى إلى الدماغ من الأبخرة التي فيها، وعن ألم الدماغ نفسه، مثل ما يعرض في أوائل تولد أمراض الدماغ من التقاط الزئبر الذي يراه العليل كأنه على ثيابه[٧]. ويفرق بين ذلك بأن هذه الخيالات التي تكون عن فم المعدة تزيد وتنقص، وذلك بحسب[٨] جودة الهضم في[٩] المعدة ورداءته. قالوا[١٠] والذي يعرض في[١١] المعدة يكون في العينين على السواء، والذي يكون عن ابتداء نزول الماء يكون في العين الواحدة[١٢].

[٤١-] في الأذن

[١٧٧] والأذن تعرض لها الأمراض عن صنفي سوء المزاج المادي وغير المادي، وتعرض لها السدد والأورام، وبالجملة الأمراض[١٣] التي تعم سائر الأعضاء[١٤] من الأوجاع والقروح وغير ذلك. وعلامات تلك هي علامات[١٥] تلك الأمراض بأعيانها. فالورم الحار فيها يحدث عنه وجع ناخس، إذ كان في عضو عصبي، ونبض مثشاري. وعلامة[١٦] غلبة الخلط الفاعل للورم فيها هي بعينها[١٧] علامة غلبة الأخلاط، إلا أن أكثر الأخلاط التي تفعل فيها الأورام هي أخلاط رقيقة لصلابة جوهرها وكثافته. قالوا[١٨]

---

(١) م: أكثرها ظاهر (٢) م: أضيف "في" (٣) غ، م، ت، ج: أو (٤) غ، ت، ج: أضيف "أيضا" (٥) غ، م، ت، ج: ومنه أخضر ومنه أزرق (٦) ب: أضيف "قبل" (٧) غ، ت: سقط "وعن ألم الدماغ...على ثيابه" (٨) ت: بسبب (٩) غ، م، ت، ج: "هضم" عوض "الهضم في" (١٠) ب: سقط "قالوا" (١١) غ، م، ت، ج: "عن" (١٢) غ، ت: سقط "والذي يكون...العين الواحدة" (١٣) ب: سقط "الأمراض" (١٤) ج: الأعراض (١٥) غ، م، ت، ج: وعلامة ذلك هي علامة (غ: ...ذلك...) (١٦) غ، م، ت: علامات (١٧) ب: بأعيانها (١٨) غ، م، ج: سقط "قالوا".

وربما تبع الأورام الحادثة حمى ملازمة[١]، ولا سيما إذا كان الورم في أصل الصماخ[٢]. ومن أمراضها الخاصة بها حدوث الدوي والطنين فيها، وهذا إنما يكون لريح هنالك متموجة[٢]. قالوا وربما كان ذلك لفرط ذكاء الحاسة. وعلامة ذلك أن لا يكون هنالك دليل من دلائل غلبة الأخلاط.

[٤٢-] في الأنف

[١٧٨] والأنف تصيبه السدة والورم وسوء المزاج. ومن الأورام الخاصة به: الورم المشتق اسمه من اسم الحيوان الكثير الأرجل، ولن تخفى عليك علامات هذه الأمراض مما[٣] سلف.

[٤٣-] في الفم [٤]

[١٧٩] وأما أمراض الفم[٥] فكلها ظاهرة للحس مثل القلاع[٦] والورم والتآكل وغير ذلك.

[٤٤-] في الحلق

[١٨٠] والحلق تحدث فيه الأورام المسماة[٦] ذبحة، ويستدل عليها[٧] بالوجع الحادث هنالك مع عسر الابتلاع، وإن زاد تبع ذلك عسر التنفس، حتى أنه ربما أطفئ. ويستدل على السبب الفاعل من العلامات الدالة على غلبة ذلك الخلط على الموضع. والنبض يكون في هذا الورم موجيا، لأنه في عضو عضلي. وهذا الورم يختلف بالعظم والصغر. وبذلك يكون اختلافه في الخطر، ولا خطر. ومن العلامات المحمودة فيه أن يكون في ظاهر الحلق منه ولو أثر، مثل[٨] انتفاخ أو توجع الظاهر منه[٩] عند الحس. وأنواع الذبح على ما يقوله جالينوس خمسة: أحدها التي تكون في الحلق أعني تجويف الفم الذي ينتهي عند طرف الحنجرة، والثاني عندما لا ترى شيئا لا في الحلق ولا في الحنجرة[١٠] ولا فيما [كان] خارجا ويجد المريض[١١] حس الاختناق، والثالث إذا كان الخارج من الحلق وارما، والرابع إذا ظهر أن الخارج والداخل[١٢] وارم، والخامس الذي يكون من زوال[١٣] خرز العنق إلى داخل[١٤].

---

(١) ب: لازمة (٢) م، ج: ممتزجة (م: كتبت فوق "متموجة") (٣) م: بما (٤) غ، م، ت، ج: سقط "في الفم" (٥) غ، م، ت، ج: الأمراض التي للفم (٦) ج: يحدث فيه الورم المسمى (٧) ب، ج: عليه (٨) م، ت: من (٩) ب: سقط "منه" (١٠) ج: سقط "ولا في الحنجرة" (١١) ج: المريض (١٢) ج: والباطن (١٣) ج: بزوال (١٤) غ، م، ت: سقط "وأنواع الذبح...إلى داخل".

[-٤٥] في الرئة

[١٨١] والرئة أيضا تصيبها أمراض عامة وخاصة، فالعامة كالورم والقروح وتفرق الاتصال، والخاصة كالسعال والبهر[م]. ويستدل على الورم الحادث فيها بعسر التنفس الشديد والحمى المطبقة لقرب هذا العضو من القلب وثقل الصدر وعلامات[١] غلبة الدم، لأن الورم الحادث في هذا العضو إنما هو أكثر ذلك دموي، لأنه لرخاوة جوهره لا تثبت فيه الصفراء، ولملائمة الرطوبات البلغمية له لا يكاد أيضا أن يحدث فيها ورم بلغمي. وأما الوجع فليس له دلالة على تورم هذا العضو، إذ كان عديم الحس. والنبض فيه يكون ضرورة نبض الأورام الحارة، إلا أن الموجية فيه ظاهرة لرخاوة هذا العضو. وأما تفرق الاتصال الحادث فيها فعلامته دم أحمر شرياني يخرج دفعة[٢] منه مقدار كثير مع سعال. وذلك لسبب من الأسباب التي من خارج، من نزلة تحدث أو ضربة على الصدر. والنفث أيضا علامة[٣] على ورم الرئة، أعني النفث الذي يكون بالسعال، وذلك[٤] إذا انضاف إلى العلامات المتقدمة لأنه قد يكون عن الأورام الحادثة في الغشاء المستبطن للأضلاع. ومن العلامات المحمودة في هذه العلة، أعني في ورم الرئة، النفث الأبيض المستوي، الخارج بسهولة. كما أن من العلامات الرديئة النفث الظاهر عليه غلبة لون[٥] خلط من الأخلاط، وبخاصة الأسود، ودون ذلك الأصفر ثم الأحمر. والنفث المستدير الذي يقول أبقراط علامة رديئة في أمراض الرئة لأنه يدل على فناء الرطوبة الطبيعية. وأما السعال فإنما يستدل منه على السبب الفاعل له. ولن يخفى عليك بما قد عرفت من أسباب السعال.

[-٤٦] في الصدر

[١٨٢] وأشهر الأمراض التي تعتري الصدر هي الأورام والسدد. والأورام تكون فيه[٦] في الغشاء المستبطن له وهي المسماة شوْصا[م]. والعلامات الخاصة بهذه[٧] الأورام وجع ناخس ممتد، وحمى حادة، ونفث وسعال ونبض منشاري، وقد يكون في العضل الذي تحت الغشاء. وهذه الأورام تسمى بذات الجنب[م]، وعلاماتها علامات الشوص، أعني من الوجع والنفث والحمى؛ إلا أن الأعراض فيها أضعف والخطر أقل، والوجع ليس بناخس إذ كان في عضو غير غشائي، والنبض ليس تكون فيه منشارية بينة. وقد تعتري الأورام[٨] الغشاء الذي يقسم الصدر بنصفين، وأعراضه هي أعراض

---

(١) غ، ت، ج: علامة (٢) ت: هكذا "دَفعُهُ" (٣) ج: أضيف "دالة" (٤) غ، ت، ج: أضيف "أيضا" (٥) م: لون غلبة (٦) ت، ج: سقط "فيه" (٧) ب: في هذه (٨) غ، ت، ج: أضيف "في".

أورام الغشاء[1] المستبطن للأضلاع، سوى أن الوجع فيه يكون في اللبة[م] وقد يرم الحجاب الفاصل نفسه. واختلاط الذهن يتبع كثيرا أورام الحجاب والأغشية.

[٤٧-] في المعدة

[١٨٣] والمعدة تعتريها أصناف سوء المزاج المادي وغير المادي، وتعتريها الأورام والقروح. أما أصناف سوء المزاج غير المادي فمتى كان يسيرا فسببه هي الأشياء التي من خارج، وهي يستدل بها عليها، مثل لقاء الهواء البارد والأغذية الباردة. وأما ما كان منها متمكنا فإن الاستدلال عليه يكون على الحار اليابس أو البارد اليابس[2] بظهور أعراض الهرم عليها والذبول. وهذا النوع من المزاج إما سوء مزاج حار يابس، وهذا يفضي بصاحبه إلى حمى الدق، وإما[3] بارد يابس وهذا يفضي بصاحبه إلى الدق المسمى شيخوخة. وعلامة هذين المرضين هي أن تظهر في هذا العضو العلامات التي تظهر في هذين المرضين بإطلاق، مثل أن يرق جرمها ويهلس[4]. وإذا رقد العليل على ظهره بدت كأنها حفرة[5]، وتكون جاسية[م] الجلد، ويخرج[6] الثفل غير منهضم. وبالجملة فتضعف جملة قواها. وأما سوء المزاج المادي في المعدة فربما كان عن مادة مصبوبة في تجويفها، وربما كان عن مادة متشربة في جوهرها[7]، وربما تركب الأمران جميعا. وذلك لهما[8]: إما من خلط واحد وإما من أكثر من خلط واحد، مثل أن يكون متشربا في جرمها خلط صفراوي ومصبوب فيها خلط بلغمي. والخلط البلغمي إذا كان في المعدة[9] تبعه ضرورة جشاء[م] حامض، كما أن الخلط الصفراوي إذا كان في المعدة تبعه[10] جشاء دخاني. ويفرق بين الخلط المتشرب في جرم[11] المعدة وبين المصبوب، أن المصبوب يخرج بالبراز والقيء، والمتشرب[12] ليس يخرج. ويكون معه تهوع دون قيء. ويخص الصفراوي اختلاج الشفة، وكذلك السوداوي. ومن علامات غلبة الخلط السوداوي[13] على المعدة[14] فساد الرؤيا، وخيالات في البصر، وحمضة خلِّية سالخة للحلق. ويفرق بين سوء المزاج المادي منها وغير المادي بالأخلاط الخارجة، إما على جهة القيء وإما على جهة التبرز. والبول الثخين دليل على أن سوء المزاج الذي في المعدة مادي.

[١٨٤] والمعدة تصيبها الأورام: وذلك إما في أسفلها وإما في أعلاها. والأورام التي تصيبها ربما كانت حارة، وربما كانت باردة، وربما كانت من جنس الدبيلات[م]،

---

(١) ب: سقط "أورام الغشاء" (٢) غ، ت، ج: سقط "على الحار...اليابس" (٣) ج: أضيف "سوء مزاج" في الهامش (٤) غ: وييبس (٥) م: كتب "خبزة" فوق "حفرة" (٦) ج: وتخرج (٧) م: جرمها (٨) غ، م، ت، ج: سقط "لهما" (٩) ب: أضيف "أينما كان" (١٠) م: أضيف "ضرورة"؛ ج: سقط "ضرورة جشاء...تبعه" (١١) غ: يظهر "جرح" (١٢) غ، م، ت: والمبثوث (١٣) ت: سقط "من علامات...السوداوي" (١٤) م، ت: أضيف "و".

وربما كانت من جنس الثآليل[م] وربما كانت ريحية. وكل ورم يحدث في المعدة مما شأنه أن يقيح فإنه تتبعه الحمى ضرورة والوجع الناخس[١]، وبخاصة إذا كان في أعلاها: فإن هذا الجزء عصبي منها أكثر ذلك، وهو شريف لمشاركة[٢] الدماغ والقلب. ولذلك ما تكون الأعراض الحادثة عن أورام فم المعدة أشد خطرا من الأعراض الحادثة عن أورام قعرها. فإن الخفقان والغشي واختلاط الذهن كثيرا ما يتبع أورام فم المعدة[٣]. وأما الأورام الباردة فإن الوجع فيها يكون أفتر والحمى ألين. وأما الثآليل الحادثة فيها والدبيلات فقلما يتبعها وجع ولا حمى. وإن تبعت، فحمى تشبه الدق أو حميات مختلطة. والدليل الخاص بهذه الأورام: الجشاء[م] الذي يكون في المعدة مع ضعف أفعالها، مثل أن يخرج الغذاء غير منهضم. إلى غير ذلك من الأعراض. وبالجملة فالعلامات الدالة على غلبة الأخلاط أيضا كثيرا ما يوقف منها على الخلط الفاعل للورم، وكذلك أيضا المزاج والسن والتدبير وغير ذلك من الأمور التي عددت[٤] فيما سلف.

[١٨٥] وأما القروح الحادثة فيها فيستدل عليها بالحرقة التي تصيبها عن أدنى[٥] شيء لذاع يمر بها، وأيضا فإنه يكاد لا يكون في المعدة قروح إلا وهي في الحلق والفم.

[٤٨-] في الكبد

[١٨٦] والكبد تعتريها الأورام والسدد وجميع أصناف سوء المزاج. وعلامة الورم فيها الحمى والسعال والوجع الثقيل وانجذاب الترقوة، وبخاصة إذا كان الورم في محدب الكبد[٦]. وكثيرا ما تختلط أعراض ورم الأضلاع بأعراض ورم الكبد. وذلك أن من أوجاع أورام الكبد ما ينتهي إلى أسفل ضلوع الخلف، حيث تنتهي أوجاع الأورام الحادثة[٧] في الغشاء المستبطن للأضلاع، فلا يكون للموضع هنا دلالة خاصة. وأيضا فإن الترقوة تجذب[٨] الغشاء الوارم لها. والسعال في كليهما موجود، إلا أن النفث لا يكون في ورم الكبد، وقد يكون في ورم الغشاء، لكن إذا بدأ الورم يقيح[٩]. فلذلك ليس في النفث في أول الأمر دلالة كافية، وإنما يفرق بينهما بنفس الوجع، فإنه يكون في الشوص ناخسا ممتدا، ويكون في الكبد ثقيلا[١٠]. وبالنبض أيضا تقع التفرقة بينهما: فإنه في الشوص[م] يكون مئشاريا، وفي الكبد يكون موجيا[١١]. قالوا وربما أحس موضع الورم إذا استلقى العليل حارا، وذلك في أورام الكبد. قالوا وربما كان الورم في عضل الكبد ويفرق

---

(١) ب: أضيف "يكون في الجزء العصبي منها" (٢) غ، م، ت، ج: لمشاركته (٣) م: سقط من المتن "أشد خطرا...فم المعدة"، وهناك إشارة إلى الهامش (٤) ت: عَددتُ؛ ج: أعدت (ب: شكلها "عُددَتْ") (٥) غ، م، ت، ج: تصيب لأدنى (٦) غ، ت: أضيف "والسعال والنفث"؛ ب: شطب على الكلمتين (٧) ج: الحادة (٨) ت: كتب "ينجذب" في الهامش (٩) ج: سقط "يقيح" (١٠) ت: هكذا "ثقل" (١١) ج: الشوص مئشاري وفي الكبد موجي.

بينهما بالشكل، وذلك أن ورم الكبد شكله[١] شكل هلالي، وورم العضل[٢] يكون شكله مستطيلا أو مربعا، ويكون أحد طرفيه أغلظ والآخر أرق.

[٤٩-] في الطحال

[١٨٧] والطحال تعرض له أصناف سوء المزاج والورم والسدة والريح النافخة. وعلامة الورم الوجع الثقيل والحمى، والأعراض التي تظهر في البدن عن مرض هذا العضو. وعلامة السدة الثقل فقط، مع أعراضه. وعلامة الريح الوجع الممدد. ويتبع كما قيل أورام الطحال وسدده هزال البدن. ولذلك قال أبقراط: إذا عظم الطحال هزل البدن وإذا هزل هو أخصب البدن.

[٥٠-] في الكلى

[١٨٨] والكلى تصيبها جميع أصناف سوء المزاج أيضا، والأورام والقروح. ويخصها من الأمراض هي والمثانة تولد الحصى فيها والرمل. ومن أحد أصناف سوء المزاج الذي يعتريها العلة المعروفة بالبركار[؟]، وهي علة يعرض فيها شدة العطش وكثرة الاختلاف للبول مع حمى. وأما الأورام الحارة فيها فعلامتها الثقل المحسوس في الكليتين والوجع في القطن[؟] والحمى وعسر[٣] البول. وإذا اضطجع العليل على الجانب الصحيح أحس بالكلية العليلة كأنها معلقة، وذلك في قرب منتهى الورم. وكثيرا ما يحدث عن هذه الأورام بآخرة (=ينتج عنها في النهاية) حميات مختلطة[٤] مضطربة. وأما الأورام الباردة فإن أعراض الحمى فيها تكون أخف، وإنما تتبع الحميات الأورام في الأعضاء الرئيسة[٥] متى كانت تلك الأورام مما شأنها أن تقيح.

[١٨٩] وأما الحصى الحادثة في الكلى فعلامتها وجع مثقبي[٦] من أول نشئها إلى أن تدفعها الطبيعة، فإنهم زعموا أن هذه الحصى إنما تتولد في[٧] نفس جرم الكلية. ولذلك كثيرا ما يتبع خروج هذه الحصى[٨] انفجار الدم. والأظهر أنها تتولد في تجويف الكلى[٩]. وموضع الوجع في هذه العلة[١٠] مشترك لها ولوجع القولنج[؟]. وأيضا فإن المرضين يشتركان في كثير من أعراضهما[١١]، ولذلك تصعب[١٢] التفرقة بينهما[١٣]. وذلك أن الغثيان والقيء يتبعان هذين المرضين كليهما، وسقوط الشهوة. وإنما تصعب[١٤] التفرقة بينهما في أول المرض. وذلك أن بآخرة يتميز القولنج باحتباس البطن وبخروج[١٥]

---

(١) غ، م، ت، ج: أورام الكبد شكلها (٢) ت: "في عضل الكبد" عوض "شكله...العضل" (٣) ب: وتعسّر (٤) م: مختلفة (٥) م، ت: الرئيسية (٦) غ، م، ت: مثقب (٧) ت: من (٨) غ: الحصَى (٩) غ، م، ت، ج: سقط "والأظهر...الكلى" (١٠) ب: سقط "في هذه العلة" (١١) ب، م: أعراضها (١٢) ج: يظهر "تضعف" (١٣) ب، م: بينها (١٤) ت: تضعف (١٥) غ، ج: وتخرج.

أخلاط بلغمية ورياح كثيرة، إذا أراد الإنسان التبرز. وأيضا فإن الحصى في الكلية تظهر معها رملية في البول. لكن الوجع في الحصى يرتفع إلى نواحي القطن ويلبث في مكان واحد. وليس كذلك وجع القولنج. وأيضا من العلامات القاطعة على ذلك الحُقَن[م]، فإنه متى استعملت و[1]وجد العليل بذلك[2] خفا، ونزل بخلط بلغمي[3]، كما عرض لجالينوس. فلا شك أن الوجع وجع قولنج[4]. وأما إذا ساءت حال العليل بالحقنة فلا يشك[5] أن الوجع وجع الحصى. وإنما تسوء[6] حال العليل بالحقنة لأن الحقنة تملأ المعى فتضغط الكلى فيشتد الوجع.

[١٩٠] وأما العلامات الدالة على قروح الكلى فهي الوجع في القطن من غير ثقل ولا تمدد وخروج الدم والسِدّة[م][7] وقشر القرحة في البول. وربما خرج شيء[8] شبيه بفتات اللحم وذلك عندما يتآكل جرم الكليتين.

[٥١-] في المثانة

[١٩١] والمثانة أمراضها المشهورة هي الحصى المتولدة فيها والورم والقرحة[9] وتقطير البول وأسره وخروجه من غير إرادة. فأما علامة الحصى فهي الوجع الحادث فيها، وحكة القضيب وتوتره[10] أحيانا، واسترخاؤه أحيانا من غير سبب، وفجاجة البول ورقته[11] وبياضه، والرمل الخارج مع البول، وعسر خروج البول، وأما[12] أسر البول وامتناع خروجه فيكون إما من قبل العضو الباعث به إلى المثانة وهو الكلى، وإما من قبل السبيل الذي يجري فيها من الكلى إلى المثانة[13]. ولهذين عرض عام وهو أن البول يحتبس، والمثانة فارغة إذا غمز عليها. ويكون في الكليتين ضرورة وجع وثقل. وكذلك إذا كان من قبل السبيل التي يصل منها البول إلى المثانة، وهو الحالب، أحس بالوجع في ذلك المكان. وأما إن[14] كان الأسر من قبل المثانة، أو من السبيل التي يصل[15] منها البول إلى[16] المثانة، فلكلا[17] هذين أيضا[18] عرض عام: وهو أن المثانة تكون مملوءة. ويخص الذي[19] يكون من المثانة فقط أنك إذا غمزت على المثانة خرج البول. وأما الذي يكون من قبل انسداد المجرى النافذ في عنق المثانة فيستدل عليه بأن البول لا يخرج متى غمزت على المثانة. وانسداد هذا المجرى يكون[20] إما لحصاة أو لخلط غليظ أو لعلق الدم أو القيح، أو بسبب[21] برودة تغلب عليه وقبض، أو بسبب[22]

---

(١) غ، ب، م، ت: سقط "و" (٢) غ، م، ت، ج: لذلك (٣) غ، م، ت، ج: سقط "ونزل بخلط بلغمي" (٤) م، ت، ج: القولنج (٥) غ، م، ت، ج: شك (٦) م: سوء (٧) م: والمد (٨) غ، ج: سقط "شيء" (٩) ب: والقروح (١٠) ج: وتواتره (١١) غ، ت: سقط "ورقته" (١٢) ب: فأما؛ م: أما (١٣) ت: سقط "وهو الكلى...إلى المثانة" (١٤) ج: إذا (١٥) م: يصيل؛ ج: يسيل (١٦) غ، م، ت، ج: من (١٧) غ، ج: ولكلا؛ م: فلكل؛ ت: ولكل (١٨) م، ت، ج: سقط "أيضا" (١٩) ب: ما (٢٠) ت: سقط "يكون" (٢١) غ، م، ت، ج: لسبب (٢٢) م: لسبب.

ورم أو ثؤلول. ويستدل على الذي يكون من الحصى بدلائل الحصى، وعلى الذي يكون بعلق الدم بسيلان الدم قبل ذلك، وعلى الذي يكون بالقيح[1] بخراج متقدم[2]، وعلى الذي يكون من خلط غليظ أو ثؤلول بالتدبير المناسب لذلك. وينبغي أن تعلم أن هذه الأسباب قد يجتمع منها أكثر من واحد وتتركب، وحينئذ يعسر تمييزها[3]. لكن الطبيب يخمن ويحدس ويستعمل العلاج اللطيف بحسب ما يغلب عليه ظنه فإن أنجح كان على ثقة مما ظن وإلا انتقل. والقروح التي تكون في المثانة القشر الخارج عنها يكون شبيها بالنخالة والصفائح. وأما التي تكون[4] في الكلى فإن القشور تكون[5] شبيهة بفتات اللحم.

[٥٢-] في المعى

[١٩٢] والمعى تعرض فيها من الأمراض: المرض المسمى قولنجا، والقرحة، والسحج، وخروج الدم. فأما خروج الدم من المعى فإنه يكون بعد السحج. وهذا الدم يخرج مختلطا مع الخراطة[6] في أول الأمر، وربما خرج[6] شيء من جرم[7] المعى. والعلامة[8] الدالة عليه: الوجع الكائن مع استفراغ الأخلاط الفاعلة له وخروج الخراطة. والقروح متى كانت في الأمعاء الغلاظ يدل عليها أن الإنسان يقوم للبراز في الوقت الذي يجد فيه اللذع، ويكون ما يخرج منه[9] من القشور غير مخالط للبراز. فإذا كان يجد الوجع ثم يقوم للبراز بعد حين فإن القرحة في المعى الدِّقاق، ويكون ما يخرج من القرحة حينئذ مخالطا للبراز لطول الطريق. والوجع إذا كان في المعى الدقاق أحس حول السرة، وإذا كان في المعى الغلاظ أحس تحتها.

[١٩٣] فأما القولنج فإن الذي يكون منه عن خلط بلغمي يستدل عليه بالوجع المثقبي، وبالجشاء[10] الحامض، والقيء الذي يخرج[11] معه البلغم، واستمساك البطن الشديد[12] الذي لا يخرج معه ريح، وبالجملة بما يستدل به على غلبة هذا الخلط[13] على البدن. وأما ما كان منه عن ريح فيستدل عليه بالوجع الذي معه تمدد، ولا سيما[14] ما كان من ذلك يفتل المعى وانتقاله، أعني الوجع، إلى نواحي المعى مع قرقرة تدل على الريح أيضا. وكذلك أن يكون البراز خفيفا شبيها بأخثاء (براز) البقر. وأما ما يكون حدوثه عن الورم فيستدل عليه بالوجع والحمى والعطش، وأعراض[15] غلبة

---

(١) ت: من القيح (٢) م: سقط "وعلى الذي يكون بعلق...بخراج متقدم" (٣) م: تميزها (٤) ب: الذي يكون (٥) ت: سقط "تكون" (٦) م: أضيف "مع" (٧) ت: سقط "جرم" (٨) ب: والعلامات (٩) غ، م، ج: منها؛ ت: هنا (١٠) ج: والجشاء (١١) غ: يكون (١٢) ت: سقط "الشديد" (١٣) ت: سقط "الخلط" (١٤) ت: سقط "معه...سيما" (١٥) م: أعراضه.

الخلط الفاعل للورم. والنوع من القولنج الشديد، المسمى عند القدماء إيلاوش ومعناه رب سلم[1]، هو ما كان منه ذا أعراض صعبة حتى يبلغ[2] بصاحبه أن يتقيأ الزبل. وهذا النوع من القولنج كثيرا ما يكون عن الورم في المعى الدقاق. وربما كان عن زبل متحجر فيها، وربما كان من خلط غليظ، وربما عرض من فتق يعرض للصّفاق(م)[3]، فتخرج الأمعاء هنالك، وربما عرض من[4] دواء قتال. وهو بالجملة كأنه خاص بالمعى الدقاق. وربما كان هذا الداء عن خدر[5] القوة الدافعة. وأكثر هذا سببه البرد. وهذا الداء بالجملة يحدث إما عن خدر[6] القوة الدافعة، وإما عن سدة[7]، وإما عن انقطاع الخلط الصفراوي الذي ينصب إليها، الذي يعين على خروج الثفل عنها بالجلاء. والسدة[8] تحدث عن الأخلاط والأورام وما يشبهها، والأشياء المفسدة لوضعها، مثل[9] الريح التي تفتلها والفتوق(م)[10].

[٥٣-] في الرحم

[١٩٤] والرحم تصيبها الأمراض[11] المشتركة من أصناف سوء المزاج، ولن يخفى عليك مما سلف تعرف ذلك. وتصيبها الأورام، وعلامة ذلك الوجع الناخس والنبض المئشاري لكونها عضوا عصبيا، والحمى لكونها عضوا رئيسا[12]، ومما يخصها من الأمراض العلة المعروفة بالرحى (الرحام)(م)[13]. وهذه العلة تصعب التفرقة بينها وبين الحمل في أول الأمر إذ كان يشملهما[14] من الأعراض استمساك[15] الطمث وانتفاخ البطن. والعلامة القاطعة في ذلك أن يمر للمرأة زمان في مثله يتحرك الجنين فلا تحس في بطنها حركة، وربما أحست حركة[16]، فيظن بها أنها حامل. وإنما هي حركة الريح المتولدة هنالك. وربما بقي بها ذلك سنين[17] إلى أن تلد بضعة، أو ينفصل عنها ريح[18]. وربما أقامت بها إلى الموت. ومن العلل الخاصة بالرحم العلة التي تعرف باختناق الرحم، وذلك أنه يعتري في النساء، من فساد الطمث الذي يكون في الرحم، شيء شبيه بالغشي ينقطع به التنفس ويبطل الحس والحركة، ولا[19] يحس لها إلا نبض ضعيف[20]. والرحم كثيرا ما تصيبها الصلابة. وذلك إما لأورام جاسية(م) حادثة بها من أول الأمر،

---

(١) ب: شكلها "رَبٍّ سَلِّمْ"، وثبتت عبارة "إيلاوش ومعناه" في الهامش، وتحتها كتب "ايلاحوس رب" وكلمة غامضة تبتدأ بألف (٢) غ: يخرج (٣) ت: "في مرض الصفاق" عوض "يعرض للصفاق" (٤) ج: عن خلط..عن فتق...عن؛ ب: ...عن فتق... (٥) ب، م: خور (٦) نفسه (٧) م: سقط "وإما عن سدة" (٨) ج: والسدد (٩) ب: "بوضعها من" عوض "لوضعها مثل" (١٠) غ، م، ت: سقط "وربما كان هذا الداء...والفتوق" (١١) ج: الأورام (١٢) ب، م: رئيسيا (١٣) ب: يظهر "بالرجى" (١٤) غ، م، ت، ج: يشملها (١٥) غ، م، ت: امتساك؛ ب، ج: احتباس (١٦) م، ج: بحركة (١٧) ج: سقط "سنين" (١٨) م: تنفصل...، وسقط "ريح"؛ ب: يفصل... (١٩) ب: فلا (٢٠) غ، ت: سقط "وربما أحست...نبض ضعيف".

وإما عقب أورام حارة[1]. ومن هذا الجنس هي العلة التي تعرف بانقباب[2] فم[3] الرحم: أعني أنه بقية ورم يُصلِّب به فم الرحم. فأما أصناف سوء المزاج الحادث بالرحم فيستدل عليها إذا كانت مادية[3] بما[4] يسيل من الرحم. وأما إذا كانت غير مادية فيستدل عليها[5] بالجفوف الذي يكون[6] فيها. وبالجملة الدلائل التي تدل على المزاج العام، أحد ما يستدل به على مزاج الرحم. ومن هنا يمكن أن تقف على الأسباب الفاعلة للعقر[7] فيه. وهنا انقضى القول في هذا الجزء من العلم بحسب غرضنا في الإيجاز[8] والحمد لله[9] رب العالمين[10].

(١) ب: حادة (٢) ب: بانقلاب...؛ م: "في" عوض "فم" (٣) ب: "دموية" وصححها فوق السطر "مادية" (٤) ت، ج: مما (٥) م: سقط "إذا كانت...عليها" (٦) غ: التي تكون (٧) غ، ت: للعفن؛ ج: "للعفونة" وفوقها صح، وفي الهامش "للعقرية" وفوقها (٨) غ، م، ت: سقط "في الإيجاز" (٩) ت: من دون عبارة "والحمد لله" (١٠) غ، ت: من دون عبارة "رب العالمين...لله كثيرا"، في م: "كمل كتاب العلامات بحمد الله وعونه وصلى الله على محمد نبيه وسلم" وفي ج: "والحمد لله كثيرا كما هو أهله بلغت المقابلة" عوض "والحمد لله رب العالمين...لله كثيرا" ب: بلغت القراءة والمقابلة والحمد لله كثيرا.

الكتاب الخامس

الأدوية والأغذية[1]

(١) ب، م: أضيف "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد(ب: أضيف "نبيه الكريم") وآله وسلم(ب: أضيف "تسليما")"، ولم يثبت عنوان الكتاب؛ ت: أضيف "بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله وعليه توكلت وإليه أنيب".

[١ – تعريف الدواء والغذاء]

[١] ينبغي أن نرسم أولا ما هو الدواء والغذاء؟ وكم أفعالهما؟ وكيف يفعلان، وبخاصة الأدوية؛ فإن لها أفعالا كثيرة: مثل الأفعال التي يسميها الأطباء قوى؟ أول وثواني[١] وثوالث[٢] وخواص. ونرسم مع هذا طبائع الأدوية الفاعلة لفعل[٣] فعل من هذه الأفعال، ثم ننظر بعد ذلك في هذه الأفعال التي للأدوية، هل يمكن أن تدرك بالقول؟ أم سبيل إدراكها إنما هي التجربة ثم نوفي هاهنا بالقول أسباب ما أدركته التجربة؟ أم فيها ما يجمع الأمرين جميعا؟ وذلك كله بعد أن يُتسلم ما يجب تَسَلُّمُه[٤] من صاحب علم الطبائع. فإذا فرغنا من هذا ذكرنا من أشخاص الأدوية والأغذية ما كثرت تجربته في البلاد الطبيعية، وشهدت جماعة الأطباء له أو الأكثر[٥]، ثم بعد ذلك نصير إلى قوانين التركيب، ونذكر من أشخاص المركبات أشهرها، ونعرِّف طبائعها بحسب ما تقتضيه تلك القوانين، وبتمام هذا يتم الغرض في هذا الجزء، فنقول:

[٢] إن الغذاء هو الذي من شأنه أن تصيره الطباع جزءا من المغتذي، وهو هو[٦] بالنوع الجزء المتحلل. وأما الدواء فهو الذي من شأنه أن تصيره الطباع جزء من المغتذي ليس هو هو[٧] بالنوع الجزء المتحلل بل ذو حالة وانفعال مغاير[٨]. ولذلك متى كان ورود هذه الحالة على حالة مرضية مضادة لها سمي ذلك الفعل تداويا ومداواة. وهذا هو معنى ما حدَّهما به جالينوس إذ قال: إن الغذاء هو ما فعل فيه البدن. والدواء ما فعل في البدن. لكن متى لم يفهم منه هذا المعنى لم تفهم حقيقة الدواء والغذاء. وقد ظن بعض أصحابنا أن ما قلناه في هذا الحد هو مخالف لقول جالينوس وجرى بيننا وبينه في ذلك أقاويل مكتوبة وهو أبو بكر ابن طفيل رحمة الله عليه[٩](*).

[٣] والأحوال[١٠] التي تفعلها الأدوية في أبدان الناس منها أول وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، ومنها ثوان وهي مثل الإنضاج والتليين والتحليل والتفتيح وغير ذلك من الأفعال التي سنعددها عند رسمنا طبائع الأدوية الفاعلة لذلك. وإنما سميت ثواني لأنها تابعة لمقادير امتزاج القوى الأول في الأدوية[١١]. ومنها ثوالث وهي

---

(١) غ، م: وثوان (٢) ت: سقط "وثوالث" (٣) غ: بفعل (٤) غ: تسلم...؛ م، ت: نتسلم... (٥) ت: "بالأكثر" عوض "أو الأكثر" (٦) م: سقط "هو" (٧) م: سقط "هو" (٨) ت: "فعل وانفعال معا" (٩) غ، م، ت: سقط "وهذا هو معنى..." (١٠) غ: والأفعال (١١) غ، م، ت: سقط "وإنما سميت..."

(*) كونه ترحم هنا على ابن طفيل دليل على أنه كتب هذه العبارة بعد وفاة هذا الأخير سنة ٥٨١هـ.

التي تختص بأعضاء ما. وينبغي أولا أن نقول كيف تفعل في الأبدان هذه الأفعال، وتنفعل عنها الأبدان هذه الانفعالات. والوقوف على ذلك يكون بالوقوف على الجهة التي بها يغتذي المغتذي، فنقول:

[٢- معنى الاعتدال في الغذاء والدواء]

[٤] إنه قد تبين في العلم الطبيعي أن الاغتذاء إنما يكون أولا للأعضاء المتشابهة الأجزاء. وذلك بأن يستحيل أولا الغذاء على مراتبه في الجسم المغتذي إلى رطوبة شبيهة بالرطوبة المبثوثة في الأعضاء المتشابهة، فتختلط بها على جهة ما تختلط الأشياء الرطبة بعضها ببعض. فإنه ليس هاهنا وجه تخلف به الطباع بدل ما تحلّل في جميع أقطار[1] العضو غير هذا الوجه، أعني الاختلاط. فإذا اختلطت بتلك الرطوبات[2] استنقعت[م] بها[3] وشبهتها بها الطباع، أعني أنها تجعل لها قواما شبيها بقوام العضو.

[٥] وتبين هنالك (في العلم الطبيعي) أن هذا[4] الفعل إنما يكون بالطبخ. والطبخ بالحرارة التي في المغتذي، التي هي أحد[5] أجزاء الحيوان المتشابهة، لا على أن الحرارة هي المحرك الأول في هذا الفعل، بل النفس الغاذية: فإن أفعال الحرارة ليست محدودة ولا مرتبة نحو غاية[6].

[٦] وإذا كان هذا كله كما وُضِع وكما وصفنا[7]، فقد ظهر من قرب كيف نقول في الغذاء إنه معتدل، وفي الدواء أيضا. وكيف نقول في كل واحد منهما إنهما خارجان عن الاعتدال؛ وإن كان الاعتدال أولى أن ينسب إلى الغذاء، كما أن الخروج عن الاعتدال أولى أن ينسب إلى الدواء. وذلك أن الغذاء الذي في[8] قوته واستعداده أن يستحيل عن الطباع (=أن يتحول) إلى رطوبة شبيهة بالرطوبة الأصلية التي في الأعضاء المتشابهة الأجزاء وإلى حرارة غريزية شبيهة بالحرارة التي في المغتذي حتى تكون هي هي[9] من جميع الوجوه[10] -وذلك في المعتدل المزاج أو في القريب من المعتدل- قيل في ذلك الغذاء إنه معتدل، كالحال في لباب خبز البر المحكم الصنعة، ولحوم الدجاج الفتايا. فكأن مثل هذه الأغذية إنما تفيد الجسم كمية أخرى[11] هي هي بعينها الأجزاء التي تحللت.

[٧] وأما الاعتدال[12] في الدواء فهو قريب من هذا المعنى، لكن يخالفه في أنه ليس فيه قوة في أن يخلف أجزاء مساوية[13] في الكمية لما تحلل من بدن المغتذي. ولذلك ليس يمكن أحدا أن يغتذي بالدواء المعتدل، أعني أن يستعمل منه مقدار ما يستعمل من

---

(١) م: أضيف "هذا" (٢) غ، م، ت: تلك(غ، ت: بتلك) الرطوبة (٣) ت: فيها (٤) ب: سقط "هذا" (٥) ت: أجزاء (٦) غ، م، ت: أضيف "ما" (٧) غ، م، ت: سقط "وكما وصفنا" (٨) م: سقط "في" (٩) م: سقط "هي" (١٠) غ، م: الوجود (م: يظهر أنها صححت) (١١) غ، ت: أجزاء (١٢) غ: أضيف "لما تحلل من" وتبدو فوقها علامات تصحيح (١٣) ب: متساوية، م : متشابهة.

الغذاء، بل معنى قولنا في الدواء إنه معتدل أي إذا تناول الحيوان منه مقدارا غير محسوس بالإضافة إلى كمية الأجزاء المتحللة من جسمه لم يحدث هنالك حالة غريبة في البدن. وأما لو تناول الإنسان من الدواء مقدار ما يتناول من الغذاء لأحدث في جسمه حالة غريبة ضرورة. على أنه يعسر وجود دواء معتدل في جميع الأفعال. وعلى هذا المعنى ينبغي أن يفهم أن[1] قولنا في الدواء إنه حار أو بارد أو رطب أو يابس، وقولنا ذلك في الغذاء، أنه باشتراك الاسم: فإنه ليس قولنا في الخمر إنها حارة في الدرجة الثانية، وقولنا ذلك[2] في الزعفران مثلا بمعنى واحد.

[٣ - الخروج عن الاعتدال في الغذاء والدواء]

[٨] وإذ قد تبين ما هو الغذاء المعتدل والدواء المعتدل، وكيف فعلهما في الأبدان، فقد نقدر أن نقف من ذلك على الجهة التي ينسب إليهما الخروج عن الاعتدال. وذلك في الكيفيات الأول: أعني كيف يسخن الدواء ويبرد ويرطب وييبس: وذلك أن الدواء الذي من شأنه أن يستحيل إلى كيلوس[4] أحر من الكيلوس المعتدل أو إلى حرارة أشد من الحرارة التي هي جزء من المعتدل[3]، أعني إلى جزء حار[4]، يُحِرّ[5] المعدة أكثر مما ينبغي. والدم الذي يتولد من مثل هذا الكيلوس يكون أحر مما ينبغي. والحرارة الغريزية التي مادتها الدم، تكون ضرورة أحر مما ينبغي. والرطوبة الأصلية[6] التي يستحيل إليها الدم في الأعضاء الأصلية، تكون أحر مما ينبغي. فتستحر[7] بذلك، ضرورة، جميع أعضاء[8] البدن.

[٩] وأما الدواء البارد فإنما يبرد بأنه[9] يستحيل في مواضع الهضم إلى حرارة أنقص من حرارة البدن، حتى يكون الكيلوس المتولد عنه في المعدة أبرد مما ينبغي. وكذلك الدم والحار الغريزي والرطوبة التي في الأعضاء، حتى الأعضاء أنفسها. وهكذا أيضا ينبغي أن تفهم الأمر في الرطب واليابس في جميع أجزاء البدن[10].

[١٠] والأطباء لما لحظوا أفعال[11] الأدوية في الأبدان[12] قرب عليهم إعطاء السبب في كيف تسخن[13] البدن، وعسر عليهم القول في وجه تبريده، حتى نسمع جالينوس يقول: إن ذلك يكون بتقسُّم الدواء إلى أجزاء صغار فقط. ولو كان الدواء البارد ليس يحتاج في تبريده[14] إلى أكثر من أن ينقسم فقط لكان باردا بالفعل. وإنما هذا

---

(١) غ: تفهم...؛ م، ت: سقط "أن" (٢) ت: وذلك قولنا (٣) م: المغتذي (٤) غ، ت: سقط "أو إلى حرارة...جزء حار"؛ م: أضيف "فإن الحرارة"؛ ب: أضيف "فإن الحرارة مما تقال في موضوع" وفوق العبارة علامات تصحيح (٥) م: تحر (٦) ت: شطب على "الأصلية" (٧) م: تحر (٨) م: أعضاء جميع (٩) م، ت: بأن (١٠) غ، م، ت: سقط "في جميع أجزاء البدن" (١١) غ، م، ت: تخطوا (ت: لحظوا) فعل (١٢) م: سقط "في الأبدان" (١٣) غ، م، ت: يسخن (١٤) غ: تدبيره.

شيء[1] يشمل الدواء الحار كما يشمل البارد: وذلك أن الأشياء التي من شأنها أن تستحيل، إذا انقسمت إلى أجزاء صغار، كانت أسرع لقبول الاستحالة والغذاء[2]. وإن كان مستحيلا عن البدن(=أصله منه) فليس ينكر أن يكون البدن، مع أنه يحيله (=يحوله)، يستحيل[3] عنه أيضا. وإذا كان هذا موجودا في الغذاء فكم بالحري أن يكون موجودا في الدواء. ولذلك يقال إن الشجرة المصرية كانت قاتلة، فلما نقلت من[4] أرض مصر صارت غاذية. وحكى أرسطو أنه يوجد في بلاد الروم نهران، إذا شربت الغنم من أحدهما ولدت خرفانا سودا وإذا شربت من النهر الآخر ولدت خرفانا[5] بيضا. وإنما كان ذلك كذلك لأن الغذاء، كما تبين في العلم الطبيعي، هو من جهة ضد ومن جهة شبيه[6]، فهو يفعل من جهة الضدية وينفعل من جهة الشبه[7].

[١١] فهذه هي حال الأدوية التي جرت العادة أن تسمى حارة بالقوة وباردة بالقوة أي بالاستعداد الذي فيها، كما يقال في شجر الصنوبر[؟] إنها حارة بالقوة لأنه يشبه أن لا يكون في شيء من المركبات حرارة بالفعل، أعني محسوسة لنا، ما عدا الحيوان، وذلك لكماله[8]. فأما سائر الموجودات فهي تحتاج إلى الحرارة من خارج أكثر ذلك[9]. ولذلك ليس توجد الأسطقسات فيها على تعادل كوجودها[10] في الحيوان. فأما الأشياء البسائط التي ليس من شأنها أن تغذو، أعني الأسطقسات الأربعة، فإنما[11] تفيد الأبدان إذا لقيتها من خارج أو من داخل كيفية فقط. ولذلك كانت هذه، إذا لقيت الأبدان، محركة محضة[12] لا متحركة، إذا[13] كانت[14] الكيفيات التي تفعل بها[15] في الأبدان موجودة[16] بالفعل، كالحرارة في النار والبرودة في الثلج. ولا أن تكون في جنس ما يتحرك عن الأبدان. وهذا هو المتحرك الذي يحرك بالقوة، لأن الذي بالقوة هو منفعل لا فاعل. وإنما يخرج إلى الفعل من قبل محرك هو بالفعل[17]. ولما أراد الأطباء أن يخمّنوا[18] مقادير الاستعدادات التي في الأدوية، لما اضطروا إليه من ذلك في المعالجة، جعلوها درجات[19] وذلك بالإضافة إلى البدن المعتدل، واقتصروا على أربع مراتب فقط: حار في الأولى وفي الثانية وفي الثالثة وفي الرابعة. وكذلك البارد واليابس والرطب. إلا أن الرطب فيما يظهر لا يتعدى الدرجة الثالثة. وأما ما تجاوز هذا الدرج فهي سموم تفسد الأبدان. فهذه هي حال الأفعال الأول من أفعال الأدوية ووجوه[20] فعلها. وقد ينبغي

---

(١) م: سقط "شيء"؛ ت : حتى (٢) غ، م، ت: والدواء (ب: يظهر أن الكلمة في الأصل "الدواء" وصححت في المتن نفسه "الغذاء") (٣) ت: "تستحيل"، وسقط "يحيله" (٤) ت: إلى (٥) غ، ت: حملانا (٦) ت: "شبيهة" عوض "جهة ضد ومن" (٧) غ، م، ت: فهو ينفعل من جهة الشبيه(ت: الشبه) وهو(م: سقط "هو") يفعل من جهة الضدية (٨) ت: بكماله (٩) ت: سقط "ذلك" (١٠) م: كما توجد (١١) م، ت: فإنها (١٢) ب: فقط (١٣) غ، م، ت: إذ (١٤) غ: أضيف "في" (١٥) م: سقط "بها" (١٦) م: أضيف "بها" في الهامش (١٧) غ، م، ت: سقط "ولا أن تكون في...هو بالفعل" (١٨) ب: يحققوا (١٩) في غير م: درجا (٢٠) غ، ب، م: ووجه.

أن نصير إلى القول في القوى الثواني والثوالث، ونرسم طبائع الأدوية الفاعلة لذلك ونقول مع هذا[١] كيف تفعل هذه الأفعال[٢]، فنقول:

[٤- الأدوية وأنواع تأثيرها]

[١٢] إن الأدوية من حيث هي مركبة من الأسطقسات[٣]، إما أن تنفعل[٤] عنها الأبدان انفعالات شبيهة بما فيها من القوى الأسطقسية، مثل أن تحدث فيها حرارة أو برودة أو رطوبة أو يبوسة شبيهة بالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة التي فيها، وإما أن تنفعل انفعالات ليست شبيهة بما فيها من القوى الأسطقسية، بل ذلك شيء تابع للقوى الأسطقسية من جهة الموضوع الذي تفعل[٥] فيه، مثل التصليب(من الصلابة) والتليين والتسديد والتجميد[٦] وغير ذلك. والموضوع الذي تعرض فيه هذه الانفعالات إذا كان أي عضو اتفق سميت تلك الأفعال[٧] للأدوية ثوانيا[٨]. وأما إذا كان الموضوع لها عضوا خاصا[٩] سميت أفعالا ثوالثا[١٠]، مثل الأدوية التي تُدِرُّ البول وتنقي الرئة. فإذ قد تبين ما يعنون بالقوى الثواني والثوالث فقد يجب أن نرسم طبائع الأدوية الفاعلة للأفعال المشهورة من هذه الأفعال[١١] ونبتدئ أولا بالثواني، فنقول:

[١٣] إن هذه الأدوية منها المنضجة وهي[١٢] المقيحة، ومنها الملينة ومنها المصلبة، ومنها المسددة ومنها المفتحة، ومنها المخلخلة ومنها المكثفة، ومنها الموسعة لأفواه العروق ومنها المضيقة القابضة، ومنها المسكنة للأوجاع ومنها المحرقة، ومنها المعفنة ومنها المذيبة للحم ومنها الداملة ومنها المنبتة للحم[١٣]، ومنها الجاذبة ومنها المقوية ومنها الصحية. فهذه هي المشهورة من أفعال الأدوية التي جرت عادة الأطباء بتعديدها. وينبغي أن تعلم أن الدواء الذي نسبته[١٤] إلى فعل واحد من هذه الأفعال أن تلك النسبة له[١٥] إنما هي بالإضافة إلى البدن المعتدل أو القريب من المعتدل[١٦]. والطبيب الناظر في هذه الصناعة إذا ورد عليه بدن غير معتدل يخمن في ذلك بمقدار ما يحتاج إليه من طبيعة الدواء الفاعل لذلك الفعل في ذلك البدن. وللتجربة هاهنا فعل كبير. مثال ذلك أنا متى علمنا أن الدواء المنضج هو الذي حرارته مساوية لحرارة بدن الإنسان، فينبغي أن نتأمل هذا المعنى في مزاج إنسان إنسان، ونتحرى[١٧] له الدواء الذي يحدس أن هذه نسبته إليه. وليس يجب أن نفعل هذا في المزاج بل و[١٨] في العضو، فإن المقيح في الفخذ

---

(١) م: ذلك (٢) ت: أضيف "القول في القوى الثواني والثوالث" (٣) ب: أضيف "إذا فعلت فيها أبداننا" (٤) غ: تفعل (٥) ت: سقط "تفعل" (٦) غ: والتسويد والتحمير؛ م: ...والتحمير؛ ت: ...والتفتيح (ب: كتب في الهامش "والتسويد والتحمير") (٧) م: سمي ذلك الفعل (٨) ب، م: ثواني (٩) ت: عضو خاصيا (١٠) غ، ب، م: ثوالث (١١) م: سقط "الأفعال" (١٢) غ: ومنها (١٣) م: سقط "للحم" (١٤) غ، ب، م: ننسبه (١٥) ب، م: سقط "له" (١٦) م: الأبدان المعتدلة أو القريبة منها (١٧) غ، م، ت: ونتخير (١٨) م، ت: سقط "و".

غير المقيح في الأذن. وهذه كلها ينبغي أن تكون من الطبيب بحذاء ذهنه. وللتجربة كما قلنا في التخمين على هذه الأشياء، والحدس، قوة عظيمة؛ ولذلك ما يعظّم أبقراط أمر الكمية. وإذ قد تبينت جهة المقايسة التي بين هذه الأفعال من أفعال الأدوية وبدن الإنسان، فقد ينبغي أن نشرع في رسم طبيعة دواء دواء من الأدوية الفاعلة لهذه الأفعال، فنقول:

[٥- النضج وأنواعه]

[١٤] إن النضج هو فعل الحرارة الغريزية على ما تبين في غير[١] هذا الموضع. وذلك يكون بحسب[٢] مراتب الغذاء في الطبخ. فنضج في المعدة ونضج في الكبد[٣] ونضج في الأعضاء أنفسها. فإذا اتفق أن تَنْصَبَّ إلى عضو ما، أو تتولد فيه، مادة خارجة عن الطبع، إما في الكمية وإما في الكيفية أو في كليهما، وتعفنت تلك المادة، تولد ضرورة هنالك حرارة ممتزجة من[٤] الحرارة الغريزية والغريبة. فإن كانت تلك المادة ملائمة للنضج تقيحت ونضجت. وذلك أن القيح الأبيض مادة متوسطة بين النضج التام وعدم النضج لحال بياضه. وإنما تكون المواد أكثر ذلك ملائمة للنضج متى كان خروجها إنما هو في الكمية. وأما متى كان خروجها مع هذا[٥] في الكيفية فيعسر نضجها. وبخاصة إذا كان خروجها إلى كيفيات رديئة[٦]، مثل الأخلاط المحترقة وما أشبهها.

[١٥] وإذا كان هذا كله كما وصفنا، وكانت الصناعة في مثل هذه الحال، فقد[٧] ينبغي أن ترفد(=تُعان)[٨] الطبيعة لأن الحرارة الغريزية في العضو المنصَبِّ إليه المادة هي كالمغمورة[٩]، فمن الواجب أن تكون طبيعة الدواء المنضج طبيعة تفعل ذلك: أعني النضج. والذي بهذه الصفة هو الدواء الشبيه بالحرارة الغريزية. وذلك أن يكون مزاجه معتدلا في الحرارة والرطوبة، أو يكون مائلا إلى الحرارة شيئا لمكان برد الحرارة الغريزية في العضو من قبل كثرة المادة فيه أو كيفيتها. والأدوية التي بهذه الصفة إذا قيلت بالمقايسة إلى البدن[١٠] المعتدل قيل إنها معتدلة. وإذا نسبت إلى الغالب من أجزاء الأسطقسات فيها قيل إنها حارة رطبة. وهذه الأدوية هي بمنزلة الماء المعتدل الحرارة والزيت العذب، إذا نُطِلت(؟)[١١] به الأورام؛ وبمنزلة الضماد(؟) المتخذ بالطبخ من دقيق[١٢] الحنطة والماء والزيت. وينبغي أن تعلم أن المقيح في مزاج غيره،(=هو) في مزاج[١٣] آخر، وكذلك في عضو عضو. ولذلك ما ينبغي أن يخمن الطبيب لهذه في نفسه درجات: مثال

---

(١) م: "العلم" عوض "غير" (٢) غ، م، ت: على حسب (٣) ت: سقط "ونضج في الكبد" (٤) غ، ب: بين (٥) م: ذلك (٦) غ، م، ت: الكيفيات الرديئة (٧) غ، ب: قد؛ ت: سقط (٨) م: غامضة؛ ت: توحد (٩) ب: المغمورة؛ ت: كالمغورة (١٠) ت: بدن الإنسان (١١) م: طليت (١٢) ب: سقط "دقيق" (١٣) غ، م، ت: سقط "مزاج".

ذلك أن المقيح في الدرجة الأولى هو هذا[١] الضماد الموصوف، وأكثر منه المتخذ بالخبز لموضع (بسبب) الملح. وأكثر منه المتخذ بالخمير، أعني أن يتخذ بالماء والزيت على حسب الضماد المتخذ من الحنطة. وقد يقال في الدواء المسدد إنه منضج[٢] بالعرض مثل القيروطي[م] المتخذ بدهن الورد. وذلك أن المسام إذا انسدت سخن العضو فكان عن ذلك[٣] نضج. وقد يقال في الدواء إنه منضج متى كان فعله في المادة فعلا يسهل به على الطبيعة إنضاجها، أو يكون إنضاجها بحال أفضل[٤]، مثل أن يعدل كيفية المادة أو[٥] يلطفها. وبهذه الجهة يقال في كثير من الأدوية التي ترد داخل البدن إنها منضجة. وقد يمكن أن يجتمع في الدواء الواحد الإنضاج بجميع[٦] هذه الوجوه. وذلك إما بالصناعة في (الدواء) المركب، وإما بالطبيعة[٧] في(الدواء) المفرد (=الطبيعي). وقد يقال المنضج[٨] على الدواء الذي يصلح من كيفية[٩] الحرارة الغريزية ما[١٠] غيّرته الحرارة الغريبة. ومن هذا[١١] قولهم في البزرقطونا[م] إنها منضجة في الأورام[١٢] الحارة. وعلى هذا فيكون البارد[١٣] أيضا منضجا في الأورام الحارة. وأما الحد[١٤] الأول الذي حده به[١٥] جالينوس فإنه يصدق إذا كان عسر النضج من قبل ضعف الحرارة الغريزية في الكمية أو من قبل برد يسير[١٦].

[٦-] في [الأدوية] الملّيِنة

[١٦] والأدوية الملينة إنما يعنى بها في هذه الصناعة، في الأكثر، المحللة للأورام الصلبة المتحجرة[١٧] العديمة الحس. وهذه الأورام بالجملة إنما تتولد عن الأخلاط الغليظة، والتي بهذه الصفة هي ما غلب عليه[١٨] إما مرة سوداء وإما بلغم غليظ أو ما تركب منهما. ولما كانت هذه الأورام إنما تتعقد وتصلب[١٩] بالبرودة وجب أن تكون التي تلينها حارة، لأن ما عقدته البرودة فالحرارة تلينه أو تذوبه، إن كان مما شأنه أن يذوب، وذلك مثل العظام والحديد. ولما كانت أيضا هذه الأورام عندما تلين تترطب فقد ينبغي أيضا أن تكون الأدوية المبرئة منها، مع أنها حارة، فيها يبوسة ما لمقاومة تلك الرطوبة. والأدوية التي شهدت التجربة[٢٠] لها بهذا الفعل هي من الحرارة في نحو الدرجة الثانية أو في الثالثة[٢١]، ومن اليبوسة في الأولى. وذلك مثل الأشق[م] والمقل[م] الأزرق والميعة[م] ومخ ساق الأيل ومخ[٢٢] ساق العجل وشحم[٢٣] الماعز والبقر وشحم البط

---

(١) غ: "هو" عوض "هذا" (٢) ب: ينضج (٣) م: عنه (٤) م: سقط "أفضل" (٥) م: "و" (٦) غ: لجميع (٧) م: في الطبيعة (تقتصر الهوامش من ١ إلى ٩ على ب و م) (٨) م: النضج (٩) م: كيفيته (١٠) م: بما (١١) م: أضيف "النحو" (١٢) م: للأورام (١٣) ب: فيكون البارد (١٤) م: الجزء (١٥) م: سقط "به" (١٦) غ، ت: سقط "وقد يقال النضج...برد يسير" (١٧) ت: سقط "المتحجرة" (١٨) غ، م، ت: سقط "ما غلب عليه" (ب: كتبها في الهامش) (١٩) غ: ...وتتصلب؛ م، ت: تنعقد... (٢٠) م، ت: شوهدت بالتجربة (٢١) م: سقط "أو في الثالثة" (٢٢) م: سقط "مخ" (٢٣) م: ومخ.

والدجاج[١]. وإنما كانت هذه الأدوية بهذا القدر من الحرارة واليبس، لأن الأدوية التي هي أشد حرارة ويبسا من هذه من شأنها أن تحلل بعنف، حتى يبقى من الخلط بقية متحجرة[٢] لا تجيب إلى التحلل[٣]. وينبغي كما سلف أن تقيم في[٤] نفسك لهذه الأدوية مراتب. مثال[٥] ذلك أن الشحوم أضعف من الأشق، والمقل وشحم الدجاج أضعف من[٦] شحم البط. وذلك أن هذا الفعل يختلف في مزاج مزاج وعضو عضو.

[٧-] في [الأدوية] المصلِّبة

[١٧] وأما الأدوية المصلبة فإنه يلزم ضرورة أن تكون باردة، إذ كانت الصلابة إنما هي جمود؛ والجمود إنما يفعله البرد. فأما اشتراط الرطوبة في هذه الأدوية -كما يقول جالينوس- فلا معنى له، لأن الرطوبة إنما شأنها أن ترطب فقط، لا أن تصلب. ولو اشترط مع البرد اليبوسة لكان أجدر، لكون[٧] هذه الكيفيات[٨] أكثر ذلك هي منفعلة لا فاعلة. وإنما الكيفيتان الفاعلتان الحرارة[٩] والبرودة، وإن كانت أفعالهما قد تختلف بمعاونة[١٠] اليبوسة لهما أو الرطوبة. وقد استقصي أفعال هذه الكيفيات وانفعالاتها في (المقالة) الرابعة من (كتاب) الآثار (العلوية لأرسطو). ولهذه الأدوية أيضا عرض. ومثال هذه الأدوية على ما يقول جالينوس هي الطحلب[م] وحي العالم[م]، والبقلة الحمقاء[م]، والبزرقطونا[م]، وهذه وإن كانت مصلبة فبالبرودة لا بالرطوبة[١١].

[٨-] في الأدوية المغرِّية والمسددة

[١٨] وهذه الأدوية[١٢] هي[١٣] التي تُلْحَج[م] في مسام البدن وثقبه. وطبيعة ما هذا شأنه يلزم ضرورة أن تكون أرضية[م] من غير لذع، لأن اللذع مما ينفذ به الدواء في[١٤] المجاري بسرعة، أو تكون لزجة وذلك مثل الصموغ. وأما الأرضي غير اللزج فمثل النشا. لكن كما قلنا هذه الأدوية ينبغي أن تكون أبعد شيء من اللذع. ولذلك[١٥] ليس يحتاج أن تكون في مزاجها إلا معتدلة أو مائلة إلى البرد قليلا. فأما كيف تسدد البدن مثل هذه الأدوية إذا وردته من داخل، فقد يمكنك أن تفهمه مما سلف من[١٦] القول في فعل الدواء. وذلك أن التسديد والتلزيق (=اللصق)[١٧] إنما تفعله في[١٨] المعدة والأمعاء بالكيلوس المتولد فيها عنها، وكذلك في الكبد. وتفعله في العروق بالدم المتولد عنها.

---

(١) غ، م، ت: سقط "وشحم البط والدجاج" (ب: كتبها في الهامش) (٢) غ: فتحجره (٣) م: التحليل (٤) ب، م، ت: أن تفهم في(م: من) (٥) في غ: "من" وفي م، ت: "و" عوض "مثال" (٦) ت: سقط "الأشق...أضعف من" (٧) غ، ب، ت: لكن (٨) ت: الكيفيات؛م" الكيفيتان" (٩) غ، ت: للحرارة (١٠) ت: بمقارنة (١١) ت: سقط "لا بالرطوبة" (١٢) ت: "أيضا" عوض "الأدوية" (١٣) م: أضيف "أيضا" (١٤) غ، م، ت: عن (١٥) م: عن اللذع وكذلك (١٦) غ، م، ت: عن (١٧) ب: التزليق (غ، م، ت: التلزيق) (١٨) ت: سقط "في".

وتفعله في الأعضاء أنفسها بالرطوبة[١] المتولدة فيها عنها. والأدوية المسددة تختلف في فعلها باختلاف أمزجة الأعضاء، حتى أن التمر، فيما حكوا، مسدد للكبد ومفتح للسدد في الرئة.

[٩-] في الأدوية[٢] الفتّاحة والجلاّءة

[١٩] وهذه الأدوية هي من جنس واحد، وإنما تختلف بالأقل والأكثر: فما كان من الأدوية إنما يجلو الوضر[م] الذي على ظاهر البدن ويغسله من غير أن تكون فيه قوة على أن ينفذ في المسام ويفتحها[٣] قيل إنه دواء[٤] جلاّء بمنزلة ماء العسل وبزر البطيخ ودقيق الفول[٥] والشعير. وما كان[٦] من هذه الأدوية بالجزء الناري[م] الذي فيه ينفذ في المسام فهي المسماة فتاحة. وهذه الأدوية منها ما يفعل في ظاهر البدن أكثر مما يفعل في باطنه، ومنها ما يفعل في باطن البدن أكثر مما يفعل في ظاهره، ومنها ما يفعل في الأمرين معا[٧].

[٢٠] أما الأدوية التي تفعل في ظاهر الجسم هذا الفعل فهي الأدوية البورقية[م] التي ليس في جوهرها غلظ، وذلك أنها للطافتها تنفذ في ظاهر الجسم. وأما إذا وردت هذه الأدوية البدن فإنها للطافتها وسعة المسام التي في داخل البدن تنفذ فيها من غير أن تذهب[٨] بالأشياء اللاحجة التي فيها. فإن اجتمع في الدواء مع التفتيح قبض وغلظ جوهر، فعلت في المسالك التي في باطن الجسم. وذلك أن الأرضية التي فيها والغلظ تكون[٩] كالآلة للقوة الفتاحة التي فيها لتنقية تلك المسالك. وكذلك القبض يثبت[١٠] الأدوية في تلك المسام حتى تفعل فعلها. ولن يخفى عليك كيف هذا الفعل للدواء في داخل البدن مما سلف.

[٢١] وأما هذه الأدوية متى وضعت على ظاهر الجسم فلمكان القبض الذي فيها والأرضية[م]. وضيق المسام التي في ظاهر الجسم ليس يكون لها فيه نفوذ. ولذلك صار الأفسنتين[م] مفتحا لسدد[١١] الكبد غير مفتح لمسام الجسم من خارج، لمكان القبض الذي فيه. والأدوية التي بهذه الصفة هي ضرورة مرة الطعم قابضة قبضا ما. وأما الأدوية التي تفعل الأمرين جميعا فهي المتوسطة بين طبيعة هذين. وهذه هي الأدوية التي فيها مرارة مع بورقية[م] ظاهرة من غير قبض مثل السوسن الأسمانجوني[م] والشيح[م][١٢] وغير ذلك.

---

(١) غ، م، ت: بالرطوبات (٢) م: سقط "الأدوية" (٣) غ، م: تنفذ...تفتحها (٤) ت: ذو (٥) م: الباقلى (٦) م، ت: أضيف "منها" (٧) ب، م: جميعا (٨) غ، م: ينفذ...يذهب (م: تذهب) (٩) غ: بالأرضية...يكون (١٠) غ: ...تثبت؛ م: وكذلك تثبت؛ ت: ولذلك تثبت (أو يثبت) (١١) غ، م، ت: لسدة (١٢) غ: يظهر "والشيجي"؛ م، ت: سقط.

[٢٢] وينبغي أن تعلم أن المفتح في عضو غير المفتح في عضو آخر. ولذلك قد ينبغي أن تخطر ببالك لهذا الفعل درجا على ما ينبغي أن تفعله في سائر الأفعال التي للأدوية والقوى. وأما الأدوية الملطفة فهي قريب[١] من هذه، وهي التي من شأنها أن تفعل في الأخلاط الغليظة مزاجا حتى تجعل قوامها أرقّ. وهذا الفعل يلزم أن يكون فيه بحرارة تفيد الجسم لطافة ما. وهذه الأدوية هي مثل الروفا والحاشا[٢].

[١٠-] في الأدوية المخلخلة

[٢٣] ولما كان التخلخل إنما هو زيادة في كمية العضو المتخلخل، والزيادة في الكمية إنما تكون باستحرار العضو، لزم ضرورة أن تكون الأدوية المخلخلة مسخنة لكن معتدلة في السخونة. لأن الأدوية الحارة الشديدة الحرارة تستفرغ وتيبس، ولا يكون أيضا مع هذا فيها غلظ جوهر، لأن الحرارة التي في مادة غليظة ناكثةٌ وإن كانت يسيرة. والأدوية التي بهذه الصفة هي البابونج[٢] والخطمي[٢] والزيت العتيق.

[١١-] في الأدوية المكثفة

[٢٤] وأما المكثفة فهي ضد المخلخلة، أعني أنها باردة. وذلك أن العضو إذا برد صغرت كميته لقربه بالبرد من طبيعة الأرض، كما أنه إذا سخن عظمت كميته لقربه من طبيعة الهواء، فإنه ليس تزيُّد الكمية يكون بشيء من خارج، ولا نقصانها يكون بتحلل[٣] شيء منها[٤]. وهذا قد لاح في العلم الطبيعي.

[٢٥] والأدوية التي تفعل هذا الفعل هي بعينها المصلبة، لكن التكاثف إنما تفعله أولا، فإن طال لقاؤها للعضو[٥] صلّبته، وربما[٦] أحدثت فيه موتا وذلك إذا طالت مجاورتها له وذلك في الغاية.

[١٢-] في الموسعة لأفواه العروق[٧]

[٢٦] وأما الأدوية الموسعة لأفواه العروق فهي أدوية حارة المزاج جدا غليظة الجوهر. وهي من جنس الأدوية المفتحة، إلا أنها أقوى منها. فكأن هذه الأدوية في ثلاث مراتب: جلاء ومفتح وموسع لأفواه العروق، إلا أن حرارة هذه الأدوية، أعني المفتحة ليس ينبغي أن تكون محرقة، فإن الإحراق مكثف. وهذه الأدوية هي بمنزلة الثوم ومرارة الثور ودهن الأقحوان[٢].

---

(١) هكذا في ب: "قريب" (٢) غ، م، ت: سقط "وأما الأدوية الملطفة..." (٣) ب، م، ت: بتحليل (٤) غ، ب: أضيف "أبدا" (٥) م: أضيف "ربما" (٦) ت: "بالعضو ربما" (٧) غ، م: سقط "في الموسعة لأفواه العروق".

[١٣-] في القابضة المضيقة لأفواه العروق

[٢٧] وهذه الأدوية هي أدوية في طبعها باردة أرضية شديدة اليبس، ولذلك كان طبعها[١] قابضا. وذلك أن جمع أفواه العروق إنما يكون بالبارد[٢] الأرضي، لأن البارد غير[٣] الأرضي ضعيف الفعل. فهذا هو الفرق بين المكثف والقابض، أعني أن المكثف يكون في جوهر لطيف والقابض في جوهر غليظ. وأمثال هذه الأدوية هي العفص[؟] والجلنار[؟] والأقاقيا[؟] وغير ذلك.

[١٤-] في المسكنة للأوجاع

[٢٨] فنقول: إن الدواء المسكن للوجع يقال على جهات: أحدها الذي يرفع سبب الوجع، والثاني الذي يخدر الحس بمنزلة الأفيون، والثالث الذي يفعل في العضو الوجع فعلا مضادا للسبب[٤] الموجع، وهذا هو المسكن بالحقيقة: لأن الأول تدخل فيه أجناس كثيرة من الأدوية مثل الأدوية التي تسهل والأدوية التي تقطع الأخلاط وتنضجها. والثاني ليس مسكنا إلا بنوع من[٥] العرض: وذلك أنه يحدث في العضو خدرا ما وعسر حس، ولذلك كان استعمال مثل[٦] هذا غير مأمون إلا في المواضع التي يضطر إليه كما سنبين في حيلة البرء. وأما النوع الثالث فهي المسكنة بالحقيقة إذ كان ذلك أمرا يخصها: أعني أنها تفعل في العضو فعلا مضادا لفعل السبب الموجع. ولذلك ما يلزم ضرورة أن تكون هذه الأدوية إما معتدلة وإما[٧] في طبيعة الحار الغريزي وإما أحر بقليل. وذلك بحسب ما يبرد الحار الغريزي في ذلك العضو أو[٨] يتبدد من السبب الموجع[٩]. وبذلك أمكن أن تسكن عن هذه الأدوية[١٠] الأوجاع التي أسبابها أمور حارة أو باردة تسكينا واحدا، وذلك بزيادتها في الحرارة الغريزية التي هي آلة[١١] الطبيعة في الشفاء والبرء، فتستولي الطبيعة على ذلك السوء مزاج[١٢](=المزاج السيء) الفاعل للوجع فتكسر[١٣] منه أو تسكنه وتذهبه. وينبغي مع كون هذه الأدوية في هذه الدرجة أن تكون لطيفة غواصة سريعة الاستحالة إلى الحرارة الغريزية. وأيضا فإنها تعين[١٤] على الإنضاج بالتلطيف.

[٢٩] ولذلك قد[١٥] نرى في هذه الأدوية أنها تسكن الأوجاع بجهتين: أما الجهة الأولى فبإنمائها الحار الغريزي، وأما الجهة[١٦] الثانية فبإعدادها الخلط الفاعل

---

(١) غ، ب: طعمها؛ م: سقط "كان" (٢) ب: بالبرد (٣) ت: سقط "غير" (٤) ب: "لفعل السبب" عوض "للسبب" (٥) غ، م، ت: سقط "من" (٦) ب: سقط "مثل" (٧) غ، ب: سقط "إما" (٨) ب: و (٩) غ، م، ت: سقط "من السبب الموجع" (١٠) غ، م، ت: سقط "عن هذه الأدوية" (١١) م: أضيف "بمنزلة" (١٢) م، ت: السوء المزاج (١٣) م: هكذا "فتسكن" (١٤) ت: فإنما يعين (١٥) م: ما (١٦) غ: سقط "الجهة"؛ م، ت : والجهة.

للوجع إلى النضج، وسهولة الانفعال عن الطبيعة. ولذلك كان أبلغ الأشياء في هذه الأدوية الشحوم والأدهان، كشحم الدجاج؛ وأفضل منه شحم الأوز كما يقول جالينوس. وأما من الأدهان فدهن محاح البيض. والزيت المسخن سخونة يسيرة، له[1] في هذا فعل ليس بالدون[2]. وأما سائر الأدوية، مما فيها كيفية لذاعة وبخاصة قابضة، فهي أبعد شيء عن تسكين الأوجاع. وكذلك الأدوية الباردة والمسددة أيضا[3] تزيد في الأوجاع بمنعها ما يتحلل من[4] العضو. وأما المسخنة فتفارق[5] هذه بأنها أغلظ جوهرا منها قليلا، وبذلك صار لها التفتيح للمسام مع تخلخل العضو. ولكن بالجملة طبيعتها قريبة من طبيعة هذه الأدوية.

[-١٥] في المنبتة للحم

[٣٠] وهذه الأدوية ينبغي أن يكون فيها جلاء يسير وتجفيف. أما الجلاء فللوضر[م] الذي في القروح، وأما التجفيف[6] فللرطوبة، فإن في هضم كل واحد من الأعضاء توجد هاتان الفضلتان، أعني الغليظة واللطيفة.

[-١٦] في الداملة للقروح[7]

[٣١] وأما الأدوية الداملة فهي أدوية تحتاج أن تكون أدوية قابضة مجففة باعتدال. وذلك أن الجسم الذي ينبغي أن تخلفه الطبيعة بعد نبات اللحم هو الجلد. والجلد أيبس من اللحم. فلذلك ما ينبغي أن تكون هذه قوية التجفيف بمنزلة العفص[م] والجلنار[م].

[-١٧] في المحرقة

[٣٢] وأما الأدوية المحرقة فهي في مزاجها في غاية الحرارة، وهي مع هذا غليظة الجوهر، وذلك أنها إذا كانت بهذه الصفة فعلت في الجسم ما تفعل الجمرة الملتهبة.

[-١٨] في الأكالة للحم والمذيبة له

[٣٣] وهذه الأدوية مفنية للحم، إلا أنها ليس تفعل ذلك بظهور إحراق بين فيه كما تفعل الأدوية المحرقة، وذلك لقلة حرارتها عن حرارة الأدوية المحرقة ولطافة

---

(١) ت: سقط "له" (٢) ب: أضيف "وبالجملة إذا كان الوجع مؤذيا فالقابلة لهذه هي الملذة". (٣) م: سقط "أيضا" (٤) ب: لمنعها...عن (٥) غ، م: المسخفة؛ (٦) م: وتخفيف (٧) ت: سقط "في الداملة للقروح".

جوهرها[١]. والمذيبة للحم أضعف فعلا من المعفنة. وإنما سميت معفنة[٢] لأن تآكل اللحم إنما يكون ضرورة عن[٣] حرارة غريبة. والحرارة[٤] الغريبة هي عفونية ما ضرورة[٥]. والأدوية المعفنة هي بمنزلة الزرنيخ[؟] الأحمر والأصفر، والأدوية المذيبة للحم تستعمل في إذابة[٦] اللحم في القروح التي فيها لحم زائد، كما أن المعفنة تستعمل في الأواكل.

[١٩-] في الجاذبة

[٣٤] والجذب قد يكون بالكيفية الأولى[٧] وقد يكون[٨] بخاصة. والفرق بينهما أن الجذب بالكيفية الأولى يكون لأي شيء اتفق. وأما جذب الخاصة فإنه يكون لشيء بعينه[٩] مثل جذب حجر المغنطيس للحديد فقط. والجذب بالجملة كيف ما كان إنما يكون بالحرارة. وسنخلص[١٠] بعدُ الأفعال التي تسمى خواص من غيرها من الأفعال. والأدوية الجاذبة بالكيفية الأولى بما هي كيفية مطلقة، أعني الحرارة بما هي حرارة، صنفان: صنف يجذب بحرارة طبيعية[١١] بمنزلة المشكطرامشير[؟][١٢] ووسخ الكور[؟] وصنف يفعل ذلك بحرارة عفونية بمنزلة الخمير وخرو الحمام[١٣].

[٢٠-] في البازهرية والمخلصة[١٤]

[٣٥] وأما الأدوية البازهرية[؟] والمخلصة فأكثرها إنما تفعل ذلك[١٥] بجملة جوهرها. وتلك هي الخاصة[١٦]. وقد تفعل ذلك أيضا[١٧] بالكيفيات الأول التي فيها إذا كانت مضادة للكيفيات الحادثة[١٨] عن السموم، فإن السموم أيضا تنقسم هذا الانقسام[١٩] أعني أن فيها ما هي سموم بكيفياتها الأول، ومنها ما هي سموم بجملة جواهرها وسنفصل هذا فيما بعد. [٢٠] وقد يقال أدوية مصحة[٢١] وحافظة على الأدوية التي تمانع التعفين[٢٢] وذلك إما بتفتيحها السدد وإما بمضادتها للعفونة أو بكليهما[٢٣]. وأما الأدوية المقوية للأعضاء فهي الأدوية الشبيه مزاجها بمزاج العضو في جملة جوهرها[٢٤]. ولذلك قيل إن كل عضو فهو مقو عضوا مثله. لكن الأدوية المقوية من جهة ما هي أدوية مقوية،

---

(١) م: ولطافتها في جوهرها (٢) غ، م، ت: عفونية (٣) م: من (٤) غ، ت: سقط "الحرارة" (٥) غ: ضرورية (٦) غ، ب، م: إنبات (ت: شطب على "إنبات" وكتب في الهامش "إذابة") (٧) ب: ثبت في المتن "بالكيفيات الأول"، وصحح في الهامش "بالكيفية" من دون أن يصحح "الأول"، ويطرد هذا في باقي الفقرة. (٨) م، ت: والجاذبة قد تكون...وقد تكون (٩) ب: يعنيه (١٠) ت: وسنخلص؛ م، ب، وسنلخص. (١١) م، ت: "بطبيعته" عوض "بحرارة طبيعية" (١٢) غ: المشكطرامشيع (١٣) م: سقط "خرو الحمام" (١٤) غ، ب، م: سقط "في البازهرية والمخلصة" (١٥) ب: سقط "ذلك" (١٦) م: الخاصية (١٧) غ: بعضها (١٨) ت: الكيفيات الجاذبة (١٩) م: هذه الأقسام (٢٠) ت: أضيف "في الصحية" (٢١) ت: "صحية" عوض "أدوية مصحة"؛ ب: كتب في الهامش "أدوية صحية" (٢٢) م: التعفن (٢٣) ت: أضيف "في الأدوية المقوية للأعضاء" (٢٤) غ، ت: جوهره.

فقد ينبغي أن تكون حرارتها أشف من حرارة العضو بقليل. وكذلك ينبغي أن تكون في اليبس، فإن الأعضاء إنما تسترخي وتضعف بالبرودة والرطوبة، وذلك في الأكثر، وبخاصة الأعضاء الفاعلة. وبالجملة إنما يضعف فعل العضو في الأكثر من الجهة التي هو معد لأن[1] يدخل عليه منها الفساد. وتلك هي القوة الغالبة عليه من قوى الأسطقسات مثل الدماغ، فإنه لما كان الغالب عليه البرد والرطوبة كان الفساد داخلا عليه من قبل هاتين الكيفيتين أكثر[2]. ولذلك ما ينبغي أن تكون طبيعة الدواء المقوي في عضو عضو مضادة للجهة التي منها يدخل الفساد على العضو في الأكثر، مثال ذلك أن الأدوية المقوية للكبد ينبغي أن يكون اليبس فيها ظاهرا، بخلاف الأدوية القلبية. والمقوي قد يكون بجملة جوهره مثل الذهب للقلب والدر له، وقد يكون بالكيفيات الأول والثواني، مثل القبض الذي في الورد والمرارة. والعطارة[3] في الأدوية العطرية[4] دليل على الأدوية المقوية للأعضاء الرئيسة[5]، وخاصة لما شهدت[6] بذلك التجربة، وبخاصة القلب. ولذلك كان المسك يفوق في تقوية القلب[7] سائر الأدوية العطرية[8] لكونه أكثرها[9] عطارة.

[٣٦] فهذا هو القول في طبائع الأدوية التي تصدر عنها هذه الأفعال[10] الثواني. وقد ينبغي أن نقول في طبائع الأدوية التي[11] لها أفعال ثوالث[12] فنقول: إن هذه الأدوية منها المفتتة للحصى ومنها المولدة للبن[13]، ومنها المدرة للطمث، ومنها المدرة للبول[14]، ومنها المولدة للمني، ومنها القاطعة للمني واللبن، ومنها المنقية للصدر.

[٣٧] فأما الأدوية المفتتة للحصى فهي في طبيعتها على ما زعم الأطباء حارة حرارة يسيرة، لأن الحرارة القوية شأنها التصليب والتحجير، وهذه هي[15] حال الحرارة الغريبة العاقدة للحصى. وقد ينبغي أن يشترط في كونها حارة حرارة يسيرة أن تكون رطبة بالإضافة إلى الحرارة العاقدة للحصى لطيفة، فإن ما عقدته الحرارة واليبس فإنما تحله[16] البرودة والرطوبة، أعني هاهنا بالبرودة حرارة أنقص من الحرارة العاقدة، وكذلك أعني بالرطوبة. وذلك أن هذه الأدوية إنما تفعل في الحصى فعلا هو فيها شبيه نضج ما، فتقسمها الحرارة الغريزية حينئذ[17] وتدفعها. ومثال هذه الأدوية هي الهليون[م] والحمص واللوز. ولست أمنع أن يكون هذا الفعل لدواء بجملة جوهره.

---

(١) غ، م، ت: أن (٢) غ، م، ت: سقط "وتلك هي القوة...الكيفيتين أكثر" (٣)م: كتب "فيه" فوق السطر (٤) غ: العطرة (٥) م، ت: الرئيسية (٦) ت: شوهدت (٧) غ، م، ت: تقويته (٨) غ: العطرة (٩) م، ت: أكثر (١٠) م: "القوى" عوض "هذه الأفعال" (١١) ت: سقط "وقد ينبغي...التي" (١٢) م: "في القوى الثوالث" عوض "في طبائع...ثوالث"؛ ت: شطب على "لها أفعال ثوالث" وأضيف "في القوى الثوالث" (ب: كتب في الهامش "في الأفعال الثوالث") (١٣) م: للحصى، وشطب على "المولدة للحصى" وكتب في الهامش "للبن" (١٤) غ، م، ت: سقط "ومنها المدرة للبول" (١٥) غ، ت: سقط "هي"؛ م: "فهذه" عوض "وهذه هي" (١٦) م: تحلله (١٧) غ: سقط "حينئذ".

[٢١-] في المدرة للبول[١]

[٣٨] وأما الأدوية[٢] المدرة للبول فينبغي أن تكون حارة لطيفة الجوهر[٣]، لأن الحرارة[٤] اللطيفة تعين القوة الجاذبة التي في الكليتين على جذب المائية، وتعين أيضا المميزة التي في الكبد على تمييز المائية. قالوا والأدوية التي فيها ذفر[م][٥] مما يلائم بجملة[٦] جوهرُها[٧] هذه الأعضاءَ، أعني أعضاء البول. وذلك كالكرفس[م] والرازيانج[م] والدوقو[م].

[٢٢-] في المدرة للبن

[٣٩] وأما الأدوية[٨] التي تدر اللبن[٩] فهي ما كان منها يسخن الأخلاط البلغمية ويعين القوة الهاضمة في الأعضاء على[١٠] إحالتها إلى الدم. وقد يدِر اللبن الأغذية وهي أحق بهذا الفعل. والأغذية التي من شأنها ذلك هي الأغذية التي تتولد عنها الكيموسات[١١] معتدلة حرارتها، ورطوبتها مساوية لحرارة الدم ورطوبته.

[٢٣-] في المدرة للطمث

[٤٠] وأما الأدوية[١٢] المدرة للطمث مما يرد[١٣] البدن فهي من جنس الأدوية المدرة للبن، إلا أنها تحتاج أن تكون أسخن منها لمكان تفتيح أفواه العروق وتلطيف الدم وتقطيعه. ولهذا متى كان هذا العرض يسيرا، أعني استمساك[١٤] الطمث، كفت في ذلك الأدوية المدرة للبن. وأما إذا انقطع انقطاعا بينا فليس يكفي في إدراره إلا أمثال الفوذنج[م] والمشكطرامشير[م] والقسط[م] والسليخة[م] والزراوند[م][١٥].

[٢٤-] في المدرة للمني

[٤١] وأما الأدوية[١٦] التي تدر المني فهي الحارة الرطبة النافخة، أعني التي تتولد منها في [١٧] الشرايين نفاخات[١٨] وروح كثير. وذلك[١٩] بمنزلة الحمص والبصل وحب الصنوبر[م] والسقنقور.

---

(١) غ، ب، ت: سقط "في المدرة للبول"، ويطرد هذا الفرق إلى العنوان "في المنقية للصدر" (٢) ب: سقط "الأدوية" (٣) غ، م، ت: سقط "الجوهر" (٤) غ، م: بالحرارة (٥) غ: زفر (ب: ثبت في المتن "ذفر" وفي الهامش "زفر" وعليها علامة خـ) (٦) غ: لجملة (٧) ب: جوهر (٨) ت: سقط "الأدوية" (٩) م، ت: المدرة للبن (١٠) غ، م، ت: إلى (١١) غ، م، ت: كيموسات (١٢) ت: سقط "الأدوية" (١٣) ب: التي تدر...فما يرد منها (١٤) غ، م، ت: امتساك (١٥) ت: والراوند (١٦) غ: أضيف "والأغذية"؛ ت: سقط "الأدوية" (١٧) ت: فيها من (١٨) م، ت: أضيف "كثيرة" (١٩) غ، م، ت: سقط "وذلك".

[٢٥-] في المنقية للصدر

[٤٢] وأما الأدوية[١] المنقية للصدر والرئة، المعينة على نفث ما فيها[٢] من المِدّة[٣]، فينبغي أن يكون فيها إنضاج ما وتقطيع لطيف ليس بحرارة قوية، لأن لا تصلب المادة[٣]. وقد تكون الأدوية المعينة على النفث الأدوية التي فيها لزوجة وغلظ. وذلك عندما يكون عسر النفث لرقة المِدّة وتفرقها على الهواء الدافع لها في السعال إلى خارج. و[٤] الأدوية التي تنضج وتلطف هي[٥] مثل حب الصنوبر الطري والزبد مع السكر واللوز. وينبغي أن تتذكر دائما ما لم أزل أذكره لك من أن هذه الأدوية تختلف أفعالها في الكثرة والقلة، وذلك[٦] بحسب مزاج مزاج، وعضو عضو. ولذلك[٧] ما ينبغي أن تكون في نفس الطبيب مدرجة. والسبيل إلى الوقوف على ذلك يكون في الأكثر بالتجربة، فإنه ليس يمتنع أن توجد كثير من هذه الأفعال لأدوية ما بخواص فيها.

[٤٣] وإذ قلنا في قوى الأدوية الأول والثواني والثوالث، وقلنا كيف تفعل وما طبائعها، فقد ينبغي أن نعطي الفرق بينها و[٨] بين الأدوية التي يقال فيها إنها تفعل بخاصتها، وهي الأدوية التي[٩] يعني الأطباء بجملة الجوهر وكيف تفعل، فنقول[١٠]:

[٢٦-] الأدوية التي تفعل بخاصتها كالجذب والدفع]

[٤٤] إن أفعال الدواء على ضربين: إما أفعال تنسب إلى القوى الأُوَل من قوى الأسطقسات[١١] بما هي تلك القوى، مثل التسخين للحرارة والتبريد للبرودة. فإن ذلك شيء ذاتي لهما وتابع لجوهرهما، وكذلك التقطيع والتلطيف وغير ذلك من الأفعال الثواني والثوالث. ولهذا(=ما سبق هو) ما[١٢] أمكن بالقول توفية أسباب هذه الأفعال.

[٤٥] وأما الضرب الآخر من أفعال الأدوية فلسنا نقدر أن ننسبها إلى قوة أولى من قوى الأسطقسات[١٣] نسبة ذاتية، مثال ذلك جذب حجر[١٤] المغنطيس للحديد. فإن الجذب بما هو جذب[١٥] وإن كان منسوبا إلى الحرارة، فإنه ليس بما هو جذب[١٦] مطلق عرض له أن جذب الحديد، بل بما هو جاذب [شيء] ما، وهي النسبة والموافقة التي بينه وبين حجر المغنطيس. وهذه النسبة والموافقة إنما تحدث عن مقادير اختلاط الأسطقسات فيهما[١٧] ومن كميتها، أعني في الجاذب والمجذوب. ولذلك أمكن أن يوجد

---

(١) ت: سقط "الأدوية" (٢) غ: يظهر "فيهما" (٣) غ، م، ت: سقط "المادة" (٤) م: أضيف "أما" (٥) غ، ت: هو (٦) م: وكذلك (٧) غ، م، ت: ولهذا (٨) غ، م: سقط "بينها و" (٩) غ، ت: سقط "الأدوية"؛ م: سقط "الأدوية التي" (١٠) غ، م، ت: فأقول (ب: كتب في الهامش "القول في الأدوية التي تفعل بخواصها") (١١) غ، م، ت: القوى الأسطقسية (١٢) غ، م، ت: سقط "ما" (١٣) غ، م، ت: الأسطقس (١٤) غ، ب، ت: سقط "حجر" (١٥) م: موجود (١٦) غ: "جاذب"؛ م: "جذب"، ويبدو أنها صححت "جاذب" (١٧) ب، م، ت: فيها.

في الشيء الواحد خواص لا نهاية لها؛ وذلك بالإضافة إلى موجودات لا نهاية لها، وكان[1] هذا الفعل عرضيا للقوى الأول من قوى الأسطقسات[2] التي في ذي الخاصة. ومعنى ذلك أنه ليس مأخوذا في جوهرها. ولهذا ما (=ما: زائدة) لم يمكن أن يتحصل[3] بالقول ذلك المقدار من الاختلاط الذي عنه يحدث ذلك الفعل في ذلك الموجود على ما شأن الأفعال التي من قبل الهيولى ألا[4] تنضبط بالقول. فهذا هو معنى الخاصة وجملة الجوهر، ويعنون بالمزاج الصنف الآخر من الأفعال.

[٤٦] فأما بأي نوع من هذه الأفعال تفعل الأدوية المسهلة، فهو من الظاهر أن فعلها ذلك إنما هو بالجذب من جهة أنها إذا شرب الدواء الواحد منها أخرج بالإسهال خلطا خاصا به في أي موضع كان ذلك الخلط من البدن، سواء كان في أسفله أو في أعلاه. مثال ذلك أنا إذا سقينا السقمونيا[م] لمن به نملة في رجله كان شفاؤه[5] على المكان. وإذا كان ذلك كذلك فلم يكن المحرك للخلط الصفراوي المتمكن في الرجل[6] إلى خارج غير الدواء، وذلك ضرورة على جهة الجذب. وليس يوجد للأدوية هذا المعنى فقط، أعني أنها تجذب أخلاطا خاصة بها مثل ما تجذب السقمونيا الصفراء وحجر اللازورد[م] السوداء، بل[7] وبعضها إنما يجذب من أعضاء خاصة[8] مثل ما تجذب الصموغ[م] من الوترات والمفاصل الأخلاطَ البلغمية الغليظة. ويشبه أن يكون للدواء مع فعل الجذب فعل في تمييز[9] الأخلاط وتصييرها[10] بالفعل. فإن الأخلاط كما قلنا إنما[11] هي أكثر ذلك موجودة في الدم بالقوة، وإذا انجذبت الأخلاط من طريق الغذاء إلى المعى والمعدة تحركت القوة الدافعة لإخراجها.

[٤٧] وغير ممتنع أن يكون للقوة الدافعة التي في العضو الذي فيه الخلط معونة على فعل الدواء في ذلك الخلط، أعني أن عندما يبتدئ الدواء يجذب ذلك الخلط تتحرك[12] القوة الدافعة إلى دفعه. ولذلك إذا أفرط فعل[13] القوة الدافعة حدث عن ذلك استفراغ شديد. وبين أنه ليس يكون الجذب إلا بانفتاح أفواه العروق. وانفتاح أفواه العروق إنما يكون بالحرارة، وكذلك الجذب. ولهذا كله ما يظهر أن الأدوية المسهلة إنما تفعل بحرارة فيها خاصة تجذب[14] ذلك الخلط. لكن قد يسأل سائل فيقول: إنه لو كان في طبيعة السقمونيا مثلا أن تجذب الصفراء فقط، كما في طبيعة حجر المغنطيس أن يجذب الحديد فقط، لما أمكن فيها إذا تُنُوول منها أكثر من شربة واحدة أن تسهل

---

(١) ب: فكأنَّ (٢) غ، م، ت: القوى الأسطقسية (٣) م، ت: يتخلص (م: صححها فوق السطر "يتحصل") (٤) ب، م، ت: لا (ب: صححها في الهامش "فلا") (٥) م: كان به...؛ ت: "شفاه" عوض "كان شفاؤه" (٦) غ، ت: "المستكن" عوض "المتمكن في الرجل" (٧) م: سقط "بل" (٨) ت: أضيف "بسها"؛ م: كتب في الهامش "لكن" (٩) غ، م: تميز (١٠) م: تصيرها (١١) م، ت: سقط "إنما" (١٢) ب: تحركت؛ م: بتحرك (١٣) م: "أفرطت" عوض "أفرط فعل" (١٤) ب، م: بجذب.

جميع الأخلاط. وقد شهد الأطباء أنه إذا تنوول منها مقدار كثير[١] أسهلت الصفراء ثم البلغم ثم السوداء ثم الدم. لكن ينحل هذا (الإشكال) بأن الحرارة التي في الدواء المسهل التي بها يجذب[٢] ليست موجودة بالفعل في الدواء كحالها في حجر المغنطيس، أعني[٣] الصورة المزاجية التي بها يجذب، بل إنما تستفيد تلك الحرارة من البدن. وإذا كان ذلك كذلك فإن[٤] البدن إنما يفعل تلك الحرارة في الدواء في كمية محدودة منه[٥]. ولذلك متى تنوول منه أي كمية[٦] اتفقت، لم يلف لها هذا الفعل فكان جذب الدواء لخلط[٧] بعينه إنما هو خاصة له بالإضافة إلى كمية محدودة منه، لا إلى أي كمية اتفقت. وهذا إنما هو في الأدوية التي شهدت التجربة أنها تخرج خلطا واحدا فقط، لأن هاهنا أدوية كثيرة تخرج أخلاطا مختلفة كما يقال ذلك في الغاريقون[م]. وأيضا فإن الأخلاط كلها هي قريب أن تكون من جنس واحد. ولذلك ليس يمتنع أن يكون الدواء المخصوص بخلط ما إذا ضوعفت[٨] كميته أسهل خلطا [لـ]آخر. ولذلك ما[٩] يزعمون أن الأدوية التي تجذب السوداء قد تجذب[١٠] الأخلاط البلغمية التي ضارعت السوداء.

[٢٧-] في السموم[١١]

[٤٨] وأما السموم فإن فعلها في البدن يكون بجميع ضروب أفعال الأدوية، أعني أن بعضها يفعل ذلك بكيفيات أول مثل الأفيون الذي يخدر ببرده. ولذلك يمكن في مثل هذه، إذا تنوول منها اليسير وحُجبت أن تكون أدوية. وبعضها يفعل ذلك بجملة جوهره، أعني أنه يحيل بدن الحي كالذهب المكلس[١٢]؛ وهذه فليس يمكن أن تستعمل في المداواة أصلا. وبعضها يقتل بشدة جذبه الأخلاط، حتى أنه يخنق[١٣] كما يقال في الخربق[م] الأبيض، وبعضها يسهل الدم.

[٢٨-] في البازهريات

[٤٩] وأما البازهرات[م][١٤] فتفعل الشفاء من هذه[١٥] بمثل هذه الأفعال بعينها، أعني أن بعضها تحيل بكيفياتها كيفيات السموم، وذلك إذا كانت مضادة لها. وبعضها تفعل ذلك بجملة جوهرها، وبعضها تفعل ذلك[١٦] بالجذب. وهذه البازهرات إنما تكون

(١) غ، م: مقدارا أكثر (٢) غ، م، ت: الذي(م، ت: التي) بها تجذب (٣) م، ت: أضيف "بذلك" (٤) غ: فإذن (٥) م: بكمية محدودة، وسقط "منه" (٦) م: كيفية، ويبدو أنها صححت (٧) ب، ت: الخلط (٨) غ، ب، ت: ضَعُفت (ووردت في هامش ب عبارة أولها مطموس يظهر منها ما يلي: "الدواء الذي يسهل خلط ما إذا اضعف أسهل خلط آخر") (٩) ب، ت: سقط "ما" (١٠) م: سقط "السوداء قد تجذب" (١١) غ، ت: سقط "في السموم"؛ ب: أضيف "القول" (١٢) ب: أضاف في الهامش "ضربا من التكليس" (١٣) م: لشدة...حتى تخنق (١٤) م: البازهريات، (هكذا في باقي النص) (١٥) م: أضيف "السموم" فوق السطر (١٦) م: سقط "بجملة...تفعل ذلك".

شافية متى تنوولت وفي البدن حال خارجة عن الطبع من أحد السموم. وذلك أنها تفعل حينئذ في البدن فعلا مضادا لفعل السم، فيكون عن ذلك برء بالعرض. ولذلك متى تناولها الصحيح كانت سما. ومن هنا قال الأطباء إنها متوسطة بين السموم والأدوية[١]. والمتوسط إنما يفهم[٢] منه أكثر ذلك أنه في جنس[٣] واحد هو والأطراف. وما كان من جنس واحد فهو شبيه، وليس الأمر كذلك في البازهرات والسم. ولذلك الأولى أن نقول إن البازهرات[٤] في غاية المضادة للسم، فإن الضد إنما شفاؤه[٥] في كل حال[٦] الضد. وإنما السبب في أن تقتل البازهرات إذا تناولها الصحيح أنها إنما تفعل الشفاء في بدن الحي إذا كان به مزاج سمي، وكأن هذه الأدوية لها فعلان اثنان في بدن الإنسان، فعل سمي وذلك إذا تنوولت من غير أن يكون في البدن فعل[٧] سمي، وفعل مخلص وذلك إذا تنوولت وفي البدن مزاج سمي. فكأنها[٨] سموم من جهة[٩] وأدوية من جهة[١٠] أخرى، لا أنها أدوية من جهة أنها سموم. وذلك أنه ليس بنكير أن تختلف أفعال الفاعل الواحد باختلاف أحوال موضوعاته، فيكون الدواء الحافظ إذا ورد البدن الصحيح كان سما، وإذا ورد البدن المسموم كان شافيا.

[٥٠] فهذا هو القول في جميع ما يحتاج إليه من أفعال الأدوية التي شوهدت، وكيف فعلها. وقد بقي علينا[١١] بعد من هذا القول أن ننظر هل يمكن أن ندرك بالقياس[١٢] هذه الأفعال للأدوية التي لم تجرب؟ أم إنما[١٣] سبيل العلم بوجودها[١٤] لشخص شخص من أشخاص الأدوية التجربةُ، أم فيها ما جمع الأمرين[١٥]؟. وإن كان فيها ما جمع الأمرين فهل الطرق التي أفاد الأطباء في ذلك كافية أم لا؟ فنقول:

[٢٩-] القياس وأصنافه وحدوده في الطب

[٥١] إن أفعال الأدوية كما سلف من قولنا تنحصر في أربعة أقسام: أفعال أول وأفعال ثوان وأفعال ثوالث وأفعال[١٦] بالخاصة. وأما الغذاء فإنما له فعل واحد وهو التغذية. والأغذية الطبيعية إنما ملاءمتها لنا[١٧] في جملة جوهرها[١٨]، ولذلك الفحص عن أمرها هل يمكن أن يدرك بقياس يشمله الفحص عن الخاصة، فنقول:

[٥٢] إن المقاييس[م] التي تعطي وجود الشيء هي صنفان[١٩]: إما قياس يعطي وجود الشيء وسببه معا، وذلك أن يكون الحد الأوسط[م] فيه سببا لوجود المطلوب في

---

(١) م: شطب على "الأدوية" وكتب فوقها "الأبدان" (٢) م، ت: يفعل (٣) م: "في حين" ويبدو أنها صححت في الهامش (٤) ب: البازهر (٥) غ، م، ت: أضيف "أبدا" (٦) م: "حال حال" (٧) غ: شطب على "فعل" وكتب في الهامش "مزاج" (٨) م، ت: فإنها (٩) ب: وجه (١٠) ب: سقط "جهة" (١١) م: "ينبغي" عوض "بقي علينا" (١٢) م: القياس من (١٣) غ: أنها (١٤) م: يوجدها (١٥) ب: أضيف "جميعا" (١٦) غ: وفعل (١٧) ب: لهما (١٨) م: جوهر (١٩) م: شيئان.

ذاته[1] وسببا لعلمنا به. وإما قياس يعطي وجود الشيء فقط. وذلك إذا كان الحد الأوسط فيه سببا لعلمنا فقط بالمطلوب لا لوجوده[2]. وهذا[3] صنفان: إما أن يكون الحد الأوسط فيه أمرا متأخرا عن المطلوب، وإما أن يكونا كلاهما أمرين متأخرين عن شيء واحد بعينه. وهذه الأفعال للأدوية إنما يمكن الوقوف عليها إن أمكن بأحد هذين الصنفين، أعني إما برهان السبب، وإما برهان الوجود[4]. لكن الصنف من برهان الوجود الذي ينتج فيه المتقدم[5] بالمتأخر، إذا كانت الأفعال المطلوبة هاهنا أمورا متأخرة عن جوهر الأدوية، فحينئذ تصح مطلوباتها[6]؛ أو تكون المقاييس التي تنتج وجود هذه الأفعال مركبة من هذين الصنفين من المقاييس، أعني أن نصير[7] أولا من الأمور المتأخرة إلى المتقدمة[8] التي هي أسباب لأفعال تلك الأدوية، ثم نصير بعد ذلك من تلك الأشياء التي هي أسباب إلى تلك الأفعال التي هي متأخرة ،فيكون الصنف الأول من المقاييس من أصناف الدلائل والصنف الثاني من أصناف البراهين المطلقة. وهذا كله بين لمن زاول صناعة المنطق أدنى مزاولة. وإذا كان هذا كله كما وصفنا فلنجعل فحصنا أولا عن الخاصة، فنقول في الخاصية:

[٣٠-] لا سبيل للوقوف على الخاصة إلا الحس

[٥٣] إنه إن أمكن أن يكون[9] سبيل لنا إلى العلم بوجودها بالإضافة إلى شيء ما كأنك قلت بالإضافة إلى بدن الإنسان، إذ كان هو المفحوص عنه هاهنا، فإنما يكون ذلك ضرورة بأحد أمرين: إما أن تكون الطبيعة الصادر عنها ذلك الفعل محصلة عندنا في المعرفة[10] بها، وذلك إما بمعرفة أولى وإما بدليل. وإما أن تكون هاهنا أشياء متأخرة عن تلك الطبيعة حتى تكون هي والخاصة متساويتين في الحمل، وتكون مع ذلك تلك الأشياء المتأخرة أعرف من الخواص عندنا، أو مما يمكن بيان[11] الخواص بها من غير متوسط، فإن هذه الأنواع من الدلائل وإن كانت من أنواعٍ مَا بالعرض[12] فهي صادقة.

[٥٤] وبودنا لو اتفق لنا في مثل[13] هذا المطلب(=البحث عن الخاصة) مثل هذه الدلائل، وهو ظاهر مما قيل في رسم الخاصة أن تلك الطبيعة التي بها تفعل غير محصلة عندنا، إذ كانت الخاصة إنما هي فعل ما صادر من موجود في[14] موجود بإضافة مقادير

(١) م، ت: دلالته (٢) ب: بوجوده (٣) م، ت: وهذان (٤) م: "...السبب والوجود معا وإما برهان الوجود فقط" (كتب "والوجود معا" و "فقط" فوق السطر) (٥) ب، ت: المتأخر (م: شطب على "المتأخر" وصححها في الهامش "المتقدم") (٦) غ: سقط "لكن الصنف...مطلوباتها"؛ م، ت: سقط "فحينئذ تصح مطلوباتها" (٧) ب: يصير؛ م: تصير (٨) ب: المتقدمة إلى المتأخرة (٩) م: أضيف ما يقرأ "سببا" (١٠) غ، م: بالمعرفة (١١) ت: "به ان" عوض "بيان" (١٢) غ، م، ت: بأنواع (غ: من أنواع) ما من العرض (١٣) ب: سقط "مثل" (١٤) م: سقط "في".

الأسطقسات في أحدهما إلى الآخر. وبيّن أن ذلك المقدار ليس يمكن أن يدرك بالقول(م) ولا أن[1] يوقف منها على أكثر من هذه المعرفة غير المحصلة، ولا أيضا يمكن أن يكون هاهنا عرض خاص يدل على هذه الطبيعة دلالة محصلة ولا غير محصلة إلا الخاصة نفسها إذا أُحِسَّتْ فإنها تدل كما قلنا على هذه الطبيعة دلالة مجملة[2]. وإذا لم يمكن ذلك فليس يمكن أيضا أن يكون في ذي الخاصة عرض مساو للخاصة يدل عليها ويكون أعرف عندنا منها، لأن هذا إنما كان يتفق لو كان هاهنا عرض يدل دلالة محصلة على الطبيعة التي بها تفعل الخاصة. ولكون الخاصة إنما هي تابعة لموجود[3] موجود، أمكن أن يوجد في الشيء الواحد خواص لا نهاية لها. وما لا نهاية له فلا سبيل إلى تحصيله بالقول ولا إلى وجود خواص ودلائل تدل بالذات على هذه الطبيعة، لأن ما بالذات إنما يوجد للشيء من قبل صورته، كما أن ما بالعرض إنما يوجد له[4] من قبل الهيولى. وإذا[5] كان هذا هكذا فلا سبيل للوقوف على وجود الخاصة في ذي الخاصة غير الحس. ثم نوفي سبب ذلك على[6] النحو الذي يمكن في ذلك.

[٣١-] الأدلة العقلية ظنية ومهمتها التنبيه على التجربة

[٥٥] وإذ قد تبين من الخاصة أنها لا تدرك بالقول، فلننظر في الأفعال الأول من أفعال الأدوية هل يمكن أيضا أن تدرك بالقياس أم لا. فنقول أيضا إن السبيل إلى الفحص عن ذلك هي تلك[7] السبيل بعينها التي سلكناها في الفحص عن الخواص. وذلك أنه إن أمكن أن يدرك بالقول الدواء المعتدل، أو الخارج عن الاعتدال إلى إحدى الكيفيات، فإنما يكون[8] ضرورة بتحصيل الطبيعة الفاعلة لذلك. ومعنى قولنا في الدواء إنه حار أو بارد أو معتدل إنما هو أن في طبيعته واستعداده، إذا استحال عن بدن الإنسان، أن يقبل بدن الإنسان عنه كيفيةً نسبتُها إلى الكيفيات الطبيعية[9] الموجودة في بدن[10] الإنسان هذه النسبةَ: أعني نسبة الاعتدال أو[11] الخروج عن الاعتدال. وإذا كان ذلك كذلك فأي طبيعة هي هذه الطبيعة، ليت شعري، التي في استعدادها أن يقبل بدن الإنسان عنها انفعالا من هذه الانفعالات؟ وإلى أي شيء نقايسها من حيث هي موجودة بالفعل؟ أعني إلى أي شيء نقايس[12] مقادير الأسطقسات التي فيها، فإن هذا الفعل إنما[13] هو بالمقايسة إلى بدن الإنسان؟!

---

(١) غ، م، ت: سقط "أن" (٢) ت: سقط "ولا غير محصلة...دلالة مجملة" (٣) غ، ت: لوجود (٤) غ: سقط "من قبل...يوجد له" (٥) غ: وإذ (٦) م، ت: سقط "على" (٧) م: بتلك (٨) غ، م، ت: أضيف "ذلك" (٩) م، ت: الطبيعيات (١٠) م، ت: سقط "بدن" (١١) م، ت: و (١٢) ب، م، ت: ...شيء يقايسها (ت: نقايسها)...يقاس (م: نقايس) (١٣) م: "هذه المقايسة" عوض "هذا الفعل إنما".

[٥٦] ولذلك ما قد يظهر ببادئ الرأي أن هذه المقايسة ينبغي أن توجد بين مزاج[١] الدواء أو الغذاء، وبين مزاج الإنسان، حتى يكون الدواء أو الغذاء[٢] الذي مقادير الأسطقسات فيه على كمية مساوية لوجودها في الإنسان هو المعتدل، ويكون الخارج عن الاعتدال إلى أحد الأطراف هو الزائد عليه أو الناقص عنه في ذلك الطرف. إلا أن هذا متى أنزلناه[٣] لزم أن لا يكون هاهنا غذاء معتدل للإنسان، إلا لحم الإنسان. ويكون مزاج الدجاج مثلا ليس[٤] مساويا لمزاج الإنسان، وليس مزاج الدجاج فقط[٥]، بل و[٦]مزاج الجدي وغير ذلك من الأغذية المعتدلة! وأيضا فإنه لا يكون هاهنا نبات معتدل، فضلا عن أن يكون أحر من الإنسان، فإنه يظهر أن الحيوان بالجملة أحر من النبات، ولذلك[٧] ليس يحس في النبات حرارة بالفعل.

[٥٧] وإذا لم يمكن[٨] تحصيل هذه الطبيعة من هذه الجهة، أعني الطبيعة والمزاج الذي به يفعل الدواء هذه الأفعال، فلعل ذلك يمكن من جهة مقايسة مقادير[٩] الأسطقسات في الدواء نفسه، حتى يكون الدواء الذي الحرارة عليه في ذاته أغلب هو الدواء الحار، و الذي البرودة عليه أغلب هو الدواء البارد[١٠]، وكذلك في الرطوبة واليبوسة! وذلك أن الذي النارية مثلا أغلب على أجزائه قد يظهر أنه هو أكثر استعدادا لأن تتولد عنه حرارة أكثر وبالعكس، كما ترى ذلك يعتري في[١١] الكباريت وغير ذلك، لكن هذا أيضا وإن كان يلفى فيه الأمر هكذا في أشياء كثيرة فهو أيضا ينكسر: فإن[١٢] هاهنا أشياء هي في مزاجها أحر، وهي بالإضافة إلى بدن الإنسان إذا استعملها أبرد. وكذلك هاهنا أشياء هي أبرد مزاجا في ذاتها، وهي أحر بالإضافة إلى بدن الإنسان[١٣]. مثال ذلك الخمر الحديثة والخمر القديمة فإن الحديثة أحر في ذاتها من القديمة؛ ويشهد على ذلك الغليان الذي يلفى لها في ذلك الوقت لكن القديمة بالإضافة إلى بدن الإنسان أسخن، وأعني هاهنا بالقديمة التي قد كملت ولم تأخذ في الهرم. وكذلك الأمر في الزيت الحديث والعتيق.

[٥٨] وما[١٤] الذي احتاج إلى هذا، والنبات[١٥] والحيوان كله الغالب على أجزائه الحرارة؟! لكن بعضه نجده حارا بالإضافة إلى بدن الإنسان وبعضه باردا، وليس باردا فقط بل مهلكا ببرده. والزيت أيضا من الأشياء التي الحرارة والرطوبة أغلب

---

(١) م: "مقايسة" عوض "مزاج" (٢) ب، م، ت: والغذاء(م: أو...)...والغذاء (غ: أو...أو...") (٣) غ: ألزمناه (ب، م، ت: أنزلناه) (٤) غ: سقط "ليس"؛ ب: غير مساو (٥) غ، م، ت: سقط "فقط" (٦) م، ت: سقط "و" (ثبت في غ و ب) (٧) م: أضيف "أيضا" (٨) غ، ب، م: يكن (ت: يمكن) (٩) م: سقط "مقادير" (١٠) ت: سقط "هو الدواء البارد" (١١) غ، م: سقط "في" (١٢) غ: بأن (ب، م، ت: فإن) (١٣) غ، م، ت: سقط "بالإضافة...الإنسان" (ثبتت في ب) (١٤) م: وأما (١٥) ب: "وما حاجتنا إلى هذه" عوض "وما الذي...والنبات".

عليه، إذ كانت الهوائية فيه ظاهرة جدا. ولقائل أن يقول كيف يكون الزيت الغالب على أجزائه الهوائية وهو يخثر من البرد وإنما يخثر من البرد ويجمد[١] المائية، فنقول: إنما يخثر الزيت من البرد بأن يتحول كثير من الأجزاء[٢] الهوائية التي[٣] فيه ماءً[٤]، وحينئذ يعرض له هذا -وقد تُقُصِّي[٥] الأمرُ في الزيت وفي طبيعته في (المقالة) الرابعة من(كتاب) الآثار (العلوية لأرسطو)- فلهذا أيضا لا يوثق بمثل هذه المقاييس، بل التجربة هي القاطعة في ذلك. وكيف لا ونحن نرى كثيرا من الأشياء إذا وضعت في النار كانت أبعد شيء أن تستحيل بسرعة، وإذا تناولها بعض الحيوان وجدناها على المكان قد استحالت عن الحار الغريزي الذي فيه، بمنزلة ما يحكى عن النعام أنها إذا التقمت الذهب ثم أخرج عن أجوافها على الحين وجد قد نقص، هذا مع عسر انفعال[٦] الذهب عن النار! ولسنا نقدر أن نقول إن ذلك من أجل أن الحرارة في هذا الحيوان أكثر من حرارة النار، هذا مستحيل.

[٥٩] وإذا كان ذلك كذلك فإذن إنما[٧] ذلك شيء تابع لجملة جوهر حرارة ذلك الحيوان. وهذا، كما قلنا، أظهرُ في الأغذية منه في الأدوية. وذلك أن الغذاء لما كان هو الذي في[٨] طباعه أن ينقلب جزءاً من المغتذي[٩] حتى يصير هو هو بالنوع، فمن البين أن هذه الملاءمة التي بين الغذاء والمغتذي، إنما هي في جملة الجوهر. ولذلك ما قد[١٠] يكون غذاء ما لحيوان ما[١١] سمًّا لآخر كالخربق[م][١٢] للسمان[م][١٣] والبيش للزرازير[م].

[٦٠] وأما الدواء فمن حيث إنه يفعل في الأبدان[١٤] كيفيات أول[١٥] ظن أن ذلك قد يدرك بالقول. لكن مع هذا كله نجد جالينوس وسائر الأطباء قد راموا أن يضعوا قوانين يستدل منها[١٦] على أفعال الأدوية في الأبدان الإنسانية، وهي وإن كانت كما قلنا أدلة ظنية بل إن[١٧] ذهبنا بها مذهب الترفيع[١٨] نقول[١٩] إنها أكثرية لا ضرورية، فإن لها منافع: إحداها أنها تنبه الإنسان إلى التجربة، فإن ساعدته التجربة على ظنه قطع على ذلك. ولهذا ما نسمع جالينوس يقول: إن الآلتين اللتين استنبطت بهما هذه الصناعة هما التجربة والقياس. وأيضا فإن هذه الدلائل[٢٠] نافعة في المقايسة[٢١] بين الأشياء التي شهدت التجربة أنها غذائية أو دوائية. مثال ذلك أنه متى كان

---

(١) ب، م: وتجمد؛ ت : "ويجمد من المائية" عوض "وإنما يخثر من البرد ويجمد" (٢) ت: أجزاء (٣) غ، م، ت: الذي (ب: التي) (٤) م، ت: سقط "ماء" (ثبت في غ و ب (ب: كتبها في الهامش)) (٥) م: تقضي؛ ت: يُقَصّي (٦) م: انتقال (٧) ب: سقط "إنما"؛ م: "فإنما" عوض "فإذن إنما" (غ، ت: فإذن إنما) (٨) ب: سقط "الذي في"؛ ت: سقط "في" (٩) غ، ت: الغاذي (ب، م: المغتذي) (١٠) ب: سقط "قد" (١١) ب، ت: سقط "ما" (١٢) ب: أضيف "الأسود" (١٣) ب، م: للسمانى (١٤) غ، م: بالأبدان (١٥) غ: أولا (١٦) غ: منه؛ ب: يظهر "بها" (١٧) م: إنما (١٨) ت: الترقيع (١٩) م: بقولي (٢٠) م، ت: سقط "الدلائل" (٢١) غ، م: بالمقايسة (ب، ت: في المقايسة).

غذاءان، أحدهما هش والآخر لزج، قطعنا على سرعة[١] استحالة الهش: إذ كان تقسمه عن الحرارة أسرع، وبالجملة انفعاله. وأيضا متى ارتضنا في هذه الأشياء ورمنا أن نعطي فيها الوجود والسبب معا، وعسر ذلك، كان[٢] سهلا علينا إذا شهدت التجربة لشيء[٣] ما أن نعطي السبب في ذلك. وبالجملة فبهذا النظر تكون هذه الصناعة قياسية. ويمكننا أن ننتقل من دواء إلى دواء ومن غذاء إلى غذاء عندما نقصر عما قصدنا إليه[٤] في المعالجة.

[٦١] وأما من ليس عنده من معرفة الأدوية إلا التجربة فقط فليس يمكنه ذلك. وقد أطال جالينوس في الفرق بين القوتين[٥](=التجربة والقياس). إلا أن الأدلة والسبّارات التي أعطاها جالينوس ومن تبعه من الأطباء في ذلك نزرة بالإضافة إلى ما يمكن أن يقال فيها هاهنا. وذلك أنهم[٦] اقتصروا من معرفة طبائع الأدوية من جهة الطعوم والروائح والألوان[٧] وسرعة الاستحالة إلى النار فقط، وهذه كلها إذا جعلت دلائل فإنها ضرورة أخص من الطبائع التي تلزم عنها هذه الأفعال في بدن الإنسان. والدلائل الذاتية فينبغي أن تكون مساوية للطبائع الدالة عليها[٨]، وحينئذ يمكن أن يترقى من المتأخر إلى المتقدم ثم من المتقدم إلى المتأخر المطلوب؛ وبهذا يكمل هذا النظر. وإلا فمتى لم يكن نظر الناظر في هذه الصناعة على هذه الجهة لم تكن عنده طبيعة الدواء الحار بما هو حار محصلة، ولا البارد بما هو بارد. مثال ذلك أن الطبيب إذا كان عنده أن الدواء الحار إنما هو الدواء[٩] الحريف الطعم والمر الطعم والمالح الطعم، وأن الطبيعة التي تفعل الحرارة هي هذه الطبيعة، فإنما علم من طبائع الأشياء الحارة طبائعا ما، فيكون ضرورة نظره[١٠] في هذه الصناعة ناقصا، لأن هاهنا أشياء حارة ليس طعومها حريفة ولا مرة كلحوم كثير من الحيوان، مثل العصافير والفراخ وغير ذلك، لأن الأغذية والأدوية بالجملة هي إما نبات وإما حيوان وإما معدن أو جسم معدني[١١]. والطعم إنما يوجد متميزا في النبات.

[٦٢] فإذا أريد أن يكون القول في هذا صناعيا تاما[١٢] فينبغي أن نرسم ما طبيعة الدواء الحار والدواء البارد واليابس والرطب، ثم نروم بعد ذلك إحصاء الأشياء التي تدل على هذه الطبائع. فلننزل أن الدواء الحار هو الذي أغلب أجزائه الأجزاء الحارة، والبارد هو الذي أغلب أجزائه الأجزاء الباردة، وكذلك الأمر في الدواء اليابس والرطب. وإذا كان ذلك كذلك فلننظر في الدلائل التي منها يمكن أن يوقف على هذه المقادير من أمزجة الأدوية، فنقول:

---

(١) غ، م، ت: بسرعة (ب: على سرعة) (٢) غ: معا عسر ذلك وكان؛ م، ت: سقط "وعسر ذلك" (ب: معا وعسر ذلك كان) (٣) غ، م، ت: بشيء (٤) غ، ت: يقصر(ت: نقصس)...منه (ب، م: نقصر...إليه) (٥) ت: القولين (٦) غ، م، ت: أضيف "إنما" (٧) غ، م، ت: سقط "والألوان" (ب: كتبها في الهامش) (٨) ب: عليه (٩) ب: سقط "الدواء" (١٠) ت: يكون ضرورة نظر (١١) ت: مغتذي (١٢) غ، م، ت: سقط "تاما" (ثبت في ب).

[٣٢- كيف التعرف على أمزجة الأدوية]

[٦٣] إن الأشياء التي منها يمكن الوقوف على هذه المقادير من الأمزجة من جهة ما هي[١] مجهولة هي الأعراض الخاصة بغلبة كيفية كيفية من هذه الكيفيات في الممتزج. وذلك يكون من حيث الممتزج جسم متشابه الأجزاء. وتلك هي الفصول اللاحقة عن مقادير أمزجتها. وهذه الفصول منها ما هي عامة لجميع[٢] الأجسام المتشابهة الأجزاء، أعني أنه ليس تخلو من واحدة[٣] منها، وهذه فقد عددت[٤] في الرابعة من الآثار، وهي مثل الجامدة وغير الجامدة[٥] والذائبة وغير الذائبة[٦] واللزجة وغير اللزجة وغير ذلك مما سنعددها. ومنها ما هي خاصة ببعض[٧] الأجسام المتشابهة الأجزاء، وهذه هي الطعوم والروائح والألوان. وقد تكون غلبة أحد الأسطقسات في المركب بينة بنفسها إذا أدركت منها[٨] حاسة اللمس، أنه حار أو بارد، وذلك إنما يكون في الأشياء التي فيها الحرارة أو البرودة بالفعل المحض. وأما إذا نظر في الأدوية والأغذية من حيث هي جزء[٩] مركب آلي، وذلك شيء يخص الأغذية والأدوية التي هي أجزاء النبات وأجزاء الحيوان، فقد يستدل أيضا عليها من أفعالها ومن موضعها. وإن كانت أجزاء حيوان فمن تدبير ذلك الحيوان ومن نوع غذائه. وبالجملة فنأخذ في الحيوان الأشياء المناسبة التي أخذناها في تعرف مزاج الإنسان من الأفعال والتدبير والمكان، وأعني بالأفعال أفعال النفس التي هي الغاذية والحسية والنزوعية وغير ذلك من أجزاء النفس التي عددناها.

[٦٤] فهذه هي الدستورات[م] التي يمكن أن يُجْرى[١٠] عليها في هذه الصناعة، وهي وإن كانت غير وثيقة فليس يمكن غيرها. وليس ينبغي لذلك أن يهمل القول فيها، بل ينبغي أن يتكلم[١١] في كل شيء[١٢] بحسب ما يمكن في ذلك الشيء، كما يقول أرسطو، فإنه ليس ينبغي أن نطلب من الخطيب برهانا، ولا من المهندس إقناعا[*] والقول في هذه الأشياء هاهنا إنما يكون[١٣] بأن نتسلم[١٤] من العلم الطبيعي جميع ما يحتاج إليه هاهنا، فإن تكلف البرهان على هذه الأشياء، التي نروم القول فيها حيننا هذا، نظر غير مناسب في هذه الصناعة. فنقول:

(*) منهج الخطيب هو الإقناع، فلا يطلب منه البرهان. وبالعكس فمنهج صاحب الرياضيات منهجه البرهان، ولذلك لا يطلب منه الإقناع، الذي هو منهج خطابي!

---

(١) ت: من حيث هي (٢) م: بجميع (٣) غ، م، ت: يخلو من واحد(غ: واحدة) (٤) ب، م: عدت (٥) ت: سقط "وغير الجامدة" (٦) غ: الذاتية وغير الذاتية (٧) م: بعض (٨) غ، م، ت: وقد يكون (غ: تكون)...بين بنفسه...منه؛ ب: وقد يكون... (٩) م: أضيف "من" (١٠) ب: ثبت في المتن "يُجْرَى" وصححت في الهامش "يحتذى" (غ، م، ت: يجرى) (١١) ب: ينبغي لك أن تهمل...أن نتكلم؛ م: ...نهمل...نتكلم (١٢) ت: شيء شيء (١٣) م: يمكن (١٤) ب: يتسلم.

[٣٣- أعراض أمزجة الأجسام المتشابهة الأجزاء]

[٦٥] إن أشهر الأعراض التي منها يمكن أن يوقف على أمزجة الأجسام المتشابهة الأجزاء هي الجمود والخثورة والترطيب والانحلال والذوبان واللزوجة والهشاشة والرقة والغلظ واللين والصلابة، وقبول الاحتراق ولا قبوله، والتكاثف والتخلخل.

[٦٦] أما الأشياء الجامدة فمنها ما يجمد عن الحر، ومنها ما يجمد عن البرد. والأشياء الجامدة عن البرد منها ما تخثرها الحرارة من قبل، ومنها ما ليس تخثرها. والخاثرة منها ما يخثر عن البرد، ومنها ما يخثر عن الحر، ومنها ما يخثر عن كليهما. والذائبة أيضا منها ما يذوب عن الحر، ومنها ما يذوب عن البرد[1]. والرطوبة والمترطبة أيضا منها ما يترطب عن الحر، ومنها ما يترطب عن البرد. أما[2] ما جمده الحر فالحرارة واليبوسة غالبة عليه كالأملاح وضروبها. وأما ما جمده[3] البرد فإن كان الحر خثره، وكانت أقرب إلى الخثورة التي تكون عن الهوائية والمائية، كخثورة الزبد والسمن[4]، فإنه ضرورة حار. وكذلك الأصماغ والزيوت وما أشبهها. وأما ما جمده البرد، والأرضية غالبة عليه، فإن كان قد خثرته الحرارة فالبرد واليبس غالب عليه، بمنزلة العظام والقرون وغير ذلك. وأما ما جمده البرد ولم يخثره الحر كبير[5] تخثير، فإن طبيعته باردة رطبة كالزئبق وغير ذلك. والأشياء التي خثرتها الحرارة وجمدتها البرودة هي أيضا قريبة من أن تكون معتدلة أو حارة كالإقليميا[؟] وما يشبهها.

[٦٧] وأما الأشياء التي يذوبها الحر فهي ضرورة الأشياء التي جمدها البرد[6]. والأشياء التي يذوبها البرد هي الأشياء التي يجمدها الحر[7]. ولذلك بأي هذين وقع الاستدلال على طبيعة الشيء صح. وذلك أنا إذا أبصرنا أشياء يذوبها الحر نظرنا: فإن كانت جمدتها البرودة من غير تخثير الحرارة قطعنا على أنها في طبيعتها باردة رطبة. وكذلك إذا كانت الحرارة خثرتها، وهي مع هذا كثيرة الأرضية، فهي[8] باردة يابسة بمنزلة الحديد وكثير من المعادن. وإن كانت خثرتها[9] خثورة هوائية فهي حارة رطبة بمنزلة السمين والثرب[؟]، وكذلك تفعل في الأشياء التي تحللها البرودة والرطوبة كالأملاح وغيرها.

[٦٨] وأما الأشياء التي تخثر عن الحرارة فهي حارة، إلا أن الخثورة إن كانت هوائية بمنزلة المني، فهي مع هذا رطبة أو معتدلة كاللبن المطبوخ. وأما الأشياء التي

---

(١) م: من الحر...من البرد (٢) غ، ت: وأما (٣) ت: سقط "الحر فالحرارة...ما جمده" (٤) غ: والسمين (٥) م: كثير؛ ت: يظهر "كثر" (٦) ت: "يجمدها الحر"، وصحح في الهامش "البرد" (٧) ت: سقط "والأشياء التي يذوبها...يجمدها الحر" (٨) ب: أضيف "مع هذا" (٩) ت: خثورتها.

تختثرها البرودة فإن كانت الحرارة فعلت فيها قبلُ ضربا من القوام، فهي رطبة حارة بمنزلة الأمراق الدسمة. وإن كانت خثرتها من غير أن تفعل فيها الحرارة[1] قبل، فهي باردة رطبة بمنزلة[2] اللبن المنعقد في البرد.

[٦٩] وينبغي أن تعلم أن الحرارة الفاعلة في هذه الأشياء والبرودة ربما كانتا عرَضيتين وربما كانتا طبيعيتين. ولذلك ما كان منها طبيعيا قطعنا بأن ذلك المزاج للدواء طبيعي، مثل الخثورة للمني. وما كان غير طبيعي كان ذلك المزاج له أيضا عرضيا[3] مثل الخثورة العارضة لعصير العنب بالطبخ. وأما الأشياء التي تخثر عن الحر والبرد معا فهي هوائية مائية شديدة الاتحاد والاختلاط، كالزيت وسائر الأدهان التي يمكن فيها ذلك. أما خثورتها عن البرد فلمكان انقلاب الأجزاء الهوائية فيها ماء[4]، فتجمد. وأما خثورتها عن الحر فلمكان تحلل[5] الأجزاء المائية وغلبة الأرضية. وأما الأشياء التي لا تخثر من كليهما فهي مائية قليلة الأرضية، فهي تفنى بالحر قبل أن تغلظ. وليس يمكن البرد أن يعقدها لأن البرد إنما يعقد بإخراجه الحرارة التي في الشيء، فتنفش معها الرطوبة فيعرض اليبس الذي يكون عنه الخثورة أو الجمود. وإذا كان شيئان يقبلان الجمود معا في زمن سواء وعن محرك سواء، وهما متساويان في الرقة والغلظ، فهما[6] من البرد والحر في[7] مرتبة واحدة. وأما متى كان أحدهما أغلظ فإنه يكون أسرع جمودا. وكذلك متى كان محركه أقوى، أو كان في طبيعته أبرد.

[٧٠] وأما الأشياء اللزجة فإن الغالب عليها الماء والأرض، ولذلك هي باردة غليظة. وأما الهشة فالغالب عليها الأجزاء الهوائية، لكن مع أرضية ما. وبذلك[8] صارت سهلة التقسم: أعني من قبل الهوائية المخالطة لها، فإن هذا الأسطقس من جهة ما هو رطب يقبل التقسيم من غيره، ومن جهة اليبس المخالط للأشياء الهشة يقبل الانحصار في ذاته أي[9] ينقسم إلى أجزاء صغار.

[٧١] وأما الأشياء اللزجة فمن جهة الرطوبة المائية التي فيها تقبل الامتداد، ومن جهة شدة مخالطة الأرضية لها يعسر[10] انقسامها إلى أجزاء صغار. ولذلك صارت الأشياء الهشة أقرب[11] تناولا على الهضوم، لأنها سريعا ما تنقسم عن الحرارة إلى أجزاء صغار، إذ كان ذلك من أحد ما يعين على سرعة انهضام الشيء.

[٧٢] وأما الأشياء اللزجة فإن عسر تقسمها مما يبلد الطباع. ولذلك صارت عسيرة الهضم. وأما الغلظ فإنه يدل من طبيعة الأدوية على يبس. وذلك أن الأرضية

---

(١) ب: حرارة (٢) غ، م، ت: مثل (٣) ب: عرضي، م، ت: عرض (غ: عرضيا) (٤) م، ت: سقط "ماء" (ثبت في غ و ب (ب: كتبها في الهامش)) (٥) غ، م، ت: فلتحلل (٦) ت: فيها (٧) ت: سقط "في" (٨) غ، ت: ولذلك (٩) غ: أن (١٠) ت: والتعسير (١١) م: "صار ذلك من أحد ما يعين" عوض "صارت الأشياء الهشة أقرب".

غالبة عليه. ومتى[١] كان غذائيا عَسُر[٢] انهضامه، لأن الجوهر الأرضي عسير ما تنخلع صورته عن مادته.

[٧٣] وأما اللطافة فإن كانت هوائية دلت على حرارة ورطوبة، وإن كانت نارية دلت على حرارة ويبس. وأما اللين فإنه يدل على جوهر رطب. ولذلك كانت الأشياء اللينة سهلة الانفعال، كالفواكه الخضر. وأما الصلابة[٣] فإنها تدل على ضد ما يدل عليه اللين، أعني على جوهر أرضي يابس، وكأن[٤] الغلظ واللطافة واللين والصلابة إنما تدل على القوى المنفعلة في الشيء التي هي الرطوبة واليبوسة لا على القوى الفاعلة.

[٧٤] وأما التكاثف والتخلخل فإنه يقال على وجهين: أحدهما، وهو الذي ينطلق عليه هذا الاسم، أحق ذلك على زيادة الكمية في نفسها ونقصانها، كما نرى العصير يتخلخل[٥] في الدنان المطموسة، ويصير إلى كمية أعظم، حتى أنه ربما شق الدنان. ونرى أيضا الأبخرة تتكاثف في ذاتها فتعود إلى مقدار أصغر مما كانت، وذلك من غير أن يخرج من المتكاثف شيء أو يزيد في المتخلخل شيء. والسبب في هذا أن الهواء أعظم مقدارا من الماء والأرض. فمهما قرب الشيء من طبيعة الهواء كان أعظم مقدارا، ومتى قرب من طبيعة[٦] الماء والأرض كان أصغر مقدارا. ولذلك كانت الأشياء المتخلخلة هوائية أي حارة رطبة، والمتكاثفة باردة يابسة أو باردة رطبة. ولكون التخلخل يكثر في الشيء الأجزاء الهوائية استُعمل في خبازة الخبز التخميرُ، ليسهل بذلك هضمه، لأن الجوهر الهوائي أسهل انفعالا من جهة ما هو أرطب[٧]. وقد قيل إن الرطوبة سهلة الانحصار من غيرها بضد ما هي عليه اليبوسة، أعني أنها عسيرة الانحصار من غيرها. ولذلك كانت عسيرة الهضم. وأما الشيء الآخر مما يطلق عليه اسم[٨] المتخلخل[٩] والمتكاثف فهي الأشياء التي لها مسام واسعة ومسام ضيقة، فإن التي لها مسام واسعة[١٠] قد يطلق عليها اسم المتخلخل، والتي لها مسام ضيقة(يطلق عليها) اسم المتكاثف. والاعتبار في طبيعة[١١] هذه يكون في نفس جرمها، لا في ضيق[١٢] مسامها أو سعتها؛ وإن كان الشيء إذا كانت مسامه واسعة قد يعين[١٣] على هضمه من جهة أن ذا المسام الواسعة يسهل تفتته وانقسامه، وذو المسام الضيقة بخلاف هذا[١٤].

[٧٥] وأما الأشياء المحترقة فهي ضرورة إما نارية كالكباريت، وإما هوائية كالتبن[١٥]. ولذلك كانت هذه سريعة الاستحالة في الهضم؛ وذلك فيما شأنه منها أن يرد

---

(١) م: فإن (٢) ت: غذاء ما عسير (٣) م: سقط "وأما الصلابة" (٤) م: وكذلك (٥) م: يتحلل (ب: صححها في الهامش "يتخلخل") (٦) م: سقط "طبيعة" (٧) غ، ت: رطب (٨) ب: سقط "اسم" (٩) غ: التخلخ (١٠) م: سقط "ومسام ضيقة...مسام واسعة" (١١) م: طبيعته (١٢) م: نفس (١٣) غ، م، ت: تعين (١٤) م: ذلك (١٥) غ: يظهر "كالتين".

الأبدان. لكن ينبغي، كما يقول جالينوس، إذا أريد أن يكون هذا السبار صحيحا، أن يشترط في الدواء التكاثف[1] واللطافة. وذلك أن الشيء قد يتفق فيه أن يكون غليظا متخلخلا، أعني ذا مسام[2] كبار، فينفذ النار في تلك المسام، ويتمكن من إحراقه. وليس يمكن في الحرارة الغريزية أن تفعل ذلك لرطوبتها وضعفها عن حرارة النار. وذلك أن سهولة مثل هذا[3] الاحتراق هو للشيء بضرب من العرض، أي من قبل مسامه[4]. وأما ما كان كذلك في نفس جوهره فقياس النار في ذلك هو كقياس[5] الحار الغريزي، كالحال في قصب الذريرة[م]. وأما[6] الأشياء التي لا تقبل الاحتراق فهي الأرضية أو المائية أو التي جمعت الأمرين[7]. فهذا هو القول في الدلالات التي لهذه الأعراض العامة على طبائع الأجسام المتشابهة الأجزاء. وينبغي بعدُ أن نصير إلى القول في الطعوم والروائح والألوان، وهي التي جرت عادة الأطباء بذكرها فقط، فنقول:

[٣٤-] القول في دلالات الطعوم[8]

[٧٦] إن أشهر أصناف الطعوم هو الحلو والدسم والمالح والـمُرّ والحريف والعَفِصُ[م] والقابض والحامض[9] والتفه. أما الحلو فهو[10] يدل على مزاج[11] معتدل الحرارة. وهو بالجملة مناسب للمزاج الإنساني كما يقول جالينوس. وأما الدسم فالغالب عليه الهوائية مع مائية ما[12]، ولذلك صار دون الحلو في الحرارة. وأما المالح فالغالب على مزاجه جوهر يابس محترق خالطته رطوبة ما، وهو فوق الحلو في الحرارة. وأما الـمُرّ فطبيعته طبيعة غلب عليها الجوهر اليابس الأرضي، وذلك إما مع برودة وإما مع حرارة[13]. ويستدل على الذي يكون للبرودة[14] أنه يصير بعد المرارة إلى الحلاوة. وذلك إما بالطبيعة ككثير من النبات مثل البلوط والقرع وغير ذلك. وأما الذي يكون عن الحرارة والأرضية فإنه[15] يصير بعد الحلاوة إلى المرارة. وكون[16] المر بهذه الصفة يدل على أنه يوجد تابعا لهذين الصنفين من الأمزجة، أعني البارد اليابس أو الحار اليابس[17]، كما أن اللون الأسود يوجد عن الحار والبارد.

[٧٧] وهذا شيء قد أهمله الأطباء من أمر المر. وذلك أنهم إنما[18] نسبوه إلى الحرارة فقط، وكيف والأفيون في غاية المرارة؟ وهو مع هذا مخدر. وإن كان لقائل أن

---

(١) غ: يشرط..المتكاثف (٢) ب: المسام (٣) غ، ب، ت: أضيف "إلى" (٤) غ: أضيف "كالحال في القصب"، ب: شطب عليها (٥) غ، م، ت: قياس (٦) ب: أضيف "الحال" (٧) ب: أضيف "جميعا" (٨) غ، م، ت: سقط "في دلالات الطعوم" (٩) ت: سقط "والحامض" (١٠) غ: فإنه (ب، م، ت: فهو) (١١) غ، م، ت: أضيف "حار" (١٢) م، ت: سقط "ما" (١٣) م، ت: سقط "وإما مع حرارة" (١٤) غ، ب، ت: عن البرودة (م: للبرودة) (١٥) م: أضيف "يكون" (١٦) م: ويكون (١٧) م: سقط "أو الحار اليابس" ويبدو أنها استدركت في الهامش (١٨) ب: سقط "إنما".

يقول إن الجزء البارد من الأفيون ليس هو المر. لكن هذه الأشياء، كما قلنا، إنما[1] ينبغي أن تتسلم هاهنا من صاحب العلم الطبيعي. وهذا الذي قلناه من أمر المر قد تبين في كتاب النبات (لأرسطو).

[٧٨] والنوع من المرارة الذي يكون عن الحرارة هو أحر من المالح، إذ كان المالح تخالطه[2] رطوبة ما. ومن الدلائل[3] على ذلك أن البحار إذا اشتدت ملوحتها تمررت، كما يقال ذلك في البحيرة الميتة[4]. ولذلك لا يعيش فيها حيوان لموضع المرارة: فإن هذا المزاج في غاية المضادة للحيوان، وهو بالجملة في مقابل الحلو[5]، وإنما ضاده بيبسه[6]. ولذلك كان أقتلَ شيء للأطفال الذين هم في غاية الرطوبة. وبالجملة فهذا الطعم ليس يكون في جوهر غذائي، وإنما يكون في الأدوية[7]. وأما الحلو فإنه يكون في جوهر غذائي أو غذاء دوائي. وأما الحريف فمزاج غلب عليه الحر واليبس مع اللطافة، غلبة شديدة. ولذلك كان أشدها حرارة. فهذه هي الطعوم التي تدل على أصناف الحرارة، وهي في ذلك مراتب كما وصفنا. وكل واحد منها له[8] في نوعه مراتب: أعني أن الحلو منه ما هو[9] حلو حرارته في الدرجة الأولى، ومنه ما هو[10] حلو حرارته في الدرجة الثانية. وكذلك المالح منه ما هو في الثانية وأمرٌ من ذلك.

[٧٩] وأما الطعوم التي تدل من الأدوية على مزاج بارد فهي العفصة والقابضة والحامضة والتفهة، وإن كان التفه هو أن يكون عديم الطعم أحرى منه أن يكون ذا طعم. لكن كل[11] حاسة كما تبين في غير هذا الموضع تدرك محسوسها الخاص وعدمه. والعفص والقابض من نوع واحد، وإنما يختلفان بالأقل والأكثر. وهما يدلان من مزاج الشيء على اليبس الشديد والبرد. و[12] العفص في ذلك أكثر من القابض. وأما الحامض فإنه يدل على برودة خالطتها[13] رطوبة ما، وليست تخلو أن تكون برودة خالطته[14] حرارة يسيرة، وبذلك[15] صار مقطعا ملطفا. ولذلك[16] ما يتلو العفص والقابض في البرد. وأما التفه فمائي بارد. فهذا هو القول في دلالات الطعوم، وهي أيضا قد لا تدل كل الدلالة على[17] جوهر الشيء، إذ قد يتفق أن يكون الدواء مركبا من أكثر من جزء واحد، ويكون بعض تلك الأجزاء لا طعم له، وبعضها له طعم، لأنه ليس كل ممتزج له طعم، كما لاح في غير هذا الموضع، فيحكم الإنسان على جملة ذلك الدواء، وذلك حكم على بعضه لا على كله. ولهذا ما نرى كثيرا من الصموغ تفها وهي مع هذا حارة.

(١) ب: إنه (٢) غ: يخالطه؛ ب: يخالط (٣) غ، م، ت: الدليل (٤) غ، م: المنتنة (٥) ب: الحياة؛ م: الحيوان (غ، ت: الحلو) (٦) ب: ليبسه (٧) ت: الأغذية (٨) ب: سقط "له" (٩) ب، م: سقط "ما هو" (١٠) ب، م: سقط "ما هو" (١١) م: لكل (١٢) ت: سقط "و" (١٣) غ، ت: خالطته (ب، م: خالطتها) (١٤) "خالطته" هكذا في غ، ب، ت؛ م: سقط "رطوبة ما...خالطتها" (١٥) م: ولذلك (١٦) غ، م، ت: ولهذا (١٧) ب: وهي أيضا لا تدل على.

[٨٠] وأما الروائح فليست فصولها عندنا بينة كفصول الطعوم، ولذلك ليس لها أسماء كما للطعوم، ما[١] عدا قولنا رائحة منتنة ورائحة عطرة. وإنما يشتق لها أكثر ذلك من أسماء الطعوم، فنقول[٢]: رائحة حامضة وحريفة ومرة وغير ذلك. ولذلك ما كان من الروائح بهذه الصفة فمزاجها مزاج ذلك الطعم الغالب عليها.

[٨١] وأما الروائح العطرة[٣] فإنما تكون عن مزاج حار ضرورة، والمنتنة عن مزاج يتولد عن رطوبة غريبة وعن حرارة عفونية. ودلالات الروائح ضعيفة جدا. وذلك أنه قد يتفق أن يكون الدواء مركبا من أجزاء بعضها لا رائحة له وبعضها له[٤] رائحة. فمتى حكمنا على جميع الدواء برائحته نكون قد غلطنا، وحكمنا على الكل بالجزء، مثل من[٥] ظن أن الورد حار لمكان[٦] عطر الرائحة.

[٣٥-] في [دلالة] الألوان

[٨٢] وأما الألوان فدلالتها أيضا أضعف[٧] بكثير، إذ كانت الألوان إنما هي في سطح المتلون فيتفق كثيرا أن يكون مزاج ذلك الجزء غير[٨] مزاج ذي اللون. ولذلك ما نرى اللون الواحد بعينه يكون للشيء الحار والبارد، مثل البياض الموجود في الملح وفي الكافور[٩]. لكن دلالة اللون أصدق في المقايسة بين الشخوص التي من نوع واحد، مثل ما بين الدجاج البيض والسود، والحمص الأبيض والأسود. والألوان أصناف كثيرة إلا أنها بالجملة إما أبيض وإما أسود وإما مركب منهما[١٠]، مثل الغمامي والأصفر والقاني. واللون الأسود يكون ضرورة من[١١] الجوهر الأرضي اليابس، فقد يكون فاعله الحر كألوان الحبشان، وقد يكون فاعله البرد كالحال في الأشربة السود. وأما الأبيض فإن كان عن مخالطة الأرضية للهوائية فهو ضرورة حار أو[١٢] معتدل، كالناس الذين[١٣] ألوانهم بيض. وأما إن كان عن مخالطة المائية للأرضية[١٤]، وذلك في الأشياء المياعة فهو يدل على مزاج[١٥] بارد رطب.

[٨٣] وأما الألوان الحمر كلها فإنها تدل على الحرارة لظهور الجزء الناري فيها. والصفر متوسطة[١٦] بين ذلك[١٧]. والخضر[١٨] أميل إلى السواد، كما أن الصفرة أميل إلى الطرف الآخر. وطبيعة الألوان المتوسطة بالجملة مركبة من طبائع الأطراف.

---

(١) ب: وما (٢) ب: فيقال (٣) ب: العطرية (٤) غ، م: لها...لها (٥) غ، م، ت: من. ب: أن (٦) غ، م، ت: لما كان (٧) غ، م، ت: أضيف "من هذا" (٨) ت: سقط "غير" (٩) ت: في الثلج والكافور (١٠) غ، م، ت: منها (١١) غ، م، ت: عن (١٢) م: و (١٣) ت: أضيف "في" (١٤) ب: "للمائية" عوض "للهوائية فهو...المائية لأرضية" (١٥) م: سقط "مزاج" (١٦) غ، م، ت: متوسطات (١٧) م: سقط "بين ذلك" (١٨) غ، م، ت: والخضرة .

[٣٦- دلالات الأدوية من حيث هي نبات]

[٨٤] فهذا هو القول في دلالات[١] قوى الأدوية من الأعراض واللواحق التي تلحق الأجسام[٢] المتشابهة الأجزاء. وقد ينبغي أيضا أن نقول في الدلالات التي تخصها من حيث هي جزء نبات[٣] أو جزء حيوان، وطبائع النباتات يوقف عليها من أشياء، أحدها الموضع والثاني البلد والثالث الفصل والرابع الفعل. وهذه بالجملة إنما تقوى دلالتها إذا استعملت مع الأشياء التي سلفت. وهي بالجملة[٤] مع أنها يوقف بها[٥] على مزاج الدواء، قد يوقف بها أيضا على طريق المقايسة بين الدواءين اللذين من نوع واحد، كالحال في تلك الطرق المتقدمة، فنقول:

[٨٥] إن[٦] النبات منه كامل ومنه ناقص. فالناقص هو الذي تظهر فيه غلبة أحد الأسطقسين[٧] على الآخر[٨]: إما المائي[٩] وذلك كالنباتات التي تنبت في الماء، وإما الأسطقس الأرضي[١٠] كالنباتات التي تنبت[١١] في المواضع الصلبة. ولذلك كانت أمثال هذه النباتات ناقصة أعني أنها[١٢] ليس لها زهر وورق. وهو بين أن أمزجة[١٣] مثل هذه النباتات[١٤] الغالب عليها إما الجوهر البارد الرطب، كالحال في الطحلب، وإما الجوهر البارد اليابس كالحال في الكمأة.

[٨٦] وأما النباتات الكاملة فهي النباتات النابتة في الجبال. وذلك أن الجبال يظهر من أمرها أنها أكثر شيء توليدا للنبات، وذلك في المعتدلة منها[١٥] لمكان تخلخلها وممازجة[١٦] الحرارة والرطوبة لها لتعلقها[١٧] في الهواء وقربها من الأجرام السماوية[١٨]، ولذلك أمثال هذه النباتات يوجد لها[١٩] الثمر والزهر والأوراق. وأيضا النباتات منها برية ومنها بستانية. والبستانية ضرورة أبرد وأرطب، وذلك في النوع الواحد منها، مثال ذلك الهندباء(م) البرية والهندباء البستانية، وهي التي تدعى بالسريس. فأما الاستدلال من البلد فلأن[٢٠] بعض النباتات تختص بالبلاد الباردة، وبعضها بالحارة[٢١]. والتي تختص بالبلاد الحارة في الأكثر حارة كالأفاويه(م)[٢٢] التي تجلب من بلاد الهند وغير ذلك. وكذلك التي تختص بالبلاد الباردة باردة، وذلك في الأكثر. وقد يتفق بالعرض أن تكون نباتات حارة في البلاد الباردة كالصنوبر، ونباتات باردة في البلاد الحارة كالتمر الهندي

---

(١) غ، ت: دلالة (٢) ب: الأجزاء (٣) غ، ت: يظهر "جزئيات" (٤) م: سقط "إنما تقوى...وهي بالجملة" (٥) ت: سقط "وهي بالجملة...يوقف بها" (٦) م: سقط "إن" (٧) م: الأسطقسات (٨) غ، م، ت: سقط "على الآخر" (٩) غ، م، ت: الماء (١٠) م: سقط "كالنباتات...الأرضي" (١١) ب: وذلك كالنبات الذي ينبت...كالنبات الذي ينبت (١٢) غ، ت: أنه؛ م: التي (١٣) غ: أمزاج؛ ب، ت: مزاج (م: أمزجة) (١٤) م: سقط "النباتات" (١٥) ب: أضيف "وذلك" (١٦) غ: ولممازجة (ب، م، ت: وممازجة) (١٧) غ: لتغلغلها؛ ت: لتقلبها (ب، م: لتعلقها) (١٨) غ، ب: أضيف "فيها"؛ ت: "لها" (١٩) ب: شطب على "لها" وكتب فوقها "بها" (٢٠) م: فإن (٢١) م: بالبلاد الحارة (٢٢) م: كالأفاوه.

الموجود في بلاد العرب. لكن إنما يعرض مثل هذا ضرورة لأحد أمرين: إما لأن النباتات التي بهذه الصفة صلبة الظاهر، أو مما شأنه أن يتولد في باطن الأرض. فإن[1] النبات الذي بهذه الصفة يعرض له أن يكون في البلاد الباردة حارا[2] لموضع هروب الحرارة الغريزية التي فيه من البرد، وكذلك يعتري للبرودة[3] في البلاد الحارة في النبات البارد. والحال في الاستدلال على النبات بالفصل[4] والوقت من الزمن كالحال في الاستدلال بالبلد والبقول الحارة في الشتوة[5]، إنما هي التي شأنها أن يتكون معظمها في جوف الأرض، كالكرنب واللفت وغير ذلك. وقد يتفق أن يكون الدواء باردا[6] وهو يتكون[7] في الفصول الحارة من جهة أنه ضعيف الحرارة جدا، فحرارته تذهب عن أدنى برد يكون في الهواء بمنزلة كثير من[8] البقول الصيفية.

[٨٧] وأما الاستدلال من أفعال النبات فكثير. وذلك أن من النبات ما هو سريع حركة النمو، ومنه بطيء. والسرعة بالجملة تدل إما على الحرارة وإما على اللطافة وإما على كلتيهما، والبطء يدل على أضداد هذه. وكذلك يستدل أيضا على[9] سرعة النبات في بلوغ أدناه في النمو[10] وبطئه. وأيضا النبات منه ما له ورق وزهر وثمر، ومنه ما ليس له ورق ولا زهر. والأول إما غليظ أرضي، وإما مائي. والذي له الورق والزهر معتدل. وكذلك أيضا من النبات ما هو كثير الشوك والعقد، وهو بالجملة أرضي. ومنه ما ليس له شوك، وهو في مقابل ذلك. وبالجملة ففصول[11] النبات التي يمكن منها أن يوقف على مزاجه كثيرة، وإنما أومأنا إلى هذه الجملة على جهة الاختصار.

[٣٧- الأشياء التي يستدل بها على طبيعة الحيوان]

[٨٨] وأما الفصول (المنطقية)[؟] التي يستدل منها أيضا على طبيعة الحيوان فهي أيضا كثيرة جدا، مثل أن الحيوان منه مائي ومنه بري. فالمائي بارد رطب والبري حار يابس. وأيضا الحيوان منه طائر ومنه ماش. والطائر أكثر هوائية من الماشي[12]. وأيضا الحيوان منه ذو دم ومنه غير ذي دم. وذو الدم حار رطب، والعادم للدم بارد يابس. وأيضا الحيوان منه متنفس ومنه غير متنفس. والمتنفس حار وغير المتنفس بارد. وأيضا بعض الحيوان يختص بالبلاد الحارة وهو[13] في الأكثر حار يابس، كالجمال والغزلان وما يشبهها[14]، وبعضها[15] بالبلاد الباردة. وأيضا الحيوانات الواحدة بالنوع[16] تختلف

---

(١) ت: فأما (٢) ب: النباتات التي ...لها أن تكون...حارة (٣) ت: البرودة (٤) م: في الفصل (٥) م: "الشدة" (وعلى الكلمة هامش غير مقروء) (٦) م: سقط "باردا" (٧) ب: سقط "يتكون" (٨) ت: سقط "كثير من" (٩) م: كتب "من" فوق "على" (١٠) غ، م: الثمر؛ ت: يظهر "الثمور" (ب: النمو) (١١) م: فصول (١٢) ب: المائي (١٣) غ: وهذا (١٤) غ، م: يشبههما؛ ت: أشبهها (١٥) ت: وبعضا (١٦) غ، ت: أضيف "وغير الواحدة بالنوع"؛ ب: أضاف العبارة وشطب عليها.

أمزجتها من مراعيها، والمياه التي ترد، والبلاد. مثال ذلك السمك الصخري فإنه ألطف مزاجا وأقل فضولا من السمك الذي ليس يأوي في الصخور. والحيوان منه ما هو سريع العدو، وكثير الرياضة. وهذا هو حار المزاج ضرورة، قليل الرطوبة. ومنه ما هو بطيء العدو، قليل الرياضة، ومزاج هذا بارد رطب. وأيضا من الحيوان الماشي ما يمشي حين يولد، ومنه ما ليس يمشي حين يولد[١] إلا بعد زمن. ومن الحيوان ما يولد أولادا كثيرة، وهو يدل من مزاجه على الحرارة والرطوبة، ومنه ما لا يولد له إلا ولد واحد فقط. ومنه ما يوجد له[٢] الأمران جميعا. والحيوان يختلف جدا باختلاف مطاعمها، فالحيوانات التي تأكل اللحم حارة المزاج[٣] يابسة، ولذلك كانت أكثر هذه الحيوانات محرمة في الشرائع. وأما التي ترعى النبات فمعتدلة، كالغنم والبقر في الحيوان الماشي، والحمام والدجاج في الطائر. والحيوانات أيضا تختلف بعظم جثتها وصغرها. فالعظام الجثث أرضية، والصغار الجثث بخلاف هذا في الحيوانات البرية. وأما في المائية فعظم الجثث فيها دليل على رطوبة مفرطة. ولذلك ما حمد الأطباء من الحيتان[٤] (الأسماك) أصغرها جثتا[٥]. وصلابة العظام في الحيوان وكثرة الأجسام الأرضية فيه[٦] مثل الأظلاف والقرون والفلوس[٦] والريش دليل على كثرة الأرضية في ذلك الحيوان. ولذلك كانت كثرة الفلوس في الحيتان[٧] دليلا محمودا، لأنها تدل منها على مزاج مضاد لمزاجها. وكذلك كثرة الشوك في الحيتان. والشجاعة أيضا والجبن دليل على أمزجة الحيوان، فالشجيعة[٨] حارة ضرورة، والباردة بخلاف ذلك.

[٣٨ – الأفعال الثواني والثوالث التي للأدوية]

[٨٩] والفصول التي منها يستدل على أمزجة الحيوان كثيرة جدا، لكن إنما قصدنا هاهنا إلى الإذكار بها ليحصيها هاهنا من[٩] وقع له فراغ ونظر في ذلك، فإن هذا الكتاب إنما قصدنا فيه الإيجاز[١٠]. وهذه الدلائل[١١] كلها من الأعراض اللاحقة للأعضاء[١٢] المتشابهة الأجزاء وغير المتشابهة، إنما يكون لها دلالة متى جمعت كلها وقويس بين الدلائل المتضادة في الشيء فحكم للأغلب[١٣].

[٩٠] فهذه هي أجناس الأمور التي منها يمكن أن يوقف على الأفعال الأول من أفعال الأغذية والأدوية. وأما هل يمكن أن يوقف منها على الأفعال الثواني من أفعال الأدوية، فذلك أيضا نرى[١٤] أنه ممكن. وذلك أنا متى علمنا مزاج الدواء في الحرارة

---

(١) غ، ت: سقط "حين يولد" (٢) م: فيه (٣) م: سقط "المزاج" (٤) ت: "إلا" عوض "من الحيتان" (٥) م: جسما (٦) غ: أضيف "فيه" (٧) ت: الحيوان (٨) غ: فالحيوانات الشجيعة (٩) غ: لنحصيها هاهنا ومن (١٠) غ، ب: أضيف "والاختصار" (١١) م: سقط "الدلائل" (١٢) غ، ت: للأجسام (١٣) ت: يحكم الأغلب (قد أهمل الحرف الأول من النقط) (١٤) م: يرى.

واليبس، علمنا أفعاله الثواني. وإن كان قد يتفق في بعض الأدوية أن تكون أفعاله الثواني غير تابعة لمزاجه. مثال ذلك أن التلطيف والتقطيع إنما هو للجوهر الكثير الحرارة، وقد تلفى هاهنا أدوية معتدلة[١] فعلها هذا الفعل، مثل كزبرة[م] البئر والإذخر[م][٢] وغير ذلك. والخل[٣] في غاية التلطيف والتقطيع، مع أنه بارد. وإنما كان ذلك كذلك لأن الحرارة التي في الخل أعانتها البرودة التي فيه بتغويصها حرارته[٤] وتنفيذها إلى باطن الشيء. وكذلك يشبه أن يكون الأمر في تلك الأدوية، أعني إما أن تكون فيها لطافة زائدة، أو أمر عارض به استحقت ذلك الفعل. وقد يمكن أن يكون ذلك الشيء تابعا[٥] لجملة جوهرها. وأما الأفعال الثوالث فيضعف[٦] القياس عليها لأنها تعرف[٧] من الفعل بجوهرها[٨].

[٩١] فهذا هو القول في جميع ما يحتاج إليه هاهنا من الأقاويل الكلية من أمر الأدوية والأغذية. وينبغي بعد ذلك أن نصير إلى[٩] ذكر شخص شخص منها ونخبر بأفعاله على ما جرت عادة الأطباء[١٠] في ذلك. ونحن إنما نذكر هاهنا من الأدوية أشهرها. ومن الأشهر ما شهد به جالينوس، فإنه الرجل الموثوق والمجرب في هذه الصناعة. وغيره إنما مثله معها[١١]، كما يقول هو، كمن ينادي على الشيء بصفاته، فإذا أبصره لم يعرفه. ونبتدئ أولا بذكر الأغذية المحضة، ثم نصير إلى المتوسطة[١٢] بين الغذائية والدوائية، ثم نصير إلى الدوائية المحضة.

[٣٩-] القول في أشخاص الأغذية

[٩٢] أجمع الأطباء أن ألوم (=أكثر ملاءمة) الأغذية النباتية[١٣] للناس الطبيعيين، وهم في الأكثر سكان الإقليم الخامس والرابع(=حوض البحر الأبيض المتوسط)، هو البُرّ، لكن إذا دخلته الصنعة. وهو يستعمل على وجوه: إما خبزا، وذلك إما فطيرا وإما مختمرا. أو يستعمل عصيدا، أو يستعمل هريسا. ويستعمل دقيقه[١٤] حسوا، أو يستعمل حبه مقلوا. وربما جرش[١٥] بعد القلو والإنقاع، ويسمى سويقا. وقد يستعمل مطبوخا من غير تجريش. والحب الذي تتخذ منه هذه المطاعم[١٦] أصناف: فأفضله الرزين[م][١٧] المتكاثف الجرم. وأفضل الأشياء المصنوعة منه هو الخبز إذا اتخذ دقيقه من القمح الذي بهذه الصفة وكان دقيقه لا مستقصى[١٨] القشر وهو المسمى

---

(١) م، ت: سقط "معتدلة" (٢) غ: الاذخير (٣) م، ت: فالخل (٤) ت: حرارة (٥) غ، ب، ت: شيء تابع (٦) ت: فيصعب (٧) م: تقرب (٨) غ: بجملة الجوهر (٩) ب: أضيف "القول في" (١٠) غ، م، ت: "عليه العادة عند الأطباء" عوض "عادة الأطباء" (١١) غ، م: معهم؛ ت: معه (١٢) ت: المتوسط (١٣) م: سقط "النباتية" (١٤) ت: منه دقيقا (١٥) ت: جريشا (١٦٩) ت: الطعوم (١٧) م: الدري (١٨) غ، م، ت: متقصى.

درمكا، ولا كثير القشر[1] وهو المسمى خشكارا. والذي بهذه الصفة هو المسمى عندنا مدهونا. وذلك أن هذا الخبز يوجد قد انحط عن غلظ الدرمك وبطء خروجه عن الأعضاء، وإن[2] كان الدرمك أغذى، وقد ارتفع عن يبس الخشكار وانقلابه إلى طبيعة السوداء. وذلك أن القشر من كل نبات أرضي بارد يابس، وإن كان هذا الخبز[3] يوجد أسرع خروجا عن الأعضاء لا أسرع انهضاما. وجالينوس يستدل على ذلك بأنه يقبل الاختلاط عند العجن، لكن هو بطيء الخروج عن الأعضاء لعدم القشر الذي فيه الجلاء. ولذلك قلنا إن المدهون متوسط بين الخبزين، ويوجد فيه الأمران جميعا أعني سرعة الانهضام وسرعة الخروج. وذلك إذا[4] عجن[5] بملح معتدل وماء كثير حتى يعود في صفة إسفنج البحر في التخلخل، ثم يخمر تخميرا معتدلا، ثم يطبخ في التنور. وأما الخبز الفطير فغليظ لزج، كما أن الزائد التخمير مستحيل[6] إلى أخلاط عفونية لمكان الحرارة الغريبة التي فيه. ويتلو المختمر[7] في الجودة الحساء المتخذ من فتاته، إلا أن لموضع الماء الذي فيه يميل إلى البرودة والرطوبة. وفتات الخبز إذا سلق بالماء الحار مرات تولد منه[8] غذاء في غاية الخفة وسرعة الهضم، وهو أخص شيء بالمرضى الذين أمراضهم حادة[9]. وسويق القمح أيضا نعم الغذاء، إذا شرب بالماء البارد[10] الكثير يبرد[11]. وذلك أن الإنقاع والقلو يخلخل جوهره[12] ويلطفه. وإذا عجن بالعسل كان غذاء مسخنا[13] كثير التغذية. وأما العصائد والهرابيس[م][14] فكلها غليظة لزجة مسددة. والقمح المطبوخ بالماء أكثر من ذلك بكثير، حتى أنه أبطأ الأشياء انهضاما. وكذلك الحريرة المتخذة من الدقيق أيضا غليظة، وأما[15] المتخذة من الخمير نفسه ففي غاية اللطافة، وهي مبردة لموضع الحموضة[16]، لكن لا آمن[17] أن تكون مستحيلة. ولذلك قد ينبغي أن تتجنب في الأمراض العفونية.

[٩٣] وأما الخبز المتخذ من الشعير على الصفة التي تتخذ من خبز القمح[18] فهو تال لخبز[19] القمح في الجودة، ولكنه مائل إلى البرودة. وسويق الشعير أكثر شيء سرعة في الاستحالة وهو مبرد، وبخاصة إذا شرب بالماء. وبرده كأنه في الدرجة الأولى. وأما ماء[20] الشعير فهو في الأدوية أدخل منه في الأغذية، وهو من الجيد[21] في الأمراض

---

(١) غ: سقط من المتن "وهو المسمى...القشر"، ويبدو أنها استدركت في الهامش (٢) غ، م، ت: "هضمه وإن" عوض "خروجه عن الأعضاء إن" (٣) م: الجزء (٤) غ، م، ت: "انهضاما للجلاء الذي في قشره ثم" عوض "خروجا عن الأعضاء لا...الخروج وذلك إذا" (٥) غ، م، ت: أضيف "بعد" (٦) م: مائل (٧) غ: الخبز؛ م: شطب على "المختمر" وكتب فوقها "الخمير"؛ ت: ويتلوه المختمر (٨) غ، ت: عنه (٩) ت: أمزجتهم حارة (١٠) غ، م، ت: سقط "البارد" (١١) غ: برد؛ م، ت: سقط (١٢) م: أجزائه (١٣) غ، م، ت: كان عنه غذاء مسخن(غ: مسخنا) (١٤) غ، ت: والهريسة؛ م: والهرايس (١٥) م: "نفسه وأما الحريرة" عوض "أيضا غليظة وأما" (١٦) غ، ب، ت: الحمضة (١٧) م: يظهر "يامن" (١٨) ب، م: الصفة الذي يتخذ من القمح (ولعل الصواب في هذا الفرق: "صفة الذي...")، غ، ت: الصفة التي تتخذ من خبز القمح (١٩) م: "قريب من خبز" عوض "تال لخبز" (٢٠) ب: سقط "ماء" (٢١)ت: يظهر "الحمد".

الحارة[1] اليابسة، بحيث لا يخفى على أحد ممن نظر في هذه الصناعة أدنى نظر. وذلك أنه مبرد مرطب معدل ذو جلاء. حسن الكيموس ليس بمنفخ ولا بطيء الانحدار. وهذه خصال معروفة[2] في البارد الرطب[3] شهدت التجربة له بهذا. وصنعته أن ينقع الحب صحيحا في الماء: يوضع للجزء الواحد منه عشرون جزء من ماء مقدار أربع ساعات، ويطبخ حتى يخثر[4] الماء. فإن بهذه الحيلة أمكن أن لا يكون منفخا وتجريشه خطأ، فإنه لا يقبل الإنقاع. لأن الحبوب إنما تجذب الماء بالقوة الجاذبة التي فيها. والقوة الجاذبة[5] إنما تكون موجودة في الحب ما دام الحب يزرع فينبت، وهو إذا جرش وزرع لم ينبت. وهذا قد نبه عليه أبو مروان بن زهر في كتابه الملقب بالتيسير وذكر غلط الأطباء في تجريشهم إياه.

[٩٤] وأما الأخباز المتخذة من سائر الحبوب فقوتها قوة تلك الحبوب. وسنذكر تلك الحبوب[6] في الأغذية الدوائية. وقد كان ذكر ماء الشعير في ذلك الموضع[7] أولى لكن أجرى ذكره[8] القول هاهنا.

[٤٠-] القول في اللحوم

[٩٥] وأما أَلْوَمُ[9] اللحوم لجميع الناس فهي لحوم الدجاج الفتية المصححة، ثم يتلوها في الجودة لحوم الجداء. وللحوم الدجاج خاصة غريبة[10] في تعديل المزاج. وذلك أن[11] أمراقها تشفي المجذومين، كما أن أدمغتها فيما زعموا تزيد في جوهر الدماغ وتحسن الفكر. ثم يتلو لحوم الجداء[12] في الجودة لحوم الكباش الفتية. هذا هو رأي جل الأطباء ما خلا جالينوس فإنه يذمها ويرى أن لحوم البقر أفضل كيموسا. وأما ابن سينا فيقول إن اللحوم الفاضلة هي لحوم الغنم، وكأنه يرى أنها طبيعية للناس أكثر من غيرها من الحيوان السيار. والمشاهدة تدل على ذلك. وأكثر الأطباء يذمون لحوم الحملان لإفراط الرطوبة عليها ويمدحون الكباش الفتية[13]. وأما الرازي فإنه يرى أن لحوم الحملان تالية[14] للحوم الجداء[15] والحملان، يظهر من أمرها أنها كثيرة الفضول اللهم إلا أن تكون معتدلة[16] في تلك البلاد لحرها[17]. ويشهد لذلك أن شعورها في البلاد الجنوبية جعد يابسة قصيرة، وهي في هذه البلاد تطول إلى السبوطة[؟]. ولحوم العجاجيل لحم

---

(١) غ، م، ت: الحادة (٢) غ، ت: معدومة (٣) م: بالبارد، وسقط "الرطب" (٤) غ، م، ت: يحمر (ب: يخثر، وفوقها "صح" وكتب في الهامش "يحمر" وفوقها "خ") (٥) ب: أضيف "التي فيها" (٦) ب: سقط "وسنذكر تلك الحبوب" (٧) م: "ذكرنا ماء الشعير كذا هنالك" عوض "ذكر...الموضع" (كتبت "كذا" فوق السطر) (٨) ت: "ذكر" وكررت الكلمة (٩) م: سقط "ألوم" (١٠) ت: عجيبة (١١) غ، م، ت: ولذلك (١٢) غ، م، ت: لحم الجديان (م: الجداء؛ ت: الجدي) (١٣) غ، م، ت: "رأي القدماء" عوض "رأي جل الأطباء...الكباش الفتية" (ثبت هذا الجزء من الفقرة في ب) (١٤) م: تابعة (١٥) غ، ت: الجدي (١٦) غ، ت: تعتدل (١٧) م: بحرها.

فاضل[١]، وذلك أنه ليس فيه الغلظ[٢] ولا البرد واليبس[٣] الذي في المسن، وهو من بين اللحوم عطر، وهو يفضل في هذه الخصلة لحم الجدي[٤]، فإن لحم الجدي فيه ذفر[م][٥] ما، يظهر ذلك منه عند الطبخ. كما أن لحم الجدي يفضله في جودة الكيموس.

[٩٦] ومن اللحوم المحمودة من الطير الحجل، وهي مائلة قليلا إلى البرد[٦] واليبس. و[٧]كأنها دجاجة برية وخاصتها إمساك البطن. وبخاصة متى أكلت مسلوقة. واليمام أيضا من الطير الغذائي إلا أنها مائلة إلى الحر واليبس، لطيفة الجوهر[٨]، وخاصتها أنها تذكي القرائح. وأما الحمام فحار يابس أغلظ[٩] جوهرا من اليمام، وفي مزاجها مع هذا رطوبة فضلية. يدل على ذلك ثقل[١٠] حركتها، كما أنه[١١] يدل على حرارتها ملمسها، وسرعة هضم الأغذية في حواصلها. ولذلك الذين يريدون صقال الجوهر يطعمونها الفراخ ويذبحونها ساعة تشبع، فيخرج[١٢] الجوهر مصقولا، لكن قد قلت كميته، وبخاصة متى أبطئ في ذبحها. ويذكر أن للحمام خاصة[١٣] في نفع المجذومين[١٤] والمفلوجين. وأما القمارى فغليظة الجوهر حارة يابسة. والشحش[م] ألطف جوهرا منها وألذ وفيه عطارة[١٥]. وأما العصافير فكلها حارة[١٦] يابسة[١٧] في الغاية من الحرارة. وأما السمان[١٨] فمعتدلة أو مائلة إلى الحر قليلا لطيفة الجوهر حسنة الكيموس تصلح للأصحاء والناقهين. وأما الزرازير فحارة يابسة بطيئة الانهضام غليظة الجوهر.

[٩٧] وأفضل لحوم الحيتان(=الأسماك) هي الحيتان[١٩] التي تأوي الصخور، الكثيرة التفليس[م][٢٠] التي ليست بالصغيرة ولا الكبيرة السريعة الحركة القليلة الزهومة(=الدسم). ومن الأنواع المحمودة عندنا منها البوري[م] ويتلوه الشابل[م]، إلا أنه أعظم جرما منه. لكنه إذا صيد في الأنهار بعيدا من البحر كان ضرورة قليل الفضول. لأن هذا الحوت(=السمك) من طبعه طلب[٢١] الماء البارد، فهو يرتاض لذلك.

[٤١- الألبان والبيض والزيوت والفواكه]

[٩٨] ومن الأغذية الطبيعية الألبان والبيض. وأفضل ألبان الحيوان لبن النساء. ويليه لبن الأُتُن (ج.أتان: الحمارة)، ويليه لبن الماعز. وذلك أن هذه الألبان في غاية

---

(١) غ، م، ت: "فاضلة" عوض "لحم فاضل" (٢) غ، م، ت: فيها الغلظة (م، ت: الغلظ) (٣) م: سقط "ولا اليبس" (٤) ب: الجداء (٥) غ، ت: زفر (٦) ب: البرودة؛ م: الحر (٧) غ، ت: أضيف "هي"(٨) م: سقط "وكأنها دجاجة...لطيفة الجوهر"؛ غ، ت: سقط "لطيفة الجوهر" (٩) م، ت: أعظم (١٠) م: بطه؛ ت: سقط (١١) ت: له (١٢) غ، م، ت: يطعمونه (ت: يطعمونها)...ويذبحونه (غ:ويذبحونها)...يشبع به فيخرج (ت: "تشبع مخرج" عوض " يشبع به فيخرج") (١٣) ت: خاصية (١٤) غ: يظهر "المحرورين" (١٥) غ، م، ت: أضيف "ما" (١٦) غ، م: كلها (م: سقط "كلها") فحارة (١٧) ت: سقط "والشحش...يابسة" (١٨) م: السماني (١٩) غ: سقط "هي"؛ ت: سقط "هي الحيتان" (٢٠) م: للصخورة الكبيرة الفلوس (٢١) م: سقط "طلب".

اللطافة. وأما لبن الغنم فإلى الغلظ ما هو. ولذلك كثيرا ما يتجبن في المعدة. وأغلظ منه لبن البقر. وهذا اللبن مع أنه أغلظ فهو أكثر دسما. وأما الأجبان فالطرية منها باردة رطبة غليظة الجوهر، والقديمة حارة يابسة لموضع الملح.

[٩٩] وأما البيض فأفضله بيض الدجاج. والمح أفضل بكثير من بياضه. لكن بياض البيض ليس بمفرط الرداءة إذا لم يطبخ حتى ينعقد. ولهذا أمرت الأطباء بطبخه نمبرشت[١] أي غير كثير[٢] الانعقاد، بل أن تكون رعادة[٣] واتخذته بالمري والخل والزيت.

[١٠٠] ومن العصارات الغذائية جدا الزيت، وهو معتدل أو مائل إلى الحر قليلا، مسمن للكبد، ملائم بجملة جوهره للإنسان جدا. ولذلك ليس تطبخ اللحوم في بلادنا هذه إلا به. وكذلك الأحساء أعني أنه يضاف إلى الماء. وهذا[٤] أعدل استعمال الطبخ في اللحوم، أعني الطبخ الذي يكون بالماء والزيت وقليل ملح وبصل، وهو المسمى تفايا وهو[٥] أبسطها. وأما المشوية فليست مستوية الطبخ. والأخباز المعجونة بالزيت رديئة لأنها عند طبخها يحترق فيها وتصيبه كبريتية ما[٦]. وأما الربوب فكلها حارة يابسة نافعة للأعضاء التي تقبل الخشونة، لكن مع هذا إذا كانت قليلة الطبخ لها معونة في الهضم.

[١٠١] وأما الفواكه فأفضلها التين والعنب. والتين في مزاجه حار رطب يخل بالمعدة، ويلين البطن، وفيه جلاء بحسب ما فيه من اللبنية[٧]. وأفضله أتمه نضجا. وأما العنب فإنه حار حرارة[٨] قليلة، رطب[٩] باعتدال، يخصب البدن بسرعة[١٠]، إلا أنه تكون عنه رياح في الهضوم الثلاثة[١١] كلها، بخلاف التين، فإن الرياح المتولدة عنه[١٢] إنما هي في المعدة والأمعاء. وأما الزبيب فحار رطب منضج نافع[١٣] للكبد بجملة جوهره، وأما نبيذه فهو أضعف في أفعاله من الخمر، وهو بالجملة[١٤] ينوب منابها.

[٤٢-] في المياه

[١٠٢] وأما المياه فإن أفضلها على ما يراه أبقراط وسائر القدماء هو مياه العيون الشرقية النابعة في الأرضين التي ليست بصلبة جبلية ولا دمثة سباخية[١٥]، بل في الأرضين المعتدلة. فإن هذه المياه هي أعذب المياه[١٦] وأفضلها، وذلك أنها أخف المياه

(١) في جميع النسخ: "نيمرشت" (٢) م: "قليل" عوض "غير كثير" (٣) ت: رقادة (٤) م: وهو (٥) غ، م، ت: سقط "هو" (٦) ت: سقط "ما" (٧) م: اللين (٨) غ، م، ت: حرارته (٩) ب، ت: رطبة (١٠) ب: أضيف "باعتدال" (١١) غ، م، ت: سقط "الثلاثة" (١٢) م: منه (١٣) م: "مصلح" عوض "منضج نافع" (١٤) ب: سقط "بالجملة"؛ م: سقط "وهو بالجملة" (١٥) ب: دمنية سبخية (١٦) م: "أعذبها" عوض "أعذب المياه".

وزنا. وهي مع هذا سريعة التأثر عن الحر والبرد. وأما الرازي فإنه يرى أن أفضل المياه[١] مياه الأنهار الكبار[٢] العذبة. وأبقراط يرى أن مياه الأنهار الكبار[٣] من قبل أنها تمر بأرضين مختلفة متشتتة الجوهر. وأيضا فإن الأنهار الكبار في الأغلب لابد أن تقع فيها أنهار صغار، وتلك الأنهار تكون ضرورة مختلفة المياه[٤]. وإنما حمد الرازي الأنهار الكبار، أظن، لموضع فعل الشمس فيها، فإن الحرارة تفعل في المياه تمييزا للأجزاء[٥] الغليظة من الأجزاء الرقيقة. ولذلك صار الأطباء يطبخون الماء لضعوفي المعد والأكباد[٦]. وإن كان الأمر هكذا فما[٧] يفعل فيها اختلاف المياه واختلاف الأرضين أحق أن يعتبر، مع أنه لابد في الشتوة من مخالطة مياه[٨] الأمطار[٩] لها والثلوج، وقد أجمع على ذمها. ولهذه العلة كانت الأنهار الكبار ما بعدت عن[١٠] منبعها أردأ.

[١٠٣] ولذلك كان "النهر الكبير" عندنا بقرطبة[١١] أفضل منه عند أهل إشبيلية، وأيضا يزيد في إشبيلية تثورا بالمد والجزر الذي هنالك، ومخالطة الماء المالح بالقوة، وإن لم يتبين في الطعم[١٢] منه، لقرب البحر منها[١٣]. لكن على كل حال الأنهار الكبار لا تخلو مياهها من العكر. ولذلك يلفى في قيعان الخوابي التي تجعل فيها مياه الأنهار تراب كثير ورمل كثير[١٤]، كما يعتري ذلك ببلدنا. وليس يعتري ذلك عندنا في مياه العيون. فهذه هي الأغذية والأشربة الطبيعية للناس بما هم ناس، وينبغي أن نقول في الأغذية الدوائية.

[٤٣- الأغذية الدوائية]

[١٠٤] وهذه[١٥] أيضا منها نبات ومنها حيوان ومنها فضل الحيوان[١٦] ومنها أشربة. والنبات منه حبوب ومنه فواكه ومنه[١٧] بقول.

– **الباقلى**[م]: إما أن يكون معتدلا في الحر والبرد، وإما أن يكون مائلا إلى الحر قليلا. ولذلك صار يحلل[١٨] الأورام بالجلاء الذي فيه، وينضجها، وهو كثير الرطوبة. ولذلك يتولد عنه نفخ كثير. ولذلك[١٩] ليس في الطبخ قوة على إذهاب نفخته ولو طبخ كل الطبخ كما يقول جالينوس. وزعموا أن خاصته الإضرار بالفكر، وأن من[٢٠] تمادى عليه لا يرى رؤيا صادقة.

---

(١) ب: فإن أفضل المياه عنده (٢) ب: أضيف "القوية" (٣) غ، ت: سقط "الكبار" (٤) م: الأجزاء (٥) غ، م، ت: تمييز الأجزاء (٦) غ: لضعوف المعد والأكبد؛ ب: لضعف في المعد والأكباد؛ م: لضعوفي المعدة والأكبد؛ ت: لضعوف المعد والأكباد (٧) ت: فإنما (٨) م، ت: سقط "مياه" (٩) ت: الأنهار (١٠) غ، م، ت: من (١١) ت: بقرطبة عندنا؛ ب: سقط "عندنا" (١٢) غ: ...بالطعم؛ م: يتميز... (١٣) م: منه (١٤) غ، م، ت: سقط "كثير" (١٥) م: وهي (١٦) ب: حيوان (١٧) غ، ت: منها حبوب ومنها (غ: سقط "ومنها") فواكه ومنها (١٨) غ، ت: وبذلك...؛ م: "ويحلل" عوض "ولذلك صار يحلل" (١٩) غ، ت: سقط "لذلك" (٢٠) م، ت: "وأن من".

– **الحمص** : حار باعتدال، رطب ذو نفخة أيضا. وأفعاله الثوالث أنه يزيد في المني، ويدر البول والطمث، ويفتت الحصى الأسود منه. والذي يؤكل منه رطبا يولد في المعدة والأمعاء فضولا كثيرة. والمقلو منه، ومن الباقلى، أقل نفخة إلا أنه أعسر هضما، اللهم إلا أن يخلخله الإنقاع قبل ذلك. وخاصته تحمير البشرة، وذلك ضرورة لكثرة ما يتولد عنه[1] من الروح. ولذلك يعين على الباه(م)[2].

– **العدس** : بارد يابس يولد دما أسود، ويطفئ الدم الملتهب، ولا سيما إذا طبخ بالخل. وأفعاله الثوالث أنه يقطع الباه ويولد ظلمة البصر، وهو إذا سلق بالماء حابس للبطن.

– **التُّرْمس**(م)[3] : يابس أرضي مر[4]، فإذا أنقع في الماء حتى تذهب مرارته كان غذاء طيبا. وهو إذا استعمل مرا قتل الأجنة، وأخرج الحيّات من الجوف، ويدر البول ويفتح أفواه البواسير.

– **الأرز** : غليظ الجوهر قريب من الاعتدال في الحر والبرد ويقطع الإسهال، وهو غذاء لذيذ إذا طبخ باللبن.

– **اللوبيا** : إلى الحرارة ما هي والرطوبة، تخصب البدن[5] وتدر البول والطمث، وتلين البطن وخاصة الأحمر منها[6]. وتري أحلاما وتسدر(م)[7] الرأس.

– **الدخن**(م) : بارد[8] يابس عاقل للبطن[9]، قليل الغذاء.

– **الذرة** : باردة يابسة قليلة الغذاء.

– **الجلبان** : بارد مجفف[10] قليل الغذاء.

[٤٤–] الكلام[11] في الفواكه

[١٠٥]

– **التفاح** : الحلو حار باعتدال رطب، والحامض بارد يابس خاصته تقوية الأعضاء الرئيسة[12]، وبخاصة القلب. وهو يقوي الدماغ بالشم، وهذا كله بعطريته. وهو مما[13] يولد رياحا غليظة في الهضم الثاني والثالث، حتى أنهم زعموا أنه ربما كان سببا للسل. وذلك أنه تخرق الرياح المتولدة عنه شرايين الرئة. هكذا حكاه عنه[14] أبو مروان بن زهر. ولكن شرابه ليس تتولد عنه هذه النفخة.

(١) ب: منه (٢) م: "الباءة"، وهكذا في باقي النص (٣) ب: أضيف "بارد"، ويظهر على الكلمة ما يمكن أن يكون علامة تصحيح (٤) ت: سقط "مر" (٥) ت: سقط "البدن" (٦) غ، ت: منه؛ م: سقط (٧) م: ويري...ويسدر (٨) ت: سقط "بارد" (٩) غ: للباطن (١٠) غ: يجفف (١١) غ، م، ت: أضيف "الكلام" (١٢) غ، م، ت: الرئيسية (١٣) م، ت: لعطريته هو مما (م: سقط "مما") (١٤) غ، ت: سقط "عنه".

– **الكمثرى**: أما الذي لم يدرك منه (غير النضج) ففج بارد[١] يابس، وأما الذي أدرك فمعتدل أو مائل إلى البرد قليلا. وإنما كان كذلك لأنه مركب من حلاوة وحموضة وقبض. أفعاله الثوالث قبض البطن. وخاصته قطع العطش.

– **السفرجل** : أغلظ جوهرا من الكمثرى وأكثر قبضا، ولذلك صار برده أكثر. وخاصته أنه يشد النفس، وينفع من الخفقان شمه، كما ينفع الكمثرى. وهو في ذلك أقوى.

– **الرمان** : منه الحلو ومنه الحامض، وكلاهما يرطبان[٢]، إلا أن الحلو أرطب[٣]. وتكون عنه نفخة يسيرة. وخاصته أنه يمنع الأغذية من أن تفسد في المعدة.

– **الخوخ** : بارد رطب يحدث أخلاطا زجاجية، خاصته أنه إذا شم نفع من الغشي[٤]. ينفع أكله من بخر المعدة، وأما لب نواه فإنه يجلو الوجه. ودهنه ينفع من ثقل السمع[٥]. وعصارته تقتل الديدان.

– **وأما المشمش** : فإن[٦] مزاجه يقرب من مزاج الخوخ، إلا أن[٧] ليس فيه خواص الخوخ.

– **العبقر**[م]: هذا نوعان أبيض وأسود، وكلاهما، إذا أدرك، بارد رطب يكسر سورة[٨] الصفراء ويلين البطن ويرخي فم[٩] المعدة بعض إرخاء.

– **الجوز** : حار يابس يغثي المعدة (=يجعلها مضطربة في حالة قيء)، ويلين البطن[١٠]. خاصته، زعموا، أنه إذا أكثر منه ولد عقلة في اللسان. وهو[١١] إذا أكل بالتين[١٢] شفى من السموم. وينفع الشيوخ ويضر المحرورين. وهو بالجملة غير ضار في وقت البرد القوي.

– **البندق** : وهو المعروف بالجلوز، هو شبيه بالجوز[١٣] في جميع أحواله، إلا أن تغثيته للمعدة أقل.

– **اللوز** : حار حرارة فاترة، رطب[١٤] لذيذ المطعم. وله خواص كثيرة، منها أنهم[١٥] زعموا أنه يزيد في جوهر الدماغ، وينوم نوما معتدلا[١٦]، ويجلو وينقي مجاري البول. وهو بالجملة يصلح لمن يشكو هلاسا[م][١٧] ونحافة. ودهنه أفضل الأدهان في الترطيب لأصحاب التشنج اليابس. وهو أفضل بكثير من دهن السمسم لموضع القبض الذي في هذا الدهن وكثرة الإرخاء الذي في دهن السمسم. وأيضا فإن دهن السمسم أشد حرارة، وخاصته فيما زعموا تبخير الفم. لكن جرت عادة الأطباء بأن يستعملوه بدله.

---

(١) م: "فيه نضج فبارد" (٢) هكذا في جميع النسخ (٣) غ: أضيف "وأحر" (٤) م، ت: أضيف "و" (٥) غ، م، ت: الصمم (٦) م: "المشمس" عوض "وأما... فإن" (٧) غ، م، ت: أنه (٨) غ: "برد" عوض "سورة"؛ م، ت: "برد" عوض "يكسر سورة" (٩) ت: سقط "فم" (١٠) م: "وهو إذا أكل بالتين" عوض "يغثي...البطن" (١١) غ: وهذا (١٢) ت: بالسمن(١٣) م: يشبه الجوز (١٤) ب: سقط "رطب" (١٥) م: سقط "أنهم" (١٦) م: سقط "معتدلا" (١٧) م: أسلا؛ ت: سلاسة.

– **الصنوبر**[م]: حار يابس حرارة كثيرة، ولذلك دهنه يشفي من الفالج والاسترخاء.

– **الفستق**[م]: هو حار يابس حرارة[١] باعتدال، يقوي المعدة والكبد. بجملة جوهره[٢] من الأدوية العظيمة المنافع.

[٤٥- في البقول]

[١٠٦] والبقول كلها[٣] مائلة بطبائعها إلى الأخلاط السوداوية، وبجملة جوهرها، إلا **الخس** لبرده ورطوبته، والحشيشة المعروفة عندنا **بالكحيلاء** [م]، وهي لسان الثور.

– **الكرنب**[٤]: حار يابس مولد للخلط السوداوي ضرورة. وخاصته زعموا[٥] أن عصارته تصفي الصوت.

– **القرع** : أما القرع فإن[٦] الأطباء زعموا أنه بارد رطب مائي، وأن الخلط المتولد عنه بهذه الصفة. قالوا ويسرع خروجه إذا أكل مطبوخا من المعدة. قالوا وربما فسد في المعدة واستحال استحالة رديئة، على ما يعرض للأشياء الرطبة التي ليس فيها قبض ولا أرضية. ويشبهونه بالتوت والبطيخ. وليس القرع في بلادنا هذه بهذه الصفة، بل هو أعسر الأشياء انهضاما وأغلظها[٧] جوهرا، حتى أن إصلاحه[٨] إنما هو بالطبخ الشديد. وهو مع هذا كله[٩] رديء الكيموس[م]، وإن كان يبرد ويرطب لأنه ليس فيه[١٠] قوة بها يسهل[١١] خروجه، أعني ليس فيه قوة جلاء لا قليلا ولا كثيرا.

– **البطيخ** : بارد مع رطوبة كثيرة، وفيه جلاء. وأفعاله إدرار البول حتى أنهم زعموا أن الإدمان على شرب مائه أمان من الحصى.(= في المغرب: الدلاح).

– **والقثاء** [م]: أبرد من البطيخ وأقل رطوبة، وإدراره للبول أقل من إدرار[١٢] البطيخ. ولكونه أقل رطوبة لا يسرع إليه الفساد في المعدة[١٣] كإسراعه[١٤] إلى البطيخ.

– **البقلة الحمقاء**[م] : باردة في الدرجة الثالثة، رطبة في الثانية[١٥]، لزجة تطفئ العطش، عاقلة للبطن مذهبة فيما زعموا للضرس.

– **القطف**[م] : بارد رطب ملين للبطن، نافع فيما زعموا لأصحاب اليرقان والأكباد الحارة[١٦].

---

(١) غ: أضيف "كثيرة ولذلك دهنه يشفي"، ويبدو أنها صححت؛ م، ت: سقط "حرارة" (٢) غ، م، ت: أضيف "وبالجملة هو" (٣) ب: أضيف "بالجملة" (٤) غ، م: في الكرنب هو؛ ت: الكرنب وهو (٥) غ، م، ت: سقط "زعموا" (٦) م: سقط "القرع فإن" (٧) م: وأغلظ (٨) م، ت: صلاحه (٩) م: سقط "كله"(١٠) غ، م، ت: فيها (١١) ت: قوة تسهل (١٢) م: سقط "إدرار" (١٣) م: سقط "في المعدة"(١٤) ب: كما يسرع (١٥) ب: سقط "رطبة في الثانية" (١٦) م: سقط "القطف بارد...والأكباد الحارة".

– **الاسفيناخ**(م) : معتدل جيد للحلق والرئة والمعدة، يلين البطن. وهو في البرودة والرطوبة في الدرجة الثانية.

– **البقلة اليمانية** : قريبة من القطف، إلا أنها أسخن وأقل رطوبة وهي المعروفة عندنا باليربوز.

– **اللفت** : حار رطب يولد نفخا ويهيج الباه، ويسخن الكلى والظهر، وزعموا أن له خاصة[1] في إحداد البصر.

– **الباذنجان** : هذه البقلة تستعمل عندنا كثيرا في الأطعمة، وهي إذا سلقت وطبخت باللحم لذيذة جدا، وهي فيما أرى بعد السلق معتدلة[2]. وذلك أن الجزء الحريف منها يذهب بالسلق، إلا أنها شديدة اليبوسة لموضع الغلظ الظاهر في جوهرها والقبض. لكن كما قلنا[3] يعدل من يبوستها اللحم تعديلا كثيرا. والأطباء يزعمون أن الخلط المتولد عنها خلط سوداوي، شبيه بالخلط المتولد عن الكرنب. لكن هي بالجملة مألوفة غذائية[4]. ولذلك لا يظهر الضرر اللاحق عنها إلا بعد إدمان كثير.

فهذه هي أشهر الأغذية المستعملة عندنا، وفيها[5] دوائية ما. ولنصر إلى القول في الأدوية.

[٤٦-] القول في الأدوية[6]

[١٠٧- الأدوية النباتية]

– **القيصوم**(م) : قواه الأول هو من الحرارة واليبس في الدرجة الثالثة. والسبب في ذلك أنه مركب من جوهر أرضي محترق. والدليل على ذلك أنه دواء في غاية المرارة. أفعاله الثواني يقطع ويحلل ويفتح السدد تفتيحا قويا، هو[7] في ذلك أبلغ من **الأفسنتين**(م)، لمكان القبض الذي في الأفسنتين[8]. قوته الثالثة الإخلال بفم المعدة لموضع مرارته من غير قبض. والمستعمل من هذا النبات هو أطرافه وزهره. وإذا أحرق اشتدت يبوسته وحرارته. وينفع من داء الثعلب إذا طلي ببعض الأدهان الحارة، بمنزلة دهن الخروع[9]. ورماده بالجملة أشد يبسا وحرارة من رماد القرع المجفف وأصول **الشبث**(م) لبعد مزاج هذين الدوائين عن هذا الدواء. ولذلك صار رماد القرع المحرق[10] والشبث يصلح للقروح التي فيها صلابة، مثل القروح الحادثة في القلفة(م)، وذلك إذا كانت[11] من غير تورم.

---

(١) ب: خاصية (٢) غ، ت: أضيف "في الحرارة" (٣) ت: كما قلنا لكن (٤) ت: بالجملة هي غذائية مألوفة (٥) م: وهي (٦) غ، م: سقط "القول في الأدوية" (٧) ت: وهو (٨) م: سقط "لمكان ...الأفسنتين" (٩) ت: أضيف "والفجل" (١٠) ت: سقط "المحرق" (١١) ب، م: كان.

– **الفنجنكست**[م] : وهو المسمى عندنا شجرة إبراهيم، قوته الأولى[١] من الحرارة واليبس في الدرجة الثالثة. والسبب في ذلك أن الغالب على مزاجه جوهر أرضي محترق، وقد يخالطه أرضي بارد. والدليل على ذلك أن مذاقة هذا الدواء حريفة[٢] مع عفوصة يسيرة. وبين أن الأفعال الثواني من مثل هذا المزاج، هي التقطيع والتفتيح والعفوصة، مما تعين على ذلك في الأعضاء الباطنة مثل الكبد والطحال. أفعاله الثوالث قطع الباه، ولذلك يسمى حبه[٣] حب الفقد. وكان النساء من أهل أثينا[٤] بهذا السبب يفرشنه تحتهن في أعيادهن العظام. وبالجملة فقوته قوة السذاب[م]، إلا أن السذاب أكثر إسخانا منه وأكثر تجفيفا، وهو مع هذا أعني السذاب ليس فيه قبض.

– **الثيل**[م] : وهو المسمى بالنجيل. أصل هذا النبات قوته الأولى حارة[٥] يابسة باعتدال. والعلة في ذلك أنه مركب من جوهر مائي وجوهر أرضي، مع قليل نارية. يدل على ذلك أنه مسيخ الطعم مع شيء من القبض والحرافة. وأما حشيشته فهي مسيخة الطعم فقط. ولذلك كانت قوتها الأولى باردة يابسة باعتدال، وقوتها الثانية تدمل الجراحات الطرية بدمها، وأما أصل هذا النبات فقوته الثالثة تفتيت[٦] الحصى. ومما يشهد[٧] أن مزاج هذا النبات هو المزاج الذي وصفنا أنه ينبت في الوهاد والأرضين[٨] الرطبة.

– **الشنجار**[م] : وهو المسمى عندنا برجل الحمامة. هذا هو أنواع أربعة، تختلف بالأقل والأكثر، ولم يدرجه جالينوس. والذي أحدس عليه من مزاجه أنه بارد في (القوة) الأولى يابس في الثانية. والعلة في ذلك أن هذا الدواء الغالب على أجزائه جوهر أرضي بارد مع أرضية محترقة. ولهذا كان طعمه[٩] قابضا مع مرارة[١٠]. فلو كانت المرارة[١١] مساوية للقبض لحكمنا له بالاعتدال. كما أن القبض أيضا[١٢] لو كان مفردا لحكمنا له[١٣] بالبرد[١٤]. ولما تعاضدت المرارة مع القبض في دلالتها على اليبوسة جعلناه منها في الدرجة الثانية، لأنه ليس بشديد القبض ولا المرارة. ولذلك لا[١٥] يخفى، ما مزاجه هذا المزاج، ما أفعاله الثواني والثوالث[١٦]. ولذلك صار نافعا[١٧] لمن به وجع الكليتين ووجع الطحال، وهو أيضا يشفي البهق والعلة التي يتقشر فيها الجلد، إذا سحق بالخل وطلي على[١٨] الموضع.

---

(١) ت: سقط "الأولى" (٢) م: مذاق...حريف (٣) ب: سقط "حبه" (٤) في جميع النسخ "أثينيا" (٥) ت: باردة (٦) غ، ت: تفتت (٧) م: أضيف "لذلك" (٨) ب: والأراضي (٩) م: طبعه (١٠) غ، ت: أضيف "ما" (١١) م: مرارته (١٢) غ: سقط "أيضا" (١٣) ت: سقط "بالاعتدال...لحكمنا له" (١٤) ب: سقط "بالبرد" (١٥) ت: ما (١٦) ب: والثالث؛ ت: أضيف "وهو دابغ للمعدة ملطف يجلو الأخلاط المرارية والأخلاط المالحة" (١٧) ت: أضيف "لأصحاب اليرقان و" (١٨) ت: به.

– **الغاريقون**[م][١] : هذا الدواء لم يدرجه جالينوس. والذي يحدس عليه من مزاجه أنه حار في الأولى يابس في آخر الثانية. وذلك أنه مؤلف من أجزاء باردة أرضية وحارة أرضية وحارة نارية وحارة رطبة. يشهد لذلك أن الإنسان إذا ذاقه وجد فيه أولا حلاوة ثم[٢] بعد مرارة، ثم بعد حرافة مع[٣] قبض يسير. وذلك أن هذه الطعوم كلها تدل على الحر، إلا ما يكسر القبض من ذلك. كما أنها أيضا تدل على اليبوسة إلا ما تكسر الحلاوة بتعديلها من ذلك. لكن كسر القابض بالبرد أكثر من كسر الحلاوة بالترطيب[٤]. ولذلك جعلناه أيبس مما أحر. ولأن هذا النبات شبيه بأصل الشجر يدل على غلبة الأرضية عليه. لكن مع هذا هو هش متفتت أبيض اللون. وهذا كله مما يدل[٥] على مخالطة هوائية صالحة له[٦]. وإنما جعلناه حارا في الأولى وإن كانت فيه ثلاثة طعوم تدل على الحرارة، لأنها فيه غير قوية ولا ظاهرة[٧]. وبالجملة ينبغي أن نعتمد[٨] في تدريجه على التجربة. وأما أفعاله، غير الأول، فالتحليل والتقطيع[٩] للأخلاط الغليظة وتفتيح سدد الكبد والطحال والكليتين والرأس. وأما خواصه فهو ينفع لمن نهشته دابة من الدواب المسمومة، زعموا، إذا كان سمها تظهر عليه أعراض البرودة. والشربة منه للملسوع مقدار مثقال واحد. وهو أيضا دواء محمود في الإسهال للأخلاط الغليظة من غير أن يكون فيه ضرر الأدوية المسهلة. وهو في أول مرتبة من مراتب الأدوية الجاذبة من أقصى البدن. وله خاصية في تنقية الدماغ، ولذلك يشفي من الصرع، ومن ابتداء الماء النازل في العين. والشربة منه من درهم إلى درهمين. وليس يحتاج إلى إصلاح، اللهم إلا[١٠] ما يكسر من يبوسته فقط. وليس ينبغي أن يعتقد أن تلطيفه للأخلاط القوية وتقطيعه يدل منه على حرارة قوية، كما غلط في ذلك كثير من الحدث[م].

– **البرشاوشان**[م][١١]: وهو كزبرة البئر. هذا الدواء شهد[١٢] له جالينوس أنه معتدل في قواه الأول، مع أنه دواء له أفعال ثوان كثيرة[١٣] وثوالث. منها أنه[١٤] يلطف ويحلل وينبت الشعر في داء الثعلب، ويحلل الخنازير والدبيلات، ويفتت الحصى، ويعين في نفث الأخلاط الغليظة اللزجة[١٥] التي تخرج من الصدر والرئة. وجالينوس يقول فيه إنه يحبس البطن. والحدث(=المحدثون=الأطباء دون جالينوس) يقولون إن فيه قوة مسهلة. ومثل هذا الدواء ينبغي[١٦] أن تشد اليد عليه، أعني الأدوية التي لها أفعال ثوان وثوالث[١٧]، وهي مع هذا معتدلة لأمر ستعرفه بعد.

---

(١) ب: كتب فوق السطر بخط صغير "هو أصل شجرة وإما نبات ينبت في شجرة من الشجر" (٢) غ: أضيف "من" (٣) م: ثم (٤) م: بالرطوبة (٥) غ، ت: أضيف "منه" (٦) غ، م: سقط "له" (٧) ب: أضيف "على الحرارة" (٨) ب: يعتمد؛ م: تتعمد (٩) م، ت: فالتقطيع والتحليل (١٠) م: سقط "إلا" (١١) ت: البرشياوشان (١٢) ب: يشهد (١٣) م: كثيرة ثوان (١٤) ت: أضيف "يخفف و" (١٥) م، ت: سقط "اللزجة" (١٦) م: فينبغي، وسقط "الدواء" (١٧) ت: سقط "وثوالث".

- **حي**[١] **العالم**[م]: هذا النبات أنواع، منه المسمى **الشيان**[م] وهو يزرع في الدور، ومنه المسمى **المصفقات**[م] ومنه المسمى **عنب السقف**[م]، وكلها في الدرجة الثالثة من البرودة، وذلك أنها مسيخة[٢] الطعم كثيرة المائية. وهي تجفف[٣] تجفيفا يسيرا. ويدل أيضا على ذلك أنها تنبت في المواضع الباردة و[٤] في فصل الشتاء.

- **الأقاقيا**[م]: وهو رب شجرة **القرظ**[م]، هذا الدواء قوته الأولى من البرودة إذا غسل في الدرجة الثانية، ومن[٥] اليبوسة في الثالثة[٦]. وإذا لم يغسل فهو من البرودة في الأولى. وإنما كان ذلك كذلك لأن الأغلب عليه جوهر أرضي بارد. ولذلك كان قابض الطعم، وهو مع هذا فيه شيء من جزء لطيف حار يذهب بالغسل.

- **الأنجرة**[م]: وهي **الحريق**[م]. ثمرة هذا النبات وورقه، يرى جالينوس، فيها أنها تسخن إسخانا ليس بالقوي. وله أفعال كثيرة ثوان وثوالث. منها أنه يحل[٧] الخراجات والأورام التي تحدث[٨] بأصول الأذنين، ومنها أنه يعين على نفث الأخلاط الغليظة[٩] التي في الصدر والرئة، وهو أيضا يشفي القروح المتآكلة. وبالجملة من كل ما يحتاج إلى التجفيف من غير لذع. وهذا[١٠] أدل دليل على ضعف حرارته. وهو مع هذا يدر البول ويهيج الباه. وهذا أيضا يدل على نفخة فيه[١١]. وأما خاصته أعني بزره فإسهال البلغم، وقوته في ذلك شبيهة بقوة **القرطم**[م] إلا أنه في ذلك أقوى فعلا. الشربة منه من خمسة دراهم إلى عشرة[١٢] دراهم. ومن ظن أنه ناري لمكان التلذيع الذي في ورقه فهو مخطئ، لأن ذلك الجزء الناري الذي في ورقه لطيف يذهب بالمسح فضلا عن الغسل.

- **الباذاورد**[م] **والشكاعى**[م]: هذان النباتان باردان، هما من البرد في الأولى على ما شهد به أكثر الأطباء. وقد قيل إنهما حاران[١٣] يابسان واليبس فيهما أغلب من البرد، وبخاصة الشكاعى. وهما ينفعان من استطلاق البطن بالقبض الذي فيهما، ومن نزف الدم، ومن اللهاة الوارمة[١٤]، ومن الأورام الحادثة في المقعدة. والمستعمل من الباذاورد أصله، ومن الشكاعى ثمرته وأصله.

- **وج**[م]: صنفان جلب وأندلسي[١٥] وهو المعروف **بالأشبطالة**[م][١٦]، باللسان العجمي. هذا النبات: المستعمل منه أصله. قواه الأول من الحرارة، واليبس في الدرجة الثالثة[١٧]. وذلك أن أغلب أجزائه هو الجوهر الناري اللطيف. وربما خالطته أرضية

---

(١) غ: حيا (٢) ت: مسخية (٣) غ، ت: وهما تجففان (٤) ت: سقط "و" (٥) غ، ب: وفي (٦) م: الثانية (٧) م، ت: يحلل (٨) م: سقط "تحدث"(٩) م: سقط "الغليظة"(١٠) ب: أضيف "من"(١١) م: سقط "فيه"(١٢) م: أربعة (١٣) غ، ت: سقط "هما من البرد...إنهما حاران"(١٤) م: سقط "ومن اللهاة الوارمة" (١٥) غ، ت: سقط "جلب وأندلسي" (١٦) ب: بأشبطالة؛ ت: بالأشبطيلة (١٧) غ: الثانية.

محترقة. والدليل على هذا أن[١] طعمه حريف مع مرارة يسيرة. أفعاله الثواني يجلو ويقطع ويلطف ويفتح السدد. أفعاله الثوالث يدر البول وينفع من صلابة الطحال ويجلو كل ما يحدث من الغلظ في الطبقة القرنية من طبقات العين، وبخاصة عصارة أصله.

– **الصبر**[م]: هذا الدواء قوته الأولى هو من[٢] الإسخان، أما في الأولى ممتدة، وأما في الثانية مسترخية، ومن اليبس في الثالثة. والسبب في ذلك أنه مركب من جوهر أرضي محترق يخالطه أرضي بارد. فهو يكسر من الحرارة التي فيه، ويجتمعان في معنى اليبس. والدليل على ذلك أن طعمه شديد المرارة مع قبض. ومما يدل على أن مزاجه الحرارة أنه[٣] إنما[٤] ينبت بالبلاد الحارة، وذلك إما ببلاد العرب وإما ببلاد الهند. وما ينبت في البلاد غير الحارة منه فهو ضعيف، قواه الثواني يقبض ويردع ويجلو. ولذلك[٥] صار دواء نافعا لإنبات اللحم، قواه الثوالث يلزق النواصر[م] والقروح التي في الذكر والدبر، ويردع الأورام الحادثة في الفم والمنخرين والعينين، وخاصته إسهال الصفراء الرقيقة والغليظة. وهو من الأدوية المأمونة جدا، إذ كان ليس فيه إخلال بفم المعدة لقبضه. ومرتبته في الإسهال قريبة[٦] من مرتبة **الغاريقون**[م] إلا أنه أضعف جذبا منه. وذلك أن الغاريقون يجذب من أقصى[٧] البدن، والصبر إنما يجذب ما في طبقات المعدة وجداول الكبد. ولهذا كان خاصا بتنقية المعدة[٨]. والشربة منه من درهم إلى مثقال.

– **الوسن**[م]: هذا الدواء قوته الأولى حارة[٩]، أما في الأولى ممتدة وأما في[١٠] الثانية مسترخية[١١]، وكذلك في اليبس. والدليل على ذلك أنه يجلو جلاء يسيرا ويجفف. وينقي الكليتين ويذهب الكلف من الوجه. وخاصته التي شهر بها هذا الدواء هي المنفعة من عضة الكلب الكلِب.

– **نانوخة**[م][١٢]: أكثر ما يستعمل من هذا الدواء بزره. قوته[١٣] الأولى من التسخين واليبس في الدرجة الثالثة ممتدة. والسبب في ذلك أنه مركب من جوهر ناري وأرضي محترق. والدليل على ذلك أن طعمه حريف تخالطه مرارة ما[١٤]. وأما قوته الثانية فبينة[١٥] من مزاجه، وهي التفتيح والتحليل، وأما قوته الثالثة فإدرار البول.

– **اللوز المر**: قوته الأولى من الحرارة في الدرجة الثانية، ومن اليبوسة فيها[١٦]، إلا أنه يشبه أن يكون في الحرارة ممتدة، وفي اليبوسة مسترخية أو في الأولى، لأن الرطوبة في اللوز[١٧] ظاهرة لمكان الدهنية التي فيه. وليس يخفى عليك المزاج الفاعل

(١) ب: أن هذا (٢) ت: في (٣) م: سقط "أنه" (٤) ب: سقط "إنما" (٥) غ، ت: وبذلك (٦) غ، م، ت: قريب (٧) ب: أقاصي (٨) غ: بتنقيته المعدة؛ م: سقط "وجداول...المعدة" (٩) غ: حار (١٠) ب: إما في الدرجة الأولى ممتدة أو في (١١) ت: فممتدة...فمسترخية (١٢) م: نانخواه؛ ت: سقط "نانوخة" (١٣) م، ت: وقوته (١٤) م، ت: سقط "ما" (١٥) ت: فتشبه (١٦) غ، ت: سقط "فيها" (١٧) ت: اللون.

لهذه الأفعال أنه مزاج حار فيه أرضية ما[١]. والدليل على ذلك طعمه. وأما قواه الثوالث فتفتيح[٢] السدد التي في الكبد، ويشفي الأوجاع الحادثة في الأضلاع وفي الطحال وفي الكليتين، ويعين على نفث الأخلاط الغليظة اللزجة التي في الرئة والصدر. وأنا أرى أن أكثر أفعاله هذه الأفعال ليس بحرارة مفرطة فيه، بل بإنضاج يفعل في[٣] هذه المواد لمكان تعديلها بالرطوبة الدهنية التي فيه. ولذلك صار أوفق شيء لتفتيح السدد التي في الرئة والصدر، إذ كانت هذه الأعضاء تستضر بالخشونة.

– **الأشق**[م] : هذه الصمغة يستدل[٤] من أفعالها الثوالث بتخمين أنها حارة يابسة، لكن حرارتها في الدرجة الثانية[٥] مسترخية، ويبسها في الأولى. أما حرارتها فمن حيث هي صمغ. وقد علمنا أن الصموغ قد خثرتها الحرارة وغلظتها لكونها فضلة النبات. وأما أنها في مثل هذه الدرجة من الحرارة فلكونها ملينة، وكذلك مرتبتها من اليبوسة. ويشهد على أن اليبوسة فيها قليلة اللزوجة التي فيها. وذلك بين موجود في جميع الأصماغ. وأما قوتها[٦] الثانية والثالثة فالتليين وتحليل الصلابات الحادثة في المفاصل الثؤلولية، ويشفي[٧] الطحال الصلب ويفش الخنازير.

– **الحماما**[م]: قوى هذا النبات شبيهة بقوى الوج، إلا أن الوج أكثر تجفيفا. والحماما أكثر إنضاجا.

– **شقائق النعمان**[م]: هو من الحرارة واليبس في الدرجة[٨] الثالثة. خاصته إذا مضغ أصله اجتذب[٩] البلغم. وعصارته تنقي الدماغ من[١٠] المنخرين. وأما قواها الثواني فلن تخفى عليك. وكذلك الثوالث تجلو الأثر الحادث[١١] في العين عن قرحة[١٢] فيها، وتستأصل العلة التي يتقشر معها الجلد وتدر الطمث واللبن[١٣].

– **الشبث**[م]: هذا هو من الإسخان: أما في الدرجة الأولى ممتدة، وأما في الثانية مسترخية، وتجفيفه في الدرجة الثانية عند ابتدائها أو في الأولى عند انتهائها. ولهذا صار متى طبخ بالزيت صار ذلك الزيت[١٤] يحلل، ويسكن الوجع، وينضج الأورام اللينة[١٥] التي لم تنضج، ويجلب النوم. وذلك أن الزيت الذي يطبخ به[١٦] يصير مزاجه قريبا من مزاج الأدوية المنضجة، إلا أنه أسخن منها قليلا وألطف؛ فهو بهذا السبب يحلل. وإذا أحرق الشبث صار في الدرجة الثانية[١٧] من الإسخان والتجفيف، ولذلك

---

(١) ت: سقط "ما" (٢) غ، ت: فيفتح (٣) ت: سقط "في" (٤) ت: أضيف "عليها" (٥) غ، م: الثالثة (٦) ت: قواها (٧) م: وتنقي (٨) غ، ت: سقط "الدرجة" (٩) غ: اجتذاب؛ م: سقط "أصله" (١٠) ب: يظهر أنه شطب على "من" وكتب عوضها "و" (غ، م، ت: من) (١١) ت: الآثار الحادثة (١٢) غ: حرقة (١٣) غ، ب، م: سقط "واللبن" (١٤) م: سقط "صار ذلك الزيت" (١٥) غ: اللبنية؛ م: اليابسة (١٦) ب، ت: في (١٧) ت: الثالثة.

ينقع القروح الكثيرة[1] الرطوبة[2]، وبخاصة التي تكون في أعضاء التناسل. والشبث الطري[3] أقل حرارة وأرطب من اليابس، ولذلك صار يجلب النوم وينضج أكثر من اليابس. واليابس[4] يحلل أكثر منه. وبهذا السبب، كما[5] يقول جالينوس، كان القدماء يتخذون منه أكاليل يضعونها على رؤوسهم في أوقات الشراب[6].

– **البابونج**[م]: هذا الدواء يسخن ويجفف في الدرجة الأولى، وقواه الثواني أنه[7] يحلل ويرخي ويوسع مسام[8] البدن وينضج. وله خاصة في تسكين أوجاع الجوف.

– **الأنيسون**[م]: المستعمل من هذا النبات في الأكثر هو بزره، وهو من الحرارة واليبس في الدرجة الثالثة، وذلك أن الجوهر الناري غالب عليه. والدليل على ذلك أنه حريف[م] الطعم مع حلاوة. أفعاله الثواني والثوالث أنه محلل[9]، مذهب للنفخ الحادث في البطن، مدر للبول فتاح للسدد.

– **زراوند**[م][10]: المستعمل من هذا النبات في الأكثر[11] هو أصله. وهذا النبات ضربان: الزراوند المدحرج، والزراوند الطويل. والمدحرج أقوى في التقطيع والتلطيف، والطويل أنفع في الجلاء وإنبات اللحم. قواهما الأول[12]: هما من الحرارة واليبس في الدرجة الثانية[13]، وذلك أنهما مركبان من جوهر ناري قليل وأرضي محترق. والدليل على ذلك المرارة الموجودة في طعمه مع الحرافة. أفعاله الثواني، وبخاصة المدحرج، أنه يلطف الأخلاط الغليظة تلطيفا بليغا. ولذلك يشفي الأوجاع التي تكون من قبل أمثال[14] هذه الأخلاط والسدد، ويخرج السلا[م]، ويذهب العفونة، وينقي القروح الوسخة، وينبت[15] اللحم فيها. أفعاله الثوالث يجلو الأسنان واللثة، وينفع أصحاب الربو وأصحاب الفواق وأصحاب الصرع وأصحاب[16] النقرس[م]، إذا شرب[17] بالماء، وهو موافق جدا للفسوخ الحادثة في أطراف العضل. وهذا النبات يدعى عندنا باللسان الأعجمي بالمسقورة.

– **لسان الحمَل**[م]: هذا الدواء قوته الأولى هو بارد يابس في الدرجة الثانية، وذلك في[18] ورقه الخضر، وأما أصله فأقل بردا منه وأكثر يبسا. وورقه أيضا إذا جفف كذلك. وإنما صار هذا الدواء هكذا[19] لأنه مركب من جوهر مائي وأرضي بارد، يدل على ذلك التفاهة التي في طعمه والقبض أفعاله الثواني، يجفف ويردع، نافع للقروح الرديئة الخبيثة كلها وللمواد[20] المتعفنة. يدمل النواصير. أفعاله الثوالث موافق للقروح التي في

---

(١) ت: أضيف "الصديد" (٢) غ، ت: الرطبة (٣) ت: الغض (٤) ت: سقط "واليابس" (٥) غ، م، ت: سقط "كما" (٦) م: يظهر "الثرب" (٧) ب: سقط "أنه" (٨) ب: المسام (٩) غ، ب، م: سقط "أنه محلل" (١٠) م: زراند (١١) غ، م، ت: سقط "في الأكثر" (١٢) غ، م: الأولى (١٣) غ، ت: الثالثة (١٤) ب: سقط "أمثال" (١٥) ب: يظهر "ويميت" (١٦) ت: سقط "وأصحاب" (١٧) م: شربوه (١٨) غ، ب، ت: "وكذلك" عوض "وذلك في" (١٩) ب: كذلك (٢٠) غ، ت: والمواد.

الأمعاء، قاطع للدم الذي يكون منها، وكذلك للرحم[1]. وأصله نافع من وجع الأسنان ومفتح لسدد الكبد[2] والكليتين. وإنما كان ذلك كذلك[3] لأن الأصل من كل نبات أحر من الورق ضرورة. ولست أخلي ورق هذا النبات من حرارة، وذلك أنه[4] يظهر من أمره أنه يجلو القروح وينقيها، وذلك بين من فعله لمن شاهده.

– **الأسارون**[م]: الذي ينتفع به من هذه الحشيشة إنما هو أصلها، وقوتها شبيهة بقوة **الوج**[م]، إلا أنها أقوى في ذلك.

– **الدارشيشعان**[م]: قوته الأولى من الحرارة في الأولى[5] ومن اليبوسة في الثانية[6]. وذلك أنه مركب من جوهر ناري وأرضي بارد، ولذلك كان حريف الطعم قابضا. قواه الثواني ينفع من القروح المتعفنة ومن المواد المتحلبة.

– **اللوف**[م]: المسمى **أرون** وهو المسمى عندنا **بالصارة** وهذا النبات من التجفيف والتسخين في الدرجة الأولى، وأصوله أنفع ما فيه. قواه الثواني تقطع[7] الأخلاط الغليظة تقطيعا معتدلا. وقواه الثوالث يسهّل النفث من الصدر. والناس في المجاعات[8] عندنا يستعملون من هذا النبات خبزا يأكلونه[9] ولكنه يعود عليهم بضرر كثير[10].

– **هليون**[م]: هذه الحشيشة معتدلة، أو إلى الحرارة[11] قليلا، وذلك أنه يخالط طعمها مرارة، ولكن يسيرة؛ ولذلك[12] تذهب بالسلق. وتؤكل الحشيشة. قواها الثوالث تفتح[13] السدد في الكليتين[14]، وخاصة أصلها وبزرها، وتشفي أيضا وجع الأسنان.

– **الجعدة**[م]: هذه[15] أصناف كلها حارة يابسة، تفتح سدد جميع الأعضاء الباطنة، و[16] تدر البول والطمث. وزعموا أنها تنفع من لدغ[17] العقارب إذا شرب منها وزن مثقال بالنبيذ[18].

– **سقولوفندريون**[م][19]: هذه الحشيشة معتدلة[20] في الحرارة إلى اليبس ما هي، مشهورة بحل صلابة الطحال وتفتيح سدده. كما أن **الغافت**[م] مشهور بالكبد وهي أيضا تفتت الحصى.

– **الخنثى**[م]: وهو المسمى عندنا **الأبجة**[21]، والمستعمل منه هو أصله، كما يستعمل من **اللوف**[م]. وهو يجلو ويحلل، فإذا أحرق صار رماده أشد إسخانا وأكثر تلطيفا وتحليلا، فهو لذلك[22] يشفي[23] من داء الثعلب[م].

---

(١) ب: وللرحم؛ ت: وكذلك الرحم (٢) ب: للسدد في الكبد (٣) غ: سقط "ذلك"؛ ت: سقط "كذلك" (٤) ب: سقط "أنه" (٥) ت: الثانية (٦) م، ت: الثالثة (٧) ب، م: تقطيع (٨) م: المجاعة (٩) غ، م، ت: فيأكلونه (١٠) م: كبير (١١) غ، ت: الحر (١٢) ب: سقط "ولذلك" (١٣) م: تفتيح (١٤) ت: أضيف "والكبد" (١٥) غ: هذا؛ م: هو (١٦) غ، ب، م: سقط "تفتح...الباطنة و" (١٧) غ، م، ت: لذع (١٨) م: سقط "إذا شرب...بالنبيذ" (١٩) م: سقلوفندريون؛ ت: سقولوفندوريون (٢٠) غ، ب: المعتدلة (٢١) غ، ت: "بالأعجمية الأبج" عوض "الأبجة" (٢٢) م: وهو الذي (٢٣) ت: ينفع.

– القرطم[م]: المستعمل من هذا النبات هو بزره، وهو من الأدوية المشهورة في إسهال البلغم، مأمون في ذلك، وكأنه[١] في أول مرتبة من مراتب الأدوية المسهلة. الشُّربة منه نحو من[٢] عشرة دراهم إلى اثني عشر درهما، وهو نافع للشيوخ إذا استعملوه بالتين قبل الطعام. وقال فيه جالينوس في المقالة الأولى من ذكره لأشخاص الأدوية: إن قوته قوة مجففة تسخن باعتدال. وقال في الثانية إنه في الدرجة الثالثة[٣] من الإسخان متى أراد الإنسان استعماله من خارج. إلا أنه أطلق القول[٤] هنالك إطلاقا فيه. وفي الثانية إنما ذكر قوة بزره.

– الأفسنتين[م]: هذا نبات حار في الدرجة الأولى، يابس في الثانية. عصارته أشد حرارة[٥] كثيرا من حشيشته. وإنما كان مزاجه هذا المزاج لأنه مركب من جوهر أرضي بارد، وأرضي محترق وناري. والدليل على ذلك أن طعمه قابض مع مرارة وحرافة. قواه الثوالث تقوية المعدة وإخراج[٦] ما فيها من المرار بالإسهال، وذلك شيء يفعله بقوة جاذبة وبالمرارة الغاسلة التي فيه، ويفتح سدد الكبد ويدر البول. وليس ينتفع به متى تنوول وفي المعدة بلغم، لمكان قبضه[٧]. وهذا الدواء هو أصناف، وأفضله العطر، ولذلك صار هذا مقويا للمعدة والكبد. وبالجملة فشهرة هذا الدواء باختصاصه بالمعدة والكبد شهرة كثيرة.

– حب البان[م]: هذا الدواء المستعمل منه هو[٨] عصارة لبه وجوفه، لأن ذلك هو الذي يجلب إلينا منه، وهو من الأدوية العطرة. ومزاجه حار: أما في الأولى ممتدة، وأما في الثانية مسترخية. وذلك أن جوهره جوهر[٩] أرضي محترق، يخالطه جوهر أرضي بارد. والدليل على ذلك أنه مر المطعم مع قبض. ولما كان هذا النبات قد جمع إلى[١٠] المرارة العطارة والقبض كانت عصارته من أنفع الأدهان للمعدة الباردة والكبد. وليست عصارته مما جرت العادة عندنا أن ترد الأبدان[١١] من داخل، ولا حبه. وزعموا أنه إذا ورد البدن أهاج القيء وأسهل. ولن يخفى عليك ما أفعال[١٢] دواء مزاجه هذا المزاج، إذا ورد البدن، وذلك من الأفعال الثواني والثوالث.

– الجلنار[م]: هو زهرة الرمان البري، كما أن جنبذ[م][١٣] الرمان هو زهرة الرمان البستاني. هذا الدواء لنضعه في الدرجة الثانية ممتدة، أو في الثالثة مسترخية من البرد. وأما اليبس فلا شك أنه في الثالثة. وإنما قلنا ذلك لأن جوهره أرضي بارد، واليبوسة في الأرض أغلب من البرد. ولن يخفى عليك[١٤] ما فعل مثل[١٥] هذا الدواء من القبض

---

(١) م: وكانت (٢) غ، م، ت: من نحو (٣) ت: الثانية (٤) م: سقط "القول" (٥) غ، ب: مرارة (٦) ب، م: وإحدار (٧) ت: القبض (٨) غ: ما هو؛ م، ت: سقط "هو" (٩) ب: سقط "جوهر" (١٠) ت: مع (١١) ب، م: البدن (١٢) ب: فعل (١٣) ب: يظهر "جزبد" (١٤) غ: أضيف "مثل" (١٥) غ، م، ب: سقط "مثل".

والتجفيف وقطع الدم والإدمال، ولذلك يستعمله الناس كثيرا[١] في مداواة من ينفث الدم، ومن به قرحة في الأمعاء، ومن يتحلب أيضا[٢] إلى بطنه أشياء تخرج بالإسهال. وكذلك النساء اللواتي[٣] يتحلب إلى أرحامهن شيء يخرج بالنزف. قال جالينوس وليس أحد[٤] من الأطباء الذين وضعوا الكتب إلا و[٥] يستعمل هذا الدواء.

– **العليق**[م]: ورق هذا النبات وأطرافه وزهرته وثمره[٦] كلها باردة يابسة، وإن كانت تختلف في ذلك: فالورق أرطبها لمكان المائية التي فيه، ولذلك في قوته إشفاء **القلاع**[م] وغيره من قروح الفم. وأما ثمرتها فإذا كانت غير نضجة فإن البرد واليبس غالب عليها لمكان القبض الموجود فيها. وأما إذا نضجت الثمرة فإنها تقرب من الاعتدال لمكان[٧] الحلاوة الموجودة فيها. وقوة الزهر أيضا قوة الثمر بعينها[٨]، وكلاهما ينفعان من قروح الأمعاء واستطلاق البطن ولضعف المعدة والأمعاء[٩] ولنفث الدم. وأما أصله ففيه جوهر ما[١٠] حار لطيف، ولذلك يفتت الحصى المتولدة في الكليتين.

– **المقل**[م]: جنسان، واحد صقلي وهو أسود وقوته الثانية ملينة، وعمله بهذه القوة عمل بليغ. ولن يخفى عليك من هذا الفعل قوته الأولى، والآخر عربي وهو أصفى[١١] من المقل الآخر وأشد تجفيفا من الأدوية الملينة[١٢]، اللهم إلا ما كان منه حديثا، فإن قوته قوة الصقلي. والعربي يفتت الحصى المتولد في الكليتين إذا شرب، ويدر البول ويذهب الرياح الغليظة التي لم تنضج ويفشها، ويشفي وجع الأضلاع[١٣] وفسوخ العضل. والمقل بالجملة[١٤] من الأدوية المسهلة للبلغم الغليظ، حتى أنهم زعموا أن خاصته الجذب من الوترات والمفاصل. وهو وسط في مراتب الأدوية المسهلة. والشربة منه وزن[١٥] مثقال.

– **القرصعنة**[م]: هذا النبات يرى جالينوس أنه مركب من قوى مختلفة كمثل الورد، إلا أنه ليس بقابض. والدليل على ذلك أن في طعمه تفاهة مع حلاوة يسيرة وقليل حرافة، وبخاصة في لحائه. فإما أن يكون معتدلا وإما[١٦] مائلا إلى البرد[١٧] قليلا. وما مزاجه هذا المزاج فمنافعه جمة. ولهذا صارت أفعاله التحليل والردع. وأما خاصته المشهورة فهي[١٨] تحليل الأورام الحالبية، حتى أن اسمه باللسان اليوناني كان مشتقا من اسم الحالب. وهو يشفي هذه الأورام إن جعل عليها ضمادا وإن علق تعليقا. والحدَث

---

(١) ت: سقط "كثيرا" (٢) ب: "ومن اللواتي تتحلب" عوض "ومن يتحلب أيضا" (٣) م: سقط "يتحلب أيضا...اللوات" (٤) غ، ت: سقط "أحد" (٥) ب، م: أضيف "هو" (٦) غ، ب، م، ت: وزهرته (ب، م: وزهره) وثمرته (م: وثمره) (٧) ب: سقط "القبض...لمكان" (٨) غ، م، ت: بعينه (٩) ب: سقط "والأمعاء" (١٠) م: سقط "ما" (١١) ت: أيبس (١٢) غ: المائية (١٣) ب: الأعضاء (١٤) م: وبالجملة (١٥) غ، ت: زنة (١٦) ب، م: أو (١٧) ت: الحر (١٨) ب: فهو؛ م: ففي.

يـرون أن ذلك شيء يخصه لجميع[١] الأورام، و[٢]زعمـوا أن شـرب مائـه أمـان مـن أورام الجوف[٣].

– **البلسان**[م]: قواه الأول[٤] هي[٥] مـن الإسـخان والتجفيـف في الدرجـة الثانيـة، وهو ذو رائحة طيبة. وأما دهنه فهو ألطف شيء، وليـس كمـا يقـول جـالينوس. لـه مـن الإسخان[٦] ما يظنه به قوم غلطا منهم بسبب لطافته ونفوذه. وأما ثمرة البلسان فقوتـها[٧] من جنس هذه القوة، إلا أنها أقل لطافة من دهنه. ولهذا الدهـن خـواص كثـيرة وأفعـال عجيبة. فمـن أفعالـه الثوانـي أنـه يحلـل الأورام[٨] البلغميـة البطيئـة الانحـلال، ويقلـع أسباب الأوجاع الـتي تكـون عـن أخـلاط غليظـة وريـح نافخـة. ومـن أفعالـه الثوانـي[٩] تفتيت[١٠] الحصى. ومتى احتملته المرأة التي لا تحمـل بسـبب سـدة بـها حملـت. وأمـا خواصه فإنه بازهر[م] للسموم، وذلك[١١] أنه يشفي مـن سـقي الأفيـون ومـن سـقي خـانق النمر، وكذلك من أكل الفطر. والشربة منه من ثلاثة أرباع الدرهم إلى ربع الدرهم.

– **الأبهل**[م]: هذا الدواء هو من الإسخان والتجفيف في الدرجة الثالثـة، وهـو مـع هذا لطيف جدا. وذلك أنه مركب من جوهـر نـاري هـو الغـالب عليـه، وجوهـر أرضـي محترق، وقليل[١٢] جوهر أرضي بارد. والدليل على ذلك طعمه، فإن فيه حرافة قوية مع مرارة وبعض قبض. أفعاله الثواني أكال للعفونة[١٣] الـتي في القـروح الخبيثـة؛ وذلـك أن القروح التي ليست فيها عفونة ليس تحتمل مثل هذا الدواء؛ وأما العفنة إذا وضع عليـها مع العسل فإنه ينقيها. أفعاله الثوالث يدر البول ويحدر الطمث بشدة أكثر من كل شـيء يدره، ويبول الدم ويفسد الأجنة ويخرج الموتى(=من الأجنة). قال وللطافته[١٤] والعطريـة التي فيه قد يجعل قوم منه[١٥] مكان الدارصيني[م] ضعف وزن الدارصيني.

– **البهار**[م]: هذا النبات ورده أقوى فعلا من ورد البابونج، ومـن أجـل ذلـك هـو أقوى تحليلا[١٦] منه، حتى أنه يشـفي الأورام الصلبـة[١٧] إذا خلـط بالشـمع المـذاب مـع الدهن.

– **الأشنة**[م]: هذا النبـات يوجـد نابتـا علـى البلـوط والصنوبـر والجـوز، وهـو في الدرجة الأولى من البرودة[١٨]. والدليل على ذلك أن فيه[١٩] قبضا معتـدلا، لكـن فيـه مـع هذا قوة محللة ملينة، وخاصة فيما يوجد منه على[٢٠] شجر الصنوبر لحرارة هذا الشجر. وذلك أن أحد ما يتفاضل به[٢١] النبات هي المادة التي يغتذي منها كما قلنا فيما سلف.

---

(١) ت: يظهر "بجميع"(٢) ب: أضيف "لذلك" (٣) ت: "الأورام" عوض "أورام الجوف" (٤) ب،م: قوته الأولى (٥) غ، ب: هو؛ م: سقط (٦) ت: أضيف "قدر" (٧) غ: ثمر...فقوتها؛ ت: ثمر...فقوته (٨) غ، ت: الأمراض (٩) ب، ت: الثوالث (١٠) ت: يفتت (١١) غ، ت: من ذلك؛ م: ومن ذلك (١٢) ت: وقيل (١٣) م، ت: أكل العفونة (١٤) ت: وللطافة (١٥) ت: سقط "منه" (١٦) م: فعلا (١٧) م: سقط"حتى...الصلبة" (١٨) ب: الرطوبة (غ، م، ت: البرودة) (١٩) م: أنه قابض (٢٠) ت: يوجد على ظهر (٢١) ب: أضيف "هذا".

– **الجنطيانا**[م]: لنضع هذا الدواء في الدرجة الثالثة من الحر واليبس. والدليل على ذلك صدق مرارته. وأصل هذا النبات قوي[1] قوة بليغة في التلطيف والتنقية[2] وتفتيح السدد.

– **عجم الزبيب**[م]: يجفف في الدرجة الثانية ويبرد في الأولى، وذلك أن جوهره أرضي غليظ. يعلم ذلك من قبضه. وهو نافع غاية المنفعة من استطلاق البطن.

– **الشاهترج**[م]: يشبه أن يكون هذا الدواء إما حارا في الدرجة الأولى وإما ممتدا فيها. وذلك أنه مركب من جوهر أرضي محترق وبارد أرضي أيضا[3]. فكأنها تكافأت فيه هذه القوى من جهة الحرارة وتعاضدت من جهة اليبوسة. ولذلك ما نرى أنه يابس في الثانية. والدليل على أنه مركب من هذه الجواهر طعمه، فإن فيه قبضا ومرارة. وليس يخفى عليك ما مزاجه هذا المزاج ما أفعاله الأول[4] والثواني من التفتيح والتلطيف وإدرار البول وغير ذلك. وقد رأى بعضهم أن فيه قوة مسهلة. وهو مع هذا دواء جيد للمعدة لمكان القبض الذي فيه، وأنه[5] غاسل لها بمرارته[6]. والأدوية التي بهذه الصفة هي أخص شيء بالمعدة، وبخاصة إذا انضافت إليها العطارة كالحال في الأفسنتين[م].

– **ماميثا**[م]: هذا نبات لنضعه في الدرجة الأولى من البرودة، وذلك أنه يشفي من[7] العلة المعروفة بالحمرة[م]، إذا لم تكن قوية. والعلة في ذلك أن مزاجه مركب من جوهر مائي وجوهر أرضي، وكلاهما باردان إلا أن برودتهما كما يقول جالينوس ليست شديدة بل مثل برودة مياه الغدران.

– **الفوذنج البري**[م]: وهي الغبيراء[م]، لنضع هذا الدواء في الحرارة واليبس في الثالثة، وذلك أن الغالب على حرارته[8] الجوهر الناري مع أرضية محترقة. وما مزاجه هذا المزاج فبين ما أفعاله الثواني والثوالث.

– **عروق السوس**[م]: هذا دواء رطب في الدرجة الأولى زائد في الحر على المزاج المعتدل قليلا، وهو كما يقول جالينوس شبيه بجوهر الإنسان. ويشهد لهذا حلاوة طعمه مع قبض يسير فيه. وذلك أن الحلاوة المعتدلة تدل على حرارة[9] ورطوبة. والقبض الذي فيه يكسر من الحرارة قليلا وكذلك من رطوبته، إلا أن الرطوبة فيه أوفر[10]. يملّس[11] الخشونة في المريء والمثانة والمعدة وغير ذلك من الأعضاء التي تقبل الخشونة. وزعموا أن من أفعاله الثوالث أن أصله إذا دق وجفف وسحق صار دواء جيدا للظفرة التي تخرج في العين واللحم الزائد الذي يخرج في أصل الأظفار. وهذا مما يدل عندي على أن أصله

---

(١) ت: "وهو قوي" عوض "وأصل هذا النبات قوي"؛ ب: "فيه" عوض "قوي" (٢) ت: أضيف "والجلاء" (٣) م: سقط "أيضا" (٤) م: الأولى (٥) غ، ت: "و" عوض "وأنه" (٦) غ: بحرارته (٧) غ: "مرارا" عوض "من"؛ ب: من مرار؛ م: من أذى (٨) غ، ب، م: أجزائه (٩) ت: أضيف "فيه" (١٠) م: أفستر (١١) ت: "لتليين" عوض "يملس".

أحر[١] من عصارته. والمزاج الموصوف قبلُ له إنما هو مزاج عصارته[٢]. والأصول من هذا النبات إذا عتِّقت[٣] وجد فيها مرارة يسيرة كالحال فيما يجلب منها إلينا. ولذلك لسنا نرى أن الحديثة منها بمنزلة القديمة. وبالجملة عصارته أرطب وأعدل من أصله ما لم تكن مغشوشة[٤].

– **الفاوينا**[م]: أصل هذا النبات هو من الحرارة في الدرجة الأولى ومن اليبس في الثالثة، وذلك بحسب ما يحدس[٥] عليه من طبيعته، إذ كان مركبا من جوهر أرضي بارد وأرضي محترق وجوهر ناري وهوائي[٦] يسير. ولذلك كان طعمه أول ما يمضغ[٧] يظهر فيه قبض مع حلاوة، ثم إذا أطيل مضغه ظهرت فيه حرافة مع مرارة. أفعاله الثواني ظاهرة من مزاجه وكذلك أفعاله الثوالث من التنقية لسدد الكبد والكليتين، وذلك بما فيه من المرارة والحرافة[٨]. وأما[٩] بما فيه من القبض فيحبس البطن المستطلق[١٠]. وأما خاصته[١١] فيشهد لها جالينوس وهو النفع للصبيان من الصرع إذا علق عليهم. وزعم بعض الناس[١٢] أن هذا النبات هو المعروف عندنا **بورد الحمير** وأنه قد جربت عليه هذه الخاصية فلم تلف له.

– **الجزر**[م]: صنفان، بري وبستاني. والبري أقوى من البستاني في كل شيء. وقوتهما جميعا حارة[١٣] مسخنة، فهما لذلك يلطفان[١٤]. وأصلهما معا فيه قوة نافخة، بها يهيج الجماع. وكذلك بزر البستاني. وأما بزر البري فهو أحر وأيبس من أن تكون فيه قوة نافخة[١٥]، ولذلك صار يدر الطمث والبول. والجزر البري هو الدوقو[م] ولنضعه من الحرارة واليبس في الثالثة[١٦].

– **شجر الغار**[م]: ورق هذه الشجرة وثمرتها، وهو حب الغار، يسخنان ويجففان إسخانا وتجفيفا قويا، وخاصة حب الغار. وأما لحاء أصل هذه الشجرة فهو أقل حرارة[١٧] وحرافة و[١٨]أشد مرارة[١٩]، وفيه شيء قابض، فهو لذلك يفتت الحصى وينفع من علل الكبد متى شرب منه وزن أربعة دوانيق ونصف بشراب ريحاني. فلنضع أصله من الحرارة في الثانية، ومن اليبس في الثالثة، ولنضع الثمرة في الثالثة من كليهما[٢٠].

– **المشكطرامشير**[م]: قوى هذا الدواء هي بعينها[٢١] قوى الفوذنج البري[م] إلا أنه ألطف منه ومن أفعاله الثواني الجذب.

---

(١) ب: يظهر "أحد" (٢) م: سقط "والمزاج...عصارته" (٣) م: "عُقت" أو "سحقت" (٤) م: يكن مغشوشا (٥) غ، ت: يحد (٦) ت: "وهذا" عوض "وهوائي" (٧) غ، ت: سقط "يمضغ"؛ م: طعمها...تمضغ (٨) غ: والحرارة (٩) غ، ت: سقط "إما" (١٠) م: سقط "المستطلق" (١١) ت: بخاصته (١٢) م: سقط "الناس" (١٣) غ، ت: "قوة حادة" عوض "حارة" (١٤) غ، م، ت: ملطفان (١٥) غ: سقط "بها يهيج...قوة نافخة" (١٦) ت: أضيف "ولنضع الثمر في الثالثة من كليهما" (١٧) غ، ت: حدة (١٨) ب: أضيف "هو" (١٩) غ، ت: حرارة (٢٠) ت: سقطت كل الفقرة المتعلقة بـ"شجر الغار" (٢١) غ، ت: بعينه.

– **البلوط**[م]: الأمر في جميع[1] هذه الشجرة أنها باردة يابسة ظاهر لمكان القبض الذي فيها، لكن اللحاء الذي على نفس جرم البلوط أشد قبضا، وكذلك اللحاء المستبطن[2] لقشر ثمره[3] وهو جفت البلوط[4]. وهذان الجنسان اجتمع فيهما مع القبض اللطافة[5]، فهما بهذا السبب من أنفع الأشياء. ولذلك صار جفت البلوط يشفي من[6] النزف العارض للنساء، ونزف الدم وخروج الأمعاء واستطلاق البطن.

– **الخطمي**[م]: هذا النبات أفعاله الثواني التحليل والإرخاء والمنع من حدوث الأورام[7] وتسكين الأوجاع وإنضاج الخراجات العسيرة الإنضاج، وأصله وبزره يفعلان ما يفعل بأوراقه وقضبانه مادام طريا، إلا أنهما أقل تجفيفا وألطف. وحُقَّ للأصل والبزر أن يكونا[8] من كل نبات بهذه الصفة. ولذلك صار هذان أكثر جلاء حتى أنهما يشفيان **البهق**[م]. وبزره أيضا يفتت الحصى المتولدة في الكليتين، لكن مع هذا كله في الأصل قوة قابضة. وبذلك صار الماء الذي يطبخ فيه أصل الخطمي ينفع من قروح الأمعاء ومن استطلاق البطن ومن نفث الدم[9]. فلنضع ورق هذا النبات وقضبانه في الدرجة الأولى من الحر واليبس ولنضع أصله في أول الثانية.

– **الزيت**: أما الزيت المعتصر من زيتون نضج من غير أن يدخله ملح ولا بالجملة صنعة تغير مزاجه فهو شبيه بجوهر الإنسان، وقد تقدم ذكره في الأغذية. وأما الزيت المعتصر من زيتون غض، فيه بعض القبض، فبرودته بقدر ما فيه من القبض. وأما الزيت العتيق فهو أحر وألطف من الزيت المعتدل، ولذلك كانت فيه قوة تحليل وتسكين للأوجاع. وأما سائر الزيوت التي شأنها أن تستخرج من سائر الأدوية فطبيعتها طبيعة تلك الأدوية. وكذلك الأدوية التي جرت العادة أن تستخرج قواها[10] في الزيت نفسه. وأشهر الأدوية التي يستخرج زيتها نفسها دهن **الخروع**[م]، ودهن السمسم، ودهن **اللوز**، ودهن **بزر الفجل**، ودهن **الجوز**[11]، ودهن **حب الغار**[م]، ودهن **حب البان**[م]، ودهن **الشونيز**[م]، ودهن **الخردل**[م]، ودهن **الآس**[م]، ودهن **المصطكى**[م]، ودهن **الحبة**[12] **الخضراء**[م] ودهن **الإذخر**[م][13]. أما **دهن الخروع** فهو أكثر تحليلا وألطف من الزيت ولذلك هو أشبه شيء بالزيت العتيق. ويستعمل الزيت العتيق[14] بدله[15] إذا عدم. وأما دهن **الفجل** فهو أشد حرارة منه. ومن هذا أيضا دهن **الخردل**. فأما دهن **الآس** فهو ضد هذه، وذلك أنه بارد قابض. ودهن حب **البان** متوسط بين ذلك، إذ كانت طبيعته

---

(١) غ، ت: سقط "جميع" (٢) م: سقط "لكن اللحاء...المستبطن" (٣) ب، ت: بقشر (ب: لقشر) ثمرته (٤) غ: سقط "أشد قبضا...البلوط" (٥) م: واللطافة (٦) غ، ت: سقط "من" (٧) م: أضيف "الساكنة" (٨) غ، م، ت: إلا أنه ألطف وأقل تجفيفا...أن يكون (٩) غ، م: سقط "ينفع...نفث الدم"؛ ت: ونفث الدم (١٠) غ، ت: سقط "قواها"؛ م: قوتها (١١) ت: الجزر (١٢) ب: حبة (١٣) غ، ت: سقط "ودهن الإذخر" (١٤) ت: سقط "ويستعمل...العتيق" (١٥) م: "وهو" عوض "ويستعمل...بدله".

مركبة كما قيل فيما سلف من أمره. وأما دهن الشيرج فهو حار رطب. وكذلك دهن اللوز الحلو، إلا أنه معتدل في الحرارة أو ذو حرارة يسيرة ويخالط رطوبته قبض ما، ولذلك يرطب من غير إرخاء ولا إحرار[١]، وبهذا[٢] يفضل دهن السمسم. وأما دهن الإذخر ودهن الحبة الخضراء ودهن المصطكى فقوة كل واحد منها مركبة من القبض والتحليل. ولذلك صارت أنفع شيء للمعدة والكبد، إلا أن دهن المصطكى ودهن الآس ودهن الإذخر لم تجر عادة الأطباء عندنا أن يستخرجوا[٣] أدهانها أنفسها، بل إنما يستخرجونها في الزيت. وأما جالينوس فقد نص في كتابه على أن العادة كانت عندهم[٤] جارية باستخراج دهن الآس ودهن المصطكى منهما أنفسهما[٥] وكذلك دهن الإذخر. وفضل هذه الأدهان على الدهن المستخرج في الزيت فضل بين أعني: في قوته وفعله. وأما الأدهان التي جرت العادة باستخراج قواها في الزيت العذب عند القدماء والحدث[٦] فهي مثل دهن الورد ودهن السفرجل ودهن السوسن ودهن البنفسج ودهن النيلوفر[٧](م) ودهن الياسمين، وستعرف قوى هذه الأدهان بمعرفتك[٨] قوى هذه الأدوية، إلا أنه ينبغي أن يتخذ الزيت الذي تنقع فيه هذه الأدهان[٩] زيتا عذبا غير ظاهر فيه كيفية[١٠] أصلا، فإن هذا هو حق المادة: أعني ألا يظهر فيها[١١] كيفية اللهم إلا أن تكون تلك الكيفية إما شبيهة بكيفية الدواء عندما يقصد بها إلى تقوية فعل الدواء، أو مضادة عندما يقصد بها[١٢] الكسر من قوة ذلك الدواء. ومثال ذلك أنا إذا أردنا أن نقصد[١٣] فعل التحليل في زيت الورد أنقعناه في زيت قديم، ومتى أردنا أن نكسر من هذه القوة أنقعناه في الزيت الفج. وأما متى أردنا أن نجعل قوة الزيت هي قوة الورد بعينها[١٤] أنقعناه في الزيت[١٥] العذب.

– الراسن(م): هذا الدواء لنضعه في الدرجة الثانية من الإسخان واليبس. والدليل على ذلك أنه قد يدخل في اللعوقات النافعة لنفث[١٦] الأخلاط الغليظة اللزجة من الصدر والرئة فيؤثر فيها أثرا[١٧] محمودا، ومن أفعاله الثواني أنه يحر[١٨] الأعضاء التي أصابها برد بمنزلة عرق النسا وغير ذلك.

– الخربق(م): هذا الدواء صنفان أبيض وأسود، وكلاهما يسخنان ويجففان في الثالثة، وقوتهما الثانية قوة تجلو، ولذلك ينفعان البهق والقوباء والجرب والعلة التي يتقشر فيها[١٩] الجلد. والأبيض ليس وروده داخل البدن[٢٠] بمأمون بل هو في عداد

---

(١) م: سقط "ولا إحرار" (٢) ب: وبها (٣) ب: يستخرجوها (٤) ب: سقط "عندهم" (٥) م، ت: منها أنفسها (٦) ت: سقط "والحدث" (٧) م: سقط "ودهن النيلوفر" (٨) م: بمعرفة (٩) ب: الأدوية (١٠) غ، م: كيفيته (١١) ب: تظهر فيه؛ م: سقط "كيفيته أصلا...يظهر فيها" (١٢) م: سقط "إلى تقوية...بها" (١٣) غ: يظهر "نعضد" (١٤) غ: بعينه (١٥) ت: سقط "الفج...في الزيت" (١٦) ت: سقط "لنفث" (١٧) ت: فتؤثر فيها أمرا (١٨) غ، م، ت: يحمر (١٩) ب: معها؛ م: منها (٢٠) غ، ت: على البدن؛ م: وليس ورود الأبيض البدن.

الأدوية السمية. وأما الأسود فإن القدماء كانوا يستعملونه في استفراغ المرة السوداء. وهو دواء قوي جدا، ويضر بالكبد والمعدة. وقد استغنت عنه الحدث بغيره من الأدوية التي شأنها أن تستفرغ هذا الخلط. ومن أفضلها في ذلك حجر اللازورد، فإن هذا الحجر مأمون قوي الجذب.

– وأما **الأفيثمون**[م] **والبسبايج**[م]: فإنها وإن كانت أدوية محمودة[١] في استخراج المرة[٢] السوداء فليس تداني الخربق في القوة. وحجر المغنطيس أيضا قوته في الإسهال[٣] قوة الخربق، إلا أنه أيضا قوي الجذب من جهة ما هو حجر، لمكان اليبس الذي فيه وحجر اللازورد آمن منه.

– **أفيثمون** قوة هذا النبات شبيهة **بقوة الحاشا**[م] وهو يسخن ويجفف في الدرجة الثالثة[٤]، وهو دواء محمود، كما قلنا، في إخراج المرة السوداء. الشربة منه من ثلاثة دراهم إلى درهمين، وفي المطبوخات[٥] من خمسة إلى سبعة. وهو يحتاج أن يحجب[م] من يبسه ومن جهة إكرابه[م][٦]، ولذلك كان النيلوفر في ذلك دواء فاضلا لأنه بعطارته يحجب إكرابه[٧]، وبرطوبته يحجب يبسه، إلا أنه مع هذا يكسر حره. والدواء قد ينبغي أن يحجب من جميع جهاته إلا من الجهة التي يسهل بها وهي الحرارة أو من الإسهال نفسه وإن حجب بالتفاح كان عندي أحمد، إلا أن تكون هنالك حمى. وكذلك يمكن أن يحجب باللوز والاسطوخدوس[م].

– **قوة الصباغين**[م] لنضع هذا الدواء، أما من الحرارة ففي الدرجة الثانية وأما من اليبوسة ففي الدرجة[٨] الثالثة. وذلك أنه دواء[٩] مركب من الجوهر الأرضي المحترق ومن الجوهر[١٠] الأرضي البارد. والدليل على ذلك أنه مر المطعم **عفص**[م]. وأفعاله الثواني والثوالث الأفعال التي شأنها أن تصدر عن مثل هذا المزاج من تفتيح سدد الكبد والطحال وإدرار البول والطمث بقوة، وربما بول الدم، ويجلو جلاء معتدلا جميع الأشياء المحتاجة إلى ذلك. فهو ينفع من البهق إذا طلي عليه مع الخل[١١]، وقد يسقى منه من به عرق النسا[م] ووجع الورك واسترخاء أعضائه وذلك[١٢] بماء العسل.

– **غافت**[م]: هذا دواء مشهور جدا بتقوية الكبد وتفتيح سدده، وذلك أنه مركب من جوهر قابض وجوهر مر، ولذلك فلنضعه في الدرجة الأولى من الحرارة[١٣]، لأن المرارة فيه أظهر من القبض.

---

(١) م: جيدة (٢) غ، م، ت: سقط "المرة" (٣) غ، م، ت: حجر المغنيطس قوته في الإسهال أيضا (٤) ت: الثانية (٥) غ: المطبوخة (٦) غ، م، ت: من جهة إكرابه ويبسه (غ: ومن جهة يبسه؛ م: وضعفه) (٧) ب: سقط "ولذلك كان...إكرابه" (٨) م: سقط "الدرجة" (٩) ب، م: سقط "دواء" (١٠) غ، ب، ت: سقط "من الجوهر" (١١) م: بالخل (١٢) ب: سقط "وذلك" (١٣) غ، ت: سقط "من الحرارة".

- **زنجبيل**(م): هذا النبات[1] مجلوب من بلاد الهند وذلك أصله، وهو من الحرارة في الدرجة الثالثة[2]، وفيه رطوبة فضلية بها صار إسخانه للبدن في بطء، بخلاف الأمر في الفلفل. فإن الحال في استحالة الزنجبيل عن البدن واستحالة الفلفل كاستحالة الخشب الرطب والخشب اليابس عن[3] النار. **والدارفلفل** شبيه بالزنجبيل فلنضع الزنجبيل من الرطوبة في الدرجة الأولى.

- **النعنع**: هذا النبات هو فوذنج بستاني ولذلك فيه رطوبة فضلية يحرك بها الجماع، وهو شيء مشترك للأشياء التي فيها رطوبة فضلية لم تنضج نضجا تاما. وطعمه مر مع قبض، ولذلك أيضا ما يظهر أنه أقل حرارة من **الفوذنج البري**(م). فلنضعه من الحرارة في الثانية ممتدة أو في الثالثة[4] مسترخية وفي اليبوسة كذلك.

- **تافسيا**(م): قوة هذا النبات قوة حادة[5] تسخن إسخانا قويا، فليكن في الدرجة الثالثة، رطب في الدرجة[6] الأولى. والدليل على رطوبته أنه يفسد سريعا ولا ينفعل عن البدن إلا بعد مدة[7]، كالحال في الزنجبيل. ومن قواه الجذب من عمق البدن وتحليل ما يجذبه[8].

- **الترمس**(م): أما[9] إذا سلق في الماء حتى تذهب مرارته فهو دواء مغذ. وأما إذا كان مرا فإنه يفعل ما شأن الأدوية المرة الصادقة المرارة أن تفعله من الجلاء والتجفيف والتحليل وتفتيح السدد في الكبد والطحال وإدرار الطمث وقتل الديديان وإخراج الأجنة. وهو يجلو البهق ويحلل الخضرة والكمودة التي في الأعضاء، ويحلل **الخنازير**(م) فلنضعه من الحرارة واليبس في أول الدرجة الثالثة أو في آخر الثانية.

- **الخس**(م): هذه البقلة يقول جالينوس إن برودتها شبيهة ببرودة مياه الغدران. والدليل على ذلك أنها لا تشفي من الحمرة ما عظم[10]، وإنما تشفي ما لم يكن عظيم المقدار. وعلى هذا فلتوضع من البرودة، إما في آخر الأولى وإما في أول الثانية رطب فيها. وهو دواء منوم جدا وبزره إذا شرب يقطع المني.

- **الحاشا**(م): هو من الإسخان والتجفيف في الدرجة الثالثة. ومن أفعاله إدرار الطمث والبول وإخراج الأجنة وتفتيح السدد. قال وينفع للنفث[11] من الصدر والرئة.

- **الدبق**(م): وهو العلك[12]، هذا قوته قوة التافسيا(م) في الأفعال الأول والثواني، وهو شديد الحرارة مع رطوبة فضلية، وهو أيضا يجذب من عمق البدن وفعله[13] ذلك بطيء[14] لمكان الرطوبة الفضلية التي فيه.

---

(١) ب: الدواء (٢) ت: الثانية (٣) م: على (٤) وفي الثالثة أيضا (٥) غ، ت: جاذبة (٦) م: سقط "الدرجة" (٧) ت: سقط "رطب في...بعد مدة" (٨) ب: يجمد به (٩) ب، م: سقط "أما" (١٠) ب: أضيف "منها" (١١) غ: سقط "للنفث"؛ ب، ت: النفث (١٢) م: سقط "وهو العلك" (١٣) م: أضيف "في" (١٤) غ، ب: يبطئ؛ ت : ببطء.

- **البنفسج**: زهر هذا النبات وورقه بارد رطب فليوضع من ذلك في الثانية وخاصته أنه ينوم ويلين البطن[1].

- **ذنب الخيل**[م]: هذا نبات قوته قوة قابضة مرة، ولذلك صار يجفف غاية التجفيف من غير لذع، فهو بهذا السبب يدمل الجراحات العظيمة، وينفع من الفتق الذي تنحدر منه[2] الأمعاء، ومن نفث الدم، ومن النزف العارض للنساء، وخاصة ما كان منه أحمر[3]، ومن قروح الأمعاء وسائر أنواع استطلاق البطن. وقد تحدث[4] عنه قوم أنه أدمل في وقت ما جراحة وقعت بالمثانة[5].

- **النيل**[م]: وهو الذي يستعمله الصباغون، وقوته قوة تجفف تجفيفا قويا[6] من غير لذع، لأنه مر قابض. وهو ضربان: بستاني وبري. والبري في ذلك أقوى من البستاني. وأفعاله أنه يدمل الجراحات الحادثة في الأبدان الصلبة ولو كانت في رؤوس العضل، ويقطع انفجار الدم، ويقاوم مقاومة شديدة الجراحات الرديئة متعفنة كانت أم متآكلة. والبري في الخراجات[7] المتعفنة أقوى فعلا لقوة تجفيفه، كما أنه أقل فعلا في علاج القروح الأخر من البستاني، وذلك أنه يلذعها. والبري نافع للطحال. فلنضع البري في الثانية من الحرارة وفي الثالثة من اليبس[8]، والبستاني في الأولى من الحرارة ومن اليبس في الثانية.

- **الصفصاف**[م]: ورق هذا النبات وزهره يجففان تجفيفا قويا من غير لذع، وما شأنه هذا فمنافعه كثيرة واضحة، ولذلك يدمل الجراحات. وإذا أحرق لحاء هذه الشجرة[9] جفف تجفيفا أقوى. ولذلك يستعمل في الثآليل وخاصة المدورة البيض والشبيهة[10] برؤوس المسامير، والثآليل المنكوسة والمركوزة في الجلد، فإن هذه كلها ينفعها[11] رماد هذه الشجرة[12] إذا عجن[13] بالخل وطلي عليها. وصمغة هذه الشجرة يقلع بها جميع الأشياء التي تقف في وجه الحدقة، فيظلم لها[14] البصر، لأن هذه الصمغة تجلو وتلطف.

- **الفوذنج النهري**[م]: هذا الدواء[15] هو حار يابس في الثالثة، وذلك أنه مركب من جوهر ناري وقليل أرضي محترق. والدليل على ذلك طعمه فإن الحرافة غالبة عليه[16] مع يسير مرارة. ولن يخفى عليك ما مزاجه هذا المزاج ما أفعاله الثواني من

---

(١) غ، م، ت: الطبع (ب: "البطن"، وكتب فوقها علامة "صح"، وكتب في الهامش "الطبع" وعليها علامة خـ) (٢) ب: فيه (٣) ب: أضيف "أو إلى الحمرة" (٤) غ، ب، م: يحدث (٥) ب: أضيف "وبالأمعاء الدقاق"؛ م: في المثانة (٦) ب: تجفيف تجفيفا قويا؛ م: سقط "تجفيفا قويا" (٧) غ: أهملت الكلمة من التنقيط؛ ت: الجراحات (ب، م: الخراجات) (٨) غ، م، ت: ومن (غ، ت: وفي) اليبس في الثالثة (٩) ب: سقط "الشجرة" (١٠) غ، م، ت: المدورة والبيض الشبيهة (١١) غ، ت: يقطعها؛ م: يقلعها (١٢) غ، م: شجرة (م: شجر) الصفصاف؛ ت: هذه الشجرة الصفصاف (ب: هذه الشجرة) (١٣) ت: سحق (١٤) م: بها (١٥) م: أضيف "هو الضومران و" (١٦) غ: غالبة عليها؛ ب :عليه غالبة (م، ت : غالبة عليه).

التحليل والتلطيف والتجفيف، وما أفعاله الثوالث من إدرار البول والطمث. قالوا وهو[1] نافع لأصحاب الجذام[2] ولمن نهشته[3] ذوات[4] السموم، وبخاصة إذا وضع ضمادا على موضع النهشة، ويقتل الديدان التي تكون في الأذن وغير ذلك من الأعضاء. والجبلي في هذا كله أقوى من النهري وأنفع[5].

– **قصب الذريرة**[م]: هذا القصب معدوم عندنا بجزيرة الأندلس، وهو من[6] الحرارة واليبس في الدرجة الثانية[7]، وهو في اليبس أكثر امتدادا. والعلة في ذلك أنه مركب من جوهر أرضي وهوائي قد امتزجا، كما يقول ذلك جالينوس، على توسط من الاعتدال. وفيه مع هذا جوهر لطيف ناري به كانت عطارته. والدليل على[8] أنه مركب من جوهر أرضي[9] وهوائي[10] القبض[11] الموجود في طعمه[12] مع الحرافة اليسيرة. وأيضا فمن حيث إنه قصب فالهوائية غالبة عليه، وذلك بين من أمر القصب. أفعاله الثواني يدر البول إدرارا يسيرا ويخلط في الأضمدة التي تنفع المعدة والكبد، وبالجملة فهو من أحد[13] الأدوية التي جمعت إلى العطارة والحرافة القبض. وما مزاجه هذا المزاج فهو مقو للأعضاء الرئيسة[14] كلها. والجزء اللطيف الذي فيه، قال[15] جالينوس، هو أقل منه في سائر الأفاويه[16].

– **الكبر**[م]: لنضع أصل هذا النبات[17] أما في الحرارة ففي الدرجة الثانية ممتدة، وأما في اليبس ففي الثالثة. والسبب في ذلك أنه مركب من قوى متضادة[18]. وذلك أن فيه جوهرا أرضيا باردا وأرضيا محترقا وناريا لطيفا. والدليل على ذلك أن الغالب على طعمه المرارة وبعده الطعم الحريف وبعدهما القابض. ولن يخفى عليك أفعال مثل هذا الدواء، لا[19] الثواني ولا الثوالث، مما سلف من أفعال ما مزاجه هذا المزاج؛ إلا أن هذا النبات له خصوصية ما بنفع[20] الطحال وتفتيح سدده. وذلك أنه كثيرا ما يخرج مع الغائط شيئا دمويا[21] فيسكن وجع الطحال. وكذلك يفعل في سائر الأخلاط الغليظة: يدرها في البول ويخرجها، وهو يدر الطمث ويحدر البلغم إذا تغرغر به، وإذا مضغ. وينفع من الهتك الذي يقع في رؤوس العضل. وينفع من وجع الأسنان إذا تمضمض به.

– **الحرْف**[م]: قوته من الحرارة واليبس في الدرجة الرابعة، وقوته شبيهة بقوة الخردل. وأغصانه، ما دامت طرية، أضعف من بزره بكثير، لمكان المائية التي تخالطه. ولذلك قد يأكله الناس بخبزهم.

---

(١) ت: "والعرق" عوض "قالوا" (٢) ت: أضيف "جدا" (٣) ب: أضيف "جميع" (٤) م: دواب (٥) م: سقط "وأنفع" (٦) غ، م، ت: في (٧) ب: الثالثة (٨) غ: أضيف "ذلك" (٩) م: أضيف "وناري" (١٠) ت: سقط "على أنه...وهوائي" (١١) غ: للقبض (١٢) م: "فيه" عوض "في طعمه" (١٣) م: فهو أحد؛ ت: فهو من أجود (١٤) م، ت: الرئيسية (١٥) م: قال فيه (١٦) ت: "الأدوية الطيبة الريح" عوض "الأفاويه" (١٧) ت: "هذا الدواء" عوض "أصل هذا النبات" (١٨) غ: مضادة (١٩) ب: ولا (٢٠) م: "بالنفع من" (٢١) غ، ت: شيء دموي.

– **القردمانا**[م]: هذه أيضا لنضعها في الدرجة الثالثة[١] من الإسخان واليبس، وهو نبات ذو رائحة طيبة[٢]. ولست أحتاج أن أكرر لك[٣] في كل موضع أفعال ما مزاجه هذا المزاج، أعني الثواني والثوالث، فإن ذلك تعليم متكرر، بل إنما نشير من ذلك إلى ما كانت منزلته منزلة[٤] الخاصة أو ما شهر به[٥] من الأفعال شهرة بليغة حتى يفوق غيره في ذلك. وقد كان ينبغي أن نفعل هذا من أول الأمر. لكن في ما فعلنا[٦] من ذلك رياضة، وفي هذا النبات مع الحرافة مرارة يسيرة.

– **الكَرْويا**[م]: هي من الإسخان والتجفيف في الدرجة الثالثة، ولذلك تطرد الرياح وتدر البول، لا بزرها فقط بل جميعها.

– **السليخة**[م]: هذا دواء يسخن ويجفف في الدرجة الثالثة، وهو مع هذا كثير اللطافة. وهو مركب من جوهر ناري وهو الأكثر فيه ومن أرضي يسير. والدليل على ذلك الحرافة الموجودة في طعمه مع القبض اليسير، وهو من أجل[٧] الأفاويه العطرة، ولذلك صار مقويا للأعضاء الرئيسة[٨]، مع أنه(=إضافة إلى أنه) يفتح سدد الكبد ويدر الطمث ويفعل[٩] سوى ذلك من الأفاعيل التي شأنه[١٠] أن يفعلها ما مزاجه[١١] هذا المزاج.

– **الجوز**: هذه الشجرة حارة يابسة في الثانية. وفي ورقها وأطرافها شيء من القبض، إلا أن لموضع لطافة مزاجها، يغوص الجزء اللطيف منها الجوهر[١٢] القابض[١٣] فيفعل ما ليس يفعل ما هو أشد قبضا منه[١٤]، ولذلك صارت عصارتها دواء فاضلا للحنجرة واللهاة الوارمة. وأما لب[١٥] الجوز نفسه فقد ذكرناه فيما سلف.

– **كبابة**[م]: هذا دواء مركب أيضا من جوهر ناري وأرضي، وهو مع هذا عطر. ولن يخفى عليك ما فعل[١٦] هذا الدواء. قال (=جالينوس) وليس له من اللطافة ما يقدر أن يستعمل بدل الدارصيني.

– **الصنوبر**[م]: هو حار يابس في الدرجة الثالثة[١٧]. ودهنه الذي هو القطران قريب من الدرجة الرابعة. وقوته الثالثة[١٨] تعفين اللحم الرخص تعفينا لا وجع معه. ولذلك هو في أول مرتبة من مراتب الأدوية المُعفِّنة. ومن أجل[١٩] هذا صار يحفظ اللحوم الميتة من العفن بتجفيفه[٢٠]. وذلك الآخر(القطران؟) يفسدها لقوة فعله[٢١]، لا في الرطوبات الفضلية، بل في الأعضاء الصلبة[٢٢]. وهو[٢٣] دواء فاضل في الهواء الوبائي إذا

---

(١) غ: الثانية (٢) ب: قوية (٣) ب: ذلك (٤) ت: سقط "منزلة" (٥) ت: وأما شهرته (٦) غ، ت: جعلناه؛ م: جعلنا (٧) م: يظهر "أحد" (٨) م، ت: الرئيسية (٩) م: "من أحد الأفاويه العطرة" عوض "يفتح سدد...ويفعل" (١٠) غ، م، ت: شأنها (١١) ب: "من شأنه" عوض "مزاجه" (١٢) ب، م: بالجوهر (١٣) ت: سقط "القابض" (١٤) م: منها (١٥) م: سقط "لب" (١٦) ت: أضيف "مثل" (١٧) غ، م: الثانية (١٨) نفسه (١٩) م: ولأجل (٢٠) ب: لتجفيفه (٢١) م، ت: وتلك الأخر تفسدها لقوة فعلها (م: بقوة فعله)؛ غ، ب: وذلك الآخر يفسدها (ب: يفيدها) لقوة فعله (٢٢) م: الأصلية (٢٣) غ، ت: وهذا.

بخر به أو كان بحيث تشم رائحته. وهو أكثر الأدوية منعا للحمل. ومتى احتمل أو دهن[١] به طرف الذكر أسقط الأجنة. ويقتل الديدان والقمل[٢] والحيات التي في البطن. ومتى قطر منه شيء في السن المتآكلة سكن الوجع من ساعته. وأدسم أجزاء القطران هو الجزء[٣] الدهني الذي يجتمع في الصوف الذي يعلو[٤] عليه إذا طبخ. وأما الثفل الذي يبقى منه بعد الطبخ فهو غليظ، ولذلك[٥] يكون تلذيعه للقروح وتفتيحه للعروق أكثر. وأما الدسم فقد يمكن أن يشفي القروح[٦]، وقوته قوة الزفت. ولذلك قد يستعمل هذان[٧] في مداواة الجرب.

– القنطوريون[م]: هذا الدواء صنفان: أحدهما يعرف بالجليل والثاني بالدقيق، وكلاهما مركبا[٨] المزاج، ويفعلان أفعالا متضادة، إلا أن الجليل فيما زعموا مذاقته فيها مرارة وحرافة مع قبض وشيء[٩] من حلاوة. والمستعمل منه أصله. وأما الدقيق فالمستعمل منه ورقه وزهرته. وهذا في طعمه مرارة ظاهرة جدا مع قبض يسير، فهو لذلك[١٠] مركب من جوهر أرضي محترق وشيء من أرضي بارد. وأحسب هذا النوع هو القنطوريون[١١] الموجود عندنا. ولن يخفى عليك ما أفعال مثل[١٢] هذا الدواء من تفتيح السدد وتقطيع الأخلاط الغليظة، وبخاصة سدد الأعضاء الباطنة كالكبد والطحال. وفيه مع هذا قوة مسهلة للأخلاط الغليظة، ولذلك قد يحقن به من أصابه[١٣] عرق النسا، فيخرج خلطا غليظا مراريا، وربما أسهل كثيرا حتى يخرج خلطا دمويا، وحينئذ يكون أكثر منفعة. وهو يحدر الطمث بقوة ويخرج الأجنة وفيه قوة داملة للجراحات لمكان القبض الذي فيه.

– صمغة القراسيا[م]: هذه الصمغة ليس لها طعم، ولكن لها شيء خاص، وهو أنهم ذكروا أنها تفتت الحصى. وليس ينبغي أن ينكر ذلك عليها من حيث[١٤] هي صمغة، فإن الصموغ الغالبُ على مزاجها ضرورة الحرارة، وإن كان لا يبعد أن يكون منها ما هو[١٥] بالإضافة إلى بدن الإنسان بارد مثل الكهرباء[م].

– قسطرن[م]: هذا دواء[١٦] مزاجه الحرارة واليبس. والدليل على ذلك أن طعمه فيه مرارة مع حرافة. ولذلك يقطع الأخلاط الغليظة ويفتت الحصى المتولدة في الكليتين وينقي الرئة والصدر ويفتح[١٧] سدد الكبد ويحدر الطمث وينفع أصحاب الصرع ويشفي من الهتك والفسخ العارض في العضل[١٨]. وإذا وضع كالضماد على نهشة بعض الهوام

---

(١) م: ...للحمل متى احتمل فدهن به؛ ت: ...أو دهن به (٢) ب: يظهر "النمل" (٣) غ: سقط "الجزء"، ت: سقط "هو الجزء" (٤) غ، ت: التي...التي تعلق؛ م: ...الضرب الذي يعلو (٥) م: وبذلك (٦) غ، ت: سقط "وتفتيحه...يشفي القروح" (٧) ت: سقط "هذان" (٨) ب، م، ت: مركب (٩) غ، م، ت: حدة وحرافة (م: حرافة ومرارة) وقبض مع شيء (١٠) ت: سقط "لذلك" (١١) م: من القنطوريون هو (١٢) ب: سقط "مثل" (١٣) م: من به (١٤) م: من جهة ما (١٥) ب: سقط "ما هو" (١٦) م: أضيف "مركب" (١٧) ب: ويفتت (١٨) غ؛ ت: المفاصل.

نفع، وإذا شرب نفع من عرق[١] النسا ومن الجشاء الحامض، فلنضعه في الدرجة الثالثة من الإسخان واليبس.

– **العفص**[م]: أما الحصرم[م] من العفص فهو من اليبس في الدرجة الثالثة، ومن البرد في الثانية. والدليل على ذلك [٢] القبض الظاهر جدا في طعمه، وأما النضج منه فهو أقل في ذلك. ولن يخفى عليك ما فعل هذا الدواء من الردع والقبض. وإذا أحرق صار أكثر حدة وأكثر تجفيفا من غير المحرق، ويصير ألطف. قال: وينبغي لك متى أردت أن تجعله يقطع[٣] الدم أن تشويه على الفحم ثم تطفئه بخل أو شراب.

– **الموم**[م]: وهو القير[م] الأصفر. هذا الدواء معتدل في الحر والبرد والرطوبة واليبوسة. ولما كان بهذه الصفة فمع أن له قواما ودهنية[٤] ما، بها صار[٥] يلاوم[٦] الأعضاء، اتخذه الأطباء هيولى لجميع الأضمدة التي تبرد وتسخن، كالقيروط[م][٧] المشهور بالتبريد، وهو قيروط يصنع بأن يضرب القير[م] في الهاون ويدعك بصب الماء البارد عليه قليلا قليلا حتى يكتسب القير الكيفية الباردة. وهذا[٨] القيروط قد حمده جالينوس في الأمراض الحادة. وفي القير قوة منضجة بالتسديد. وليس هو من الأدوية التي ترد داخل[٩] البدن. وفيه يسير قوة محللة اكتسبها من العسل. ولذلك متى أزيلت الصفرة الموجودة فيه كان حينئذ مادة خالصة وهو المسمى قيرا مقصرا.

– **الخروع**[م]: حبه يسهل. وفيه مع هذا قوة تجلو وتحلل، ولذلك فليكن في الدرجة الثالثة[١٠] ممتدة من درجة[١١] الأشياء الحارة اليابسة[١٢].

– **الدارصيني**:[م] هو من الحرارة واليبس في الدرجة الثالثة. وهو أفضل الأدوية العطرة المسماة أفاويه. وللأدوية المسماة أفاويه[١٣] شيء يعمها وهو مقاومة العفونة وإفناء الأخلاط الصديدية من البدن[١٤]. والدارصيني يفوق جميعها في ذلك. فأما قرفة الدارصيني فكأنها دارصيني ضعيف وهو دواء[١٥] معدوم عندنا، أعني الدارصيني[١٦].

– **لحية التيس**[م]: وهو **الطراثيث**، هذا من اليبس في الثانية ومن البرودة في الثالثة. وذلك أن الغالب على مزاجه الجوهر الأرضي القابض. وزهرة هذا النبات أقوى فعلا من ورقه. وهو يدمل الجراحات وينفع من قروح الأمعاء وضعف المعدة وتحلب ما يتحلب[١٧] منها. وينفع الجراحات المتعفنة لقوة تجفيفه. وبالجملة فيفعل ما تفعل

---

(١) م: سقط "عرق" (٢) غ: سقط من المتن "والدليل على ذلك"، وربما استدرك في الهامش (٣) م: لقطع (٤) غ: يظهر "ودبغية" (٥) م: "بما صار" عوض "ما بها صار" (٦) غ، م، ت: يلازم (٧) ب: أضيف "المتخذ" (٨) ت: وهو (٩) غ: سقط "داخل" (١٠) غ، ت: الثانية (١١) ب: درجات (١٢) ت: سقط "اليابسة" (١٣) ت: سقط "وللأدوية...أفاويه" (١٤) غ، م، ت: سقط "من البدن" (١٥) ت: سقط "دواء" (١٦) ت: سقط "أعني الدارصيني" (١٧) م: يتحلل.

الأدوية القابضة قبضا[١]، تشوبه قوة أخرى من منفعة استطلاق البطن وقروح[٢] الأمعاء ونزف دم الطمث.

– **اللاذن**[م]: هو من الحرارة في الدرجة الأولى نحو آخرها حتى يكاد أن يكون قريبا من الدرجة الثانية[٣]. وفيه قبض يسير. وجوهره جوهر[٤] لطيف فيه حدة، فهو يلين تليينا[٥] معتدلا ويحلل وينضج. وهو نافع من علل الأرحام إذ كان فيه مع هذه الخصال قبض يسير، وبهذا يقوي وينبت الشعر المنتثر، لأنه يفني ما في أصوله من الرطوبة الغريبة ويجمع بقبضه المجاري التي فيها ينبت الشعر. وليس يفي بإبراء داء الحية[م] ولا داء الثعلب[م] لأن هذه علل تحتاج إلى أدوية كثيرة التحليل إذ كان تولدها عن أخلاط غليظة لزجة.

– **اللبلاب** : هذا النبات لنضعه من الحرارة واليبس في الدرجة الأولى[٦] وبخاصة الأخضر منه. وذلك أنه مركب من جواهر متضادة، ففيه جوهر قابض وحريف و[٧]مائي[٨] ما دام رطبا. وهو دواء يسهل برفق، حتى أنه في أول مرتبة من مراتب الأدوية المسهلة. ولذلك يستعمل في أول[٩] الحميات قبل أن يظهر النضج، كما يستعمل غير ذلك من الأمور[١٠] الضعيفة الإسهال[١١] مثل لب الخيار[١٢] شنبر[م] والتمر الهندي وغير ذلك. والمشروب من عصارته نحو نصف الرطل. وهو يسهل بلغما على حاله أو صفراء غليظة. قالوا وإن طبخ بشراب، ما دام طريا، أدمل الجراحات الكبار ويشفي الجراحات[١٣] الخبيثة ويختم القروح الحادثة عن حرق النار. وإن طبخ ورقه بالخل نفع الطحال، وزهرته أقوى في ذلك، وعصارته تستعمل سعوطا[م] وتشفي[١٤] المواد المتحلبة إلى الأذن[١٥] إذا عتقت، والقروح العتيقة التي تكون في الأنف والأذن.

– **الحنظل**: هذا دواء شديد المرارة ولكنه إذا شرب لم يفعل أفعال المرارة لأنه يبادر فيخرج بالإسهال. وذلك أنه من الأدوية القوية الإسهال للبلغم. وهو في آخر مرتبة من مراتب الأدوية المسهلة، لأنه يجذب[١٦] من أعماق البدن بقوة. وله إضرار بحدته، حتى أنه مسحج[١٧][م]. ولذلك يحجب بالكثيراء[م] ولب اللوز. وينبغي مع هذا أن يحجب إكرابه وإخلاله بالكبد والمعدة[١٨]، والفستق يقوم في الحالتين المقام المطلوب إذا أمكن. والشربة منه من ربع درهم إلى قيراط.

---

(١) ب، م: بقوة (٢) م: "من استطلاق البطن وقوة" عوض "من منفعة...وقروح" (٣) ت: الثانية نحو اخرها...الدرجة الثالثة (٤) ب: وفيه مع هذا قبض يسير وفيه جوهر (٥) م: "وهو يلين" (٦) غ، م، ت: "في الدرجة الأولى وكذلك من اليبس" (٧) ب: سقط "و" (٨) غ: سقط من المتن "مائي" (٩) ب: أوائل (١٠) م: الأدوية (١١) ت: سقط "الإسهال" (١٢) غ، ت: اللب خيار؛ م: لب خيار (١٣) غ، ت: أهملت الكلمة من التنقيط؛ ب، م: هكذا "الجراحات" (قد تكون الكلمة "الخراجات") (١٤) غ، م، ت: ويشفي (١٥) ب، م: الاذان (١٦) غ، ت: له يجذب؛ ب: له جذب (١٧) م: "يحدثه حتى أنه يسحج" عوض "بحدته...مسحج" (١٨) غ: بالمعد والكبد.

– **الصمغ**: قوة الصمغ[1] تغرّي[م] وتجفف. ولذلك يستعمل [2] في السحج، وبخاصة إذا لم تكن له كيفية حادة[3] كالكهرباء[م] والصمغ العربي.

– **الكزبرة**[م]: هذا دواء هو[4] من الحرارة في الدرجة الأولى، وذلك أنه مركب من جواهر متضادة: ففيه جزء من رطوبة[5] مائية وفيه قبض يسير. فهو بحسب هذا يفعل أفعالا مختلفة متفننة، مثل أنه يشفي الحمرة المنحطة إذا اتخذ[6] ضمادا مع دقيق الشعير، ويحلل[7] الخنازير إذا اتخذ منه ضماد[8] بدقيق الفول. وعصارته مستعملة جدا في الأطعمة تخضر بها التفايات والأحساء، وبالجملة الأطعمة التي لا يقع فيها[9] خل ولا مري. ومن[10] خاصتها زعموا أنها تمسك الطعام حتى ينهضم، وتعطر اللحم الذي يطبخ بها، وإن شرب أحد من مائها، زعموا، نصف رطل قتلت[11].

– **القسط**[م]: هذا دواء لنضعه من الحرارة واليبس في الدرجة الثالثة، وذلك أنه مركب من جوهر أرضي محترق وناري. والدليل على ذلك المرارة الكثيرة[12] الموجودة فيه مع الحرافة. ولن تخفى عليك أفعال ما مزاجه[13] هذا المزاج من تحمير[14] الأعضاء التي يوضع عليها وجذب الأخلاط إلى خارج – ولذلك يشفي من النافض– وإدرار البول وإدرار الطمث وقتل الديدان وإذهاب الكلف. وينفع من الهتك والفسخ الحادث في العضل ومن وجع الجنبين.

– **السوسن**[م] **الأبيض**: هذا النبات[15] لنضعه من الحرارة واليبس في الدرجة الثانية، وذلك أنه مر تخالطه مائية معتدلة المزاج[16]. ولذلك دهنه يحلل بلا لذع ويلين، وهو بهذا السبب من[17] أنفع الأشياء لتحليل الصلابة التي تكون في الأرحام. وينفع ورقه إذا سحق من[18] حرق الماء[19] الحار مع دهن الورد. وأصله أقوى من ورقه، فلذلك قد يدر الطمث. وهو أيضا ملين لصلابة الرحم.

– **الزعفران**[م]: هو من الحرارة في الدرجة الثانية ومن اليبوسة في الأولى. وهو دواء منضج مقوٍ للقلب. فيه جوهر قابض وجوهر[20] حار عطر. والقبض مما يعين على إنضاجه لِلحُوجه[21] في المسام وثبوته.

– **البصل**: هو من الإسخان في الدرجة الرابعة، وجوهره جوهر غليظ. وذلك أنه[22] إذا أدخل في المقعدة فتح أفواه العروق وأدر الطمث. وعصارته نافعة من الماء النازل

---

(١) غ، م، ت: أضيف "قوة" (٢) غ، ت: فيستعمل؛ م: تستعمل (٣) غ، م، ت: حارة (٤) ب: أضيف "مركب" (٥) ت: "مر و" عوض "من" (٦) ب، ت: اتخذت (٧) غ: يحيل (٨) غ، م: ضمادا (٩) ب، م: أضيف "لا" (١٠) م: وفي (١١) م: قتلته (١٢) م: سقط "الكثيرة" (١٣) غ، م، ت: ولن يخفى عليك ما أفعال ما مزاجه مثل (١٤) ت: تحمّر (١٥) غ، م، ت: "الدواء"، ويبدو أن غ صححها في الهامش "النبات" (١٦) ت: سقط "المزاج" (١٧) ت: سقط "من" (١٨) غ، م، ت: سقط "من" (١٩) ت: النار (٢٠) ب: وجوهره (٢١) غ، ت: سقط "للحوجه" (٢٢) غ، م، ت: "ولذلك" عوض "وذلك أنه".

في العين ومن الظلمة التي في البصر، إذا كانت من أخلاط غليظة. وفيه رطوبة فضلية بها صار مهيجا للجماع.

– **السرو**[م]: هو بارد في أول[١] الدرجة الأولى أو معتدل، وذلك أن القبض غالب على مذاقة[٢] هذه الشجرة. وإنما[٣] فيها من الحرارة والحرافة مقدار يسير. لكن صار بهذا التركيب الذي فيه دواء نافعا جدا. وذلك أن تلك الحرارة التي فيه تغوص القبض[٤] إلى داخل[٥] البدن من غير أن يحدث حرارة[٦] ولا لذعا. ولذلك صارت هذه الشجرة تفني ما يكون محتقنا في العمق في العلل المترهلة المتعفنة[٧]، وتذهبه إذهابا يجمع البعد عن الأذى والأمن في العاقبة[٨]. وذلك أن الأدوية الحارة اليابسة، وإن كان فيها قوة على أن[٩] تفعل ذلك، فهي مع هذا تجذب إلى الموضع رطوبات أخر[١٠]. ولهذا صار نافعا للفتوق[١١] جدا. وبالجملة الحرارة التي فيه كالجناح للقوة القابضة.

– **السعدا**[م][١٢]: المستعمل من هذا النبات هو أصله فلنضعه في الدرجة الأولى ممتدا[١٣] من الحرارة، وفي الثانية من اليبوسة. وذلك أن في طعمه حرافة مع قبض ما. ومن قواه[١٤] الثواني أنه ينفع منفعة عجيبة من القروح التي يعسر اندمالها بسبب رطوبتها، وهو لذلك[١٥] ينفع من قروح الفم. وهو أيضا يفتت الحصى ويدر البول ويحدر الطمث.

– **الحناء**[م]: الذي يستعمل من هذه الشجرة إنما هو ورقها وقضبانها. وقوة هذا الدواء مركبة من جوهر أرضي بارد وجوهر حار، فهي بهذا السبب تجفف[١٦] بلا لذع، حتى أنها تنفع من القروح التي تكون في الفم من جنس القُلاع[م]، وتنفع أيضا من القلاع. والماء الذي يطبخ فيه يستعمل في مداواة حرق النار وفي مداواة الأورام الملتهبة.

– **الشوكران**: هذا دواء بين من أمره أنه يبرد تبريدا شديدا.

– **ماهوذانة**[م] [١٧]: هذا من أنواع **اليتوع**[م]، وحبه مسهل كالحال في سائر اليتوع[١٨]، وهي تسهل الصفراء. والشربة من ذلك سبع حبات إلى خمسة عشر حبة. فمن كان جيد المعدة قويها محتاجا إلى استفراغ كثير مضغ الحب، ومن كان ضعيف القوة فليبلعها[١٩] صحاحا.

---

(١) م، ت: سقط "أول" (٢) ت: ومعتدل...على مذاقِه (٣) م: وأن (٤) م: بالقبض (٥) غ، ت: عمق (٦) ت: مرارة (٧) غ، م، ت: في العين في...العفنة (م: إشارة إلى الهامش في هذا الموضع، وأضيف "في العين") (٨) ت: العافية (٩) م: سقط "على أن" (١٠) غ، م: رطوبة أخرى (١١) ب: أضيف "طلاءً" (١٢) م، ت: السُعْدَي (غ، ب: السُعْدَا) (١٣) غ، م، ت: ممتدة (١٤) ت: "ومن أفعاله" عوض "ما ومن قواه" (١٥) غ، م، ت: أضيف "أيضا" (١٦) غ، ت: مركب...مجفف (غ: تجفف) (١٧) ب: ماهوبذاتة؛ م: ماهوبذانة (١٨) ب، م: اليتوعات (١٩) ب: ضعيف المعدة فليستعملها.

– **الحماض**[م]: قوته قوة مركبة، وذلك أن بزره فيه قبض بيِّن مع حمضة، وهو يشفي من استطلاق البطن ويشفي قروح الأمعاء.

– **الشيطرج**[م]: هذا في الدرجة الرابعة من الإسخان، ورائحته وقوته[١] وطعمه شبيهة برائحة الحرف[م] وقوته وطعمه، إلا أنه أقل تجفيفا منه.

– **الخيري**[م]: هذا النبات لنضعه في الدرجة الثانية من الحرارة. والدليل على ذلك مرارة طعمه، وأنه يخرج المشيمة ويسقط الأجنة. وبزره أقوى من زهره. وفيه تفتيح لسدد الدماغ إذا شم[٢]. ولذلك يقال إنه إذا علق من العنق شفى[٣] من الصرع.

– **الكندر**[م]: هذا يسخن في الدرجة الثانية ويجفف في الأولى، وذلك أن طعمه مر مع قبض[٤]. وهو دواء منبت للحم في الأبدان الرخصة، وفيه أيضا إنضاج ما. وأما قشر الكندر فقوته قابضة قبضا شديدا[٥] بينا، حتى أنه في الدرجة الثالثة من درجات الأدوية[٦] المجففة. وليس فيه حدة ولا حرافة، ولذلك يستعمل في مداواة[٧] نفث الدم وفي مَن معدته رطبة، وفي النزف[٨] وفي قرحة الأمعاء.

– **الحضض**[م]: هذا الدواء مركب من جوهر رادع[٩] ومحلل، تركيبا معتدلا. وهو إلى اليبس مائل قليلا. وهو من الأدوية الخاصة بالعين والأذن. وله أفعال كثيرة متفننة على ما[١٠] شأن الأدوية التي مزاجها هذا المزاج.

– **لوسيماخيوس**[م]: هذا دواء معلوم عندنا، وخاصته قطع الدم في[١١] أي موضع كان من البدن[١٢]. وهو في طبعه[١٣] بارد يابس ينبت بشطوط الجداول[١٤] والأنهار.

– **بسباسة**[م][١٥]: هو قشر يجلب من بلاد الهند، وجوهره مركب من جواهر[١٦] مختلفة. والأكثر فيه الجوهر الأرضي، والأقل فيه الجوهر اللطيف[١٧]. ورائحته طيبة مثل طيب رائحة[١٨] **الأفاويه** المجلوبة من الهند. طعمه يقبض قبضا شديدا مع شيء من العطرية يسير. قوته الأولى قوة تجفف في الدرجة الثالثة[١٩]، وأما الإسخان والتبريد فليس لهذا الدواء في الدرجة منهما[٢٠] فعل بين. وقوته الثانية قوة تجمع وتشد، وقوته الثالثة قوة تنفع من[٢١] استطلاق البطن ومن قروح الأمعاء. هكذا حكى ابن وافد عن جالينوس.

– **سانج**[م]: قوته شبيهة بقوة سنبل الطيب[م].

---

(١) ب: قوية (٢) ت: سقط "إذا شم" (٣) ت: نفع (٤) ب: مع قابض (٥) غ، م، ت: سقط "شديدا" (٦) م: "الثانية من درجات الأشياء" عوض "الثالثة...الأدوية" (٧) ت: سقط "مداواة" (٨) ت: الثرب (٩) م، ت: رداع (١٠) غ، ت: أضيف "من" (١١) غ، م، ت: من (ب: كتب "في" تحت السطر) (١٢) غ، ت: سقط "من البدن" (١٣) ب: طعمه (١٤) م: في شطوط الأودية (١٥) ت: هكذا "السباسة" (١٦) ب: وجوهره جوهر مركب من حرارة (١٧) غ، م، ت: أضيف "الحار" (١٨) م: "ريح" عوض "طيب رائحة" (١٩) م: الثانية (٢٠) ب، م، ت: منها (٢١) م: سقط "من".

- **الخبازى**[م] [١] : قوتها قوة تحلل وتلين.

- **اللفاح**[م]: هذا من البرودة في الدرجة الثالثة، وفيه مع هذا مرارة[٢]. وتفاحه[٣] الذي هو اللفاح نفسه فيه رطوبة، ولذلك يحدث السبات. وأما القشر من أصوله ففيه قوة مجففة والأصل ضعيف.

- **الرازيانج**[م]: هذا هو في الدرجة الثالثة من الإسخان وفي الأولى من اليبوسة، ولذلك صار يدر اللبن ويدر البول[٤] ويحدر الطمث. وهو نافع لمن نـزل في عينيه الماء[٥]. وهو ضربان: بستاني وبري. والبستاني أرطب، والبري أيبس. وهو من جهة ما هو ذفر[م] يختص[٦] بتقوية أعضاء البول وإصلاحها.

- **المصطكى**[م]: هو حار في الدرجة الثانية يابس[٧] في الثالثة. وذلك أنه مركب من قوة قابضة وقوة محللة. وشهرة هذا الدواء، لتقوية المعدة[٨] خاصة ولسائر الأعضاء عموما، عندنا[٩] شهرة تغني عن القول في ذلك.

- **شونيز**[م]: يسخن ويجفف في الدرجة الثالثة. والدليل على ذلك أنه في غاية المرارة، وهو مع هذا لطيف. وإذا صُرَّ في خرقة واشتم نفع من[١٠] الزكام البارد. ويقتل الديدان ويحلل النفخ ويقلع جميع أنواع الثآليل، ويحدر الطمث، وينفع من نفس الانتصاب.

- **إكليل الملك**[م]: هذا دواء[١١] محلل منضج[١٢]، وفيه قوة رادعة[١٣]. ولنضعه من الحرارة واليبس في الأولى.

-**العسل**: يسخن ويجفف في الثانية. وفيه جلاء كثير. وهو غذاء[١٤] دوائي وبخاصة للشيوخ، فإنه من أنفع الأدوية[١٥] لهم، إذ كان ينقلب فيهم إلى دم محمود[١٦]. وأما **السكر** فإنه عسل ما. وذلك أنه أقل حرارة من العسل وأقل جلاء، وليس فيه اللذع الموجود في العسل. ولذلك صار يفوق العسل في نفعه للأعضاء التي تضر بها[١٧] قوة الجلاء كالمعدة والرئة والمثانة. وهذان الدواءان للذاذتهما وللاومة الطباع لهما قد[١٨] رأى الأطباء أن يجعلوهما مواد الأشربة والمعاجين. والعسل أنفع في المواضع التي يحتاج فيها إلى الجلاء الكثير والتقطيع[١٩] وهو إذا جُلِّب[م] قرب فعله من فعل السكر.

- **الخشخاش**[م]: أنواع الخشخاش كثيرة وهي كلها باردة رطبة. الأبيض منها في

---

(١) ت: " الخباز" (٢) غ، ت: حرارة (٣) ت: وتفاهة (٤) م: سقط "ويدر البول" (٥) ت: "ومن التجفيف في الأولى" عوض "وفي الأولى...عينيه الماء" (٦) غ، م، ت: "زفر (م: ذفر قد) يختص"؛ ب: مقو مختص (٧) غ، ب: ويابس (٨) غ، ت: "للمعدة" عوض "لتقوية المعدة"؛ م: تقوية المعدة (٩) غ، م، ت: سقط "عندنا" (١٠) غ: سقط "من" (١١) ب: نبات (١٢) م: ومنضج (١٣) ب، م، ت: رداعة (١٤) غ، ت: غذائي (١٥) غ، ب، ت: لأنه من أنفع الأغذية (١٦) ب: دما محمودا (١٧) غ، ت: يضرها؛ م: تضرها (١٨) غ، م: للذاذتهما وملاءمتهما الطباع لهما (م: سقط "لهما") قد؛ ت: لذاذتهما ملاومة الطباع لهما وقد (ب: للذاذتهما وللاومة الطباع لهما قد) (١٩) م: أكثر من التقطيع.

الثالثة والأسود في الرابعة. والأبيض، أعني بزره، ينفع من السعال الذي يكون عن مواد حارة، ويقوي الرئة عن أن يأكلها ذلك الخلط، وهو ينوم. وأما الأسود فرديء مخدر يولد سباتا.

– **الأترج**(م): قشر هذه الثمرة[١] مشهور بتقويته[٢] المعدة والكبد. وهو إما معتدل وإما حار في الأولى، وأما في اليبس فهو في الثانية[٣]. وليست الحراقة التي في طعمه دليلا على كثرة حرارته، فإن الحرارة اليسيرة إذا اقترنت بها يبوسة كانت قوية اللذع. وقد قال جالينوس إن اليبوسة إذا اشتدت تفعل فعل الحرارة[٤]. وأما بزره فهو بارد قوي التجفيف. وأما لحمه فهو بارد رطب يولد أخلاطا غليظة[٥].

– **الـمو**(م): المستعمل من هذا هو أصله، وهو حار في الثالثة يابس في الثانية. وهو يدر البول ويحدر الطمث، وفيه رطوبة فضلية حتى متى أكثر الإنسان من أكله ترقت إلى الرأس فأحدثت[٦] صداعا.

– **الطرفاء**(م): هذا الدواء مركب من جواهر متضادة، وذلك أن فيه قبضا مع تحليل. وهو من أنفع الأشياء للأطحلة (=جمع طحال). ولذلك زعموا أن من شرب بإناء متخذ من خشبه لم تصبه أمراض الطحال، وثمرته فيها قبض شديد يقارب قبض العفص(م).

– **الآس**(م): هذا النبات الغالب على أجزائه الجوهر الأرضي البارد. والدليل على ذلك القبض الذي[٧] فيه، وحبسه للبطن مشهور جدا.

– **الحرمل**(م): هذا حار في الثانية[٨]، يقطع الأخلاط الغليظة، ويدر البول، ويحدر الطمث، وينفع من وجع المائدة(م) والظهر[٩]، ويقيئ[١٠] البلغم ويسهله.

– **سنبل**(م): السنبل[١١] أنواع، وأفضله الهندي. وهو من الحرارة في الدرجة الأولى ومن اليبس في الثانية. والسبب في ذلك أنه مركب من جوهر أرضي بارد كثير، ومن جوهر[١٢] ناري يسير المقدار، وأرضي محترق يسير المقدار أيضا[١٣]. ولما كان مركبا من هذه القوى مع العطارة الموجودة فيه صار من أنفع شيء للمعدة والكبد ضمادا أو مشروبا. وذلك أنه يقويها[١٤] ويجفف المواد المنحدرة إليها وإلى الأمعاء.

– **الخل**: هذا ظاهر من أمره أن الغالب على مزاجه[١٥] الجوهر المائي لمكان الحمضة التي فيه. لكن فيه مع ذلك[١٦] جزء ناري، والدليل على ذلك الحرافة التيفيه. وليست كثرة تقطيعه دليلا على حرارته، فإن المعين له على هذا الفعل هو لطافته.

---

(١) ت: الشجرة (٢) ب: بتقوية (٣) ت: الثالثة (٤) غ، ت: الحرافة (٥) م: خلطا غليظا (٦) م: فأحدث (٧) م: سقط "الذي" (٨) ب: الثالثة (٩) م: سقط "والظهر" (١٠) ت: وينقي (١١) غ: "وهو"، ت: "هو" عوض "السنبل"؛ م : سقط "السنبل" (١٢) م: سقط "جوهر" (١٣) غ، م، ت: سقط "أيضا" (١٤) م: يقويهما (١٥) غ، م، ت: أجزائه (١٦) ب: هذا .

والحامض بما هو حامض[1] مقطع، فكيف إذا اقترنت إليه كيفية حارة؟! فلنضعه في الدرجة الثانية من البرودة وفي الثالثة من اليبس، وبخاصة العتيق منه. وقوة الخل في منع التعفن[2] وتقطيع الأخلاط وتلطيفها قوة مشهورة.

– **برباريس**[م]: ثمرة هذه الشجرة فيها مع قوة القبض[3] شيء قطاع لطيف، وهو يمنع ويحبس جميع العلل السيالة.

– **ألبان الشجر**: أما **الحلتيت**[م] فهو أكثر ألبان الشجر حرارة ولطافة، ولذلك هو أشد تحليلا، وخاصته[4] نفع اللهاة إذا علق عليها[5].

– **الكرسنة**[م]: هي مجففة في الدرجة الثانية[6] ممتدة وتسخن في الأولى، وهو دواء مقطع محلل مفتح للسدد، وإن أُكْثِر من أخذه بوّل الدم. وينبت اللحم في الأبدان الصلبة والأعضاء الصلبة.

– **جاوشي**[م]: هذه الصمغة لنضعها من الإسخان في الدرجة الثالثة ومن التجفيف في الثانية. وخاصته جذب البلغم وإخراجه من الوترات والمفاصل، وكأن هذه الخاصة[7] شيء يعم الصموغ المسهلة[8]. الشربة منه من درهم إلى مثقال.

– **الفلفل**[م]: أما أصل الفلفل فشبيه[9] بالقُسْط[م]، وأما ثمرته في أول ما تطلع فهي المسماة **دار فلفل**[10]، وهي أرطب من الفلفل. وأما ثمرة الفلفل التي لم تنضج بعد فهي الفلفل الأبيض، والأسود هو النضج والنوعان[11] كلاهما يسخنان ويجففان في الثالثة.

– **بسبايج**[م]: وهي المسماة برجوذية[م][12]. هذا الدواء قريب من أن يكون معتدلا في الكيفيات الأول أو كالمعتدل. والدليل على ذلك أن الغالب على مذاقته الحلاوة والقبض. يجفف تجفيفا بلا لذع، وخاصته إسهال المرة السوداء. وهو من الأدوية المأمونة جدا. وهو يفضُل الأفيثمون[م] في أنه ليس فيه كيفية خارجة عن الاعتدال. والشربة منه من عشرة دراهم إلى نحوها.

– **الفراسيون**[م]: هذا الدواء هو[13] من الإسخان في الدرجة الثانية نحو آخرها، ومن اليبس في الثالثة عند وسطها أو عند انقضائها. وهو يفتح السدد التي في الكبد والطحال، وينقي الصدر والرئة ويدر الطمث، ويفعل ما تفعله جميع[14] الأدوية المرة. وعصارته تستعمل مع العسل لتحديد البصر ويسعط[م] بها[15] أصحاب اليرقان. ويستعمل في مداواة وجع الأذن إذا طال وعتق واحتيج إلى شيء ينقي سبيل عصب[16] السمع.

---

(١) م: أضيف "هو" (٢) م: العفن؛ ت: التعفين (٣) غ، ت: قوة القبض (ت: قبض) مع (٤) ت: وبخاصة (٥) ب: "علتها" عوض "علق عليها" (٦) ت: الثالثة (٧) م: الخاصية (٨) غ، ت: أضيف "المسماة" (٩) ب: فيُشبَّه (١٠) غ، م، ت: بدار فلفل (ت: الفلفل) (١١) م: سقط "والنوعان" (١٢) غ: يظهر "بربذية"؛ ب: البربذية؛ ت: بَربذيَة (١٣) ب: سقط "هو" (١٤) غ، م، ت: جميع ما تفعله (١٥) م: به (١٦) ت: سقط "عصب".

– **وسخ الكور**[م]: هو من التسخين في الدرجة الثانية عند آخرها أو في أول الثالثة[١] وقوته الثانية الجذب البليغ.

– **العاقر قُرْحا**[م]: أكثر ما يستعمل من هذا النبات أصله خاصة[٢]. وقوته قوة تحرق، فليكن في الدرجة الرابعة. ولهذا يسكن وجع الضرس وينفع من النافض إذا دلك به البدن وينفع من الخدر والاسترخاء، وبالجملة فتقويته للعصب مشهورة[٣].

– **الفجل**: يسخن في الدرجة الثالثة ويجفف في الثانية. وبزره أقوى ما فيه. ينفع من النمش الذي يكون في الوجه ومن الخضرة في أي موضع كانت من البدن والبري في هذه أقوى من البستاني.

– **الراوند**[م]: قوة الراوند[٤] مركبة، وذلك أن فيه شيئا أرضيا باردا يدل على ذلك القبض المتطعم فيه[٥]. وفيه أيضا جزء ناري تدل على ذلك الحرافة الموجودة في طعمه. وفيه أيضا جزء[٦] هوائي ويدل على ذلك رخاوته وتخلخله. وهو من أشهر الأدوية في نفع الكبد: يفتح سددها ويقويها[٧]، وكذلك فعله في المعدة. وجالينوس وغيره من الأطباء يصف الراوند بأنه حابس للبطن. ونحن نجده اليوم مسهلا. وهو من أغرب الأدوية المسهلة، حجابه[م] فيه. فإن جميع الأدوية المسهلة إنما هي سموم ما، إلا هذا الدواء خاصة، فإنه مع أنه مسهل هو مقو للأعضاء كلها. ولذلك قد يمكن أن يحجب به الدواء المسهل فيعاضده في فعله ويحجب مضرته.

– **الكرفس الجبلي**: هو من الحرارة واليبس في الثالثة[٨] لأنه مر الطعم حريف. يدر البول ويحدر الطمث ويحلل[٩] النفخ ويذهبها. والبستاني في هذا أضعف.

– **أندراسيون**[م]: وهي **اليربطورة**[م][١٠]. المستعمل من هذا النبات هو أصله. وهو يسخن في الدرجة الثالثة قريب من منتهاها ويجفف فيها عند ابتدائها[١١]، وهو نافع من علل العصب، والعلل الحادثة في الصدر والرئة من قبل الأخلاط الغليظة. وإذا تبخر به الإنسان قطع الأخلاط الغليظة التي في الدماغ وفتح سدده. وإذا وضع أيضا في السن المتآكلة[١٢] سكن وجعها. وهو أيضا يشفي الجرح[١٣]. وعصارة هذا النبات قوتها قوية[١٤]. وأما لبنه فهو في هذه الخصال كلها أقوى.

– **السذاب**[م]: أما البري ففي[١٥] الدرجة الرابعة من درجات الأشياء التي تسخن وتجفف، وأما البستاني ففي الثالثة. ولذلك هو في طعمه حار[١٦] حريف مر. وهو يفعل

---

(١) ت: وعند...الثانية (٢) م: سقط "وقوته الثانية الجذب...أصله خاصة" (٣) غ: مشهور؛ ت: أضيف "جدا" (٤) ت: سقط "قوة الراوند" (٥) غ، ت: سقط "فيه" (٦) ت: سقط "جزء"؛ م: أضيف "ناري" (٧) م: وتفتيح سدده وتقويته (٨) غ، ت: الثانية (٩) غ، ت: ويحل؛ م: ويحيل (١٠) ت: البربطورة (١١) غ، ت: "انتهائها"، وصححها غ في الهامش "ابتدائها" (١٢) ب: هكذا "المتأكلة" (١٣) ب: "فيشفي" عوض "وهو أيضا يشفي الجرح"؛ م: سقط "وهو أيضا يشفي الجرح" (١٤) ت: قوته (١٥) ت: فهو في (١٦) غ، ت: حاد.

جميع الأفعال التي يفعلها ما مزاجه هذا المزاج. وهو من أنفع شيء لتحليل النفخ والرياح قاطع للباه.

-**الزفت**: أما[١] اليابس فيسخن ويجفف[٢] في الثالثة، وهو أكثر تجفيفا منه تسخينا[٣]. وأما الرطب فيسخن أكثر مما يجفف، وفيه شيء من اللطافة. بذلك[٤] صار نافعا لمن به ربو، ولمن يقذف المدة[م][٥]. وحسبُ من يتعالج به أن يتناول معه مقدار أوقية ونصف من[٦] عسل. والنوعان فيهما جلاء ونضج وتحليل. والنضج في الرطب أكثر. ويقلعان البياض من الأظفار ويذهبان القوباء وينضجان الأورام الصلبة إذا خلطا في أضمدتها. وأقواها في ذلك الرطب.

– **الدلب**[م]: هذا رطب بارد[٧] في الأولى. إذا سحق ورقه كان ضمادا نافعا للأورام الحادثة في الركبتين. ولحاء هذه الشجرة وجوزها[٨] فيهما قوة تجفيف[٩]، ولذلك متى طبخا بالخل نفعا وجع الأسنان. وإذا أحرق رماده ينفع من العلة التي يتقشر معها[١٠] الجلد. وينبغي للإنسان أن يتوقى الغبار الذي يتعلق ويلصق بورق[١١] هذه الشجرة، فإنه ضار لقصبة الرئة. وكذلك بآلات البصر والسمع. والدلب هو المعروف عندنا بـ **الصفيراء**.

– **عصا الراعي**[م]: هذا النبات في الدرجة الثانية من درجات الأدوية التي تبرد، أو في مبتدأ الثالثة. وذلك أنه مركب من جوهر أرضي بارد ومائي. وهو نافع للالتهاب الذي يكون في فم المعدة، ويشفي الحمرة ويمنع[١٢] ويردع المواد المنصبة، فلذلك يقطع النزف العارض للنساء ويشفي قروح الأمعاء ويقطع نفث الدم وانفجاره إذا أفرط حيث كان[١٣].

– **الورد**: هذا الدواء مركب من جوهر أرضي بارد لطيف[١٤]، ومن هوائي[١٥] ومن مائي[١٦]. والدليل على ذلك طعمه ومرارة[١٧] عصارته. وبزره أشد قبضا منه. وهو[١٨] في الدرجة الأولى من البرد واليبس. وهو خاص بتقوية المعدة والكبد وسائر الأعضاء. وشهرته بذلك مغنية[١٩] عن تثبيت ذلك فيه.

– **السماق**[م]: هذه الشجرة شديدة القبض والتجفيف. وأنفع ما فيها ثمرتها وعصارتها لمكان ظهور القبض فيها، فهو إذن يبرد في الثانية وييبس في الثالثة. وأما أفعاله الثواني فلن تخفى عليك من إمساك البطن وانبعاث الدم وما أشبه ذلك.

() م: أضيف "الزفت" (٢) غ: فمسخن ومجفف (٣) ب: منه وتسخينا؛ م: "من الرطب وتسخينا" عوض "منه تسخينا" (٤) م: "ولذلك" عوض "بذلك" (٥) غ: المرة؛ م: المادة (ب، ت: المِدّة) (٦) غ، م، ت: يتناول منه مقدار أوقية ونصف مع (٧) م، ت: بارد رطب (٨) ب: وجوزهما؛ م: وجوهرها (٩) غ، ت: تجفف (١٠) غ، م: فيها؛ ت: منها (١١) ت: فوق (١٢) غ، م، ت: وهو يمنع (١٣) م: حيث كان إذا أفرط (١٤) ت: سقط "لطيف" (١٥) غ، م، ت: أضيف "حار" (١٦) م: سقط "ومن مائي" (١٧) غ، م، ت: سقط "مرارة" (١٨) غ، ب، ت: فهو (١٩) م: يظهر "معينة".

- **سكبينج**[م]: هذه الصمغة تسخن وتلطف على مثال ما تفعل الصموغ. وفيها جلاء. وهو من أفضل الأدوية للماء النازل في العين ولظلمة البصر الحادثة عن الأخلاط الغليظة. وهي من[1] الأدوية المسهلة: تجذب البلغم من الوترات على ما شأن المقل[م] والجاوشير[م] والأنزروت[م] أن يفعل. ذلك فإن هذا شيء يخص الصموغ. وكأن المقل في هذه في المرتبة الأولى من الإسهال ثم يليه السكبينج والجاوشير ثم الأنزروت. والشربة من السكبينج من درهم إلى مثقال. وقوة الأنزروت قوة تجفف بلا لذع، وبهذا[2] يلحم الجراحات الحادثة عن ضربة.

- **خصى الثعلب**[م]: قوة هذا النبات[3] حارة رطبة رطوبة فضلية، ولذلك[4] يهيج الجماع. وهو يشفي، زعموا، التشنج الكائن من خلف البدن إذا شرب مع شراب أسود قابض.

- **الكرفس**[م]: يبلغ من إسخان الكرفس أنه يدر الطمث والبول ويحلل الرياح والنفخ وخاصة بزره. وهو أنواع: بعضها أقوى من بعض، و[5]أقواها النوع المسمى **بطرساليون**.

- **الهندباء**: هذا النبات[6] منه بستاني، ومنه بري. والبري هو من البرودة واليبوسة في الدرجة الأولى. وأما البستاني فهو[7] أبرد وأرطب. والدليل على ذلك أن في طعمه قبضا مع مرارة، والقبض فيه[8] أغلب من المرارة. وهذا الدواء هو في غاية الشهرة من منفعته للكبد[9]، حتى أن نفعها للكبد هو بجملة جوهرها. وذلك أنهم زعموا[10] أنها تشفي الكبد الحارة والباردة معا. لكن موافقتها للكبد الحارة يجب أن تكون أكثر. وذلك أنها تنفعها بجملة جوهرها[11]، فتجلو المرار الذي فيها وتفتح أفواه العروق من غير إحرار[12].

- **الشيح**[م]: هذا دواء شديد المرارة، ليس فيه قبض، فهو يضر المعدة ويقتل الديدان بمرارته ويسخن في آخر[13] الثانية وييبس في الثالثة.

- **السَّاليوس**[م]: أصل هذا النبات وبزره بخاصة قد يبلغ من إسخانه أنه يدر البول إدرارا شديدا، وهو مع هذا لطيف حتى أنه ينفع من يصرع ومن به نفس الانتصاب.

- **السِّمسم**: يسخن في آخر الأولى وأول الثانية ويرطب في أول[14] الثالثة وقوة دهنه وهو **الشيرج**[م] هذه القوة.

---

(١) ت: سقط "الأدوية للماء...وهي من" (٢) ت: ولهذا (٣) م: أضيف "قوة" (٤) غ، ت: ولهذا؛ م: وبهذا (٥) غ، ب، م: سقط "و" (٦) م: سقط "النبات" (٧) م: والبستاني هو (٨) م: عليه (٩) غ، ب، ت: منفعة (ت: منفعته) الكبد (غ: للكبد) (١٠) م: يزعمون (١١) م: أضيف "وكيفياتها" (١٢) م: سقط "من غير إحرار" (١٣) ت: أضيف "الدرجة" (١٤) غ، م، ت: سقط "أول".

– **العنصل**[م]: قوة هذا البصل قوة مقطعة[١] تقطيعا بليغا، لكن ليس يسخن إسخانا قويا، بل هو من ذلك في الدرجة الثانية[٢]. والأجود في ذلك ألا يؤخذ حتى يشوى أو يطبخ[٣].

– **الخرشف**: أصل هذا النبات يحدر بولا كثيرا منتنا متى سلقه الإنسان وشربه بشراب، ولذلك يذهب نتن الإبطين ورائحة البدن. وهو[٤] بجملة جوهره مضاد للعفونة. وهو حار في الثانية يابس في الثالثة. وهو دواء غذائي يقبل طعم اللحم[٥] فيكون له عند ذلك مذاقة لذيذة كالحال في الباذنجان.

– **الثوم**: يسخن ويجفف في الثالثة.

– **المرّ**[م]: هو[٦] في الدرجة الثالثة[٧] من الإسخان[٨] والتجفيف. قواه الثوالث: يقتل الديدان والأجنة وفيه جلاء. بسبب ذلك يخلط في الأكحال التي تتخذ لقلع الآثار[٩] الغليظة التي في العين. ويخلط أيضا في الأدوية التي تشرب للسعال القديم والربو، وذلك أنه يجلو من غير تخشين بل جلاء معتدلا. وهو دواء مشهور بالإنضاج. ويشبه أن يكون إنضاجه بتلطيفه المادة تلطيفا لا يفعل فيها يبسا ولا غلظا يعسر به إنضاج الباقي. فإن هذا أحد ما قلنا إن به يكون[١٠] الدواء منضجا، فإنه ليس يمكن أن نقول في المر[١١] إنه منضج بالتغرية[١٢]، إذ كان جلاء. ولا أنه أيضا[١٣] في مزاجه شبيه بالحرارة الإنسانية إذ كان في الثانية من الحرارة واليبس.

– **الجزر**: أما البستاني فضعيف، وأما البري فقوي وهو يدر البول ويحدر الطمث، وورقه إذا اتخذ منه ضماد وهو طري نفع الآكلة.

– **اسطوخودوس**[م]: هذا النبات مركب الجوهر. والدليل على ذلك القبض الموجود فيه مع المرارة والعطرية، فلنضعه في الدرجة الأولى من درجات الأشياء المسخنة وفي الثانية من اليبس. وأما أفعاله الثواني والثوالث فالتفتيح والجلاء وتقوية جميع الأعضاء الباطنة والبدن كله. ولذلك صار من أنفع الأدوية للذي يجد مس الإعياء في بدنه، إذ كان الإعياء إنما هو ضعف القوة عن حمل الأخلاط.

– **كندس**[م]: هو حار في الدرجة الرابعة يابس فيها، من شأنه أن يحرك العطاس وهو سم لا يرد البدن.

– **الميعة**[م]: لنضعها في الدرجة الثانية من الإسخان وفي الأولى من اليبس. والدليل على ذلك أنها تلين وهي تشفي السعال والزكام والبحوحة، وتدر الطمث إذا شربت وإذا احتملت من أسفل. ودخان الميعة شبيه بدخان الكندر[م].

---

(١) غ، م، ت: قطاعة (٢) ت: في ذلك...الثالثة (٣) غ، م، ت: والأجود فيها ألا تؤخذ (٤) غ، ت: أضيف "بالجملة" (٥) م: اللحوم (٦) غ، م، ت: سقط "هو" (٧) غ: الثانية (٨) ب: التسخين (٩) ت: "للآثار" (١٠) غ، ت: قلنا إنه... (١١) غ، ت: في المر أن نقول فيه (١٢) م: بتغرية (١٣) غ، م، ت: أيضا بأنه.

– **التين**[م]: قد ذكرنا هذا من حيث هو غذاء. وأما من حيث هو دواء ففيه قوة منضجة إذا استعمل ضمادا، وذلك اليابس منه، وتحليل[1] أيضا. وجميع أصناف التين تلين البطن والأخضر أضعف[2] قوة، كما أن البري أقوى في التحليل. والماء الذي يطبخ فيه التين طبخا قويا شبيه بالعسل. وأما مزاج شجرته فهو حار لطيف، وبخاصة لبنها وعصارتها. ولذلك صارت تقلع الثآليل المعروفة بالخيلان. ويسهل البطن. والبري في ذلك أقوى من البستاني.

– **السلق**[م]: فيه قوة بورقية[م] تجلو وتحلل وتنفض فضول[3] الدماغ من المنخرين، إلا أن يطبخ فتذهب عنه البورقية، والسلق الأبيض قوة الجلاء فيه أكثر من الأسود، لأن الأسود فيه[4] بعض قبض.

– **الحلبة**: تسخن في الدرجة الثانية[5] وتجفف في الأولى. ولذلك فيها قوة ملينة وبخاصة لصلابة الأرحام[6].

– **اليتوع**[م]: جميع أنواع اليتوع كلها في الغاية من الحرارة، وبخاصة لبنها، ويتلوه بزرها ثم ورقها ثم أصلها. وأصول[7] اليتوع إذا طبخت بالخل أذهبت وجع الأسنان، ولا سيما السن المتآكلة. فأما لبن اليتوع فلما كانت قوته[8] أشد صار الناس يضعونه في جوف السن المتآكلة[9]، لأنه إن وقع في موضع من الفم أحرقه. ولذلك ينبغي إذا أريد أن يوضع في السن المتآكلة أن يدار حولها بشمع. وإذا كان هذا هكذا[10] فلبن اليتوع إذن في الدرجة الرابعة من درجات الأشياء التي تسخن. وهو يذهب الشعر إذا طلي به على البدن، حتى أنه متى[11] كرر[12] بطل به الشعر، ويقلع جميع ضروب الثآليل ويشفي القروح المتآكلة. وهذه الأفعال كلها يفعلها بزره وورقه أضعف فعلا[13].

– **كثيراء**[م]: قوة الكثيراء قوة تلحم[14] وتلزق[15]، وتكسر من شدة الأشياء الحادة[16]، وهي تجفف[17] كما تجفف الصموغ[18].

– **الحسك**[م][19]: هذا نبات مركب من جوهر رطب يسير البرودة ومن جوهر يابس بارد. والأغلب على البري منه اليبوسة، وعلى النابت في الماء الجوهر المائي. وهما يردعان[20] الأورام الحارة[21]. وأما ثمرته فهي تفتت الحصى المتولدة في الكليتين. فلنضعه في الدرجة الأولى من البرودة، معتدل[22] في الرطوبة واليبوسة.

– **عنب الثعلب**[م]: هذا دواء بارد[23] يابس في الثانية.

---

(١) م: منها ويحلل (٢) ت: أضعفه (٣) غ، م، ت: فضل (٤) ت: "وفيه" (٥) ب: الثالثة (٦) غ، م: لصلابات الأرحام (٧) غ، ب، ت: وأصل (٨) ت: قوية (٩) غ، م: سقط "فأما لبن...السن المتآكلة" (١٠) م: هذا كذا؛ ت: سقط "هذا" (١١) غ، ت: إذا (١٢) ت: أضيف "به" (١٣) ب: أضيف "منه" (١٤) غ، م، ت: تلحج (١٥) ت: وتلصق (١٦) غ، م، ت: حدة الأشياء الحادة (١٧) ت: سقط "وهي تجفف" (١٨) م: سقط "الصموغ" (١٩) ب: حسك (٢٠) ت: يردعان عن (٢١) غ، م، ت: سقط "الحارة" (٢٢) ب: معتدلا (٢٣) م: سقط "بارد".

– **هيوفاريقون**[م]: هذا دواء[١] يسخن وجوهره جوهر لطيف، فهو يدر البول. وينبغي إذا أريد أن يسقى منه أحد أن يسقى من ثمرته ولا يقتصر على بزره. وهو إذا اتخذ منه ضماد على حرق النار وعلى القروح ألحمها، ويشفي القروح المتعفنة إذا نثر عليها مدقوقا، وقد يشفى به[٢] قوم من وجع الورك.

– **الزوفا**[م]: هذا يسخن ويجفف في الثالثة[٣]، وهو لطيف[٤]. ولن يخفى عليك أفعال[٥] ما مزاجه هذا المزاج. ولذلك كان من أنفع شيء لتفتيح السدد وتلطيف[٦] الأخلاط.

– **العدس**: يقبض قبضا ليس بالشديد، وهو[٧] وسط في الحر والبرد، ويجفف في الثانية. ونفس جرم العدس يحبس البطن. وأما الماء[٨] الذي يطبخ به[٩] فيطلق البطن. ولذلك إذا أريد منه[١٠] أن يعقل البطن فينبغي أن يطبخ في الماء [١١] مرات ويهرق ذلك الماء.

– **الطحلب**: هو بارد رطب في الثالثة.

– **النخلة**: جميع أجزاء النخلة القبض فيها ظاهر، وأما[١٢] ثمرتها[١٣] إذا نضجت فهي حارة وقشر الطلع أكثر أجزائها تجفيفا.

– **الفو**[م]: هذا النبات فيه عطرية. وقوته[١٤] شبيهة بالسنبل، إلا أنه في أشياء كثيرة أحسن منه[١٥]. من ذلك أنه يدر البول أكثر من سنبل الطيب ومن السنبل الشامي.

– **قنة**[م]: هذه الصمغة قوتها ملينة محللة، وهي في[١٦] الإسخان في أول الدرجة الثالثة ومن التجفيف في أول الثانية.

– **كمادريوس**[م]: هذا في الدرجة الثانية من درجات الإسخان والتجفيف[١٧]، على أن إسخانه أكثر، والدليل على ذلك أن طعمه مر حريف. وهو يذوب الطحال ويدر الطمث والبول ويقطع الأخلاط وينقي السدد الحادثة في الأعضاء الباطنة.

– **كمافيطوس**[م]: هذا يسخن في الثانية ويجفف في الثالثة. والغالب على طعمه المرارة مع حرافة. ينفع اليرقان الذي يكون من قبل السدد[١٨] ويحدر[١٩] الطمث ويدر[٢٠] البول.

– **البزرقطونا**[م]: هو بارد في الدرجة الثالثة وسط بين الرطوبة واليبوسة.

---

(١) غ، م، ت: سقط "دواء" (٢) غ، م: منه؛ ت: يسقى منه (٣) غ، ت: الثانية (٤) ب: سقط "وهو لطيف" (٥) ب: سقط "أفعال" (٦) م: ويلطف (٧) غ: أضيف ما يظهر "في" (٨) غ: سقط "الماء" ويبدو أنه استدرك في الهامش (٩) غ، م، ت: فيه (١٠) غ: سقط "منه" (١١) ت: بالماء (١٢) ت: وإنما (١٣) غ، م، ت: ثمرته (١٤) غ، م، ت: وقوة (١٥) ت: سقط "منه" (١٦) م: كتب "من" فوق السطر، وعليها علامة صح (١٧) ت: أضيف "و" (١٨) م: السدة (١٩) ت: هكذا "يخدّر" (٢٠) ب: سقط "ويدر".

– **الأرمدة**[م]: هي مركبة[١] من كيفيات متضادة، وذلك أن فيها أجزاء أرضية وأجزاء قريبة من طبيعة[٢] الدخان، وهذا الجزء يذهب بالغسل، ولذلك يبقى بعد الغسل. الجزء الأرضي يجفف[٣] بلا لذع. والأرمدة[م] تختلف بحسب الأشياء التي هي أرمدتها.

الدخان: كل دخان فهو حار يابس مجفف. والدخان بالجملة مع أن مزاجه هذا المزاج توجد فيه قوة الشيء الذي هو دخانه. ولذلك صار الأطباء يستعملون دخان الكندر[م] في إنبات اللحم في[٤] العين. ويستعملونه في العين الوارمة، وفي التي تتحلب إليها رطوبة، وفي إنبات الأشفار ودخان[٥] المِرّ[م] شبيه بدخان الكندر. وأما دخان الميعة[م] فهو أقوى. ودخان القطران أقوى من دخان الزفت. والأدخنة القوية تستعمل في العلة المعروفة بالسلاق[م].

[١٠٨- الأدوية المعدنية]

فهذه جل الأدوية النباتية المستعملة أكثر ذلك في صناعة الطب التي شهد لها جالينوس أنه جربها. وأما الأدوية المعدنية فمن أشهرها:

– **الطين المختوم**[م]: وهو بارد يابس مجفف، فيه قبض معتدل. ينفع من السموم ويقطع نفث الدم ويشفي اختلاف الدم من الأمعاء و[٦]من الكبد ويجفف القروح الخبيثة[٧] إذا طلي عليها.

– **الطين الأرميني**: هذا أيضا[٨] بارد يابس قوي التجفيف. ينفع[٩] من استطلاق البطن ومن نفث الدم ويجفف قروح الرئة والصدر حتى أنه يصلب قرحة الرئة ويبقى العليل[١٠] يعيش على تلك الحال، ولا سيما إذا انتقل إلى البلاد الحارة اليابسة[١١]. وينفع أصحاب الأمراض الوبئية. وهذه التربة[١٢] هي غير موجودة عندنا. والطين الذي تختم به الكتب عندنا إذا صُوِّل(نقي بالماء)[١٣] لم يبعد كثيرا من هذه الأفاعيل، وكذلك الانجبار.

– **الشاذنة**[م]: هذه[١٤] أيضا باردة يابسة، تنفع من خشونة الأجفان. و[١٥] إذا غسلت جففت قروح العين.

– **طين الكوكب**: بارد يابس باعتدال وهو ألين جواهر الطين.

– **المغرة**: باردة يابسة إذا شربت قتلت الدود الكائن في الأمعاء[١٦].

---

(١) م: مركبات (٢) ب: طبع (٣) ت: مجفف (٤) غ، م، ت: أضيف "وجه" (٥) غ، ت: أضيف "الكندر" (ت: يظهر عليها تشطيب) (٦) غ، ب، ت: أو (٧) غ، ت: سقط "الخبيثة" (٨) م: أضيف "دواء"؛ ت: سقط "أيضا" (٩) غ، ب: يمنع (١٠) غ، م، ت: أضيف "و" (١١) غ، م، ت: سقط "اليابسة" (١٢) غ، م: الأتربة (١٣) م: استعمل (١٤) غ، م، ت: هي (١٥) م: سقط "و" (١٦) م: إذا شربت قتلت الدود الكائن في الأمعاء وهي باردة يابسة.

– **الجبسين**[م]: مجفف ملزق[١] ينفع من قطع الشريان إذا خلط[٢] ببياض البيض وغبار الرحى ووبر الأرنب أو[٣] العنكبوت ووضع على القطع[٤].

– **اسفيذاج**[م]: الرصاص بارد يابس يجفف القروح[٥] بلا لذع.

– **النورة**[م]: هي شديدة الإسخان مذيبة للحم، فإذا هي غسلت مرارا جففت القروح من غير لذع[٦].

– **حجر اللازورد**[م]: يسهل المرة السوداء وينفع أصحاب المالنخونيا[م][٧]، وهو قوي الإسهال مأمونه[٨]. الشربة منه من درهم إلى درهم ونصف. وهو إذا سحق ونثر على الأشفار الساقطة عن الأخلاط الحارة[٩] أنبتها. وذلك أنه يقبض ويجلو جلاء يسيرا و[١٠]قبضا يسيرا[١١]، فهو ينبت ذلك بما يفني من تلك[١٢] الأخلاط الحارة[١٣] ويرد العضو إلى مزاجه الأصلي.

– **حجارة الإسفنج**[م]: خاصتها تفتيت الحصى التي في الكلية فقط.

– **اثمد**[م]: بارد مع قبض. ينفع من الحرارة والرطوبة العارضة[١٤] في العين، وينشف الدمعة وينقي قروح العين، وكأنه مقو بجملة جوهره لها[١٥].

– **التوتيا**[م]: هذا يكون في **الأتانين**[م] التي يسبك فيها النحاس، وقد يتولد أيضا من سبك **الإقليميا**[م]: يابس مجفف من غير لذع، ولا سيما إذا غسل وهو أيضا من أدوية العين المشهورة. ينشف الدمعة ويجلو ظلمة البصر ويقطع المواد المنصبة إليه.

– **مرداسنج**[م]: وهو **المرتك**[م] هو معتدل في الحرارة والبرودة. مجفف وفيه بعض جلاء به ينبت اللحم في القروح الرطبة.

– **إقليميا الذهب والفضة**[م]: هذان باردان يابسان مجففان جلاءان[١٦]، إلا أن إقليميا الذهب أشد تجفيفا وأقوى جلاء. وإقليميا الفضة إذا أحرقت جففت من غير لذع، وأنبتت في قروح العين اللحم. وهي بالجملة متولدة من الدخان الصاعد من النحاس أو الفضة عند طبخهما.

– **خبث الحديد**[م]: هو شديد التجفيف وإذا دق ناعما وأنقع في الخل وشرب نفع المعدة الزلاقة وينفع من أوجاع الطحال ومن أمراض المقعدة. وكذلك متى سحق بالخل سحقا متواليا كان منه دواء منبت للحم في الأذن[١٧].

---

(١) م: الجص مجفف ملصق (٢) م: عجن (٣) ب: و (٤) ب: "على البطن انقطع" عوض "على القطع" (٥) غ، ت: "مجفف" عوض "يجفف القروح"؛ م: سقط "القروح" (٦) م: سقط "النورة هي...غير لذع" (٧) ت: المالنخوليا (٨) ت: مأمون (٩) ت: الحادة (١٠) ب: أو (١١) م: سقط "وقبضا يسيرا" (١٢) م: سقط "تلك" (١٣) ت: الحادة (١٤) م: "التي" عوض "العارضة" (١٥) ب: مقو لها بجملة جوهرها (١٦) ب: سقط "جلاءان" (١٧) م: "للمدة التي في الأذن" عوض "منبت للحم في الأذن".

– **الملح**: أنواع الملح[1] كلها حارة يابسة، فيها قبض وجلاء. والبورق[م] قوة الجلاء فيه أكثر ولذلك هو أكثر تليينا للطبيعة.

– **الزرنيخ الأصفر**[م]: قوة هذا الدواء قوة تحرق وهو متى أحرق كان ألطف والناس يستعملونه في حلق الشعر.

– **الكبريت**: كل كبريت ففيه قوة جاذبة لأن مزاجه حار وجوهره لطيف، ولذلك أيضا يضاد جل سموم[2] الهوام. واستعماله يكون بأن يسحق[3] وينثر على موضع اللسعة أو يعجن بالريق ويوضع عليها أو بالبول أو بالزيت أو بالعسل أو مع علك البطم[م] ويشفي[4] أيضا الجرب والقوباء[م] والعلة التي يتقشر فيها الجلد.

– **الزنجار**[م] [5]: قوة هذا قوة حادة مذيبة للحم أكالة له مع تجفيف شديد، ولذلك ما يوضع في القروح التي يحتاج فيها إلى تذويب لحم زائد أو فاسد. وأما في القروح البسيطة فليس يمكن فيه أن يدمل ولا أن ينبت[6].

– **الزاج**[م]: هذا[7] أصناف ثلاثة: فمنه الزاج الأحمر ومنه القلقطار ومنه الزاج الأخضر. وهذه كلها فيها قوة تحرق مع قبض. وهذه الأنواع تختلف باللطافة[8] والغلظ، فأغلظها الأحمر ثم يليه القلقطار ثم الأخضر. وكأن الأحمر مادة القلقطار أو[9] قلقطار في طريق الكون، وكذلك نسبة القلقطار إلى الأخضر. وذلك مشاهد من أمرها في استحالة القلقطار إلى الأخضر وكذلك الأحمر إلى القلقطار. وزعم جالينوس أنه لما دخل المعدن الذي كان في جزيرة قبرص[10] ألفى فيه ثلاثة عروق ممتدة، فأسفلها الأحمر ثم القلقطار ثم الأخضر. وهذا الترتيب يدل منها على الذي قلناه وكأن نسبة الأخضر إلى القلقطار هي[11] نسبة الزاج[12] من النحاس. والزاج[13] الأحمر قليل التلذيع للحم لغلظ جوهره والقلقطار والأخضر أكثر[14] تلذيعا، والأحمر لا يذوب ولا الأخضر. والقلقطار يذوب، وذلك أن الأحمر جمد جمودا حجريا والأخضر أفرط عليه الطبخ.

– **الأسرب**[م]: وهو الرصاص، الغالب على أجزائه الجوهر البارد الرطب، وذلك أن البرد هو الذي جمده. ولذلك متى سحق الأسرب في الهاون مع بعض العصارات وجدت المجتمع منها دواء[15] يبرد، مثل دهن الورد أو زيت الأنفاق[م]، وهذا الدواء هو نافع في مداواة أورام المذاكير والعانة والمقعدة. وهو في القروح السرطانية دواء نافع، وفي ردع المواد التي تنصب إلى الأذنين والقدمين. وإذا شدت منه صفيحة على موضع العانة

---

(١) غ، م: سقط "الملح" (٢) م: ولذلك يضاد سموم؛ ت: ...السموم من (٣) غ: يسخن (٤) ت: ويسقى(٥) ت: سقط "الزنجار" (٦) ب: فيها أن تدمل ولا أن تنبت (٧) م: هو؛ ت: سقط "هذا" (٨) م: في اللطافة (٩) غ، م: للقلقطار أو؛ ت: ...و (١٠) غ، ب، ت: هكذا "قبرس"؛ م: يظهر "قوبس" (١١) ب: "القلقطار إلى الأخضرم"، ت: من القلقطار وهي (١٢) غ: هكذا "الزار"؛ ب: "الزنجار" (١٣) ب: والمزاج (١٤) م: أقل (١٥) غ: منهما دواء.

قطعت الاحتلام[١]، لكن مع مضرة شديدة بآلات المني. والصفيحة الرقيقة منه تحلل[٢] العصب الملتوي. وهذا مما يدل على أن فيه قوة محللة بالإضافة إلى لحم الإنسان. وإن كان الغالب على مزاجه البرد.

- **الخزف**[م]: قوته قوة تجلو وتجفف وخاصة خزف التنور[٣].

- **الزرنيخ الأحمر**[م]: قوة هذا الزرنيخ محرقة.

- **الشب**: هذا الدواء، القبض فيه[٤] شديد. ولذلك كان اسمه في اللسان اليوناني مشتقا من هذا المعنى. وهو أنواع جميعها فيها غلظ وألطفها الشب اليماني.

- **النحاس المحرق**: في النحاس المحرق حدة، وله مع هذا قبض. ولذلك متى غسل وذهب منه الجزء الدخاني كان دواء مدملا، وقد يدمل في الأبدان الصلبة من غير غسل.

- **توبال النحاس**[م]: هذا ألطف من النحاس المحرق، وألطف من قشور النحاس. ولذلك كانت الشيافات[م] التي يقع[٥] فيها تجلو وتحلل من الأجفان الخشونة الكثيرة.

- **لزاق الذهب: وهو التنكار**، هو صنفان: معدني وآخر يصنع في مهراس من نحاس وفهر[م] من نحاس ببول الأطفال بالسحق، وذلك في وقت الصيف. والأجود أن يكون النحاس الذي يتخذ منه الفهر والمهراس من نحاس أحمر. ومزاجه بالجملة مزاج يذوب، ولكنه ليس يلذع لذعا[٦] شديدا. وتجفيف الصناعي[٧] أكثر تجفيفا من المعدني وأقل تلذيعا. والمعدني إذا أحرق كان ألطف.

[١٠٩-] ذكر اللحوم والرطوبات الحيوانية

- في **اللبن**: اللبن السليم الطعم الحلو، من طريق ما هو دواء، نافع من النوازل الحريفة اللذاعة. ويغسل[٨] الأعضاء من الكيموسات[م] الرديئة ويلحج[م] في الأعضاء، فيمنع وصول الأخلاط الحريفة إليها كما يفعل[٩] بياض البيض. وهو إنما ينتفع به هذه المنافع إذا شرب ساعة يحلب أو من الثدي إن أمكن ذلك[١٠]. وذلك أنه أسرع شيء استحالة عن الحرارة التي في[١١] الهواء. ولذلك يستحيل[١٢] في الأبدان الرديئة الأخلاط[١٣] ويسرع إلى الحمضة أو إلى[١٤] التجبن في المعدة الباردة ويملأ الأدمغة .لكن لا نعلم شيئا يقارب أن يخلف بدل ما يتحلل من رطوبات[١٥] الأعضاء الأصلية غيره، وبخاصة لبن النساء. ويليه في ذلك لبن الأُتُن، ثم لبن الماعز. ولهذا كانت الألبان[١٦]

---

(١) ت: الأحلام (٢) غ، م، ت: تحل (٣) ت: "البحر" (٤) ت: منه (٥) غ، ب، ت: تقع (٦) م: سقط "لذعا" (٧) غ، م، ت: "ويجفف والصناعي" عوض "وتجفيف الصناعي" (٨) غ، ت: أضيف "أيضا" (٩) ب: ينفذ (١٠) غ، ت: سقط "ذلك" (١١) م: "الغريزية و" عوض "التي في" (١٢) غ: فيستحيل (١٣) م: أضيف "إلى الدخانية" في الهامش (١٤) ب: سقط "إلى"؛ م: وإلى (١٥) غ، ت: تحلل من رطوبة (١٦) م: أضيف "من".

أنفع شيء للمسلولين. وإنما كان ذلك كذلك[١] لأنها مادة[٢] شبيهة بالمادة الأولى التي منها تكونت الرطوبة[٣] الأصلية. ولذلك كانت غذاء للأطفال: أعني[٤] الطبيعي منه حين يولدون[٥]. وإنما يفعل اللبن ما يفعله من التغذية والجلاء اليسير والترطيب بما هو مركب من جواهر مختلفة. وذلك أن فيه شيئا أرضيا[٦] وهي الجبنية، وهذا هو الجزء اللاحج[م]. وفيه جزء[٧] هوائي وهو الزبد وبهذا صار مرطبا. وفيه جزء مائي إلى الرقة ما هو به صار يجلو، وذلك هو الميش[م][٨]. وليس يوجد لهذا الجزء إذا تميز قوة الجلاء فقط، بل هو[٩] ملين للبطن[١٠] تليينا يصلح به أن يكون مادة[١١] للأدوية[١٢] المسهلة. وهو ينقي ويغسل[١٣] عن الأحشاء الفضول المعفنة[١٤] ويغسل[١٥] القروح التي فيها قيح[١٦]. والألبان إذا أطفئ فيها الحديد السالم من الصدأ أو[١٧] الحجارة الصم مرات كان نافعا من استطلاق البطن. والحديد في ذلك أنفع لمكان القبض الذي فيه. وجميع الألبان على الجملة من الأدوية النافعة من الرمد الذي يكون عن النوازل الحارة. وينفع أيضا القروح التي تكون في الرحم وفي المقعدة[١٨] التي تكون عن خلط لذاع. وإذا خلط[١٩] بالأدوية المسكنة مثل الدواء الذي يؤخذ من الأتانين التي يذاب فيها النحاس نفع من القروح السرطانية. والتغرغر به ينفع من[٢٠] في فمه قروح مؤلمة ويسكن أوجاعها وينفع من اللوزتين واللهاة. وبالجملة إذا[٢١] كان جوهره لينا بريئا من اللذع فإنه مما[٢٢] يسكن الأوجاع وينفع[٢٣]، وبخاصة إذا طبخ. ولذلك قد يشفي من شرب الذراريح[م].

- **الجبن**: والجبن العتيق حار يابس لمكان الملح والإنفحة[م] وهو ينفع من وجع المفاصل[٢٤]. وأما الزبد فقوته قوة[٢٥] منضجة للأورام. والسمن أحر منه وهو أكثر إنضاجا منه في الأبدان الصلبة. وذلك لمكان الملح الذي يخالطه في صنعة الطبخ. والزبد ينضج[٢٦] الأورام التي تكون في أصل[٢٧] الأذنين والأربيتين[م]. وبالجملة في المواضع الرخوة وهو[٢٨] إذا استعمل بالعسل لعوقا للنفث الكائن في[٢٩] الصدر والرئة كان نافعا[٣٠].

- **الإنفحة**[م]: الأنافح بالجملة حارة لطيفة يابسة. في قوتها تحلل الدم واللبن إذا جمد في المعدة، وتحبس البطن إذا شربت[٣١] وبخاصة، زعموا، إذا كان الإسهال

---

(١) غ، م، ت: سقط "كذلك" (٢) ب: حادة (٣) م: الرطوبات (٤) غ، م، ت: سقط "أعني" (٥) غ، م، ت: يولد (٦) ت: أشياء أرضية (٧) م: شيء (٨) م: يظهر "اليبس"؛ ت : الميش. ب: الميس (٩) ت: "وهو" عوض "الجلاء فقط بل هو" (١٠) م، ت: "للطباع" (غ: صححها في الهامش) (١١) ت: هكذا "قاده" (١٢) غ، ت: الأدوية (١٣) غ، ت: وهي تنقي وتغسل (١٤) م: العفنة؛ ت: المتعفنة (١٥) ب: ولغسل (١٦) م: نفخ (١٧) م: و (١٨) ب: المعدة (١٩) ب: "من الرمد الذي يكون" عوض "لذاع وإذا خلط" (٢٠) ب: أضيف "به" (٢١) غ: إذ (٢٢) غ، م، ت: سقط "مما" (٢٣) ب: سقط "وينفع" (٢٤) ب: أضيف "القديم منه إذا وضع ضمادا" (٢٥) م: سقط "قوة" (٢٦) م: أنضج في (٢٧) غ، م، ت: أصول (٢٨) ب: وهذا؛ م: ولذلك (٢٩) م: من (٣٠) غ، ب: "نافع (غ: نافعا)" عوض "كان نافعا" (٣١) ت: ويحبس...إذا شرب.

مجهول السبب[١]. وأما أنا فأرى[٢] الناس لشعورهم بهذه الخاصة يعمدون إلى الأطفال الذين بهم الإسهال فيضعونها على بطونهم سخنة[٣]، فينتفعون بها. ويشبه أن يكون ذلك منها بجهة[٤] التجميد للأخلاط والتجفيف.

– **البيض:** أما من حيث هو غذاء[٥] فقد ذكرناه. وأما من حيث هو دواء فنعدد منافعه فنقول: إن بياض البيض أعني بيض الدجاج هو دواء[٦] أشد الأشياء تسكينا للذع، ولذلك يستعمل في وجع[٧] العين. ويستعمل بالجملة في[٨] جميع الأشياء التي يراد فيها[٩] تسكين اللذع، بمنزلة الخراجات التي تكون في المقعدة والعانة وجميع القروح الرديئة. وقد يخلط أيضا في الأدوية التي تقطع الدم المنفجر من أغشية الدماغ. ومح البيضة هو أيضا من جوهر[١٠] شبيه بجوهر بياضها. ولذلك جملة البيضة تستعمل بعد أن يخلط معها دهن الورد في مداواة المقعدة والورم الحادث في الأجفان وفي الأذنين وفي الثديين، إذا كان قد أصاب واحدا من هذه الأعضاء تورم. ويستعمل بالجملة في مداواة الأعضاء العصبية بمنزلة المرفق والوترات التي في الأصابع ومفاصل اليدين والرجلين. والحدث يستعملون في مثل هذه المداواة المح دون البياض. والمقصود من استعمالها إنما هو تسكين الوجع مع بعض إنضاج. ودهن المحاح في تسكين أوجاع الأعصاب[١١] من أنفع الأدوية في ذلك، حتى أنه يفوق في ذلك شحم الإوز والدجاج فيما حكوا. والبيضة متى طبخت بالخل كما هي وأكلت نفعت من المواد التي تسيل وتنصب إلى المعدة[١٢] والأمعاء. وإن أنت طبختها ببعض الأدوية التي تمسك البطن وأطعمتها العليل المستطلق البطن نفعته. وأنفع ما يخلط معها في هذا الموضع[١٣] عصارة الحصرم[م] أو السماق[م] أو عصارته[١٤]. والعفص[م] أيضا وقشور الرمان وحب الآس[م]. وأقوى من هذه زهر[١٥] الرمان البري والحرق من الماء تنفعه البيضة النيئة إذا وضعت عليه وينفع البيض النمبرشت[م] الخشونة التي تكون في الصدر وفي الأعضاء التي تقبل ذلك. وقشور البيض إذا أحرقت وسحقت ونخلت أذهبت بياض العين.

– **المرارات:** هي بالجملة حارة يابسة. وهي بالجملة تابعة في الزيادة في هذا والنقصان لأمزجة[١٦] الحيوانات. وهي بالجملة تدخل في الشيافات[م] التي يراد منها الجلاء وبخاصة مرارات[١٧] الطيور. وينبغي[١٨] إذا استعملت أن يختار منها ما لم يلحقه

---

(١) غ، م، ت: الأسباب (٢) غ، م، ت: فإني (ت: فإنني) أرى (٣) م: يظهر "منها" (٤) ب: "بجملة جوهرها" عوض "بجهة" (٥) ب: غذائي (٦) م: أضيف "هو" (٧) غ: لوجع؛ م: في علاج وجع (٨) ب: أضيف "علاج" (٩) م: بها (١٠) ب: سقط "من جوهر" (١١) م: العصب (١٢) م: المقعدة (١٣) غ، ت: هذه المواضع (١٤) غ: أو السماق وعصارته؛ م، ت: والسماق وعصارته (١٥) م: "زعموا" عوض "زهر" (١٦) م: الزيادة والنقصان في هذا الأمزجة (١٧) ب: مرارة (١٨) غ: أضيف "أنها"، ت: أضيف "أيضا".

تغير من مرض الحيوان الذي المرارة له[1]. ومن أكثر المرارات دخولا في العلاجات الطبية مرارة الديك[2].

– **البول:** قوته حادة[3] وفيه جلاء، ولذلك قد يشفي القروح العتيقة والوسخة.

– **الزبل:** خرو الكلاب الأبيض[4] مخصوص بالمنفعة في الخوانيق[م]. وزبل الفأر يحقن به الأطفال الذين تعتقل بطونهم. أخثاء البقر تنفع المستسقين ضمادا[5]. خرو الدجاج ينفع من الخناق العارض عن أكل الفطر، وذلك أنه يقيئهم[6]. وينبغي أن يسحق بخل وماء ثم يسقونه[7]. زبل السباع ينفع من القولنج[م] شربا وتعليقا[8] على الفخذ. زبل[9] الحمام يستعمل في علل الأعضاء الباردة مثل النقرس والشقيقة الباردة والصداع البارد والدوار وأوجاع الجنبين والكتفين والظهر والبطن والكليتين وأوجاع المفاصل.

– **اللحوم:** قد شهد جالينوس وجماهير الأطباء بمنفعة[10] لحوم الأفاعي للجذام، ولذلك جعلت في الترياق الفاروق[م]. وقوة هذا اللحم الأولى[11] التسخين والتجفيف. ووجه إبراء هذه اللحوم من هذه العلة إنما هو بأن تدفع الخلط المرض إلى سطح البدن. ولهذا ما تؤول حال من شربها إلى العلة التي يتقشر فيها[12] الجلد ثم يبرأ.

– **الشحوم:** بين من أمرها وفور[13] الحرارة والرطوبة فيها، وإن كانت تختلف باختلاف مزاج الحيوان. فأسخن الشحوم وأيبسها شحم الأسد وشحم الثور. والعجل متوسط في ذلك. وشحم العجل أرطب[14]، وشحم الماعز جيد للاحتقان وهو أرطب من شحم الثور. وشحم الجداء أرطب. وشحم الدجاج والإوز ألطف الشحوم، ولذلك كانت قوتها في تسكين الأوجاع قوة وافرة.

– **المخ:** قوة المخاخ[15] قوة تلين وتحلل الصلابات المتحجرة في الأعضاء الصلبة، وأفضلها في ذلك مخ عظم الأيل وبعده مخ العجل.

– **مرق الديوك الهرم:** يطلق البطن.

– **لحوم الدجاج:** تعدل المزاج.

– **السراطين[م] المحرقة:** تشفي من عضة الكلب الكلِب بخاصة فيها.

– **البصايص[م][16]:** تفتت الحصى.

– **القنابر:** وهي القبع[17] إذا طبخت اسفيذياجة[م][18] نفعت[19] من به وجع القولنج إذا أدمن أكلها.

---

(١) ت: للمرارة (٢) م، ت: مرارات الديوك (٣) غ، م: حارة (٤) غ، ت: خرو الكلب الأبيض؛ م: خرء الكلب (وسقط "الأبيض") (٥) ب: أضيف "وكذلك" (٦) ت: هكذا "يقهم" (٧) غ، م، ت: يسقوه؛ في نسخة ب شكلت الكلمة: يُسْقَوْنَهُ (٨) م: تلعقا (٩) غ: زبول (١٠) م: لمنفعة (١١) ت: سقط "الأولى" (١٢) ب: معها (١٣) ت: وقلة (١٤) ت: رطب (١٥) م: المخ (١٦) ب: البصابص (١٧) م: أنفع (١٨) غ: اسفيذباجة؛ ب: إسفيذياجات (١٩) م: شفت.

– **الخراطين**[م]: وهي المسماة عندنا[١] طرطانيا إذا درست ووضعت على العصب المقطوع نفعته[٢] من ساعتها منفعة عجيبة. ومن الأشياء التي تتولد في البحر مما شهرت[٣] منافعها الإسفنج و[٤] قفر اليهود[م][٥] وهو دواء يسخن ويجفف في الثانية، ويلزق الجراحات الطرية بدمها. إسفنج البحر فيها تجفيف وهي نعمة[٦] المادة للرطوبات التي توضع من خارج.

– **أزباد البحر**[م]: كلها قوتها قوة تجلو وتحلل ولها كيفية حارة.

[١١٠– أدوية أخرى مشهورة]

فهذه عيون الأدوية التي شهد لها جالينوس وجربها. وهاهنا أدوية مشهورة وإن لم يشهد لها جالينوس، فمنها:

– **الاهليلجات**[م]: وهي خمسة أصناف: الأصفر والكابلي والهندي والأملج[٧] والبليلج. قواها الأول هي من البرودة في الدرجة الأولى ومن اليبس في الثانية[٨]، وذلك أنها مركبة من جوهر أرضي بارد وجوهر أرضي محترق دون البارد في الكثرة. والدليل على ذلك القبض الموجود في طعمها مع المرارة. خاصة الكابلي إسهال المرة السوداء برفق وهو يجفف البلغم بكيفيته وهو في أول الدرجات من الأدوية[٩] المسهلة لهذا الخلط. وكذلك خاصة الهندي إلا أنهم زعموا أنه يختص بجذب السوداء المحرقة[١٠] وإخراجها، وهي بهذا[١١] الفعل تبرئ أمراض الرأس التي تكون من المعدة، فإن جذبها[١٢] ليس ينتهي لأعماق البدن، بل إنما تجذب من آلات الغذاء. ولذلك الإدمان عليها يحد الحواس والفكر ويبطئ بالشيب. وأما الأصفر فخاصته إسهال الصفراء برفق. والشربة من كل واحد منها[١٣] أما سفوفا[م] فمن أربعة دراهم إلى خمسة دراهم، وأما منقوعا فمن عشرة دراهم إلى ستة عشر درهما. وأما البليلج[م] فإنهم زعموا أنه أيضا[١٤] يسهل المرار برفق[١٥]. وأما الأملج[م] فلم يصفوه بالإسهال وهو يقوي الشهوة ويقطع البصاق والقيء ويحسن الذهن وينفع من البواسير، قالوا ويقطع العطش ويزيد في الباه[م] وعلى هذا ففيه رطوبة ما[١٦].

– **كشوث**[م]: هذا قوته من نوع قوة الأفسنتين[م] وإن كان ليس مثله[١٧]. وهو[١٨] مركب الجوهر من قابض ومر، وهو ينفع الحميات بعد النضج كما يفعل الأفسنتين.

---

(١) غ، م، ت: سقط "عندنا" (٢) غ، م، ت: نفعت (٣) م: شهدت (٤) ب: سقط "الاسفنج و" (٥) ب: اليهودي (٦) ب: يَعْمَتِ؛ م: نعم (٧) م: والأبلج (٨) م: الثالثة (٩) ب: درجات الأدوية؛ م: الدرجات من الأشياء؛ ت: الدرجات في الأدوية (١٠) ب، م، ت: المحترقة (١١) ب، م، ت: وهو (ب، م: وهي) لهذا(١٢) ت: جرمها (١٣) غ، ب: منهما (١٤) ب، م: أيضا أنه؛ ت: سقط "أيضا" (١٥) غ: برفق فقط؛ ب: فقط برفق (١٦) غ: "ففي هذا" عوض "ففيه"؛ ب: ففي رطوبة ما (١٧) م: بمثله (١٨) ب: "وإن كان" عوض "وهو".

– **بلاذر**[م]: حار [1] في الدرجة الرابعة يابس في آخر الثالثة. ينفع من الفالج والاسترخاء، ويعيد[2] القوة الحافظة إذا اعتلت[3] من الرطوبة والذاكرة.

– **بهمن**[م]: حار رطب. يسخن المعدة وآلات التناسل[4] باعتدال، ويقوي الشهوة ويزيد في المني[5] وينفع من الأخلاط السوداوية.

– **الترنجبين**[م]: هو من يسقط من السماء بخراسان وناحية الهند. وهو بالجملة كأنه[6] سكر ما حار رطب في الأولى، وخاصته إسهال المرة الصفراء برفق، حتى أنه أضعف المسهلات لها. ولذلك يستعمل في الأمراض الحادة[7]، ولا ينتظر به نضج على ما شأن الأدوية المسهلة[8] أن يستفرغ بها في الأمراض.

– **تمر هندي**: هو بارد في الثالثة يابس في الثانية. والسبب في ذلك أنه مركب من جوهر مائي خالطته يسير حرارة لطفت تلك المائية وكانت لها كالآلة لنفوذها. ولذلك كان طعمه في غاية الحمضة. يسهل المرار الأصفر برفق. الشربة منه من عشرة دراهم منقعا[9] إلى خمسة عشر درهما. وحمضته فيها يسير قبض، فلذلك[10] صار ينفع المعدة الصفراوية ويدفع القيء الصفراوي عنها.

– **جوزبوا**[م]: حار يابس في الثانية[11] عطر الرائحة يجلو خمل المعدة من الخلط العفن[12] ويقويها وينفع الكبد والطحال الباردين.

– **حجر البازهر**[م]: هذا مشهور جدا في المنفعة من جميع السموم وبخاصة سم العقرب. والشربة منه مقدار ربع درهم.

– **حجر الزبرجد**[13]: ينفع نزف الدم[14] من أي موضع كان وإذا سقي منه شيء لمن لسع قبل وصول السم[15] إلى القلب منع وصوله إلى القلب. والشربة منه نحو من سدس[16] مثقال.

– **زمرد**: هذا أيضا ذكروا فيه أنه نافع من جميع السموم، وبخاصة سم[17] الأفاعي. والشربة منه تسع حبات. قالوا: ويجد شاربه أوجاعا عظاما في جسمه أول ما يشربه وانحلالا فيقوته ثم يفيق وقد انتفع[18]. قالوا ويقطع الإسهال المزمن إذا شرب وإذا علق على المعدة نفع من ذلك أيضا.

– **حجر العقيق**: معتدل يقطع الدم المنبعث وطمث النساء بخاصة فيه، ويزيل الحفر من الأسنان أو يوقفه.

---

(١) م: أضيف "ويابس" (٢) ت: ويعين (٣) غ، م، ت: اختلت (ب: اعتلت) (٤) ب: "وآلة التناسل"، وسقط "باعتدال"؛ م: وآلات الغذاء (٥) ب: الشهوة (٦) ت: سقط "كأنه" (٧) غ، ت: الحارة (٨)م: سقط "المسهلة" (٩) م: سقط "منقعا" (١٠) م: بذلك (١١) غ، ت: الثالثة (١٢) م: سقط "العفن" (١٣) غ: هكذا "الزرجد" (١٤) م: دم النزف؛ ت: من النزف (١٥) ت: اللسع (١٦) غ، ت: "السدس" عوض "من سدس" (١٧) ت: لسع (١٨) ت: أضيف "به".

– **لؤلؤ:** يابس لطيف نافع من أوجاع القلب مقو له بجملة جوهره مذهب للحزن[١] ويقوي العيون الرطبة.

– **خيار شنبر**[م]: يسهل الصفراء المحترقة بخاصته[٢] ويطفئ حدة[٣] الدم ويحلل الأورام. وهو دواء يسهل برفق كالتمر الهندي أو أقوى منه بقليل[٤]. والشربة منه كالشربة من التمر الهندي.

– **خولنجان**[م]: حار يابس في الثانية نافع للمعدة الرطبة مطيب للنكهة[٥] هاضم للطعام مسخن للعصب مقو للباه.

– **حجر البجادي**[م][٦]: إذا اكتحل به قوى البصر وحفظ النور وأزال الغشاوة[٧] والظلمة من البصر[٨].

– **زرنباذ**[م]: حار في الثالثة[٩] يابس في الأولى، يجلو ويحلل الرياح الغليظة، نافع من[١٠] لسع[١١] ذوات[١٢] السموم. خاصته تحليل الرياح من الأرحام وحبس القيء. وله ورق عطري[١٣]. قال بولش[١٤] إنه بدل من الدارصيني[م].

– **سبستان**[م]: وهو المخيطى[م][١٥] حار في الأولى رطب في الثانية. يسهل برفق الفضول الصفراوية، ويسكن حدة الدم بترطيبه، ويملس خشونة قصبة الرئة، وينفع من ضيق النفس. وإذا طبخ ماؤه حتى يغلظ ووضع على داء الثعلب أو داء الحية أنبت الشعر.

– **سندروس**[م]: حار يابس في الثانية يحلل الفضول من الدماغ إذا شم بخاره، وهو ينفع النوازل بالجملة[١٦] بخاصة فيه. وإذا قطر في العين جلا الآثار التي[١٧] فيها جلاء عجيبا، وينفع من وجع الأسنان وتساقط اللثة نفعا عجيبا.

– **سنا**[م]: حار يابس في الثانية[١٨]. يسهل الأخلاط المحترقة والرطوبات[١٩] إسهالا معتدلا، لا[٢٠] يقوى[٢١] من ذلك على الأخلاط التي فيها غلظ وتحجر. وقوته في الإسهال تقرب من قوة الغاريقون[م]: أعني في الجذب إلا أن الغاريقون مختص بإخراج الأخلاط الغليظة. الشربة منه من درهم إلى درهمين. وأما في[٢٢] المطبوخات فمن خمسة دراهم إلى سبعة.

– **سك المسك**[م]: حار يابس قابض يقوي الأعضاء ويعقل الطبيعة ويمسك القيء.

---

(١) م: للحرق (٢) غ، م: بخاصيته (٣) م: "بخاصيته ويطفئ مرارة" عوض "بخاصته...حدة" (٤) م: سقط "بقليل" (٥) غ، ب، م: للنهكة (ت: للنكهة) (٦) ت: النجادي (٧) غ، ب، ت: الغشا (٨) ب: وظلمة البصر (٩) ت: الثانية (١٠) غ: لمن (١١) ت: سقط "لسع" (١٢) م: دواب (١٣) ت: طري (١٤) م: قولس؛ ت: بولس (١٥) غ، م: المخيطا؛ ت: المخيط (١٦) غ: بجملته؛ ب: وبالجملة (١٧) غ، م، ت: الأثر (ت: البثر) الذي (١٨) م: صحح في الهامش "في الثالثة" (١٩) ب: والرطوبة (٢٠) ب: سقط "لا" (٢١) ت: بتر ابتداء من هنا حوالي ست صفحات، وسنشير لاحقا في الهامش إلى الموضع الذي يستأنف فيه النص (٢٢) م: سقط "في".

– **سك العفص**(م): وسك البلح(م)[1] باردان يعقلان الطبيعة ويمسكان القيء.

– **شقاقل**(م): حار رطب يزيد في المني ويحرك الشهوة.

– **صندل**(م): أبردها الأحمر. وذلك أنه يبرد في الثالثة ويبسه في الثانية[2]. وأعطرها[3] الأصفر المسمى[4] مقاصري، بارد في الثانية يابس في الأولى. ينفع، إذا شرب، من شدة الحرارة ومن الخفقان الحادث عنها. وتضمد به المعدة الحارة[5] والأورام الحارة فينفعها.

– **طباشير**(م): هو فحم عقد خشب القني(م) بارد يابس في الثالثة. خاصته النفع من الحرارة والالتهاب والمرة الصفراء وتقوية المعدة[6]. وينفع من الخفقان والكرب الدائم[7] والغم.

– **عود الطيب**: حار يابس في الثانية[8] هذا[9] قد ذكره جالينوس في التجربة الطبية وقال فيه: إن قوته قوة الدارصيني(م) إلا أنه يفوق الدارصيني. بما فيه من خصوصية تجفيفه لبلة المعدة والمرارة[10] والقبض مع العطارة الفائقة صار هذا الدواء من أنفع الأدوية[11] للأعضاء الرئيسة[12] كلها: القلب والدماغ والكبد والمعدة، ويزيل الغم والخفقان الذي يكون[13] عن الرطوبة فيما أحسب، وينفع من السموم بتقوية الأعضاء الرئيسة ودخانه من أعطر الأدخنة نافع للنزلات.

– **عنبر**(م): هذا أحد أصناف[14] القفر(م) وذلك أنه يتولد في[15] عيون البحر فيما زعموا، ويطفو فوق ماء البحر. وأفضله الأشهب، حار يابس في الثانية، مقو للقلب والدماغ والمعدة والحواس. نافع للشيوخ و[16]المبرودين. ينفع من أوجاع المعدة الباردة، ومن الرياح الغليظة العارضة[17] في الأمعاء، ومن السدد. وإذا طلي[18] من خارج يقوي الأعضاء، وبخاصة الأعصاب. ويقاوم[19] فساد الهواء المحدث للموتان، إذا أدمن[20] شمه[21] وإذا شرب.

– **عناب**(م): هذا الدواء ذكره جالينوس ولم يقف له على منفعة خاصية[22]. وأما أطباء العراق فيذهبون به كل مذهب في قمعه[23] حدة الدم والصفراء ونفعه من خشونة الصدر والرئة، حتى أنهم يرون أنه نافع[24] بجملة جوهره. مزاجه بارد في الأولى رطب في الثانية. ويشبه أن يكون قمعه للدم إنما هو بترطيبه[25].

---

(١) م: الملح (٢) م: سقط "وذلك أنه...في الثانية" (٣) ب، م: أبردهما...وأعطرهما (٤) غ: المسماة (٥) ب: ثبت في المتن "وتضمد به الحرارة" وأضيف "المعدة" في الهامش، ولم يصحح لفظ "الحرارة" (٦) ب، م: أضيف "الحارة" (٧) غ، م: سقط "الدائم" (٨) غ: الثالثة (٩) ب: سقط "هذا" (١٠) م: وللمرارة (١١) م: "شيء لتقوية" عوض "الأدوية" (١٢) م: "الرئيسية"، ويطرد الفرق في باقي النص (١٣) ب: أضيف ما يمكن أن يقرأ "بين" (١٤) غ، م: الأصناف (١٥) غ: من (١٦) غ: سقط "و" (١٧) م: سقط "العارضة" (١٨) م: وضع (١٩) غ: ويقوم (٢٠) ب: أضيف "من" (٢١) غ: شربه (٢٢) ب: أضيف "به" (٢٣) م: نفعه (٢٤) غ، م: أضيف "لها" (٢٥) م: من قبل ترطيبه.

- **فوفل**[م]: هي أصناف، قوتها[١] قوة الصندل[م] إذا شرب منه من درهم إلى درهمين أسهل باعتدال.

- **قرنفل**: حار يابس في الثانية ممتدة، أو في الثالثة مسترخية، مقو للأعضاء الرئيسة كلها. نافع من العلل الباردة. يعقل البطن[٢]. وهذا الدواء ذكره جالينوس في التجربة الطبية له[٣]، وزعم أن خاصة قشر القرنفل تقوية القوة الهاضمة.

- **الحبق القرنفلي**: وهو المسمى فلنجمشك. حار يابس في الثانية يفتح سدد الدماغ[٤] وينفع من الخفقان العارض من البلغم والسوداء. نافع من البواسير.

- **قاقلة**[م]: صغيرة وكبيرة حارة[٥] يابسة في الثانية نافعة[٦] من السدد في الكبد ومن الحصى في الكلى ومن الصرع ومن الأوجاع الباردة، وهي[٧] من الأفاويه، نافعة للمعدة هاضمة للطعام نافعة من الغثيان وكثرة القيء إذا شربت[٨] بماء الرمان.

- **كافور**: بارد يابس في الثالثة[٩] لطيف جدا مضاد للعفونة والمواد الحارة. يحبس الخلفة الصفراوية ويقطع الباه قطعا قويا، حتى أنه يصير شاربه إلى الزمانة، ويخل بالمعدة الناقصة الحرارة إخلالا رديئا.

- **لك**: هي صمغة حارة يابسة في أول الثانية. مشهورة جدا بتقوية الكبد وتفتيح سددها، وهي أيضا تنفع المعدة والطحال وتنفع من أوجاع الكلى والمثانة، وتزيد في الباه. الشربة منها[١٠] من نصف درهم إلى درهم.

- **مسك**: حار يابس في آخر الثانية[١١]. أقوى الأشياء عطرية. له خاصية[١٢] غريبة في تقوية القلب وإزالة الحزن والفزع. نافع من الصرع واختناق الرحم، وبالجملة من أمراض الغشي كلها[١٣]. وينفع الرياح الغليظة المتولدة في الأمعاء ومن المالنخونيا[م] والعلل السوداوية[١٤].

- **لسان العصافير**: نافع من الخفقان ويزيد في الباه.

- **ياسمين**: حار يابس في آخر الثانية. نافع من الرطوبات والبلغم. صالح للشيوخ والمبرودين. نافع للصداع الذي يكون عن[١٥] أخلاط غليظة[١٦].

فهذا ما أردنا[١٧] أن نثبت في هذا المختصر من الأدوية المشهورة. وينبغي بعد ذلك أن نصير إلى القول في قوانين التركيب.

---

(١) م: قوته (٢) غ، م: الطبيعة (٣) غ، م: سقط "له" (٤) غ، م: السدد التي في الدماغ (٥) م: باردة (٦) غ، م: نافع (٧) غ، ب: وهو (٨) ب، م: هاضم (م: هاضمة)...نافع (م: نافعة)...شرب (٩) م: الثانية (١٠) ب، م: منه (١١) غ: الثالثة (١٢) ب: خاصة (١٣) م: كله (١٤) ب: أضيف "هيل بوا دقاق القاقلة هو شبيه بها"؛ في نسخة غ علامة على هامش لا يظهر (١٥) ب: من (١٦) م: الأخلاط الغليظة (١٧) غ، م: رأينا.

[٤٧-] القول في قوانين التركيب [القسم الأول]

[١١١] إن الضرورة الداعية إلى تركيب الأدوية المفردة[١] أولا ثلاثة أشياء: أحدها أنا لسنا نجد في كثير من المواضع في الدواء المفرد ما يحتاج إليه من القوى التي بها يلتئم العلاج أو الحفظ. والثاني أن تكون موجودة في الدواء المفرد لكن نحتاج منها إلى مقدار[٢] أقل أو أكثر. والثالث أن تكون في الدواء المفرد قوى لسنا نحتاج إلى استعمالها في ذلك العلاج المقصود ولا في ذلك الحفظ. أو تكون تلك القوى مما لا يحتاج إليها في علاج أصلا ولا في حفظ.

[١١٢] والقسم الأول من هذين[٣] يستعمل في المواضع التي إنما يلتئم العلاج فيها بكيفيات متضادة أو مختلفة متفننة. وذلك يعرض إما من قبل طبيعة المرض والعرض إذا تضادت، أو من قبل المرض والسبب أو طبائع الأمراض إذا تركبت، أو الأسباب إذا تركبت أيضا. وإما من قبل طبيعة المرض والعضو في مزاجه أو في شرفه أو في وضعه أو في مشاركته. مثال الاختلاف بين السبب والمرض[٤] الحميات العفونية: فإنها من حيث هي حارة يابسة تحتاج إلى دواء مرطب، ومن حيث هي[٥] عن خلط عفوني تحتاج إلى ما يجففه ويلطفه. وفي هذا الجنس يدخل الردع والتحليل الذي يستعمل في زمن[٦] تزيد الأورام، فالطبيب في مثل هذا الوضع يضطر إلى أن يخلط[٧] الدواء الرادع[٨] مع المحلل.

[١١٣] وقد يلحق شك في فعل الأدوية المركبة من قوى متضادة، وهو كيف[٩] يمكن أن يلفى لها الفعلان معا في بدن الإنسان؟ فإنها إن[١٠] كانت متكافئة قاوم كل واحد منهما صاحبه فلم يكن لها تأثير في بدن الإنسان، وكانت معتدلة. وإن كان أحدهما أقوى[١١] فعل الأقوى فعله، ولم يحس هنالك للأضعف فعل. وهذا الشك إنما شكوا[١٢] فيه في القوى الثواني. فأما في الأُوَل فلا، لأنهم يرون أنا متى خلطنا درهما من بابونج مع درهم من ورد كان الدواء معتدلا[١٣] في كيفياته الأول، ويرون مع هذا أنه يكون فيه ردع وتحليل. والأمر في ذلك ينبغي[١٤] أن يكون واحدا كما قلنا. فكما نقول إن هذا الدواء معتدل في كيفياته الأول بمعنى أنه يفعل في البدن حرارة متوسطة بين الحرارة التي في الدرجة الأولى والبرودة التي فيها، كذلك ينبغي أن يفهم[١٥] الأمر في القوى الثواني، فيكون الدرهم من البابونج مثلا مع الدرهم من الورد يفعل[١٦] ردعا

---

(١) ب: إلى قوانين التركيب للأدوية المفردة؛ م: سقط "المفردة" (٢) م: سقط "مقدار" (٣) ب: "هذه الأقسام"، (٤) م: "مثلا...من...والمرض في" عوض "مثال...بين والمرض" (٥) م: سقط "حارة يابسة...حيث هي" (٦) م: سقط "زمن" (٧) غ، م: مضطر (غ: يضطر) أن يدخل (غ: يخلط) (٨) غ: المردع (٩) م: "وكيف" عوض "وهو كيف" (١٠) م: وإن (١١) م: أضيف "فعلا" (١٢) غ: يشكوا (١٣) غ، ب: أن الدواء معتدل (م: كان الدواء معتدلا) (١٤) غ: فينبغي (١٥) ب: "تكون تفهم" عوض "يفهم" (١٦) م: يفعلان.

وتحليلا متوسطا بين تحليل البابونج وردع الورد. وكان هذا الإهمال إنما وقع لهم من جهة[1] أنهم لم يدرجوا القوى الثواني حتى يسار[2] منها إلى ما هو معتدل أو[3] خارج عن الاعتدال.

[١١٤] وهذا الفعل الذي يكون للدواء المركب هو واحد، إما بالمزاج الصناعي وإما بالمزاج الطبيعي. وليس هو كثيرا[4] حتى نحتاج أن نقول[5] كيف يصنع الدواء الواحد كيفيتين متضادتين في موضوع واحد، ويجعل ذلك كالحال في الحس مع محسوساته، فإنه[6] ينفعل[7] عن المتضادين معا بوساطة[8] موضوع واحد. مثال ذلك أنه يدرك الأبيض والأسود معا بالرطوبة الجليدية، ويدرك[9] الحار والبارد في جميع الأجسام[10] على وتيرة واحدة إذا اتفق أن غمسنا بعض أعضائنا في ماء بارد، وبعضها في ماء[11] حار، كما تسمع جالينوس يقوله. فإن هذا لا يغني في حل هذا الشك إذا فرض الدواء المركب له فعلان متضادان. وذلك أن الحواس إنما عرض لها ذلك[12] من قبل أنها ليست هيولانية، وقد أعطي السبب في هذا في غير هذا العلم.

[١١٥] وأما الانفعالات التي يقبل الجسم عن الأدوية، فهي ضرورة انفعالات هيولانية لا يصح[13] أن توجد الأضداد منها في موضوع[14] واحد في وقت واحد إلا على جهة ما يوجد المتوسط بين الأطراف، كأنك قلت على الجهة التي[15] يوجد الأبيض والأسود في اللون الأصفر، وإلا تعاوقت ضرورة إن كانت متساوية أو فعل الأغلب فعله.

[١١٦] وإذ قد تبين كيف فعل الدواء المركب فلنصر إلى إعطاء مثالات تلك الأقسام الباقية فنقول:

١- أما مثال المرض والعرض فمثل الحمى العفونية والغشي. فإن الحمى تقتضي الاستفراغ والتبريد، والغشي يقتضي ضد الاستفراغ والتبريد.

٢- ومثال تركيب الأمراض[16]: الحميات المختلفة الجواهر مثل الحمى المعروفة بشطر الغب[م] التي تتركب[17] عن الصفراء والبلغم.

٣- ومثال الحاجة إلى ذلك في تركيب الأسباب حدوث الأمراض التي تكون عن أكثر من خلط واحد، فيضطر من أجل ذلك أن تركب من الأدوية ما يستفرغ أكثر من خلط واحد[18]. وهذه هي الضرورة الأولى إلى تركيب المسهلات. وفي هذين الجنسين أعني

---

(١) غ: سقط "لهم"؛ م: لهم من قبل (٢) غ: يظهر "يثار"؛ ب: يظهر "يشار"؛ م: هكذا "يسار" (٣) ب: و (٤) غ: كثير (٥) م: يحتاج أن يقول (٦) ب: فإنما (٧) غ، م: الحواس (غ: الحس) مع محسوساتها فإنها (غ: فإنه) تنفعل (٨) م: بواسطة (٩) م: أنا ندرك...وندرك (١٠) غ، م: أجسامنا (١١) غ: سقط "ماء" (١٢) غ: سقط "ذلك" (١٣) غ: يصلح؛ م: سقط "هيولانية لا يصح" (١٤) غ: موضع (١٥) م: "كالذي" عوض "على الجهة التي" (١٦) غ: أمراض (١٧) غ: تركبت (١٨) م: سقط "فيضطر من...خلط واحد".

تركيب الأمراض والأسباب يدخل تركيب الترياق. وذلك أنه قصد به مقاومة أمراض كثيرة والحفظ منها، فجعل مركبا من أدوية متفننة القوى وجهات كثيرة من مقاومة السموم.

٤- ومثال الحاجة إلى ذلك عند اختلاف طبيعة المرض وطبيعة العضو[١]: المعدة التي تصيبها حمى الدق[؟]. فإنها[٢] من حيث بها حمى دق تقتضي التبريد والترطيب، ومن حيث إنها[٣] معدة تقتضي التسخين والقبض[٤]. وكذلك الحال في السعال الذي يكون عن مادة لاحِجة في قصبة الرئة، فإن الخلط يقتضي التلطيف والتقطيع. وذلك إنما يكون بالأشياء المخشنة[٥]. والرئة من حيث هي رئة تقتضي التمليس.

٥- ومثال الحاجة إلى ذلك عند[٦] اختلاف طبيعة المرض والعضو من جهة الشرف، الورم الذي قد[٧] تناهى في الكبد، فإنه من حيث هو ورم متناه يقتضي الاستفراغ على ما سيقال في حيلة البرء، فإن كثيرا من هذه الأشياء مما ليس هاهنا بينا بنفسه ينبغي أن يوضع هاهنا وضعا، إلى أن يتبين[٨] ذلك في الجزء العلاجي. ولهذا ما يقول جالينوس إن المعرفة بتركيب الأدوية إنما تكون بعد المعرفة بحيلة البرء. ولعل الأمر في ذلك بالعكس: فإنه كما ينبغي أن تكون عند المعالجة قوى الأدوية عتيدة عندنا متى احتجنا إليها كذلك ينبغي أن يكون[٩] الأمر في وجه التركيب، وإلا لم يمكنا أن نعالج. فإما أن نجعل صناعة التركيب جزءا من صناعة العلاج وذلك ممتنع، أو تقدم[١٠] أولا بعد أن نصادر في تعلمها على ما يحتاج إليه مما تبين في الجزء العلاجي. وقد خرجنا عما كنا بسبيله فلنرجع فنقول: وأما من حيث الورم في عضو رئيس جم المنفعة فيقتضي توفير قوته، وذلك يكون بالقابض. وكان هذا راجع إلى اختلاف طبيعة المرض وطبيعة العضو.

٦- ومثال الحاجة من وضع العضو أنّا إذا أردنا أن نوصل الجوهر القابض إلى عمق البدن خلطنا معه ما فيه لطافة لبعد موضعه ليكون للجوهر القابض كالجناح. ومن هذا الجنس خلطهم قليل الزراريح[؟] في أدوية المثانة، والزعفران في أدوية القلب. ومن هذا النوع أيضا خلطهم الشمع[١١] في المراهم التي توضع على الأعضاء التي[١٢] خارج الجسم، فإن تلك الأعضاء تقتضي بوضعها ألا يستقر فيها الدواء إن لم يكن[١٣] في هيولى بتلك الصفة.

---

(١) غ: عضو(٢) غ: وأنها (٣) ب: هي (٤) م: تسخينا وقبض (٥) م: أضيف "للرئة" (٦) غ، م: سقط "عند" (٧) غ، م: يكون قد (م: وقد) (٨) غ، م: نبين (٩) غ: "كان" عوض "كذلك ينبغي أن يكون"؛ م: سقط "ينبغي أن يكون" (١٠) غ: فذلك ممتنع أو يتقدم؛ ب: فذلك ممتنع أو تقدم (يبدو في هذه النسخة أن "وذلك" صححت "فذلك")؛ م: وذلك ممتنع أو قد تقدم (١١) غ: سقط "الشمع"، وربما استدرك في الهامش (١٢) غ، م: أضيف "من" (١٣) غ: يقتضي موضعها...إن لم تكن؛ م : تقتضي بموضعها...وإن لم يكن.

٧- وأما مثال الحاجة إلى التركيب من جهة مشاركة العضو كالمرض الحار الذي[١] في فم المعدة، فإنه ليس ينبغي أن يفرط في تبريده لمشاركته للعضو[٢] البارد الذي هو الدماغ.

[١١٧] فهذه سبع دستورات يعمل عليها في تركيب الأدوية المختلفة القوى[٣] إذا لم يكن في الدواء المفرد ما يحتاج إليه من القوى.

[٤٨- القول في قوانين التركيب : القسم الثاني]

[١١٨] وأما القسم الثاني من الأقسام الأول، وهو إذا كانت القوى التي يحتاج إليها[٤] موجودة في الدواء، لكن يحتاج منها بمقدار أقل أو بمقدار أكثر[٥]، فإن هذا القسم أيضا[٦] يتشعب إلى أقسام: أحدها أنا[٧] نريد فعلا من أفعال الأدوية الأول[٨] فيكون عندنا دواء موجود فيه تلك القوة، إلا أنها تكون أزيد مما نريد أو أنقص فنضطر حينئذ أن نخلط به دواء آخر: إما ما يقوى به فعله أو يضعفه[٩]. والدواء تضعف قوته بأحد أمرين: إما أن نضيف إلى الدواء القوي دواء مضادا لقوته، مثال ذلك إذا كان عندنا دواء في الدرجة الثالثة من الحرارة[١٠] واحتجنا إلى دواء في الدرجة الثانية، خلطنا بذلك الدواء[١١] الذي في الدرجة الثالثة دواء هو من البرودة في الدرجة الأولى. والوجه الثاني أن نضيف إلى الدواء القوي دواء قوته شبيهة بقوته لا مضادة لكن تكون أنقص من قوته الأولى، مثال ذلك أن يكون عندنا دواء في الدرجة الثالثة من الحرارة ونريد أن نحطه عنها فإنا نخلط به دواء هو في الدرجة الأولى من الحرارة.

[١١٩] وهذا[١٢] القانون أعني أن الدواء الأقل حرارة ينقص من الأزيد حرارة[١٣] يصححه جالينوس ويستشهد في ذلك بالماء الحار والفاتر، فإنه متى مزج الحار بالفاتر نقصت حرارته ضرورة. وقد يشكك عليه بأنا نرى أمراضا[١٤] في الدرجة الرابعة أو الثالثة من الحرارة متى سقينا صاحبها دواء هو من الحرارة في الدرجة[١٥] الثانية أضره[١٦]، وقد كان ينبغي على هذا القياس أن يبرده! مثال ذلك أنا إذا سقينا من به حمى محرقة عسلا فإنه يضره على المقام[١٧] مضرة عظيمة. وكذلك من أصابه برد شديد في رأسه فنطلناه بدهن الورد أضررنا به مضرة كثيرة[١٨]! فنقول نحن: أما إن كان الأمر كذلك فإن

---

(١) غ، م: سقط "الذي" (٢) غ، م: لمشاركة (غ: لمشاركته) العضو (٣) غ: سقط "القوى" (٤) غ، م: "تحتاج (غ: يحتاج)" عوض "يحتاج إليها" (٥) غ: أزيد أو مقدار أنقص (ب، م: بمقدار أقل أو بمقدار (م: مقدار) أكثر) (٦) م: سقط "أيضا" (٧) غ، م: أضيف "قد" (٨) غ، م: الأولى (٩) م: إلا أنه يكون...ما نقوي... أو نضعفه (١٠) غ: سقط "من الحرارة" (١١) غ: "بتلك"، وسقط "الدواء" (١٢) م: وهو (١٣) غ: أقل حرارة ينقص من حرارة الأزيد (١٤) غ، م: أضيف "هي" (١٥) غ: سقط "في الدرجة" (١٦) ب: "أحره"، وصححها في الهامش "أضره" (١٧) غ، م: فإنا على المقام نضره (١٨) غ: ...أضررناه به مضرة كبيرة؛ م: فطليناه بالدهن الوردي أضررناه به.

الدواء[١] الآخر هو الذي نسبة الجزء الحار فيه إلى البارد أعظم نسبة من الجزء الحار إلى البارد في الدواء الذي هو أقل حرارة، وأمر البارد فيهما بالعكس: أعني أنه في الآخر أصغر نسبة وفي البارد أعظم. مثال ذلك أن درهما واحدا من الفلفل نسبة الحار فيه إلى البارد أعظم نسبة منه في الدرهم من السنبل؛ وذلك أن الدرهم من الفلفل كأنك قلت خمسة أجزائه حارة وواحد بارد، والدرهم من السنبل جزءان منه حاران وواحد بارد. فمتى خلطنا[٢] الدرهم من السنبل إلى الدرهم من الفلفل كانت ضرورة نسبة البارد إلى الحار[٣] في المجتمع من ذلك أعظم نسبة منها في الفلفل. وهذا[٤] إذا تؤمل ظهر على جهة ما يفيد[٥] الاستقراء. وبرهانه خارج من قوة ما تبين في (المقالة)الخامسة من كتاب الأركان في التعاليم[٦].

[١٢٠] وهذه الأجزاء التي قدرنا أنها حارة أو باردة في الدواء فإنها وإن لم تكن فيه موجودة بالفعل فليس ذلك بضار في هذا التعليم، وهي وإن[٧] لم تكن بالفعل المحض موجودة فهي بضرب من التوسط بين القوة والفعل. ولذلك يمكن في كثير من الأجسام المتشابهة الأجزاء أن تتميز الأجزاء التي منها تركبت بالصناعة، كالحال في اللبن. ويقوي تصور هذا أن الدواء الذي فيه أجزاء حارة أكثر فهو لا شك أكثر استعدادا أن يشتعل عن الحرارة الغريزية من الدواء الذي الأجزاء الحارة فيه أقل، لكن يعرض في بعض الأبدان لشدة حرارتها واستعداد أعضائها أن تحيل[٨] كل ما يرد عليها إلى جوهر ناري، وأنه[٩] إذا ورد عليها ما هو أقل حرارة منها استحال بجملة أجزائه إلى أجزاء نارية فيه. وذلك حال العسل مع صاحب الحمى المحرقة[م]. وكيف لا ونحن نرى في هذه الحمى ماء الخيار يستحيل مرارا! وإذا كان هذا هكذا فلنعمل على صحة هذا القانون في الأدوية. وأما إذا أردنا أن نزيد في قوة الدواء فليس لذلك إلا سبيل واحد وهو أن يخلط بالأضعف ما هو أقوى من جنسه.

[١٢١] ومما هو داخل في القسم الثاني من الأقسام الأول فهو[١٠] متى أردنا عضد قوة ثانية من قوى الأدوية المفردة أو ثالثة أو حطها، وهذا أيضا يتصور على وجوه[١١]:

– أحدها أنا نعمد إلى الدواء الذي نريد حط قوته الثانية فنخلط به دواء قوته مضادة لهذه القوة. مثال ذلك أنه إذا كان دواء في الدرجة الثالثة من التفتيح والتقطيع خلطنا به دواء مسددا في الدرجة الأولى، فيرجع ذلك الدواء مفتحا في الثانية.

---

(١) غ: إن كان كذلك الدواء؛ م: إن كان الدواء (٢) غ، ب، م: "فمتى خلطنا ضرورة"، وفي نسخة ب علامة تصحيح على "ضرورة" يقصد منها نقل الكلمة من هذا الموضع إلى بعد "الفلفل كانت" في نفس السطر، وهذا ما رجحنا. (٣) ب: أضيف "في ذلك" (٤) غ: وهو (٥) م: يعين (٦) غ: سقط "على جهة...التعاليم"؛ م: التعليم (٧) م: "فإن لم تكن...وهي إن" عوض "فإنها وإن...وهي وإن" (٨) غ، م: تحول (٩) غ، م: سقط "وأنه" (١٠) غ، م: "وأما القسم الثاني (غ: الثالث) من هذه الأقسام فهي (غ: فهو)" عوض "ومما...فهو" (١١) غ: أضيف "كثيرة".

– والوجه الثاني أنا نعمد إلى دواء هو أقل تفتيحا منه فنخلطه[1] به فإن هذا يلزم أيضا فيه[2] أن يحط من تفتيح الأول كما لزم ذلك في الكيفيات الأول، إذ كانت نسبة الجوهر المسدد فيه إلى الملطف أعظم نسبة منه في الدواء الأكثر تلطيفا. وأما الوجه في عضد هذه القوى الثواني والثوالث فذلك يكون بأن نخلط بالدواء الذي نريد عضده في ذلك الفعل ما قوته، أقوى من ذلك. وقد يظن أن هاهنا وجها آخر لعضد القوى الثواني والثوالث، وهو أن يخلط بالدواء الواحد دواء هو في مرتبته في قواه[3] الثواني والثوالث، فإنهم زعموا أنه يوجد بالتجربة لمجموع ذينك الدواءين[4] في الأبدان تأثير هو أقوى مما يوجد لكل واحد منهما[5] إذا شرب مفردا، وذلك إذا توخي أن تكون الكمية من المفرد هي بعينها الكمية من المركب: أعني من الدواءين.

[١٢٢] ويشبه أن يكون السبب في هذا أن ذينك[6] الدواءين وإن[7] تساويا في القوى الثواني والثوالث فليس يمكن فيهما أن يتساويا تساويا حقيقيا بل[8] بتخمين، وذلك أنهما لابد وأن يختلفا في لطافة الجوهر وغلظه وتكاثفه وتخلخله وغير ذلك من الأشياء التي بها ذلك الدواء[9] غير الدواء[10] الثاني. وإذا كان ذلك كذلك فإنه تعسر على الطباع إحالتهما لتشتت جواهرهما[11]، إذ كانت المواد التي فيها يمكن أن تستحيل عن الطبيعة[12] غير متساوية فيكون لذلك فعلها[13] أظهر من فعل البدن فيها[14] ويكون انفعال البدن عنها أكثر. وذلك أن البطيء الاستحالة والخروج عن البدن[15] يضبط السريع الخروج، فيكون فعله أشد. والسريع الاستحالة ينفذ إلى الأعضاء والبطيء الاستحالة غير منهضم، فيكون فعله في البدن أقوى من حيث هو دواء. لكن متى سلم هذا القول في القوى الثواني والثوالث فيلزم أن يكون الأمر كذلك في الأول. ولعل الأمر هكذا! وذلك أنا[16] نرى القدماء كثيرا ما يجعلون في المعاجين أدوية قواها الأول والثواني والثوالث قوى واحدة.

[١٢٣] ولكن الذي ينبغي أن يعتقد[17] أنه إنما توجد واحدة بتقريب. وذلك أنه لابد ضرورة أن تختلف بالأقل والأكثر[18]، ولكن تفوت الحس وذلك إذا تنوولت مفردة فإذا ركبت ظهر ذلك فيها. فهذه هي أصناف القسمين الأولين من الأقسام الأول التي قلنا إنها داعية إلى تركيب الأدوية.

---

(١) ب: فنخلط (٢) غ، م: سقط "أيضا فيه" (٣) م: القوة (٤) غ: ذلك الدواء؛ م: "ذلك" عوض "ذينك الدواءين" (٥) غ، م: منها (٦) غ: ذلك (٧) م: سقط "وإن" من المتن، ويبدو أنها استدركت في الهامش ؟؟ (٨) غ، م: أضيف "ذلك" (٩) م: "للدواء الواحد" عوض "بها ذلك الدواء" (١٠) ب: سقط "غير الدواء" (١١) غ، م: إحالتها لتشتت (م: لتشتيت) جواهرها (١٢) م: البدن (١٣) ب: "يستحيل كل واحد منهما عن الطبيعة...لذلك فعلهما" عوض "تستحيل...فعلها"؛ م: أضيف "في البدن" (١٤) غ: سقط "فيها" (١٥) م: سقط "عن البدن" (١٦) ب: فإنا (١٧) غ: نعتقد؛ م: يعتمد عليه (١٨) غ، م: والأنقص.

[٤٩- القول في قوانين التركيب : القسم الثالث]

[١٢٤] وأما القسم الثالث من تلك الأقسام وهو الموضع الذي ليس إنما يحتاج فيه إلى استعمال جميع قوى الدواء بل بعضها، فهذا أيضا يكون على أوجه:

– أحدها أنا لسنا في كل موضع نحتاج إلى استعمال جميع الكيفيات الأول التي في الدواء المفرد بل واحدة منها فقط. مثال ذلك أن يكون الدواء حارا رطبا ونحن إنما نريد أن نستعمل منه قوة الترطيب فقط، فهنا نخلط دواء هو بارد رطب لكن يجب أن تكون برودته مساوية لحرارة ذلك، حتى يكون معتدلا في الحرارة والبرودة رطبا فقط. وكذلك في واحدة واحدة[١] من الكيفيات الأول.

– والوجه الثاني أن تكون الحاجة إنما هي ماسة إلى استعمال قواه الثواني أو[٢] الثوالث أو كليهما لا إلى استعمال كيفياته الأول. مثال ذلك[٣] أن الحاجة إلى سقي بزر[٤] الكرفس في الحميات[٥] إنما هي لتفتيح السدد وتقطيع الأخلاط وإخراجها على طريق البول، وأما حرارته ويبسه فليستا هاهنا بمقصودتين. فهاهنا يجب أن نخلط به[٦] ما يكسر من يبسه وحرارته من غير أن تكون قوته الثانية مضادة للقوة المقصود استعمالها، مثل أن يخلط بالكرفس نيلوفر[م]، بل يجب أن نتحرى من ذلك ما قوته معاضدة للقوة المقصود استعمالها، مثل أن نخلط بالكرفس[٧] بزر البطيخ أو بزر القثاء، فإن في هذين البزرين، مع أنهما باردان[٨]، قوة مدرة. وإن كنا قد تقدمنا فقلنا إن القوة الأضعف التي هي من جنس الأقوى إذا خلطت بالأقوى أنها تضعفه. فهذا أمر يضطر الطبيب إليه هاهنا لأنه لا يقدر على أكثر من ذلك، إذ كان بين أحد أمرين: إما أن يقتصر مثلا على بزر البطيخ والقثاء فلا يبلغ مراده أو على بزر الكرفس فيضر العليل. على أنه غير ممتنع أن يجتمع من تعاضد القوتين عند المزاج فعل أقوى من فعل كل واحد منهما على الانفراد، وإن كانت قوة أحدهما أضعف من الأخرى: فإنا لو أفردنا الجزء الحار من الخل لم يفعل تلك الأفاعيل التي يفعل[٩] من تفتيت[١٠] الصخر وتقطيعه الجلود. وأبعد من ذلك أن يفعل هذا الفعل الجزء البارد منه مفردا، بل إنما له هذا الفعل بمجموع هاتين القوتين.

[١٢٥] فلذلك أيضا لست أمنع كل المنع أن يكون الدواء الأضعف إذا خلط بالدواء الأقوى، كان المجتمع عنهما فعلا أقوى: فإن أفعال[١١] الأدوية في الأبدان إنما

(١) غ، م: واحد واحد (٢) ب، م: و (٣) غ: سقط "ذلك" (٤) م: يظهر "بزور" (٥) م: سقط "في الحميات"
(٦) م: فهذا يجب...فيه (٧) م: ببزر الكرفس (٨) م: "فإن هذين...باردان قوتهما" عوض "فإن في...باردان"
(٩) م: سقط "التي يفعل" (١٠) غ، م: تفتيته (١١) م: فعل.

هو أمر إضافي. وليس ذلك في الحقيقة شيئا تابعا لأجزاء الدواء في نفسه، فرب دواء هو أقل حرارة في نفسه هو أحر بالإضافة إلى بدن الإنسان من الدواء الأكثر حرارة في نفسه. وكذلك غير ممتنع أن يكون المجتمع من بزر البطيخ مثلا وبزر[1] الكرفس أقوى فعلا[2] في بدن الإنسان من فعل الكرفس، وإن كانت الأجزاء التي بها يكون التفتيح والتقطيع في الكرفس مفردا[3] أكثر منها فيه إذا مزج[4] ببزر البطيخ. وهذا كله بين لمن فهم ما كتبناه قبل في أمر الأدوية.

[١٢٦] وهذا القانون قانون مهم في الطب، وهو أكثر شيء تصرفا فيه، بل إذا لحظه الإنسان على ما يجب، لم يعالج -يكاد- بدواء مفرد. وهو لعمري موجود في تراكيب القدماء: مثل فعلهم[5] السكنجبين[م] البزوري وإن كانوا لم يحجبوا منه في هذا التركيب اليبس[6]، بل إنما حجبوا الحر فقط بالخل. وما أريد إلى ذكر السكنجبين البزوري؟! بل السكنجبين الساذج نفسه[7] فإنهم حجبوا فيه حرارة العسل بالخل مع أنه معاضد لفعل العسل الثاني. ولهذا ما يجل[8] قدر الأدوية المفردة التي تضادت فيها القوى الأول[9] وتعاضدت القوى الثواني، مثل البرشاوشان[م] وغير ذلك من الأدوية المفردة. وبالجملة فمنفعة هذا القانون إنما هي بالقوى الثواني والثوالث وهو كما قلنا قانون جامع، وإن كان يوجد في تراكيب القدماء فلم يشيروا إليه بالقول ولا نبهوا عليه. والذين[10] لهم في هذا أفضل التنبيه فهم هؤلاء القوم بنو زهر، فإن لهم لعمري محاسن كثيرة في هذه الصناعة.

[١٢٧] وقد تكون القوى التي يقصد حجبها غير مستعملة في صناعة الطب أصلا، مثل حجبهم ضرر الأدوية المسهلة بالأعضاء الرئيسة. وربما قصد من الدواء حجب طعمه إذا كان بشيعا. وهذا هو العلة في تركيب المعاجين والأشربة على[11] العسل و[12] السكر، مع أنه في بعض المواضع قواه مضادة[13] لقوى الأدوية المقصود استعمالها، مثل استعمال القبض والتبريد. فهذه جملة القوانين التي يعمل عليها في تركيب الأدوية.

[٥٠- قوانين كمية ما يستعمل من الدواء]

[١٢٨] وأما القوانين التي يعمل عليها في كمية ما يجعل من الدواء المفرد في المركب[14] فهي على أوجه: أحدها أنه لما كان ليس أي كمية اتفقت تسقى من الدواء[15] بل كمية محدودة، وذلك لموضع قوة[16] الدواء وضعفه، لزم أن يعتبر ذلك في المركب

(١) غ: سقط "بزر" (٢) م: أضيف "منه" (٣) ب: مثلا (٤) م: مزجت (٥) غ، م: سقط "فعلهم" (٦) م: أضيف "نفسه" (٧) ب: بعينه (٨) ب: هكذا "يجل" .م .ت . غ : يحل (٩) م: سقط "الثاني ولهذا...القوى الأول" (١٠) غ: والذي (١١) م: من (١٢) غ: أو (١٣) غ: مواضع قواه متأخرة (١٤) م: سقط "المفرد في المركب" (١٥) غ، م: أضيف "مفردا" (١٦) غ: "لقوة" عوض "لموضع قوة".

فنجعل من الدواء القوي كمية أقل ومن[١] الضعيف كمية أكثر على حال ما فعل في الترياق. والثاني أن يكون في الدواء المركب دواء كثير المنفعة في الغرض المقصود بالمركب. وسائر الأدوية إنما جعلت لمكانه (لأجله: الغرض المقصود)، كزبيد اللك[م]، وغير ذلك من المركبات التي تنسب إلى دواء واحد فيها. وربما كان يلقى منه مقدار[٢] أكثر لكثرة منافعه، وربما كان السبب في كثرة ما يلقى من الدواء بعد العضو. وهذا راجع إلى ضعف قوة الدواء بالإضافة إلى ذلك العضو. وربما تعاضدت هذه الأسباب، وربما تضادت. مثال ذلك أنه إذا اجتمع في الدواء كثرة المنفعة في الغرض المقصود منه وضعفه، وبعد العضو، فينبغي أن يلقى منه مقدار أكثر[٣]. وإذا اجتمعت أضداد هذه فيلقى منه[٤] شيء هو في غاية القلة، ولا سيما إذا اجتمع فيه مع قلة[٥] المنفعة مضرة ما. وإذا تقاومت هذه الأسباب جعل منه مقدار وسط[٦] في الكثرة والقلة.

[١٢٩] وأما الأدوية المسهلة، فلما كانت كميتها ليست تحتمل من التقريب في الزيادة والنقصان[٧] ما تحتمله سائر الأدوية، وجب أن يسلك في تركيبها أحد أمرين: إما أن يجعل من كل واحد منها شربة كاملة، مثال ذلك إن كانت أربعة أدوية أخذنا من كل واحد منها شربة واحدة[٨] ثم نسقي[٩] من مجموعها على نسبة الواحد منها إلى الكل، مثال ذلك إن كانت أربعة أدوية سقينا منها الربع. والوجه الثاني أنا نأخذ من الشربة التامة من كل دواء على نسبة الواحد منها.

[١٣٠] فهذه هي جميع الدستورات والقوانين التي يعمل عليها في الكمية. ولما كان أهم شيء على الطبيب إذا ركب دواء ما أن يعلم في أي درجة هو من قواه الأول والثواني والثوالث، إن أمكن، فقد ينبغي أن نقول في ذلك، فنقول:

[٥١- ضرورة معرفة درجة قوى الأدوية]

[١٣١] إنه متى أراد الإنسان الوقوف على مرتبة دواء مركب من الكيفيات الأول، فالسبيل إلى ذلك يكون بتأمل[١٠] درجات الأدوية المفردة[١١] التي فيه، فإنها لا تخلو أن تكون من جنس واحد، أعني حارة كلها أو باردة[١٢] أو يابسة أو رطبة أو تكون من قوى متضادة، أعني حارة وباردة ورطبة ويابسة. والقسم الأول أيضا لا يخلو من أحد أمرين: إما أن تكون تلك الأدوية المتجانسة القوى في مرتبة واحدة من القوى التي

---

(١) م: أقل كمية ومن الدواء (٢) غ، م: منها مقدارا (غ: مقدار) (٣) غ: مقدارا كثيرا (٤) ب: فينبغي أن يلقى منها (٥) م: "معرفة" عوض "مع قلة" (٦) غ: منه وسطا؛ ب: منها... (٧) غ: أو النقص (٨) م: سقط "واحدة" (٩) غ: "ربع شربة ثم يسقى" عوض "شربة واحدة ثم نسقي" (١٠) غ، م: بأن يتأمل (١١) م: سقط "المفردة" (١٢) م: سقط "أو باردة".

تجانست فيها، كأنك قلت في[1] مرتبة واحدة من الحرارة أو اليبوسة[2]، وإما أن تكون في ذلك متفاضلة حتى يكون فيها ما هو معتدل وما هو حار في الأولى وفي الثانية وفي الثالثة وفي الرابعة. والقسم الثاني أيضا[3] لا يخلو أن تكون تلك الأدوية المتضادة في مرتبة واحدة من التضاد أو[4] تكون في ذلك متفاضلة حتى يكون في ذلك حار في الثالثة وبارد في الأولى ويابس في الثانية ورطب في الأولى.

[١٣٢] وقد تتركب هذه الأربعة[5] الأصناف فتوجد في دواء واحد. لكن إذا عرفت قانون البسيط عرفت ضرورة[6] قانون المركب. فوجه النظر: أما في القسم الأول وهو الذي الأدوية فيه متجانسة القوى في مرتبة واحدة فيشبه أن تكون مرتبة المجتمع منها مرتبة المفردات بأعيانها، إن لم يعرض لها عند الامتزاج صورة تكون بها[7] بالإضافة إلى بدن الإنسان أحر من المفردات أو أبرد، ولا سيما في الأدوية التي تخمر[8]. لكن لنعمل على أن الأمر في الأكثر يكون على هذا.

[١٣٣] وأما متى كانت الأدوية متضادة في مرتبة واحدة من التضاد، فالأمر في ذلك بين أنها إنما[9] تتقاوم حتى يعتدل الدواء، لكن بعد شريطة واحدة وهي أن تكون كمياتها في الدواء الكمية التي بها تكون لها تلك المرتبة من القوة. فإنه ليس كل دواء يكون حارا في الأولى أو في الثانية بأي كمية اتفقت. فإن العسل حار في الثانية لكن إذا تنوول منه مقدار أوقيتين. والصندل بارد في الثانية إذا شرب منه مقدار درهم ونصف أو درهمين. فدرهمان مثلا من صندل يقاوم أوقيتين من العسل، وليس درهمان من العسل يقاوم درهمين من الصندل[10].

[١٣٤] فإن كانت الأدوية المتضادة القوى في المركب ليست في مرتبة واحدة، بل[11] يكون فيها بارد في الأولى[12] مثلا وحار في الثالثة وبارد في الثانية وحار في الرابعة، فبين أيضا أن الأبرد يكسر من الأحر بمقدار مرتبته في البرودة، إن درجة فدرجة وإن درجتين فدرجتين. فالبارد في الأولى يصرف الحار في الثالثة حارا في الثانية. وكذلك البارد في الثانية[13] يصرف الحار في الرابعة إلى الثانية، لأنه إنما يقاوم[14] منه أبدا عدد درجاته. ولذلك كان الحار والبارد في مرتبة واحدة يتقاومان. وأما البارد في الثانية فإنه يصرف الحار في الثالثة إلى الحار في الأولى. هذا كله إذا[15] تساوت كميات الأدوية، وأعني بتساويها لا التساوي في الوزن لكن التساوي في القوة. وتلك الكمية هي أول مرتبة من المراتب التي يظهر فيها فعل الدواء في البدن، فإن اختلفت القوى المتضادة

---

(١) غ، م: سقط "في" (٢) ب: واليبوسة؛ م: واليبس (٣) ب: سقط "أيضا" (٤) غ: هكذا "لم" (٥) م: سقط "الأربعة" (٦) ب: سقط "ضرورة" (٧) م: فيها (٨) م: تخمن (٩) غ، م: سقط "إنما" (١٠) م: من عسل...عسل...صندل (١١) م: بأن (١٢) ب: الأول (١٣) ب: أضيف "فإنه" فوق السطر (١٤) غ: يقوم (١٥) غ، م: متى.

بالأقل والأكثر واختلفت الكميات أيضا بالأقل والأكثر، نظرنا: فإن كان الدواء الأضعف أكثر كمية كأنك قلت ضعفي كمية الأقل فهو ضرورة يحط من الدواء الأقوى مرتبة أخرى سوى المرتبة التي حطها بكيفيته، مثال ذلك متى[1] كان معنا دواء حار في الثالثة وبارد في الأولى، وكان البارد ضعف الكمية[2] التي هي في أول مرتبة من المراتب التي يظهر فيها فعل ذلك الدواء، وكان الحار إنما منه في الدواء كمية الأقل، فإن الدواء البارد هنا ليس يصرف الحار إلى الثانية فقط بل إلى الأولى. وإن كان ثلاثة أضعافه في الكمية صرفه معتدلا، وكذلك أيضا متى كان البارد أو الحار أقل كمية من كمية الأقل[3] لم يعتبر. وأما إن كان الأمر في ذلك بالعكس أعني أن يكون الدواء الأقوى أكثر كمية من كمية الأقل والأضعف في كمية[4] الأقل، فإن[5] الأضعف أيضا إنما يحط من القوي بمقدار نسبة الكمية. فإن كانت كمية الأقوى مثلا ضعف كمية الأقل، والأضعف في كمية الأقل، وكان الأضعف، كأنك قلت حار في الدرجة الأولى والأقوى[6] بارد في الدرجة الثالثة، فإن[7] الأحر هاهنا ليس يحط البارد في[8] الثالثة إلى الثانية، بل يحطه عن الثالثة[9] بمقدار وسط بين الثالثة والثانية، والعلة في هذا أجمع[10] أن الدواء[11] متى تضاعفت كمية الأقل تضاعفت كيفيته وخرج عن درجته في الحرارة أو البرودة إلى درجة أخرى، ولذلك متى شرب أحد من الدواء الذي في الدرجة الثالثة من الحرارة أو البرودة أضعاف كمية الأول[12] قتل ضرورة على جهة ما تقتل السموم.

[١٣٥] وأما الأدوية المتجانسة في[13] القوى المختلفة المراتب في ذلك فإن القانون أيضا في ذلك[14] أن الأنقص قوة يحط من الأقوى. وقد أعطينا السبب في ذلك. لكن ينبغي أن يتصور هذا على[15] الوجه الذي أقول[16]: وذلك أنه[17] لما كانت الأدوية المتضادة القوى إنما يحط بعضها من بعض بقدر[18] ما فيها من تعادل التضاد، أعني مثلا أن الدواء البارد في الأولى إنما يحط من الحار في الثانية بمقدار ما تزيدت فيه[19] البرودة وهي درجة واحدة، فالواجب أيضا في الأدوية المتجانسة القوى أن يحط الأضعف منها من الأقوى بقدر[20] ما نسبة[21] الضد في الدواء الأضعف إلى ضده الذي هو[22] أعظم نسبة منه في الدواء الأقوى. مثال ذلك أن الحار في الدرجة الأولى البارد فيه أعظم نسبة إلى الحار منه في الدواء الحار في الدرجة الثانية، وفي الثالثة أصغر منه في[23] الثانية.

---

(١) م: سقط "متى" (٢) غ: كمية (٣) غ: الأولى؛ م: الأول (٤) غ: كميته؛ م: سقط "كمية الأقل والأضعف في كمية" (٥) ب: أضيف "كان" وربما شطب عليها (٦) ب: والآخر (٧) م: أضيف "الجزء" (٨) م: أضيف "الدرجة" (٩) م: الثانية (١٠) م: سقط "أجمع" (١١) م: أضيف "الا" (١٢) غ: كميته الأولى (١٣) غ، م: سقط "في" (١٤) ب: في ذلك أيضا؛ م: سقط "في ذلك" (١٥) ب: سقط "على" (ثبت في غ) (١٦) م: سقط "وقد أعطينا...الذي أقول" (١٧) غ: أنا (١٨) م: بمقدار (١٩) غ: "في الأقل إنما يحط من الثاني في الحرارة بقدر ما تزيدت فيها" عوض "في الأولى...فيه"؛ ب: أضيف "من" (٢٠) م: بمقدار (٢١) غ: نسبته (٢٢) غ، م: سقط "الذي هو" (ب: كتب "الذي هو" في الهامش) (٢٣) غ، م: من.

[١٣٦] وإذا كان ذلك كذلك فالدواء المعتدل مع[١] الأدوية المتجانسة القوى هو أقرب المراتب في أن يحط ما فوقه إذ[٢] كانت نسبة التضاد فيه تقرب من أن تكون نسبة تعادل، ثم بعده ما كان في الدرجة الأولى ثم في الثانية ثم في الثالثة. مثال ذلك أنا متى خلطنا دواء معتدلا مع حار[٣] في الدرجة الثانية فإنه ليس في قوته أن يصرفه إلى الدرجة الأولى، لأن الذي يفعل[٤] ذلك إنما هو البارد في الأولى لكن يحط منه ما ليس يبلغ[٥] به هذه المرتبة. فإن خلطنا به بدل[٦] المعتدل حارا في الأولى حط منه أيضا، لكن[٧] أقل مما يحط المعتدل إذ كان الدواء الحار في الأولى نسبة[٨] البارد فيه إلى الحار أصغر نسبة منها في[٩] المعتدل، كما أن[١٠] نسبته في المعتدل أصغر من نسبته في البارد في الأولى[١١]. ولذلك لم يمكن في الدواء المعتدل أن يحط من الحار مثلا في الثانية مثل ما حط البارد في الأولى، ولا يمكن أيضا الحار في الأولى أن يحط من الحار في الثانية كما يحط المعتدل، ولا[١٢] أن يحط الحار في الثانية من الحار في الثالثة[١٣] مثل ما يحط الحار[١٤] في الأولى. وأكثر من ذلك المعتدل أو البارد في الأولى.

[١٣٧] لكن إنما يكون هذا كله بعد أن يتحفظ بتساوي الكميات، أعني بتساوي القوة. وهذا كله بين بنفسه إذا تؤمل. ولجهل الحدث من الأطباء بهذه الأشياء تراهم يقولون إن الدواء الحار في الأولى إذا خلط مع حار في الثالثة صيره حارا[١٥] في الثانية. ليت شعري! إذا خلط[١٦] به البارد في الأولى إلى أي درجة يصيره البارد؟ فإن قالوا إلى المرتبة الثانية فقد صار الحار في الأولى والبارد في الأولى[١٧] يصيران[١٨] الحار في الثالثة[١٩] إلى مرتبة واحدة! وإن قالوا إن البارد في الأولى يصير الحار في الثالثة حارا في الأولى[٢٠] فسيصير البارد في الثانية[٢١] الحار في الثالثة معتدلا! وهذا كله تخبط.

[١٣٨] والذي أوقعهم أولا في هذا التخبط إنما هو الرجل المعروف بالكندي. وذلك أن هذا الرجل كتب مقالة أراد فيها أن يتكلم في القوانين التي بها تعرف طبيعة الدواء المركب، فخرج إلى التكلم في صناعة العدد وصناعة الموسيقى، على جهة ما يعرض لمن ينظر في الشيء النظر الذي بالعرض. وأتى هذا الرجل في ذلك الكتاب بهذيانات وشناعات[٢٢]، وجعل يقول إن نسبة الدرجات الأربع من درجات الأدوية هي نسبة الأضعاف، حتى تكون الدرجة الرابعة ستة عشر ضعفا. وذلك أنه جعل الأولى[٢٣] ضعف المعتدل والثانية ضعف الأولى[٢٤] والثالثة ضعف الثانية والرابعة ضعف الثالثة، فهلا

---

(١) غ، م: في (٢) م: إذا (٣) م: وحارا (٤) م: يعمل (٥) ب: تبلغ (٦) م: أضيف "هذا" (٧) غ: سقط "يحط منه ما...منه أيضا لكن" (٨) غ: الأول نسبته (٩) غ، م: إلى (١٠) ب: سقط "أن" (١١) غ: الأول (١٢) غ: أضيف "يمكن أيضا" (١٣) م: سقط "كما يحط...في الثالثة" (١٤) م: شطب على "الحار" وكتب فوقها "البارد" (١٥) غ، م: سقط "حارا" (١٦) غ، م: فإذا خلطنا (١٧) م: سقط "إلى أي درجة...في الأولى" (١٨) م: يصير (١٩) غ: الثانية (٢٠) م: ثبت "إلى مرتبة واحدة" (٢١) غ: الثاني (٢٢) ب: "شنيعة" (٢٣) م: الأول (٢٤) نفسه.

كفاه في ذلك أن يقول إن الثانية ضعف الأولى والثالثة ثلاثة أضعافها والرابعة أربعة أضعافها؟! فإن هذا هو الذي قصد في ترتيبها لتكون مراتبها متساوية[1]. وذلك أنهم أخذوا أول دواء ظهر منه على البدن حرارة محسوسة فجعلوه في الدرجة الأولى، ثم عمدوا إلى دواء بُعدُه عن هذا بُعدَ هذا[2] عن المعتدل، فجعلوه في الثانية، فهذا لاشك هو[3] ضعف[4] الأول. ثم عمدوا إلى دواء بعدُه عن الثانية بعدَ الثانية[5] عن الأولى فجعلوه في الثالثة. فهذا فيه ثلاثة أضعاف الأول وكذلك في الرابعة.

[١٣٩] وأما على رأي الكندي فإنه يلزم أن يكونوا[6] قد جعلوا المرتبة الثانية تزيد على الأولى[7] بضعف[8] ما تزيد الأولى[9] على الوسط، والثالثة على الثانية بضعف ما تزيد الثانية على الأولى[10]. فأي ضرورة، ليت شعري، كانت تدعو الأطباء أن[11] يتحفظوا بهذه النسبة؟ وعلى هذا فكانت تكون الأدوية التي في الدرجة الثالثة قاتلة فضلا عن الرابعة، لأن أدوية[12] تخرج عن المعتدل ستة عشر درجة كيف حال الأبدان معها؟ وأيضا فكان يكون بُعد الدرجة الرابعة من الثالثة ليس بعد الثالثة[13] من الوسط، فكان يجب عليهم في مثل هذا العرض أن يدرج[14]! وكذلك فيما بين الثالثة والثانية! فإنه ليس على هذا[15] تكون مراتب الدرج متساوية.

[١٤٠] وأي اختلال في هذه الصناعة أعظم من هذا الاختلال؟! وذلك أن ما[16] قُصِد له من أول الأمر من حفظ مراتب زيادة القوى بعضها على بعض كان يفوتنا؟ وذلك أن المرتبة مثلا التي نسبتها إلى الأولى في التساوي نسبة الأول[17] إلى المعتدل كانت تفوتنا[18]؛ وأكثر من ذلك فيما بين الدرجات الأخر. لأنه على رأي الكندي كلما ارتفعت[19] عَظُم العرضُ بينها[20] حتى لو كانت هناك درجة خامسة لكانت اثنين وثلاثين جزءا، لأنها[21] كانت تزيد على الرابعة ستة[22] عشر جزءا.

[١٤١] وهذا كله هذيان وخرافات[23] وتكلم في أشياء ليس لها وجود أصلا. ووجه غلط الكندي أنه جعل في الدرجة الأولى ضعف ما في المعتدل من الكيفية الحارة أو الباردة، فلزمه أن يتبع نسبة الضعف. ولقائل أن يقول له: إن الذي قصده جالينوس بالدرجة الأولى هو ما يزيد على المعتدل جزءا من عشرة. وعلى هذا إذا تركبت نسبة

---

(١) غ: مستوية (٢) م: عن هذا الأول بعد هذا الأول (٣) ت: هنا نهاية البتر المشار إليه آنفا (٤) م: أضعاف (٥) غ: الثالثة (٦) م، ت: يكون (٧) م: سقط "على الأولى"، ورغم أن هنا إشارة إلى الهامش لا يبدو منه شيء؛ ت: الأول (٨) ب: ضعف (٩) ب: يزيد الأول (١٠) غ: سقط "بضعف ما...على الأولى"، ورغم أن هنا إشارة إلى الهامش لا يبدو منه شيء (١١) غ: إلى أن (١٢) غ: الأدوية (١٣) ب: الثانية؛ م: أضيف "من الثانية بل بعد الثالثة" (١٤) م: يزوجوا (١٥) غ، م: على هذا ليس (م: ليست) (١٦) غ: إنما؛ ت: في المتن "إنما" وفي الهامش "لما" (١٧) ب: سقط من المتن "الأول"، ووضعت علامة فوق "إلى" التي بعدها ولا يبدو هنالك هامش (١٨) م: سقط "وذلك أن المرتبة...تفوتنا" (١٩) غ، ت: ...ارتفع؛ م: كما ارتفعت (٢٠) م: بينهما (٢١) م: أضيف "لو" (٢٢) م، ت: بستة (٢٣) م، ت: سقط "وخرافات".

الضعف في زيادة الدرجات ليس يلزم أن يكون الدواء الذي في الدرجة الرابعة ستة عشر ضعفا للمعتدل. وقد يدلك على هذا أن جالينوس قال: وأعني بالدرجة الأولى ما يظهر للحس أول ما يظهر من تغير البدن. ولو كان يعني بالدرجة الأولى ضعف المعتدل لم يكن التغير الذي يظهر في البدن أول تغير. فتأمل هذا فهو بين! ولكن عادة الناس إذا غلط رجل معروف أن يتبعوه لما غلب على طبائعهم من قوة التقليد[1].

[١٤٢] فهذا هو القول في جميع القوانين التي بها يقف الإنسان على طبائع الأدوية المركبة وتركيبها[2] إذا شاء، والوجه في معرفة درجة المركب[3] في القوى الثواني والثوالث مع [4] الوجه في معرفة[5] القوى الأول إذا[6] كانت القوى[7] الثواني والثوالث[8] مدرجة عندنا. وهذا شيء أهمله الأطباء.

[١٤٣] وقد يسأل[9] سائل فيقول: إذا كان تركيب الأدوية إنما هو شيء فاعله القياس، وكان[10] الدواء المركب تعلم بالقياس قواه الأول والثواني والثوالث، فهل للتجربة مدخل في سبار أفعاله، كما كان[11] الاعتماد عليها في معرفة قوى الأشخاص المفردة؟ فنقول أما القوى الأول والثواني والثوالث فلا حاجة بنا إلى تجربتها في المركب، فإنها مدركة بالقول. وأما إن كان يمكن أن يحدث في الدواء المركب عند[12] امتزاجه وتركيبه[13] خاصة ما فللتجربة هاهنا مدخل كبير، لأن تلك الخاصة قد تكون موافقة للمقصود[14] من تركيبه وقد تكون غير موافقة. لكن الخواص المضادة[15] للمزاج إنما تحدث[16] أكثر ذلك في المزاج الطبيعي لا الصناعي، وإن كان لا يبعد وجود الخاصة في الأدوية التي تخمر، لأن المزاج[17] فيها أكثر. ولذلك يرى ابن سينا أن أكثر أفاعيل الترياق هي خواص له تابعة لجوهره لا يمكن تعليله، ويرى أن لا يغير شيئا[18] من النسخة القديمة التي لأندروماخس[19]. وأما أنا فقد كنت أرى أن أزيد أدوية كثيرة في الترياق لم تكن بعد مشهورة في ذلك الزمان أو كانت إلا أنهم أغفلوها، مثل العود والعنبر والقرنفل وغير ذلك.

[١٤٤] وإذ قد تكلمنا في قوانين التركيب فينبغي بعد هذا أن نذكر من الأدوية المركبة أشهرها، ونعطي فيها أسباب تركيبها. وبالجملة فنسبرها بهذه القوانين التي سلفت، فما كان فيها[20] من نقص بيناه وما كان فيها[21] قد وضع موضعه أعطينا أيضا

---

(١) غ، م. ت: سقط "أصلا (غ: كتب "أصلا" في الهامش) ووجه غلط الكندي...طبائعهم من قوة التقليد" (٢) غ، ب، ت: ويركبها (م: وتركيبها) (٣) م: درجات المركب، ت: درجة المركبة (٤) غ، ت: هو، ب: مع، وأما في نسخة م فهنا بداية سقط نشير إليه في الهامش أدناه (٥) غ، ت: أضيف "درجة" (٦) غ: إذا. م. ت ب: إذ (٧) غ، ت: سقط "القوى" (٨) م: سقط "مع الوجه...والثوالث" (٩) ب: ثبت في المتن "يسأل"، وفي الهامش "يسئله" (١٠) ت: وكذلك (١١) ب: أن (١٢) غ، ت: عن (١٣) ب: تركيبه ومزاجه (١٤) ت: المقصود (١٥) م: المتضادة (١٦) غ: تكون (١٧) م: المزج (١٨) غ، ت: شيء (١٩) غ، م: لأندروماخش (٢٠) ت: منها (٢١) م: من تقصير قلناه وما كان هنا.

السبب في ذلك. وهذا إن[1] لم يكن ضروريا فإن فيه ارتياضا ما[2]. وكما أن صاحب الموسيقى بعد أن يعطي أسطقسات الألحان وأصناف تركيبها فقد يتكلم في الآلات المشهورة ليقع بذلك الارتياض، كذلك ينبغي أن يكون[3] الأمر هاهنا[*]. هنا انتهى القول والحمد لله[4].

(*) لم يذكر ابن رشد ما وعد به هنا من الإتيان بالأدوية المركبة وأسباب تركيبها، -وكان قد نص على ذلك أيضا في مقدمة هذا الكتاب، كتاب الأغذية والأدوية- بل انتقل مباشرة إلى كتاب حفظ الصحة.

---

(١) غ، ت: وإن (٢) ت: سقط "ما" (٣) غ، م، ت: سقط "ينبغي أن يكون" (٤) ثبت في غ و ت "تم القول" وفي م "بلغت القابلة" عوض "هنا انتهى القول والحمد لله"، وأضيف في ب بخط مختلف: "بلغت القراءة والمقابلة والحمد لله حق حمده"؛ ثم تحتها في أسفل الصفحة: "بعض من هذا الجزء الاشتراط الذي اشترط أنه يذكر من المركبات أشهرها وأهمل...(كلمة غير مقروءة) ولم يذكره فتأمله".

الكتاب السادس

حفظ الصحة[1]

(١) ب: أضيف "بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وآله وسلم تسليما".

[١- الطب من ميدان الممكن وليس من ميدان الحتمي]

[١] هذا الجزء[١] هو أشرف الغايتين المطلوبتين بهذه الصناعة، وهو بالجملة ينقسم أولا إلى قسمين: أحدهما يقال فيه كيف تحفظ الصحة. والآخر كيف تبطل الاستعدادات للأمراض المتكونة في الأبدان الصحيحة[٢]. وكأن هذا الجزء هو وسط بين حفظ الصحة وإزالة الأمراض[٣].

[٢] وهذه الصناعة إنما في قدرتها أن تحفظ أبداننا من الفساد الداخل عليها بالعرض، وذلك يكون في الأكثر من تولد فضول الأغذية في أبداننا: فإنه من البين بنفسه أنه ليس بأي تدبير اتفق، ولا بأي أغذية اتفقت، تكون سلامة أبداننا على حالة واحدة. وهذا هو أحد الأصول الموضوعة في هذه الصناعة؛ وإلا لم تكن صناعة فاعلة. وأما[٤] مقدار ما تبلغ من ذلك فهو المقدار الذي تبلغه[٥] الصنائع التي غاياتها ممكن على[٦] الأكثر حصولها(*)، وأعني بذلك حصولها[٧] لأكثر موضوعاتها[٨] في أكثر الأزمنة. مثال ذلك أن التدبير الذي يصفه جالينوس للمعتدل المزاج هو تدبير يبلغ به في الأكثر[٩] مَن مزاجه ذلك المزاج أقصى ما في طباعه أن يبلغه من العمر. فإن الهرم الطبيعي وهو الذي يكون باستيلاء البرد واليبس لا تأثير لهذه الصناعة فيه، وإلا أمكن أن يكون ناس خالدين[١٠]. وهذا كله بين بنفسه.

[٣] والسبب في أن غاية هذه الصناعة قد يخل وجودها في موضوعها على الأقل، هو السبب فيما يشبهها من الصنائع الممكنة[١١] كقيادة الجيوش والملاحة: وذلك ليس أكثر من الاستعدادات الهيولانية: فإنه غير ممتنع أن نتوهم شخصين معتدلي[١٢] المزاج قد تدبرا تدبيرا واحدا، أحدهما بلغ بذلك التدبير أقصى ما في طباعه أن يبلغه من العمر، والآخر تولدت فيه عن ذلك التدبير[١٣] أخلاط رديئة فقتلته؛ وذلك من رداءة استعداد في مزاجه لتولد[١٤] تلك الأخلاط، وإن كان لم يظهر لنا ذلك الاستعداد، لأن رُبّ استعداد في الطباع ليس عليه علامة ولا دليل، إذ كانت الاستعدادات غير متناهية.

---

(١) ب: أضيف "من الطب" (٢) ت: الصحية (٣) م: المرض (٤) غ، ب، ت: فأما (٥) غ: الذي يبلغه؛ ب، ت: التي تبلغه (٦) غ: ...عن؛ ت: غايتها ممكن عن (٧) ت: يظهر تشطيب على "وأعني بذلك حصولها" (٨) ت: موضوعاته (٩) غ، ت: تدبير في الأكثر يبلغ به (١٠) ت: هكذا "خلدين" عوض "ناس خالدين" (١١) م: في الهامش "غايتها" (١٢) م: معتدلين في (١٣) غ، ب، ت: تولدت عن ذلك التدبير فيه (١٤) غ: بتولد.

(*) بمعنى: لا حتمية في الطب: نجاح العلاج يكون بالأكثر أي بنسبة مئوية تفوق النصف (والعكس: الأقل).

ومن يرى أن ذلك التدبير الذي يصفه جالينوس لذلك المزاج يبلغ به ضرورة صاحبه أكلأ[١] العمر فهو جاهل بجهة حصول غاية هذه الصناعة عن أفعالها، على ما يرى ذلك ويعتقده عوام[٢] الأطباء. ومن هنا[٣] قيل إن الآجال بقدر. وكذلك أيضا ليس يمتنع أن يكون إنسان مزاجه هذا المزاج يتدبر[٤] بغير هذا التدبير ويبلغ من عمره الغاية التي يبلغها من يتدبر التدبير الكثير التخليط. لكن هذا كله في الأقل وبالعرض. ولذلك ليس يخلّ هذا بهذه الصناعة[٥]، ولا يسقط فائدتها. وكثير من الناس يتفق لهم أن تكون شهواتهم ومهنهم[٦] موافقة لطبائعهم فتطول أعمارهم. وربما كان الأمر بالعكس. ومن نسب الأمراض إلى ما يوجد عن الاختيار وعن الأشياء التي من خارج، فقد نسبها إلى نصف أسبابها: إذ كانت هذه الأشياء منزلتها منها فقط منزلة الأسباب الفاعلة. لكن لموضع شهرة هذا السبب يكاد الأطباء أن ينسبوا جميع ما يطرأ من الأمراض والآفات العارضة[٧] إليه، وإن طرأ أمر لم يتقدمه تدبير رديء تحيروا وقالوا: إن ذلك بأمر إلهي. وذلك جهل منهم ضرورةً (جهل منهم بكون طبيعة الجسم تقتضي أن يمرض ويموت).

[٢- الأمور التي تدخل الفساد على بدن الإنسان]

[٤] وإذ قد قلنا في مقدار ما تفيده[٨] هذه الصناعة فلنرجع إلى حيث كنا من تعديد الأسباب المدخلة علينا الفساد بالعرض[٩] التي[١٠] يمكننا بهذه الصناعة التحرز منها؛ وتلك الأسباب هي الفاعلة فقط. ومن هذه ما كان وجه التحرز منها غير بين بنفسه، لأن تحرز الإنسان من حرق النار وقطع السيف ورض الحجر ليس يحتاج في ذلك إلى صناعة، إذ كان ما هو من ذلك إلى اختيارنا، فالتحرز منه بين بنفسه. وما لم يكن من ذلك باختيارنا[١١] فلا تأثير لنا فيه فنقول:

[٥] ومن الأسباب[١٢] المدخلة علينا الفساد بالعرض تغيرُ الأهوية والرياضة غير الملائمة، مثل الصنائع الصعبة التناول، والعوارض النفسانية مثل الغضب والفزع، وبالجملة[١٣] جميع الأشياء التي تكسب[١٤] سوء المزاج المادي وغير المادي. ولما كانت هذه الأشياء هي التي[١٥] تدخل علينا الفساد العرضي[١٦] كانت هي بأعيانها[١٧] التي تلتئم إما بالتحفظ منها، أو بإتيان الوسط فيها[١٨] إن كان مما له وسط في[١٩] حفظ الصحة، ولذلك

---

(١) ب : ورد في الهامش عبارة يظهر منها ما يلي: "...اكلْأ العُمُر أقصَاهُ"، وعليها علامة، ولعله شرح من ناسخ آخر أو تصحيح... (٢) ب : عامة؛ ت: نرى ذلك يعتقده عوام (٣) غ، ت: ومن هذا؛ ب : فمن هاهنا؛ م: ومن هنا (٤) غ: سقط "يتدبر" (٥) غ، م، ت: "بالصناعة" عوض "بهذه الصناعة" (٦) ت: هميهم (٧) غ: كتبت "العارضة" فوق السطر؛ ب : سقط "العارضة" (٨) ت: تقيده (٩) ت: يظهر بالغرض (١٠) م، ت: الذي (١١) غ، م، ت: لاختيارنا (١٢) غ، ت: الأشياء (١٣) ب: سقط "بالجملة" (١٤) ت: يظهر "بحسب" (١٥) ب: سقط "هي التي" (١٦) ت: الأرضي (١٧) غ، ب، ت: أضيف "هي" (١٨) ب: منها (١٩) غ، ت: سقط "في".

ليس يلتئم حفظ الصحة بشيء[١] سوى استعمال[٢] الأطعمة المعتدلة الكيموس[م] مقدرة الكمية والوقت والوضع[٣] واستفراغ الفضول وإصلاح الأهوية[٤] وتجنب العوارض النفسانية المكسبة سوء المزاج. وأملك هذه هي استعمال الأغذية على القانون الطبي[٥]، واستفراغ الفضول، وهذه هي التي القول فيها أكثر في هذه الصناعة.

[٦] والفضول تستفرغ بالرياضة والدلك والاستحمام، وقد تستفرغ بالأدوية وخاصة[٦] الأمزجة غير المعتدلة. وهذا النوع من استفراغ الفضول بالرياضة والدلك والاستحمام والأدوية هو داخل[٧] في جنس الحفظ الذي هو التوقي مما شأنه أن يحدث. ولذلك قد ينبغي أولا أن نقول هاهنا في أنواع الدلك وأفاعيله وأنواع الرياضة وأفاعيلها، ثم نصير بعد ذلك إلى كيف يحفظ مزاج مزاج[٨] من الأمزجة التسعة. فأما القول في[٩] قوى الأدوية فقد تلخص فيما قبل[١٠]. والذي بقي هاهنا من أمرها أن يقال[١١] كيف تحفظ بها[١٢] الصحة. وكذلك الأمر في الأغذية فقد قيل أيضا في قواها؛ والذي بقي هاهنا القول فيه كيف تستعمل ومتى تستعمل. ولنبدأ من القول[١٣] في الرياضة، فنقول:

[٣- الرياضة: أنواعها، فوائدها]

[٧] إن الرياضة بالجملة هي حركة الأعضاء بإرادة ما[١٤]. وذلك أولا للأعضاء التي شأنها أن تتحرك بهذه الحركة، وهي جميع الأعضاء التي لها حركات[١٥] إرادية. وثانيا للأعضاء التي تجاور هذه، وهي الأوردة[١٦] وآلات الغذاء. ولما كانت الرياضات[١٧] هي حركات[١٨] الأعضاء كان[١٩] منها كلي وجزئي[٢٠]، وذلك أن منها ما هي رياضة لجميع[٢١] البدن وهي الحركة الكلية النقلية لجميع[٢٢] الحيوان، ومنها ما هي رياضة مخصوصة بعضو ما، مثل أن الصوت رياضة الرئة والقيام والقعود رياضة الصلب[م]، ولن يخفى على من كان عالما بحركة الأعضاء أي رياضة تخص عضوا عضوا. فهذا[٢٣] أحد ما تنقسم إليه الرياضة من جهة الأعضاء أنفسها.

[٨] والرياضة منها قوية ومنها ضعيفة، وكل واحد من هذين إما أن يكون عن نقلة المرتاض أعضاءه[٢٤] فقط، وهذه يوجد فيها السريعة والبطيئة، وإما أن تكون مقاومة بينه وبين محرك آخر، كمن يثبت في مكان ويأمر غيره أن ينزعه منه. ومن هذا النوع

---

(١) غ: لشيء (٢) م، ت: سقط "استعمال" (٣) م: سقط "والوضع" (٤) ب: والإصلاح للأهوية (٥) م: الطبيعي (٦) غ، ت: وبخاصة (٧) غ، ت: سقط "هذا النوع...هو داخل" (٨) ت: سقط "مزاج" (٩) غ، ت: سقط "القول في"؛ م: سقط "القول" (١٠) ت: قيل (١١) ب: سقط "أن يقال" (١٢) م: سقط "بها" (١٣) ت: بالقول (١٤) ت: "أعضاء بإرادة"، وسقط "ما" (١٥) غ، ت: حركة (١٦) ب، م: الأوراد (١٧) م: الرياضة (١٨) ت: حركة (١٩) ب: وكان (٢٠) غ، م، ت: جزئيا وكليا (٢١) ت: بجميع (٢٢) ب: سقط "جميع" (٢٣) ب؛ م: فهذه (٢٤) غ، م. ت: أعضاؤه.

إشالة الحجر وغير ذلك؛ وهذه ليس توجد فيها السريعة والبطيئة[1]. وربما اجتمعت في الرياضة السرعة مع القوة، كالذين يطفرون بالحراب[2].

[٩] والرياضة المعتدلة فعلها بالجملة تنمية الروح الغريزي، ودفع الفضول عن آلات الغذاء وتحليلها، وتصليب الأعضاء أنفسها؛ وهي[3] في هذا المعنى أفضل شيء تُنَمَّى به الحرارة. وذلك أن الحرارة التي تنمى بها هي من ذات الحرارة[4] الغريزية، وأما ما عداها من الأشياء التي تنمي الحرارة[5] من خارج، مثل الأدوية ولقاء الأشياء المسخنة بالفعل، فكأنها حرارة عرضية. وهذه متى استعملت بعد كمال الهضم نفعت هذه المنفعة التي ذكرنا. وأما متى استعملت والغذاء غير منهضم لن يؤمن عن[6] استفراغ الأعضاء أنفسها أن تجتذب الغذاء إليها غير منهضم، وأن تخل الحركة أيضا بالقوى[7] الماسكة التي فيها، فتدفعه غير منهضم. وبالجملة فالقوة الهاضمة إنما يكمل فعلها بالسكون؛ كما أن القوة الدافعة إنما يكمل فعلها بالحركة؛ ولهذا كان وقت الرياضة هذا الوقت. وعلامة هذا الوقت أن يكون البول منصبغا أترجيا[؟] لا شديد الحمرة، ومقداره[8] في القوة هو أن يبتدئ البدن يعرق والنفس يتصاعد.

[١٠] وأما الرياضة القوية فإنها تستفرغ من البدن أكثر مما يحتاج إليه، فهي بذلك[9] تضعف كما نرى ذلك في أصحاب المهن القوية. وأما الضعيفة فإنها لا تستفرغ كل ما يجب استفراغه؛ فلذلك كانت زائدة في الأعضاء ومسمنة للأبدان[10]. وأما أن الرياضة بالجملة مصحة عظيمة وأنها آثر من عدم الرياضة فذلك بين من حال المقصورين في السجن، فإنه[11] تصفر وجوههم وتفسد سحنهم وتختل أفعالهم الطبيعية كلها، وليس يظهر هذا في الإنسان فقط، بل وفي جميع الحيوانات المقصورة[12]، كالطيور[13] في الأقفاص وغير ذلك. فهذا هو القول في الرياضة وجميع أفعالها[14].

[٤-] في التدلك[15]

[١١] وأما التدلك فإن له أيضا فعلا ظاهرا في استفراغ الفضول التي في الهضم الأخير، وهو الهضم الذي يكون في الأعضاء أنفسها. وأصناف الدلك البسيطة بالجملة ستة أصناف: ثلاثة من قبل الكيفية، وثلاثة من قبل الكمية. فالثلاثة التي هي[16] من قبل الكيفية أحدها هو[17] الصلب، والثاني اللين، والثالث المعتدل. والثلاثة[18] التي من

---

(١) غ، م، ت: السرعة (٢) م: الجرابات (٣) غ، م: سقط: "وهي" (٤) ت: سقط "وذلك أن...ذات الحرارة" (٥) م: أضيف "الغريزية" (٦) غ، م: لن (م: لم) يؤمن عن؛ ب، ت: لم يؤمن على (ت: مع) (٧) م: بالقوة (٨) ت: ومقدارها (٩) م: لذلك (١٠) م: للبدن (١١) غ، م، ت: السجون فإنها (١٢) م: الحيوان المقصور (١٣) ب، م: أضيف "التي" (١٤) م: وفي جميع أفاعيلها؛ ت: ...أفاعيلها (١٥) غ، ت: أضيف "القول" (١٦) ب، م: سقط "هي"؛ ت: "الذي"، وسقط "هي"؛ غ: التي هي (١٧) ب، م: سقط "هو"؛ ت: هي (١٨) ب: سقط "الثلاثة".

قبل الكمية أحدها الكثير، والثاني القليل[١]، والثالث المعتدل. فأما فعل الدلك[٢] الصلب في الأبدان فهو تكثيف[٣] مسامها وتصليبها. وأما فعل اللين فهو تفتيح المسام وإرخاء[٤] اللحم. وأما فعل المعتدل[٥] فمتوسط[٦] بين هذين الفعلين. وأما الدلك الكثير ففعله في الأبدان تقضيفها[؟] وتهزيلها. وأما المعتدل ففعله فيها[٧] تنمية اللحم باعتدال. وأما القليل فليس له فيها كبير[٨] تأثير، سوى أنه يسخن إسخانا يسيرا.

[١٢] فهذه أفعال أصناف[٩] الدلك البسيطة؛ ولن يخفى عليك المركبة[١٠]. من ذلك أن الدلك الصلب المعتدل يربي لحما صلبا، واللين المعتدل يربي لحما رخوا[١١]، والمعتدل فيها جميعا[١٢] يربي لحما معتدلا في الجهتين معا[١٣]. فأما أوقات استعمال الدلك فهي أوقات استعمال الرياضة. وسنذكر فيما بعد ترتيب أصناف[١٤] الدلك مع أصناف الرياضة[١٥]. ولأن الاستحمام أيضا أحد ما تستفرغ به الفضول فلننظر أيضا في قوة أجزائه وأفعاله، فنقول:

[٥- الاستحمام.. والنوم]

[١٣] إن الحمام[١٦] يفعل أفاعيل متضادة كثيرة: أوّلا وثواني وثوالث[١٧]. وذلك أنه يرطب وييبس ويبرد ويسخن ويستفرغ الفضول التي في المسام وتحت الجلد، وقد يسددها، وهو أيضا يحلل الروح[١٨] ويذهب النفخ ويعد الأبدان للغذاء، ولذلك ربما حرك الشهوة للغذاء[١٩]، ويصب المواد أيضا من عضو إلى عضو ويذوبها، ويسكن الأوجاع ويهيجها. والسبب في هذه الأفاعيل المتضادة هو أحد ثلاثة أشياء: [الأول] اختلاف أجزائه، والثاني اختلاف الموضوعات التي فيها يفعل[٢٠] أعني الأجسام، والثالث اختلاف مدد الإقامة فيه[٢١] في القصر والطول.

[١٤] وأما أجزاؤه فهي[٢٢] الماء الحار والماء البارد والهواء الحار[٢٣]، وهي أيضا تستعمل فيه على مراتب: فالماء[٢٤] المعتدل في السخونة والبرودة يفيد البدن رطوبة ويحلل قليلَ تحليل يبلغ به أن يجلو الوضح[؟] الذي يكون على ظاهر الجلد[٢٥]. وأما الهواء الذي في طبيعة هذا الماء فإن الجسم فيه يعرق أدنى عرق ويستفرغ به[٢٦] رقيق الفضول. وهذه هي طبيعة البيت الأول من بيوت الحمام. فإن الهواء وإن كان في نفسه

---

(١) ب: أحدها القليل والثاني الكثير(٢) غ، ت: التدلك (٣) م: "فبتكثيف" عوض "فهو تكثيف" (٤) ب: فإنه يكثف مسامها ويصلبها...فهو يفتح المسام ويرخي (٥) ت: المتوسط (٦) ب: "فهو وسط" عوض "فمتوسط" (٧) ب: وأما فعل المعتدل فيها فهو (٨) ت: كثير (٩) غ، ت: صنوف (١٠) ت: المركب (١١) ت: معتدلا (١٢) غ، ت: فيها معا؛ م: فيهما؛ ب: فيها جميعا (١٣) ب: جميعا (١٤) م: أصناف ترتيب (١٥) ب: أضيف "في الاستحمام" (١٦) م: أضيف "أيضا" (١٧) ت: سقط "وثوالث" (١٨) م: أيضا وهو يحلل الرياح (١٩) ت: سقط "للغذاء" (٢٠) غ، ت: تفعل فيها (٢١) ب: سقط "فيه" (٢٢) ب: فهو (٢٣) غ، ت: الماء الحار والهواء الحار (٢٤) ت: "فأما" عوض "فالماء" (٢٥) م: يجلو الوذح عن ظاهر البدن (٢٦) م: فيه.

أرطب من الماء على ما تبين في غير هذا الموضع، فإنه ليس يرطب الأبدان كترطيب الماء لها[١]. وذلك لأنه[٢] لا يلزمها كما يلزمها الماء، بل الهواء ييبس وبخاصة كلما كان أحر. وأما الماء الحار والهواء الحار الكثير الحرارة[٣] فإنهما يسخنان الأبدان ويستفرغان فضولها[٤]، ويستفرغان أيضا مع الفضول الأرواح. والهواء كما قلنا مع هذا ييبس، وهما إنما يفعلان هذه الأفعال في الأبدان النقية. وأما في الأبدان المملوءة فضولا فإنهما يسددان مسام الجلد لكثرة الفضول، لأنها تبادر إلى الخروج فلا تسع على المسام فتصيب عن[٥] ذلك قشعريرة وتذوب الأخلاط وتنصب من[٦] عضو إلى عضو. ولهذا كله ليس ينبغي أن يستعمل الحمام مَن في عضو من أعضائه امتلاء. والبيت الثالث (من الحمام) في هذه الأفاعيل[٧] أكثر من البيت الوسط. وهو[٨] أيضا إنما يشفي من الأوجاع ما ليس يكون سببها مواد منصبة[٩] كالأورام وغير ذلك.

[١٥] وتبريد الحمام[١٠] يكون بالذات ويكون بالعرض. أما التبريد الذي بالعرض فتفتيحه[١١] المسام واستفراغه الفضول اللذاعة، وأما الذي بالذات فاستعمال[١٢] الماء البارد فيه. وذلك أن الماء البارد هو أيضا[١٣] أحد أجزاء الحمام، وكأنه إنما هو[١٤] آلة هاهنا[١٥] على جهة الإصلاح لما أخلت[١٦] به الحرارة من تليين وإرخاء للأعضاء[١٧]. وتبريد الحرارة الغريزية على جهة ما تستعمل البرودة كثير من الصنائع، كصناعة الحدادة والطبخ وغير ذلك، فإن هذه كلها تستعمل البرودة على القصد الثاني. وما الذي[١٨] أحتاج أن أحتج من[١٩] ذلك باستعمال الصنائع لها والطبيعة في ذلك أقدم استعمالا لها؟! وأما الماء البارد فإنما[٢٠] يستعمل في الحمام بآخِرَةٍ[٢١]، وبعد استفراغ الفضول. والحمام إذا استعملت فيه[٢٢] جميع أجزائه في[٢٣] الأبدان النقية فعل أفاعيل جيدة[٢٤] متضادة: منها أنه يحلل الفضول ويستفرغها من غير أن يخل بالقوى، ويلين الأعضاء من غير أن يرخيها، ويرطبها من غير أن يسخنها، ويبردها من غير أن يكثفها. وهذا كله[٢٥] إنما يتم باستعمال الجزء الحار فيه والبارد. ولما لحظ قوم من أفعال الحمام أفعالَه[٢٦] الرديئة ذموه ولم يعلموا أنه إن استعملت جميع أجزائه في[٢٧] الأبدان النقية لم يلحق عنه[٢٨] فعل رديء أصلا.

---

(١) ب: البدن...له؛ م: سقط "لها" (٢) ت: إنه (٣) غ، ت: سقط "الحرارة" (٤) غ، ت: فضولهما (٥) م: من (٦) ت: عن (٧) غ: أضيف "هو" (٨) ت: وهذا (٩) م: هكذا "منضبة" (١٠) غ، ت: أضيف "أيضا"؛ م: أضيف "أيضا قد" (١١) غ، ت: فبتفتيحه (١٢) غ، ت: فباستعمال (١٣) م: سقط "أيضا" (١٤) م: وكأنما هو (١٥) م: سقط "هاهنا" (١٦) غ، م: اختلت (١٧) غ، ت: الأعضاء؛ ب: لأعضاء؛ م: للأعضاء (١٨) م: سقط "الذي" (١٩) غ، م، ت: في (٢٠) غ: ...إنما؛ م، ت: والماء البارد إنما (٢١) ب، م: هكذا "بأَخَرَة"؛ غ، ت: باخره (٢٢) ب: أضيف "في" (٢٣) غ، م، ت: سقط "في" (٢٤) ب: أضيف "غير" (٢٥) م: سقط "كله" (٢٦) ب: الأفعال (٢٧) غ، م، ت: سقط "في" (٢٨) غ، ب، ت: عنها.

[١٦] وأما النوم فإن فعله الإنضاج والترطيب. والسهر فعله التحليل والاستفراغ وإذكاء الحرارة الغريزية. ولذلك إذا أفرط النوم أطفأ الحرارة الغريزية ورهل الأجسام، وإن أفرط السهر[١] يبس الأجسام وحلل الحرارة الغريزية وأشعل العرضية.

[١٧] فهذا هو القول في طبيعة الأشياء التي[٢] كان يجب هاهنا تقديمها قبل القول في حفظ[٣] صحة مزاج مزاج[٤] من الأمزجة[٥] التسعة[٦]. ونبدأ من ذلك بالمزاج المعتدل إذ كان ليس يكاد يحتاج في تدبيره أكثر من تقدير[٧] الأغذية واستعمال الرياضة والدلك والاستحمام وتقدير النوم واليقظة والأفعال النفسانية والإقامة في الهواء المعتدل. وأما حاجة مثل هذا المزاج إلى الأدوية: فإما أن لا[٨] يحتاج إليها أصلا، و[٩] إن احتاج فحاجة قليلة، وجالينوس يرى أن من مزاجه مثل[١٠] هذا المزاج ليس يحتاج في حفظ صحته إلى استعمال دواء أصلا. لكن ما يشترط هو في تدبيره من الرياضة والاستحمام والدلك يكاد يكون ممتنعا لمن يرى أن الغاية القصوى للإنسان هي أن يكون صحيحا، ويكون مع هذا في غاية الحرمة[١١] والثروة، فضلا عمن يرى أن صحة الإنسان إنما هي من أجل[١٢] أفاعيل أخر من[١٣] أفاعيل النفس، مع عون[١٤] أمور كثيرة من الأشياء الضرورية عن ذلك. ولكن على الجملة قد[١٥] ينبغي أن نذكر ما قاله في ذلك بإيجاز، ليكون ذلك في أذهاننا كالقانون ويستعمل من ذلك كل إنسان ما ليس يعوقه عن غرضه الأهم، وما يقدر عليه[١٦] من ذلك بحسب الأمور الضرورية فنقول:

[٦- قانون لحفظ صحة المزاج المعتدل]

[١٨] إن جالينوس يرى في تدبير هؤلاء أول ما يولدون: أن ينثر على أبدانهم ملح لأنهم محتاجون إلى تصليب أبدانهم لما يلقاهم[١٧] من الأشياء التي من خارج. والأصوب عندي أن يعوض[١٨] من الملح ما ليس فيه لذع. قال أبو مروان بن زهر: دهن البلوط يفعل هذا الفعل من غير أن يلذع. ويكون غذاء هذا الطفل اللبن فقط، إلى أن تطلع أسنانه، فإذا طلعت[١٩] درج في الأغذية[٢٠] الرطبة شيئا فشيئا. وذلك أن اللبن شبيه بمزاج الطفل، والغذاء كما قلنا[٢١] ينبغي أن يكون شبيها، وأيضا فإنه الغذاء الذي أعدته الطبيعة لذلك. وهذا بعد أن تكون المرأة[٢٢] المرضعة متحفظة في الغذاء[٢٣]، مرتاضة،

---

(١) غ، م، ت: أضيف "أيضا" (٢) م: الذي (٣) م: سقط "حفظ" (٤) ت: سقط "مزاج"(٥) م: الأمزاج (٦) ت: أضيف بخط عريض "في تدبير المزاج المعتدل"؛ ب: كتبت العبارة "القول...التسعة" بخط عريض، وشكلت الكلمة التي قبلها "قَبْل"؛ م: كتبت العبارة "ونبدأ من ذلك بالمزاج المعتدل" بخط عريض (٧) م: تدبير (٨) ب: "لا" عوض "أن لا" (٩) ب،غ، ت: أضيف "اما" (ب: شكلت "أمّا") (١٠) ب: سقط "مثل" (١١) غ: الحرية؛ ت: الحركة (١٢) ت: سقط "من أجل" (١٣) م: سقط "أفاعيل أخر من" (١٤) في غ، ب، م: يمكن أن تقرأ "عوق" (١٥) غ: فقد؛ م: سقط (١٦) ب: أضيف "أيضا" (١٧) ب: يلقون؛ م: يلقاها (١٨) غ: يُعرض (١٩) م: أضيف "أسنانه" (٢٠) م: في الأشياء؛ ت: من الأغذية (٢١) غ، ت: قيل (٢٢) ت: سقط "المرأة" (٢٣) ب: محتفظة في أغذيتها.

متجنبة للجماع. فإن الجماع يثور دم الحيض ويغير رائحة اللبن. ثم يحمم[1] هذا الطفل كل يوم في الماء الفاتر في هواء معتدل، لأن لا يقشعر[2] جسمه عند خروجه من الماء. وجالينوس يرى أن يكون ذلك[3] في الحمام، وأنا أرى أن الهواء إذا كان معتدلا فلا حاجة بهم إلى الحمام. والاستحمام ينبغي أن يتوخى به[4] خلو معدهم من اللبن[5]، لأن لا ينتشر الغذاء في أعضائهم غير منهضم. وذلك يكون في أثر أطول نوم ينامونه.

[١٩] وأما الرياضة فحسبهم منها تحريكهم[6] في المهود وما أشبهها مما يسكن بكاءهم. ولذلك ما ينبغي للداية[7] أن تعنى أكثر العناية أن لا تدخل عليهم ما يخوفهم[8]، فتنحرف أمزجتهم. وتمنعهم من الحزن والبكاء[9] ما استطاعت بأن تركز على السبب المحزن لهم سريعا فتدفعه[10]. فإن الأطفال كثيرا ما يتأذون بالحر والبرد والأوساخ[11] وغير ذلك من الأشياء التي من خارج. واستعمال الألحان أيضا معهم[12] مما يحسن أخلاقهم ويبسطها.

[٢٠] فهكذا ينبغي أن يكون تدبير الأطفال إلى أن يقووا على المشي، وذلك في السنة الثالثة. فإذا فعلوا ذلك أخذوا في الرياضة كل يوم عند قيامهم من النوم، ثم دلكوا واستحموا وتناولوا أغذيتهم مقدرة[13] الكمية والكيفية والوضع، كما نقول بعد. فإذا كان أيضا آخر النهار وطلبوا الغذاء فعل بهم ذلك الفعل. وينبغي أن تكون رياضتهم رياضة لا تبلغ أن تيبس أبدانهم فتمنعها من النمو، ولا يكون استحمامهم[14] إلا بالماء الفاتر فقط لهذه العلة بعينها، فإن الماء[15] البارد أيضا يمنع النمو. وهكذا يكون تدبيرهم إلى أن ينتهوا إلى ثلاث أسابيع[16]. والأنبذة الزبيبية، وما يقوم بالجملة مقام الخمور[17]، من أضر الأشياء[18] للأطفال الصغار[19] لأنها تملأ رؤوسهم وتحمي أبدانهم وتفسد أفكارهم. وأما إذا صاروا في سن الشباب فإنهم ينتفعون بها لأنهم[20] حينئذ تتميز فيهم المرتان الصفراء والسوداء. وللأنبذة في مقاومة هاتين وإخراجهما من الأبدان فعل ليس بالدون. وذلك أنها تقاوم السوداء[21] بجملة جوهرها وتخرج الصفراء بالبول وتليين الطبيعة. وأيضا فإن الأنبذة ترطب الأعضاء التي عرض لهم فيها يبس ما[22]. فهذه[23] حاجة الشباب

---

(١) غ، ت: يحم (٢) ب: أضيف "منه" (٣) م: هذا (٤) غ، ب، ت: به؛ م: لا يظهر من اللفظة إلا الحرف الأول (وقد جاء في طبعة الجزائر هامش يفيد أنه ثبت "بهم" في هذه النسخة) (٥) م: سقط "من اللبن" (٦) ب: ما يحركهم (٧) م: للربة (٨) غ، م، ت: يحزنهم (٩) غ: سقط "والبكاء"؛ م، ت: بل تمنعهم (ت: وتمنعهم) من البكاء والحزن (١٠) غ، ت: فترفعه (١١) ب: هكذا "والأوساغ" (١٢) م: لهم (١٣) ت: مقدار (١٤) م: الاستحمام (١٥) م: سقط "الماء" (١٦) غ، ت: تدبيرهم الثلاث الأسابيع؛ م: تدبيرهم إلى أن ينتهوا الثلاث الأسابيع (١٧) م، ت: الخمر (١٨) غ، ت، ب: شيء (١٩) غ، ت: سقط "الصغار" (٢٠) م: لأنها (٢١) غ: سقطت العبارة "وللأنبذة...تقاوم السوداء"، وفي موضعها إشارة تدل ربما على أن الناسخ استدرك العبارة في الهامش إلا أنها لا تظهر (٢٢) غ، م، ت: سقط "ما" (٢٣) م: فهذا.

إلى الأنبذة، فقط إذ كانوا موفوري[1] الحرارة. وأما الشيوخ فحاجتهم إليها[2] جمة المنافع كما سنقول[3] بعد.(*)

[٢١] ولتكن بالجملة أغذية الفتيان لطيفة. وأوفق الأشياء لهم الفراريج بلباب الخبز المحكم الصنعة. وينبغي أن يؤدبوا على أن لا يأكلوا[4] البقول ولا الفواكه الرطبة؛ وبالجملة أن لا تكون سيرتهم سيرة البهائم في المطعم والمشرب، وذلك مع ما يؤخذون به من التعلم[5]، فإني أحسب أن[6] من مزاجه هذا المزاج (=المعتدل) هو[7] معد للحكمة بالطبع. فإذا جاوز الفتيان الثلاثة الأسابيع فيكون تدبيرهم على هذه الجهة إذا كمل فعل الهضم في أبدانهم. وآية[8] ذلك أن يكون الماء منصبغا انصباغا[9] معتدلا، لا بالشديد الصفرة ولا بالأبيض. فحينئذ ينبغي أن تلقى عنهم أثوابهم ثم يمرخون[م] بالزيت العذب تمريخا لينا رخوا[10] من غير تصليب.

[٢٢] وهذا التمريخ المقصود[11] به إعداد البدن للرياضة؛ فإنه لا يؤمن إذا شرع في الرياضة قبل هذا الفعل أن تكون المسام متكاثفة، فتبادر الفضول إلى[12] أن تخرج بمرة فتسد[13] المسام. والمقصود[14] بالزيت في التمريخ[15] أمور: منها أنه يحلل الفضول ويرخي الكثافة ويجعل مر الأكف على الأبدان سهل الجرية، حتى لا يلحق الأبدان[16] عن الأكف رض. وهذا التمريخ ينبغي أن يكون من فوق إلى أسفل ومن أسفل إلى فوق، ومن اليمين إلى الشمال ومن الشمال إلى اليمين[17]، ومؤربا[م]. وذلك أن بهذه الأفعال تنفتح أفواه المسام في جميع الجهات. والموضع الذي ينبغي أن يلقى فيه[18] عن هذا الفتى ثيابه، ينبغي أن يكون هواؤه شبيها بهواء الربيع في البلاد المعتدلة[19]. وأحسبني لا حاجة بي هاهنا أن أقول في البلاد المعتدلة، فإن هذا (=صاحب المزاج المعتدل) ليس

(*) واضح أن ابن رشد يحكي ما يقوله جالينوس كما صرح بذلك في أول العرض. آخر فقرة ١٧. أما شرب الخمر من أجل التخدير لضرورة علاجية فيقرر في شأنه أن "صاحب هذه الحال في معنى الميتة للمضطر"، كما سنرى في كتاب شفاء الأمراض. ويفصل القول في الموضوع في رسالته في الترياق فيقول: "وفي هذه الحال يرجع الطبيب إلى الفقيه من جهة، والفقيه إلى الطبيب من جهة. أما رجوع الفقيه إلى الطبيب فمن جهة أن الفقيه يأخذ من الطبيب مقدار الاضطرار فيحلل أو يحرم لقوله تعالى: "وقد فصل لكم ما حرم عليكم، إلا ما اضطررتم إليه" (الأنعام ١١٩). والطبيب يأخذ من الفقيه مقدار الحرمية، فيأمر بالدواء أو بتجنبه إلى غيره". **رسالة في الترياق**. ضمن "تلخيصات ابن رشد لجالينوس". نفس المعطيات السابقة. ص٢٣٥.

---

(١) غ، ت: موفرين (٢) م: إليه (٣) غ، ت: أضيف "فيما" (٤) ب: يتناولوا (٥) م: التعليم (٦) غ، م: سقط "أن" (٧) م: فهو (٨) م: سقط "آية" (٩) م: سقط "انصباغا" (١٠) م: سقط "رخوا" (١١) غ: المقصد؛ ت: القصد (١٢) غ، م، ت: سقط "إلى" (١٣) غ: فتنسد (١٤) غ، ت: والقصد (١٥) ب: بالتمريخ بالزيت (١٦) ب: سقط "الأبدان" (١٧) غ، ت: سقط "ومن الشمال إلى اليمين" (١٨) ب: سقط "فيه" (١٩) ب: أضيف "فإن كان الهواء كما قلنا".

يمكن أن يولد[١] في غير البلاد المعتدلة! فإن كان الهواء كما قلنا ربيعا فليس ينبغي أن يغير منه شيء، وإن كان الهواء شتاء فينبغي أن يسخن الموضع الذي يتجرد فيه تسخينا يسيرا. وكذلك إن كان صيفا فينبغي أن يبرد حتى يصير في طبيعة[٢] هواء الربيع. فإن الهواء البارد ليس يبلغ فيه من استفراغ الفضول إلى ما يراد، كما أن الحار[٣] يستفرغ فيه أكثر مما يحتاج إليه. فلهذا ما[٤] اخترنا أن يكون الهواء الذي يتجرد[٥] فيه هذا الفتى بهذه الصفة.

[٢٣] ثم من بعد هذا التمريخ المعد يشرع في الرياضة، وليأخذ منها أعدلها في القوة والضعف والسرعة والبطء كاللعب بالكرة الصغيرة وما أشبه ذلك. ويمضي فيها حتى يعلو نفسه، ويبتدئ يعرق جسمه، فحينئذ فليقطعها[٦] ويصير إلى السكون قبل أن يظهر في لون وجهه تغير ويبتدئ الانتفاخ الذي عرض في أعضائه عن الرياضة أن يتحلل. وبالجملة أن تنقص[٧] أفعاله وحركاته.

[٢٤] وهذا المقدار في شخص شخص، كما يقول جالينوس، إنما يعرفه الرائض[٨] في يوم ثان وثالث. فإن وقع في شيء من هذا غلطٌ تُدُورك في اليوم الثاني، مثل أنه إن كانت رياضته أشد مما ينبغي استعمل في اليوم الثاني أكثر ذلك التسكين في الرياضة. فإذا فرغوا من الرياضة فليستعملوا حبس[٩] النفس. فإن عندما يضبط النفس تعود الحرارة الغريزية فتفتح المسام وتبذرق[١٠] الفضول عنها، بمنزلة الذين إذا أرادوا أن يوسعوا ثقب شيء نفخوا فيه. وهذا الإمساك ينبغي أن يكون مع مد عضل الصدر والحجاب، وقليل مد[١١] عضل البطن[١٢]. فإن بهذا الفعل تندفع الفضول من[١٣] الرئة والصدر إلى أسفل، أعني إلى أعضاء الغذاء. ثم بتمديد الحجاب وعضل البطن لأعضاء الغذاء تنفض[١٤] أيضا أعضاء الغذاء من الفضول التي فيها. وينبغي أن يتوقى من حبس النفس أن يكون الحجاب مسترخيا. فإن الفضول حينئذ ترقى إلى الدماغ بمنزلة الذين ينفخون في المزامير: فإن هؤلاء يظهر من أمرهم أنهم[١٥] تحمر وجوههم وتنتفخ أوداجهم. وذلك من حركة الأخلاط إلى رؤوسهم.

[٢٥] ثم من بعد هذا[١٦] يُستعمَل من الدلكِ الدلكُ الذي يكون إلى[١٧] الصلابة مع الكثرة. وذلك أن[١٨] الغرض من هذا الدلك غرضان: أحدهما تنقية بقايا الفضول التي بقيت تحت الجلد من الرياضة[١٩]. والغرض الثاني[٢٠] تصليب البدن وتكثيفه وإعداده

(١) م: يوجد (٢) م: بطبيعة (٣) غ، ب، ت: الحر (٤) ت: سقط "ما" (٥) ت: ثبت في المتن "يتحرك" وفي الهامش "يتجرد" (٦) م: يقطعها (٧) م: يُنقِصَ (٨) م: المرتاض (٩) ب: خنق (١٠) ت: وتبرز (١١) ت: من (١٢) ب: ثبت في المتن "البطن" وصحح في الهامش "البدن" (١٣) غ، ت: "فضول" عوض "الفضول من" (١٤) غ: تتعصر؛ ب: تنفض؛ م: تنقض؛ ت: تنعصر (١٥) غ، ت: أنه (١٦) م: ذلك (١٧) م: عن (١٨) ب: "لأن" عوض "وذلك أن" (١٩) م: سقط "من الرياضة" (٢٠) م: الآخر.

لأن لا يتأثر عن الأشياء التي من خارج. ويستعمل في هذا التدلك[١] الرياضة التي تسمى التسكين[٢] من الامتداد مع الرائض والالتواء عليه[٣]، ومد يديه وذراعيه وغير ذلك مما جرت به عادة الرواض أن يفعلوه. لكن تكون هذه الأفعال منقطعة مع سكون بينها[٤] غير متواترة. ويكون هذا الدلك في غاية السرعة حتى لو أمكن كما يقول جالينوس أن تلقى الجسم كله أكف[٥] تغطيه في هذا الفعل، حتى يكون تحلله بالسواء و[٦] في زمن واحد. وهذا التدلك أيضا إنما يكون بالزيت العذب.

[٢٦] ثم من بعد هذا هل ينبغي[٧] أن يستحم أم لا؟ أما جالينوس فإنه يرى أنه لا حاجة به إلى الاستحمام إلا من جهة الغبار إن كان[٨] ارتاض في موضع غبار، أو[٩] من جهة الدهن. ولذلك[١٠] ليس يحتاج هذا إلى استعمال هواء الحمام أصلا. وينبغي أيضا[١١] إذا صار الفتيان الذين مزاجهم هذا المزاج إلى[١٢] الأسبوع الرابع أن يعوّدوا الاستحمام بالماء البارد[١٣]. فإن ذلك[١٤] يصلب من أعضائهم ما أرخته الرياضة ويقل عطشهم بأثر الرياضة. وبالجملة ترجع[١٥] الحرارة المنتشرة بالرياضة إلى عمق البدن[١٦] فتفعل كل ما يجب أن تفعله، وكان استعمال الماء البارد هاهنا[١٧] على جهة التعديل لما لحق عن الرياضة من الأفعال غير المقصودة، كما يستعمل الماء البارد في الحمام إذا احتيج إلى ذلك. وينبغي أن يكون هذا الماء لا ببرد مياه الثلوج، ولا أيضا يكون قليل البرد، لأن الأول[١٨] ينكأ الأعضاء والثاني لا يفعل ما يراد منه. ويجب أن يكون انغماسه فيه دفعة. وأما هل يغمس[١٩] رأسه في الماء البارد ففيه نظر. وجالينوس أطلق القول في ذلك إطلاقا. وإنما قلنا ذلك لأن الرأس هو العضو البارد بالطبع، ولذلك الأولى عندي أن لا يفعل ذلك.

[٢٧] ثم من بعد هذا كله يتغذى غذاء موافقا في الكيفية والكمية. وأصلح الأغذية لهم لحوم الدجاج مع الخبز المحكم الصنعة في الخمير والطبخ، ثم يتلو ذلك لحوم الجداء، ثم لحوم فتي الضأن صالح لهم، وكذلك لحوم العجاجيل. ويفعلون هذا الفعل إثر كل هضم. فمن[٢٠] يرى أنهم يتغذون في النهار[٢١] مرتين فسيرتاضون أيضا[٢٢] مرتين، ويستحمون مرة بالغدو[٢٣]، ومرة بالعشي. وقد قال جالينوس إن بعضهم كان يرى أن يفعل بهم ذلك في النهار ثلاث مرات. وهذا إنما يتفق مع تقسيم غذائهم عليهم. إلا أن أبدان الفتيان قوية وهضومهم حسنة فما حاجتنا إلى تقسيم الغذاء عليهم إلى ثلاثة

---

(١) م: الدلك (٢) ت: ثبت في المتن "التسكين"، ويظهر في الهامش "التملين" أو "التمكين" (٣) م: سقط "والالتواء عليه" (٤) غ، م، ت: بينهما (٥) م: نلقى...بكف (٦) م: سقط "و" (٧) ب، ت: أضيف "له" (٨) م: أضيف "قد" (٩) غ، ت: و (١٠) ب: الوَهْن ولهذا (١١) م: سقط "أيضا" (١٢) غ، م، ت: أضيف "هذا" (١٣) غ: الفاتر (١٤) غ، ت: بذلك (١٥) م: فترجع (١٦) ب: أبدانهم (١٧) م: سقط "هاهنا" (١٨) ب: سقط من المتن العبارة "لأن الأول"، ولعلها استدركت في الهامش إلا أنها لا تظهر (١٩) غ: ينغمس (٢٠) ب: ممّن (٢١) م: اليوم (٢٢) م: سقط "أيضا" (٢٣) ب: بالغداة.

أوقات؟! وإنما يصنع ذلك بالشيوخ الهـرم. ولذلـك رأى الحـدَث مـن الأطبـاء أن أعـدل أوقات الغـذاء للمـزاج المعتـدل ثـلاث أكـلات في يومـين. وعلـى هـذا تكـون[1] رياضتـهم واستحمامهم ثلاث مرات في يومين[2].

[٢٨] وأما الجماع فينبغي أن يستعملوه[3] بقصد ومن حيث لا يلحقهم منـه[4] في أثره[5] كسل ولا نصب ولا ضعف ولا[6] بالجملة حـال غـير طبيعيـة. وإنمـا كـان ولا بـد ضروريا اسـتعمال الجمـاع مـن أجـل أن المـني فضلـة أعدتـها الطبيعـة[7] للدفـع كسـائر الفضلات، لكنها[8] شريفة في نفسـها. ولذلـك يقـع عـن أدنـى غلـط في اسـتفراغها ضـرر كبير[9]. وقد منع قوم ممن يروم[10] حفظ الصحة مـن الجمـاع أصـلا. وأما الرياضـة الـتي ينبغي أن تستعمل بعد الجماع فهي الرياضة المصلحة[11] لما لحق عنه. ولما كـان الجمـاع ييبس ويضعف القوى ويخلخل الجسم[12] وجب أن يكـون التدلـك الـذي يسـتعمل بعـد الجماع مما يصلح هذه الأشياء، فتكون فيه[13] صلابـة مـا بـها يكثـف المسـام ويقـوي[14] الأعضاء ويكون بالدهن الكثير ليرطب[15] اليبس.

[٢٩] وأما نوم هذا الفتى فيكون أيضا معتدلا، وذلك بحسب مـا تدعـوه[16] إليـه طباعه: فلا يستدعي النوم وهو مستعسر[17] عليه، ولا يدافعه وهـو يغالبـه. هـذا متـى لم يعرض له خطأ في تدبيره أو أمر من خارج.

[٣٠] وينبغـي أن يتـدارك إن وقـع غلـط في تدبـير هـذا الفتـى فيقـابل بالحـال المضادة[18]. مثال ذلك إن أكل طعامـا فيـه قبـض فـاعتقلت طبيعتـه، فينبغـي أن يطعـم دسما، فإن رياضته إنما ينبغي أن تكون بعد التبرز. وكذلـك[19] أيضـا[20] إن كـان سـبب ذلك تقليل كمية الغذاء أو تباعد أوقاته، فينبغي أيضـا أن يقـابل بـالضد لأنـه[21] كثيرا أيضا ما يكون السبب في احتقان الفضول في هؤلاء سوء المزاج الحادث عـن الأشـياء الـتي من خارج، أعني الحر والبرد[22]: فإن هذه أيضا يعسر التحفظ منها. فينبغي أيضـا عنـد ذلك أن يقابل ذلك[23] المزاج بضده. ولسـت أعـني باحتبـاس الفضـول[24] فضلـة الـبراز والبول، بل أعني فضـلات البـدن مـن جميـع المجـاري، كـالمجرى الـذي بـين الكبـد والمرارة، والكبد والطحال، وكذلك مجرى الأنف والحنك. وبالجملة فمتى أهمل شيء من هذا التدبير فينبغي بعد ذلك أن يعطوا الأدوية التي تستفرغ هذه الفضول.

(١) ب: فتكون (٢) م: سقط "وعلى هذا تكون...في يومين" (٣) م: يعملوه (٤) م: سقط "منه" (٥) ت: الاثر (٦) في ب: "و"، وفي ت: "وهو" عوض "ولا" (٧) غ، ت: الطباع (٨) ت: إلا أنها (٩) ت: كثير (١٠) ب: يَؤُمّ (١١) م: وأما الدلك...فهو الدلك المصلح (ثبتت هذه الألفاظ كتصحيحات في الهامش) (١٢) ت: "ويضعف ويخلخل" عوض "ويضعف القوى ويخلخل الجسم" (١٣) ب، ت: بها (١٤) ب، ت: تكثف السام وتقوي (١٥) م: لترطيب (١٦) م: تدعو (١٧) م: مستعير (١٨) م: المتضادة (١٩) غ، ب، ت: ولذلك (٢٠) ب: سقط "أيضا" (٢١) م: ولأنه (٢٢) غ، ت: أو البرد (٢٣) ب: سقط "ذلك" (٢٤) م: أضيف "استفراغ"؛ غ، ت: "استفراغ" عوض "الفضول".

[٣١] وأمر الرياضة أيضا[١] مما ينبغي أن يصلح الخطأ الواقع فيها. ومن أكبر[٢] الخطأ العارض[٣] فيها هو الإعياء الذي يصيب بعقبها. وقد قيل فيما سلف إن الإعياء الذي يكون عن الأشياء التي[٤] من خارج ثلاثة أصناف بسيطة. وهذه الثلاثة الأصناف[٥] أحدها هو الإعياء القروحي، والثاني التمددي، والثالث الورمي. فأما معالجة الإعياء القروحي من حيث هو عن[٦] خلط حار، وذلك إما من فضول بقيت لم تتحلل في الرياضة، أو من أشياء ذابت من اللحم أو من[٧] الشحم لإفراط الرياضة. فينبغي أن يكون ذلك مما[٨] يحلل تلك الفضول أو[٩] يستفرغها، وذلك بالدلك اللين الكثير: إذ كان هذا الدلك للينه لا يصلب ولكثرته يستفرغ. ويكون ذلك بالزيت السخن القديم الذي ليس فيه قبض. وهؤلاء فيما أرى محتاجون[١٠] من الحمام إلى الهواء فقط[١١]، ثم يستحمون بعد ذلك بالماء الفاتر السخونة، ويستعملون من الغذاء ألطف مما[١٢] كانوا يستعملونه وأرطب وأبرد وأقل كمية. وأما الإعياء التمددي فإن شفاءه يكون بالإرخاء. فلذلك ينبغي أن يدلكوا الدلك الرخو بالزيت السخن[١٣] في الشمس ودهن الشبث[؟] في هذا الموضع ودهن البابونج[؟] لا بأس به. وهؤلاء ينبغي لهم[١٤] أن يدخلوا الأبزن[؟] المعتدل ويطيلوا[١٥] اللبث فيه، ويستعملوا الرياضة المسكنة، وهي التي يفعلها الرواض عند التمريخ[١٦] من مد الأعضاء وفتلها. فإن بهذا الفعل يكون خروج الفضول التي في العضل، كما أن بالدلك يكون خروج الفضول التي تحت الجلد. وأما الإعياء الورمي وهو الذي يكون مع تمدد وحس مؤذ وزيادة في كمية الأعضاء فشفاؤه يكون بالقصد إلى ثلاثة أشياء: أحدها الاستفراغ والثاني التبريد والثالث الإرخاء. فلذلك قد ينبغي أن يكون الدلك في هذا رفيقا[١٧]، ويمكث في الماء المعتدل الحرارة مكثا طويلا، ويستعمل الدهن الكثير المفتر، وإن كان زمان الصيف فدهن البنفسج في ذلك موافق. وصاحب هذا الإعياء ينبغي أن يكون غذاؤه أقل كمية من صاحب الأصناف الأخر وأبرد.

[٣٢] فهذه هي حال تدبير أصحاب هذا المزاج في سن الشباب، وهو إلى نحو من خمس وثلاثين سنة. ثم من بعد الانحطاط ينبغي أن يقل من رياضتهم وتلطف أغذيتهم، ويقصد أن تكون رطبة إلى الحرارة ما هي، فإذا حصلوا في سن الشيخوخة استعملوا من الرياضة الرفيقة[١٨] مثل المشي الرفيق وما أشبه ذلك، ومن الأغذيةِ الرطبةَ الحارة. ولهذا التدبير عرض في الزيادة والقلة بحسب علو أسنانهم وانحطاطها. قال (=جالينوس)

---

(١) م: سقط "أيضا" (٢) غ، م، ت: أكثر (٣) ب: سقط "العارض"؛ م: الواقع (٤) م: أضيف "تكون" (٥) غ، ت: أصناف (٦) غ: سقط "عن" (٧) غ، م، ت: "و" عوض "أو من" (٨) غ، ت: بما (٩) غ، م، ت: و (١٠) غ: يحتاجون (١١) غ، ت: سقط "فقط" (١٢) ب: ما (١٣) غ، ت: السخن (١٤) م: "فينبغي" وسقط "لهم" (١٥) غ: ويطيل (١٦) ب: المرخ (١٧) غ: "رقيقا"، وفي الهامش إضافة يظهر منها "ينا" ولعلها لفظة "لينا"؛ ب: "رقيقا لينا رخوا" عوض "رفيقا" (١٨) غ: الرقيقة؛ ب: سقط.

وينبغي للشيوخ أن يتغذوا ثلاث مرات في النهار، ويرتاضون[١] عند كل تمام[٢] هضم منها رياضة مسكنة، ويتدلكون ويستحمون. ولأن الشيوخ كثيرا ما تتولد في أبدانهم فضول كثيرة، وهم لا يقدرون من الرياضة على ما به[٣] تستفرغ تلك الفضول كلها، لم يكن بد في حفظ صحتهم من استعمال الأغذية الدوائية أو الأدوية. فلذلك ينبغي أن يجعل أبدا[٤] في أول طعامهم ما تلين به بطونهم، مثل أن يأكلوا في أول طعامهم مساليق السلق بالمري والزيت والملح[٥]. وكذلك مساليق الخبازى. والاحتقان بالزيت نافع[٦] لهم، وكذلك استعمال التين بالقرطم[م] أو بزر[٧] الأنجرة[م] قبل الطعام. وشراب العسل من أنفع الأشياء[٨] لهم، ولا سيما لمن لا يستجيز[٩] منهم أخذ الأنبذة. فإن كان ممن يستجيزها فهي من[١٠] أنفع الأشياء لهم، فليتوخ منها الأنبذة[١١] التي اتخذت بعد أن أخرج من الزبيب عجمه -فإن أضر شيء بالشيوخ القوة القابضة- ثم عتقت إلى أن بلغت نهاية[١٢] كمالها، وليتوخوا من ألوانها الألوان الجلابية. وليس تعتق الأنبذة المعمولة بهذه الصفة في بلادنا من أقل من ثلاثة أشهر[١٣] إلى أربعة أشهر. فأما ما[١٤] دون ذلك فلا خير لحفظ الصحة فيه. كما أن الخمور إنما تعتق في هذه البلاد من نحو[١٥] ستة أشهر إلى عام. ولا بأس أن يستعملوا ماء العسل في بعض الأوقات بماء قد أنقع فيه بزر[١٦] كرفس والسساليوس[م][١٧] والنانوخة وغير ذلك. وإن[١٨] كانت فيهم أعضاء مؤوفة (=فيها آفة) بالطبع، فلا ينبغي أن يروضوها[١٩]. لكن هذا الشيخ الذي كلامنا فيه ليس في أعضائه عضو[٢٠] مؤوف. وينبغي للشيوخ أن يدخلوا الحمام في الشهر[٢١] من أربع مرات إلى ثلاث. وذلك أن الشباب من هؤلاء قد قلنا بالتدبير المتقدم إنهم ليسوا محتاجين إلى الحمام. فأما هؤلاء فلقلة رياضتهم هم محتاجون إلى الحمام. وكأن تدبير الشيوخ[٢٢] مركب من[٢٣] التدبير الذي هو حفظ[٢٤] مجرد وتوق مما يحدث واستظهار عليه. والفرق بين التدبيرين أن ذلك تدبير بالشبيه[٢٥] وهذا تدبير بالضد. وينبغي للشيوخ أن يتجنبوا الأشياء الغليظة أكثر من تجنبهم كل شيء. فإذا استعملوا من ذلك شيئا فزعوا إلى الأدوية الملطفة. والألبان جيدة للشيوخ الذين ليست عروقهم ضيقة، لكن على كل حال[٢٦] ينبغي أن يستعملوها[٢٧] بالعسل. وأما من كان منهم بارد المزاج بالطبع أو ضيق العروق فلا ينبغي أن يقربها.

---

(١) ب: سقط "و"؛ ت: سقط "ويرتاضون" (٢) م: سقط "تمام" (٣) ب، ت: سقط "به" (٤) م: نجعل، وسقط "أبدا" (٥) ب: أضيف "والخل" (٦) ب: أضيف "أيضا" (٧) غ: وبزر (٨) م: شيء (٩) م: يستحسن (١٠) غ، ت: سقط "من" (١١) م: سقط "فإن كان...الأنبذة" (١٢) م: غاية (١٣) ب: في أقل...؛ م: "بلادنا إلا من ستة أشهر" عوض "بلادنا...أشهر" (١٤) غ، ت: سقط "ما" (١٥) ب: أضيف "من" (١٦) م: سقط "بزر" (١٧) ب: الكرفس وسساليوس(١٨) ب: فإن (١٩) غ، ت: يروضها (٢٠) غ: عظم (٢١) ت: سقط "في الشهر" (٢٢) م: أضيف "هو حفظ" (٢٣) ب: وكان (عوض "كأن") تدبير الشيوخ مركبا من هذا (٢٤) ت: أضيف "الصحة" في الهامش (٢٥) م: بالشبه؛ ت: أضيف "عليه" (٢٦) غ، م، ت: على حال (٢٧) غ، ت: يستعملوه.

[٣٣] فهذا ما نقوله في تدبير الأمزجة المعتدلة من سن الصبا إلى سن الشيخوخة. وهذا التدبير وإن كان في غاية البعد من الإمكان فإنه كما قلنا كالقانون الذي يعمل عليه من يريد[١] تدبير صحته. وينبغي بقدر ما نقص عن[٢] هذا التدبير أن يتدارك[٣] باستفراغ الفضول بالأدوية المفتحة للسدد، المانعة للعفونة والأورام. وينبغي بعد هذا[٤] أن نقول في تدبير سائر الأمزجة، فنقول:

[٧- تدبير الأمزجة غير المعتدلة]

[٣٤] إن هذه الأبدان صنفان: صنف غلب على جميع أجزائه الصنف من المزاج غير المعتدل من الأصناف الثمانية التي عددت[٥] في كتاب الصحة، وصنف اختلفت أمزاج أعضائه[٦] أنفسها، مثل أن يكون الدماغ حارا والمعدة باردة وبالعكس. وهذا الصنف أردأ من الصنف[٧] الأول، وبخاصة متى كان هذا الاختلاف فيه في أعضائه الأصلية[٨]. وحفظ صحة هؤلاء بالجملة هو أقرب أن يكون داخلا في إبطال الاستعدادات المرضية من أن يكون داخلا في باب الحفظ، وبخاصة الذين أعضاؤهم الرئيسة[٩] متشتتة المزاج. وكأن هذا النوع من الحفظ متوسط[١٠] بين حفظ[١١] الأبدان غير المذمومة وبين إبطال الاستعدادات المرضية، وهي الأبدان التي تظهر فيها علامة واحدة أو أكثر من علامة واحدة من العلامات التي قلنا إنها تنذر في الصحة بأمراض ستحدث. وسنقول في هذا الجزء فيما بعد[١٢]. فلنبدأ من القول[١٣] في تدبير أصحاب سوء المزاج غير المركب، ومن هؤلاء في أصحاب الأمزجة الحارة[١٤] فقط، فنقول:

[٣٥] إن هؤلاء في أول أمرهم ليس يظهر في مزاجهم كبير[١٥] اختلال؛ فإذا تمادى بهم السن ارتدف[١٦] إلى الحرارة يبسٌ ضرورة، فغلب على أبدانهم تولد المرة الصفراء. فلذلك ما ينبغي أن تكون رياضة هذا الصنف رياضة[١٧] ساكنة بالمشي الرفيق أو بالركوب الرفيق. فإن الأبدان الحارة كما يقول أبقراط ينبغي أن تراح ولا تراض[١٨]. إلا أن هذا القول إنما ينبغي أن يفهم بإضافة: فإن عدم الرياضة جملة لا ينبغي لذي صحة. ويكون الدلك المستعمل في هذا الصنف دلكا لينا معتدلا في كميته، وهو[١٩] الدلك الذي ينمي اللحم؛ وذلك ببعض الأدهان الباردة كدهن البنفسج وغير ذلك. ويستحموا بالماء

---

(١) ب: ثبت في المتن "من ذلك" وصحح في الهامش "من يريد"، من دون وضع علامة أو تشطيب على "ذلك" (٢) م: من (٣) ب: أضيف هنا لفظة لها رسم "يريد" من دون نقط (٤) م: سقط "هذا" (٥) غ، م: عدت (٦) ب: فيه أمزجة الأعضاء (٧) م: سقط "الصنف" (٨) ب: الرئيسية (٩) ب، م: الرئيسية(١٠) ب: "وربما كان هذا النوع...متوسطا" عوض ما جاء في بقية النسخ "وكان هذا النوع...متوسط"(في نسخة م أضيفت علامة تشديد : "وكانّ") (١١) م: سقط "حفظ" (١٢) ت: أضيف "في تدبير المزاج الحار" بخط عريض (١٣) ت: بالقول (١٤) م: المزاج الحار (١٥) غ، ت: كثير (١٦) في ب: "ازداد" وفي م: "أو تركب" عوض "ارتدف" (١٧) م: سقط "رياضة" (١٨) غ، ت: سقط "ولا تراض" (١٩) م: وهذا.

الفاتر الذي يستفرغ من أبدانهم الفضول الدخانية. ولا حاجة بهم إلى استعمال هواء[١] الحمام في الأكثر من تدبيرهم[٢]. واستعمال الماء البارد بعد الحار في هذه الأبدان لا بأس به، فإنه يصلح ما يفعله الماء الحار من إحرارها. وهؤلاء ليس ينبغي أن يكون أكلهم في النهار أقل من مرتين. وأما إن كان اليبس ظاهرا عليهم مع الحرارة فثلاث مرات لا أقل من ذلك ولا أكثر. وأما نوع[٣] أغذيتهم فإن عادة الأطباء في ذلك قد جرت بأن يقولوا: أما إن كان قصد أصحاب هذه الأبدان حفظ صحتها على ما هي عليه[٤] فبالشبيه من الأغذية أعني الحارة أو الحارة اليابسة، وأما إن كان قصدهم نقل أمزجتهم[٥] فبالضد وذلك بتدريجهم[٦] في ذلك قليلا قليلا[٧].

[٣٦] وأنا أرى أن هذه الأمزجة من حيث خروجها عن الاعتدال إلى أحد الأطراف قد قاربت من الجهة التي خرجت إليها أن تقع في المرض المجانس لذلك المزاج[٨]، وذلك عند أدنى سبب يطرأ عليها من خارج. فلمكان هذا الاستعداد الذي فيها أرى أن لا تكون أغذيتها شبيهة بها من كل الوجوه. وذلك أن أمثال هذه الأمزجة ليست واقفة بل هي متحركة[٩] إلى سوء المزاج المرضي، فلذلك ليس يقصد من تدبيرها بالغذاء منها حفظ[١٠] فقط، بل وإبطال ما يحدث فيها من الاستعداد. ولهذا كله ما ينبغي أن تكون أغذيتهم فيها مضادة يسيرة لذلك المزاج.

[٣٧] ومع هذا كله فليس ينبغي أن يكتفى في[١١] حفظهم بهذا التدبير دون أن تستفرغ منهم[١٢] الأخلاط التي يفعلها ذلك المزاج الغالب عليهم، فيستفرغ من أصحاب المزاج[١٣] الحار المرة الصفراء بالإسهال والقيء، ويتحرى في استعمال ذلك بحسب كثرة[١٤] تولد هذا الفضل في ذلك البدن. ويقصد أيضا في استفراغه الجهة التي جرت عادة الطباع[١٥] من ذلك أن تستفرغ منه: إن بالقيء فبالقيء وإن بالإسهال فبالإسهال. والإسهال أحمد، لأنه استفراغ على مجرى الطبع أكثر. وأظن أن من يتدبر[١٦] هذا التدبير من أصحاب الأمزجة الحارة فقط أو الحارة اليابسة فسيكتفون في استفراغ المرة الصفراء بالأدوية المستفرغة لها برفق مثل التمر الهندي والبنفسج والأهليلج[م] الأصفر والليلاب[م] وغير ذلك من الأدوية الملينة. ومهما كان هذا المزاج الغالب عليه الحرارة واليبس كان[١٧] تولد الأبخرة الدخانية فيه كثيرا[١٨]، فهو أحوج إلى دخول الحمام، وإلا أصابتهم حمى يوم من ساعتهم. وكذلك متى صابروا[١٩] الجوع. ويصلح لهؤلاء في بعض

---

(١) ت: هكذا "هو" (٢) ت: ثبت في المتن "تدبيرهم" وفي الهامش "تبريدهم" وعليها علامة ظ (٣) ب: أنواع (٤) م: هو عليه؛ غ، ت: هو عليها (٥) غ، م، ت: مزاجهم (٦) م: بتدرجهم (٧) م: سقط "قليلا" (٨) غ، م، ت: أضيف "خروجا كثيرا" (٩) ب: موافقة بل متحركة (١٠) غ، م، ت: "حفظا" عوض "منها حفظ" (١١) غ، ت: سقط "في" (١٢) غ: نستفرغ منه؛ ب: ...منها؛ ت: ...منه (١٣) م: سقط "المزاج" (١٤) م: سقط "كثرة" (١٥) ت: الأطباء (١٦) ب: تدبر (١٧) ت: وكان (١٨) م: أكثر (١٩) غ، ت: صابروا؛ ب، م: صايروا.

الأحيان أن يستعملوا الاستحمام[١] بعد الطعام، فإن هذا يخصب أبدانهم. لكن من كان منهم يصيبه في استعمال ذلك ثقل على جنبه الأيمن فينبغي أن يتجنبه[٢]. ويستعمل الأشياء المفتحة لسدد الكبد. وأما شرب الأنبذة لهؤلاء فينبغي أن يقللوا منه، وإن استعملوها[٣] فليستعملوا النبيذ الأبيض المائي. وبالجملة فتدبير أصحاب الأمزجة الحارة اليابسة وأصحاب الأمزجة الحارة فقط إنما يختلفان في آخر الأمر بالأقل والأكثر، لأن الحرارة في آخر الأمر لا بد أن تقترن بها يبوسة. وشرب شراب السكنجبين السكري في[٤] زمان الصيف – المعمول ببعض البزور والحشائش التي فيها قوة مفتحة مدرة من غير إسخان مثل بزر السريس والبرشاوشان [م]وبزر الكرفس مكسورا قوته الأولى بمثله من بزر البطيخ مع ما يحجب من يبس هذه الأدوية ويكسر من حرها مثل عود السوس وزهر البنفسج وزهر النيلوفر– تدبير جيد في الحر[٥] يمانع[٦] حدوث الحميات في هذه الأمزجة. وينبغي أن يكون فيه مع هذا ما يقوي فم المعدة، فإن الخل بما هو خل مضر بفم المعدة. فلذلك لا ينبغي أن يخلو مثل هذا المركب[٧] من قليل مصطكى[م] وسنبل[م] أو يسير من عود الطيب. وشرب ماء الشعير أيضا لهؤلاء[٨] في زمان الصيف تدبير جيد، بعد أن يكون فيه أيضا بعض[٩] ما يكسر من إخلاله بفم المعدة.

[٣٨] وينبغي لأصحاب الأمزجة اليابسة أن يعنوا أكثر[١٠] ذلك بترطيب أبدانهم، فإن الشيخوخة تسرع إليهم. وذلك يكون بالأغذية الرطبة المحمودة الكيموس كتفايا[١١] إناث الدجاج وبالاستحمام بالمياه العذبة المعتدلة في الحر والبرد. وينبغي أن يتجنب[١٢] أصحاب هذه الأمزجة السهر والأعراض النفسانية التي تكسب الأبدان[١٣] حرارة مثل الغضب وغير ذلك، ويستعملون[١٤] ما يطرب ويبسط أخلاقهم. ولتكن الأشياء التي يتعمدون لقاءها من خارج مضادة لأمزجتهم مثل الأهوية المعدلة[١٥] في زمان الحر بورق الخلاف[م] والريحان وورق الكرم والمياه الباردة، وأن تكون فروشهم وثيابهم في غاية اللدونة[١٦] والوثارة[١٧]. وسماع الألحان المرّحية[١٨] أوفق شيء لهذه الأمزجة، أعني[١٩] الحارة اليابسة[٢٠].

---

(١) م: الحمام (٢) م: يجنبه (٣) غ: استعملوا؛ م: استعملوه؛ ب، ت: استعملوها (٤) غ: سقط "في" (٥) م: "فتدبير جيد"، وسقط "في الحر" (٦) ت: بما يمنع(٧) م: يخلى هذا التركيب (٨) ب: لمثل هؤلاء (٩) م: سقط "بعض" (١٠) ت: أضيف "من" (١١) غ: كفتايا (١٢) ب: يحنب (١٣) ب: البدن (١٤) غ، ب، ت: ويستعمل (١٥) غ، م: الأهوية المعتدلة؛ ت: "الأدوية المعدة"، وشطب على "الأدوية" في المتن وصححها "الأبدنة" في الهامش وعليها علامة ظ (١٦) م: ثبت "اللدونة" في المتن، وصحح "البرودة" في الهامش (١٧) ب: سقط "والوثارة"؛ م: "والوبارة"، (١٨) م: سقط "المرحية"؛ ت: هكذا "المرخية" (١٩) ب: سقط "أعني" (٢٠) ت: أضيف "في تدبير المزاج الحار الرطب".

[٣٩] وأما[١] الأمزجة الحارة الرطبة فأصحابها تعتريهم أمراض العفونة وسيلان الفضول، وبخاصة في سن الحداثة. فلذلك ينبغي لهؤلاء أن يستعملوا من الرياضة الرياضة[٢] القوية السريعة، ومن الدلك[٣] الكثير الصلب. ويستحموا قبل أخذ غذائهم مرتين وثلاثا. وبالجملة فينبغي أن يعنوا بأمر معدهم، فإنه متى استحالت الأطعمة في المعدة كانت سببا لاستحالة الأخلاط في جميع البدن. وأما أغذيتهم فيجب أن تكون مائلة إلى البرد واليبس. وليس هذا المزاج هو المزاج[٤] المعتدل كما يظن ذلك جالينوس والقدماء[٥]، حين قالوا إن المزاج الطبيعي هو الحار الرطب. وذلك أن المزاج الطبيعي إذا قيس من حيث هو وسط بالأطراف قيل فيه إنه معتدل. وأعني بالأطراف الأمزجة الثمانية. وإذا قيس بحسب غلبة[٦] الأسطقسات فيه قيل إنه حار رطب بمعنى أن الحرارة والرطوبة فيه[٧] أغلب من البرودة واليبس. وأما هذا المزاج الذي نقول فيه هاهنا حار رطب[٨] فهو بالمقايسة إلى المعتدل. فقولنا إذن في المعتدل إنه حار رطب، وفي هذا المزاج حار رطب، هو باشتراك الاسم. وجالينوس يأخذ أن الطبيعي هو المزاج الذي يقال بالمقايسة إلى الأطراف[٩] والحار الرطب [هو] الذي يقال بالإضافة إلى المعتدل. فيلزمهم ألا[١٠] مزاج هاهنا معتدل[١١]. وقد خرجنا عما كنا بسبيله فلنرجع إلى حيث كنا فنقول:

[٤٠] وهؤلاء ليس ينبغي لهم أن يقتصروا من حفظ الصحة على الرياضة فقط والاستحمام واستعمال الأغذية[١٢]، بل ينبغي أن يعنوا أيضا باستفراغ الفضول بالأدوية[١٣] بالإسهال، ومن الرأس[١٤] بالعطاس والغرغرة بالمصطكى ويسير من حب الرأس والتاغندس(م)[١٥] وبإدرار البول. والأدوية التي تصلح لإسهال أصحاب هذه الأمزجة هي الأدوية اللينة في استخراج الرطوبات مثل الغاريقون(م) والتربذ والقرطم(م) وبزر الأنجرة(م). وينبغي أن يعنى[١٦] هؤلاء بتفتيح السدد ومنع أسباب العفونة أكثر من جميع الناس. ومنع أسباب العفونة يكون بأشياء: منها كما قلنا بتفتيح[١٧] السدد، ومنها استفراغ الخلط الذي شأنه أن يعفن، ومنها[١٨] إحالته بالأدوية وذلك فيما شأنه منه[١٩] أن يستحيل عن الطبيعة عند معاضدتها[٢٠] بالأدوية، ومنها مقابلة ذلك الخلط بأدوية مضادة لمزاجها وهذه الأدوية هي المعروفة بالأفاويه. وذلك أن العفونة لما كان مزاجها مزاجا متولدا عن حرارة غريبة ورطوبة غريبة منتنة الرائحة كانت الأدوية

---

(١) ب: أضيف "أصحاب" (٢) ب، م: سقط "الرياضة" (٣) م: أضيف "الدلك" (٤) م: سقط "المزاج" (٥) ب،غ: بالقدماء (٦) غ، ب: أضيف "قوى" في الهامش (٧) غ، ت: سقط "فيه" (٨) ب: أضيف في المتن "بمعنى أن الحرارة والرطوبة فيه أغلب من البرودة واليبوسة" (٩) غ، ت: للأطراف (١٠) م: فيلزمُهُم إلى (١١) في نسخة غ تكررت لفظة "معتدل" (١٢) م: ويستعمل الأدوية (١٣) م: سقط "بالأدوية" (١٤) م: والرأس (١٥) م: والتاغندست (١٦) ت: يعتنوا (١٧) غ، م: تفتيح (١٨) ب: منه (١٩) م: سقط "منه" (٢٠) ب: ثبت في المتن "عضاضتها" وعليها علامة تصحيح، وفي الهامش "مضادتها" وفوقها علامة خـ.

العطرة الرائحة في غاية المضادة لها. فإن أنت ركبت لهؤلاء من مجموع هذه القوى مركبا بعد أن تبطل ما يظهر فيه من القوى التي ليست يحتاج إليها[١] كنت قد صنعت لهم دواء فاضلا في حفظ[٢] صحتهم.

[٤١] وأما[٣] أصحاب المزاج البارد[٤] فإما أن يكون [هذا المزاج] أيضا معتدلا في الكيفيات الأخر، وإما أن يكون رطبا، وإما أن يكون يابسا. فأما أصحاب الأبدان الباردة فقط من هؤلاء فينبغي أن ننحو[٥] في تدبيرهم إلى ما يسخن أبدانهم من غير ترطيب من الرياضة والاستحمام والأغذية. وأما أصحاب الأمزجة الباردة الرطبة فهؤلاء أيضا ينبغي أن يكون تدبيرهم تدبيرا يسخن[٦] وييبس، ويتجنبوا الاستحمام بالماء ويكثروا الرياضة ويستعملون من الأدوية ما يستفرغ[٧] الفضول المتولدة في أمثال هذه الأمزجة. وأما أصحاب المزاج البارد[٨] اليابس فهم أردأ هذه الأصناف. وينبغي أن يكون تدبيرهم تدبيرا يحر[٩] ويرطب. وذلك يكون بالدلك اللين والاستحمام بالماء العذب والرياضة السكنة والنوم الطويل واستعمال الأغذية التي كيفياتها هذه الكيفية. وأصحاب الأمزجة الرطبة بالجملة ينبغي أن تباعد أوقات غذائهم[١٠] كما أن أصحاب الأمزجة اليابسة ينبغي أن يكون الأمر فيهم بالضد. وأصحاب الأمزجة الباردة اليابسة ينبغي أيضا أن يعنوا باستفراغ الفضول التي تتولد في أبدانهم، وتلك هي المرة السوداء. والأدوية التي تكفيهم في ذلك هي مثل الأهليلجات السود، وإن ترقوا إلى أكثر من ذلك فالبسبايج[م]، فإنه دواء نافع[١١] مأمون الغائلة في إخراج هذا الخلط. والأنبذة الجلابية من أنفع شيء لهذه الأمزجة. وأما الجماع فأحمل[١٢] هذه الأمزجة له هي الأمزجة الحارة الرطبة، وأشدها استضرارا[١٣] به هي الأمزجة الباردة اليابسة. وأما التي بينهما فمتوسطة[١٤].

[٨- تدبير الأمزجة الخارجة جزئيا عن الاعتدال]

[٤٢] فهذه تدبيرات الأمزجة الخارجة عن الاعتدال[١٥]. وأما الأمزجة التي إنما خرجت عن الاعتدال في الكيفيات المنفعلة فقط، أعني في[١٦] اليبوسة فقط أو في الرطوبة[١٧] فليس يتبع ذلك فيها[١٨] كبير[١٩] ضرر، كما يتبع الأمزجة التي خرجت في الكيفيات الفاعلة أو المنفعلة. والفاعلة هي[٢٠] التي تكلمنا في تدبيرها، وجالينوس يحتج

(١) ب، م: "تحتاج إليها"، وفي نسخة م سقط "إليها" (٢) م: "لحفظ" عوض "في حفظ" (٣) ت: أضيف "في تدبير المزاج البارد الرطب" (٤) غ، م، ت: المزاج البارد؛ ب: الأمزجة الباردة (٥) غ: ينحو؛ م: تنحو؛ ت: من دون نقط (٦) غ، ت: يحر (٧) م: سقط "ويتجنبوا...ما يستفرغ" (٨) ب: سقط "البارد" (٩) م: يسخن (١٠) ب، م: أغذيتهم (١١) غ، م، ت: سقط "نافع" (١٢) هكذا في جميع النسخ: "فأحمل" (ثبت في متن طبعة الجزائر "فأحمد" من دون هامش) (١٣) ب: تضررا (١٤) غ، ت: بينها فمتوسطة؛ ب: بينهما فمتوسط (١٥) م: ثبت في المتن "الطبع"، وصحح في الهامش "الاعتدال" (١٦) غ، ت: سقط "في" (١٧) م: "والرطوبة فقط" عوض "فقط أو في الرطوبة" (١٨) ب: سقط "فيها" (١٩) ت: كثير (٢٠) ب، م: الفاعلة أو الفاعلة والمنفعلة وهي؛ ت : ...وهي.

لهذا بأن أعضاء الإنسان في أول ما يولد هي في غاية من الرطوبة، وعند الشيخوخة في غاية من اليبوسة.

[٤٣] وأما الأبدان القضيفة[م] فإن تدبيرها يكون بإبطال أسباب القضف. فإن كان سبب ذلك فرط تحليل لموضع الحرارة في أعضائهم واليبس، فإن التدبير[١] المرطب المبرد ينفعهم. وأما إن كان سبب القضف ضعف القوة الجاذبة التي في الأعضاء، فالطلاء بالزفت نافع لهم؛ وذلك بأن يبقى على البدن بمقدار ما يجذب إليه الغذاء فقط لأنه إذا طال لبثه حلل. وأما إن كان السبب فيه استيلاء البرد على القوة الهاضمة، فاستعمال الأشياء المهضة[٢] لها كالأنبذة وغير ذلك. والقضف بالجملة إنما يكون مع يبس؛ لكن فاعل ذلك اليبس قد يكون فرط التحليل، وقد يكون قلة جذب القوة الجاذبة الغذاء[٣] إلى الأعضاء، وقد يكون لقلة المنهضم منه ووتاحته[٤](=تفاهته)، وقد يكون أيضا[٥] ذلك ليبس الأغذية أنفسها وإصلاح هذا قريب. وأما تقضيف الأبدان العبلة فبضد هذه الأشياء، أعني الرياضة المفرطة والإمساك عن[٦] الأكل واستعمال الاستفراغ بالأدوية وبجميع ضروب الاستفراغ من كل ما يثير الحرارة مثل السهر وجميع الأعراض[٧] النفسانية التي تفعل هذا الفعل.

[٤٤] وإذ قد قلنا في تدبير الأمزجة غير المعتدلة المتساوية[٨] في ذلك فلننقل في الأمزجة التي عدم الاعتدال فيها في نفس أعضائها. وهذه الأمزجة أيضا تدبيرها هو[٩] من جنس إبطال الاستعدادات المرضية، أكثر ذلك[١٠] من تدبير من به سوء مزاج مستو[١١]. والغرض في مَن حاله هذه تقويةُ ذلك العضو وإصلاح مزاجه، واستفراغ ما يتولد فيه وإنضاجه، ورفع السبب الفاعل[١٢] له، وإصلاحه إن كانت آفته من قبل مشاركة[١٣] عضو آخر، وإلا بإصلاحه[١٤] نفسه. ومثال ذلك أن المعدة قد تكون في بعض الناس مؤوفة بالطبع، وقد تكون بسبب مشاركة[١٥] الدماغ. وأشد الأصناف ضررا من هذا الاختلاف هي اختلافات[١٦] الأعضاء الرئيسة المشاركة[١٧] إذا تضادت أمزجتها، مثل أن تكون المعدة باردة، والكبد حارة والبدن مهلوس، وصاحبه يشكو الحصى[١٨]، أو أن يكون قضيفا وأنثياه فعالة للمني. وفي مثل هذه المواضع[١٩] ينبغي أن يخلط التدبير مع صرف العناية إلى الأهم من غير أن[٢٠] تهمل الجهة الأخرى.

---

(١) غ: والتدبير؛ ب، ت: فالتدبير (٢) ب: المـُهَضِمَة؛ م: المنهضمة (٣) غ، ت: سقط "الغذاء" (٤) ب: سقط "ووتاحته"؛ ت: وزيادته (٥) ب: سقط "أيضا" (٦) غ، م، ت: في (٧) غ: الأعضاء (٨) م: المساوية (٩) غ، ت: سقط "هو" (١٠) غ، ت: سقط "ذلك" (١١) ت: المزاج المستو (١٢) م: سقط "الفاعل" (١٣) غ، ت: مشاركته (١٤) غ، ت: فإصلاحه (١٥) م: لسبب مشاركة؛ ت: بسبب مشاركته (١٦) ب، م: هو اختلاف (١٧) م، ت: الرئيسية المشاركة؛ غ: الرئيسة المتشاركة (١٨) ت: الحمى (١٩) ب: هذا الموضع (٢٠) غ، ت: "أن لا" عوض "أن"؛ وفي نسخة ب ثبت "أن لا" وشطب على "لا".

وهذا كله داخل في باب المعالجة، فلا معنى لذكره هاهنا. والحفظ[١] منه قبل أن يقع من جنس دفعه[٢] إذا وقع.

[٤٥] ومن أسوأ أصناف هذه الأمزاج من كان مزاج دماغه غير معتدل: إما إلى البرد وإما إلى الحر. وذلك أن مزاج الدماغ إذا ساء[٣] كان سببا لآفات كثيرة تحدث بالأبدان. منها أنه يعتري عن ذلك أورام الحلق والرئة واللهاة وقروح الرئة وقروح الفم وانقطاع الصوت والبهر. وربما مال الفضل إلى معدهم فأفسدها: إن كان باردا فإلى[٤] البرد حتى يفسد مزاجها ويفسد مزاج سائر البدن. وأصحاب هذه العلة يتجشؤون جشاء حامضا كما عرض لي ذلك وأنا فتى. فأكسب معدتي سوء مزاج لست أقدر بعد على دفعه. وذلك أيضا مع سوء المعالجة لي في ذلك الوقت. فإني ما كنت حينئذ[٥] حذقت شيئا من أعمال الطب. وربما كان هذا الخلط في بعضهم مراريا. ورفع هذا كله إذا وقع داخل في حيلة البرء. وأما التحفظ من وقوعه فهو أليق بهذا الموضع. وذلك يكون، أما[٦] في الدماغ البارد فبوضع الضمادات المجففة له المقوية[٧] التي لها بعض حرارة وعطرية كالبسباسة[م] في الصيف والقرنفل في الشتاء، واستفراغ الفضول التي تجتمع فيه كل يوم بالعطاس، والسواك بأصول الجوز، ومضغ المصطكى[م] مع يسير من الميوبزج[م]، وأخذ بعض الأدوية التي شأنها أن تستفرغ الخلط البارد من الرأس في أوقات أخذ الدواء، وهي فصل الاعتدالين: أعني الربيع والخريف. وأما الأدمغة التي تتولد فيها فضول حارة فعلاجها ضد هذا العلاج. وذلك أن تدهن رؤوسهم بدهن الورد، وأن يستفرغ منهم ذلك الخلط بالأدوية التي شأنها أن تستفرغه. والرؤوس بالجملة هي أكثر تأثرا[٨] عن البرد منها عن الحر. فلذلك ما ينبغي أن تصان عن البرد غاية الصون.

[٩- تدبير سائر الناس.. وحفظ الأبدان المشرفة على المرض]

[٤٦] وأما تدبير سائر الناس الذين لا يمكنهم أن يتدبروا بشيء من هذا التدبير فينبغي أن يتأمل أمرهم. فإن كان من هذه صفته معتدل المزاج في أصل الخلقة فأحسب أن أمراضه أكثر ذلك إنما يكون[٩] من جهة الكثرة، فلذلك ما (ما: زائدة) ينبغي لهؤلاء أن يتعاهدوا بالاستفراغ العام الذي هو الفصد، ولا سيما من كان منهم تعتريه أمراض الامتلاء، ويتجنبون[١٠] ما أمكنهم الأغذية الكثيرة الغذاء. وأما من لم يكن معتدل المزاج فإن أمراضه أكثر ذلك إنما تكون من رداءة الأخلاط، فلذلك ما ينبغي أن يحدس على

---

(١) ب: والتحفظ (٢) غ، ت: دفعها (٣) ت: سقط "ساء" (٤) ت: هكذا "فال" (٥) ب: سقط "حينئذ" (٦) غ: إما يكون؛ ت: "إما ما يكون" عوض "يكون أما" (٧) م: "المقوية له" عوض "المجففة له المقوية" (٨) غ: تاثير (٩) م: "ما تكون" عوض "ذلك إنما يكون"؛ ت: ...تكون (١٠) م: ويجنبون.

الخلط الغالب على أبدانهم فيستفرغ أبدا. ويحدس في كمية استفراغه من كثرة تولده وقلته. فمن الناس من يكتفي باستفراغ واحد في زمن الربيع، ومنهم من يحتاج إلى استفراغين: استفراغ في الربيع واستفراغ في الخريف. وأنا أرى أنه ينبغي لمن هذا شأنه أن يستفرغ في الأسابيع من عمره والأرابيع، أكثر مما شأنه أن يستفرغ[١] كل عام. فإنا نرى الأمراض إنما تحدث بالناس أكثر[٢] على أدوار محدودة أو قريب من محدودة في سني أعمارهم[٣]. فمن[٤] شعر من نفسه بذلك[٥] فليستعد بمثل هذا الاستعداد، فإني أرجو أن بهذا[٦] التدبير سيسلم[٧] كثير من الناس من الأمراض العرضية. وينبغي لأمثال هؤلاء أن لا تناكر عادتهم في مطعم ولا مشرب ولا تدبير أصلا[٨]، إلا أن يكون تدبيرا رديئا فينبغي أن يهجروه ما أمكنهم. كما أن العادة أيضا إذا تمكنت في شيء فينبغي أن لا ينقل[٩] عنها دفعة، ولو كانت في غاية المضرة إلا بتدريج. فهذا هو القول في[١٠] صحة جميع الأمزجة.

[٤٧] وقد ينبغي بعد أن نقول في حفظ الأبدان التي قد[١١] أشرفت على المرض، وإبطال الاستعدادات الحاصلة فيها، وهو الجزء الثاني من هذا العلم. وإن كان كثير مما سلف في الجزء الأول كأنه متوسط بين هذين الجنسين على ما قلنا، فنقول:

[٤٨] إن جنس حفظ الأبدان بالجملة من الأمراض التي قد استعدت لقبولها بظهور إحدى العلامات فيها الدالة[١٢] على حدوث تلك الأمراض التي عددت في كتاب العلامات، هو ضرورة من جنس إبطال ذلك المرض إذا حدث. مثال ذلك أن حفظ البدن[١٣] من الوقوع في الجذام هو بعينه يلتئم بالأشياء التي بها تكون معالجة هذه[١٤] العلة. وكذلك في مرض مرض. ومن أشهر هذه الاستعدادات الحالة المسماة إعياء، حادثا من تلقاء نفسه. وذلك أن هذه الحال متى حصلت في الأبدان استعدت بها لقبول آفات كثيرة. فلذلك كان إفرادها بالقول ضروريا[١٥] هاهنا[١٦]. وليس الأمر كذلك في الاستعدادات الخاصة بمرض مرض، فإن الوجه في إبطال تلك الاستعدادات هو الوجه في إبطال تلك الأمراض[١٧]، فلذلك لا معنى هاهنا لتكريرها. وكذلك أيضا القول في حفظ الأبدان عند فساد الأهوية هو ضروري هاهنا. فلنبتدئ[١٨] من الحالة المسماة إعياء فنقول:

---

(١) ب: أضيف "في" (٢) ب: "أكثر ما تحدث بالناس أكثر ذلك" عوض "إنما...أكثر" (٣) غ، ت: عمره (٤) غ: فمتى (٥) غ، ت: ذلك (٦) ب: "بمثل هذا" عوض "بهذا" (٧) ت: يسلم (٨) م: سقط "ولا تدبير أصلا" (٩) ب: ينتقل (١٠) ت: أضيف "تدبير" في الهامش (١١) م: سقط "قد" (١٢) غ: أحد...الداخلة (١٣) ب: الأبدان (١٤) غ: ذلك؛ ت: تلك (١٥) غ، ت: ضروري (١٦) ب: هنالك (١٧) غ، ب، م، ت: سقط "الأمراض"، وفي نسخة م استدركت اللفظة على الهامش (١٨) م: فلنبدأ .

[١٠- الإعياء وأصنافه]

[٤٩] إنه قد قيل في كتاب المرض إن هذه الحال ثلاثة أصناف: صنف يعرف بالإعياء القروحي وأن فاعل هذا هي الأخلاط الحارة[١]، أعني الحادث منه من تلقاء نفسه وهو الذي القول فيه هاهنا. وصنف ثان تمددي وأن فاعل هذا هو كثرة الدم. وصنف ثالث ورمي وهو مركب من فاعل القروحي ومن فاعل التمددي[٢]. ويخص هذا أنه يعرض في الأعضاء منه تزيد في أقطارها. ولذلك عد هذا الثالث في البسائط، وإلا فهو مركب منهما[٣]. فينبغي أن نبدأ أولا بالعلاج العام لجميعها ثم نصير بعد إلى ما يخص واحدا واحدا، فنقول:

[٥٠] إن[٤] العلاج العام لجميع هذه الأنواع من جهة أن فاعلها مزاج مادي هو الإحالة فيما يمكن فيه[٥] إحالته، واستفراغ ما لا[٦] يمكن ذلك فيه. والإحالة تفعلها[٧] الطبيعة بالأدوية والأغذية التي شأنها أن تلطف تلك الأخلاط وتهيئها[٨] للإحالة، وقد يفعل ذلك أيضا التجويع وطلب النوم والهدوء. وأما الاستفراغ فيكون[٩] بالأدوية المدرة للبول والعرق، وبالأدوية المسهلة وبالرياضة، ويكون بشق العروق. وهذا كله إنما لتقيل[١٠] فيه الصناعة الطبيعة[١١]. فهذا هو العلاج العام لجميع هذه الأصناف. وأما الخاص بواحد واحد منها فينبغي أن نقول فيه، فإنه ليس في كل واحد منها يستفرغ بنوع واحد من الاستفراغ، ولا يستعمل فيه نوع واحد من الإحالة. ونبتدئ من ذلك بالإعياء القروحي فنقول:

[٥١] إن هذا الإعياء فاعله بالجملة كما قيل[١٢] أخلاط لذاعة. وقد علمت أن الخلط اللذاع إما أن يكون صفراويا أو سوداويا أو بلغميا مالحا؛ فإن كل واحد من هذه يلذع: أما الصفراء فبحدتها، وأما السوداء فبحمضتها، وأما البلغم المالح[١٣] فبملوحته. وهذه الأخلاط لا تخلو أن تكون إما تحت الجلد فقط، وإما أن تكون مع هذا غائرة في العضل فقط، وإما أن تكون مع أنها في العضل هي أيضا في الأوراد أنفسها على الجهة التي شأن هذه الأخلاط أن توجد في الدم، أعني بالقوة القريبة. ثم لا تخلو أن تكون مع هذه الأخلاط[١٤] في البدن أخلاط بلغمية[١٥] خامية أم لا تكون. وإن كانت فيه فلا[١٦] تخلو تلك الأخلاط الخامية أيضا أن تكون في اللحم فقط أو في الأوراد أنفسها. وما[١٧]

---

(١) ت: الحاد (٢) غ، ت: ثان ممدي...المددي (٣) م: منها (٤) ب: أي (٥) م: سقط "فيه" (٦) ت: سقط "لا" (٧) غ، ت: "تفعله" (٨) م: ذلك الخلط وتهيئه؛ غ، ت: سقط "تلك" (٩) غ: سقط "فيكون" (١٠) غ، م، ت: تتقيل؛ ب: لتقيل (١١) غ: الطبيعية؛ م: للطبيعة (١٢) غ، ت: قال (١٣) م: سقط "المالح"(١٤) ب: "هذا" عوض "هذه الأخلاط" (١٥) غ: بلغمانية (١٦) م: سقط "تخلو أن...فيه فلا"، هناك إشارة إلى الهامش لكن لا يظهر منه شيء (١٧) يظهر "ومما" .

كان من هذه الأخلاط في الأوراد أنفسها[١]، أعني الصفراوية أو السوداوية (أو البلغمية المالحة أو الخامية فلا تخلو أن تكون مع قلة الدم أو كثرته وانما يكون) أو الدم كثيرا متى كانت هذه الأخلاط وتحَة في الأوراد ولم تبعد جدا عن مزاج الدم. فإن بعضها الوجود لها بالفعل إنما هو من[٢] قبل أن يستحيل إلى الدم. وبعضها الوجود له بالفعل إنما هو بعد[٣] أن يستحيل عن الدم[٤]، بمنزلة الصفراء والسوداء، وهي تتفاضل في ذلك بالقرب والبعد. فمتى بعدت جدا عن الدم، إما بأنها تحتاج إلى استحالة طويلة وحينئذ تنصرف[٥] دما، أو قد استحالت بعد أن كانت دما استحالة كثيرة فإن الدم ضرورة في هذه الحال قليل وتح. فهذه جميع[٦] الأوجه التي يمكن أن تتصور عليها الأبدان في حال هذا الإعياء ولكل واحد منها علاج خاص، فنقول:

[٥٢] أما إذا كانت الأخلاط الفاعلة لهذا الإعياء إنما هي تحت الجلد فقط، فقد يكتفى في علاجها بالرياضة المسكنة وبالاستحمام واستعمال الأغذية اللطيفة المرطبة[٧] كماء الشعير وشراب السكنجبين وما أشبه ذلك. وأما متى كانت هذه الأخلاط الفاعلة للإعياء[٨] يوجد حسها غائرا في اللحم، فليس ينبغي حينئذ أن تستعمل الرياضة بل يستعمل الهدوء والنوم ما أمكن، والإمساك عن الطعام. وذلك أن هذه الأفعال مما تنضج بها تلك الأخلاط. فإذا كان عشي ذلك اليوم حممناه بالماء المعتدل وغذوناه بغذاء جيد الكيموس لطيف جدا[٩]، بعد أن سقيناه أيضا شراب سكنجبين أو شراب العسل، إن لم يكن مزاجه محرورا. وذلك أن هذه الأشربة من شأنها أن تستفرغ بالبول والعرق ما[١٠] ليس يمكن فيه أن يستحيل عن الطباع، فإن سكن هذا العارض فقد أصبنا فيما[١١] ظننا من أن هذا الخلط إنما هو في العضل فقط، وإن لم يسكن واضطرب نوم هذا العليل فهذه الأخلاط حينئذ ليست في العضل فقط بل وفي الأوراد.

[٥٣] ولذلك قد ينبغي أن تتثبت وتنظر[١٢]: هل مع هذه الأخلاط الفاعلة للإعياء أخلاط خامية أم لا؟ وإن كانت فهل هي في الأوراد أم لا؟ فلننزل[١٣] أولا أن ليس معها أخلاط خامية، وأن هذه الأخلاط الفاعلة للإعياء في الأعضاء أنفسها وفي الأوراد. فحينئذ أيضا ينبغي أن نتأمل هل[١٤] معها كثرة دم أم ليس معها كثرة دم[١٥]؟ وهل تلك الأخلاط بعيدة من جوهر الدم أم ليست بعيدة؟ فإن[١٦] كانت مع قلة دم، وهي بعيدة من جوهره، فينبغي أن نستعمل هاهنا الاستفراغ بالإسهال لنوع الخلط الذي يحدس أنه فاعل الإعياء. وذلك إما صفراويا كما سلف، وإما سوداويا وإما بلغميا مالحا،

(١) ب، م: قلة دم أو كثرته؛ ت: كثرة الدم أو قلته (٢) غ، م، ت: سقط "من" (٣) في م، ت "بعد" وفي غ "هو" عوض "الوجود له بالفعل إنما هو بعد" (٤) غ، م، ت: سقط "عن الدم"، وثبت "عن الدم" في هامش نسخة م؛ ب: من الدم (٥) م: ينصرف؛ ت: تتصرف (٦) ب: فهذه هي الجميع (٧) غ، م، ت: الرطبة؛ ب: المرطبة (٨) م: لهذا الإعياء (٩) غ، م، ت: سقط "جدا" (١٠) م: مما (١١) ب: ما في (١٢) غ، م: تثبت وننظر (١٣) غ، ت: فننزل (١٤) غ: سقط "هل" (١٥) م: "دما"، وسقط "دم أم ليس معها كثرة" (١٦) غ، م، ت: ببعيدة وإن (م: فإن).

فإن الأخلاط إذا خرجت عن الطبع في كيفيتها فاستفراغها يكون بالدواء الجاذب لتلك الأخلاط بأعيانها، وأما إذا خرجت في كميتها فاستفراغها يكون[1] بشق العروق كما[2] سيقال في الجزء العلاجي. وأما إذا كانت هذه الأخلاط في الأوراد مع كثرة دم فينبغي أن تستفرغ بالفصد ثم بالإسهال بعد.

[٥٤] وأما إن كان مع هذه الأخلاط في[3] البدن أخلاط خامية نظرنا أيضا: فإن كانت الأخلاط في الأوراد مع دم كثير، وهي مع هذا غير بعيدة من جوهر الدم، فينبغي أيضا أن تستفرغ بالفصد وإسهال تلك الأخلاط، فإنها متى كانت قريبة من جوهر الدم لم تكن في نهاية الغلظ فتستعصي[4] على الدواء المسهل. وأما إذا كانت هذه الأخلاط الخامية في الأوراد كثيرة مع دم قليل، وهي مع هذا بعيدة من جوهر الدم، فهاهنا ليس ينبغي أن نشق العرق ولا أن نسهله. وذلك أنا متى شققنا العرق هاهنا[5] قتلنا، ومتى أيضا رمنا الاستفراغ بالدواء لم تجب[6] تلك الأخلاط لغلظها[7]. وأيضا فإنها تتقدم فتسد المجاري عن أن يجري فيها غيرها من الأخلاط.

[٥٥] ووجه الحيلة في من هذا شأنه أن نأمره بالسكون والدعة، ونجعل أغذيتهم وأدويتهم أدوية[8] ملطفة مقطعة من غير إسخان شديد لأن لا تنتشر تلك الأخلاط الخامية في البدن. وأوفق الأشياء لهم شراب السكنجبين البزوري الذي حجب يبسه بعروق السوس. وماء الشعير جيد لهم، لمن كان منهم شابا، مع يسير من أصل الرازيانج[م]. وماء العسل أوفق لهم مفردا ومع شيء من زوفا[م] وعروق السوس. وهؤلاء تنتفخ بطونهم وتعتريهم رياح غليظة. ولذلك قد يطعمهم جالينوس الدواء المعمول بالثلاثة الفلافل[9] والجوارش الكموني. لكن[10] ينبغي في إقليمنا هذا إذا استعملت هذا العلاج أن تستعمله بحذر[11] وتوق، وإلا جلبت الحمى من ساعتك على المريض: فإن إقليم جالينوس أبرد من إقليمنا. وإنما كان جالينوس يستعمل هذه المعالجة في زمان الشتوة وفي غير سن الشباب، اللهم إلا أن يكون المرض يقتضي ذلك بطبعه اقتضاء كثيرا.

[٥٦] وإن اتخذ هاهنا مركب[12] من الأدوية الملطفة المقوية للأعضاء الباطنة التي هي أقل حرارة من هذه كان أيضا حميدا، مثل الدارصيني[م] والأسارون[م] والعود والعنبر والقرنفل والسليخة[م] وما أشبه ذلك من الطيوب. لكن جالينوس إنما أحسبه يتجنب[13] هذه الأدوية هاهنا لمكان القبض الذي فيها. فإن أنت خلطت الجنسين فعلت مركبا

---

(١) م: سقط من المتن "بالدواء الجاذب...يكون"، واستدركت العبارة في الهامش لكن لا يظهر إلا جزء منها (٢) ب: على ما (٣) م: سقط "الأوراد مع...الأخلاط في" (٤) م: سقط "لم تكن...فتستعصي" (٥) غ: متى أسهلنا هاهنا؛ م: متى استعملنا هاهنا شق العرق؛ ت: متى أفصدنا هاهنا (٦) غ، م، ت: تجبنا (٧) ب: أضيف "هاهنا" (٨) ت: أغذية (٩) غ: فلافل (١٠) غ، م، ت: أضيف "قد" (١١) ت: بتحرز (١٢) غ، ت: مركبا (١٣) غ، م، ت: تجنب.

حسنا، لأن هؤلاء الأعضاء الرئيسة[١] منهم في غاية الضعف، وبخاصة فم المعدة. ولذلك[٢] ليس يجب أن يخلو هذا المركب من المصطكى. وأما الورد فلا أحمده في هذا المركب لمكان برده وقبضه، وإن كان فيه تقوية للأعضاء[٣]. والأسطوخدوس دواء حميد[٤] الموقع في هذا المركب. وكما يتجنب الاستفراغ في هذه الحال بالإسهال كذلك يتجنب[٥] بالقيء، فإنا كما نتخوف أن نكون قد حركنا خلطا[٦] بالإسهال إلى باطن البدن من غير أن نكون[٧] أخرجناها، كذلك نتخوف أن نكون باستعمال القيء قد حركناها إلى ظاهر الجسم.

[٥٧] وأما إذا كانت الأخلاط الخامية في العضل، وكان دم الأوراد نقيا، فقد ينبغي هاهنا أن لا نحذر الأشياء القوية الإسخان المدرة للبول؛ فإنه قد أمن في هذا الموضع انتشار الخلط. وجالينوس يستعمل في هذا الموضع[٨] الدواء الفوذنجي. ولن يخفى عليك علاج ما تركب من هذه الأصناف، وكذلك أيضا لست أحتاج أن أصف لك هاهنا العلامات الدالة على غلبة خلط خلط من هذه الأخلاط على البدن، ولا مقدار كميته وموضعه، فإنك قد عرفت[٩] جميع هذا من كتاب العلامات؛ فاعتمد على البول في تمييز جنس[١٠] الأخلاط التي تكون في الأوراد، وعلى العرق في[١١] التي تكون داخل العضل. وذلك أيضا من لونه ومذاقه. وكذلك[١٢] فاعتمد على الوقوف على كثرة ذلك الخلط و[١٣] قلّته من التدبير المتقدم والمزاج المناسب له والفصل المناسب وسائر الأشياء التي قيلت في كتاب العلامات.

[٥٨] وأما الإعياء الورمي والتمددي[١٤] فهما ضرورة يكونان مع كثرة من[١٥] الدم، فلذلك ما ينبغي أن نفصد[١٦] هؤلاء ضرورة ونقدر كمية ما يخرج من جهة السن والمزاج والفصل[١٧] كما سنقول في كتاب العلاج. وينبغي أن تتفقد الأعضاء في هذا الإعياء، فإن كان الثقل أكثر ذلك إنما هو في الرأس فافصد له القيفال. وإن كان أكثر ذلك إنما هو[١٨] في الصدر، فافصد له الباسليق. وإن كان فيهما على السواء فافصد له الأكحل.

[١١- حفظ الصحة في المناخ الخارج عن الطبع]

[٥٩] وقد بقي من هذا الجزء أن نقول كيف تحفظ الأبدان من الأمراض[١٩] في الأهوية الخارجة عن الطبع فنقول: إن الهواء كما قيل في غير هذا الموضع: إما أن

---

(١) ب، م، ت: الرئيسية (٢) ب: ولهذا (٣) غ، م، ت: الأعضاء (٤) ب: جيد (٥) غ، ت: نتجنبه (٦) غ، م، ت: يكون قد حركنا الأخلاط (٧) غ، م، ت: يكون (٨) غ، م، ت: "هاهنا" عوض "في هذا الموضع" (٩) غ، ت: علمت (١٠) ب: سقط "جنس" (١١) ت: "العُروق"، وسقط "في" (١٢) غ، م، ت: أضيف "أيضا" (١٣) غ: "من" عوض "و" (١٤) غ، ت: الممددي (١٥) ب: "من كثرة" عوض "مع كثرة من" (١٦) م: يفصد؛ ت: نقصد (١٧) غ، ت: الفصل والسن والمزاج؛ م: السن والفصل والمزاج (١٨) غ، ت: سقط "إنما هو" (١٩) غ، ت: المرض.

يخرج عن طبعه في كيفياته، وإما أن يتغير في جملة جوهره وذلك بأن يتعفن. والهواء إذا كان[١] بهذه الصفة، أعني بأحد هذه الحالات، استعدت به الأبدان لحدوث أمراض مشاكلة لذلك المزاج، إلا أنه ليس جميع الأبدان تلقى ذلك، وإنما يلقى ذلك منها أكثرها استعدادا وإلا مرض[٢] كل إنسان في الهواء الوبئي. ولهذا كله الاعتماد في التدبير في هذه الأوقات إنما هو عام لجميع هذه التغايير بتفتيح السدد ومنع أسباب العفونة بالجملة.

[٦٠] وأما ما يخص صنفا صنفا[٣] من هذه التغايير الحادثة في الهواء، فإنه متى خرج في أحد كيفياته فينبغي أن يقابل ذلك بالتدبير المضاد. مثال ذلك أنه إذا أفرط في الحر واليبس تدبر بالأغذية الباردة الرطبة، ولزمت المجالس الشمالية المعدلة الهواء بالماء[٤] والرياحين. ونقصد[٥] أيضا، إذا أمكن ولم يمنع من ذلك شدة البرد أو الحر، إلى استفراغ الفضل المناسب لذلك الخلط المتولد في ذلك الفصل. وأما الهواء الفاسد في جملة جوهره فينبغي أيضا أن يقابل بالاستفراغ العام وبالأشياء التي تمنع الوباء بجملة جوهرها، ونجعل الأغذية باردة يابسة بعيدة من العفونة، بمنزلة الخل والعدس، ويبخر الهواء بالأشياء المانعة للعفونة، بمنزلة القسط والكندر والميعة. وللقطران في ذلك تأثير كبير[٦]. وأخذ الترياق الكبير في هذا الزمان حافظ عظيم[٧] من الوباء. وذلك أن يؤخذ منه نحو قيراط إلى درهم ويبقى عليه حتى ينهضم في الأعضاء كلها، وذلك نحو تسع ساعات. وبالجملة فمتى تغير الهواء تغيرا[٨] ينذر بأمراض ستحدث فينبغي أن يتحفظ من حدوث تلك الأمراض، وذلك بالتدبير المضاد لطبائعها. والطين الأرميني بالخل في الهواء الوبئي نافع، وكذلك الطين المختوم. وذكروا أنه متى أخذ من الصبر جزءان[٩] ومن الزعفران جزءان[١٠] والمر جزء[١١] وسقي في أول[١٢] الوباء منه في[١٣] كل يوم اثنا عشر قيراطا، وذلك ست وثلاثون حبة[١٤] مع أوقية خمر ممزوجة[١٥] انتفع به، وأنه لم ير أحد فعل هذا إلا سلم من الوباء. وينبغي أن يتخير الهواء النقي الصافي المتحرك في زمان الصيف، وذلك بأن تسكن المواضع المرتفعة أو الغرف العالية إن لم تكن المواضع المرتفعة، اللهم إلا في[١٦] وقت تغير الهواء في جوهره، فإنه ينبغي حينئذ أن تلزم البيوت المصلحة الهواء[١٧] على ما وصفنا. وتجنب جميع الفواكه في مثل هذه الأهوية ضروري جدا فإن الدم المتولد عنها يجيب إلى العفونة بسرعة. وكذلك ينبغي[١٨] أن

(١) م: سقط من المتن "إذا كان"، ويبدو أن العبارة استدركت في الهامش (٢) ت: "والأمراض تأخذ"؛ ثبتت عبارة "تأخذ" في الهامش (٣) ت: سقط "صنفا" (٤) غ، م، ت: المعتدلة بالهواء (م، ت: الهواء) بالمياه (م: بالماء)؛ ب: المعدّلة الهواء بالماء (٥) ت: نفصد؛ غ: يقصد (٦) ت: تأثيرا كثيرا (٧) ت: "عليهم" عوض "حافظ" (٨) ب: سقط "تغيرا" (٩) غ، ت: جزء (١٠) م: سقط "جزءان" (١١) ب: ثبت في الهامش، بخط مغاير، "ومن الزعفران والمر من كل واحد جزء"؛ وثبت في الطرف الآخر من الهامش "هذا قول الرازي في المنصوري" (١٢) غ: يظهر "أوان" (١٣) غ، ت: منه؛ ب: في؛ م: منه في (١٤) م: الظاهر "نحو من جزء" عوض "ست وثلاثون حبة" (١٥) غ، ت: ممزوج (١٦) ب: سقط "في" (١٧) غ، ت: للهواء (١٨) ب: يجب.

تتجنب[١] اللحوم فإنها أيضا سريعة الاستحالة إلى التعفن. وإن استعملت فليستعمل من ذلك الطيور الجبلية. والحيتان في هذا الفصل من أردأ شيء. وشراب السكنجبين الذي ماؤه ماء[٢] الورد الصادق الحمضة، إذا أضيف إليه بعض البزور التي فيها إدرار وهي مع هذا[٣] باردة، تدبير جيد في هذه الأوقات. وتعاهد تليين الطبيعة بالجملة بالأشياء الملينة[٤] في كل فصل تدبير حافظ للصحة بإجماع من الأطباء، مثل التمر الهندي والراوند والبنفسج والأهليلجات والخيار شنبر والترنجبين واللبلاب والرمان المعصور بشحمه وما أشبه ذلك من هذه الأمور الملينة[٥] مما يخرج الأخلاط الحادة[٦] الصديدية، التي كونها[٧] في البدن لتوليد العفونة[٨] بمنزلة الخمير في العجين للتخمير. وهذا كله الذي قلناه في هذا الجزء من هذا العلم[٩] كاف بحسب غرضنا في الإيجاز، ويتلوه كتاب شفاء الأمراض، وهو الجزء السابع من هذا الكتاب[١٠].

---

(١) ب: تجتنب؛ م: تجنب (٢) ت: سقط "ماء" (٣) ت: سقط "مع هذا" (٤) غ: ...اللينة؛ م: وبالجملة الأشياء الملينة (٥) غ، ت: ...أشبه هذه من الأمور اللينة؛ ؛ م: شحمه وما أشبه ذلك من الأمور اللينة (٦) غ، ت: سقط "الحادة" (٧) ت: تكونها (٨) غ، م، ت: "يتولد فيه عفونة" عوض "لتوليد العفونة" (٩) م: سقط "من هذا العلم"؛ ب: سقط "هذا" (١٠) في غ "تم الجزء السادس والحمد لله لا شريك له"، وفي ت "بلغت المقابلة" عوض "ويتلوه...حمده"؛ في م "المقابلة" عوض "القراءة...حمده"؛ ب: بلغت القراءة والمقابلة والحمد لله حق حمده.

الكتاب السابع

شفاء الأمراض[1]

(١) ب: أضيف "بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وآله وسلم تسليما"؛ ت: أضيف "بسم الله الرحمن الرحيم".

[١- الأمور العامة التي بها تكون إزالة الأمراض]

[١] [١]إنه لما كانت الأحوال التي ليست بطبيعية صنفين: أمراضا وأعراضا تتْبع الأمراض، وكانت الأمراض أيضا صنفين: إما أمراض منسوبة أولا إلى الأعضاء المتشابهة الأجزاء وثانيا إلى المركبة[٢] -وتلك هي أصناف سوء المزاج الثمانية، المادي منها[٣] وغير المادي[٤]- وجب أن نبتدئ أولا فنعرِّف[٥] وجه الحيلة في إزالة الأمراض المنسوبة إلى المتشابهة الأجزاء، المادي منها وغير المادي، بقول كلي[٦]، ثم نعرف كيف الحيلة في إزالة أمراض الأعضاء الآلية بقول كلي أيضا[٧]، ثم نصير بعد ذلك إلى شفاء الأمراض بحسب عضو عضو، من القرن إلى القدم[٨]: فإنها وإن كانت منطوية بالقوة في القول الكلي فإن في تخصيصها بالقول تتميما على ما سيظهر في ما بعد. وكذلك نفعل في الأعراض: أعني أن القول فيها نقسمه إلى صنفين كلي وجزئي، والكلية من هذه الأشياء هي التي[٩] احتوت عليها حيلة البرء من كتاب[١٠] جالينوس، وأكثر الجزئيات في كتاب الميامر[١١]. فلنبتدئ أولا بالقول في الأمور العامة التي بها تكون[١٢] إزالة أمراض[١٣] المتشابهة الأجزاء، مادية كانت أو غير مادية، ثم نصير إلى القول في نوع نوع منها؛ وذلك بحسب الترتيب الأنفع هاهنا، فنقول:

[٢] إن الغرض في شفاء سوء[١٤] المزاج غير المادي هو غرض واحد فقط، وهو[١٥] إبطاله وصرفه إلى الحال الطبيعية. وذلك إنما يكون بالذات وأولا[١٦] بضده، فإن الضد كما قيل[١٧] شفاء للضد. والأضداد التي بها تبطل الأصناف الحادثة عن[١٨] سوء المزاج في بدن الإنسان هي الأدوية أكثر ذلك، والأغذية المضادة بقواها الأول لسوء المزاج المرضي: أعني إذا كان المزاج حارا يابسا فإن شفاءه[١٩] بالأغذية والأدوية الباردة الرطبة. وإنما

---

(١) غ: أضيف "فنقول" (٢) غ، ت: المركب (٣) غ، م، ت: سقط "منها"(٤) غ، ت: أضيف "وإما أمراض منسوبة إلى الأعضاء الآلية" (٥) م: بتعرف (٦) غ، ت: سقط "بقول كلي" (٧) غ، ت: سقط "بقول كلي أيضا" (٨) غ، ت: "الأعراض" عوض "الأمراض بحسب...إلى القدم" (٩) م: سقط "هي التي"؛ ثبتت العبارة في ب (١٠) ب: كتب؛ م: كتاب (١١) غ، ت: "في شفاء الأمراض إذ كان بزوال المرض يرتفع العرض من جهة ما هو مسبب له فإن في تخصيصها بالقول منفعة ما ستظهر فيما بعد" عوض "في القول الكلي فإن...كتاب الميامر" (١٢) غ، م: الذي (م: التي) بها يكون (١٣) غ، ب، ت: الأمراض (١٤) غ، ت: سقط "سوء" (١٥) غ، ب، ت: وذلك؛ م: وهو (١٦) م: بالذات أولا (١٧) ت: تقول (١٨) غ، م، ت: من؛ ب: عن (١٩) غ، ت: كان شفاؤه؛ ب، م : فإن شفاءه.

قلنا إن[١] إبطال سوء المزاج إنما يكون أولا و[٢] بالذات عن ضده لأنه قد يتفق أن يبطل بالعرض عما هو من نوعه. مثال ذلك أن[٣] الماء البارد قد يبطل سوء المزاج البارد بسده لمسام البدن وعكسه الحرارة الغريزية إلى قعر البدن. لكن هذه المداواة ينبغي أن تحذر كل الحذر، ولا تستعمل إلا حيث الضرورة. والأطباء كثيرا ما يستعملونها في هذه الصناعة كما سيلوح لك.

[٣] وأما الغرض من إبطال سوء المزاج المادي فشيئان[٤]: أحدهما استفراغ المادة والآخر إصلاح المزاج الحادث عن[٥] المادة في العضو المستفرغ. والذي به يكون الاستفراغ أشياء: أحدها فصد العروق[٦] والثاني شرب الأدوية المسهلة والمقيئة والمدرة[٧] والحُقن، وبالجملة جميع الأدوية الملطفة المقطعة[٨] التي تدر البول والعرق وتلين الطباع. وهذا النوع من أفعال الأدوية إنما يكون لها بقواها الثواني والثوالث والخواص، كما أن إبطال سوء المزاج المفرد إنما يكون لها بالكيفيات الأول[٩]. وقد يكون الاستفراغ بالتجويع والرياضة والاستحمام والتدلك، إلا أن الاستفراغ بالرياضة إنما يمكن فيمن لم يمرض بعد. فأما المرضى فليس يمكن فيهم الاستفراغ بالرياضة.

[٢- الاستفراغ: أنواعه وشروطه]

[٤] وأما الاستفراغ بالفصد فقد يوقف على أنه فعل طبي[١٠] بالتجربة والقياس. أما التجربة فيحصل عنها علم ذلك لمن زاول شيئا من أعمال هذه الصناعة. وأما القياس فإنه يظهر ذلك به[١١] من جهتين: إحداهما أنا نرى الطبيعة تشفي باستفراغ الدم في كثير من الأمراض الدموية، وكذلك أيضا تشفي باستفراغ الأخلاط أنفسها، وهذا هو أدل دليل على استعمال الاستفراغ بالأدوية المسهلة وغير المسهلة في شفاء الأمراض. وأما الوجه الثاني[١٢]، الذي يمكن أن يظهر به أن الفصد علاج طبي في بعض[١٣] سوء المزاج المادي، فهو أنه[١٤] غير ممتنع أن يكون بعض الناس يسرف في تدبيره في المطعم والمشرب، حتى يجتمع في بدنه من الدم كمية زائدة على المجرى الطبيعي؛ والزيادة ينبغي أن تستفرغ ضرورة. وليس يكفي في مثل هذه الرياضةُ ولا التجويعُ[١٥]، لأن هذه إنما تحلل من البدن مقدارا يسيرا بالإضافة إلى ما يحتاج من الاستفراغ[١٦] مَن به الامتلاء الذي بحسب التجاويف. ولذلك[١٧] حكى جالينوس أنه جاءه فتى شاب يذكر[١٨]

---

(١) م: سقط "إن" (٢) ب، م، ت: سقط "و" (٣) ت: سقط "أن" (٤) م: فسببان (٥) م: من (٦) م: العرق (٧) غ، م، ت: سقط "والمدرة"؛ ب: ثبتت العبارة في الهامش (٨) ت: والمقطعة (٩) م: سقط "الأول" (١٠) ب: طبيعي (١١) م، ت: سقط "به" (١٢) ت: سقط "الثاني" (١٣) غ: سقط "بعض" (١٤) م: "فإنه" عوض "فهو أنه" (١٥) ت: بالرياضة ولا بالتجويع (١٦) ب: استفراغ (١٧) ت: وكذلك (١٨) غ، م، ت: فذكر.

له أنه كان يبصر[١] في نومه كأنه يسبح في بركة من[٢] دم، ورأى علامات[٣] غلبة الدم عليه ظاهرة، فأمره بالفصد، فمشى الفتى إلى بعض[٤] الأطباء الذين كانوا على رأي ارسسطراطيس في ترك الفصد فأمره بالرياضة. فلما شرع الفتى في الرياضة تحللت أخلاطه وذابت فانطفأت حرارته الغريزية دفعة، على جهة ما ينطفئ السراج عن الزيت الكثير إذا صب عليه دفعة.

[٥] فأما في أي موضع يستعمل واحد واحد من هذه الاستفراغات أو أكثر من واحد[٥] منها فينبغي[٦] أن نحددها[٧] أولا، وحينئذ نصير إلى معالجة صنف صنف من أصناف سوء المزاج بعد أن نعدد أيضا الأمور التي يستدل منها، إما استدلال موافقة وإما استدلال مضادة، على كمية الاستفراغ وإبطال سوء المزاج. وتلك هي طبيعة المرض والقوة والمزاج والسن والبلد وسائر الأشياء التي تذكر بعد، فنقول:

[٦] إن الاستفراغ إنما يجب بالجملة متى خرجت الأخلاط في جميع البدن أو في عضو من أعضائه عن طبيعتها، إما في الكمية وإما في الكيفية أو في كليهما. فخروجها[٨] في الكمية يعرض عنه الصنف من الإعياء المعروف[٩] بالتمددي، وهو الامتلاء المعروف امتلاء بحسب الأوعية. وأما الامتلاء المعروف امتلاء بحسب القوة، فيكون عن خروج الأخلاط في الكمية والكيفية حتى يثقل[١٠] القوى الغاذية والقوى المحركة، وبالجملة القوى الفاعلة ضرورة؛ لأنه إذا ضعفت القوى لم تفعل في الأخلاط الفعل الطبيعي. وكثيرا ما يتبع هذا الصنف من الامتلاء الحالة المسماة إعياء قروحيا لرداءة الأخلاط الموجودة في هذا الصنف من الامتلاء. فهذه هي[١١] جميع الأحوال التي متى كانت في جميع البدن أو في عضو[١٢] منه[١٣] اقتضت الاستفراغ.

[٧] وأما الحالة التي ينبغي أن يستفرغ فيها الدم أولا وأكثر ذلك، فهي الحالة التي تخرج فيها الأخلاط في البدن عن كميتها الطبيعية. وذلك ليس أكثر من تزيد الدم في كميته إذ كانت الأخلاط محمولة فيه بالقوة. وهذا التزيد كثيرا ما يحدث[١٤] الإعياء التمددي[١٥] كما قلنا. وأما الحالة الثانية التي ينبغي أن يستفرغ فيها، لكن دون هذا الاستفراغ، فهي متى[١٦] كان خروج الأخلاط في كميتها وكيفيتها معا، وبخاصة متى كانت[١٧] كيفية غير مضادة لطبيعة الدم ولا[١٨] بعيدة من جوهره، كالأخلاط الخامية،

---

(١) غ، ت: يرى (٢) م: سقط "من" (٣) غ، ت: علامة (٤) م: سقط "بعض" (٥) ب: أضيف "واحد" (٦) غ، م، ت: فقد ينبغي؛ ب: فينبغي (٧) ورد في طبعة الجزائر "نجردها" من دون هامش (٨) ت: فخروجهما (٩) ب: "الذي يعرف" عوض "المعروف" (١٠) م، ت: تثقل (١١) ب: سقط "هي" (١٢) م: ثبت في المتن "جميع"، وعلى الكلمة علامة تصحيح لم يثبت في الهامش (١٣) غ، ت: منها (١٤) غ، م، ت: "يصحب عنه" عوض "يحدث" (١٥) غ، ت: "الممدد" (١٦) غ: "فمتى" عوض "فهي متى" (١٧) م: أضيف "تلك" (١٨) م: سقط "ولا".

وهذه الأحوال سواء كانت في جميع البدن أو في عضو منه[١]، إلا أنها متى لم تكن إلا من عضو واحد أو أكثر من عضو[٢] وبالجملة متى لم تكن في جملة البدن، فقد يكون الاستدلال المأخوذ من طبيعة جملة البدن في أكثر الأمر استدلالا مضادا لاستفراغ ذلك العضو أو الأعضاء، على ما سنقول بعد.

[٨] وقد يستعمل استفراغ الدم في هذه الصناعة بضرب من العرض، وذلك في أمراض الاستفراغ مثل استعمالهم الفصد في قطع الرعاف وقطع دم البواسير وغير ذلك. لكن هذا كما قلنا من الاستعمال العرضي؛ فينبغي أن يتجنب ما وجد السبيل إلى غيره. وقد يستعمل هذا النوع من الاستفراغ في[٣] نقل المادة عن العضو فقط إلى ضد الجهة، لا أن يقصد بذلك خروجها عن البدن. وأكثر ما يستعمل هذا مع قلة الدم ورداءة كيفيته. وقد يجتمع هذان الغرضان في استفراغ الدم، وذلك حين[٤] يقصد استفراغ المادة الفاعلة للمرض وحفظ تزيد المرض. وإذا قصد الاستفراغ فقط كان شق العرق في أقرب موضع من العضو الآلم فقط، وإذا قصد تمييل المادة إلى ضد الجهة كان شق العرق في أعضاء مضادة في الوضع[٥] للعضو العليل، وإذا قصد الغرضان جُمِعا معا[٦]. والاستفراغ الأول يسمى جذب استقامة والثاني جذب مخالفة.

[٩] فأما في أي موضع يجب أن يجمع الأمران جميعا، أو أن يرجح أحدهما على الآخر، فسيبين من قولنا عند معالجة أمراض الأعضاء أنفسها. ولهذا السبب بعينه لم تكن العروق المقصودة عروقا واحدة بأعيانها في جميع الأمراض، بل يفصد في بعض الأمراض الباسليق[م] وفي بعضها القيفال[م] وفي بعضها الأكحل[م]، وربما فعلنا ذلك من اليد اليمنى، وربما كان ذلك من[٧] اليسرى كما سيأتي بعد. فهذه هي المواضع التي فيها[٨] يستفرغ الدم، والأغراض المقصودة في استفراغه.

[١٠] وأما المواضع التي فيها يستفرغ بالدواء المسهل فهي أولا خروج الأخلاط في كيفيتها فقط، وذلك الذي يعنون برداءة الأخلاط. هذا متى لم تكن الأخلاط الخارجة في كيفيتها خروجها إنما هو إلى الخامية. وأما الموضع الثاني الذي قد يستعمل فيه الدواء[٩] فهو إذا اجتمع الأمران جميعا: أعني خروج الأخلاط في الكمية والكيفية. وحينئذ يجب الجمع بين الاستفراغين، لكن أي الاستفراغين هاهنا يجب أن يقدم فيه، موضعُ نظر.

---

(١) ت: منها (٢) ب، م، ت: إلا في عضو واحد أو (م: أضيف "في") أكثر من عضو واحد (ت: سقط "واحد") (٣) ت: من (٤) ب: "حتى". ويبدو أنها صححت في الهامش "حين" (٥) غ، ت: "إلى جهة أخرى شق العرق في أكثر الأعضاء مضادة في الموضع (ت: الوضع)" عوض "ضد الجهة...في الوضع" (٦) ب: ثبتت في المتن "جميعا" (وسقط "معا") وصحح في الهامش "جُمِعَا"؛ م، ت: "جميعا" عوض "جمعا معا" (٧) ب، م: فعلت (م: فعلنا) ذلك في اليد...ذلك في (م: من) (٨) ب: منها (٩) ت: أضيف "أو الفصد"؛ م: "في الكيفية فقط ما لم تكن كيفيته غليظة كالخامية وأما الموضع الذي يجمع فيه الاستفراغان" عوض "في كيفيتها فقط..يستعمل فيه الدواء"؛ ثبت في نسخة ب عبارة طويلة لا يستقيم استدلالها وعليها تصحيحات وهوامش معظمها مطموس.

فقد حكى الرازي في التجارب المارستانية أنه رأى قوما مشوصين[م] فصدوا من غير أن يسهلوا فماتوا. وذلك أن الكيفية الرديئة كانت مغمورة بالكمية، فلما ظهرت بالفعل قتلت. وقد نرى أيضا بعض[١] مواضع يضطر فيها[٢] إلى تقديم الفصد لضيق الوقت ولظهور الانتفاع به سريعا. والحق أنه يجب أن يقدم أهمهما في الغرض المقصود. وقد قال أبو مروان بن زهر[٣] إنه لا ينبغي أن يستعمل الفصد إلا بعد تليين الطبيعة. ولعل ذلك لأن الأعضاء إذا استفرغت من الدم جذبت من الثفل ما ليس شأنه أن تتغذى[٤] به، وذلك لموضع استفراغها فتعتريها رداءة كيفية مع أنه قد يكون ذلك سببا لتحجر الثفل، وذلك[٥] إذا امتصت منه الأعضاء الرطوبة[٦]. وبين قولنا دواء ملين ومسهل فرق: فإن المسهل هو الجذاب، والملين هو المقطع أو المزلق أو ما أشبه ذلك مما يعين على إخراج الثفل فقط.

[١١] وأما متى كان خروج الأخلاط في كيفيتها إنما هو إلى الخامية والغلظ، فليس ينبغي حينئذ أن يستعمل الفصد ولا الإسهال. أما الفصد فالأمر فيه بين. وأما الإسهال فلأنها(=الأخلاط) لا تجيب[٧] إلى الخروج لعسرها، وتخرج الأخلاط الجيدة. وجالينوس يستعمل في استفراغ هذه: أما[٨] قبل أن يحم صاحبها فالأدوية[٩] المسخنة الملطفة، وأما إذا حموا فالدلك مع الأدوية الملطفة القليلة الإسخان. وقد فصل كيف استعمال ذلك قبل الحمى في كتاب حفظ الصحة. وسنفصل بعد كيف استعمال ذلك مع الحمى.

[١٢] وقد يستعمل أيضا الإسهال بالدواء بضرب من العرض في مداواة الإسهال، وذلك على جهة إخراج الخلط الفاعل للإسهال. لكن مثل هذا الاستعمال هو غير مأمون. وذلك أنه وإن[١٠] كان يقاوم السبب، فهو يزيد في المرض ضرورة زيادة عظيمة. وهو بالجملة من باب المداواة بالشبيه لا بالضد[١١]. والحقن إنما تستعمل أكثر ذلك عندما يقصد بها استفراغ ما في الأعضاء[١٢] أنفسها أو من جهة جذب المخالفة: فإن إخراج الأخلاط بالدواء قد يقصد منه هذا الغرض. ولذلك[١٣] يحمد القيء في الأمراض السفلية كما يحمد الإسهال في الأمراض الفوقية[١٤]. وقد تستعمل الحقن حيث لا يمكن الدواء المسهل، إما[١٥] لأن العليل لا يقدر أن يزدرد شيئا وإما لأن المعدة منه[١٦] أو الكبد مؤوفة فينكؤها مرور الدواء به[١٧].

---

(١) م: سقط "بعض" (٢) غ، ت: فيه (٣) م: "بعض الأطباء الحدث" عوض "أبو مروان بن زهر" (٤) غ، ت: يتغذى (٥) غ، م: أضيف "أنه"؛ ت: أضيف "لأنه" (٦) ب: أضيف "وهو بالجملة من باب المداواة بالشبيه لا بالضد" (٧) غ: فلأنه لا يجيب؛ ب، م، ت: فلأنها (ت: فأنها) لا تجيب (٨) غ: أضيف "من" (٩) غ، ت: أضيف "فقط" (١٠) ت: إذا (١١) ب، م: سقط "وهو بالجملة...بالضد" (١٢) غ، ب، ت: الأمعاء (١٣) ب: أضيف "قد" (١٤) ب، م: السفلانية...الفوقانية (١٥) ت: لها (١٦) م: سقط "منه" (١٧) م: سقط "به".

[١٣] وأما الاستحمام فإنما يستفرغ الأخلاط الرقاق فقط، ولذلك لا يستعمل في الأمراض التي هي عن أخلاط غليظة إلا بعد النضج. وذلك أنه إذا[١] استعمل والأخلاط غليظة ذوبها ولم يؤمن انتشارها في البدن وانصبابها إلى الأعضاء الرئيسة[٢]. وأما الاستفراغ بالتجويع فهو أيضا أحد ما يستعمل في الأمراض وبخاصة القريبة المنتهى الحادة على ما سيظهر من قولنا. فهذا هو القول في جميع الأشياء التي يداوى بها سوء المزاج المادي وغير المادي، والمواضع التي يستعمل فيها صنف صنف من هذه الأصناف أو أكثر من صنف واحد.

[٣- الزيادة والنقصان في الاستفراغ.. وإدخال الضد]

[١٤] وقد ينبغي بعد أن ننظر في الأمور التي يستدل منها على هذه الأشياء استدلال موافقة فيزاد في كمية الاستفراغ، أو استدلال مخالفة فينقص من كمية الاستفراغ ومن إدخال الضد، أو يترك استعماله[٣] أصلا، وبخاصة الاستفراغ، فإنه يظن أن هاهنا مواضع لا يجب أن يستفرغ[٤] فيها وإن اقتضت ذلك كل الاقتضاء طبيعة المرض. وكذلك يشبه أن يكون ثم أيضا مواضع هذه حال استعمال الضد فيها، أعني أنه لا يجب استعماله[٥] أصلا، وإن اقتضت طبيعة المرض استعمال ذلك، فنقول:

[١٥] إنه لما كان قصدنا، أما في إبطال سوء المزاج غير المادي فرده إلى ما كان عليه، ولم يكن يتهيأ ذلك إلا بأن يكون الضد الذي يقابله[٦] في درجته من الخروج، وجب أن نعنى بمعرفة مقدار خروج البدن من الصحة إلى المرض. وذلك[٧] إنما يكون بمعرفة مزاج البدن الصحي قبل، فيلزم لهذا أن يكون أحد ما يستدل عليه من استعمال كمية الضد هو مزاج البدن الطبيعي وسنه والبلد أيضا والفصل من أوقات السنة والتدبير، وذلك أن هذه كلها تحدث في الأبدان الصحيحة أحوالا ما. والعادة أيضا قد يظن أنها تنفع في هذا المعنى على ما سيلوح بعد، لكن من غير هذا الوجه، وكذلك القوة والسبب والعرض، فإن هذه كثيرا ما يكون الاستدلال منها مضادا للاستدلال من تبريد سوء المزاج أو تسخينه، وذلك إنما يلحظ أكثر ذلك، أعني السبب والعرض والقوة[٨]، حيث[٩] يكون السبب في سوء المزاج مادة. وأما إذا كان سوء المزاج غير المادي في عضو ما فقد يستدل على مقدار إدخال الضد عليه من مزاج العضو نفسه ومن منفعته ومن مشاركته ومن وضعه ومن ذكاء حسه. وأما الاستفراغات التي يداوى بها المزاج المادي فلما كان

---

(١) ب: "وإن"، ويظهر أنه شطب على الواو (٢) غ، م، ت: الرئيسية (٣) غ: ترك استعماله؛ ب: يترك استعمالها؛ م، ت: ترك استعمالها (٤) م: الاستفراغ (٥) غ، م، ت: "يجب أن لا تستعمل (م: يستعمل)" عوض "لا يجب استعماله" (٦) م: تقابله (٧) ت: ولأن ذلك (٨) م: "يكون" عوض "يلحظ أكثر...والقوة" (٩) ب: حيثما.

القصد[١] منها أيضا[٢] أن يستفرغ الزائد فقط لا أقل من ذلك ولا أكثر، وجب أيضا أن تعرف الأشياء التي تكون أسبابا في زيادة المواد في بدن الإنسان وفي نقصانها، وتلك هي طبيعة البدن ومزاجه: فإن بعض الأبدان يكثر فيها[٣] تولد خلط من الأخلاط والمواد، وكذلك أيضا سنه[٤] والفصل من أوقات السنة والبلد والتدبير وانقطاع ما جرت العادة بسيلانه، مثل انقطاع دم البواسير أو دم الطمث أو قطع الرياضة أو استفراغات بالجملة اعتادها الإنسان. وللعادة في هذا مدخل ما. والقوة من أكثر الأشياء التفاتا إليها[٥] في هذا الجنس، فإنها كثيرا ما تضاد طبيعة المرض في الاستفراغ، وأعني هاهنا بالقوة: القوى الفاعلة كالقوة النبضية، وبالجملة الغاذية والقوة المحركة. وقد يؤخذ أيضا[٦] الاستدلال على مقدار الاستفراغ في جميع البدن من الأعضاء المؤوفة وبخاصة الرئيسة[٧]، كمن به مرض يوجب فصدَه، وهو ضعيف، فَمُ المعدة. وأما إذا كان المقصود[٨] بالاستفراغ عضوا ما من أعضاء البدن[٩] فقد يؤخذ الاستدلال على استفراغه من وضعه ومن مشاركته ومنفعته وحسه وشكله وهيئته ومن حالة ذلك العضو أيضا من جميع البدن، فإنه ربما شهد له البدن بالاستفراغ وربما لم يشهد له، وذلك بأن لا يكون امتلاء[١٠] في ذلك البدن إلا في ذلك العضو. والحمل أيضا في النساء من أحد ما[١١] يستدل به على مقدار الاستفراغ أو عدمه. فهذه هي جميع الأشياء التي يستدل منها على مقدار استعمال الضد في الشفاء[١٢] أو لا استعماله أصلا، وعلى مقدار الاستفراغ[١٣] أو لا استفراغ أصلا. وينبغي أن نقول في قوة دلالة كل واحد منها ووجه دلالته، وذلك في الصنفين جميعا، أعني في استعمال الضد والاستفراغ، إذ[١٤] كان ليس طريق لعلاج سوء المزاج غير هذين الطريقين. ونبتدئ من ذلك بوجه دلالتها[١٥] على استعمال الضد، فنقول:

[٤- وجوه الدلالة على استعمال الضد]

[١٦] أما المزاج إذا كان مناسبا للمرض وكان البلد أيضا كذلك[١٦] والفصل[١٧]، والسن فإن الأطباء زعموا أن مثل هذا السوء مزاج[١٨] لم يخرج في مثل هذا المرض[١٩] خروجا كثيرا عن الطبيعي. مثال ذلك أن يكون شاب حار المزاج في بلد حار وزمان صيف أصابته حمى حادة فيلزم على هذا أن يكون شفاؤه بالبارد الذي ليس يقوي البرد. قالوا: وأما متى كان المزاج والسن والبلد والفصل غير مناسب للمرض فقد تباعد هذا

(١) م: الفصد (٢) غ، ت: "إنما هو" عوض "أيضا"؛ م: أيضا إنما هو (٣) غ، ب، م: فيه؛ ت: فيها (٤) غ: هكذا "سنة" (٥) غ، ت: سقط "إليها" (٦) ت: سقط "أيضا" (٧) م، ت: الرئيسية (٨) ت: المقصود (٩) غ: الأبدان (١٠) م: الامتلاء (١١) م: "مما" عوض "من أحد ما" (١٢) ب: "استعماله" عوض "الشفاء" (١٣) م: سقط "أو عدمه...مقدار الاستفراغ" (١٤) ب: إذا (١٥) ب: دلالتهما (١٦) م: "وكذلك البلد" عوض "وكان...كذلك" (١٧) غ، م، ت: سقط "والفصل" (١٨) م: السوء المزاج (١٩) ب: العرض.

البدن عن مزاجه الصحي بعدا كثيرا، فينبغي أن يقابل هذا بما هو أكثر تضادا: مثال ذلك أن يكون شيخ بارد المزاج قد مرض[1] في بلد بارد وفصل بارد من مرض حار[2]، فإن هذا على قياس أقاويلهم يحتاج إلى دواء أكثر تبريدا. وهذا كله خلاف ما تقتضيه[3] المشاهدة: فإنا نجد الفتى الذي وصفنا قبل ليس ينتفع بشيء من التبريد والترطيب إلا بالذي[4] يكون في الغاية كماء الدلاع[4] وماء الخيار. ونجد الشيخ الذي بهذه الصفة متى سقيناه[5] ماء الخيار هلك ضرورة وخمدت حرارته الغريزية، فنقول:

[١٧] إن وجه الغلط في ذلك هو أن يوضع خروج بدن الشيخ، الذي بهذه الصفة[6] في سوء المزاج الحار، وبعده عن مزاجه[7] الطبيعي هو بعينه خروج بدن الشاب[8] الذي وصفنا في سوء المزاج الحار الذي أصابه، عن مزاجه الطبيعي؛ فضلا عن أن يكون خروج بدن الشيخ أكثر منه. لأنه لو كان الأمر هكذا للزم[9] أن تكون المبردات المستعملة في بدن هذا الشيخ هي المبردات المستعملة في بدن الشاب أو أكثر تبريدا، كأنك قلت أدوية في الدرجة الرابعة أو الثالثة من البرد. وليس الأمر في نفسه هكذا لأنا متى أنزلنا شابا صفراويا هو من مزاجه الطبيعي في الدرجة الأولى من الحرارة وأصابته حمى خرج بها مزاجه إلى الدرجة الثانية، فهذا إنما خرج[10] درجة مثلا عن مزاجه الطبيعي؛ وشفاؤه ليس يمكن أن يكون[11] بما هو بارد في الثانية، لشدة استحالة الأدوية إلى الجوهر الناري في بدن هذا الشاب، وذلك لبعده في الحرارة عن المزاج المعتدل.

[١٨] وأما الشيخ الذي ذكرنا فلنفرض مزاجه الطبيعي من البرودة في الدرجة، الأولى وهو قد مرض مرضا خرج به إلى الدرجة الثانية من الحرارة، فهذا ضرورة قد تباعد عن مزاجه الطبيعي، كما قيل، أكثر مما تباعد[12] الشاب. لأن الشاب تباعد درجة وهذا درجتين أو ثلاث درج؛ إلا أن الشيخ يهلك ضرورة قبل أن يخرج إلى هذه الدرجة. ولذلك الذي يشفي الشيخ الذي قد مرض مرضا حارا في الغاية من الحرارة[13] هو دواء[14] في الدرجة الثانية من البرودة لا أكثر من ذلك، لأنه إن كان أبرد من ذلك حطه عن مزاجه الطبيعي فقتله: إذ كانت الأعضاء الأصلية[15] من الشيوخ[16] باردة. وأيضا فليس في بدن الشيخ جودة استعداد لأن تستحيل فيه[17] الأدوية في هذا المرض إلى جوهر ناري، كالحال في الفتيان: فإن الشيوخ بالجملة ولو[18] مرضوا أمراضا هي في الغاية من الحرارة ليس ينبغي أن تتجاوز فيهم[19] الدرجة الثانية من البرودة. وذلك

---

(١) ب: أضيف "مرضا حارا" (٢) غ: عبارة "حار" مطموسة (٣) غ، م، ت: تقتضي (٤) غ، م، ت: الذي؛ ب: بالذي (٥) م: سقي (٦) م: بدن الشاب الذي وصفنا (٧) ت: المزاج (٨) م: "الثاني" عوض "الشاب" (٩) م: سقط "أن يكون...للزم" (١٠) ت: أضيف "في" (١١) م: أضيف "إلا" في الهامش (١٢) م: أضيف "عن مزاجه الطبيعي" (١٣) م: سقط "الذي قد...الحرارة" (١٤) ب: أضيف "بارد" (١٥) ت: سقط "الأصلية" (١٦) ب: الشيخ (١٧) ت: سقط "فيه"(١٨) ب: "فإن الشيوخ بالجملة لو" (١٩) غ، ت: نتجاوز بهم؛ ب، م: يتجاوز(ب: تتجاوز) فيهم.

أنهم وإن كانوا كما قلنا قد بعدوا عن مزاجهم فلم يبعدوا بعد الشباب، لأن الشيخ لا شك يهلك قبل ذلك. وأيضا فلو[١] قدرنا شيخا يخرج في الحمى المحرقة إلى الدرجة بعينها التي يخرج إليها[٢] الشاب وأمكن فيه أن يعيش وقتا ما، لما أمكن أن يداوى: لأن الأدوية الباردة التي تضاد ذلك المزاج كانت تعود فتفسد أعضاءه[٣] الأصلية ببردها، فيزيد[٤] ذلك الخروج بعدا عن الاعتدال[٥]. والبعد عن الاعتدال هلاك أو مرض ضرورة. وأيضا[٦] فإن[٧] سلمنا وجود مثل هذا فأدويته تكون أدوية الشاب[٨] بعينها ضرورة. وأما الشاب فلو أعطي أدوية تبرده[٩] أكثر من مزاجه الأصلي لكان ذلك صلاحا به لأنه كان يقرب من الاعتدال بذلك. وأحد ما يتدبر[١٠] به صحة الفتيان هو رد أمزجتهم إلى الاعتدال، كما قيل في كتاب الصحة. وهذا أيضا أحد الأسباب في احتمال الشبان الأدوية التي في غاية البرد. فعلى هذا ينبغي أن تفهم[١١] الأمر في وجه دلالة السن والمزاج والبلد والفصل مع[١٢] مناسبة المرض أو لا مناسبته.

[١٩] وقد يسأل سائل فيقول: كيف يمكن أن يتوهم شيخ بهذه الصفة يمرض مرضا حارا، فإن الأخلاط ليست تنزل من السماء، وإنما تتكون في الأبدان؟ فنقول له[١٣]: إنه غير ممتنع أن يعرض ذلك من جهة التدبير والأغذية. وأما متى فرضنا الأغذية والتدبير مناس[ـبين][١٤] فليس يمكن فيه ضرورة أن يعرض له مرض حار، فإن الأمراض إنما يعرض[١٥] حدوثها كما قيل في كتاب المرض من أحد شيئين[١٦]: إما من قبل مزاج الأعضاء أنفسها، وإما من قبل الأشياء التي من خارج. وإذا كان الهواء والمزاج والسن والبلد مضادا لمرض هذا الشيخ فلم يبق شيء يكون سبب هذا المرض إلا الأغذية والتدبير. وينبغي أن يفهم هاهنا مع الفصل الطبيعة الجزئية التي تكون[١٧] لذلك الفصل في تلك السنة. والهواء بالجملة متى كان مضادا للمرض فينبغي للطبيب أن يفرح به، ومتى كان مناسبا له فينبغي للطبيب[١٨] أن يسعى في صلاحه. وذلك بأن يميله إلى ضد المزاج الذي هو عليه. فإن كان حارا برده وجعل مسكن العليل في البيوت الشمالية وأجرى فيه[١٩] المياه من علو وفرشه بالأزهار الباردة. وإن كان باردا سخنه بوقد النار فيه وتوخى[٢٠] المساكن الشرقية أو القبلية وسد الأبواب.

[٢٠] وأما كيف يتصور الاستدلال في مثل هذا التداوي من العادات فإن الماء البارد مثلا، الذي نسقيه في الحميات المحرقة كما سيقال بعد، إذا[٢١] كانت عادة

---

(١) ت: "ولو"، وسقط "وأيضا" (٢) غ، ت: يخرجها (٣) غ: أعضاؤه (٤) غ، ت: فكان يزيد؛ م: فتزيد (٥) م: "ذلك المزاج" (٦) م: سقط "وأيضا" (٧) غ، ت: فلو (٨) غ، م: الشباب (٩) ب، م: "ما يبرد" عوض "أدوية تبرده" (١٠) ب: تدبر؛ م: يدبر (١١) م: يفهم (١٢) ت: سقط "مع" (١٣) غ، م، ت: سقط "له" (١٤) غ، ت: مناسب (١٥) غ، ت: يكون (١٦) م: سببين (١٧) م: التي يكون؛ غ، ت: الذي يكون (غ: تكون) (١٨) م: سقط "للطبيب"، وسقط "له" ؛ ت: سقط "أن يفرح...للطبيب" (١٩) غ، م، ت: فيها (٢٠) ب: ويتوخى (٢١) م: إذ.

العليل شربه في صحته، فينبغي أن لا يتخوف عليه من شربه وإن كانت كبده أو فم معدته باردة. وأما إذا لم تكن عادته فإما أن لا نسقيه الماء البارد أصلا، وأما إن سقيناه فأقل كمية وأقل بردا. وذلك أن الطبيعة[١] من شأنها أن تصير الضد شبيها وملائما: وذلك أن الضد متى ورد عليه ضده شيئا فشيئا وطال وروده عليه استعد بذلك لمقاومته. ومتى ورد عليه دفعة ومن غير ورود متقدم أفسده، ولذلك متى هجم على الأبدان الحر أو البرد مرضت. وهذه هي[٢] أحد الأمور المقصودة في تدريج الفصول: لأن الأبدان لو خرجت من فصل الشتاء إلى فصل القيظ دفعة لهلكت. وقد بلغ من تأثير العادة أن قوما فيما زعموا تعودوا السموم على تدريج بأن تناولوا منها أولا مقدارا يسيرا ولم يزالوا يزيدون شيئا فشيئا فيما يتناولون منها حتى صارت لهم أغذية أو عادت[٣] لا تضرهم أصلا. ولهذا السبب بعينه ينبغي للطبيب أن يبدل الأدوية في العلاج، وذلك أنه إذا دام[٤] على الدواء الواحد ألفته الطباع فلم تتأثر عنه.

[٥- قوة استعمال الضد وكمية المعالجة به]

[٢١] وأما القوة فالأمر فيها أيضا ظاهر أنه يجب أن يكون أحد ما يتأمل عند المعالجة، وبخاصة المعالجة التي تكون بالاستفراغ. وأما المعالجة التي تكون بمقاومة الضد فقد يظهر أن القوة يجب أن يتأمل فيها أيضا. مثال ذلك أصحاب الدق[٤] فإن الاستحمام بالماء البارد يشفيهم، لكن إذا صاروا إلى حد قد ضعفت فيه[٥] قواهم لم يؤمن أن ينكأ الماء أعضاءهم الأصلية، فيكون ذلك سببا لهلاكهم، كما حكى جالينوس عن الفتى الذي كان به سوء مزاج غير مادي في معدته حار، وكان الأطباء يحمّونه الماء، فلما اشتد به الألم[٦] شرب ماء كثيرا دفعة بقصد أن يموت، إذ رأى أن الموت خير[٧] له من تلك الحياة، فبرئ من سوء المزاج الذي[٨] في معدته. إلا أنه خدر منه المريء فمات لأنه لم يقدر أن يبتلع شيئا[٩].

[٢٢] فأما سوء المزاج إذا كان مع مادة، وهي الحال التي يحتاج فيها إلى جمع[١٠] النوعين من العلاج، فقد يكون الاستدلال المأخوذ من مضادة سوء المزاج مخالفا للاستدلال المأخوذ[١١] من استفراغ المادة: مثال ذلك في الحميات العفونية فإنها من حيث هي سوء مزاج حار يابس تحتاج إلى التبريد والترطيب إلا أن التبريد مما يفجج[١٢] الخلط الفاعل[١٣] لسوء المزاج. وفي مثل[١٤] هذا الموضع يحتاج الطبيب أن ينصرف إلى أهم

---

(١) غ، م، ت: العادة (٢) غ، ت: سقط "هي" (٣) م: وعادة؛ ت: أو عادة (٤) ب: متى دام؛ ت: إذا داوم
(٥) م: سقط "فيه" (٦) ت: المرض (٧) ب: رأى الموت خيرا (٨) م: أضيف "كان به" (٩) ب: يبلع شيئا شيئا
(١٠) غ، ت: جميع (١١) م: سقط من المتن "من مضادة...المأخوذ" (١٢) ب: "يُفَجِّجُ"؛ في باقي النسخ "يفحج" والحرف الأول من دون تنقيط (١٣) م: الأخلاط الفاعلة (١٤) م: سقط "مثل".

الأمرين من غير أن يغفل الآخر. مثال ذلك أن الأهم في حمى البلغم[؟] هو استفراغ المادة[١] والأهم في حمى الصفراء[؟] إبطال سوء المزاج. وأما إذا تساويا في مقدار الخطر فينبغي أن تصرف العناية إليهما بالسواء. وأما إذا لم يهم سوء المزاج فينبغي أن يبدأ أولا بقطع السبب، فإنه لا سبيل إلى تمام البرء إلا بهذه الجهة. وهكذا ينبغي أن يفهم الأمر في الأمراض المركبة والعرض المضاد للمرض مثل الحمى والغشي: فإن الحمى تقتضي التبريد والغشي يقتضي التسخين. وأيضا فإن الغشي يقتضي التغذية والحمى تقتضي الاستفراغ على ما سيقال بعد.

[٢٣] وينبغي أن تعلم هاهنا أن العرض المضاد للمرض إنما يكون ضرورة تابعا لمرض حادث مضاد للمرض الأول، مثل الغشي العارض[٢] عن الاستفراغ المضاد للامتلاء. وأما إذا كان سوء المزاج ليس السبب فيه مادة فليس يلقى فيه هذا الاستدلال كالحال[٣] في حميات يوم[؟]، وكذلك سوء المزاج إذا كان عارضا عن الأشياء التي من خارج وغير متمكن لم يستدل عليه من القوة. كالحال في هذه الحمى فهذه هي الأشياء المأخوذ منها الاستدلال على معالجة سوء المزاج غير المادي إذا كان في جميع البدن. وأما إذا كان في عضو منه فإنه يستدل عليه كما قلنا بمزاج العضو: مثال ذلك الدماغ، فإن الأطباء يقولون إذا أصابه سوء مزاج بارد استدللنا على أن علته[٤] يسيرة فتكون مداواته بالأشياء الضعيفة الحرارة. وإذا أصابه سوء مزاج حار استدللنا بذلك على أنه قد خرج عن[٥] مزاجه خروجا كثيرا، فعالجناه بالأشياء البالغة في البرد[٦]. هذا هو قياس قولهم في سائر الأعضاء، وإن كانوا لم يصرحوا بذلك في الدماغ.

[٢٤] وهذه المسألة بعينها هي مسألة الشيخ والشاب. بل متى احتجت أن تسخن الدماغ فسخنه بلا توق، ومتى احتجت أن تبرده فتوق أن تضره. وكذلك سائر الأعضاء الباردة كالعصب والأعضاء الحارة ينبغي أن تبردها بلا توق، وأن لا تسخنها إذا بردت إلا وأنت حذر من أن تضر بها. وكذلك اليابسة والرطبة فإن كل موجود إنما يدخل الضرر عليه من جهة الأسطقس الغالب عليه. وأما منفعة العضو فإذا كانت في البدن كثيرة، وكان رئيسا[٧] له أفعال كثيرة، فهو أحوج شيء إلى توفير قواه. وإنما كان ذلك كذلك لمشاركة أمثال هذه الأعضاء للقلب[٨] الذي هو ينبوع الحرارة ومعدن الحياة. ولذلك لا ينبغي أن تسرف[٩] في إدخال الضد على مثل هذه الأعضاء، وبخاصة الكيفية

---

(١) ب، م، ت: الاستفراغ للمادة (٢) م: "للمرض حادثا عنه مضادا للعرض الأول مثل الغشي وهو العارض" عوض "لمرض حادث...العارض" (لم تكن عبارة نسخة م في أول الأمر تختلف عنها في باقي النسخ، وصححت بتغيير رسم الكلمات وبإضافات في الهامش) (٣) ت: سقط "كالحال" (٤) م: "غلبته غلبة" عوض "علته" (٥) غ، ت: من (٦) غ: "بالبرد" عوض "في البرد" (٧) ب: رئيسيا (٨) ب: إلى القلب (٩) غ، ت: تصرف.

الباردة. ولهذا ما يتوقى إذا حدث بالكبد مزاج حار أن نبرده بالأشياء الباردة في غاية التبريد. وإن كان هذا الاستدلال هو على مقدار الاستفراغ أدل، أعني الاستدلال الذي يكون من جهة شرف العضو. وأما مشاركته فقد يؤخذ منها هاهنا أيضا الاستدلال: فإن فم المعدة لمشاركته للدماغ ينبغي أن لا نبرده تبريدا شديدا وإن أصابه سوء مزاج حار لمشاركته للعضو البارد. وكذلك الكبد لا ينبغي أن نبردها جدا[1] لمشاركتها للقلب. وبالجملة فينبغي في استعمال الضد في الأعضاء الرئيسة أن تشتد[2] العناية بأمر القلب لموضع مشاركته لهذه الأعضاء: فإنه جميعها بالقوة وإن كان واحدا بالفعل على ما تبين في كتاب الصحة. فمتى كان في الكبد سوء مزاج حار فينبغي أن نقصد مع تبريده تبريد القلب أيضا بالأدوية التي تفعل ذلك، فإنه غير ممتنع أن يكون السبب في سوء مزاج الكبد القلب أو يعود ضرورة سوء مزاج الكبد فيؤثر في القلب. فلهذا ما ينبغي أن لا نهمل العناية بأمر القلب في الأعضاء الرئيسة. وليس ينبغي أن يفهم هذا في التبريد والتسخين والترطيب والتيبيس فقط[3] بل وفي جميع الأفعال من التقوية وغير ذلك من الأفعال الثواني والثوالث. وأما الاستدلال من الوضع[4] هاهنا فظاهر أيضا: وذلك أن سوء المزاج إذا كان في عضو في[5] ظاهر الجسم لم يحتج من الأدوية إلى أدوية قوية الكيفية[6]. وأما إذا كان في[7] داخل البدن فإنه يحتاج إلى أدوية قوية لأنها تضعف عند مرورها بسائر الأعضاء كالحال مثلا في الرئة. فهذا هو القول في دلالة هذه[8] الأشياء على كمية المعالجة بالضد[9]. وقد ينبغي أن نقول بعد في دلالتها على كمية الاستفراغ وبخاصة نوعي الاستفراغ الذي هو الفصد والإسهال، فنقول:

[٦- كمية الاستفراغ: الفصد والإسهال]

[٢٥] إنه[10] إذا اقتضت طبيعة المرض الفصدَ فينبغي أيضا أن ننظر إلى السن والهواء والمزاج والتدبير والعادة، فإن كان جميع هذه مناسبا للمرض فلنتقدم على الفصد من غير توق. وكذلك أيضا متى لم يكن في البدن عضو رئيس به آفة أو مرض يضاد بذلك دلالة الاستفراغ مثل أن يكون بارد فم المعدة، أو يكون في البدن حالة لا يصلح معها استفراغ الدم مثل التخمة، أو تكون قد أتت على العليل[11] من مرضه أيام[12] حتى ضعفت قوته. أما السن الذي يناسب إخراج الدم فهو سن الشباب. وأما السن الذي يقع فيه الفصد في[13] غير سن الشباب، لكن من بعد أن ينقص من كميته، فهو من أول[14]

---

(١) غ، ت: أن تبردها تبريدا شديدا (٢) غ، ت: تشد (٣) غ، ت: سقط "فقط" (٤) غ: "بالوضع"، ويبدو أنها صححت في الهامش (٥) غ، ب، ت: سقط "في" (٦) غ، ت: الكيفيات (٧) غ، ت: سقط "في" (٨) ب: سقط "هذه" (٩) غ، ت: في الضد (١٠) غ، ت: سقط "إنه" (١١) ب: المريض (١٢) غ، ت: "العليل له مريض أياما" عوض "قد أتت...أيام" (١٣) م: سقط "في" (١٤) ت: آخر.

الأسبوع السادس في الأكثر[١] إلى السبعين. ومن بعد ذلك فلا يفصد أصلا[٢]. وإن كان قد يوجد من يحتمل[٣] الفصد وهو ابن ثمانين[٤]. وأما من[٥] دون الأسبوعين على رأي جالينوس فلا يفصدون أصلا، وإن حثت على ذلك طبيعة المرض كل الحث. قال أبو مروان بن زهر أما أنا ففصدت ابنا لي من ثلاث سنين وأنقذته بذلك من الموت[٦].

[٢٦] وأما القوة فإذا كانت ضعيفة جدا فليس تنقص من كمية الفصد بل قد تمنع[٧] منه أصلا، وإن كان ذلك العليل لا يعيش دون أن يفصد لم يكن سبيل إلى برئه، كالحال في كثير من أمراض الشيوخ.

[٢٧] أما الفصل المناسب لإخراج الدم فهو فصل الربيع. وأما فصل الصيف فيضاد أيضا[٨] إخراج الدم لضعف القوى فيه وتحلل الأرواح؛ لكن إذا أوجبت ذلك طبيعة[٩] المرض فإنما له تأثير في كمية الاستفراغ فقط. وأما فصل الشتاء فيضاد أيضا الفصد لجمود الدم في ذلك الفصل وغلظه. وأما فصل الخريف وإن قارب أن يشبه الربيع في اعتداله في البرد والحر فلموضع يبسه وتشتت القوى فيه، وضعفها من فعل الصيف المتقدم قد لا يلائم أيضا ذلك الفصد.

[٢٨] لكن هذه كلها إنما تنقص من كمية الاستفراغ إذا أوجبت ذلك طبيعة المرض. وإذا كان المقصود بالفصد عضوا ما من أعضاء البدن، ولم يكن الامتلاء إلا في ذلك العضو، كان دليلا على نقصان كمية الدم. وينبغي في مثل هذه المواضع أن يخرج في مرتين أو ثلاث، لأن لا يلحق عن ذلك ضرر في إخراجه دفعة[١٠].

[٢٩] وأما شرب الدواء المسهل فإنه أيضا[١١] يستدل على مقدار الاستفراغ فيه من هذه الأشياء فلا يستفرغ به الصبي أصلا ولا الشيخ الهرم ولا يستفرغ به في الصيف ما لم تدع إلى ذلك ضرورة. وذلك أنه لا يؤمن لموضع يبس الفصل وحره أن يورث العليل مزاجا شبيها بهذا المزاج. وكذلك لا يستعمل في فصل الشتوة لعسر إجابة الأخلاط. وأما الخريف والربيع فحمد الأطباء استعماله فيهما[١٢]، وذلك أن الأخلاط في الخريف أكثر ذلك إنما هي خارجة عن الطبع في كيفيتها. لكن رأوا من لم يضطره إلى ذلك أمر وإنما يأخذ الدواء على وجه[١٣] حفظ الصحة أن يأخذه بعد نزول المطر، لأن المطر حينئذ يكسر

---

(١) ب، م: الثامن في الأكثر (٢) غ، م، ت: سقط "ومن بعد ذلك فلا يفصد أصلا" (٣) ب: يحمل (٤) ت: أضيف "فأما سن الشيخ الفاني فإنه يمنع من إخراج الدم لضعف اعدايه (هكذا ولعله "إغذائه") واستيلاء سوء المزاج البارد اليابس على أعضائه الأصلية وكثرة الرطوبة العرضية في بدنه وسن الصبي الصغير منع من إخراج الدم لإفراط رطوبته وتخلخله وكثرة ما ينحل منه وحاجته إلى النمو" (٥) م: سقط "من"؛ ب: ما (٦) ب، م: " خلافا لما فعله بعض المتأخرين إذ أفصد ابنا له ابن ثلاث سنين" (٧) غ، م، ت: ينقض...يمتنع (م: يمنع) (٨) غ، م، ت: سقط "أيضا" (٩) غ، ب، ت: أوجب ذلك طبع (ب: طبيعة)؛ م: أوحبت ذلك طبيعة (١٠) م: سقط "دفعة" (١١) غ: سقط "أيضا" (١٢) غ: سقط "فيهما"؛ ت: فيها (١٣) م: جهة.

من يبس الصيف[١]. وأما شهادة المزاج للاستفراغ بالدواء، فإذا كان الخلط مناسبا للمزاج فينبغي أن يستفرغ بلا توق، وإذا كان بخلاف ذلك نقص من كمية الاستفراغ. والعادة لها تأثير في هذا الموضع كما لها تأثير في غير ذلك من الأشياء.

[٣٠] وأما إذا كان المقصود استفراغه عضوا[٢] من أعضاء البدن فقد يستدل على استفراغه كما قلنا من وضعه ومن مشاركته. مثال ذلك أن الدماغ متى أردنا استفراغه بالفصد فصدنا[٣] القيفال[؟] لمشاركته للدماغ أكثر من الباسليق[؟]. والمشاركة نافعة[٤] جدا في الاستفراغ الذي به يقصد الجذب إلى خلاف. مثال ذلك أنه إذا أفرط دم الطمث وضعنا المحاجم بين الثديين، وإذا أفرط الرعاف وكان من المنخر[٥] الأيسر وضعنا المحاجم على الطحال، وإذا كان من الأيمن وضعناها على الكبد. وأما من الوضع[٦] فمثل أن العضو إذا قصد استفراغه وهو في أعلى البدن كان استفراغه من أسفل أنجع[٧]، إذ يجتمع في[٨] هذا الاستفراغُ والجذبُ إلى خلاف. ولهذا يحمد القيء في الأمراض التي في أسفل البدن والإسهال في الأمراض التي في أعلى البدن. وأما شكل العضو وخلقته فمنها أيضا يوقف على جهة استفراغه؛ مثال ذلك أنا قد علمنا من خلقة المعدة أنها تستفرغ من جهتين: بالقيء وبالإسهال. وكذلك علمنا من خلقة الكبد أنها تستفرغ من محدبها بإدرار[٩] البول ومن مقعرها بالإسهال. وعلمنا أيضا من خلق هذه الأعضاء وكونها طريقا للأدوية أنه[١٠] لا ينبغي أن تستفرغ الأورام الحادثة فيها بالإسهال لموضع مرور الدواء المسهل بها ونكئه لها ولأورام الحلق بالغرغرة.

[٣١] وأما عظم[١١] منفعة العضو وشرفه فقد يدعونا[١٢] أيضا إلى توفير قواه في الاستفراغ من جهة مشاركة العضو الرئيس، بإطلاق وهو القلب. مثال ذلك ورم الكبد إذا تناهى، فإن الورم من حيث هو ورم في هذا الوقت يوجب التحليل ومن حيث هو في هذا العضو يجب أن لا يخلو الدواء المستعمل[١٣] مما فيه قبض وعطرية. وكذلك العضو الذكي الحس لا يحتمل قوة الاستفراغ. وأما نفس سوء المزاج فقد يظن به أيضا أنه يضاد الاستفراغ للمادة[١٤] الفاعلة له، وذلك بالاستفراغ الذي يكون بالأدوية فقط لموضع زيادة الأدوية بحرارتها في سوء المزاج. وأيضا فإن الاختلاف في نفسه يحر[١٥] المزاج. وهذا هو أحد الأمور التي دعت بعض الأطباء أن لا يستعمل[١٦] الدواء المسهل في أوائل[١٧] الحميات مع عسر الأخلاط في ذلك الوقت. وسنتكلم في هذه المسألة فيما بعد.

---

(١) غ، م، ت: الفصل؛ ب: الصيف (٢) غ: عضو؛ ب، م: أضيف "ما" (٣) غ، ت: "أردنا أن نستفرغه بالفصد قصدنا" عوض "أردنا استفراغه بالفصد فصدنا" (٤) ب: "تابعة"، ويبدو أنها صححت في الهامش (٥) م: الخيشوم (٦)ت: الموضع (٧) ب: أنجح (٨) غ، م، ت: أضيف "مثل" (٩) م: يظهر "بادوار" (١٠) غ، م: سقط "أنه" (١١) غ: عضو (١٢) ب، م: تدعونا (١٣) ب: المسهل (١٤) ت: استفراغ المادة (١٥) غ، ت، م: بنفسه يحر (م: يسخن) (١٦) م: "أن يستعمل"؛ وفي باقي النسخ "ألا يستعمل" (١٧) غ، م، ت: أول.

[٣٢] وأما الحامل فإن أبقراط رأى أن لا تفصد إذا تحفظ[١] بجنينها إلا في الشهر السابع[٢] أو السادس[٣] أو نحوه، لأن الجنين حينئذ أقوى ما هو. وكذلك في ما أحسب[٤] أباح استعمال المسهل من الشهر الرابع إلى الشهر السابع إذا كانت الأخلاط في بدنها هائجة[٥]. وأما أنا فأقول إذا كان[٦] استعمال الفصد إذا كان هنالك امتلاء زائد على ما يحتاج إليه الجنين فلا بأس به. وأما استعمال[٧] الأدوية المسهلة فإني لا آمن من[٨] غائلتها على الجنين من جهة أن فيها جوهرا سميا؛ وأيضا فإن الجذب ربما تعدى إلى أخلاط الجنين فقتله، وأيضا فإن الأدوية المسهلة مدرة للبول، والمدر للبول من جنس المدر للحيض، والمدر للحيض[٩] مسقط للأجنة[١٠].

[٣٣] فهذه هي[١١] جميع الدستورات والقوانين[١٢] الكلية التي تتنزل من معالجة سوء المزاج المادي وغير المادي بمنزلة الأسطقسات والمبادئ لجميع[١٣] ما يراد أن يتكلم فيه من معالجة سوء المزاج[١٤]، فلنبتدئ بمعالجة صنف صنف منه، ولنجعل تقسيمنا هاهنا له على هذه الجهة، وإن كانت على غير الجهة التي سلفت في كتاب المرض، لأن هذه الجهة هي الأنفع هاهنا، فنقول:

[٣٤] إن سوء المزاج المادي وغير المادي[١٥] إما أن يكون في جميع البدن، وأشهر هذا الصنف هي[١٦] الحميات، وإما أن يكون في عضو منه. وهذا أيضا إذا كان ماديا صنفان: إما أن يكون مصبوبا في تجويف ذلك العضو أو متشربا[١٧] في جرمه فقط من غير أن يعتريه به[١٨] غلظ خارج عن الطبيعة، وإما أن يعتريه به عندما يتشرب[١٩] في جرمه غلظ خارج عن الطبيعة[٢٠]، وهو المسمى ورما. فنبتدئ نحن أولا بذكر سوء المزاج العام وهي[٢١] الحميات، ثم نذكر سوء المزاج الذي يوجد في عضو ما من أعضاء البدن، أي عضو كان، المادي من ذلك وغير[٢٢] المادي؛ ثم نذكر الأورام ونذكر[٢٣] أيضا، مع[٢٤] ذكرنا الأورام والحميات، مقاومة الأعراض التي كثيرا ما تعرض معها فتعوق عن علاجها. ولنبدأ من الحميات بأكثرها دورا وهي[٢٥] حمى يوم. فنقول:

---

(١) ت: شكلت "إذاً تحفظاً" (٢) م: "السادس"، (٣) م، ت: سقط "أو السادس" (٤) م، ت: سقط "كذلك فيما أحسب" (٥) غ: "إلا من الشهر الرابع إلى الشهر السابع إذا كانت الأخلاط في بدنها هائجة وأباح استعمال المسهل" (٦) غ، م، ت: "وأنا أقول أما" (٧) م: سقط "استعمال" (٨) غ، ت: سقط "من" (٩) م: سقط "والمدر للحيض" (١٠) غ، ت: سقط "للأجنة" (١١) غ، م: سقط "هي" (١٢) غ؛ ب، ت: القوانين والدستورات (١٣) م، ت: تنزل (م: تتنزل)...منزلة(ت: بمنزلة)...بجميع(ت: لجميع) (١٤) غ: سقطت العبارة "وغير المادي بمنزلة...سوء المزاج" (١٥) م: سقط "وغير المادي" (١٦) م: هو (١٧) غ: مشربا؛ ت: ومتشربا (١٨) غ: يظهر "يعتر به" (١٩) ب: تشرب؛ م: يشرب؛ ت: يتشرب (٢٠) غ: سقط "وإما أن يعتريه...الطبيعة" (٢١) ب، ت: وهو (٢٢) غ: "من غير ذلك أو غير" عوض "من ذلك وغير" (٢٣) ب، م: ثم نذكر (٢٤) ب: أضيف "ما" (٢٥) ب: وهذه هي.

[٧-] حمى يوم[م]

[٣٥] إن هذه الحمى المقصود من شفائها غرضان: أحدهما قلع سوء المزاج الحار اليابس الذي هو جوهرها، وذلك يكون بالبارد الرطب. والآخر العناية[١] بأن تورد على البدن شيئا[٢] مضادا للسبب الفاعل للحمى الذي من خارج. وذلك أن هذه الحمى ليست شيئا أكثر من سوء مزاج غير مادي يعرض عن الأشياء التي من خارج[٣]، كما لاح ذلك في كتاب المرض. وهذه الحمى يؤخذ الاستدلال على مقدار تبريدها وترطيبها من المزاج والهواء والسن والعادة والتدبير، ومن السبب الفاعل لها[٤] أيضا. والتبريد يستعمل في جميع هذه الحميات بالذات وبالعرض: أما الذي بالذات فبالأدوية[٥] والأغذية، وأما الذي بالعرض فبالاستحمام[٦] بالماء الفاتر. فإن هذه الحمى لما[٧] كانت حمى الروح لزم أن يعرض عنها في البدن أبخرة دخانية متى لم تتحلل أشعلت الجسم ولم يؤمن أن تعود نوبتها ثانية وثالثة[٨]، حتى لعل نوبتها[٩] تفضي إلى حمى العفونة. فلذلك كان دخول[١٠] الحمام لجميعهم مداواة عامة أعني الماء من الحمام فقط، وهم يختلفون في استعماله بقدر اختلاف الأسباب الفاعلة لحمى حمى من هذه الحميات؛ فلنذكر من أصنافها أكثرها دورا.

[٣٦] فمن ذلك أن هذه الحمى كثيرا ما تحدث عن استحصاف[م] الجلد، وذلك إما لبرد وإما لاستحمام بالأشياء القابضة كالشب والامتناع من دخول الحمام، وإما من يبس البدن كالتعرض للهواء الحار. وأكثر الناس[١١] وقوعا في هذه الحميات هم أصحاب الأمزجة الحارة اليابسة، وهم الذين كلامنا فيهم في هذا الموضع. ثم بعدهم أصحاب الأمزجة الحارة[١٢] الرطبة، ثم يليهم أصحاب الأمزجة الحارة فقط. فأقول:

[٣٧] أما[١٣] من حم من استحصاف بدنه لتركه دخول[١٤] الحمام أو لاستحمامه ببعض المياه القابضة، فإن العلاج الذي يجب أن يكون هاهنا مقابل الشيء الذي من خارج، هو الاستحمام بالماء الفاتر بعد انقضاء نوبة الحمى والدلك الذي يرخي المسام بالدهن الفاتر الذي ليس فيه كيفية قابضة. ولست تحتاج أن تدخله الحمام مرتين أو ثلاثا، كما كان[١٥] يفعل جالينوس، فإن ذلك إنما هو تدبير ينبني على عادتهم في كثرة دخول الحمام. وأما استعمال الماء البارد بعد الاستحمام بالماء الحار في صاحب هذه

---

(١) غ: بالعناية (٢) غ، ب، ت: يورد على البدن شيئا (٣) م: سقط "وذلك أن...من خارج" (٤) غ، ت: له (٥) ب: فالأدوية (٦) غ، ب: فالاستحمام (٧) ت: إذ (٨) غ، ت: سقط "وثالثة" (٩) غ، ت: "لعلها" عوض "لعل نوبتها" (١٠) ت: شطب على عبارة "دخول" وأضيف "القصد بدخول الحمام لتحلل البخار المحترق وليبرد الروح ويرطب البدن فدخول" (١١) غ، م، ت: سقط "الناس" (١٢) م: سقط "اليابسة وهم...الحارة" (١٣) م، ت: وأقول (١٤) غ، م، ت: مسامه لترك دخوله ب: بدنه لتركه دخول (١٥) م: سقط "كان".

الحمى فإني أرى فيه تكثيفا للمسام، إلا أن يحدس أن المسام قد تفتحت بأكثر مما ينبغي أو استحر الجسم أكثر مما ينبغي، فحينئذ يجب أن نغمسه في الماء البارد. ثم عند الخروج من الحمام، إذا كان حار المزاج يابسه وكان[١] الفصل حارا، فأوفق الأغذية له ماء الشعير: وذلك أنه يبرد ويرطب مع أنه يعين على خروج الفضول من جميع سبلها. فإذا انهضم ماء الشعير[٢] فليأكل[٣] السمك الرخص الرضراض[٤]، ولحوم الجداء والفراريج وما أشبه ذلك بالخبز المحكم الصنعة. فإن عاودت[٥] نوبة ثانية فينبغي أن يجتهد[٦] في تفتيح المسام، وبالجملة[٧] في رفع السبب الذي أعادها؛ وذلك باستحمامه مرة ثانية وتدبيره ذلك التدبير بعينه. وقد تحدث أيضا هذه الحمى كثيرا عن السهر والغضب والهم والتعرض للشمس. ومداواة هذه[٨] تخالف مداواة تلك من جهة خلاف السبب الفاعل فقط.

[٣٨] أما من حم بسبب غضب فإنهم يحتاجون[٩] إلى التبريد أكثر ممن[١٠] حم عن سهر أو غم، وليس يحتاج واحد من هؤلاء إلى الدلك أصلا. ويحتاج من حم من سهر أن ينوم، ومن حم من حزن أن يورد عليه سبب مضاد للحزن. وكل هؤلاء يستعملون من الحمام الماء الفاتر فقط. وصاحب السهر وصاحب[١١] الغم[١٢] يحتاجان[١٣] إلى الترطيب أكثر. وأما من حم من قبل التعرض[١٤] للشمس فهو يحتاج إلى التبريد[١٥] أكثر. ولذلك[١٦] ينبغي أن يكثر المقام في الماء الفاتر ويمرخ[١٧] بالأدهان الباردة كدهن البنفسج؛ وأما رأسه فيجب أن ينطل[م]،إذا شكا صداعا من الحر، بدهن ورد مبرد في البئر أو في الثلج بيسير خل[١٨]، ويصب على رأسه من علو، ولا يزال يفعل ذلك به[١٩] إلى وقت انحطاط الحمى. وأما من حم[٢٠] من سبب برد أصابه فقد ينبغي أن يدخل الحمام وهذا يحتاج إلى الهواء الحار منه، ويكون الطعام الذي يتناول بعد خروجه من الحمام معتدلا أو مائلا قليلا إلى الحر. وأوفق الأشياء لهم ماء العسل، ثم يتناولون بعد خروجه عن المعدة بعض الطيور التي فيها خفة مع يسير إسخان، كاليمام والسمان وما أشبه ذلك. و[٢١] ينبغي أن تنطل رؤوس هؤلاء بدهن السوسن وما أشبهه[٢٢] من الأدهان الحارة بعد الحمام وقبله. كما ينطل رأس من أصابته[٢٣] الشمس بالأدهان الباردة بعد الحمام وقبله[٢٤]. وكما أن هذه الأدهان يتحرى أن تكون باردة بالفعل كذلك ينبغي أن تكون الأدهان

---

(١) ب: أضيف "الفصل حار المزاج يابسه أو كان" (٢) م: سقط "وذلك أنه يبرد...ماء الشعير" (٣) غ: فليأكلوا؛ ت: قلنا كلوا (٤) م: الرضراضي (٥) ب: عادت (٦) غ، ت: تجتهد؛ م: تجهد (٧) غ: وفي الجملة (٨) غ، ت: هؤلاء (٩) غ، م، ت: فهم محتاجون (م: يحتاجون) (١٠) ت: من (١١) غ، ت: سقط "صاحب" (١٢) ب: الهم (١٣) غ، ب، ت: يحتاجون (١٤) ب: تعرض (١٥) غ، ب، ت: تبريد (١٦) غ، ت: أضيف "قد" (١٧) غ: يظهر "يمزج"؛ ب: يتمرّخ (١٨) غ، ت: سقط "بيسير خل" (١٩) ت: سقط "به" (٢٠) ب: ثبت في الهامش "حمى يوم"، ولم يشر إلى موضعها (٢١) غ، ت: أضيف "قد" (٢٢) م: أشبه ذلك (٢٣) غ، ت: تنطل رؤوس من أصابه (٢٤) م: سقط "كما ينطل...وقبله".

الحارة حارة بالفعل، وذلك أن تسخن في إناء مضاعف. ومعنى ذلك أن يكون طبخها بواسطة[١] الماء.

[٣٩] وبالجملة، كما قلنا، دخول الحمام علاج[٢] عام لأصحاب حمى يوم إلا من كان[٣] به زكام سببه برد، أو حم من قبل ورم في أطرافه أو عقر أصابه أو عفن به[٤]، معه ورم الأربيتين والإباط. قال جالينوس: وأما إن كان سبب الزكام حارا فينبغي أن يدخلوا[٥] الحمام. وإنما كان ذلك كذلك لأن الحمام[٦] يفي بإنضاج الأخلاط اللطاف وإخراج ما ليس[٧] شأنه منها أن يقبل النضج. وأما الأخلاط الغلاظ فتنتشر في الحمام وتذوب وتسدد؛ وإنما يستعمل الحمام فيها بعد ظهور[٨] النضج. والأنبذة البيض المائية الألوان التي فيها عطرية[٩] نافعة لجميع[١٠] هؤلاء إن[١١] كانوا ممن جرت عادتهم باستعمالها بعد أن يأخذ الطعام في الهضم، أعني يستعملونها بدل[١٢] الماء، إما صرفا وإما ممزوجة. وذلك أن فيها منافع ليست في الماء. وذلك أنها تمنع الطعام أن يطفو في فم المعدة، وتحلل[١٣] النفخ وتدر البول والعرق وتعين الطباع على إخراج جميع الفضول، فإن أكثر من يحم بهذه[١٤] الحمى تضعف هضومهم[١٥] ضرورة ولا سيما من حم[١٦] من سهر أو غم. وأما من حم من إعياء فتدبيره تدبير صاحب الإعياء إلا أنه يمال به إلى البرد ويكثر من كمية غذائه من غير أن يتخم. ومن حم من الجوع[١٧] فينبغي أن يطعم طعاما سريع الغذاء إلى البرودة والرطوبة. ولذلك أمثال هؤلاء إذا لحقتهم في أول ما تظهر بهم الحمى فأطعمتهم لم يحموا، وأما من حم[١٨] حمى يوم من سدد تصيبه فإن وفى[١٩] هذا التدبير بتفتيح سدده في[٢٠] ثلاثة أيام بعد أن تزيد في ذلك أن تدلكه بشيء ينقي بدنه مثل بزر البطيخ أو دقيق الشعير أو دقيق الباقلي[م]، وأقوى من ذلك دقيق الكرسنة[م]، وأن تسقيه[٢١] أيضا بعض ما فيه تفتيح للسدد، مثل شراب السكنجبين[م] مع عود السوس[م] وحشيشة البرشاوشان[م] وزهر البنفسج فهي من جنس هذه الحمى. وإن لم يف هذا التدبير به وبقيت به هذه[٢٢] الحمى الثلاثة الأيام أو زكنت[م][٢٣] من أول الأمر أن به[٢٤] من الامتلاء ما إن استعملت معه[٢٥] التفتيح دون استفراغ عام[٢٦] أضررت بالمريض[٢٧]، وذلك أن الأبدان المملوءة، هذه الأدوية أحرى أن تزيد في سددها من أن تفتحها؛ فعلاجها داخل في جنس آخر من الحميات كأنه متوسط بين حمى يوم وحمى

---

(١) غ، ب، ت: بوساطة (٢) م: سقط "علاج" (٣) غ، م، ت: سقط "كان" (٤) غ، م، ت: سقط "أو عفن به" (٥) ب: هكذا "يدخلها" (٦) م: سقط "وإنما كان...الحمام" (٧) ب، ت: أضيف "من" (٨) غ، م، ت: "أن يظهر" عوض "ظهور" (٩) غ، م، ت: "والأنبذة المائية البيض الألوان العطرية" عوض "والأنبذة...عطرية" (١٠) م: يظهر "بجميع" (١١) غ، ت: "إن"؛ ب: "وإن" (١٢) م: بعد (١٣) غ، م، ت: تحل (١٤) ب، م: هذه (١٥) غ: هضمه؛ ت: هضومه (١٦) م: سقط "من حم" (١٧) ب: جوع (١٨) ب: أضيف "من" (١٩) م: فأوفى (٢٠) ت: أضيف "كل" (٢١) م: هكذا "تسقية" (٢٢) م: سقط "هذه" (٢٣) ب: ثبت في المتن "زكنت" وصححت في الهامش لكنه غير مقروء؛ م: وزكمت (٢٤) ب: "فيه" (٢٥) ت: أضيف "من" (٢٦) ت: سقط "عام" (٢٧) غ، ت: المريض.

عفونة، وهو الفصد أو تليين الطبيعة، وذلك بحسب ما تراه من الدلائل التي سلف ذكرها وبحسب ما تستفيد من القوة التجريبية. فإن ما وصف من ذلك بالقول ليس يوقف منه على المقدار[1] الذي ينبغي أن يستعمل من ذلك[2] في شخص شخص، بل إنما[3] ذلك إلى القوة الفكرية التجريبية.

[٤٠] ولذلك ما كانت هذه الصناعة تحتاج بعد حصول الأمور الكلية التي فيها إلى تجربة تحصل منها مقدمات جزئية تستعمل في شخص شخص. وليس يمكن أن تكتب هذه المقدمات[4] في كتاب، إذ كانت غير متناهية. وهذا الجزء من الطب هو الذي أرى أنه[5] يعوقني[6] عن الكمال في هذه الصناعة. وذلك أني لم أزاولها كبير[7] مزاولة اللهم إلا في نفسي أو في[8] أقرباء لنا أو أصدقاء ولم أكن أيضا أتولى علاجهم بل كنت أتفحص ما يعرض لهم من التغايير عند معالجة الأطباء لهم، في وقتنا، الذين هم أبعد خلق الله عن هذه الصناعة، ما خلا هؤلاء القوم بنو زهر وبخاصة أبا العلاء[9] وابنه أبا مروان، هذا المعاصر لنا، فإن هؤلاء القوم[10] كما قلنا هم على الطريقة الطبية.

[٤١] وكثيرا[11] أيضا[12] ما تصيب هذه الحمى عن[13] التخم وبخاصة الحارة، وذلك للناس الذين أبدانهم حارة يابسة وهم الذين كلامنا فيهم هاهنا. وذلك إنما يكون إذا استحالت الأطعمة في معدهم[14] إلى الدخانية. ولأن كثيرا ممن تعرض له[15] هذه التخم إما أن يصيبه ذرب[؟] وذلك لمكان فساد الطعام ولذعه؛ وإما أن يصيبه امتساك[16] البطن وهذا أردأ الصنفين. وإنما[17] يعتري هاهنا امتساك البطن لموضع[18] اليبس والحرارة واختلال القوة الدافعة؛ فقد ينبغي أن نفصل علاج كل واحد منهما. أما الذي يصيبه الاستفراغ، فإنه ينبغي أن يتأمل أمره: فإن كان الخلط قد خرج بأسره وانقطع الاستفراغ فليدخلوا الحمام وليغذوا بأغذية فيها تقوية للمعدة، وتدهن معدهم بالأدهان المقوية[19]. وأما متى أفرط الاستفراغ فإن الأجود أن لا تدخلهم الحمام. هكذا يقول[20] جالينوس.

[٤٢] وأما الحدث من الأطباء فإنهم يعالجون استفراغ البطن الشديد بدخول[21] الحمام، وذلك أن فيه جذبا[22] إلى ضد الجهة؛ وهو[23] وإن كان كما زعموا فهي مداواة بالعرض إذ كانت بالشبيه. وينبغي أن يتجنب[24] ما أمكن ذلك[25] بل نغذوهم، من غير

(١) م: القدر (٢) م: سقط "من ذلك" (٣) م: سقط "إنما" (٤) غ، ت: المقدمة (٥) غ، ت: أن (٦) غ: يعوقنا (٧) ت: كثير (٨) ب: سقط "في" (٩) ت: العُلى (١٠) ت: سقط "القوم" (١١) ب: وكثير (١٢) ب، ت: سقط "أيضا" (١٣) ب: على (١٤) م: معدتهم (١٥) غ، ب، ت: لهم (١٦) غ، ت: إمساك (١٧) ت: أضيف "أن" (١٨) في غ: "امتساك لموضع" وفي ت: "إمساك لوضع" عوض "امتساك البطن لموضع" (١٩) غ، ب: القوية (٢٠) م: حكى (٢١) غ، م، ت: بإدخال (٢٢) ب: جذب (٢٣) ت: وهي (٢٤) ب: يجنب (٢٥) م: سقط "وأما الحدث...أمكن ذلك"؛ ت: سقط "ذلك".

أن ندخلهم الحمام بعد أن نعنى[١] بأمر معدهم، وذلك يكون إن كان الاستفراغ قد انقطع بأن نضع على معدهم صوفا مبلولا بزيت طبخ فيه أفسنتين[؟]، وإن كانت تلك الصوفة مغموسة[٢] في دهن الناردين فهو أفضل وأقوى من هذه كلها. وأفضل أن تأخذ مصطكى فتسحقها مع دهن الناردين[٣] حتى تصير في قوام وسخ الحمّام، ثم نغمس فيها لبدا ونضعها على فم المعدة. قال وينبغي أن تكون هذه الأدهان مسخنة في إناء مضاعف إذا أردنا استعمالها، فإن الفاتر[٤] يرخي فم المعدة. وبالجملة الأعضاء الرئيسة[٥] ليس ينبغي أن نقرب منها دواء باردا بالفعل وإن[٦] كان باردا بالقوة. وإن كان الالتهاب في فم المعدة ظاهرا فلنخلط مع هذه الأدهان[٧] شيئا من ماء[٨] السفرجل وعصارة ورق[٩] أطراف الكرم، وقد تركب[١٠] هذه الأدوية مع[١١] القير[؟] ويتخذ منها قيروطي[؟] ليكون لزومها للمعدة أوفق.

[٤٣] وقد يعترض معترض هذا العلاج ويقول: هؤلاء فم المعدة منهم حار[١٢] فما بال جالينوس يعالجهم بدهن الناردين[١٣] مسحوقا بالمصطكى[١٤]، فنقول نحن: إن الاستدلال المأخوذ هاهنا من سوء المزاج نفسه غير الاستدلال المأخوذ من العضو نفسه. وذلك أن هذا العضو من شأن هذه الأدوية تقويته، أعني الأدوية[١٥] التي فيها قبض يسير ومرارة مع عطارة. ولهذا ما كان[١٦] أصحاب التجارب[١٧] لا يعالجون ضعف المعدة[١٨] بأكثر من هذه الأشياء، فكانوا ربما أضروا كثيرا من الناس، كما حكى جالينوس أنه[١٩] عرض لمن به سوء مزاج يابس فقط في معدته أو يابس حار.

[٤٤] وإذا[٢٠] كان ذلك كذلك نظرنا: فإن كان سوء المزاج في حد ليس يجب أن تصرف العناية إليه تشاغلنا بالمقويات[٢١] لفم المعدة، وإن كان في حد يجب أن تصرف[٢٢] العناية إليه مزجنا الأمر، وذلك بأن نضيف إلى تلك الأدوية أدوية باردة؛ لكن نتحرى مع ذلك أن تكون موافقة لها في قوة القبض. وهذه الأدوية كثيرة. وأما متى كان الاستفراغ بعد لم ينقطع فقد يجب مع هذا كله أن نغذوه بما فيه قبض، وذلك أيضا بحسب قوة الاستفراغ وضعفه: يكفي في اليسير منه الخبز المحمص[٢٣] بشراب الورد أو شراب السفرجل، وإن كان أقوى من ذلك فاعتمد في ذلك على الأدوية القابضة. والسويق المعمول من ماء[٢٤] الشعير مع ماء السفرجل أو ماء الكمثرى أو ماء[٢٥] الرمان غذاء صالح

---

(١) ت: تعي (٢) م: سقط "مغموسة" (٣) م: ناردين؛ غ: سقطت العبارة "فهو أفضل...الناردين" من المتن واستدركت في الهامش، لكن معظمها لا يظهر (٤) م: البارد (٥) ب، م: الرئيسية (٦) ت: وإذا (٧) ت: سقط "الأدهان"؛ غ: ثبتت عبارة "الأدهان" في الهامش (٨) غ، ت: سقط "ماء" (٩) غ، م، ت: سقط "ورق" (١٠) ت: تتركب (١١) غ، ب، ت: على؛ م: مع (١٢) غ: حارة (١٣) م: أضيف "معه" وعليها ما يشبه علامة تصحيح (١٤) ب، م: المصطكى (١٥) م: سقط "الأدوية" (١٦) ب: أضيف "فرقة" (١٧) ب: التجاريب (١٨) غ: المعد (١٩) م: أن (٢٠) غ، ت: وإن (٢١) غ، ت: بالمقوية (٢٢) غ، ت: صرف (٢٣) غ، ت: هكذا "المحمس" (٢٤) غ، م، ت: سقط "ماء" (٢٥) غ، م: وماء.

لهم كما يقول جالينوس. وأما إن كان الإسهال قد انقطع فحسو فتات الخبز جيد[١] لهم، ومتى عرض لهؤلاء سقوط الشهوة[٢] فقد ينبغي أن يعطوا جوارش السفرجل مع يسير مصطكى وشيء من أطراف الكرم. وجالينوس يطعمهم في هذه الحال الدواء المتخذ من السفرجل الذي وصف تركيبه في آخر كتابه في[٣] "تدبير الصحة"، وهو دواء يقع فيه فلفل وأشياء حارة ينبغي[٤] أن تتجنب في إقليمنا، وبخاصة في زمان الصيف في المحرورين المزاج[٥].

[٤٥] فأما من احتبست طبائعهم منه[٦] فقد ينبغي أن ننظر[٧] أين وقوف الطعام منهم: هل في معدهم أو فيما دون المعدة من الأمعاء؟ فإن كان وقوف الطعام في المعدة فإن جالينوس يأمر أن يعطوا الدواء المتخذ بالثلاثة الفلافل[٨]. قال: ولا يكون من القوي بل من الذي ذكر[٩] تأليفه في كتاب "تدبير الأصحاء". وهذه المعالجة هي لعمري في الاستحالة[١٠] إلى الحموضة معالجة مطابقة[١١]. وأما في مثل هذه التخم الحارة فكيف يمكن أن يعد[١٢] هذا علاجا لها. ولكن لمحتج أن يحتج لجالينوس ويقول: ألم يتبين في "كتاب المرض" أن قوى الأعضاء تضعف عن سوء المزاج الحار، كما تضعف عن البارد، إذ كان كل عضو إنما يفعل فعله بحرارة مقدرة، ويكون[١٣] ضعفها: أما عن المزاج البارد فبالذات ومن جهة ما هو ضد، وأما عن الحار[١٤] فبالعرض: مثل الشمس التي[١٥] تطفئ، النار والسراج الذي ينطفئ[١٦] إذا أدخل في التنور مع ما يحدث[١٧] اللذع في هذه التخم الحارة[١٨] من[١٩] ضعف المعدة[٢٠]؟! وإذا كان هذا هكذا فإنما لحظ[٢١] جالينوس[٢٢] البرد العرضي الذي أصاب المعدة في مثل هذه التخمة فقصد إلى معالجته.

[٤٦] وهذا وإن كان الأمر فيه على هذا فقد كان ينبغي له أن يصرف من العناية حظا لسوء المزاج الحار حتى يخلط العلاجين. ولكن يعينه[٢٣] على هذا إقليمه. أما أنا فأرى[٢٤] في هذا الموضع أن أنفع الأشياء لهم جوارش السفرجل[٢٥] المتخذ بالعود والمصطكى والقرنفل، وذلك بأن يتوخى في تأليفه أن تكون برودة لحم السفرجل تقاوم حرارة تلك حتى يكون الدواء معتدلا في الحر والبرد، ولن يخفى عليك كيف تأليف

---

(١) ت: خير (٢) ب، م: شهوة (٣) غ، ت: "من كتاب" عوض "في" (٤) ب، م: وينبغي (٥) م: سقط "المزاج" (٦) غ، ت: منهم طبيعته؛ ب: طبائعه منهم (٧) ت: فينبغي أن تنظر (٨) غ، ت: "فلافل"، وسقط "قال" التي بعدها (٩) غ، ت، م: "من الكثير (م: الكبير) الأدوية القوي لكن من الذي ذكرنا (م: ذكر)" عوض "من القوي...ذكر" (١٠) ت: لعمري هي متى استحالت (١١) ب: متطابقة (١٢) م: تعد؛ ت: يكون، وصحح في الهامش "يعد" (١٣) ت: "بسوء...وإذا كان...مقدرة يكون" عوض "عن سوء...إذ كان...مقدرة ويكون" (١٤) ب: الحرارة (١٥) م: الذي (١٦) ت: التي تنطفئ (١٧) م: أضيف "من" فوق السطر (١٨) ت: سقط "الحارة" وسقط "اللذع" التي قبلها (١٩) م: "ومن"، ويظهر كأن على حرف الواو تشطيبا (٢٠) غ: المعد (٢١) م: لحظه (٢٢) ت: أضيف "من" (٢٣) غ: يظهر "بغيته" (٢٤) م: فإني أرى (٢٥) ب: "العود"، وصحح في الهامش "سفرجل" (غير معرف).

مثل هذا المركب من القوانين الكلية التي ذكرناها في التركيب. وإن كسرت قوى هذه الأدوية الأول[١] بغير السفرجل أيضا، مثل أطراف الكرم وغير ذلك من الأشياء الباردة القابضة، كان حسنا.

[٤٧] والمعالج إنما يعمل في هذه الأشياء بحسب ما يرى صرف العناية إليه أهم، ولذلك قد يكون الأولى في بعض المواضع بأن يضيف من هذه الأدوية إلى لحم السفرجل ما يكون المجموع منها[٢] حرارته في الأولى[٣] إذا رأينا أن الأهم صرف العناية إلى برد المعدة، كما أنه أيضا في بعض المواضع قد تقلل كمية تلك الأدوية الحارة إذا[٤] كان الأهم صرف العناية[٥] إلى سوء المزاج الحار. وجالينوس يأمر أيضا أن ينطل البطن من هؤلاء بالماء الحار، يقصد[٦] بذلك الإرخاء. لكن من حيث الإرخاء مضر بالمعدة[٧] فقد[٨] ينبغي أن يستعمل فيها بحذر. فإن الإرخاء وإن كان موافقا لهذا المرض إذ كان أحد ما يعرض عند احتباس الطعام ضيق المجاري فإن طبيعة هذا العضو تقتضي ضد[٩] ذلك. ولذلك ينبغي أن تمزج الأمرين أو نصرف العناية إلى أهمهما[١٠]. وأما متى كان الطعام قد انحدر عن المعدة فالنطول لهم دواء جيد، إلا أنه قد يخاف منه أيضا انتشار ذلك الغذاء الفاسد في الأعضاء المنطولة. والحقن في هذا الموضع أولى الأشياء بإسهالهم. أما متى لم يكن هنالك لذع ولا نفخة فتكفي في ذلك[١١] الحقن[م] المؤلفة من العسل والزيت ويسير ملح. وإن كان هنالك لذع فشحم البط أو شحم الدجاج. وإن كانت هنالك نفخة فليطبخ مع الزيت شيء من سذاب[م] وبزور تحلل[١٢] الرياح مثل بزر الكرفس[م] والكمون وبزر الرازيانج[م]والكرويا[م]. وحدوث النفخ في هذه التخم دليل على أن الحرارة الغريزية فيها ضعف. ولذلك ليس ينبغي أن يقصد فيها إلى[١٣] التبريد فقط ولا إلى التسخين، بل يمزج الأمران جميعا[١٤]. وربما تمادت الحمى بهؤلاء إلى الثلاثة الأيام فلا تجزع، ودبرهم بعد انطلاق بطونهم وانقضاء نوبتهم بدخول الحمام والأغذية الخاصة بأصحاب هذه الحمى.

[٤٨] قال وأما التخم الحامضة فليس يكاد تعرض عنها هذه الحمى إذ كانت هذه التخمة ليس يتولد منها جوهر دخاني[١٥] يلهب الروح، وليس يمتنع[١٦] أن يعرض ذلك من جهة السدد فقط. وينبغي أن تعلم أن أصحاب الأمزجة الباردة الرطبة قليلا ما تعرض لهم هذه الحمى، وكذلك الباردة اليابسة والباردة مفردة واليابسة مفردة، وكأن[١٧]

---

(١) م: سقط "الأول" وثبت بدلها "أيضا"؛ ت: الأولى (٢) ب: منهما (٣) غ، ت: الأول (٤) غ، ب: إذ (٥) م: سقط "كما أنه...العناية" (٦) ب: نقصد (٧) ب: بفم المعدة (٨) غ: فقد، ب، م، ت: قد (٩) م: سقط "ضد" (١٠) غ، ت: أهمها (١١) غ، م، ت: فيكفي في هذا (غ، م: ذلك) (١٢) ت: بشيء من...تحل (١٣) م: سقط "إلى" (١٤) غ: "لمزج الأمرين" عوض "يمزج الأمران جميعا"؛ ت: سقط "جميعا" (١٥) ت: جوهرا دخانيا (١٦) غ: يمنع (١٧) ب: وكما أن؛ غ: شكلت اللفظة "البارد" التي بعد "كان البدن" فهي إذن نعت اسم "كان".

البدن البارد الرطب هو في مقابلة هذا البدن الذي وصفنا أنه أكثر[١] استعدادا لقبول هذه الحمى وهو الحار اليابس. ولذلك أضر شيء على هذه الأبدان التجويع والرياضة، وترك الاستحمام أوقع[٢] شيء لها في حمى يوم. وأكثر الأبدان احتمالا لهذه الأشياء هي الأبدان الرطبة الباردة. وأما من حم من ورم في[٣] الحالبين أو في الإبطين فالعناية بأمرهما إنما هو معالجة تلك الأورام. وينبغي أن يتحرى الإسهال في من حم من زكام أو[٤] الفصد إن ظهرت علامات[٥] غلبة الدم، فإن بذلك تحفظهم من أن يقعوا في أمراض صعبة. وجالينوس يدخل أصحاب أوارم الأربيتين[م] الحمام ويقول إنهم يحتاجون منه إلى الهواء الحار. ولست[٦] أرى ذلك اللهم إلا بعد الانحطاط[٧].

[٤٩] وهذا الذي قلناه كاف في معرفة ما تعالج به حميات[٨] يوم من سائر الأسباب الأخر التي[٩] عددت في كتاب المرض. وينبغي بعد هذا[١٠] أن نصير إلى القول في الحميات المطبقة[م]، إذ كانت هذه الحميات[١١] كأنها وسط بين حمى يوم والعفونية، فنقول:

[٨-] الحميات المطبقة[م]

[٥٠] إنه قد لاح في كتاب المرض أن هذه الحمى إنما تعرض من قبل السدد لكثرة الدم، وأنها صنفان: صنف لم يتعفن فيه الدم بعد، وصنف قد أخذ فيه[١٢] الدم في التعفن، وأن كل واحدة من هذين إما أن تكون متساوية إلى آخر انقضائها، وذلك إذا كان ما يتولد فيها من الأبخرة الدخانية مساويا لما يخرج من المسام، وإما أن تكون متزيدة وذلك أيضا إذا كان المتولد فيها من الأبخرة أكثر مما يتحلل ويخرج، وإما أن تكون منتقصة وذلك أيضا إذا كان الأمر فيها بالعكس[١٣]: أعني أن يكون المتولد أقل من المتحلل. فمن حيث[١٤] هذه الحمى إنما تعرض عن الامتلاء الذي بحسب الأوعية فمعالجتها[١٥] ضرورة إنما تكون بفصد العرق، وبخاصة التي لم يتعفن فيها الدم بعد. وذلك أيضا بعد أن نقدر سائر الأشياء التي تدل على[١٦] كمية الاستفراغ.

[٥١] وجالينوس يرى في هذا الموضع إذا كانت القوة قوية أن يخرج لهم من الدم إلى أن يغشى عليهم ولابد. قال: فإن بذلك تبرد أبدانهم على المكان بردا سريعا، وربما انطلقت طبائعهم[١٧] بمرار أو قيء، وبالجملة فيرى أن هذا العلاج ضروري في هذه الحمى.

---

(١) غ، ب، م: أضيف "شيء" (٢) غ، م، ت: وأوقع (٣) م: سقط "في" (٤) م: و (٥) غ، ت: علامة (٦) غ، ت: فلست (٧) ت: انحطاط (٨) م: كاف فيما تعالج به حمى (٩) ت: الذي (١٠) م: سقط "هذا" (١١) م: الحمى (١٢) ب: فيه؛ غ، م، ت: فيها (١٣) غ، ت: "بعكس"؛ م: "بعكس هذا" عوض "بالعكس" (١٤) ب: أضيف "أن" (بالهمزة فوق الألف) (١٥) ت: أضيف "فيها" (١٦) م: "تقدر" عوض "تدل على" (١٧) غ: طباعهم.

[٥٢] وأنا أرى أن هذا المقدار من الاستفراغ غير صناعي، وأن صاحبه مخطئ قطعا؛ وذلك يظهر من أن الصناعة إنما تتقيل[١] (=تتشبه) أبدا الطبيعة[٢]. ولم يقع قط بحران محمود بدم يبلغ به صاحبه إلى الغشي، بل إنما يقع ذلك في البحارين الرديئة وهي التي تفرط فيها القوة الدافعة فتدفع[٣] أكثر مما يجب دفعه. وأيضا إذا كان المقصود في الاستفراغ بما هو استفراغ إنما هو إزالة الكمية الزائدة على الكمية الطبيعية للدم أفترى إنسانا يخرج من دمه حتى يبلغ الغشي ولم تنقص[٤] كمية الدم الطبيعية[٥] في بدنه؟ هذا شيء لا أراه ممكنا. وإنما قصد جالينوس بهذا التدبير[٦] تبريد البدن دفعة، فكأنها معالجة بالعرض مع ما فيها من الخطر. والأولى أن يبقى[٧] من الحرارة الغريبة شيء من أن يذهب شيء كثير من الحرارة الغريزية، مع أنه غير مأمون أن يكون من هذه حاله ربما كان في بدنه استعداد لتعفن خلط ما، فعندما تقل حرارته الغريزية يتعفن ذلك الخلط وقد ذهبت قوته فيموت ضرورة. وهذا كله مع أن العلامات[٨] التي يوقف بها على أن الحمى خالصة من العفونة[٩] علامات[١٠] ظنية تخمينية. فكم[١١] في هذا من الغرر؟ وأما متى ظهرت في هذه الحمى علامات[١٢] العفونة وذلك في البول والنبض فليس ينبغي أن يفصدوا[١٣] إلى الغشي. وذلك أن الحمى العفونية لابد لها أن تبقى بعد الفصد إلى أن تنقضي في السابع أو الرابع فيحتاج إذ ذلك[١٤] إلى أن يبقى من القوة ما يفي[١٥] بمقاومة بقية[١٦] المرض.

[٥٣] قال جالينوس: وأما متى عالجت هذه الحمى، يعني الدموية العفونية، وقد ضعفت القوة[١٧]، قال وليس[١٨] ضعف القوة بعدد الأيام، يشير إلى الذين يحدون وقت استعمال الفصد بأول[١٩] المرض، فقد ينبغي حينئذ أن نسقيهم الماء البارد المثلج حتى تخضر أبدانهم على المكان. لكن بعد شروط: أحدها أن يكون المرض قد نضج وأن لا يكون في الأحشاء ورم[٢٠] وأن لا يكون لذلك العليل عضو ضعيف، مثل أن يكون بارد فم المعدة. قال وكذلك متى لم يكن ذلك[٢١] العليل، قد اعتاد شرب الماء البارد. وإنما كان ذلك كذلك لأن ما يستدعي هاهنا[٢٢] سوء المزاج مضاد لما يستدعيه قلع[٢٣] السبب أو العضو الضعيف أو العادة، وذلك أن الماء البارد من شأنه أن يفجج (يفككها) الأخلاط ويمنعها من النضج؛ والحمى ليس يمكن فيها[٢٤] أن تقلع إقلاعا تاما ما دام السبب

---

(١) غ: تقيل؛ م: هكذا "تتقبل" (٢) ت: للطبيعة (٣) ت: سقط "فتدفع" (٤) غ: ينتقص؛ ت: تنتقص (٥) غ، ب، ت: الطبيعي (٦) غ، م، ت: سقط "التدبير" (٧) غ: تبقى؛ ب: يبقي (٨) غ: العلامة (٩) ت: العفن (١٠) م: سقط "علامات" (١١) غ: وكم (١٢) غ، ت: علامة (١٣) غ، ت: يقصدوا (١٤) غ: إذ ذاك؛ م: يظهر "إذا ذلك"؛ ت: لذلك (١٥) م: يظهر "يقي" (١٦) ت: "ما فيها مقاومة المرض" عوض "ما يفي بمقاومة بقية المرض" (١٧) غ: القوى (١٨) م: أضيف ما يقرأ "نعني" (١٩) ب: "يتحرون...في أول" عوض "يحدون...بأول" (٢٠) غ: سقط من المتن "وأن لا...ورم" واستدركت العبارة في هامش لا يظهر إلا بعضه (٢١) غ: سقط "ذلك" (٢٢) م، ت: سقط "هاهنا" (٢٣) م: قطع (٢٤) م: سقط "فيها".

الفاعل لها في البدن موجودا. وكذلك متى شربه من به ضعف في[١] فم المعدة لم يؤمن أن تصيبه رعشة أو خدر أو غير ذلك من أمراض سوء المزاج البارد. وقد شرب قوم ماء باردا دفعة فأصابهم على المكان ضيق تنفس لبرد العصب المحرك للحجاب، وآخرون امتنعوا من الازدراد. وأما متى شرب، والطبيعة قد أنضجت الخلط، فإنه يكون في ذلك الوقت عونا صالحا للطبيعة لأنه ليس هنالك مرض إلا سوء المزاج الحار، فإذا أبطله الماء البارد وقلع عنها سوء ذلك المزاج فعلت الطبيعة حينئذ في ذلك الخلط أتم أفعالها من تتميم نضجه[٢] ودفع ما شأنه أن يندفع[٣]، وذلك أن سوء المزاج على كل[٤] حال كان عائقا لها. ولذلك تنطلق بطون من هذه صفته إذا شربوا[٥] الماء البارد بمرار[٦] أو[٧] يتقيؤونه.

[٥٤] فهذا كله هو معنى قول جالينوس في سقي الماء البارد. وأنت فينبغي لك أن تعلم أن لهذه الحميات في قلة الحرارة وكثرتها عرضا كبيرا[٨]، ولذلك[٩] خصت الكثيرة الحرارة[١٠] منها باسم المحرقة وأن هذا يختلف بحسب الأقاليم والبلدان اختلافا كثيرا. فرب حمى محرقة في بلد حار ومع سن الشباب والفصل الحار والتدبير الحار، إن لم يبادر في أول الأمر إلى سقي الماء البارد، إما أن يحترق العليل قبل أن يظهر النضج فيموت وإما إن كان في قوته محتمل إلى ظهور النضج فيكون النضج نضجا خبيثا ويكون حينئذ لا معنى لسقيهم الماء البارد إذ قد[١١] فات الأمر فيهم، مثل الغمامة السوداء الظاهرة في البول وأكثر من ذلك الثفل الراسب الأسود. فلذلك[١٢]: الأولى والأحزم في هذه الصناعة أن يبادر لمن هذه حاله بسقيه الماء البارد من أول الأمر وإن لم يظهر نضج[١٣]، فإن المادة الفاعلة لمثل هذه الحمى التي هي في غاية الحرارة ليس العائق لها عن النضج شيئا[١٤] غير الكيفية، لا غلظ ولا لزوجة. فعندما تبرد تلك الكيفية ينضج[١٥] المرض على الحين. وأيضا فإن الأولى في من هذا شأنه أن تقلب حماه إلى حمى لينة كثيرة الأيام فيتمكن من معالجتها من أن يموت على الحين. وإنما يعتري هذا إذا كان الخلط فيه غلظ ما و[١٦] أفرطت في التبريد. وبالجملة فالخطأ الواقع في تبديل مزاج الحمى أخف من الموت[١٧]. وهذا الفعل من أفعال هذه الصناعة هو أشرف أفعالها أعني التخليص من الموت.

[٥٥] وأما أصحاب الحميات الذين[١٨] ينتظر بسقيهم الماء البارد ظهور[١٩] النضج المحمود فأظنهم لو خلوا وطبائعهم لبرءوا، لكن في زمان طويل ومع مشقة كبيرة[٢٠]:

---

(١) غ، ت: سقط "في" (٢) غ: هكذا "ينصحه" (٣) ت: يدفع (٤) غ، ت: سقط "كل" (٥) ب، م: ينطلق بطن (ب: تنطلق بطون)...إذا شرب (٦) ت: مرارا (٧) م، ت: و (٨) غ، ت: عرض كبير (٩) ت: ولهذا (١٠) م: الكثيرة الحرارة؛ غ، ب، ت: الحرارة الكثيرة (١١) م: سقط "قد" (١٢) م: ولذلك (١٣) م: النضج (١٤) غ، ت: شيء (١٥) ت: "فعندها...فيصبح" عوض "فعندما...ينضج" (١٦) غ، ت: أو (١٧) ب: سقط "من الموت" (١٨) غ: الذي (١٩) ت: وظهور (٢٠) غ: كثيرة.

فليس فعل هذه الصناعة في هذه الحال غير التسهيل وعون الطبيعة، وهو من قلة الشرف بالإضافة إلى الأول بحيث ترى ذلك. وقد حكى الرازي أن فتيين كانا سافرا في زمن شديد الحر[١]، وكان أحدهما مولى والآخر عبدا[٢] له، فحم كل واحد منهما حمى محرقة[م] في غاية الإحراق، فتشوغل[٣] بالمولى عن العبد بسقيه الماء البارد، ولم يسق العبد فنجا المولى وهلك العبد. وبلادنا هذه هي في الحر والبرد[٤] متوسطة بين بلاد جالينوس وبلاد الرازي. ولكن على حال[٥] بلادنا هذه[٦] البطاحية تعرض فيها مثل هذه الحميات كثيرا. وقد خرجنا عما[٧] قصدنا له، فإن القول في مداواة هذه الحمى هو جزء من القول في مداواة حمى العفونة[م][٨] فينبغي أولا أن نخبر[٩] بالعلاج المشترك لهما[١٠] ثم نردف بالعلاج الخاص بصنف[١١] صنف من أصناف الحميات، فنقول[١٢]:

[٥٦] إن هذه[١٣] الحميات[١٤] من حيث هي سوء مزاج مادي فالغرض[١٥] فيها أولا غرضان: إبطال سوء[١٦] المزاج واستفراغ المادة. ولأن المادة هاهنا مع حرارة عفونية فقد يلحق أيضا هاهنا غرض ثالث، وهو إبطال الأسباب المعينة على العفونة[١٧] في الأبدان. وتلك هي قلة التنفس من انسداد المسام، وانسداد المسام يعرض لها[١٨] إما من قبل أشياء قابضة أو باردة أو ميبسة. وقد يعرض انسداد المسام من الأخلاط، وذلك أيضا إما بكثرتها وإما بغلظها، وإما بلزوجتها. وقد تجتمع هذه كلها. فالغرض الثالث إذن من أغراض مداواة الحميات[١٩] هو أن يرفع[٢٠] كل واحد من هذه بما يقابلها[٢١]، فإن العفونة ليس سبيل إلى ارتفاعها ولا إلى منع تزيدها إلا برفع[٢٢] جميع هذه[٢٣] أو ما كان منها موجودا في بدن المحموم مع استفراغ المادة. فإذا كان ذلك كذلك[٢٤] فكثيرا ما تتضاد[٢٥] استدلالات هذه الأعراض في العلاج وبخاصة إذا طرأ هنالك عرض[٢٦] مضاد للاستدلال على مداواة الحمى. لكن متى كان الأمر هكذا أعني: أن يتضاد الاستدلال المأخوذ من نفس الحمى ومن أسبابها ومن أعراضها[٢٧] فينبغي للطبيب إن لم ترهقه الحمى ولا العرض أن يعنى أولا بقلع السبب، فإن بذلك تنقلع الحمى مثل حمى السوداء. وإن أرهقته فينبغي أيضا أن يصرف العناية إليها مع أن لا يغفل أمر السبب، كالحال في حمى الصفراء الخالصة إلا أن تكون الحمى من العظم بحيث لا يلتفت مع ذلك لسببها كالحميات المحرقة. وربما كان الاهتمام بهما على السواء فحينئذ ينبغي

---

(١) غ، ب، ت: حر شديد (٢) ب: عبدٌ (٣) م: فتشوغل؛ غ، ب، ت: فتشاغل (٤) ب، م، ت: سقط "والبرد" (٥) ت: كل حال (٦) ت: أضيف "هي" (٧) غ، ت: أضيف "كنا" (٨) غ، ت: حمى العفونية (٩) غ: ثبت في المتن "تخص"، وصحح في الهامش هكذا: "نحيز" (١٠)ي، ت،م: لها (١١) غ، م: لصنف (١٢) ت: أضيف "في الحميات العفونية" (١٣) غ، ت: سقط "هذه" (١٤) م: الحمى (١٥) ت: الغرض (١٦) ت: سقط "سوء" (١٧) ت: العفونية (١٨) غ، ت: سقط "لها" (١٩) م: "هذه المداواة" عوض "مداواة الحميات" (٢٠) غ، ت: يدفع (٢١) غ، ب، ت: بما(ت: مما) يقابله (٢٢) ت: بدفع (٢٣) م: هذا (٢٤) م: سقط "كذلك" (٢٥) غ: يظهر "تضاد" (٢٦) ت: "غرض" (٢٧) ت: أغراضها.

أن يمزج الأمران كلاهما. وهكذا حال العرض مع الحمى. والسبب، أعني أنه إذا أرهق أمره، اشتغل به، وإن كان ذلك زائدا في الحمى وفي سببها[١] مثل الغشي العارض في الحميات.

[٥٧] ونحن إنما نذكر أولا من الحميات ما ليس فيها أعراض مانعة من علاجها ثم نصير بعد ذلك[٢] إلى مقاومة الأعراض التي كثيرا ما تضاد علاج الحميات، فإن القول في مقاومتها غير القول في شفائها إذ كان شفاؤها إنما يكون بحسم أسبابها، ومقاومتها إنما هو مقابلتها بما يبطلها في الحين. وربما كان زائدا في سبب العرض مثل سقي الأفيون في الأوجاع الباردة، فنقول:

[٥٨] أما التبريد والترطيب في جميع الحميات فإنه يستعمل بالأغذية والأدوية التي ترد[٣] داخل البدن والتي توضع من خارج، وذلك بالقوى الأول منها فقط. وقد يستعمل التبريد أيضا بالهواء، وذلك إذا كان باردا في ذاته مثل ما نأمر أصحاب حمى الدق[٣] بتنشقه. وإذا[٤] كان حارا بإصلاح كيفيته وتبريده. وقد تستعمله هذه الصناعة بأن ينقل[٥] العليل من إقليم إلى إقليم ومن بلد إلى بلد، مثل ما نأمر من به قرحة الرئة أن ينتقل إلى البلاد الجنوبية مثل بلاد النوبة وبلاد العرب.

[٥٩] وأما الاستفراغات في الحميات فإنها تكون أيضا بالفصد والأدوية[٦]، وذلك بالقوى الثواني منها[٧] والثوالث والخواص. وقد يكون بالتجويع، وقد يكون بالاستحمام والدلك. وأما الرياضة فلا يتصور الاستفراغ بها في الأمراض. وينبغي أن ننظر[٨] أين يستعمل واحد واحد من هذه الاستفراغات[٩] أو أكثر من واحد وفي أي وقت يستعمل، فإن الوقت أحد ما يهم في هذه الصناعة. ولذلك يقول أبقراط: والوقت ضيق بمعنى أن وقت المعالجة ضيق العرض[١٠]، فنقول:

[٦٠] أما الاستفراغ بشق العرق[١١] فذلك[١٢] يكون حيث تظهر علامات[١٣] كثرة الدم، سواء كانت هنالك رداءة من الأخلاط أو لم تكن، إلا أنه أحمد إذا لم تكن هنالك رداءة أصلا. وقد حددنا هذه الأحوال فيما سلف. وأما وقت إخراجه فهو ما دامت القوة قوية. ولما كانت القوة بهذه الصفة في الأكثر في أوائل الأمراض رأى بعضهم أن يحد زمان الاستفراغ بأول المرض. والحق في خلاف ذلك[١٤]، فرب مريض يحتمل الفصد بعد السابع وكمية الفصد قد[١٥] تؤخذ من عظم المرض[١٦] ومن المزاج والسن والفصل والعادة

---

(١) ت: سببه (٢) م: سقط "ذلك" (٣) ب: أضيف "إلى" (٤) غ، ت: وإن (٥) ب: هكذا شكلت "لأن تنقُلَ"؛ م: بأن تنقل (٦) غ، ت: وبالأدوية (٧) ت: سقط "منها" (٨) م: يعرف (٩) غ، ب، ت: "في الحميات" عوض "الاستفراغات" (١٠) م: سقط "العرض" (١١) ب: العروق (١٢) غ: فلذلك (١٣) غ، ت: علامة (١٤) غ، ت: في ذلك خلاف هذا (١٥) غ، م، ت: سقط "قد" (١٦) ب: "خلاف المرض" وصحح في الهامش لكن لا يظهر من العبارة سوى الحرفين الأخيرين "رض".

والتدبير والقوة، وكأن جودة القوة ورداءتها تابعة لرداءة المزاج وجودته لكن جعلها الأطباء جنسا آخر.

[٦١] وأما الاستفراغ الذي يكون بتفتيح السدد وتقطيع الأخلاط وتلطيفها وإنضاجها وإصلاح ما شأنه أن يقبل منها الإصلاح وإخراج ما ليس شأنه أن يقبل منها الإصلاح، فهو في جميع الحميات وبخاصة الحميات غير المحرقة، وهو في جميع أوقات المرض. وذلك أن المادة العفونية إنما تصلح بهذين الفعلين: أعني أن يخرج منها ما ليس شأنه أن يقبل الإصلاح ويصلح منها ما شأنه أن يقبل الإصلاح، كما نرى الذين يعالجون إصلاح جميع الأشياء العفنة من خارج يفعلون. ويلزم عن هذا الفعل ضرورة تليين الطبيعة دائما وإدرار البول، إلا أن هذه الأدوية لما كانت في أكثر الأمر حارة يابسة مثل بزر الكرفس والرازيانج[م] قد يضاد استعمالها حرارة الحمى. فلذلك ينبغي أن تكسر قوى هذه الأدوية الأول بالأشياء التي هي في طبائعها باردة، ولها مع هذا عضد لهذه القوى المطلوبة منها، وذلك مثل بزر البطيخ وبزر القثاء وبزر الهندباء[م] والأدوية التي تلفى لها[١] هذه الأفعال، وهي مع هذا معتدلة أو قليلة الحرارة. فينبغي أن تتوخى في علاج الحميات، وذلك مثل البرشاوشان[م] والقرصعنة[م] والهندباء.

[٦٢] وبالجملة ينبغي كما قلنا متى استعملت الأدوية الحارة أن يكسر من قواها، ولكون[٢] السكنجبين جامعا[٣] لهاتين الخصلتين[٤]، أعني التقطيع والتلطيف وإدرار البول مع التبريد، كان من أشهر الأدوية المستعملة في الحميات، إلا أنه قد يلزم عنه السحج[م] وإخلال بالمعدة والكبد[٥]، وبخاصة في أواخر الحميات المزمنة، فلذلك ما ينبغي أن يخلط به ما يقوي الأعضاء الرئيسة مثل أن يغلى في الماء الذي يشرب به يسير مصطكى، أو يستعمل بممروس مربى الورد[٦] أو بعض أقراص الورد التي ليست بكثيرة الأفاويه، وذلك بحسب ما يكون أحد الأمرين أهم: أعني التقوية أو التلطيف أو التقطيع. وقد يلحق عنه أيضا عرض آخر، وهو أن الخلط المتولد عنه بارد يابس فإن اتفق[٧] أن يضارع بجوهره الخلط الفاعل للحمى، فينبغي أن يتجنب، مثل سقيه في حمى الربع[م]. وإن استعمل[٨] فيستعمل مكسورا من يبسه بمثل عروق السوس وشراب البنفسج، إلا أن في البنفسج إرخاء. فلذلك ينبغي[٩] أن يحجب[م] متى استعمل. وحجبه بالزبيب[١٠] في مثل هذا الموضع جيد. وبالجملة فحجب اليبس من شراب السكنجبين ضروري لموضع تخشينه للأعضاء العصبية كالمريء والمعدة والمثانة وقصبة[١١] الرئة.

---

(١) ب: لها تلفى (٢) م: ولكن (٣) م: سقط "جامعا" (٤) غ، ت: أضيف "جميعا" (٥) غ: والكبود(٦) غ: المربى ورد؛ ت: "المربا ورد" وصحح فوق السطر: الورد المربا (٧) ب: أضيف "لك" (٨) م: سقط "وإن استعمل" (٩) ب: "فينبغي" عوض "فلذلك ينبغي" (١٠) ت: بالزيت (١١) ت: قصب.

والسكنجبين أيضا المعمول على مياه البزور[١] التي وصفنا نافع في أكثر الحميات. ولما كان أيضا ماء الشعير باردا رطبا منقيا لسبل[٢] الفضول جلاء غسالا لها غير منفخ كان أيضا[٣] من أحمد الأدوية في هذا الشأن. ولذلك كان السكنجبين وماء الشعير محمودين في علاج الحميات إلا أن ماء الشعير كثيرا ما يخل بفم المعدة، فينبغي أيضا أن يحجب بأن تضع فيه يسير مصطكى مثل أن تضع قيراط مصطكى في نصف رطل منه. وذلك أيضا بحسب أهم الغرضين. والأدوية المحمودة في تليين الطبيعة هي أيضا[٤] ما جمع هاتين الخصلتين: أعني الاستفراغ من غير أن يضاد علاج الحمى. وهذه الأدوية هي[٥] مثل التمر الهندي والبنفسج والترنجبين ولب خيار[٦] شنبر والإهليلجات، إلا أن لموضع القبض الذي فيها قد ينبغي أن تتجنب قبل النضج. واللبلاب أيضا دواء جيد في أوائل[٧] الحميات وإن كان فيه بعض حرارة. وترتيب هذه الأدوية في تليين الطبيعة هي كما أصف: الترنجبين أولا ثم البنفسج والتمر الهندي واللبلاب ثم اللب خيار شنبر ثم الإهليلجات.

[٦٣] وينبغي مع هذا كله أن يتحرى في جميع الحميات الأدوية المضادة بجملة جوهرها للعفونة، إلا أن[٨] هذه الأدوية هي في الأكثر[٩] حارة إذ كانت الأدوية التي بهذه الصفة في الأكثر هي الأفاويه. لكن يجب أن يستعمل منها يسير، وذلك بعد أن تكسر قواها الأول[١٠]. وأما الأدوية التي لها هذا الفعل من غير إحرار فلتستغنم في هذا الموضع. وتلك الأدوية هي ماء[١١] الرمانين والصندلين(م)[١٢] والطباشير(م) إلا أن الصندلين[١٣] والطباشير فيهما[١٤] بعض تسديد. وإذا استعملت تلك الأول محجوبة بهذه كان عن ذلك علاج نافع. وأما الأدوية التي يقصد بها التبريد والترطيب فهي أيضا كثيرة[١٥] مختلفة بحسب اختلاف مراتب الحميات في قوة الحرارة وضعفها. فأول مراتب الأدوية الباردة هي ماء الشعير كما قلنا[١٦]، وشراب الجلاب(م). ولست أحمد في[١٧] شراب الجلاب أن يكون معمولا على ماء الورد وحده، كما حمده قوم من الحدث، لمكان اليبس الذي يأتي فيه، بل أن يكون الماء وماء الورد[١٨] بنصفين أو يكون ماء الورد أقل[١٩]، وذلك أيضا بحسب الحال. وأقوى من ذلك الأشربة التي تتخذ من عصارات النباتات[٢٠] الرطبة[٢١] الباردة مثل عصارة القرع والقثاء والخيار والدلاع. وأقوى من هذه[٢٢] كلها استعمال هذه العصارت من غير سكر، وبخاصة الدلاع فإنه مضاد بجملة جوهره للصفراء.

---

(١) غ: أضيف "في" (٢) ب، ت: لسبول؛ م: لسبيل (٣) م: سقط "أيضا" (٤) ت: سقط "أيضا" (٥) غ، ت: أضيف "أيضا" (٦) ب: الخيار (٧) غ، ت: أول (٨) ت: "لأن" عوض "إلا أن" (٩) م: أكثر الأمر (١٠) ت: الأولى (١١) ت: سقط "ماء" (١٢) ب، م: والصندلان (١٣) غ، ت: الصنادل (١٤) غ، م، ت: فيها (١٥) ت: كثيرة أيضا (١٦) ب: سقط "كما قلنا" (١٧) غ، ت: من (١٨) غ: والماء الورد؛ ت: الماورد (١٩) غ، ت: أضيف "من ذلك" (٢٠) ت: النبات (٢١) ب: سقط "الرطبة" (٢٢) ت: ذلك.

[٦٤] وأما الموضع الذي يجب أن تستفرغ فيه[١] المادة بالأدوية الجذابة فهو عند غلبة رداءة الأخلاط وخروجها في الكيفية. وقد رسمنا هذه الحالات. وأما الوقت فهو ما دامت القوة قوية. وذلك، في الأشهر والمجمع[٢] عليه، إذا ظهر النضج. والسبب في ذلك أنه الوقت الذي يقع فيه الاستفراغ المحمود من الطبيعة. وذلك أن القوة الدافعة[٣] إنما تتحرك لدفع الفضل على المجرى الطبيعي عند كمال النضج. والصناعة من حقها أن تتقيل[٤] أفعال[٥] الطبيعة. وأيضا فإن النضج إذا كمل فليس هناك عسر جذب، لا من قبل غلظ ولا لزوجة ولا سدد.

[٦٥] وأما من[٦] قبل أن يظهر النضج ففي ذلك[٧] موضع فحص، واختلاف بين[٨] الأطباء. وذلك أن جالينوس وجل الأطباء يرون أن ينتظر بالاستفراغ النضج، إلا أن يكون المرض في غاية الحدة، وهو الذي يفهم من قول أبقراط إلا أن يكون المرض مهتاجا. وذلك أن المرض إذا كان في غاية[٩] الحدة كانت الأخلاط فيه ضرورة في غاية الهيجان، ولم يؤمن أن تنصب إلى بعض الأعضاء الرئيسة فتورمها إن لم تستفرغ من[١٠] أول الأمر. وأيضا فإن الأخلاط التي بهذه الصفة هي ضرورة في غاية من[١١] اللطافة والحدة فلا غلظ هنالك ولا لزوجة تعوق فعل الدواء المسهل، وإنما يلحق ذلك عن[١٢] شيء واحد فقط، وهو أن الأدوية المسهلة تضاد بكيفياتها الأول هذه الحمى. لكن يصلح ذلك[١٣] بكسرها بأشياء باردة رطبة لموضع الضرورة إلى ذلك. وأما[١٤] إذا لم تكن الأمراض في غاية الحدة أو كانت مع ذلك هادئة فإنه ينتظر النضج. لكن ينبغي أن تفهم هاهنا أن التي في غاية الحدة[١٥] في بلاد أبقراط هي هاهنا حادة مطلقة، وناهيك من أن[١٦] الحميات الحادة إنما كان يعالج فيها أبقراط بماء الشعير والأثومال[م][١٧] ومعناه ماء العسل.

[٦٦] وإذا كان ذلك كذلك فلنعمل على أن[١٨] الأمراض الحادة بإطلاق في بلادنا هذه، أو فيما هو أحر منها، يجب أن تستفرغ بالأدوية الجاذبة في أول الأمر. وهذه الأمراض الحادة الخلط الفاعل لها إنما هو أكثر ذلك[١٩] في الأوراد التي حول فم المعدة والكبد، وبالجملة في أشرف العروق وأعظمها. ولذلك قد ينبغي متى ألفي فيها كثرة الدم[٢٠] ولو أدنى كثرة أن تستفرغ، فإن ذلك مما ينفع منفعة عظيمة وتسكن به[٢١] على المقام سورتها إلا أن يكون هناك شيء يعوق عن ذلك من الأشياء التي عددت فيما سلف.

---

(١) ب: فيها (٢) ب: والمجتمع (٣) غ: سقط "الدافعة" (٤) م: هكذا "تتقبل"؛ ت: جاءت العبارة من دون نقط (٥) ب: سقط "أفعال" (٦) غ، م، ت: سقط "من" (وثبتت في هامش ت) (٧) ب: ففيه (٨) م: من (٩) ب، م: نهاية (١٠) م: في (١١) ب: سقط "من" (١٢) غ، م، ت: عن ذلك (١٣) ب: تصلح بذلك (١٤) ت: وإنما (١٥) غ: سقط من المتن "أو كانت...الحدة"؛ (١٦) ب: سقط "أن" (١٧) غ، م: والأقومالي؛ ب: ثبت في المتن "الأومالي"، ت: ثبت في المتن (١٨) ت: سقط "أن" (١٩) م: سقط "ذلك" (٢٠) م: دم (٢١) غ، ت: بها.

[٦٧] وأما متى كانت الأمراض غير حادة، وهي مع هذا عن أخلاط خامية نيئة، فبإجماع أيضا منهم أن لا تستفرغ[١] إلا بعد أن تلطف وتقطع ويظهر للطبيعة فيها نضج ما، وإلا لم يجب[٢] الدواء[٣] إلى الخروج. وأما الأمراض غير الحادة التي تكون عن الأخلاط الرقاق مثل[٤] [حمى] الغب[م] الخالصة التي ليست تنوب أكثر من سبعة أدوار فإن ابن سينا يرى أن ينتظر[٥] هاهنا ولابد النضج، فإن نضج الخلط الرقيق التغليظ، كما أن نضج الغليظ الترقيق. والخلط الغليظ كما يستعسر[٦] على الطباع لغلظه كذلك الرقيق يستعسر[٧] على القوة الدافعة دفعه[٨] لمكان تشدده[٩] عليها وتفرقه. فإن كان الأمر في جذب الدواء هذه حاله مع الأخلاط أعني أنه يعسر عليه جذب الأخلاط الغليظة لسدها المنافذ[١٠] والسبل والرقيقة لتشددها[١١]، فنعم ما رأى في ذلك! وإن كانت الأدوية المسهلة كلما كانت الأخلاط أرق كانت أسرع إلى الإجابة. ولذلك قل ما يسقى دواء لأي خلط كان إلا وتخرج معه الصفراء لرقتها. وأيضا فمتى أفرط فعل الدواء كما قيل فيما[١٢] شأنه أن يخرج سوداء أو بلغما فإنه يتبع قباء ذلك الخلط الخاص بذلك الدواء خروج الصفراء. وبالجملة فالحس يشهد أن الأخلاط كلما كانت أرق كانت أسرع إلى الإجابة بالدواء المسهل، وليس كذلك الأمر عند الطبيعة. ولو كان الأمر كذلك لكان أولى شيء أن يحذر الإسهال في الأمراض التي[١٣] في الغاية من الحدة، فإن الأخلاط أرق ما تكون في هذه الأمراض لأنه على هذا الرأي يلزم كلما رق الخلط عسر خروجه.

[٦٨] فإذا كان هذا كله كما وصفنا، فينبغي أن لا يتوقف في الإسهال في الأمراض الصفراوية. وأيضا متى[١٤] انتظر النضج في كثير من هذه الأمراض لم يؤمن أن يغلب الخلط الطبيعة بكيفيته فيكون نضج رديء[١٥] لا يرجى معه خلاص. فإذن الأحزم في الأمراض الحادة بإطلاق الاستفراغ بالدواء المسهل والفصد إن أمكن بعد كسر حر الأدوية المسهلة ويبسها.

[٩-مداواة الحميات العفونية[م] بإطلاق]

[٦٩] وأما الحمى البلغمية والسوداوية فإن الرازي أيضا يسهل في أوائلها، لأنه الذي يرى هذا الرأي بإطلاق: أعني أن يسهل في أوائل الحميات. فأما جالينوس فقد صرح في حمى السوداء أنه لا ينبغي أن يسهل في أوائلها[١٦]، وذلك في رسالته إلى

---

(١) ت: "أن الاستفراغ لا يكون" عوض "أن لا تستفرغ" (٢) م: يظهر "نجب"؛ غ: تجب؛ ت: من دون نقط (٣) ت: أضيف "فيها" (٤) م: كمثل (٥) غ، م، ت: أضيف "أيضا" (٦) م: سيعسر (٧) غ، م، ت: يعسر (٨) ت: هكذا "دفعة" (٩) غ: تشذبه؛ ب: تشرده؛ ت: تشدبه (١٠) ب: المسام (١١) غ: لتشذبها؛ ب: "لتشربها"، وثبت حرف الباء من دون نقطة؛ ت: لتشدبها (١٢) ب: فيمن (١٣) ب: "الحادة" عوض "التي" (١٤) غ: فمتى (١٥) م: نضجا رديئا؛ ب: أضيف "حتى" (١٦) غ، م، ت: أولها.

أغلوقن. وأيضا فإن هذه الحمى سليمة العاقبة وليس يخاف فيها ظهور نضج رديء. وأما البلغمية فوخيمة العاقبة، فلذلك ينبغي عندي أن يحتال أولا في استفراغها وإن لم يكن نضج، لكن يتقدم الطبيب أولا فيقطع ويلطف نحوا من أسبوع، فإن الحرارة في هذه الحمى ليست تضاد هذا الفعل لضعفها في هذه الحمى، فإذا فعل هذا بادر الطبيب فأسهل. وقد يشهد لهذا ما نراهم يفعلون في السكات(م) والأمراض الصعبة الباردة، فإنهم يبادرون ويستفرغون فيها، وذلك بأن يضعوا في الدواء المسهل(١) أدوية تذوب وتلطف. وما أحسب أحدا يلتزم شرب شراب السكنجبين المعمول على ماء الإيرسا(م) وبزر الكرفس وعود السوس أسبوعا إلا وقد تهيأت في بدنه الأخلاط للخروج. هذا وإن(٢) لم تكن جملة الخلط الفاعل للمرض(٣) لكن(٤) يخفف بذلك على الطبيعة، ثم يعود أيضا ثانية فيقطع ويلطف أسبوعا آخر ثم يسهل بذلك القدر الذي(٥) خمن(٦) أنه قد سهل جريته من الأخلاط. فإن الحال في هذا كالحال فيمن لا يقدر أن يحمل حملا ثقيلا بأسره فيقسمه في مرات(٧) حتى يخف الأمر على الطبيعة ويظهر النضج محمودا وإلى جهة الأصلح إن شاء الله(٨). فإن هذا أولى(٩) من أن يسلم العليل إلى الطبيعة والمرض(١٠). فإن غلبت الطبيعة وظهر النضج المحمود طلبنا حينئذ أن ننهضها.

[٧٠] وذلك كما قلنا ليس من أشرف أفعال هذه الصناعة وإن لم تقهر(١١) الطبيعة لم تنفع العليل بشيء، بل نكون قد أسلمناه. ويمكن أن نفعل هذا المعنى بعينه في الحمى السوداوية. وكما أن الذين نريد أن نسهلهم وهم أصحاء نتقدم أولا فننقي مجاريهم ونلطف أخلاطهم كذلك ينبغي أن نفعل في المرض، إلا أن فعلنا في المرض(١٢) ينبغي أن يكون بأكثر عناية إذ كانت الأخلاط فيهم أقل نضجا. وقد يشهد لهذا(١٣) ما نرى جالينوس يفعل في الإعياء الحادث من تلقاء نفسه، وهي حالة قريبة من الحمى، فإنه يسهل فيه(١٤) جميع الأخلاط الفاعلة للإعياء ما خلا الخلط الخامي، فإن هذا مجمع عليه أن لا يستفرغ. ولذلك يرى جالينوس أن يستفرغ من به حمى من هذا الخلط بالدلك، إلا أنه(١٥) كما قلنا للأقاليم في هذا حكم عظيم. فليس ينبغي أن نثبت(١٦) القول في هذه الأشياء على جهة واحدة، بل الأخلاط(١٧) الخامية في البلاد الحارة، يمكن عندي أن تستفرغ على النحو الذي قلنا بعد أن نتقدم في تلطيفها وتقطيعها مدة ما(١٨) طويلة لكن تكون أقصر من مدة ظهور النضج. فإن بذلك يخف الأمر على الطبيعة فيأتي النضج

---

(١) ب: الأدوية المسهلة (٢) غ: "فإن"؛ م، ت: "وإن" عوض "هذا وإن" (٣) غ: للمريض؛ ب: للأمراض (٤) غ، ت: لكنه (٥) ت: أضيف "قد" (٦) ب: يخمن (٧) غ: أضيف "فيحمله" (٨) غ، ت: أضيف "تعالى" (٩) ب: هو الأولى (١٠) م: "الطبيعة إلى المرض" عوض "العليل...والمرض" (١١) م: تظهر (١٢) ت: في المرضى...في المرضى (١٣) ت: لها (١٤) م، ت: فيها؛ غ: سقط (١٥) غ، ت: أن (١٦) غ: يظهر "نبث" (١٧) م: هكذا "بالأخلاط" (١٨) غ: سقط "ما".

محمودا. وينبغي أن تجرب[1] هذه الأشياء: فإن للتجربة في هذه الأشياء قوة عظيمة. وأما المقدار الذي[2] يمكن أن يبلغ بالقول في هذه الأشياء فهو المقدار الذي كتبناه.

[٧١] وأما التدبير بالأغذية فبودنا كان أن لا يطعم العليل شيئا إلى منتهى المرض لتفرغ الطبيعة لإنضاج الخلط الفاعل للحمى ودفعه. لكن لما كانت القوة لا تحتمل ذلك نظرنا: فإن كان المرض من الأمراض الحادة قريب المنتهى، مثل أن يكون بحرانه في السابع، وكانت القوة قوية -وإنما تكون القوة قوية إذا كان المزاج معتدلا أو قريبا من الاعتدال أو[3] يكون السن سن الشباب- اقتصرنا من الغذاء على ماء الشعير فقط[4] أو مع يسير[5] فتات خبز مغسول بالماء السخن من أوقيتين إلى ثلاث. هذا هو الذي ينبغي أن يكون ألطف تدبير[6] في إقليمنا هذا[7] وبحسب عوائدنا. وأما القدماء فإنما كان عندهم التدبير اللطيف أن يبقى العليل الأسبوع الأول كله دون غذاء ويتناول ماء العسل فقط، وذلك شيء لا يحتمله أهل بلادنا هذه، وذلك[8] لمكان مزاج الهواء والعادة. وأما في تلك الأقاليم فإن الأبدان فيها أقل تحللا[9] وكانوا مع هذا يشربون الخمور ويأكلون لحوم الخنازير، وهذان[10] من أكثر الأشياء تغذية.

[٧٢] وبالجملة فينبغي أن يلتفت في الغذاء إلى[11] العادة فإن من الناس من اعتاد أن يأكل في النهار ثلاث مرات، وهؤلاء هم أقل الناس صبرا على الجوع، ولا سيما الذين أمزجتهم أمزجة[12] حارة متخلخلة. وأما إن زَكَنَّا[م] أن المنتهى يبعد، وأن القوة تضعف قبل المنتهى، فقد ينبغي[13] أن نطعم العليل أكثر مما حددناه قبل، فإذا ظننا أن المنتهى قد قرب لطفنا حينئذ الغذاء. هذا كله إنما يفعل مع ثبات القوة، وثبوت القوة إنما يكون في الأمزجة الموثقة. وأما الأمزجة الحارة اليابسة فقل ما تحتمل التجويع، ولا سيما في الأمراض المناسبة لها وفي الفصل الحار، فإن كثيرا ممن هذه صفته إذا جوعوا[14] انقلبت حماهم، بعد أن كانت لينة، فصارت محرقة. وربما وقعوا في[15] الذبول. وذلك أن أمثال هؤلاء[16]: المانع لهم من النضج إنما هو رداءة الكيفية، فإذا جوعوا[17] استزادت تلك الرداءة وتشيطت[م] أخلاطهم.

[٧٣] وأما وقت الغذاء فينبغي أن يكون بعد انحطاط النوبة وقبل عودتها[18] مرة ثانية، لتفرغ الطبيعة في وقت النوبة إلى نضج الأخلاط[19]؛ هذا هو المختار إذا ساعدت القوة ولم يعرض عرض خطير يوجب التغذية مثل حدوث الغشي أو توقع

---

(١) ت: أضيف "من" (٢) غ، ت: "مقدار ما" عوض "المقدار الذي" (٣) غ، ت: و (٤) ت: سقط "فقط" (٥) غ: أضيف "من" (٦) غ، ب: تدبيرا (٧) ت: سقط "هذا" (٨) غ، م، ت: سقط "وذلك" (٩) ت: ثبت "تحللا" وفوقها "تحليلا" (١٠) م: وهذا (١١) ب: سقط "إلى"، وشكلت العبارة التي بعدها "العادةُ" (١٢) ب: سقط "أمزجة" (١٣) ب: فينيغي (١٤) غ: جوع؛ ت: أجيع (١٥) غ، ت: إلى (١٦) ب: سقط "أمثال هؤلاء" (١٧) ت: أجيعوا (١٨) م: عوة نوبتها (١٩) ب: النضج للأخلاط.

حدوثه. وأما متى خفنا شيئا من هذه الأعراض فإنا قد[١] نغذو العليل في أول[٢] النوبة؛ فإن بذلك يمكن أن نحفظه[٣] من حدوث الغشي، كما فعل جالينوس بالفتى الذي قص قصته حين كان أطباء وقته جوعوه الثلاثة الأيام[٤] المشهورة عندهم في تجويع المرضى[٥]. وقد نغذوه أيضا في نفس النوبة بعينها. وأما متى كانت الحمى غير مفترة فقد ينبغي أن نتخير لغذائهم أخف أوقاتها ونتحفظ أيضا[٦] بالعادة. وأوفق[٧] الأوقات لهم هي[٨] الأوقات الباردة كالغدوات والعشيات.

[٧٤] وأما الحمام فلما كان[٩] من شأنه أن يستفرغ الفضول اللطاف حمد في الحميات بعد النضج. وأما[١٠] قبل فلا، لأنه[١١] يهيج النافض بزيادته في السدد ويذوب الأخلاط وينشرها في الجسم فلا يؤمن[١٢] أن يورم بعض الأعضاء الشريفة؛ إلا أنه -كما قلنا- وإن كان يستفرغ الفضول فهو يزيد في حرارة الحمى ويبسها، ولا سيما إذا استعمل منه[١٣] الجزء الهوائي أو في الحرارة فقط إذا استعمل منه الجزء المائي السخن. وليس يمكن في أبدان هؤلاء أن يتلافى ذلك فيهم[١٤] باستعمال الماء البارد من[١٥] بعد، فإنه يفجج الأخلاط[١٦]. فلهذا ينبغي أن لا يستعمل الحمام إلا بعد الانحطاط التام[١٧] وفي الحميات غير الحادة.

[٧٥] وأما الأنبذة والأشربة العطرية القليلة الاحتمال للماء[١٨] فإن الأطباء حمدوها[١٩] بعد ظهور النضج، وبخاصة في الحميات التي تكون العناية فيها أهم بقطع السبب مثل حمى البلغم والسوداء. وأما المحرقة فينبغي أن تتجنب الأشربة فيها كل التجنب.

[٧٦] وأما الدلك فإن جالينوس يستفرغ به في الحمى التي تكون عن الأخلاط الخامية. وفي ذلك موضع نظر: فإن الدلك لا يؤمن معه[٢٠] أيضا[٢١] أن تنتشر[٢٢] الأخلاط في البدن؛ وقد أمر هو في كتاب الصحة لمن به إعياء وجسمه مملوء من هذه الأخلاط أن لا يستعمل حركة أصلا لا استحمام ولا دلك[٢٣] ولا غير ذلك. وأيضا فإن الدلك إنما يستفرغ من الأخلاط[٢٤] ما تحت الجلد وفي العضل، وأما ما كان من ذلك في العروق فيعسر[٢٥] إلا على جهة جذب الطباع. وأيضا فما أظن أن صحيحا إن دلك[٢٦] ذلك الدلك الذي يصفه هو إلا أصابه إعياء ضرورة وتورم جلده[٢٧]، لأنه دلك[٢٨] خشن في نهاية الكثرة. وكيف

---

(١) م: سقط "قد" (٢) في غ وت: "أول ابتداء"؛ وفي م: "ابتداء" عوض "أول" (٣) م: تحفظ (٤) م: ثلاثة ايام (٥) غ: المرض (٦) غ، ت: سقط "أيضا" (٧) غ، م، ت: وأفضل (٨) م: سقط "هي"؛ ت: "هذه" عوض "هي" (٩) غ، م، ت: أضيف "كما قلنا" (١٠) غ، ب، م: فأما؛ ت: وأما (١١) غ: "فلانه" عوض "فلا لانه" (١٢) غ، ت: "فلابد من" عوض "فلا يؤمن" (١٣) غ: سقط "منه" (١٤) غ، ت: منهم (١٥) ت: سقط "من" (١٦) غ، ت: أخلاطهم (١٧) م: انحطاط تام (١٨) غ: سقط "للماء" (١٩) غ: هكذا "حمدونها" (٢٠) غ، م، ت: منه (٢١) غ، ت: سقط "أيضا" (٢٢) غ، ت: تستثير (٢٣) ب: أضيف "أصلا" (٢٤) م: سقط "من الأخلاط" (٢٥) غ، م، ت: أضيف "ذلك" (٢٦) ت: إن دلك (٢٧) غ: جلدة (٢٨) ت: "لأن ذلك" عوض "لأنه دلك".

وأصحاب هذه الأمراض لا ينفكون من وجود مس الإعياء؟! فهذا ما كان ينبغي أن نقوله في مداواة الحميات العفونية بإطلاق. وينبغي بعد أن نصير إلى مداواة واحدة واحدة منها.

[أ-] في الحمي[١] الصفراء[م]

[٧٧] وهذه الحمى، إذا كانت الغب الخالصة وتحققت أمرها، فالأولى في هذه الحمى، لمكان سلامتها وعلمنا بأن الطبيعة لابد أن تستولي عليها، أن لا تحرك الطبيعة بدواء جذاب مثل السقمونيا؛ فإن الدواء لو حجب ما شاء الله أن يحجب لابد أن يخل بالأعضاء الرئيسة فتضعف القوة لذلك وتزيد في حرارة الحمى ويبسها. ولو لم يكن فيها[٢] شيء غير نفس حركة الاختلاف لكان في ذلك ضرر كبير لإحرارها[٣] المزاج، فإذا ظهر النضج فلا بأس باستعمال الدواء الجذاب. أما[٤] في أول الأمر فتلين[٥] الطبيعة بزهر البنفسج والتمر الهندي مع ما يحجب إخلالهما بفم[٦] المعدة، مثل[٧] يسير من المصطكى[م]. والراوند[م] في ذلك أفضل لأنه مع أنه[٨] يحجب إضرارهما يعاضدهما في الإسهال. ومقدار ما نسقيهم من الراوند من ثلاثة أرباع الدرهم إلى نصف درهم، ثم يستعملون بعد ذلك شراب الجلاب والسكنجبين بشطرين بخمسة أمثالهما من الماء البارد[٩]، ثم من[١٠] بعد ذلك يتناولون[١١] ماء الشعير هكذا[١٢] كل يوم، إن لم تجب الطبيعة من ذاتها بمقدار ما يحتاج من ذلك، وذلك مجلسان فما دون ذلك[١٣]، وإن أجابت الطبيعة بذلك الدواء الملين أكثر من هذا القدر أغب أخذه بقدر ذلك.

[٧٨] وإنما اقتصرنا من التبريد والترطيب[١٤] على الجلاب وماء الشعير لأن هذه الحمى أيضا ليست بشديدة الحرارة، إذ[١٥] كان تولدها عن الصفراء الطبيعية، واقتصرنا من تفتيح السدد على السكنجبين[م] وماء الشعير[١٦] فقط لأن السدد أيضا في هذه الحمى[١٧] إما أن لا تكون وإما إن كانت فيسيرة. فإذا ظهر النضج، فإن رأيت أن الإهليلج[م] الأصفر يفي بما تريد من ذلك فافعل، وإلا فلابد من السقمونيا[م] فتسقي[١٨] العليل من ذلك من ست حبات إلى ربع درهم مع مثلها من مصطكى وأوقية من شراب النيلوفر[م] ونصف أوقية من شراب التفاح. أما النيلوفر فلكسره من كيفيات السقمونيا الأول[١٩] التي هي الحرارة واليبس مع أنه أيضا[٢٠] مقو بعطريته للأعضاء، وأما المصطكى فاستظهار أيضا على منع إخلالها بالأعضاء إذ كانت قد جرت عادة الأطباء أن[٢١] يجعلوها حجابا لها. وإن[٢٢] ضعفت قوة العليل أو خشيت أن تضعف فلا بأس بأن

---

(١) ب: حميات (٢) غ، ت: فيه (٣) غ، ت: لإحرار هذا (٤) ب، م: وأما (٥) غ، ت: فلين؛ م: فتليين؛ ب: فتلين (٦) ت: إخلالهما لفم (٧) ب: مع (٨) ب: ما (٩) غ، ب، ت: ماء بارد (١٠) غ، م، ت: سقط "من" (١١) غ، ت: يتناولوا (١٢) غ، ت: هذا؛ م: هكذا في (١٣) ت: سقط "ذلك" (١٤) م: سقط "والترطيب" (١٥) م: إذا (١٦) ت: سقط "وماء الشعير" (١٧) غ، م، ت: الحميات (١٨) غ، م، ت: يسقى (١٩) ب، م، ت: الأول (٢٠) ب: سقط "أيضا"(٢١) ت: في الأعضاء الرئيسة أيضا (٢٢) م: بأن.

تطعمه[١] الخبز المغسول. وأبقراط قد شهد أن هذه الحمى متى لم يكن فيها خطأ من التدبير أن أعظمها قوة لا يتجاوز[٢] اليوم الرابع عشر، فأما إن[٣] كانت هذه الحمى ليست من الصفراء الخالصة بل من المُحِّية أو من[٤] الزنجارية أو[٥] الكراثية ففيها ضرورة خطر كبير[٦] وبخاصة الزنجارية، حتى أنه يكاد من تصيبه هذه الحمى لا يسلم منها.

[٧٩] وهذه الحميات[٧] تكون طويلة النوب، الجزئية والكلية، خبيثة الأعراض؛ فلابد في مثل هذه الحميات من الاستفراغ بالدواء الجذاب الذي رسمته قبل، بعد أن نضيف إليه ما يصلح منها[٨] لموضع إحراقها[٩]، أعني الصفراء. ولا بأس أن تخلط بدوائك شيئا[١٠] من البسبايج[؟] لمضارعة الصفراء المحرقة الغليظة للسوداء. وذلك أيضا بعد أن تكسر من يبسها بدهن اللوز الحلو. وتفتيح السدد ينبغي أن يكون في هذه الحمى أبلغ، إن لم تكن الحرارة مفرطة، فإن كانت مفرطة فلتكن عنايتك أميل إلى التبريد والترطيب.

[٨٠] وأضعف[١١] ما تكون هذه الحميات، أعني الشديدة الحرارة الخبيثة الأعراض[١٢]، ما كان منها داخل العروق، وهي التي تسمى محرقة. وهذا الجنس من الحميات ليس يمكن أن يكون عن الصفراء الطبيعية، فلذلك ينبغي في[١٣] أول هذه الحمى بعد استفراغ الخلط بالدواء الجذاب وإخراج شيء من الدم إن[١٤] ظهرت هنالك كثرة، أن يسقى العليل كل يوم من[١٥] عشرة دراهم من التمر الهندي منقعا[١٦] من غير شراب ولا حلاوة، ثم تسقيهم بعد ذلك ماء الشعير ثم تتشاغل بباقي النهار بسقيهم[١٧] ماء الدلاع أو ماء الخيار إن[١٨] أعوز ماء الدلاع، فإن هذا هو أبلغ تدبير[١٩] تعالج به الحميات التي في غاية الاحتراق. ولا تجزع من شرب[٢٠] ماء الدلاع في مثل هذه الحال ولا من الماء المثلج، فإنك إن تقلب[٢١] حماهم إلى حمى لينة طويلة الأيام خير[٢٢] من أن يموتوا. وقد حكى أبو مروان بن زهر أنه شاهد فتى بهذه الصفة فسقاه ماء الدلاع وكان يقيئه مرة صفراء ولم يزل يفعل به[٢٣] ذلك إلى أن انقلبت حماه إلى حمى طويلة الأيام. وأظن أن ماء الدلاع في مثل هذه الحمى[٢٤] أقوى من الماء المثلج، فإن الماء ولو[٢٥] كان في غاية البرد من شأنه أن يقبل[٢٦] السخونة. وأيضا فإن الماء من حيث هو بسيط إنما

---

(١) ب: "وخشيت أن يضعف فلا بأس أن تعطيه" عوض "أو خشيت...تطعمه" (٢) م: يجاوز (٣) م: "فإن" عوض "فأما إن" (٤) ب: سقط "من" (٥) غ: و (٦) غ، ت: كثير (٧) غ، م، ت: الحمى (٨) غ، ت: "سنا" عوض "ما يصلح منها" (٩) غ، م، ت: احتراقها (١٠) غ، م، ت: شيء (١١) ت: وأصعب (١٢) ت: سقط "الأعراض" (١٣) م: سقط "في" (١٤) غ، م: وإن (١٥) غ، م، ت: سقط "من" (١٦) غ، م، ت: نقيعا (١٧) م: سقط "بعد ذلك ماء...النهار بسقيهم" (١٨) غ: وإن (١٩) غ: تدبيرا (٢٠) غ، م، ت: سقط "شرب" (٢١) غ، ت: نقلت (٢٢) غ: كان خيرا؛ ت: كان أحرى؛ ب، م: خير (٢٣) م: سقط "به" (٢٤) غ، ت: "في هذه الحال"؛ م: "في مثل هذه الحال" عوض "في مثل هذه الحمى" (٢٥) م: وإن (٢٦) م: يفعل.

يفيد كيفية باردة فقط، وماء[١] الدلاع يفيد كيفية باردة وكمية من جهة ما يرجع جزء دم.

[٨١] وأما متى كانت هذه الحميات[٢] هادئة وكان معها من طول نوائبها الجزئية والكلية ما يظن معه أنها ليست عن صفراء محضة، بل محية على رأي من يرى أن المحية أبرد من الطبيعية[٣]، فقد ينبغي حينئذ أن تكون عنايتك مصروفة إلى تفتيح السدد أكثر من التبريد[٤]، بخلاف ما كان الأمر عليه في الخالصة، وإن كان قل ما توجد هذه الخالصة. والأدوية المحمودة في ذلك هي[٥] التي لها قوى مفتحة من غير إحرار قوي كالبرشاوشان[م] وأصل الكرفس وبزر السريس. ويجب مع هذا أن تكسر من يبسها بعروق السوس، ومن حرها أيضا ويبسها بزهر البنفسج وزهر النيلوفر[م] وبزر البطيخ. ولا تغفل مع هذا[٦] أن تلقي[٧] في دوائك ما تكون فيه تقوية للأعضاء[٨] كيسير من[٩] المصطكى والسنبل[م]. وهذه الأدوية إنما ينبغي أن تركبها على شراب السكنجبين. وينبغي أيضا أن تستعمل فيها من الأدوية المسهلة ما يسهل الصفراء مع بعض[١٠] ما يسهل قليل بلغم، مثل بزر الأنجرة[م] و[١١] القرطم[م] بعد أن تكسر من حرهما ويبسهما[١٢]. فهذا هو وجه[١٣] العلاج في جميع حميات الصفراء.

[ب -] في حميات البلغم [م]

[٨٢] وأما هذه الحمى، إذا كانت عن بلغم بسيط[١٤] وتحققت أمرها، فيجب أن تصرف العناية فيها إلى تفتيح السدد وتقطيع الأخلاط وتلطيفها أكثر منها إلى التبريد والترطيب. حسبهم شراب السكنجبين البزوري بعد أن يحجب يبسه بمثل عروق[١٥] السوس ويكون في تركيبه يسير مصطكى وسنبل وقرفة[١٦]؛ فإن فم المعدة من أصحاب هذه الحمى ضعيف. والأولى في هذه الحمى من[١٧] أول الأمر أن تلين طباعهم بلب القرطم وبزر الأنجرة بعد أن تكسر من يبسها بالترنجبين[م]. فإذا مضى لهذا التدبير نحو الأسبوع فاسقهم دواء جذابا للخلط المرض. وأوفق[١٨] الأدوية لهم التربذ لمكان اختصاصه بإخراج الرطوبة[١٩] التي في فم المعدة، والغاريقون[م] لمكان إخراجه أيضا الأخلاط الغليظة وتفتيحه السدد[٢٠]. وإن أضفت إلى هذا المركب شيئا من أيارج الفيقرا[م][٢١] لم تخط[٢٢] بعد أن تجعل عمادك فيه التربذ والغاريقون وتحجب يبسها

---

(١) م: "وأما" عوض "وماء" (٢) م: الحمى (٣) غ، م، ت: الطبيعة (٤) غ: ثبت في المتن "اليبس"، ويبدو أنها صححت في الهامش "التبريد" (٥) غ، ت: أضيف "الأدوية" (٦) غ، ت: "مع هذا" (٧) غ، م، ت: سقط "أن تلقي" (٨) غ: الأعضاء (٩) غ، م، ت: سقط "من" (١٠) م، ت: سقط "بعض" (١١) ت: أو (١٢) غ، م، ت: حرها ويبسها (١٣) غ، ت: فهذا وجه؛ ب: فهذا هو الوجه في؛ م: فهذا هو وجه (١٤) غ، ت: البلغم بسيطا (١٥) ت: "بعروق" عوض "بمثل عروق" (١٦) غ: وقرفا ثبت في الهامش؛ ب: وقرفة؛ م، ت: سقط (١٧) غ، ت: في (١٨) غ: سقط واو العطف (١٩) غ، م، ت: الرطوبات (٢٠) غ: للسدد (٢١) ب: فيقرا (٢٢) غ، ت: تخطئ.

بدهن اللوز وكذلك يبس أيارج الفيقرا، ولتكن الأفاويه في الأيارج مثل الصبر. وأما شحم الحنظل فمهما أمكنك[١] الاستغناء عنه فافعل إلا أن تزكن[م] أن الخلط من القوة بحيث أن لا[٢] يفي به إلا شحم الحنظل، فحينئذ يجب أن تخلطه في المركب بعد أن تحجبه[٣] بمثله من الكثيراء ولب اللوز[٤]. وأكثر[٥] ما تعطيهم منه ثمن درهم. ولابد أن تعيد عليهم هذا الدواء، فإن هذا الخلط لا يخرج في مرة واحدة، وكل هذا إنما تفعله مع الالتفات إلى القوة وسائر الشروط التي تقدمت. والدواء التربذي الذي يسقيه الرازي في أول هذه الحمى لا بأس به. وأما الغذاء في هذه الحمى فتطلق[٦] لهم الفراريج الصغار مخلولة، فإن المنتهى يبعد في هذه الحمى فإنها ليست[٧] تنقضي في أقل من ثلاثة أسابيع وربما دامت إلى أربعين[٨] يوما أو أكثر[٩] من ذلك. قال الرازي ومهما[١٠] تجاوزت هذه الحمى الأسبوع الرابع فيجب أن يسقى العليل أقراص الورد التامة بماء البزور؛ وذلك أن أصحاب هذه الحميات[١١] تضعف منهم الكبود والمعد في آخر الأمر، حتى أن[١٢] كثيرا ما يؤول أمرهم إلى الاستسقاء[١٣].

[٨٣] وقد شاهدت أنا قوما كانت بهم حميات مزمنة[١٤] فأشار عليهم[١٥] بعض أطباء وقتنا باستعمال السكنجبين دائما فصاروا إلى الاستسقاء[١٦] وهلكوا. ولست أقصرك على أقراص الورد وإنما ذكرتها[١٧] مثالا لتعطي أنت أشياء هي في قوتها، بعد أن تزيد فيها وتنقص بحسب الأحوال الحاضرة. ومما هو[١٨] قريب من هذه القوة ذبيد[م] الورد، لكنه أميل إلى البرد من الأقراص. وأقراص الورد الصغرى أضعف من ذبيد الورد[١٩]: وذلك أن الورد فيه[٢٠] ضعف الأفاويه. وكذلك أيضا إن رأيت أن تخلط ماء البزور بشراب[٢١] السكنجبين فافعل، وإن كان هناك تهيج في القدمين والأجفان فإياك وشراب[٢٢] السكنجبين فإنه يصير بهم[٢٣] سريعا[٢٤] كما قلنا إلى الاستسقاء.

[٨٤] وأما الحميات التي تحدث من البلغم النيئ –وهذه[٢٥] حميات تنتفخ فيها الوجوه والبطون[٢٦] وتصير ألوان أصحابها رصاصية أو جصية– فإن جالينوس[٢٧] يرى استفراغهم بالدلك، وذلك ما داموا مستيقظين، بأن نقسم عليهم نصف زمانهم حتى يكون نصفه للنوم ونصفه[٢٨] للدلك –وقد قلنا ما في الدلك– ويسقوا ماء العسل بالزوفا[م] وعروق السوس. وجالينوس يسقيهم ماء الشعير ولست أحمده في هؤلاء لأنه يخل[٢٩]

---

(١) ب: أمكن (٢) غ، م، ت: لا، ب: ان لا (٣) ب: يحجب (٤) غ، م، ت: كثيراء ولب لوز (٥) غ: سقط "و" (٦) غ، ت: فلتطلق؛ م: فيطلق (٧) غ، ب: ليس (٨) ب: الأربعين (٩) غ، ب، ت: وأكثر (١٠) غ، م، ت: ومتى؛ ب: ومهما (١١) م: الحمى (١٢) غ، ت: أنه (١٣) م: الاستقاء (١٤) غ، م، ت: مزمنات (١٥) ت: إليهم (١٦) م: الاستقاء (١٧) غ، ت: ذكرناها (١٨) غ، م، ت: أضيف "أيضا" (١٩) م: سقط " لكنه أميل...ذبيد الورد" (٢٠) غ، ب، م: فيها؛ ت: فيه (٢١) غ، ت: مع ماء البزور شراب (٢٢) ب: وشرب (٢٣) ب، ت: يصيرهم(٢٤) م: ورد "سريعا" بعد العبارة الموالية "كما قلنا" (٢٥) ت: وهي (٢٦) غ، م، ت: ينتفخ فيها الوجه والبطن (٢٧) م: أضيف "من" (٢٨) ت: نصف...ونصف (٢٩) ت: مخل.

بمعدهم ويجمد طباعهم [1]، اللهم إلا أن يوضع فيه مصطكى ويسير فلفل وأصل رازيانج[م]. وليس ينبغي أيضا أن يتركوا بلا غذاء البتة، وإن كان يظن بهم أنهم يحتملون الصبر على الجوع[2] لمكان الأخلاط الخامية المجتمعة في أبدانهم، فإن مثل هذه الأخلاط عسيرا[3] ما تتحول إلى الدم، والجزء الغاذي فيها ليس بكثير وهم من ضعف القوى بحيث يشرف أصحاب هذه الحمى[4] على الغشي في أكثر أحوالهم. ويجب[5] أن تكون أغذيتهم لباب الخبز المختمر[6] منقوعا في ماء العسل أو[7] النبيذ الجلابي إذا[8] استجازوا ذلك. وصفة الدلك الذي يأمر به جالينوس أن يكون بمناديل من خرق[9] إلى الخشونة ما هي. وتبتدئ[10] أولا من الساقين والقدمين ويكون الدلك من فوق إلى أسفل: تبتدئ[11] من الركب إلى القدمين ومن الأربيتين إلى الركب، ثم يدلك من المنكبين إلى أن يصل إلى اليدين. ثم يدلك[12] الصلب على ذلك المثال. ثم صر بعد ذلك إلى[13] الرجلين ثم تعود بعده[14] إلى الصلب، تفعل ذلك النهار كله. قال جالينوس[15] فإن أحس العليل في أعضائه بإعياء[16] فينبغي أن يمرخ[17] بالزيت الذي ليس[18] فيه قبض، ودهن البابونج ودهن الشبث في ذلك[19] جيد. قال ثم امسح الدهن لأنه يؤذي ويكرب. فهذا جميع ما يرى جالينوس في تدبير هؤلاء. وأصحاب هذه الحمى يعرض لهم الغشي كثيرا وسنذكر علاجه[20] عند مقاومة الأعراض التي تضاد علاج الحميات.

[ج-] في حمى الربع[م][21]

[٨٥] وهذه الحمى فأهم شيء فيها هو العناية بالتفتيح والتقطيع والتلطيف، حتى أن صاحب هذه الحمى ليس يكاد يحتاج إلى ما يبرد ويرطب، وإن احتاج فحاجة يسيرة؛ وكأن الأمر في هذه الحمى بعكس ما عليه الأمر في الحمى[22] المحرقة، فإن تلك صرف العناية فيها إنما هو إلى صورة الحمى، وهذه إلى سببها. فلذلك ينبغي أن يتوخى هاهنا من المقطعة الملطفة الأدوية المخصوصة بالطحال، مثل أصول[23] الكبر[م] والطرفاء[م] والسقولوفندريون[م] والوج[م]، فإن هذا العضو يحتمل الأدوية القوية التفتيح من غير أذى. وذلك أيضا بأن تستعمل هذه الأدوية مع شراب السكنجبين الزبيبي ويستعمل أيضا في أول الأمر تليين الطبيعة بالبسبايج[م]، يستخرجه في مرقة ديك هرم مطبوخا[24] تفايا[25]،

---

(١) غ، ت: ومجمد لطباعهم؛ م: ويجمد طبائعهم (٢) غ، م، ت: التجويع (٣) م: عسير (٤) غ، ت: القوى (٥) ت: وبحيث (٦) غ، ت: سقط "المختمر" (غ: ثبتت اللفظة في الهامش) (٧) ت: و (٨) ب: ثبت في المتن "إذا" وصحح في الهامش "ان"(٩) م: سقط "من خرق" (١٠) غ، ت: ويبتدأ (١١) ت: يبتدئ (١٢) م: ادلك (١٣) غ، ت: سقط "صر بعد ذلك إلى"؛ ب: "صر بعد إلى" وسقط "ذلك" (١٤) غ، م، ت: سقط "بعده" (١٥) غ، م، ت: سقط "جالينوس" (١٦) غ، ت: إعياء (١٧) م: يمزج (١٨) غ: سقط "ليس" (١٩) غ، م، ت: ورد "في ذلك" قبل عبارة "ودهن الشبث" (٢٠) ب: علاجهم (٢١) غ، ت: أضيف "الكلام" (٢٢) م: الحميات (٢٣) غ، م، ت: أصل (٢٤) غ، م، ت: ديك هرم مطبوخ (م، ت: مطبوخا)؛ ب: الديك الهرم مطبوخا (٢٥) ت: "وتفايا" (أضيف الواو في الهامش).

يكون زيتها دهن لوز. فإن أحببت في هذه الحمى أن تنتظر النضج فافعل لقلة الخطر الذي فيها. وإن أحببت أن تستفرغه قبل النضج، فلا أقل أن يكون ذلك بعد التقطيع بالشراب الذي رسمته لك[١] نحوا[٢] من أسبوعين أو ثلاثة أسابيع.

[٨٦] والأدوية التي تخرج هذا الخلط قد علمتها، وهي في ذلك على[٣] مراتب: فأولها مرتبة[٤] الإهليلج الكابلي والأسود، ثم يليها في الأمن[٥] البسبايج. وإنما[٦] اجتنبنا[٧] تليين الطبيعة بالإهليلج لموضع القبض الذي فيه. ثم يلي البسبايج الأفيثمون[م]، وهو أقوى فعلا من البسبايج وفيه مع هذا إكراب[٨] أكثر. فلذلك ينبغي أن تحجب منه هاتان القوتان معا أعني من كيفيته الأولى[٩] ومن إكرابه. ولا بأس أن يخلط في مثل هذا المركب، ما يكون كالجناح لمثل هذه[١٠] الأدوية، من الأدوية[١١] اللطيفة مثل أن تجعل في[١٢] هذا المركب[١٣] حبتين من محمودة أو ثلاث حبات أو ثمن درهم من[١٤] ماهوذانة[١٥]. وإن لم نقصد في هذا الموضع إخراج هذا الخلط، لكن لغلظ هذه الأدوية نحتاج إلى ما يعطيها مبدأ حركة، وبعد الأفيثمون حجر اللازورد. وأما الخربق[م] الأسود فينبغي أن تتجنبه ما استطعت. وبعد النضج في هذه الحمى فالترياق من أنفع الأدوية لهم، كما يقول جالينوس. وأما متى استعمل قبل النضج فربما قلبها إلى حمى محرقة. وإن كان الفصل شتاء والسن سن الشيخوخة فالفلافلي نافع لهم بعد النضج أيضا وبخاصة في البلاد الباردة.

[٨٧] وينبغي أن نعنى في هذه الحمى بالطحال، وذلك بأن[١٦] نضمده بالأدوية التي من شأنها أن تحلل صلابته وتذهب نفخته. كما أن في[١٧] الحمى الصفراوية يجب أن نعنى بالكبد من صاحبها، والحمى البلغمية بفم المعدة[١٨]: فإن أعظم عضو يتعفن فيه[١٩] الخلط حتى يكون كالمستوقد للحمى هو في حمى السوداء: الطحال؛ وفي حمى الصفراء: الكبد، وبخاصة ما كان منها غير نائب. وكذلك المعدة لحمى البلغم. فينبغي أن نعنى في هذه الحميات الثلاث باستفراغ هذه الأعضاء وتقويتها وإنضاج الأخلاط التي فيها وإصلاحها. وأما[٢٠] متى ظهرت كثرة من الدم أيضا في أول هذه الحميات فافصد إلا في البلغمية، فينبغي أن تفعل ذلك بتوق مخافة أن تكون هنالك كثرة من الأخلاط النيئة. والحمى المطبقة كلما كانت العفونة فيها أكثر كانت أحرى بالإسهال منها بالفصد،

---

(١) غ، م، ت: سقط "لك" (٢) ت: نحو (٣) غ، م، ت: سقط "على" (٤) م: سقط "مرتبة" وأضيف "هو"؛ غ، ت: أضيف "هي" (٥) ب: ثبت في المتن "الأمرين" وصحح في الهامش "الأمن" (٦) م: "ان" عوض "وانما" (٧) غ، م: جنبنا؛ ت: جعلنا (٨) ت: كرب (٩) غ، ب: الأول (١٠) غ، م، ت: "لمثل هذه" عوض "لهذه" (١١) غ، م، ت: أضيف "المسهلة" (١٢) م: أضيف "مثل" في الهامش (١٣) غ: سقط "المركب" (١٤) غ: سقط "من" (١٥) ب: مما هو بذاته؛ م: ما هوبذانة (١٦) غ، م، ت: أن (١٧) غ، م، ت: سقط "في" (١٨) م: "يعني بالمعدة" عوض "بفم المعدة" (١٩) غ، ت: فيها (٢٠) غ، م، ت: سقط "أما".

وبالعكس متى كانت العفونة فيها أقل كانت أحرى بالفصد منها بالإسهال[١]. فينبغي فيها أن نجمع بينهما في الأكثر على هذه النسبة. فهذا هو القول في جميع حميات العفونة[٢] عموما وخصوصا. وإذا عرفت كيف[٣] علاج هذه البسائط فلن يخفى عليك ما تركب منها مثل شطر الغب وغير ذلك. وقد بقي من الحميات البسائط حمى الدق.

[د -] [٤] في حمى[٥] الدق

[٨٨] وهذه الحمى من حيث هي سوء مزاج حار يابس غير مادي فالغرض في[٦] مداواتها غرض واحد فقط وهو التبريد والترطيب، والحاجة إلى الترطيب أمس منها إلى التبريد. ولهذا ما ينبغي أن نحتال في تبريد[٧] هؤلاء وترطيبهم بكل[٨] ما يمكن[٩]. وذلك يكون بشيئين اثنين: أحدهما الأشياء التي ترد داخل البدن والآخر الأشياء التي تلقاه من خارج، مثل الأضمدة والهواء والاستحمام. وهذه الحمى كما سلف ثلاث مراتب تختلف بالأقل والأكثر[١٠]: فالمرتبة الأولى سهلة البرء والمرتبة[١١] الثانية عسيرة البرء[١٢]، والثالثة ممتنعة. ووجه علاج الأولى والثانية واحد إلا أنه يختلف[١٣] بالأقل والأكثر. والأغذية التي تلائم هؤلاء هو اللبن الحليب. وأفضل[١٤] الألبان لهم[١٥] لبن النساء فإن لم يكن فلبن الأتن فإن لم يكن فلبن الماعز، وذلك[١٦] بعد أن يتحفظ[١٧] بغذاء المرأة بأن[١٨] يكون ذا كيفية محمودة وأن[١٩] يتناول منه [٢٠] المقدار الذي لا يسوء منه[٢١] هضمه وبعد رياضة. وهكذا ينبغي أن يفعل بالأتان وذلك بأن[٢٢] تطعم[٢٣] حشائش باردة ويعنى بهضمها. ولأن الألبان من شأنها أن تتجبن في فم[٢٤] المعدة فليدرجوا[٢٥] عليها قليلا قليلا: فأول ما يسقون منه أوقية ثم لا يزال يزاد فيها إلى أن يسقوا نصف رطل. وماء الشعير[٢٦] لهم ضروري.

[٨٩] ولأن هذه الأبدان أحوج الأبدان إلى التغذي -إلا أن القوة الغاذية فيهم ضعيفة- فقد ينبغي أن نحتال بأن نجعل أغذيتهم سريعة الاستحالة جيدة[٢٧] الكيموس. وأفضل اللحوم لهم إناث فراريج[٢٨] الدجاج التي قد[٢٩] غذيت بالبر، وخصى الديوك المغذاة أيضا[٣٠] بالبر وباللوز[٣١]. ومحاح البيض غذاء جيد لهم. فإن[٣٢] كان الحر عليهم[٣٣] شديدا فلا بأس بتناول بعض البقول الباردة وأفضلها[٣٤] في ذلك الخس، وذلك

---

(١) غ: سقط "منها بالفصد...منها بالإسهال" (٢) غ، ت: العفونية (٣) م: سقط "كيف" (٤) غ: أضيف "الكلام" (٥) م: حميات (٦) غ، ت: من (٧) غ: تدبير (٨) ت: في كل (٩) غ، م، ت: يمكننا (١٠) غ: والأنقص (١١) غ، ت: سقط "المرتبة" (١٢) غ، ت: سقط "البرء" (١٣) غ: أنها تختلف (١٤) غ، ت: سقط "و" (١٥) م: سقط "لهم" (١٦) غ، م، ت: أضيف "أيضا" (١٧) م: "بعد العناية" عوض "بعد أن يتحفظ" (١٨) ت: فإن (١٩) ت: "أو" عوض "وأن" (٢٠) غ، م، ت: منها (٢١) م: "يسيئ" عوض "يسوء منه"؛ غ، ت: سقط "منه" (٢٢) ب: أن (٢٣) م: أضيف "الأتان" (٢٤) غ، ت: سقط "فم" (٢٥) ب، م: فليدرج (٢٦) غ، ت: أضيف "أيضا" (٢٧) غ، ت: غذاءهم سريع الاستحالة جيد (٢٨) ب: الفراريج من (٢٩) غ، ت: سقط "قد" (٣٠) غ، ت: سقط "أيضا" (٣١) غ، ت: أو باللوز (٣٢) غ، ت: وإن (٣٣) غ: سقط "عليهم" (٣٤) غ، ت: سقط "و".

أنه ينومهم وهم[١] أحوج خلق الله إلى النوم. ولهذا المعنى بعينه، أعني ضعف قواهم، نجعل غذاءهم[٢] في مرات كثيرة على[٣] ما سنقول بعد.

[٩٠] وأما استعمال الحمام[٤] في هؤلاء ففيه موضع نظر. وذلك أنه يظهر من أمرهم أنهم ليسوا[٥] يحتاجون إلى ما يسخن ولا إلى[٦] ما يحلل ويستفرغ. ولذلك لا يلفى لهؤلاء التبريد[٧] العرضي الذي في الحمام وهو الذي يكون باستفراغه[٨] الفضول الحارة، لأن هذا إنما يكون في[٩] سوء المزاج المادي. وإذا كان الأمر هكذا فإنه[١٠] يظهر من أمرهم[١١] أنهم لا يحتاجون إلى الهواء من الحمام أصلا. وأما الماء السخن[١٢] فإنه أيضا وإن كان يرطبهم فإنه يحللهم. وأما الجزء البارد من الحمام فقد كنا نرى أنه أنفع الأشياء لهم لو أنهم يحتملونه. أما جالينوس فيصرح أن الحاجة في هؤلاء إلى إدخال الحمام ليس هو لشيء[١٣] أكثر من أن تعد أبدانهم لاحتمال الماء البارد الذي يغمسون فيه بآخرة (=في نهاية الأمر). وصفة استعمالهم الحمام على ما يقوله[١٤] هو أن يحمل المريض على فراشه، فإذا صار إلى البيت الأول[١٥] ألقي هنالك على بساط صغير وقد أخذ بأطرافه أربعة أنفس، كل واحد منهم بزاوية من زوايا البساط. فإن كان البيت الأول حرارته معتدلة فلتنزع ثيابه هنالك ويدخل به إلى[١٦] البيت الثاني عريانا. والاعتدال في بيوت الحمام هو أن تكون متناسبة[١٧]: نسبة الأول إلى الأوسط نسبة[١٨] الأوسط إلى الثالث. ثم يسكب في البيت الثاني على بدنه دهن فاتر. فإذا فعل به[١٩] ذلك فليدخل إلى البيت الثالث ويصير[٢٠] إلى الأبزن(م). قال ويكون لبثه في كل بيت من بيوت الحمام بقدر ما يمر فيه مار[٢١] فقط من غير أن يسرعوا. قال وهذا إنما يكون في الحمام المعتدل الرطب بصب المياه فيه[٢٢] وجريها عليه. قال وليمكث العليل في أبزن الماء الحار مقدارا معتدلا، ثم يغمس[٢٣] فيه بأن يرخى البساط الذي هو محمول عليه، ثم يغمس بعد[٢٤] في الماء البارد. فهذا[٢٥] هو الذي يرى جالينوس في تدبيرهم بالحمام.

[٩١] وأما الرازي فيرى أن[٢٦] حاجة هؤلاء إنما هي إلى الماء الفاتر الرطب، لكن لما كان لا يمكن لهؤلاء[٢٧] إذا نزعت ثيابهم أن لا تقشعر جلودهم[٢٨] ولا بعد خروجهم من الماء، كان الصواب أن يكون الأبزن في بيت معتدل من بيوت الحمام، أعني[٢٩] لا يكون باردا ولا حارا. وكذلك ينبغي أن تكون صفة الماء. وقد أرى أنا[٣٠] أيضا أن في

---

(١) م: وهو (٢) ب: أغذيتهم (٣) ب: عن (٤) ب: الاستحمام (٥) غ، م، ت: ليس (٦) م، ت: سقط "إلى" (٧) غ: التدبير (٨) ت: باستفراغ (٩) غ، ت: من (١٠) غ، م، ت: فقد (١١) غ، م، ت: هذا (١٢) ت: المسخن(١٣) غ: شيء؛ م، ت: شيئا (١٤) غ: سيقوله؛ ت: نقوله (١٥) غ: سقط "الأول" (١٦) م: سقط "به إلى" (١٧) غ، م: مناسبة (١٨) غ: بنسبة؛ ت: كنسبة (١٩) ت: سقط "به" (٢٠) ت: وليصر (٢١) غ، ت: مارا (٢٢) ب: فيها (٢٣) غ، ت: ينغمس (٢٤) ت: ينغمس بعد؛ غ: سقط "بعد" (٢٥) ت: وهذا (٢٦) ت: سقط "أن" (٢٧) غ، م، ت: هؤلاء (٢٨) غ، ت: أبدانهم (٢٩) م: سقط "أعني" (٣٠) ت: سقط "أنا".

الحمام منفعة ما لهم، وهي المنفعة التي في اللطوخ الزفتي. وذلك أن القوة الجاذبة فيهم[١] ضعيفة، فإذا أصابهم الماء الحار أعطاهم[٢] مبدأ به تجذب. ولذلك ما[٣] ينبغي أن يستعملوه إلى حد تنفتح[٤] به مسامهم وتزيد به أبدانهم وأعضاؤهم في جميع أقطارها فقط، ثم يخرجون عنه، وإلا حللهم كالحال في لطوخ الزفت. ولأن هذا الوقت ضيق فينبغي أن نعتني[٥] به غاية العناية. وهذه المنفعة أظن جالينوس قد أشار إليها حيث يذكر علاج سوء المزاج الحار اليابس الحادث في المعدة. وأما أبو مروان بن زهر فيظهر من أمره أنه يقتصر على إدخالهم الأبزن المعتدل[٦] فقط من غير حمام ثم بعد أن يخرجوا من الحمام يسقون[٧] اللبن، فإذا تم هضمه فليدخلوا مرة ثانية إلى الحمام[٨]، فإذا خرجوا فليشربوا[٩] ماء الشعير، فإذا كمل هضمه تناولوا لباب خبز مختمر ببعض الأشياء التي ذكرناها[١٠] قبل.

[٩٢] وأما استعمال الأشياء التي من خارج فمنها الحمام كما قلنا وقد وصفنا كيف استعماله[١١]، ومنها استعمال الهواء نفسه: فإن[١٢] كان حارا برد بأن يفرش البيت الذي يكون فيه بالبقول الباردة كالورد والخلاف[م] والآس والنيلوفر وقضبان الكرم وورقه، ويحتال في أن تنصب[١٣] من أعاليه مياه إلى وسطه. ويكون بيتا شماليا. ويحتال في أن تكون في أعلاه كوى[١٤] ينفذ فيها الريح من غير أن يدخل منها شمس. وأما إذا[١٥] كان الهواء باردا فلا شيء أحوج منهم إلى استنشاقه، وبخاصة إذا كان بدء[١٦] سوء المزاج فيها من المعدة أو من[١٧] الكبد أو من الرئة أو من الصدر أو من المعى الصائم أو من الأرحام أو من الكليتين. ثم يتصل بعد سوء المزاج بالقلب. وقد يكون حدوثه بالقلب حدوثا أوليا. ولذلك متى زكنت في[١٨] أول الأمر[١٩] العضو الذي منه انبعثت الحمى فقد ينبغي أن تكب على تبريده وترطيبه من غير[٢٠] أن تخل به، ولا سيما إن كان عضوا[٢١] له منفعة شريفة، وذلك بالضمادات المتخذة بالصندل[م] والماء ورد[٢٢] وبالبقول الباردة أو بالقيروطي[م] الذي يصفه جالينوس[٢٣]، إلا أنه متى أردت التبريد فتوخ العطارة والقبض في الأعضاء الرئيسة. وهذا التدبير هو تدبير من صار في النهاية. وأما من كان في أول أمره فقد يبرأ بأخف من هذا التدبير.

---

(١) غ، م، ت: "من هؤلاء" عوض "فيهم" (٢) غ، م، ت: أعطاها (٣) غ، م، ت: سقط "ما" (٤) غ: تفتح (٥) غ: تعتني؛ م: يعتني (٦) م: سقط "المعتدل" (٧) ب: ويسقون (٨) ب: سقط "إلى الحمام" (٩) غ، م، ت: شربوا (١٠) ت: ذكرنا (١١) غ: سقط "وقد وصفنا كيف استعماله" (١٢) غ: فإذا (١٣) غ: ينصب؛ ب: تنصب؛ م: تصب؛ ت: يظهر "نصب" (١٤) ت: كوتين (١٥) ت: "وإن" عوض "وأما إذا" (١٦) ت: سقط "بدء" (١٧) غ، ب، م: سقط "من"؛ وقد ثبت في ت (١٨) ت: سقط "في" (١٩) غ، ت: أضيف "إلى" (٢٠) ت: أضيف "أيضا" (٢١) غ: عضو (٢٢) غ، ت: الماورد (٢٣) م: سقط "جالينوس".

[١٠- علاج الحميات المصحوبة بأعراض تعوق مداواتها]

[٩٣] وإذ [١] قلنا في الحميات خلوا[٢] من الأعراض التي تعوق عن مداواتها فلنقل كيف وجه العلاج فيها إذا اقترنت إليها هذه الأعراض فنقول: إن هذه الأعراض بالجملة هي كل ما كان سبيلا[٣] إلى انحلال القوة المسمى[٤] غشيا، وذلك يكون ضرورة عن سوء مزاج[٥] الحار الغريزي الذي في القلب: إما بارد وإما حار[٦]. وسوء المزاج الحار يكون ضرورة إما من قبل الأشياء التي من خارج مثل الهواء الحار كما يعرض لمن يطيل المكث في الحمام، وإما من قبل الأشياء التي من داخل مثل سوء مزاج الأعضاء الرئيسة كفم المعدة، أو مثل سوء مزاج غالب[٧] على جميع البدن، كما يعتري ذلك[٨] في الحميات المحرقة، وأما سوء المزاج البارد فيعرض ضرورة عن ملاقاة الأشياء الباردة التي من خارج، وعن سوء مزاج الأعضاء الرئيسة مثل برد فم المعدة أو[٩] اختناق الرحم أو عن سوء مزاج غالب على جميع البدن، كما يعتري ذلك في الحميات التي تتولد عن الأخلاط الخامية. وسوء المزاج البارد يصيب من الاستفراغات الشديدة، وذلك أنه متى نقصت كمية الحار الغريزي لم يمكن فيه أن يدبر البدن، وكان بالإضافة إلى الأفعال[١٠] أبرد مما ينبغي. فإن أفرط ذلك أصاب عن ذلك غشي لا أن[١١] نقصان الكمية هي بذاتها سبب للغشي، لأن كل كون وفساد سببه الحار أو البارد أو اليابس أو الرطب لا غير[١٢]، على ما تبين في العلم الطبيعي.

[٩٤] وأنواع الاستفراغات المفرطة هي الإسهال والقيء والعرق[١٣] وانفجار الدم من المنخرين أو من[١٤] المقعدة أو من غير ذلك من الأعضاء. وفي النساء إفراط دم[١٥] الطمث. وقد يعرض الغشي عن الاستفراغ الذي يكون عن بط الأورام الكبار و[١٦]انفتاحها. والأرق أيضا مما يجلب الغشي وذلك بتحليله واستفراغه الروح الغريزي. ومما يعرض عنه الغشي العوارض النفسانية مثل الفرح الشديد والهم، فإن هذه[١٧] أيضا تبرد[١٨] الروح الغريزي[١٩] بإفراط حركة النفس وتكسبه[٢٠] سوء مزاج. والوجع الشديد أيضا مما يجلب الغشي وذلك يفعله إما بسوء[٢١] المزاج الفاعل للوجع وإما بإفراط حركة الروح القوة الدافعة في الوجع كما يقول جالينوس.

[٩٥] فهذه هي جميع الأعراض التي تؤدي إلى الغشي، وهي بالجملة متى حدثت في الحميات فينبغي أن نصرف العناية إلى نفس مقاومتها، وإن كان ذلك مضادا

---

(١) غ: أضيف "قد" (٢) ت: خلو (٣) غ، م، ت: سببا (٤) غ: المسماة (٥) ب: المزاج (٦) غ، ت: باردا وإما حارا (٧) غ، م، ت: المزاج الغالب (٨) غ، ب، ت: سقط " ذلك" (٩) غ، ت: و (١٠) ت: البدن(١١) م، ت: لا أن؛ غ، ب: "لأن" (١٢) ب: سقط "لا غير" (١٣) غ: سقط "والعرق" (١٤) غ: سقط "من" (١٥) ت: سقط "دم" (١٦) غ، م: "أو" (١٧) ب: هذين (١٨) غ، م: يظهر "تبدد" (١٩) غ، م، ت: سقط "الغريزي" (٢٠) م: وتكسيبه (٢١) ب: سوء.

لنفس علاج الحمى. ونحن نصف كيفية الوجه في منع حدوث الغشي ومقاومته إذا حدث، ولنجعل كلامنا أولا من ذلك[1] في الغشي العارض من قبل الأخلاط النيئة[2] فنقول:

[٩٦] أما منع حدوث الغشي في هؤلاء فذلك يكون بالتدبير الذي تقدم وصفه لأصحاب هذه[3] الحميات، فإن غشي عليهم إما لمكان إهمال من ذلك التدبير أو لغير ذلك من العوارض، فينبغي أن يغذوا على المكان، وإن كانت التغذية في النوبة نفسها[4] مضادة لما يراد من استيلاء الطبيعة عليها. وليس هاهنا شيء يقوم مقام الشراب[5]. وإن كانت الشريعة قد حرمته فإنه لصاحب هذه الحال في معنى الميتة للمضطر. فلذلك فلنبادر فنعطيهم خبزا منقعا في شراب. وأفضل الأشربة في ذلك الشراب الجلابي(م) النافذ الحرارة في البدن من غير مرارة ولا قبض. وإنما يكون كذلك الشراب الذي يكون في أول أمره قابضا، فإذا عتق ذهب[6] ولم يبلغ مبلغا يمر[7] طعمه. ولست أعني هاهنا بالشراب الذي جرت عادة أهل[8] بلادنا أن يضعوه على الزفت، فإن ذلك شراب دوائي لا غذائي وهو أنكأ شيء للأعضاء الرئيسة ليبسه[9] وحرافته. وإن أخذوا[10] دواء المسك مع الشراب فلا بأس بذلك. وينبغي أن ينضح[11] بماء الورد[12] على وجوههم في أول الأمر[13] أو بالماء البارد، ويغمز على أنوفهم. وبالجملة[14] يحرك الروح على[15] الانبعاث. فإن كان من به هذه الحمى به ورم في كبده أو في معدته أو ما أشبههما[16] من الأعضاء الرئيسة فلا تطمع في برئه، فإن الأغذية لأمثال[17] هؤلاء تزيد في الورم أكثر مما تجبر من القوة، ودلك الساقين واليدين في وقت الغشي فعل جيد.

[٩٧] وأما من يعرض لهم[18] الغشي لحدة أخلاطهم وانحرافها[19]، وهم الذين تصير وجوههم في أول الأمراض إلى الوجه الذي يصفه أبقراط، وهو أنف دقيق وعينان غائرتان وصدغان لاطئان إلى غير ذلك مما قيل، فهؤلاء علتهم كأنها علة[20] مضادة لتلك الأولى. فلذلك حفظ هؤلاء من الغشي يكون بأن لا يجوعوا أصلا على ما جرت العادة به[21] في انتظار المنتهى، أو في الثلاثة الأيام المشهورة عند[22] الأطباء الذين كانوا في زمان جالينوس. وأفضل الأغذية لهؤلاء حسو الفتات أو كشك(م) الشعير نفسه بحب الرمان – فإن الرمان خاصته أن لا يستحيل به[23] الطعام إلى الفساد الدخاني– وفصوص البيض

---

(١) غ، م: من ذلك أولا؛ ت: سقط "من ذلك" (٢) غ: يظهر النيئية؛ ت: السمية (٣) ب، م: سقط "هي" (٤) م: نفسه (٥) غ: سقط من المتن "وإن كانت...مقام الشراب"، واستدركت العبارة في الهامش لكن معظمها لا يظهر (٦) ب: ثبت في المتن "وذهب" وكتب تحتها "ذهب" (٧) م: غير (٨) ت: سقط "أهل" (٩) غ، م، ت: بيبسه (١٠) غ، م: يظهر "أوجرُوا" (١١) م: ينضج (١٢) غ، ت: بالماورد (١٣) غ، ت: الغشي (١٤) غ، ت: أضيف "فكل ما" (١٥) غ، م، ت: إلى (١٦) غ، ب، ت: أشبهها؛ م: أشبههما (١٧) غ، ت: التغذية لأمثال (ت: في أمثال)؛ ب، م: الأغذية لمثل (م: لأمثال) (١٨) غ، ت: "له هذا"؛ م: "له" عوض "لهم"(١٩) ب: وانحرافهم (٢٠) م: سقط "علة" (٢١) ت: سقط "به" (٢٢) م: عن (٢٣) ت: فيه.

وخصى الديوك والفراريج الصغار. وإن عرض لهم الغشي لإهمال وقع في أغذيتهم[١] فليسقوا أيضا شرابا بخبز. وليكن الشراب من[٢] القليل الاحتمال للماء[٣] الذي يصفه أبقراط، وهو الشراب الأبيض العطر الرائحة، وليكن ممزوجا بالماء البارد. كما أن الذين علتهم من الأخلاط الخامية ينبغي إن مزج لهم أن لا يمزج بالماء البارد، فإن الماء البارد من أضر الأشياء لهم. وينبغي أن تعلم أن شراب التفاح مع دواء المسك وسائر الأشياء[٤] التي يظن بها أنها نافعة من الغشي ليس تقوم مقام الشراب، لأن هذه كلها تحتاج إلى فضل قوة من الطباع وحينئذ تستحيل. وأما الشراب فهو أسرع الأشياء استحالة حتى قالوا إنه ليس له هضم في المعدة بل في الكبد فقط. وهؤلاء لو استطعنا أن نغذوهم بشيء لا يحتاج إلى استحالة لفعلنا لضعف قواهم ولما نريد أن نتلافى من أمرهم بسرعة. والهواء الذي يأوي فيه هذا العليل ينبغي أن يصير باردا قابضا[٥]، ويدهنوا بدهن قابض. وبالجملة ينحى في تدبيرهم إلى كل ما يمنع التحليل[٦] مثل أن تضمد أكبدتهم[٧] ومعدهم بما فيه قبض وعطرية. فإن[٨] كانت الحرارة مع هذا[٩] شديدة فيتخذ[١٠] لهم من[١١] هذه الأشياء ما فيه[١٢] مع هذه الخصال برد، ومن كان من هؤلاء به ورم في أحد الأعضاء[١٣] الرئيسة فلا مطمع[١٤] في برئه أيضا.

[٩٨] وأما من أصابه الغشي من سبب خلط مراري في فم معدته فقد ينبغي إن أمهلت الحال[١٥] أن تقيئه بالماء الحار، بإدخال ريشة في حلقه، فإن لم يطاوعه القيء فلتلين طبيعته[١٦]. وجالينوس يرى أن يسقوا دهنا[١٧] فاترا في هذه الحال، فإنه إن لم يهيج[١٨] القيء لين طباعهم[١٩]. ولكن لما كانت الأدوية التي تهيج القيء من شأنها أن تخل بالقوة أكثر مما أخل بها[٢٠] الخلط المرضي[٢١] فيتزيد[٢٢] الغشي، فلذلك الأولى في هذه الحال أن تقوى المعدة بمثل المصطكى والسنبل مع عصارة السفرجل أو عصارة ورق الكرم. فعند ذلك تقوى القوة الدافعة فتدفع الخلط، فتكون تقيئته[٢٣] بطريق العرض وهو أحمد شيء في مثل[٢٤] هذا الموضع. وأما من يصيبهم[٢٥] الغشي من خلط بارد فليسقوا المعجون المتخذ بالثلاثة الفلافل، ثم يسعى في استخراج ذلك الخلط على ما سنذكر في معالجة سوء المزاج الحادث بعضو عضو.

---

(١) غ، ت: تغذيتهم (٢) غ، م، ت: أضيف "الشراب" (٣) غ: سقط "للماء"؛ ت: أضيف "من" (٤) ت: الأغذية (٥) م: سقط "قابضا" (٦) ب، ت: التحليل؛ غ، م: التحلل (٧) غ، م، ت: أكبدهم (٨) غ، ت: وإن (٩) ت: هذه (١٠) ت: فليتخذ (١١) ب: "مع"، في باقي النسخ "من" (١٢) غ، ت: فيها (١٣) غ، م، ت: أعضائه (١٤) غ، م، ت: طمع (١٥) غ، ت: أضيف "في" (١٦) م: فتليين طبيعته؛ ت: فليلين الطبيعة (١٧) غ، ت: ماء (١٨) ت: "فإن لم يهيج لهم" عوض "فإنه إن لم يهيج" (١٩) ب: طبائعهم (٢٠) غ: يظهر "هذا" (٢١) غ، ت: المرض (٢٢) غ، م، ت: فيزيد (٢٣) غ، ت: فيكون تقيئ (٢٤) غ، م، ت: سقط "مثل" (٢٥) غ، م، ت: يصيبه.

[٩٩] وأما الوجع فإن أمكن أن يرفع برفع[١] السبب الفاعل له فليست المداواة[٢] حينئذ مضادة للمرض لكن موافقة له، وعلاجه حينئذ يكون داخلا في باب معالجة سوء المزاج الحادث في عضو عضو. وذلك أن الوجع إنما يكون عن سوء مزاج بارد أو حار مادي أو غير مادي. وقد يكون عن سوء المزاج اليابس من غير مادة، وهو الوجع الذي يعرض عند التشنج اليابس. وأما إذا أرهق الوجع وضاق الوقت فقد يستعمل في معالجته ما يزيد في السبب، وهو أن يخدر حس العضو الوجع. وهذه معالجة ليست نافعة إلا بالعرض. وذلك أن عندما يقل حس العضو لسوء المزاج الحادث فيه عن الخلط أو يقل[٣] عن حركة القوة الدافعة التي فيه، فليس يتبع ذلك انحلال من الروح. وأما إذا أفرط حس العضو فيتبع ذلك انحلال من[٤] الروح[٥]. ومتى استعمل هذا النوع من العلاج في الأوجاع التي أسبابها باردة كانت أشد[٦] نكاية في العاقبة. وأما متى استعمل فيما سببه حار فليس يعود منه على العضو كل الضرر. ولهذا ما ينبغي أن لا[٧] يستعمل فيما سببه بارد إلا حيث يشرف العليل من الوجع على أمر مهول.

[١٠٠] وأشهر الأدوية التي فعلها هذا الفعل هي الفلونيا[؟] وذلك لمكان الأفيون الذي وقع[٨] فيها. وهذا العلاج بالجملة يستعمل في جميع الأوجاع الحادة إذا أرهقت إليه الحاجة كوجع العين والضرس والأذن والمعى. لكن كما يقول جالينوس لا تستعمله إلا بعد أن تعلم العليل أنه سيناله من استعماله ضرر في الآجل. لكن يمكن أن يتلافى كثير من ذلك الضرر. وحيث يستعمل الأفيون في هذه المواضع ليس يستعمل مفردا بل محجوبا بمثله من[٩] جندبادستر[؟] كما فعل في الفلونيا. وأجود الفلونيا لهذا[١٠] التي ليست بالعتيقة[١١] جدا، لأن هذه قد ضعفت فيها[١٢] قوة الأفيون، والتي أيضا ليست بالحديثة لمكان وفور قوة الأفيون فيها[١٣]. وأما شفاء الترياق للأوجاع[١٤] فهو شفاء على جهة قلع السبب، كما تبرئ[١٥] الأشياء التي ترفع سوء المزاج الفاعل للوجع. ولذلك كان في ذلك أشرف فعلا من الفلونيا. فمتى أردت شفاء الوجع على طريق رفع[١٦] المرض[١٧] الفاعل على حدس[١٨] فاحدس أي خلط هو الفاعل له، فإنه قد يكون عن الخلط الحار كما حكى جالينوس أن إنسانا كان به وجع في معاه، وكان يظن أن سببه بارد[١٩] إذ كان أكثر ما تعرض هذه العلة عن سبب بارد، فكان إذا سقي الأشياء الحارة أو احتقن بها زاد وجعه. فحدس أن فاعل ذلك خلط صفراوي متشرب[٢٠] في طبقات

(١) ت: سقط "برفع" (٢) غ، م، ت: أضيف "له" (٣) ب، م: سقط "يقل" (٤) غ، م، ت: سقط "من" (٥) غ، م، ت: أضيف "ضرورة" (٦) غ، م، ت: أضيف "شيء" (٧) ت: سقط "لا" (٨) غ، م، ت: "الواقع" عوض "الذي وقع" (٩) غ، م، ت: سقط "من" (١٠) م: لهذه (١١) غ، ت: بعتيقة (١٢) ت: فيه (١٣) ت: سقط "فيها" (١٤) م: الأوجاع؛ ت: من الأوجاع (١٥) ب: ترى (١٦) ت: دفع (١٧) م: ثبت في المتن "المرض"، وصحح في الهامش "السبب" (١٨) غ، م، ت: سقط "على حدس" (١٩) م: باردا (٢٠) غ: مشرب.

المعى فأطعمه طعاما غير سريع الاستحالة وسقاه مرات الدواء المتخذ بالصبر فشفاه. وأما متى[١] كان عن خلط بارد فيشفيه أيضا استفراغ ذلك الخلط، كما حكى جالينوس[٢] عن الوجع الذي أصابه. فلما احتقن نزل بخلط خام فبرئ. وقد يكون الوجع عن ريح[٣] بخارية تتحلل عن نفس هذا الخلط، وحينئذ لا ينبغي أن يستعمل في فشها الأدوية الحارة لأنها مع أنها[٤] تفشها تولد من ذلك الخلط بخارا آخر. فشفاء مثل هذه الأوجاع إنما يكون باستعمال الأدوية القليلة الحرارة المنضجة. والترياق في مثل هذه الحال[٥] دواء نافع.

[١٠١] وقد خرجنا عما كنا بسبيله لأن شفاء[٦] الوجع على جهة رفع السبب الفاعل له سنذكره[٧] عند ذكرنا شفاء الأعراض فلنرجع إلى حيث كنا فنقول: وقد يستعمل في الأوجاع على جهة المقاومة الأدوية المسكنة للأوجاع التي ذكرناها[٨] في كتاب الأدوية، كشحم البط وشحم الدجاج والنطول بالماء الحار والزيت ودخول الأبزن وما أشبه ذلك. ويستعمل خاصة في الأوجاع التي تكون عن أبخرة محجمة النار على جهة المقاومة أيضا ريثما يفزع[٩] الطبيب فيرفع السبب. ولذلك كثيرا ما تعود الأوجاع التي تعالج[١٠] بالمحجمة إذا لم يشرع الطبيب في حسم سببها أو يقع في تدبير المريض أدنى خطأ. وإنما كان ذلك كذلك لأن أبخرة هذه الأخلاط هي في تكون دائم إلى أن تفنى مادتها.

[١٠٢] وأما الاستفراغات فالعلاج الشامل[١١] لها أنحاء: أحدها تمييل[١٢] المادة إلى ضد الجهة التي تستفرغ منها، والثاني تقوية العضو المستفرغ، لأن لا تنصب[١٣] إليه المادة. والثالث تضييق مجاريه. والرابع إخدار القوة الدافعة[١٤] إذا أرهق الأمر إلى ذلك وأفرط[١٥] دفعها، كما يعتري ذلك في الهيضة العظيمة. فالقيء يعالج بربط[١٦] الساقين والعضدين واستعمال الأشياء القابضة من داخل ومن خارج. وكذلك الإسهال يعالج بشد العضدين، وبالجلمة الجذب الذي يكون إلى خارج. ولذلك يُدخِلون أصحاب الهيضة إذا أفرطِت الحمامَ، وإن كان الحمام مع هذا يزيد في الاستفراغ. ولذلك ينبغي أن يستعمل بتوَق وبإعطاء الأشياء القابضة. وسيقال في هذه الأشياء عند معالجة سوء المزاج المادي المنصب من عضو إلى عضو. وأما انفجار الدم من المنخر فإنه يعالج إن كان من المنخر الأيمن بوضع[١٧] المحجمة على الكبد، وإن كان من الأيسر فبوضعها على الطحال. كما يعالج النزف الذي يكون من الرحم بوضع[١٨] المحجمة بين[١٩] الثديين. وهذا كله مع

(١) غ، م، ت: ما (٢) غ، ت: "هو" عوض "جالينوس" (٣) غ: "نافخة" في الهامش (٤) ت: سقط "أنها" (٥) ت: الحالة (٦) غ، ت: لاستيفاء (٧) ت: وسنذكره (٨) ت: ذكرنا (٩) غ، م، ت: يفرغ (١٠) ت: سقط "تعالج" (١١) م : فالعلاجات الشاملة (١٢) غ: تميل (١٣) م: ينصب (١٤) ت: سقط "الدافعة" (١٥) غ، ت: إفراط (١٦) ب: ثبت في المتن "بشد" وصحح في الهامش "بربط" (١٧) غ، ت: فتوضع (١٨) غ: توضع (١٩) م: على.

استعمال الأدوية القابضة التي شأنها أن تجمع أفواه العروق. و[1] أما الأرق فيعالج بالأغذية والأدوية التي شأنها أن تنوم. واستعمال الأدهان المنومة مثل دهن النيلوفر والبنفسج والقرع وشم الروائح التي تفعل[2] ذلك، والشراب الممزوج إذا لم تكن[3] هنالك حمى. فهذا هو القول في مقاومة الأعراض التي يرهق[4] أمرها عند معالجة الحميات. فإن القول في شفائها على حسب جهة[5] قلع أسبابها سنقول فيه عند التكلم في شفاء الأعراض[6].

[١١- معالجة سوء المزاج في كل عضو على حدة]

[١٠٣] وينبغي إذ[7] قلنا في معالجة سوء المزاج العام في البدن[8] أن نقول في معالجته إذا حدث في عضو[9] من أعضاء البدن، أي عضو كان، بالقول المطلق دون تورم، ونصير بعد ذلك إلى القول في الأورام فنقول: إن السبيل إلى معالجة سوء المزاج الحادث في عضو عضو من أعضاء البدن هي بعينها السبيل[10] إلى معالجة سوء المزاج الحادث في جملة البدن. وذلك: أما إذا كان سوء مزاج[11] غير مادي فبالضد، وأما[12] إذا كان ماديا فبالاستفراغ والضد معا[13]. والشروط المشترطة في تقدير الاستفراغ وتقدير استعمال الضد من السن والمزاج والعادة والفصل فهي بعينها مشترطة هاهنا. ويختص[14] هذا بمراعاة مزاج العضو وخلقته ووضعه ومشاركته وحسه ومنفعته. وقد فصلنا هذه الأشياء فيما سلف فلتكن هاهنا عتيدة بحذاء أذهاننا لما نريد أن نقوله هاهنا، ولننزل أنه قد حدث بالمعدة سوء مزاج يابس فقط غير مادي، فنقول:

[١٠٤] إن الوجه في علاجه هو بعينه وجه علاج سوء المزاج اليابس الحادث في جميع البدن، وهو المسمى حمى دق. غير أنه يخالفه[15] من حيث هو سوء مزاج في معدة[16]. فلذلك ما ينبغي إذا حدث بالمعدة مثل هذا المزاج أن تبادر بصاحبه إلى الحمام وتدخله[17] في أبزن معتدل، فإذا خرج من الحمام شرب لبن الأتن أو لبن الماعز بشيء يسير من السكر[18]، فإذا انهضم اللبن -ويوقف على ذلك من الجشاء ومن[19] مقدار انتفاخ البطن- فليدخل الأبزن مرة ثانية. ولا أقل[20] أن يكون بين الوقتين أربع ساعات إلى خمس ساعات من ساعات الاستواء. ويمسح بالدهن في إثر خروجه من الحمام كل

---

(١) ب: سقط "و" (٢) ب: توصل (٣) م: يكن (٤) غ: الذي يرهق؛ ت: هكذا "رهق" (٥) ب: عبارة "على حسب جهة" مطموسة (٦) ب: ثبت في المتن "الأعراض" وصحح فوقها "الأمراض"؛ غ، ت: الأعراض (٧) غ: "وإذ قد" عوض "وينبغي إذ" (٨) غ: أضيف "فينبغي" في الهامش (٩) ب: أضيف "عضو"(١٠) م: سقط "إلى معالجة...بعينها السبيل" (١١) ت: المزاج (١٢) غ، م، ت: سقط "أما" (١٣) ت: سقط "معا" (١٤) غ، ت: ويخص (١٥) م: هكذا "وغير أنه بخلافه" (١٦) م: بمعدة؛ ت: في معدته (١٧) غ، م: أضيف "منه" (١٨) م، ت: سكر (١٩) غ: يظهر "أو من" (٢٠) م: أضيف "بين".

مرة بزيت أو بدهن البنفسج، فإن الدهن إنما يطلقه القدماء على الزيت. وذلك أن الدهن يرطبه ويحفظه من إفراط التحلل. فإذا خرج من الحمام المرة الثانية فإن استلذ اللبن[١] فليسقه، وإلا فليشرب ماء الشعير. فإذا انهضم فليغتذ[٢] بلباب خبز مختمر محكم الصنعة من دقيق نظيف، ويكون قد طبخ في التنور فإنه أفضل أنواع طبخ الخبز وأعدلها نضجا لطبخه في الهواء الحار، مع فتايا[٣] إناث الدجاج وخصى الديوك المسمنة باللبن أو اللوز. ولا بأس بالسمك الرضراضي[م][٤] والطيور الجبلية، ما لم تكن يابسة حارة. والمختار[٥] منها هي الطيهوج[م] والدراج[م] والسمان[م][٦] والحجل وذلك أن الغذاء الموافق لهؤلاء هو ما كان في غاية سرعة الهضم وكثرة التغذية، وكأن هذين[٧] استدلالان متضادان لأن الأغذية الكثيرة الغذاء غليظة الجوهر وهؤلاء لا[٨] يقوون على هضم هذه الأغذية.

[١٠٥] وليستعملوا[٩] بعد استمراء الطعام نبيذا أبيض اللون عطرا[١٠]، وإذا عطشوا في أول الأمر فليسقوا منه أيضا ممزوجا، لأن هذا إذا شرب ممزوجا[١١] أوفق لهم من الماء بكثير، لأن الماء يطفو به الطعام في فم المعدة وتحدث عنه قراقر. وأما النبيذ الشرابي فإنه سليم من هذه الخصال. وإنما أعني بالشرابي الذي قوته قوة الشراب أي يتلوه في أفعاله[١٢]. والشراب الذي يصلح هاهنا هو الشراب الأبيض الذي يسميه أبقراط القليل الاحتمال للماء. وينبغي أن يستعمل منه القدر الذي لا يطفو به الطعام على فم المعدة، ولا يلحق عنه مس نفخة ولا ثقل على المعدة، فإن عرض من هذا شيء في أول يوم فليقلل منه في الثاني. وكذلك ينبغي أن يتفقد كمية الطعام بعناية[١٣]، لأن[١٤] لا يثقل المعدة أو يمددها فإذا صلحت أحوال هؤلاء أخذ بهم في أن يردوا إلى عوائدهم قليلا قليلا في المطعم والمشرب[١٥] وغير ذلك.

[١٠٦] وأما إذا اقترن إلى اليبس حرارة فقد[١٦] ينبغي أن يقرن[١٧] إلى هذا التدبير الرطب ما يبرد[١٨] مثل[١٩] سقيهم ماء الشعير وشراب النيلوفر والجلاب. وإن شربوا نبيذا فكثير المزاج بالماء البارد. وبالجملة فيباح لهؤلاء[٢٠] شرب الماء البارد فإنه من أنفع شيء لهم، إلا أنه إن كان اليبس قد استحكم فينبغي[٢١] أن يستعملوه بتوق لأن لا يخل بفم المعدة. وتدهن المعدة من هؤلاء بدهن السفرجل والزيت المعتصر[٢٢] من الزيتون الغض مع دهن اللوز، فإن هذه[٢٣] العلة من حيث هي سوء مزاج يابس حار تقتضي التبريد

---

(١) ت: سقط "اللبن" (٢) غ، ت: فليتغذى (٣) م: تفايا (٤) غ، ت: الرضراض (٥) م: والمختارة (٦) ب: السماني؛ م: السمانى (٧) ت: وكان هذان (٨) ب: سقط "لا" (٩) ت: ويستعملوا (١٠) ت: عطر الرائحة (١١) م: "فهو" (١٢) ت: الشراب (١٣) م: ثبت "كناية"، وشطب على حرف الكاف من دون أن يثبت العين بدله (١٤) ت: سقط "لأن" (١٥) غ، ت: في الطعام (١٦) ب: سقط "فقد" (١٧) غ، م، ت: يقترن (١٨) م: يبرده (١٩) ت: بمثل (٢٠) غ: "لهم" وفي الهامش "هؤلاء" (٢١) م: فقد ينبغي (٢٢) ت: المعصور (٢٣) غ، م، ت: سقط "هذه".

والترطيب، ومن حيث هي سوء مزاج في معدة تقتضي الأشياء التي فيها قبض وحرارة[١]. ولذلك لا بأس هاهنا أن يتخذ في هذه الأدهان شيء من المصطكى. وأما إذا كانت اليبوسة معها برودة فقد ينبغي أن نجعل مع اللبن الذي يشربونه عسلا فائقا، وهو العسل الياقوتي الذي ليس تتبين[٢] فيه رائحة مرعى النحل، ورائحته شبيهة برائحة الحاشا[م][٣]، دون أن يكون النحل قد رعى زهرها[٤]. ويتجنبون ماء الشعير إن كانت البرودة قوية. وتضمد المعدة من هؤلاء بالمصطكى المسحوقة مع دهن الناردين أو سائر ذلك من الأدهان العطرة. وذلك بأن تبل صوفة في الدهن المسحوق فيه المصطكى وتوضع على فم المعدة. والأحزم في هذا أن نخلط مع ذلك دهن لوز، فإن المزاج يقتضي الترطيب، ومن حيث هو في معدة[٥] يقتضي القبض إذ كانت الأشياء القابضة المرة هي المقوية للمعدة. ودهن الضرو[م] في سوء المزاج البارد[٦] نافع لكن بعد خلطه بدهن اللوز أو بدهن[٧] السمسم. ودهن اللوز أفضل. واللطوخ الزفتي[م] من[٨] أنفع شيء متى استعمل بالمقدار القصد، وذلك بأن[٩] يترك على العضو ريثما ينفخه، وذلك نحو من[١٠] نصف ساعة. وينبغي أن تعلم أن اليبوسة أعسر قبولا للترطيب من قبول[١١] الرطوبة لليبوسة. كما أن الأشياء الباردة أعسر قبولا للحرارة من الحرارة للبرودة. ولذلك أعسر هذه الأصناف علاجا هي البرودة مع اليبوسة، فإنه[١٢] مرض الشيخوخة. والأجسام الحية[١٣] يمتنع حفظها من الشيخوخة.

[١٠٧] وأما المزاج الحار فقط فإنه[١٤] ينبغي أن يعالج بالأشياء الباردة فقط، بعد أن لا يستعمل التبريد في هذا العضو(=المعدة) جزافا: فإنه عضو الأغلب على طبيعته[١٥] البرد. وكل موجود فإنه[١٦] يألم أكثر ذلك من جهة الأسطقس الغالب عليه، ولذلك كانت أمراض هذا العضو في الأكثر البرودة. ولهذا كان المجربون إنما وقفوا من أمراض هذا العضو على هذا النوع فقط من سوء المزاج، فكانوا يخطئون على من به سوء مزاج[١٧] حار في معدته، مثل الرجل الذي حكى جالينوس أنه كان به سوء مزاج حار في معدته[١٨] فكان[١٩] الأطباء لا[٢٠] يبيحون له شرب الماء البارد، فلما عصاهم في ذلك حسنت حاله وانتفع به. فلهذا الذي قلناه كله يحتاج أن يحتاط في تدبير[٢١] هذا العضو، وإن كان به سوء مزاج حار. وأيضا لعلة أخرى ليست بدون هذه: وذلك أن هذا

(١) م: يظهر "ومرارة" (٢) ب: ليس يتبين؛ غ، ت: ليست تبين (٣) م: الحاشي (٤) ت: زهرا (٥) م: المعدة؛ ت: معدته (٦) غ: سقط "البارد" (٧) غ، م، ت: دهن (٨) ب، م: سقط "من" (٩) غ، ب، م: أن؛ ت: بأن (١٠) غ، ت: من نحو (١١) ب: قبل (١٢) ت: لأنه (١٣) ب: ثبت في المتن "الحارة" وصحح في الهامش لكن لا يظهر منه سوى الحرفين الأخيرين: "ية" (١٤) غ، م، ت: "فقد يظهر أنه" عوض "فإنه" (١٥) غ، ت: "طبيعة فمه" عوض "طبيعته" (١٦) غ، ت: فإنما؛ م: إنما (١٧) م: المزاج (١٨) م: سقط "مثل الرجل...في معدته" (١٩) م: فكانوا (٢٠) ت: سقط "لا" (٢١) غ، م: ثبت في متن كل من النسختين "تدبير" وصحح في الهامش "تبريد".

العضو له فعل مشترك في البدن وهو رئيس مشارك. والأعضاء التي هذه صفتها يجب أن يحتاط في تدبيرها[١] لأن لا تختل قواها[٢]. ولذلك أمرت الأطباء أن لا يقرب إليها[٣] دهنا وإن كان باردا بالقوة إلا وهو سخن[٤] بالفعل. كما أنه يجب أن يحتاط عند استفراغها بأن يخلط أبدا بالمحلل فيها القابض، وإلا أخل بقواها. فإنه كما يجب أن نراعي ذلك في الاستفراغ[٥] كذلك يجب أن نراعي ذلك في التسخين والتبريد. وقول جالينوس إنه ليس[٦] يستدل من فعل العضو على إبراء سوء المزاج فقط، كما يستدل منه[٧] على إفراغ الفضل، لا معنى له: فإنا[٨] كما نتخوف عند إفراغ الفضل منه أن نخل بقوته[٩] وذلك بأن نكسبه سوء مزاج كذلك نتخوف من إدخال الضد عليه، وبخاصة من تبريده[١٠]. وهي الجهة التي منها يدخل على أعضاء القوة الغاذية أكثر ذلك الفساد[١١]. وهذا[١٢] القانون في معالجات الأعضاء الرئيسة إنما السبب فيه[١٣] مشاركة القلب لها. فكيف يهزأ جالينوس بأركيغانس إذ يرى أن القوة المدبرة[١٤] في القلب وهو يعالج الدماغ عند تعطلها، وهو يقر أن أحد الاستدلال المأخوذ منه علاج[١٥] سوء مزاج الدماغ هو شرفه[١٦]. وشرفه ليس مستفادا[١٧] إلا من القلب. ولذلك يلزم[١٨] ضرورة عند معالجة فعل من أفعال الدماغ مراعاة أمر[١٩] القلب. فهو يهزأ بأركيغانس بتركه[٢٠] معالجة القلب وهو[٢١] يفعلها ولا يشعر أنه يفعلها. وقد خرجنا عما كنا بسبيله فلنرجع فنقول:

[١٠٨] وأما المزاج البارد الرطب فلن يخفى عليك أنه ينبغي أن ييبس ويسخن. والأدوية التي تفعل ذلك مشهورة كمعجون الفلافل وغير ذلك. كما أنه ليس يخفى عليك أن البارد فقط يحتاج أن يسخن والرطب فقط يحتاج[٢٢] أن ييبس، وهذا الذي قلناه من مداواة سوء المزاج غير المادي. وتمثيلنا[٢٣] به في المعدة ينبغي أن تفهمه في سائر الأعضاء، وبخاصة التي شأنها أن تكون سببا لحدوث نوع ذلك المزاج الذي أصابها في جميع البدن مثل الأعضاء التي إذا[٢٤] أصابها سوء مزاج حار يابس كانت سببا لأن تحدث في البدن[٢٥] حمى دق وذلك إذا اتصل ذلك المزاج بالقلب.

[١٢- سوء المزاج الذي يكون مع مادة في عضو]

[١٠٩] وإذ قد قلنا في مداواة سوء المزاج غير المادي فينبغي أن نقول في سوء المزاج الذي يكون مع مادة في عضو ما، فنقول: إن هذا النوع من سوء المزاج قد قلنا إن

(١) غ، م: "تدبيرها" (٢) ب: القوة (٣) ت: إليه (٤) ب: يسخن (٥) م: سقط "بأن يخلط...في الستفراغ"؛ ت: بالاستفراغ (٦) غ: سقط "ليس"؛ م: لا (٧) ب: به (٨) ب: فإنه (٩) غ، ت: بالقوة (١٠) ب: "تدبيره" (١١) غ، ت: فسادا (١٢) م: وهو (١٣) ت: ها (١٤) م: الذاكرة (١٥) ت: سقط "علاج" (١٦) ت: شرف (١٧) ت: مستفاد (١٨) ت: فيلزم (١٩) م: سقط "أمر" (٢٠) غ، ت: بقصده وصحح في هامش غ "بتركه" (٢١) ت: فهو (٢٢) ت: ينبغي (٢٣) غ، ت: تمثلنا (٢٤) ب، ت: سقط "إذا" (٢٥) ب: "به" عوض "في البدن"؛ ت: بالبدن.

الغرض من[١] شفائه غرضان: أحدهما تفريغ الفضل والآخر إصلاح سوء المزاج نفسه[٢] الحادث عن الفضل. لكن هذه الأشياء يستدل على فعلها هاهنا من وضع العضو[٣] ومشاركته ومنفعته وحسه مع الاستدلال من طبيعة المرض والسبب والعرض. ولما كانت الأعضاء التي فيها فضول لا تخلو تلك الفضول أن تكون متكونة فيها أو منصبة إليها من جميع البدن أو من عضو ما من أعضاء البدن، فإن من شأن الأقوى أن يدفع[٤] بفضله إلى الأخس ولا سيما إذا أعانه الوضع والسبيل المتصلة -بمنزلة حال المعدة من[٥] الرأس- وجب أن نتأمل أيضا هذه الأشياء في استفراغ العضو الذي نريد استفراغه: فإنه إن[٦] كان هنالك امتلاء في جميع البدن أو كان هنالك عضو يصب إليه[٧] فضلا فليس يمكن إبراء ذلك العضو الذي نقصد[٨] علاجه دون العناية بهذا الذي يجري من مرضه[٩] مجرى السبب الفاعل، وهو العناية بأمر ذلك العضو أو بأمر[١٠] جميع البدن. والعناية بذلك تكون باستفراغ ذلك العضو وإصلاح مزاجه أو[١١] استفراغ جميع البدن[١٢] مع تقوية العضو المؤوف لأن لا ينصب الفضل إليه بالأدوية القابضة[١٣] وتسيل[١٤] تلك المادة إلى جهة مضادة لجهة العضو المنصب إليه أو تميل[١٥] المادة، إن كانت انصرفت من جهة أخس إلى[١٦] جهة أشرف، إلى الجهة الأولى مثل أن يكون إنسان كثيرا ما كان[١٧] يحدث به زكام فارتفع وانصرف الفضل إلى معدته.

[١١٠] والوجه في استفراغ الأعضاء يوقف عليه[١٨] من خلقتها: مثل أن[١٩] المعدة تستفرغ بالقيء والإسهال، والكبد بهما جميعا[٢٠] وبإدرار البول زائدا، والمعى بالإسهال والحقن. وربما كان الخلط مبثوثا في جرم العضو، وحينئذ يحتاج من الأدوية إلى ما هو أقوى جذبا لذلك الخلط. وربما تركبت هذه الأمراض، وحينئذ ينبغي أن نصرف العناية منها إلى أشدها إرهاقا إن كان هنالك شيء يرهق. وإن كان لا يمكن برؤه على التمام قبل أن يبرأ المرض الآخر مثل أن يكون إنسان به[٢١] في جرم معدته خلط حاد وفي تجويفها خلط آخر فإن الترتيب يقتضي أن لا يخرج المبثوث في جرم المعدة حتى يخرج الذي في تجويفها، إلا أنه إن كان ذلك الخلط المبثوث في جرمها في حد يصيب منه الغشي فقد ينبغي أن نصرف العناية إليه، وأما إذا لم يكن هنالك أمر يرهق فقد ينبغي أن يكون العلاج على ترتيب: فنعنى أولا بالمرض الذي[٢٢] يجري مجرى

---

(١) ب، م: في (٢) غ: سقط "نفسه" (٣) أضيف "وخلقته" في ب و م دون بقية النسخ (٤) م: من شان القوى أن تدفع (٥) غ، ت: مع (٦) ب، م: "فان" عوض "فانه ان" (٧) غ، م، ت: عليه (٨) ب: تقصد (٩) غ: موضعه؛ ب: ثبت في المتن "وضعه" و صحح في الهامش "مرضه" (١٠) غ، ت : او بامر؛ ب، م: وبامر (١١) غ: او؛ ب، ت: و؛ م: سقط (انظر الهامش التالي) (١٢) م: سقط "والعناية بذلك...جميع البدن" (١٣) ت: الفاعلة (١٤) غ، ت: وتميل؛ م: وتسيل (١٥) غ، م، ت: تميل (١٦) ت: الظاهر "والى" (١٧) ت: سقط "كان" (١٨) ب: عليها (١٩) م: سقط "ان" (٢٠) م، ت: معا (٢١) ب، م: سقط "به" (٢٢) أضيف "يكون" في ب.

السبب ثم يقلع السبب[١]. وكذلك أيضا بالمرض الذي لا يمكن أن يبرأ دون أن يبرأ[٢] المرض الآخر وإن لم يكن له سبب، مثال ذلك أن المعدة بها خلط متشرب[٣] في جرمها وآخر في تجويفها وهو منصب إليها من الدماغ؛ أقول إن العناية هاهنا أولا تكون بالدماغ، ثم بالخلط المنصب فيها، ثم بالمتشرب[٤] في جرمها.

[١١١] وهاهنا أدوية خاصة باستفراغ عضو عضو وتقويته ليمتنع عن[٥] قبول الفضل قد سلفت لك معرفتها في كتاب الأدوية، فينبغي أن تتوخاها فيما يخصها من الأعضاء. مثال ذلك أنه متى كان في جرم المعدة خلط مبثوث حار[٦] فإن أيارج الصبر أحمد الأدوية في إخراجه، وذلك أنه لا يتعدى جذب[٧] الصبر أكثر مما في المعدة. وسائر الأدوية التي من شأنها أن تخرج هذا الخلط، مع أنها تخرجه من المعدة، قد تصبه[٨] أيضا[٩] إلى المعدة لقوة إسهالها. وأما إذا كان هذا الخلط مصبوبا في جوفها فقد يفي باستخراجه شرب[١٠] الأفسنتين[م] بالعسل والإهليلج[م] الأصفر. وأما إذا كان هذا الخلط بلغميا وكان[١١] رقيقا فقد يفي[١٢] باستخراجه[١٣] القيء بماء الشعير والعسل. وأما إذا كان غليظا فإنه يحتاج أن يقطع بالسكنجبين[م] البزوري، ثم يخرج بالأدوية التي شأنها أن تستفرغه مثل الغاريقون[م] والصموغ المسهلة وشحم الحنظل إن اضطرت إلى ذلك الضرورة[١٤]. وكذلك الأمر في الخلط السوداوي ينبغي[١٥] أيضا أن يستفرغ بالأدوية الملائمة له بعد التقطيع. وبالجملة فينبغي أن نتحرى[١٦] هاهنا الأفعال الثوالث من أفعال الأدوية، فإنها التي تختص بعضو عضو. ولذلك ما نرى أن تعديد هذه الأمراض بحسب عضو عضو، ووصف الأدوية النافعة لها طريق متمم[١٧] لهذه الطريقة الكلية وهي الطريقة الكناشية. لكن سنجمع نحن الطريقتين عند معالجتنا الأعراض الداخلة على عضو عضو، فإن شفاء تلك الأعراض إنما يكون بقلع الأمراض الفاعلة لها.

[١١٢] وأما من يقتصر على الطريقة الكناشية دون معرفة الطريقة[١٨] الكلية فيخطئ[١٩] قطعا كما يفعل ذلك[٢٠] أطباء وقتنا. وأما الاقتصار على الأمور الكلية فقد يمكن ذلك، إذا كان الفاعل لذلك في غاية الحذق، ولذلك كان أحد الشروط المعدودة في الكمال في الصنائع أن يكون لصاحب الصناعة قوة على أن يستنبط منها ما يحتاج إلى استنباطه.

---

(١) ب: المُسَبِّبُ (٢) ب: "برؤه دون برء" عوض "أن يبرأ دون أن يبرأ" (٣) غ، ت: مشرب؛ ب: مبثوث؛ م: متشرب (٤) ب: المتشرب (٥) غ، م، ت: من (٦) غ، ت: حاد؛ ب، م: حار (٧) ت: هكذا "يتعد الخراج"، ووردت لفظة "يتعد" من دون نقط الحروف (٨) غ: تصبها؛ ت: "تصيره"، ووردت من دون نقط الحروف (٩) م: سقط "ايضا" (١٠) أضيف "شرب" في ب دون بقية النسخ (١١) ب: سقط "كان" (١٢) م سقط "باستخراجه الافسنتين...وكان رقيقا فقد يفي"؛ ت: أضيف "أيضا" (١٣) ب: ثبتت العبارة "شرب الافسنتين... يفي باستخراجه" في الهامش (١٤) غ، ت: ضرورة (١٥) ب: وينبغي (١٦) ب: يتحر (١٧) ب: تتميم (١٨) غ: ثبتت "الطريقة" في المتن، وصححت في الهامش: "الامور" (١٩) م: فمخطئ (٢٠) غ، ت: كما يفعله.

[١٣- في علاج الأورام]

[١١٣] فهذا هو القول في علاج سوء المزاج المادي في عضو عضو إذا كان من غير تورم، وقد بقي من هذا الجزء من المرض أن نقول كيف معالجته إذا كان مع ورم، فنقول: إن الغرض من شفاء الأورام[١]، بماهي أورام فقط، أولا غرضان: أحدهما استفراغ المادة الفاعلة للورم، والثاني إبطال سوء المزاج الحادث. وربما كان أحد الغرضين أهم من الآخر في بعض الأورام، وربما كان الاهتمام بهما على السواء. مثال ما الاستفراغ فيه أهم: الورم الدموي. ومثال ما إبطال سوء المزاج فيه أهم: الورم المسمى حمرة[م] رقيقة، فإن التبريد في هذا الورم أهم من الاستفراغ. ومثال ما الاهتمام بهما سواء: الأورام المركبة من هذين الورمين. وهذان الغرضان من شفاء الأورام إنما يكونان مقصودين فقط إذا كان الورم قد تم تكونه[٢]، وأما إذا كان دائما يتكون[٣] فقد ينضاف إلى هذين الغرضين غرض ثالث وهو قطع السبب الفاعل له، وذلك ليس شيئا[٤] أكثر من قطع جريان المادة المنصبة إلى العضو والسبب في انصبابها؛ وذلك يكون ضرورة إما من امتلاء في[٥] الجسم كله أو في عضو واحد أو أكثر[٦] من واحد يدفع[٧] ذلك الخلط[٨] لذلك العضو الوارم: فإن الأقوى يدفع إلى الأضعف فضله، ولا سيما إذا أعانه على ذلك الوضع[٩] والسبل المتصلة. وقد يكون سبب ذلك سوء مزاج حار في العضو نفسه أو من الوجع المفرط، فإن كل واحد من هذين يكون سببا لأن تنصب المادة إلى ذلك[١٠] العضو.

[١١٤] وأما المزاج الحار فالأمر فيه بين. وذلك أن الحرارة من شأنها أن تجذب المادة. وأما الوجع: فإما أن يكون يفعل ذلك بسوء المزاج الذي حدث عنه الوجع، وإما أن يكون يفعل ذلك بسوء مزاج حادث عن إفراط حركة القوة الدافعة لدفع[١١] الفضل، أو بكلا[١٢] هذين[١٣] الأمرين. وأما سوء المزاج الحار الذي يكون سببا لأن تنصب المادة إلى العضو، فإنه[١٤] قد[١٥] يكون عن الأشياء التي من خارج: بمنزلة سم حيوان أو ضربة أو غير ذلك. وقد يكون عن الأشياء التي من داخل: بمنزلة ريح ممددة أو خلط حار يلذع[١٦] أو امتلاء يثقل العضو[١٧]. والوجع يكون عن هذه الأسباب بعينها. وهذه الأغراض الثلاثة من معالجة الأورام قد تتضاد الاستدلالات منها، وقد لا تتضاد. ووجه العمل في تضادها قد قلناه في غير ما موضع. فينبغي أن نقول في الأشياء التي بها تلتئم هذه الأغراض الثلاثة من شفاء الأورام. ولنبدأ من ذلك بقطع السبب الفاعل، فنقول:

---

(١) غ: الورم (٢) ت: تكوينه (٣) غ: يكون (٤) غ، ت: وذلك ان ليس شيئا (٥) ب: سقط "في" (٦) ت: واكثر (٧) ب: "لدفع" (٨) غ، م، ت: سقط "ذلك الخلط" (٩) ب: أضيف "الجسم" (١٠) أضيف "ذلك" في ب (١١) م: الظاهر "تدفع" (١٢) غ، م، ت: لكلا (١٣) م: سقط "هذين" (١٤) ت: لأنه (١٥) ب: سقط "قد" (١٦) ت: يلدغ (١٧) م: "القوة" عوض "العضو".

[١١٥] أما إن كان سبب[١] انصباب المواد[٢] إنما هو[٣] امتلاء في الجسم فقد يجب هاهنا الاستفراغ العام، وذلك إما بالفصد إن كانت كثرة من الدم، وإما بالإسهال والقيء إن كانت هنالك رداءة في الدم، وإما بكليهما إن اجتمع الأمران: أعني الفصد والإسهال؛ وذلك أيضا بعد[٤] أن ننظر في سائر الشروط المشترطة في أمر الاستفراغات. ويجب أن يكون هذا الاستفراغ يجمع[٥] الضربين من الاستفراغ[٦] اللذين تقدم ذكرهما، وهو الاستفراغ الذي يكون بجذب المادة إلى خلاف الجهة ويكون مع هذا على محاذاة و[٧] استقامة أعني في أقرب السبل المتصلة بالورم على مثال[٨] ما تفعله الطبيعة، فإن أورام الكبد كثيرا ما تكون بحارينها[م] بالرعاف. وهذا المعنى بعينه ينبغي أن نقصده في استفراغ الأخلاط: فإن كانت العلة[٩] في الأعضاء الفوقية أسهلنا أو[١٠] حقنا، وإن كانت في السفلية قيأنا. وأما إن[١١] كان الفاعل لذلك[١٢] الانصباب عضوا[١٣] ما من أعضاء البدن فقد ينبغي[١٤] أن نستفرغ[١٥] ذلك العضو نفسه إن أمكن، مثل أن نضع[١٦] محجمة عليه بعد الشرط. مثال ذلك اندفاع الفضل إلى العينين إذا كان سببه الدماغ فقط، فإن المحجمة التي توضع على القفا تشفي من ذلك لأنها تجمع مع استفراغ العضو الوارم جذب المادة إلى خلاف. إلا أن هذا الاستفراغ الذي نقصد[١٧] به العضو نفسه من أضر الأشياء إذا استعمل وفي البدن امتلاء. فإن خفنا الغلط في ذلك أو لم يمكن، استفرغنا[١٨] الاستفراغ العام بعد أن نقدر أيضا أن دلالة البدن في الاستفراغ مضادة لدلالة ذلك العضو. وكثيرا ما يكون ذلك العضو له سبل خاصة لدفع فضوله، فينبغي أيضا أن نستفرغه[١٩] منه. مثال ذلك الدماغ: فإنه يمكن أن يستفرغ[٢٠] بالتعطيس والغرغرة. وإذا اجتمع الأمران كلاهما فينبغي أن نقصد النحوين[٢١] من الاستفراغ: أعني أن يكون الفاعل لانصباب الخلط عضوا من أعضاء البدن[٢٢] ويكون البدن مع ذلك ممتلئا. وقد ينضاف إلى هذا الغرض في قطع المادة المنصبة غرض آخر، وهو تقوية العضو الوارم بالأشياء الباردة القابضة، إلا أن هذا الغرض إنما ينبغي أن يكون بعد الاستفراغ وإلا لم نأمن أن تنصرف المادة من عضو أخس إلى عضو أشرف.

[١١٦] فهذا أحد ما تعالج به الأورام في زمن التكون وأما إن كان السبب في الانصباب حرارة العضو الوارم، فقد ينبغي أن نقصد لإبطال[٢٣] سوء ذلك[٢٤] المزاج.

---

(١) ت: سقط "سبب" (٢) غ، ت: المادة (٣) ت: أضيف "من" في الهامش (٤) غ: سقط "بعد" (٥) م: بجميع (٦) ب، م: الاستفراغي (٧) غ: او (٨) غ، ت: مثل (٩) غ: سقط من المتن عبارة "فان كانت العلة"، ولعلها استدركت في الهامش ولا تظهر بوضوح (١٠) م: و(١١) غ، ت: وان (١٢) غ: بذلك (١٣) غ، ب: عضو (١٤) غ، ت: "من الاعضاء فينبغي" عوض "من أعضاء البدن فقد ينبغي" (١٥) م: يستفرغ (١٦) م: مثال ان تضع (١٧) م: يفصد؛ غ، ت: يقصد (١٨) غ: او لم يمكن استفرغنا؛ م، ت: او لم يكن استفرغنا؛ ب: ولم يكن استفراغنا (١٩) م: نستفرغها (٢٠) ب: أضيف "منه" (٢١) غ، م: يقصد النحوان؛ ت: يقصد النحو (٢٢) غ، ت: عضو من الاعضاء؛ م: في عضو من اعضاء البدن (٢٣) ب: ابطال (٢٤) ت: سقط "ذلك".

وذلك[١]: أما إن كان سببه قد ارتفع فالعناية إنما تكون بسوء المزاج فيه، وأما إن لم يكن سببه قد ارتفع مثل أن يكون سببه نهشة حيوان سمي[٢] فقد ينبغي أن نقصد أولا لاستفراغ ذلك السم بالأدوية الجذابة والمحيلة له[٣]، وقد يستفرغ بالمحجمة. وكذلك إن كان سببه خلطا[٤] من الأخلاط قصد لاستفراغه. وكثيرا ما يكون الاستدلال المأخوذ من هذه الأشياء مضادا[٥] للغرض الثاني من شفاء الأورام، وهو استفراغ الورم نفسه؛ وقد لا يكون مضادا[٦] : مثال ذلك إذا كان مضادا إبطال سوء المزاج الحار، فإنه يكون بالأدوية الباردة، والاستفراغ إنما يكون بالأدوية المحللة. ومثال ما يكون الاستدلال فيه غير مضاد[٧]، إذا كان السبب فيه بخارا أو خلطا[٨] ينبغي أن يستفرغ من العضو نفسه، فإن هذين الفعلين إنما يكونان بالأدوية المحللة.

[١١٧] وأما شفاء الوجع فإنه يكون، كما قلنا، إما بقطع أسبابه[٩] وإما بأن نورد على العضو مزاجا مضادا للمزاج[١٠] المؤلم، وذلك يكون بالأدوية المخصوصة بتسكين الأوجاع[١١] كشحم البط والدجاج ودهن محاح البيض وغير ذلك من الأدوية. وقد يكون ذلك بإخدار الحس كما قيل. ولن يخفى عليك ما من هذه الاستدلالات يضاد بعضها بعضا، وما منها ليس تتضاد. فهذا هو القول في أحد الأغراض الثلاثة التي عددنا[١٢] من أغراض شفاء الأورام؛ وهو أول أغراضها[١٣]، أولية زمانية، إذ كان هذا النحو من المعالجة إنما ينبغي أن يكون في زمن تزيد الأورام، فلذلك جل معالجة الأورام إنما يكون في ابتدائها بالاستفراغ والجذب إلى خلاف، ووضع الأدوية الباردة القابضة على الورم نفسه[١٤]. وأكثر ما يرهق قطع السبب الفاعل في الأورام السريعة الحركة في الكون، وهي الأورام الحارة الحادثة عن الدم أو عن المرة الصفراء أو عن كليهما أو عن ما[١٥] شابه أحد هذين الخلطين أو كليهما. وأنت فقد عرفت من كتاب الأمراض أصناف الأورام فلن يخفى ذلك[١٦] عليك.

[١١٨] وأما الغرض الآخر من شفاء الأورام، وهو استفراغ نفس الورم، فذلك[١٧] يكون بعد تكون الورم[١٨]، وهو زمان الانتهاء. والاستفراغ من نفس الأورام[١٩] يكون بالأدوية المنضجة والمحللة. وقد يكون بانفجار الورم[٢٠] نفسه بالأدوية[٢١] المنضجة، وذلك إذا لم تف الأدوية المحللة باستفراغه. وقد يفتح عليه بالدواء الأكال أو بالحديد[٢٢] إذا كان الجلد الذي عليه خشنا. وبين أنه متى استعمل الاستفراغ بالأدوية المحللة

(١) م: سقط "وذلك" (٢) ت: "ذي سم" (٣) م: او المحيلة (وسقط "له") (٤) غ، ت: خلط (٥) غ: مضادة (٦) غ: مضاد (٧) أضيف "وذلك" في ب (٨) غ: بخارا وخلطا؛ ت: بخار وخلط (٩) ب: السبب (١٠) ب: "لذلك المزاج" عوض "للمزاج" (١١) م: "الوجع"، وقد ثبت في الهامش (١٢) ب: عددناها (١٣) ب: اغراضنا (١٤) م: سقط "نفسه" (١٥) ت: عن كلهما او ما (١٦) ت: سقط "ذلك" (١٧) غ: فلذلك (١٨) ب، م: المرض (١٩) غ: سقط "والاستفراغ من نفس الاورام" (٢٠) ت: الدم (٢١) م: سقط "المنضجة والمحللة" (٢٢) غ، م، ت: الحديد.

والمادة في الانصباب أنك تصب إلى العضو الوارم أكثر مما تستفرغ منه، فلذلك ما(=زائدة) ينبغي أن تكون أدوية الورم بعد الاستفراغ أدوية تردع وتقبض مع يسير تحليل[١] لمكان تهييج القبض[٢] الوجع[٣]، فإذا تناهى فأدوية[٤] محللة فقط. وما بين هذين الطرفين من الزمان فأدوية[٥] ممزوجة من هذين الصنفين. وأنت فقد عرفت هذه الأدوية من كتاب الأدوية فلا معنى لإعادتها[٦] هاهنا. وأما تدبير[٧] سوء المزاج في الورم الحار[٨] فإنما يكون أولا بالتبريد إذا[٩] كان في التبريد ردع، وأيضا فإن بسكون[١٠] الحرارة يقل الانصباب إلى العضو. وأما الأورام الباردة فالتسخين إنما ينبغي أن يستعمل فيها بعد[١١] تمام تكونها[١٢]، فإن التسخين لا يضاد التحليل.

[١٤- علاج الأورام الظاهرة والباطنة]

[١١٩] فهذه هي أغراض معالجة جميع الأورام بما هي أورام، و[١٣] بقي هاهنا أغراض تنضاف إلى هذه الأغراض، هي مأخوذة من نفس العضو الوارم ومن نوع الورم. ونحن نبتدئ من هذه الأورام[١٤] بالصنف من الأورام الحارة التي تحدث كثيرا بالأعضاء الباطنة والظاهرة: وأعني بالأورام الحارة الأورام التي شأنها أن تتقيح ويتبع حدوثها في الأعضاء الرئيسة حميات[١٥]، ولابد، سواء كانت دموية أو بلغمية أو صفراوية أو سوداوية. وأما الأورام البلغمية التي ليست تتقيح[١٦] كالسلع[م]، وكذلك السوداوية كالدبيلات وغير ذلك، فإنها قليلا ما تحدث بالأعضاء الباطنة. وإذا حدثت فهي ممتنعة العلاج[١٧]، وكذلك الورم المعروف بالسرطان، وذلك أن هذه يحتاج في تحليلها إلى أدوية خشنة لا تحتملها الأعضاء الرئيسة، حتى أن أكثرها إنما شفاؤها القطع[١٨] بالحديد. وأيضا فلكونها إنما تنحل[١٩] في زمان طويل تخور قوة العليل قبل ذلك. ولهذا فلنعمل في علاج هذه في الأكثر على أنها في ظاهر البدن فنقول:

[١٢٠] أما الأورام بما هي أورام فتلتئم[٢٠] معالجتها من الثلاثة الأغراض التي قلنا[٢١]، وهي تختلف من جهة أنواعها في هذه الثلاثة بالأقل والأكثر. فالأورام الصفراوية تحتاج في أول الأمر إلى ما يبرد تبريدا كثيرا مثل الكاكنج[م] والطحلب وماء عنب[٢٢] الثعلب والقيروطي[م] المتخذ بالماء. وأما الدموية فتحتاج مع التبريد إلى قوة

---

(١) غ، ت: تحلل (٢) م: سقط "القبض" (٣) ب، ت: للوجع (٤) ب: شكلت اللفظة هكذا: "فَأَدْوِيَةٍ"؛ م: الظاهر "بادوية" (٥) م: يظهر "بادوية" (٦) ب: لاعادته (٧) ب تبريد؛ في م ثبت "تدبير" في المتن مع إشارة إلى تصحيح لا يظهر نصه في الهامش (٨) ب: سقط "في الورم الحار" (٩) غ: "بالتبريد اذ"، ثبت "بالتبريد" في هامش السطر ويبدو أن حرف الألف من "اذا" قد كشط؛ ب، م: "اذا" عوض "بالتبريد اذ"؛ ت: بالتبريد اذا (١٠) ت: سكون (١١) غ: أضيف "ايضا" (١٢) ب: كونها (١٣) م: أضيف "قد" (١٤) ب: سقط "من هذه الاورام" (١٥) م: حمى (١٦) غ: تقيح (١٧) ب: البرء (١٨) غ، ت: القلع (١٩) ب: تتحلل (٢٠) غ: فيلتئم؛ م: يلتئم (٢١) ب: نقولها (٢٢) م: سقط "عنب".

قابضة، مثل أن يخلط بهذه[١] الباردة ما فيه قبض وردع كقشور الرمان والسماق[م] وغير ذلك من الأشياء القابضة ما لم يكن هناك وجع، فإن كان وجع استعمل المسكن مع هذا. وأما الأورام البلغمية والسوداوية فتحتاج إلى تبريد يسير وردع يسير لضعف حركتها في التكون. ولن يخفى عليك أن الاستفراغ العام في هذه الأورام ينبغي أن يكون مناسبا للخلط الفاعل لها.

[١٢١] فهذه هي[٢] الأغراض المضافة إلى تلك الأغراض الأولى من حيث هو ورم كذا. وأما الأغراض المضافة إلى هذه الأغراض من حيث هي في عضو كذا، فنحن نقول في ذلك إذ[٣] كان هذا هو أهم شيء في معالجة الأورام التي في الأعضاء الرئيسة، فنقول: أما الاستفراغ الذي يكون بشق العرق[٤] في ورم أحد الأعضاء الباطنة فإنه يستدل على موضع الاستفراغ من مشاركة العضو الوارم ومن وضعه. وذلك أنه ينبغي أن يكون الاستفراغ -إذا لم يكن في العضو نفسه- أن يكون في عضو أقرب مشاركة للعضو الوارم. وذلك أن تكون بينهما سبل مستقيمة أو قريب[٥] من مستقيمة. ولهذا فصدوا في أورام الكبد والطحال والكلى، وبالجملة الأعضاء السفلانية، العرق الباسليق[م] وهو عرق البدن. وفصدوا في أورام الرأس والرقبة[٦] والحنجرة وعضل الحلق القيفال[م] وهو عرق الرأس. وإذا أرادوا أن يستفرغوا[٧] هذه الأعضاء كلها على السواء فصدوا[٨] الأكحل[م] لأنه مشترك لهما. لكن أين ينبغي أن يفصد[٩] في ورم الكبد: هل الباسليق من اليد اليمنى أو الباسليق من اليد اليسرى فيه[١٠] نظر!

[١٢٢] أما جالينوس فإنه يصرح في كتابه في[١١] حيلة البرء أن الباسليق من اليد اليمنى هو الذي ينبغي أن يفصد في ورم الكبد، والباسليق من اليد اليسرى في ورم الطحال. وأقاويله الكلية تقتضي خلاف ذلك[١٢]. وذلك أنه قد تبين أنه ينبغي أن يقصد في الاستفراغ - الذي يكون والورم بعد في التكون- غرضان: أحدهما استفراغ المادة من الأعضاء المشاركة، أعني التي بينها وبين العضو الوارم سبل نافذة مستقيمة، وأن يكون مع هذا الجذب مضادا، على مثال ما تفعله الطبيعة التي تستفرغ في ورم الكبد بالرعاف من الأنف الأيمن: فإن هذا الاستفراغ قد جمع المضادة في الوضع[١٣] والمشاركة. وإذا كان هذا كله كما وصفنا فليس في استفراغ الباسليق من اليد اليمنى في ورم الكبد إلا غرض واحد، وهو غرض المشاركة؛ لأنهما[١٤] في طرف واحد من طرفي عرض الجسم، إذ كانت الجهات المتضادة[١٥] في الجسم إنما هي إما طرفا العرض وهما اليمين واليسار، وإما طرفا

(١) غ، م، ت: تخلط بهذه (٢) ت: أضيف "جميع" (٣) ت: اذا (٤) ب: العروق (٥) غ، ت: قريبة (٦) غ، م، ت: "والرئة" عوض "والرقبة" (٧) غ: يستفرغ (٨) ت: فصد (٩) ب: يفصدوا (١٠) غ، ت: ففيه (١١) ت: "كتاب" عوض "كتابه في" (١٢) غ، ت: هذا (١٣) ت: الانف (١٤) ت: سقط "لانهما" (١٥) غ، ت: المضادة.

الطول وهما الفوق والأسفل، وإما طرفا العمق وهما الأمام والخلف؛ فإن هذه الأطراف هي جميع الأطراف التي يتأتى فيها جذب[١] المخالفة.

[١٢٣] وإذا كان هذا على ما وصفنا وكانت الكبد في أحد طرفي العرض من الجهة اليمنى، فينبغي أن يكون الفصد إذا أريد به الجذب إلى خلاف الجهة في الطرف الآخر وذلك في الباسليق من اليد اليسرى[٢]. فإن هذا الموضع يجمع المشاركة على سبل[٣] مستقيمة أو قريب[٤] من المستقيمة والجذب إلى ضد الجهة. وكذلك ينبغي في ورم الطحال وورم الصدر، أعني متى كان الورم في الجانب الأيمن، فصدنا الباسليق من اليد[٥] اليسرى وبالعكس[٦]، لكن الاستفراغ من[٧] الموضع الذي يجمع المشاركة والجذب إلى خلاف الجهة يشبه أن يكون إنما ينتفع به بعد أن يستفرغ من كمية[٨] المادة أكثر مما يستفرغ من كميتها، إذا قصد الغرض الواحد وهو المشاركة. فلذلك متى[٩] كان البدن والعضو الوارم نفسه يقتضي الاستفراغ فينبغي أن يقصد في الاستفراغ الغرضان[١٠]، ومتى كان إنما يقتضي الاستفراغ العضو الوارم فقط أن يقصد فيه[١١] غرض واحد[١٢]، وهو غرض المشاركة. ولذلك كثيرا ما نقصد في أمثال[١٣] هذه المواضع إلى الجذب الناقل فقط من غير استفراغ[١٤]. وإذا[١٥] كان مرض العضو يقتضي الاستفراغ والبدن لا يقتضيه فربما[١٦] كان الغرض الأول[١٧] من الاستفراغ هو الذي ليس يحتاج غيره، وذلك عند كمال الورم عندما يفصدون[١٨] عرق اللسان في الذبحة إذا استحكمت. ولو أمكنهم أن يفصدوا العضو الوارم نفسه لفعلوا لأنه[١٩] ليس في ذلك الوقت مادة إلا ما[٢٠] لحجت في العضو. وأما في زمن التزيد فقد ينبغي أن يجمع الغرضان جميعا. لأنه[٢١] متى اقتصر على الاستفراغ من غير جذب إلى خلاف، كان ما ينصب[٢٢] إلى الورم أكثر مما يستفرغ منه: بمنزلة من يستعمل الأدوية المحللة قبل الاستفراغ أو الأدوية المفتحة للسدد، فإن بحركته إليه[٢٣] أعني الدم وخروجه عن ذلك العضو ينصب إليه[٢٤] أضعاف ما خرج[٢٥] منه إن لم يكن الانصباب قد انقطع. ومما قصدوا فيه[٢٦] الغرضين معا[٢٧] فصدهم في علل الرحم في[٢٨] مأبض الركبة[م] أو في الصافن[م]، وإن كانت المضادة هاهنا ليست في أقصى طرفي الطول. وكذلك وضعهم المحاجم في علل العين على نقرة القفا وفصدهم الجبهة

(١) م: الجذ (٢) م: من الجهة اليسرى؛ غ، ت: سقط "من اليد اليسرى" (٣) غ: سبيل (٤) يعرو نسخة تركيا هنا وفي جميع الورقات الآتية طمس كثير في الجزء الأعلى منها (٥) غ، م، ت: سقط "اليد" (٦) غ: إن السطور الموالية ابتداء من "لكن الاستفراغ من الموضع" إلى "الاستفراغ والبدن لا يقتضيه" ثبتت في الهامش ويعروها طمس (٧) ت: عن (٨) م: كميته (٩) ب: "ينبغي ان" عوض "متى" (١٠) م: غرضان (١١) م: سقط "فيه"؛ ت: أضيف "الا" (١٢) ت: أضيف "فقط" في الهامش (١٣) ب: سقط "امثال" (١٤) م: أضيف "البدن" في الهامش (١٥) م، ت: اذا (١٦) غ، م، ت: وربما (١٧) ب: سقط "الاول"(١٨) غ، م، ت: مثل ما يفصد (م: يفصدون) (١٩) ب: الا انه (٢٠) ب: الا اما (٢١) غ: فانه (٢٢) غ: كان يصب (وبين اللفظتين فراغ يسع للفظة من حرفين)؛ ت: كان ما يصب (٢٣) غ: اليها (٢٤) غ، ت: اليها (٢٥) غ، ت: ما (ت: مما) يخرج (٢٦) ت: به (٢٧) ب: جميعا (٢٨) م: سقط "في".

في علل القفا. وأما فصدهم الأسيلم[؟] في علل الطحال من اليد اليسرى، فإنه إنما قصد به[1] المشاركة فقط. وللقصد لجذب[2] المخالفة يشدون أطراف اليدين والرجلين في أورام الصدر والمعدة وأورام الرقبة والرأس. ولهذا المعنى بعينه كرهوا جملة واحدة استفراغ أورام الرحم باستدعاء الطمث. وكذلك كرهوا استفراغ أورام الكبد بالأدوية المدرة للبول والمسهلة، لأنه جذب غير مضاد. وأيضا فإن الأدوية تهيج الأورام بمرورها عليها؛ وقد قلنا إن هذا أحد الأسباب في تزيد الأورام. وكذلك الحال في استفراغ أورام المعدة بالدواء المسهل، وكرهوا الغرغرة في أورام الحلق واللسان والفم وأعلى الحنك، وكرهوا إدرار البول جملة واحدة في أورام الكلى والمثانة. هذا كله إنما كرهوه[3] ما دام الورم في التزيد، وأما إذا انقطع سبب التكون فلا بأس بذلك لأنه من باب استفراغ العضو الوارم نفسه. وإن كان الحدث[4] من أصحاب الكنانيش يستعملون هذه الأشياء من غير تفصيل[5].

[١٢٤] ومما فيه موضع فحص أورام الأذن اليمنى والأذن اليسرى من أي جهة ينبغي أن يتعمد[6] فيها الفصد، فإنه من البين أن العرق[7] الذي ينبغي أن يفصد لها هو القيفال. وذلك أنه قد[8] يظهر في هذا الموضع أنه ليس ينبغي أن يفصد في ورم الأذن اليمنى القيفال من اليد اليسرى، لأن[9] القيفال هاهنا من اليد اليمنى[10] قد جمع، مع المشاركة، الجذب[11] إلى خلاف، وهو الذي بين طرفي الطول، أو[12] الوسط –إن حققت– وطرف الطول. لكن لما كان غير مأمون، ولا سيما في الأبدان الممتلئة، أن ينجذب[13] الدم إلى الأذن اليمنى من طرف العرض المقابل عندما نستفرغها نحن من أسفل في[14] القيفال، كان الحزم أن يكون الفصد في القيفال من الجهة اليسرى: فإن هذا الموضع يجمع[15] مع المشاركة الجذب إلى أقصى جهة التضاد، إذ كانت المضادة هاهنا من جهتين: من جهة طرفي[16] الطول والعرض. ومتى اقتصرنا على أحد طرفي هذه المضادة لم نأمن أن يكون الجذب من الجهة الأخرى. وبودنا لو اتفق لنا في كل موضع نقصد فيه جذب المخالفة جميع أنواع التضاد التي هي الفوق والأسفل واليمين[17] واليسار والأمام والخلف، وبخاصة متى كان هنالك امتلاء بحسب التجاويف. لكن هذا ممتنع في أكثر العلاجات، وبعضها ممكن أن يجمع[18] فيها أكثر من واحد.

(١) غ، ت: أضيف "الى" (٢) غ، ت: الظاهر "بجذب" (في ت الحرف الاول من دون نقط) (٣) غ: كرهوا (٤) م: الحدوث (٥) م: يظهر "تفضيل" (٦) غ: يعتمد؛ م، ت: نتعمد (في ت الحرف الأول من دون نقط) (٧) ت: العروق (٨) ب: سقط "قد" (٩) ب: فان (١٠) غ، ب، ت: الايمن (١١) ب: بين المشاركة والجذب (١٢) غ: و (١٣) ب: يجتذب (١٤) ب: سقط "في" (١٥) ب: هذه المواضع تجمع (١٦) غ، ت: طرف (١٧) ت: والايمن (١٨) غ، م، ت: وفي بعضها ممكن ان يجتمع (ت: يجمع).

[١٢٥] فهذا هو القول في دلالات الأعضاء أنفسها على موضع الاستفراغ بشق العرق[١]. وينبغي أن تعلم أنه لابد في أورام الأعضاء الرئيسة من الاستفراغين[٢]، أعني إخراج الدم والإسهال، فإن أورامها في الأكثر ليست من خلط واحد، بل يجتمع فيها مع الكثرة الرداءة، ويكون الاهتمام بأحد الاستفراغين أكثر بحسب غلبة الأخلاط[٣]. وقد حكى الرازي أن قوما اقتصر بهم في الشوص[٤] على الاستفراغ بالفصد فماتوا.

[١٢٦] وأما دلالة الأعضاء أنفسها على الغرض الثاني من أغراض شفاء الأورام، وهو التبريد، فإن للأعضاء على ذلك دلالة ليس[٤] بالدون. وذلك أن أورام الكبد وفم المعدة[٥] ليس ينبغي أن يوضع الدواء عليها وهو بارد بالفعل بل أن يكون سخنا بالفعل مثل دهن السفرجل أو دهن الآس؛ وأحرى من ذلك الأدهان الحارة كدهن المصطكى والأفسنتين وغير ذلك. وإنما كان ذلك كذلك لمكان توفير قوى هذه الأعضاء لحاجة الأبدان إليها. وذلك أن فعل هذه الأعضاء يحتاج إليها جميع أعضاء البدن أعني المعدة والكبد. وأكثر من هذا كله فم المعدة[٦] لكون مشاركتها للقلب كما قلنا[٧] غير ما مرة. وأما الدماغ فليس يكتفى في تبريده بالدواء البارد بالقوة[٨]، بل بأن يوضع عليه[٩] الدهن باردا[١٠] بالفعل وأن يخلط به[١١] ما يوصله مثل[١٢] ما جرت به[١٣] العادة بأن يخلط من الخل مع دهن الورد بقدر[١٤] ما يوصله[١٥]. وهذا كله ليس لمكان مزاج الدماغ فإنه[١٦] العضو البارد بالطبع، بل لمكان العظم الصلب[١٧] الذي عليه. ولذلك نتحرى بوضع[١٨] الدهن على الرأس أن يكون من علو وتصادف[١٩] به مواضع[٢٠] الشؤون من الدماغ، وهو الدرز الإكليلي الذي يتحرك عند المضغ. وأما العينان فلموضع فرط حسها[٢١]، فإنه ليس يقرب إليها[٢٢] شيء من هذه المعالجة على هذه الصفة، ولا دهن ولا غير ذلك، مما فيه لذع؛ بل نتحرى أن نجعل مواد أدويتها أشياء لا لذع[٢٣] فيها. وأحمد الأشياء في ذلك على ما اجتمعت عليه القدماء رقيق بياض البيض، فإنه قد جمع خصالا محمودة. وذلك أنه أبعد شيء من اللذع[٢٤] ويملس الخشونة الحادثة فيها ويبردها ويطول مكثه فيها باللزوجة التي فيه. واللبن المحلوب أيضا من الثدي في ذلك نافع، وفيه، زائد إلى هذا، قوة إنضاج.

[١٢٧] وقد يستدل أيضا على الورم من جهة العضو الذي فيه، على أن لا يبرد أصلا ولا يردع. وذلك إذا كان في اللحم الذي من شأن الطبيعة أن تدفع إليه

---

(١) ب: العروق (٢) ت: الاستفراغ (٣) م: الخلط (٤) م: ليست (٥) م: وذلك ان اورام فم المعدة (٦) غ، ت: سقط "فم المعدة" (٧) ب: قيل (٨) م: أضيف "فقط" (٩) ب: عليها (١٠) م: بارد (١١) ب: يظهر "بها" (١٢) ب: بمثل (١٣) ب: أضيف "به" (١٤) م: سقط "ما يوصله.. بقدر" (١٥) ت: أضيف "مثل ما جرت العادة" (١٦) م: أضيف "هو" (١٧) غ، م: الصليب (١٨) غ: يظهر "بوضع"؛ ت: موضع (١٩) م:ونصادف؛ ت: ويصادف (٢٠) غ، م، ت: موضع (٢١) م، ت: حسها؛ غ، ب: حسهما (٢٢) غ، ب، م:اليها (٢٣) ت: لدغ (٢٤) غ، م: التلذيع.

الفضول[١]، مثل اللحم الذي عند الأذنين وتحت الآباط[٢] والأربيتين. فإن الأورام العظام متى خرجت في هذه المواضع يخاف من تبريدها أن تعود[٣] إلى عضو شريف. أما التي في اللحم الذي[٤] تحت الأذنين فإلى الدماغ. وأما التي[٥] في اللحم الذي[٦] تحت الآباط فإلى القلب، ولا سيما ما كان من هذه الأورام قد دفعتها الطبيعة على طريق البحران؛ ولهذا كرهوا الردع القوي في ورم الرئة لقربه من القلب.

[١٢٨] فهذه هي الاستدلالات المأخوذة من الأعضاء أنفسها في الغرضين من غرضي شفاء الأورام وهو قطع السبب الفاعل، وتبريد سوء المزاج المتولد عنها[٧]. وإن كان هذا الغرض الثاني ينطوي فيه الغرض الأول. وذلك أن الأشياء الباردة رداعة. وأما[٨] دلالة الأعضاء الوارمة على الغرض الثالث[٩] فهي مختلفة في ذلك اختلافا كثيرا. من ذلك أن الأعضاء الرئيسة ليس ينبغي أن تخلو الأدوية المحللة فيها[١٠] من أدوية فيها قبض وعطرية، وذلك في زمان استعمال الأدوية[١١] المحللة للأورام[١٢] وهو[١٣] زمان الانتهاء، لأن استعمال القابض في زمان التزيد في الأورام أمر يعم جميع[١٤] الأورام. وهذه الأعضاء هي الكبد والدماغ والمعدة ويتلوها الطحال. وإنما كان ذلك كذلك لأن هذه الأعضاء لها فعل مشترك لجميع الأعضاء، وهي مشاركة للقلب[١٥]؛ فهي من أجل هذا[١٦] تحتاج إلى توفير قواها. والأدوية المحللة هي مثل الأضمدة المتخذة بالخبز والزيت السخن[١٧] والعسل[١٨] والقابضة العطرية، هي مثل الأفسنتين والمصطكى والسفرجل. ومن ذلك أن الكبد إذا كان الورم منها في الجانب المحدب فاستفراغه يكون بالأدوية المدرة للبول. وإذا كان في المقعر فاستفراغه يكون بالأدوية المسهلة للبطن. وهذا أيضا إنما يكون في زمن الانتهاء. وهذا استدلال[١٩] مأخوذ من الخلقة. وينبغي أن تكون الأدوية التي يقصد بها إدرار البول أنفذ قوة لأنها ليس تصل إلى محدب الكبد إلا وقد ضعفت قوتها، لأنها تستحيل في الكبد. وأما التي يقصد بها استفراغ ما في مقعره فيجب أن تكون[٢٠] ألين قوة. وكذلك الأمر في جميع الأعضاء التي تصل إليها الأدوية بعد هضوم كثيرة مثل الرئة، فإنها في هذا المعنى أكثر من سائر الأعضاء كما تبين[٢١] في كتاب الصحة. وهذا استدلال[٢٢] مأخوذ من الوضع.

[١٢٩] والأشياء التي تدر البول في الكبد وتفتح سددها هي الأفسنتين والغافت[م]، فإن هذين الدواءين مخصوصان[٢٣] بالكبد. كما أن الطحال مخصوص

(١) ب: الفضل (٢) م: الابط (٣) ب: يعود (٤) غ: التي؛ ب، م، ت: الذي (٥) م: الذي؛ غ، ت: سقط؛ ب: التي(٦) ب،غ: التي؛ م، ت: الذي (٧) ب: منها (٨) ت: اما (٩) ب: الاول (١٠) ت: سقط "فيها" (١١) م: سقط "المحللة فيها...استعمال الادوية" (١٢) م، ت: في الاورام (١٣) غ: كلمة مطموسة، ت: وهي (١٤) م: سقط "جميع" (١٥) غ: القلب (١٦) غ: هذه (١٧) ب، م: المسخن (١٨) ت: وللعسل (١٩) م، ت: الاستدلال (٢٠) ب، م: يكون(٢١) غ: بين (٢٢) ت: الاستدلال (٢٣) غ، ت: مخصوصين.

بقشور[1] أصل الكبر[م] والسقولوفندريون[م]، فأصل الكبر لـه[2] بمنزلة الأفسنتين للكبد، والسقولوفندريون بمنزلة الغافت. والأشياء التي تلين البطن برفق في أورام مقعر الكبد هي مثل ماء[3] اللبلاب[م] وبزر الأنجرة[م] والقرطم[م]. وأما الطحال فلا سبيل إلى استفراغه إلا بالإسهال. وينبغي كلما عتقت هذه الأورام أن تقوي الأدوية المحللة لأن هذين العضوين أكثر قبولا لأن تتصلب فيها بآخِرَةٍ[4] الأورامُ الحارة، أما الكبد فلغلظ جوهرها وكثافته، وأما الطحال فلغلظ ما يغتذي[5] به، لأنه في نفسه سخيف الجوهر. والكلى مما تقبل الصلابة أيضا[6] لمكان كثافتها. والأدوية القوية التحليل هي مثل أصل[7] السوسن الأسمانجوني[م] والزوفا[م] والقنطوريون[8][م] والزراوند[م] المدحرج وما أشبه ذلك. وجميع هذه الأدوية إذا[9] استعملت فينبغي أن تستعمل مكسورة من يبسها بعود السوس.

[١٣٠] وبالجملة فينبغي لك أن تجهد نفسك أن لا تقيح[10] بين يديك الأورام التي في مثل هذه الأعضاء، وبخاصة ورم الرئة فإنه إذا قاح: إما أن[11] لا يمكن برؤه على التمام فيصلب، وإما أن يموت العليل ضرورة[12]. فإن الورم متى صار إلى أحد هذين الأمرين في هذه الأعضاء عسر علاجه[13]. وعلاج الورم إذا قاح وانفجر هو داخل في باب علاج القروح. وهنا أيضا أمر يخص الأعضاء[14] التي ترم وليس عليها جلد كثيف، أنها في أول أمرها[15] لابد أن يرشح فيها من الورم صديد. فلهذا ما(=زائدة) ينبغي في مثل هذه الأورام من أول الأمر[16] أن تعطي[17] أصحابها ما يغسل ذلك الصديد، وتنقي[18] تلك المنافذ[19] التي فيها يجري[20]، وتقطعه[21] أيضا إن كان فيه غلظ. وهذه الأعضاء هي الكبد والصدر والرئة والمعدة. لكن ينبغي أن تكون هذه من الجلاء في حد لا تلذع[22] معه هذه[23] الأعضاء فتهيج أورامها. والأدوية الفاعلة لذلك هي مثل ماء الشعير وحسو النخال باللوز والبرشاوشان[24][م] مع عود السوس واللوز المر وبزر البطيخ. وشراب الهندباء[م] مع السكنجبين تختص[25] به أورام الكبد. وأما أورام الرئة والصدر فالخل أضر الأشياء فيها، لأنها تتأذى[26] عن الخشونة. فلذلك أوفق الأشياء فيها هو البرشاوشان مع مثله من عود[27] السوس أو من شراب البنفسج. وبزر البطيخ في ذلك جيد والقرصعنة[م] في هذه المواضع[28] محمودة بجملة جوهرها وبأفعالها الثواني والثوالث.

---

(١) ب: بقشر (٢) م: سقط "له" (٣) ب، م: سقط "ماء"(٤) ب: لان تصلب فيها باخرة؛ م: لان تتصلب باخرة فيهما؛ ت: لان لا تتصلّبُ (كذا) فيها باخرة (٥) ب، م،ت : تغتذي (والحرف الاول من ت دون نقط) (٦) ب، ت: سقط "ايضا" (٧) ت: اصول (٨) غ: القنطريون (٩) ت: متى (١٠) غ: يظهر "تفتح"؛ ت: تتقيح (١١) غ: سقط "ان" (١٢) ت: أضيف "وايضا" (١٣) غ: شكلت الكلمتان هكذا: عُسْر عِلاجه (١٤) ب: القروح (١٥) م: اول الامر (١٦) ب: اول امرها (١٧) غ: الحرف الاول من دون نقط وعلامة كسرة تحت الحرف الثالث (١٨) م: يظهر "ويتقى" (١٩) ب: المجاري (٢٠) غ، م: تجري؛ ت: الحرف الاول من دون نقط؛ ب: يجري(٢١) ب، م: يقطعه؛ ت: من دون نقط تماما؛ غ: تقطعه (٢٢) ت: تلدغ؛ غ: يلذع (٢٣) ب: سقط "هذه" (٢٤) م: "بالبرشاوشان" وسقط "باللوز و"(٢٥) غ: يختص (٢٦) غ: لا تتأذ (٢٧) غ، ت: عروق (٢٨) ب: هذا الموضع.

فكأن هذه الأورام من حيث هي في هذه الأعضاء استدلالاتها مضادة لاستدلالاتها من حيث هي أورام. وذلك أنها تحتاج في زمان الانحطاط أن[1] لا تخلو أضمدتها من القابض، وفي زمان الابتداء أن[2] لا تخلو الأدوية[3] المشروبة فيها مما يكون فيه[4] جلاء. وإذا كانت الأورام في الأمعاء السفلى فالحقن فيها أنجع لما يراد من الأفعال في تلك الأورام، كما أنها إذا كانت في الأمعاء[5] العليا فما يؤكل ويشرب في ذلك[6] أنجع. وهذا الاستدلال هو مأخوذ من الوضع. ومن ذلك أيضا أن أورام الحلق تخلط أبدا[7] مع الأدوية المحللة فيها أدوية لزجة[8] لتتشبث[9] في ممرها بها[10]. وكذلك يفعل في الأدوية التي يقصد فيها ردعه، ومع ذلك أن تزدرد الأدوية شيئا شيئا لتمر بالورم. وأما أورام الدماغ فإذا صارت إلى حد الانحطاط فقد ينبغي أن نتحرى في تحليلها أيضا[11] الأدوية[12] القوية، وبخاصة إذا كانت الأورام في طبيعتها مائلة إلى البرد[13] كالأورام التي تنسب فيه إلى البلغم. والأدوية القوية في مثل هذه الحال هي مثل الجندبادستر[؟] ودهن السوسن والأقحوان. وإنما كان ذلك كذلك[14] لمكان الوقاية التي على هذا[15] العضو، وإلا فهو رطب منفعل. وقد يستعمل وضع المحاجم -في استفراغ الأورام بآخِرَةٍ- والشرط. لكن مثل هذا الاستفراغ ينبغي أن يتحرز منه مخافة أن يكون في البدن فضل فينجذب[16] للعضو الوارم. وإنما ينبغي أن تستعمل هذه المعالجة حيث يؤمن الانصباب ويصعب استفراغ ما قد لحج في نفس العضو بالأدوية. وبالجملة فاستعمالها في الأعضاء الرئيسة غرر.

[١٣١] فهذا هو القول في دلالة[17] الأعضاء الوارمة[18] مضافا إلى دلالة معالجة الأورام بما هي أورام، فإن الأورام التي في الأعضاء الآلية إنما يتم علاجها بجميع هذه الأشياء. وأما الأورام التي في اللحم البسيط فليس يحتاج في علاجها إلى الأغراض[19] المستعملة في مداواة الأورام بما هي أورام، وفي كثير منها ليس يحتاج أن يحفل[20] بالسبب[21] الفاعل، مثل الأورام الحادثة في اللحم الرخو عن أشياء[22] من خارج مع نقاء من[23] البدن، فإنه يكفي في علاج هذه الزيت السخن فقط. وإذ قد[24] قلنا في الأورام الحارة فلنقل في الأورام الباردة وهي التي ليس يكون[25] فيها تقيح. ونقول أيضا في

---

(١) م: سقط "ان" (٢) م: نفسه (٣) ب: ثبت في المتن "اضمدتها" مع إشارة إلى هامش لا يظهر منه سوى الحروف التالية: "ـيها" (٤) ب، ت: فيها (٥) ب: المعى (٦) ب: فيها (٧) ب: ايضا؛ م: سقط (٨) م: سقط "لزجة" (٩) غ، ت: لتشبث؛ م: لتشبثه (١٠) غ: سقط "بها"؛ ت: به؛ ب، م: بها؛ ت: به؛ ب، م: بها (١١) ب، م: سقط "ايضا" (١٢) ت: بالادوية (١٣) ب: للبرد (١٤) غ: سقط "كذلك" (١٥) ب: سقط "هذا" (١٦) غ: فتنجذب؛ ب: ينجذب (١٧) ب، م: دلالات (١٨) غ، ت: أضيف "في العلاج" (١٩) غ: يظهر من رسم العبارة "الا الاغراض"؛ ب: الا الاغراض، وأول الكلمة الثانية مطموس (٢٠) ب: يحفل؛ م: نحفل؛ غ، ت: الظاهر "يجعل" (٢١) ت: السبب (٢٢) م: الاشياء (٢٣) م: سقط "من" (٢٤) ب، م، ت: سقط "قد" (٢٥) غ، ت: سقط "يكون".

القروح التي تحدث كثيرا في سطح البدن مثل النملة[م] المتآكلة[١] الساعية ومثل قروح الجمر[م] وهي التي تعرض أكثر ذلك في الهواء الوبائي، فنقول:

[١٣٢] أما[٢] الأورام الرخوة وهي التي تكون عن بلغم غير غليظ تشوبه في الأكثر نفخة ما[٣]، فمنها ما يحدث عن فساد الكبد مثل الأورام التي تحدث في أطراف المستسقين، وهذه فعلاجها تابع لعلاج مزاج البدن ويكفي فيها أن تدهن بدهن ورد مع يسير خل وملح. وأما ما كان منها حادثا عن انصباب مادة، فإن الغرض في شفائه هو استفراغ العضو من ذلك الخلط وتحليله، وذلك يكون بما[٤] مزاجه مضاد لمزاج هذا الخلط[٥]، وهي الأشياء المسخنة المجففة. ولأن هذا الخلط فيه رقة ما ونفخة قد يستفرغ أيضا ما فيه بعصره[٦] إياه وتجفيفه. ولهذا ما يعالج من هذه ما كان خفيفا بإسفنجة مبلولة بماء وخل. وذلك أن الإسفنج فيه تجفيف وقبض لكونه من طبيعة ماء البحر، والخل فيه تجفيف وتقطيع. وأما ما كان أغلظ من هذا فقد ينبغي أن يخلط مع الخل شبا ورمادا وملحا، ويتوخى أن تكون الإسفنجة جديدة وإلا غسلتها بماء الرماد والملح والشب وتربط الإسفنجة على العضو ربطا محكما[٧] على جهة ما يربط العظم المكسور.

[١٣٣] وأما الأورام الصلبة وهي التي تكون عن الخلط الغليظ فإن استفراغها إنما يكون بالأدوية الملينة كمخ ساق الأيل والعجل والأشق[م]. وقد عرفت طبائع هذه الأدوية مما سلف لك. وإنما اختصت[٨] هذه الأدوية بتحليل هذه الأورام لأن الأدوية القوية[٩] التحليل تحلل منه اللطيف وتبقي الغليظ[١٠] متحجرا، فكأن هذا الفعل هاهنا ينبغي أن يكون مركبا من تحليل ومن إعداد للتحليل[١١]. وذلك أنه ليس كل أجزائه تقبل التحليل على وتيرة واحدة. ولكون هذين الغرضين مطلوبين في معالجة هذه الأورام كان أيضا من الواجب أن يستعمل من الأدوية الملينة بأدوار أدوية قوية[١٢] التحليل. وأفضل هذه الأدوية هو الخل إذا أضيف إلى الأدوية الملينة، إلا أنه ليس ينبغي أن يستعمل دائما فإنه يحجر بقية الورم. وقد حمد جالينوس في هذا حجارة[١٣] المرقشيثا[م] بالخل. قال: فإن لم يتهيأ[١٤] فحجر الرحى. وذلك أن تؤخذ هذه الحجارة وتحرق بالنار، ثم يرش عليها الخل[١٥] ويوضع العضو على ذلك البخار الصاعد من الحجر. فإن هذا فيما زعموا له أثر جيد في تحليل هذه الأورام وبخاصة ما[١٦] كان من هذه الأورام عند الوترات

---

(١) ب: التأكلة (الهمزة مثبتة، ويطرد الفرق في باقي النص) (٢) ب: "ان" عوض "اما" (٣) ب: "منها" عوض "ما" (٤) ت: أضيف "في" (٥) ب: مضاد لذلك الخلط (٦) ب: كلمة مطموسة (٧) ت: سقط "محكما"(٨) م: اختصصت (٩) ت: القليلة (١٠) ب: الكثيف (١١) م: واعداد للتحليل؛ ت: ومن اعداد التحليل؛ غ: سقطت العبارة من "تحلل منه اللطيف" إلى "ومن اعداد للتحليل" (١٢) ت: وادوية قويت (١٣) ب: حجر (١٤) م: هكذا "يتها" (١٥) م: بالخل (١٦) غ، م، ت: فيما.

والأعضاء الصلبة. وأنا أقول إن حمد[١] هذا الفعل إنما هو لأن قوة الخل تصل[٢] إلى العضو وتسري فيه على استواء إذ كانت محمولة في جوهر هوائي[٣]، على ما شأن الأشياء التي تنطبخ بتوسط الهواء أن يكون الطبخ فيها باستواء، مع أن ذلك البخار متولد[٤] أيضا عن مثل هذه الأحجار. وهو بين أنه لو سخن الخل بالحجر ثم وضع على الورم لم يكن له مثل هذا الفعل.

[١٣٤] وأما إذا[٥] كان الورم الصلب في الطحال فإن استعمال الخل في أضمدته[٦] يحمد دائما: وذلك أن هذا العضو متخلخل، وإنما الصلابة التي تصيبه من غلظ جوهر ما يغتذي به[٧]. وبالجملة فالخل[٨] كأنه مناسب لهذا العضو بجملة جوهره إذ كان غذاؤه مما[٩] يشبه[١٠] مزاج الخل وهي السوداء، ولذلك لا يخلون[١١] أدوية الطحال التي تشرب من الخل. وليس[١٢] ينبغي في الأورام الصلبة في الطحال أن يقتصر على الأضمدة من خارج[١٣] بل وأن تستعمل الأشياء التي عهد منها تحليل صلابة[١٤] الطحال، كأصول الكبر والسقولوفندريون والطرفاء[م]، والأجود أن يضاف إليها بعض الأفاويه[م]. وأما متى كان الورم الصلب في الكبد فليس ينبغي أن يقرب منه الخل بتة، ولا في حين ما. فإن هذا العضو يقبل بطبعه الصلابة كثيرا ويستضر بالخل، بل ينبغي أن يعالج بالأدوية الملينة فقط كالدارصيني[م] والسنبل[م] والأسارون[م] والقسط[م] والإذخر[م] وما أشبهها. والأورام الصلبة الحادثة في الكبد عسيرة البرء ولا سيما إذا لم[١٥] تتلاحق في أول أمرها فإن صاحبها بالجملة يصير إلى الاستسقاء.

[١٣٥] وأما الخنازير[م] فإنها أورام صلبة تحدث في اللحم الرخو. وعلاج هذه: أما ما كان منها عن[١٦] بلغم لطيف فالتحليل بالأدوية الملينة، وأما ما كان منها عن[١٧] بلغم غليظ فالتفتيح[١٨] والتعفين –وقد عرفت الأدوية التي تفعل هذا الفعل مما سلف– أو بالقطع بالحديد متى كان المتولي لذلك عارفا بالتشريح لأن لا يقطع عصبا أو شريانا له خطر. وكذلك أيضا[١٩] السلع[م] تعالج بهذه الأنحاء الثلاثة من المعالجة: وذلك إما بالتحليل وإما[٢٠] بالتعفين وإما بالقطع. ومن أنواع السلع ما تفي بها[٢١] الأدوية المحللة كالسلع العسلية، وبعضها ينجع[٢٢] فيها العلاجان: أعني التعفين والقطع[٢٣] بالحديد،

---

(١) م: احمد (٢) ت: تصير (٣) ب: "مائي" وصحح "هوائي" (٤) ت: "يتولد"، ولا يظهر نقط الحرف الاول (٥) م: ان (٦) ثبتت إضافة في ت كما يلي: "في اضمدة الطحال يحتاج الى ادوية تلطف من غير ان يكون (او "تكون") لها حرارة بينة كي لا يغلظ الخلط الذي صلبه اكثر مما هو فلذلك حمد فيه الخل دائما" عوض "في أضمدته يحمد دائما" (٧) غ، م، ت: يتغذى به (ت: منه) (٨) ب: وبالجملة فان الخل؛ م: "والخل" عوض "وبالجملة فالخل"؛ ت: عبارة مطموسة (٩) غ: بما (١٠) م: سقط "يشبه"(١١) غ: ما لا يخلون؛ ت: ما يخلون (١٢) ب: كلمة مطموسة (١٣) ب: سقط "من خارج" (١٤) غ، م، ت: صلابات (١٥) غ، ت: أضيف "يكن"، وفي ت الحرف الاول خال من النقط (١٦) غ، ت: من (١٧) ت: من (١٨) غ، ت: فبالتفتيح (١٩) ب: سقط "ايضا" (٢٠) غ، ت: او (٢١) ب، م: به (٢٢) م: يجمع (٢٣) ب: والتقطيع.

ولا تفي بها الأدوية المحللة. وبعضها لا يفي بقلعها[١] إلا الحديد[٢] وهي الشحمية. وبهذا النوع من العلاج تقطع الثآليل[م] وكل ما كان زائدا في الجسم. فأما ما حدث من السلع في باطن الجسم فعلاجه[٣] يكون بالأفاويه مخلوطة[٤] بها الأدوية الملينة، إلا أنها كما قلنا عسيرا ما تقبل البرء.

[١٣٦] وأما النملة[م] فإنها صنفان: صنف يعرف بالنملة المتاكلة وهي التي تأكل الجلد وتسعى فيه، وصنف يعرف بالجاورسية لأنه يحدث[٥] فيها بثور صغار مثل حب الجاورس. فالصنف الدباب[٦] منها -لأنه يحدث عن خلط صفراوي رقيق- وقد ينبغي أن يعمد إلى استفراغه بالأدوية التي تستفرغ مثل هذا الخلط. وأحمد الأدوية في ذلك هي السقمونيا مع ميس[م] اللبن، وأن يوضع على القرحة ما يجففها من غير لذع ويبرد كالماميثا[م] وعنب الثعلب وما أشبههما[٧]. وأما الجاورسية فإنه يظهر من أمرها أنه يخالط الصفراء فيها[٨] بلغم ما، فلتجعل غرضك فيما يستفرغ الخلطين معا أعني الصفراء والبلغم.

[١٣٧] وأما القروح المعروفة بقروح الجمر[م]، وهي كلها قروح إنما تحدث أكثر ذلك في الهواء الوبائي من[٩] عفونة الدم وغليانه -فلذلك[١٠] تتبعها ضرورة حميات وبائية[١١]- فعلاجها يكون بنوعي الاستفراغ العام[١٢]، أعني الفصد[١٣] والإسهال. ولا يقتصر من الأدوية المسهلة على ما يخرج خلطا واحدا، بل جميع الأخلاط مثل حب القوقايا[م] وغير ذلك، بعد أن يعوض من الأسطوخدوس[م] فيه بسبايج[م]، ويحتاط في حجب السقمونيا[م] فيه والحنظل، فإن البدن في مثل هذه الحال يقبل العفونة في جميع الأخلاط. وينبغي أن يوضع على القرحة ما فيه تجفيف بلا لذع وتبريد قليل ومقاومة للتاكل، كضماد[١٤] يتخذ من دقيق الشعير وحب[١٥] الثيل[م] وحشيشة الأنجرة[م] ولسان الحمل[م] والقرصعنة[م] ويسير من الترياق الفاروق[١٦]، ويكون الضماد معجونا بماء الورد. وجالينوس يحمد أن يوضع على نفس[١٧] القرحة مثل أقراص أندرون[م]، وبالجملة الأقراص الشديدة التجفيف. ويوضع على العضو العليل ضماد يكون فيه بعض تبريد وتحليل، لأن الردع خطر في[١٨] هذا الموضع، لأن لا تنصرف المادة إلى عضو شريف. والتقييح[١٩] أيضا هنا لا يصلح لأنه يزيد في العفونة.

[١٣٨] وأما الأورام السرطانية فيجب أن تستفرغ المادة الفاعلة لها، وذلك بالأدوية التي شأنها أن تستفرغ الخلط السوداوي[٢٠]، ويتابع ذلك مرات كثيرة. وأما

---

(١) م: بفعلها (٢) ت: بالحديد (٣) غ، م، ت: فعلاجها (٤) غ، ت: مخلوطا (٥) غ، ب، ت: لانها تحد
(٦) ت: الداب (٧) غ، ت: اشبهها (٨) م: سقط "فيها" (٩) م: أضيف "غير" (١٠) ب: ولذلك (١١) غ: رئيسة
(١٢) م، ت: سقط "العام" (١٣) ت: اعني الاستفراغ بالفصد (١٤) ب: كالضماد الذي (١٥) غ، ت: سقط "حب"
(١٦) ب: والفاروق (١٧) م: سقط "نفس" (١٨) م: أضيف "مثل" (١٩) غ: والتفتيح (٢٠) ب، م، ت: الاسود.

نفس الورم فإنما ينبغي أن يعالج بالأشياء المجففة التي لا لذع[1] فيها، وهي المعدنيات مثل الأسفيداج[2] والاقليميا[2] وما أشبه ذلك[3]. وإنما كان ذلك كذلك لأن هذا الورم لرداءة[3] كيفيته يقبل التاكل[4] عن أدنى لذع يكون[5] في الأدوية التي تجففه لموضع رداءة الخلط الفاعل له. وذلك أنه إنما يكون عن السوداء غير الطبيعية وهي السوداء المحترقة[6] التي إذا صبت على الأرض عرض لها نفاخات[7] وغليان شبيه بما يعرض عن الخل، وهذه إنما تقبل البرء أول أمرها. فأما إذا فرغ تكونها فإنها لا تقبل البرء. وذلك أن الأدوية التي وصفنا لا تفي بتحليلها ولا يمكن قطعها بالحديد لأنها تأخذ من البدن جزءا كبيرا فيه[8] أعضاء شريفة من الشرايين والعصب، فإن قطعت تلك الأعضاء لم يؤمن منها الهلاك على الجسم. وكذلك أيضا[9] لا يمكن قلعها بالدواء الأكال لهذه العلة بعينها، ولا أيضا متى حدث[10] هذا الورم في عضو رئيس أمكن برؤه.

[١٣٩] فهذا هو القول العام[11] في معالجة أصناف سوء[12] المزاج المادي وغير المادي. وينبغي أن تعلم أن الأورام التي تكون في الأعضاء الرئيسة والحميات، منها ما يقبل البرء من غير علاج أصلا بل الطبيعة كافية فيه، وبهذا أمكن أن يتخلص كثير من جفاة الأمم من الأمراض الصعبة مثل البربر والعرب والأكراد وغير ذلك من سكان البراري. لكن إذا استعملت العلاجات الطبية في مثل هذه المواضع كانت سهلة[13] على الطبيعة وسائقة[14] إلى البرء في[15] زمان يسير مع أمن في العاقبة؛ فإن كثيرا ممن تخلصهم الطباع من الأمراض الصعبة يصيرون[16] من ذلك إلى زمانات في أعضائهم كما اتفق لي إذ مرضت من حمى قوية كان بحرانها بورم في فخذي فزمنت بذلك قدمي. وهاهنا أيضا أمراض لا تفي الطبيعة بالتخلص منها إن لم تقترن[17] إليها صناعة الطب، وهذا هو أشرف أفعال هذه الصناعة. وقد يتفق من هذه الأمراض، أعني الحميات والأورام[18]، ما لا تفي الطبيعة ولا الصناعة بالتخلص[19] منها؛ لكن هذا عسى أن يكون أقليا وفي أمزجة ما. وهاهنا أيضا أمراض ما[20] لا يمكن الطبيعة ولا[21] الصناعة أن تخلص[22] منها، وذلك في الأكثر، بل إن اتفق[23] التخلص منها فبالعرض. لكن هذه الأنواع من الأمراض[24] هي أقلية أيضا، كقروح الرئة وما أشبهها. وإذا كان هذا كما وصفنا فإذن غاية هذه الصناعة تتبع أفعالها في أكثر موضوعاتها، أي في أكثر

---

(١) ت: "لدغ"، ويطرد هذا الفرق في المتن كله (٢) غ، ت: اشبهها (٣) م: برداءة (٤) ب: تقبل المادة التأكل (٥) غ: سقط "يكون" (٦) غ: المحرق (٧) ت: نفخات (٨) ت: فيه (٩) ت: سقط "ايضا" (١٠) ب: عرض (١١) ب: سقط "العام" (١٢) ب: سقط "سوء" (١٣) غ، ت: مسهلة (١٤) ب: كلمة مطموسة؛ م: يظهر "وسابقة"؛ ت: يظهر "وسايقه" (١٥) ت: وفي (١٦) غ: يسيرون (١٧) م: يقترن (١٨) ت: والأمراض (١٩) ب: الطبيعة ولا الصناعة ان تخلص؛ غ، م، ت: الطبيعة والصناعة (ت: سقط "والصناعة") بالتخلص (٢٠) ت: سقط "ما" (٢١) م: سقط "لا" (٢٢) غ: يخلص (٢٣) ب: امكن (٢٤) غ: المرض.

الأمراض وفي أكثر أشخاص المرضى، وذلك أيضا في أكثر الزمن. فالحال إذن[١] في حصول غاية هذه الصناعة كالحال في حصول غايات[٢] سائر المهن والقوى. فعلى هذا ينبغي أن تفهم[٣] أن هذه الصناعة صناعة فاعلة.

[١٥- تفرق الاتصال في اللحم]

[١٤٠] وقد ينبغي بعد هذا أن نصير إلى القول في جنس المرض المعروف بتفرق الاتصال، سواء كان هذا المرض للأعضاء المتشابهة[٤] أو الآلية[٥][م] على ما يقول الأطباء، أو كان إنما يوجد أولا للمتشابهة وثانيا للآلية على ما تبين من قولنا[٦]، ما خلا الجنس من الانفصال الذي يعرف بالخلع والفك، فإن هذا ضرورة منسوب إلى الأعضاء الآلية فقط -وإن كان كثيرا ما تتداخل هذه الأنواع بعضها على بعض. مثال ذلك سوء المزاج من حيث هو مادي فإنه داخل[٧] في أمراض الزيادة، وبخاصة متى كان خروج المادة عن المجرى الطبيعي في الكمية. لكن المسامحة في هذا غير ضارة في هذه الصناعة. وقد خرجنا عما كنا بسبيله فلنرجع إلى غرضنا، فنقول:

[١٤١] أما تفرق الاتصال فهو يحدث في كل واحد من الأعضاء المتشابهة الأجزاء: فإذا حدث في اللحم[٨] سمي قرحة، وإذا حدث في العظم سمي كسرا، وإذا حدث في العضل أو العصب سمي هتكا. وليس لما يحدث من ذلك في العروق الضوارب وغير الضوارب اسم فلنسمه نحن انبثاقا أو[٩] انفجارا. ولمداواة هذا النوع من المرض استدلال عام واستدلال خاص بحسب واحد واحد من هذه الأعضاء[١٠]، كما أن لها استدلالات أخر أيضا[١١] من حيث هي حادثة في أعضاء آلية، وذلك بحسب شرف العضو وخسته وخلقته ووضعه وبالجملة الأمور التي عددناها في الاستدلالات المعول[١٢] عليها في شفاء سوء المزاج. ونحن فنبتدئ[١٣] بالغرض العام من معالجتها ثم نصير بعد ذلك إلى ما يخص واحدا واحدا منها، فنقول:

[١٤٢] أما تفرق الاتصال بما هو تفرق اتصال[١٤]، إذا كان بسيطا ولم يكن هنالك مرض آخر، فالغرض من شفائه غرض واحد فقط وهو ضم ذلك التفرق وإلصاق جهتيه[١٥] بعضها ببعض. وذلك يتم في بعض الأعضاء بالربط فقط وبعضها يتم فيها بالربط[١٦] ورفائد[م]، كالحال في انكسار العظم وكثير من الأعضاء، وبخاصة إذا كان القطع عرضا.

---

(١) غ، ب: ايضا؛ م، ت: اذا (٢) غ، م: غاية؛ ت: طمس (٣) م: يفهم (٤) ت: أضيف "الاجزاء" (٥) غ: والالية (٦) غ: أضيف "على" (٧) م: ادخل (٨) م: أضيف "سمي جرحا فان تقادم امره" (٩) ب، ت: و (١٠) م: ثبتت لفظة "الاخلاط" في المتن وصححت، ولا يظهر تصحيحها في الهامش (١١) م: سقط "ايضا" (١٢) م: استدلالات القول؛ ت: الاستدلالات المعمول (١٣) ب، م: نبتدئ (١٤) ت: الاتصال؛ غ: سقط "بما هو تفرق اتصال" (١٥) ب، م، ت: شفتيه (١٦) ب: "بالخياطة"، وسقطت العبارة الموالية "ورفائد".

وبعضها يتم فيها بالخياطة كالحال في مراق البطن إذا وقعت به ضربة فخرج الثرب[م]، فإن في هذا الموضع ينبغي أن يرد الثرب إن كان لم يفسد وإن كان فسد فليقطع لأنه ليس بعضو ضروري وإنما هو لمكان الأصلح[١] على ما قيل في كتاب الصحة، لكن لعظم[٢] الشرايين والعروق التي فيه فينبغي أن تربط عند أصولها. وحينئذ تبتر[٣]. وربما انتفخ الثرب حتى لا يمكنه أن يدخل -وذلك من قبل الهواء البارد- وحينئذ ينبغي أن يكمد بإسفنجة مبلولة بماء في غاية الاعتدال. وجالينوس يرى أنه إن فعل هذا به ولم يدخل فينبغي[٤] أن يشق شيء[٥] من الصفاق[م]. لكن[٦] أعمال اليد جلها في زماننا هذا قد دثر[٧]. وبعض الجراحات ليس يكتفى فيها بضم شفتيها[٨] ولا بخياطتها دون أن يوضع دواء مدمل[٩] ينشف الصديد الذي يكون بين أجزاء الجرح الذي لم يمكن فيه أن نلزقه، كالحال في جراحة[١٠] البطن. وأما ما التزقت جميع أجزائه فهو في غنية عن[١١] الدواء المدمل. والأدوية المدملة هي التي فيها قبض وتجفيف: أما[١٢] التجفيف فلإفناء[١٣] الصديد الذي هنالك. وأما القبض فليجمع شفتي الجرح. وينبغي أن تعلم أن كثيرا من الأعضاء ليس يندمل تفرق اتصالها، كالمعى الدقاق والحجاب، وبالجملة الأعضاء الشديدة اليبس.

[١٤٣] وأما القروح الحادثة في اللحم، إذا ذهب معها جزء من اللحم، فالغرض من شفائها غرضان: أحدهما أن يخلف من اللحم بدل ما ذهب، والغرض الآخر أن يولد فيها أيضا إذا كمل اللحم بالنبات منها شيء شبيه[١٤] بالجلد: فإن الجلد ليس يمكن فيه أن يعود كأول مرة كالحال في اللحم. والغرض الأول من هذين الغرضين إذا كانت المادة الواصلة إلى العضو ملائمة[١٥] في كيفيتها وكميتها، أعني[١٦] الدم، وكان العضو ليس به سوء مزاج أصلا، فالطبيعة كافية في إنباته. لكن لما كانت جميع الأعضاء تتولد فيها فضلتان وذلك عند تمام هضمها، فضلة رقيقة وفضلة غليظة، كانت هاتان الفضلتان كثيرا ما تعوق[١٧] نبات اللحم في القروح، ولذلك احتاجت الطبيعة أن ترفدها[١٨] الصناعة في هذا المعنى بأدوية يكون[١٩] فيها تجفيف لتلك المائية وجلاء لذلك الوضر[م] من غير أن يتعدى[٢٠] ذلك الجلاء إلى إذابة اللحم النابت. وهذه الأدوية هي المعروفة بالأدوية المنبتة للحم. والفرق بينها وبين المدملة أن المدملة أشد تجفيفا وليس فيها جلاء أصلا. والأدوية التي بهذه الصفة كثيرة، منها الكندر[م] ودقيق الشعير ودقيق الباقلاء ودقيق الكرسنة وأصول السوسن والاقليميا والزراوند والجاوشير والتوتيا. وهذه الأدوية يخالف

---

(١) ب: وانما كان للاصلح (٢) ت: سقط "لعظم" (٣) م: تبين (٤) ب: سقط "فينبغي" (٥) م: سقط "شيء" (٦) م: ولكن (٧) غ، ب، ت: دثرت (٨) ت: شقيها (٩) غ، ت: مدملا (١٠) ب: في الجراحة في (١١) م: يظهر "في عينة" وسقط "عن" (١٢) غ: واما (١٣) م: فلانفناء (١٤) غ، م، ت: بالنبات شيئا شبيها (١٥) غ، ت: سليمة (١٦) ب: يعني (١٧) غ: يعوق (١٨) غ: ترفدها (١٩) ب: سقط "يكون"؛ غ: ويكون (٢٠) م، ت: يتغذى.

بعضها بعضا بالأزيد والأنقص: فالكندر ودقيق الشعير ودقيق[١] الباقلاء في الدرجة الأولى من الإنبات، ويليها[٢] دقيق الكرسنة وأصول[٣] السوسن. ثم من بعد ذلك الزراوند والجاوشير وكأنهما[٤] في الدرجة الثالثة[٥].

[١٤٤] والاستدلال على ما يستعمل من نوع هذه الأدوية وكميتها وجهة استعمالها يوقف عليه[٦] من مزاج العضو ووضعه[٧] وذكاء حسه وشرفه. أما من مزاج العضو[٨] فإن العضو متى كان[٩] عضوا رطبا بالطبع كان المنبت فيه الكندر مثلا، وكذلك المزاج الرطب مثل أمزجة[١٠] الصبيان والنساء. ومتى كان يابسا لم يكف فيه الكندر بل ما هو أقوى منه مثل الكرسنة وغير ذلك، حتى أن الأعضاء الشديدة اليبس إنما ينبت فيها اللحم الأدوية التي في غاية[١١] من[١٢] اليبس؛ مثل قروح الأذنين فإنها إذا كانت ضعافا[١٣] أبرأ منها شياف[؟] الماميثا[؟] بالخل، وإن كانت أقوى من ذلك فأقراص أندرون.[؟] وربما احتيج فيها إلى الدواء المتخذ[١٤] بخبث[١٥] الحديد والخل. وكذلك الحال في جراحات الصدر.

[١٤٥] وهذه المشاهدة لا شك صحيحة، لكن جالينوس يرى أن السبب في ذلك هو أن العضو اليابس إذا ترطب رطوبة مساوية لرطوبة العضو الرطب بالطبع أن اليابس قد خرج عن طبعه[١٦] أكثر[١٧] فهو لذلك[١٨] يحتاج إلى دواء أكثر تجفيفا. و[هو] الذي يقوله في إعطاء[١٩] سبب هذه[٢٠] المشاهدة هو صحيح بوجه ما[٢١]، فإنا[٢٢] إن أنزلنا أن عضوا في الدرجة الأولى من اليبس وآخر مثلا[٢٣] معتدلا أو في الدرجة الأولى من الرطوبة فخرج مثلا المعتدل عن مزاجه درجة واحدة إلى الرطوبة فالذي يشفي هذا ضرورة هو اليابس في الأولى. وإن[٢٤] أنزلنا العضو الذي مزاجه يابس في الأولى[٢٥] خرج إلى هذه الدرجة بعينها أعني الدرجة الأولى فهو[٢٦] في الرطوبة قد تباعد عن مزاجه درجتين ضرورة وهي درجة الاعتدال والدرجة التي تليها، فالدواء إذن الذي هو في الدرجة الثانية من اليبس يشفيه لأنه يقابله بدرجتين أيضا، أعني الدرجة الأولى والدرجة التي بعدها. وذلك أن الدواء الذي في الأولى قد يجفف[٢٧] مثل هذه الدرجة ويحطها رتبة واحدة، وهذا[٢٨] ظاهر بنفسه إذا تؤمل. والذي في الثانية يحطها أيضا رتبة ثانية. فإذن تحتاج القرحة التي في العضو اليابس إلى دواء أقوى ضرورة، فإن الأدوية إنما تشفي إذا

---

(١) غ، ت: سقط "دقيق" (٢) غ، ت: ويليه (٣) ب: وأصل (٤) م: وكانها (٥) ت: الثانية (٦) ب: عليها (٧) غ: سقط "ووضعه" (٨) م: سقط "ووضعه وذكاء...مزاج العضو" (٩) ب، م: "فمتى كان العضو" عوض "فان العضو متى كان" (١٠) ب: امزاج؛ م: مزاج (١١) ب: الغاية (١٢) م، ت: سقط "من" (١٣) ب: صغارا (١٤) ب: أضيف "فيها" (١٥) م: يظهر من رسم الكلمة "بجبث" (١٦) م: أضيف "خروجا" (١٧) لم يثبت "اكثر" في ب (١٨) ب، ت: سقط "لذلك" (١٩) ب: عطاء (٢٠) ت: لهذه؛ م: سقط (٢١) ب: سقط "ما" (٢٢) م: يظهر "فاما" (٢٣) م: سقط "مثلا" (٢٤) غ: فان؛ ت: طمس (٢٥) ب: كلمة مطموسة (٢٦) غ: وهو (٢٧) ت: أضيف "في" (٢٨) غ: وهو.

كانت في درجة المساواة[١] في التضاد. لكن ليس يلزم في القروح التي في الأعضاء اليابسة أن تترطب[٢] ولا بد رطوبة مساوية للقروح التي في الأعضاء الرطبة، بل رطوبتها أكثر ذلك إنما هي على نسبة، فإن الفساد يسارع إلى الأعضاء اليابسة قبل أن تترطب[٣] رطوبة مساوية لرطوبة الأعضاء الرطبة. وإذا[٤] كان هذا كما وصفنا وكانت المشاهدة تقتضي أن قروح الأعضاء اليابسة والأمزجة اليابسة تحتاج إلى دواء أيبس، فليس السبب في ذلك شيئا غير عسر انفعال العضو اليابس وغلظ الفضلة التي هنالك: فإن اليبوسة كما تبين من أمرها في العلم الطبيعي عسيرة الانفعال من غيرها. وكأن هذه المسألة تشبه مسألة الشيخ والشاب وقد سلف منا القول فيها. والوجه الذي به يعلم الطبيب أن الدواء مقصر عما يحتاج إليه من تنقية القرحة هو كثرة الوضر فيها، كما أن الوجه الذي يقف به على أن الدواء يجلو أكثر مما ينبغي هو احمرار شفتي الجرح أو زيادة غوره[٥]. وقد يتفق أن يكون الدواء الأكال يزيد في الوضر فيغلط الطبيب ويظن أنه يقصر. لكن يفرق بينهما بما قلناه[٦] من احمرار القرحة والحرارة المحسوسة وزيادة في غورها. وأما الاستدلال المأخوذ من الوضع في علاج القرحة فالأمر فيه بين. وذلك أن القرحة إذا كانت في عضو تلقاه الأدوية ولم يتغير[٧] بعد كفى في ذلك الأدوية الضعيفة، كالحال في قروح المعدة. ولذلك ما يحتال لقروح الأمعاء -إذا كانت في المعى[٨] الغلاظ- بأن يحقن العليل بالأدوية من أسفل، وإذا كانت في المعى الرقاق[٩] بأن نسقيه إياها[١٠].

[١٤٦] وأما الأعضاء الغائرة فهي تحتاج[١١] إلى أدوية أقوى كقروح الرئة. والفسخ الذي يقع في العضل، لبعده أيضا عن ظاهر البدن، تحتاج الأدوية التي توضع عليه لتحلل الدم الذي خرج عن العروق أن[١٢] تكون أدوية قوية. فإن ذلك التفرق الذي يعتري في العضل لا سبيل إلى التحامه أو يزول الدم الذي خرج بين[١٣] تلك الأجزاء. ولعلمنا[١٤] أيضا بوضع قصبة الرئة احتلنا لصاحب قروحها[١٥] أن يرقد على خلوى[١٦] قفاه ويمسك الدواء في فمه[١٧] حتى يرشح منه في قصبة الرئة شيء يصل[١٨] إلى القرحة من غير أن يهيج سعالا. ولذلك نأمر أيضا صاحب قرحة المريء[١٩] أن يزدرد الدواء قليلا قليلا[٢٠] ويخلط أيضا فيه ما يثبطه في مروره بالحلق. وأما الاستدلال من خلقتها فبذلك[٢١] احتلنا لبعض القروح بأدوية تؤكل وتشرب فقط، ولبعضها بأدوية توضع من خارج فقط[٢٢]، ولبعضها ما جمع الأمرين جميعا. واحتيل في آلات ملائمة لخلق الأعضاء

---

(١) غ، ت: الدرجة المساوية (٢) م، ت: ترطب (٣) م: نفسه (٤) ب: فاذا (٥) غ، ت: غورها (٦) م: قلنا (٧) ب: لم تتغير (٨) ب، م: الامعاء (ويطرد الفرق أسفله) (٩) م، ت: الدقاق (١٠) غ: يسقيه اياه؛ ب: نسقيه ايضا؛ م: تسقيه اياها؛ ت: تسقيه اياه (١١) ب: أضيف "ايضا" (١٢) غ، ب: وان (١٣) ت: من (١٤) غ: او لعلمنا (١٥) ت: لصاحبها (١٦) ب: خلاوة (١٧) ورد "فيه" في ب و م (وهو مرادف "فمه") (١٨) ب: يصير (١٩) ب: الرئة (٢٠) م: سقط "قليلا" (٢١) ت: فلذلك (٢٢) غ، ت: سقط "فقط".

لتوصل إليها الأدوية مثل القثاطير[م][١] للمثانة وغير ذلك من الآلات. وأما ذكاء الحس فالأمر فيه بين أنه لايحتمل العضو الذي بهذه الصفة الأدوية القوية. وكذلك الأمر في العضو الجم المنافع في المشاركة.

[١٤٧] وأما القروح التي تكون في ظاهر البدن وهي التي قلنا إنه يحتاج فيها إلى أن تخلف بدل الجلد جسما آخر فذلك يتم بالأدوية المدملة، وهي أدوية في غاية اليبس كالعفص والجلنار وما أشبه ذلك. وذلك[٢] لما نريده من يبس[٣] العضو الذي يحدثه هاهنا، وهي بالجملة أقوى تجفيفا من اللاحمة. وأما القروح التي ينبت فيها لحم[٤] زائد فهي تحتاج إلى أدوية تأكل ذلك[٥] اللحم وهي في ذلك أقوى من المنبتة. وهذه الأدوية هي مثل الزاج والقلقطار[م] وأقوى من ذلك الزنجار[م]، ولذلك قد لا يمتنع أن يكون الزاج[٦] في بعض الأبدان منبتا[٧]. وهذا الفعل هاهنا، أعني قلع اللحم الزائد، ليس للطبيعة فيه تأثير كالحال في إنبات اللحم[٨]. وإنما هو من فعل الصناعة.

[١٤٨] فهذا هو القول في القروح الحادثة في اللحم في ظاهر البدن أو في باطنه خلوا من سوء مزاج[٩]. وأما سوء المزاج إذا تركب مع القرحة فإنه يتنزل منها منزلة السبب الذي ليس يمكن أن تبرأ القرحة حتى يرتفع[١٠]. وكذلك إن كان معه تورم. وقد عرفت معالجة سوء المزاج مما سلف؛ لكن على (كل) حال فينبغي أن نذكر به هاهنا إذكارا فنقول: إن سوء المزاج الحادث بالقرحة لا يخلو أن يكون من قبل الدم الواصل إليها، وذلك إذا كان خارجا في كيفيته أو كميته أو كليهما، وإما أن يكون في نفس القرحة فقط، وإما أن يجمع الأمران جميعا. فإن كان ذلك[١١] من قبل الدم الواصل إليها فينبغي أن نتأمل هل الفاعل لذلك الدم الواصل إليها رداءة أخلاط جملة البدن أو كثرتها[١٢] أو كلاهما[١٣]. فإن كان ذلك[١٤] فالاستفراغ العام، وإن[١٥] كانت الكثرة مجردة فالاستفراغ بالفصد. وإن كانت الرداءة فالاستفراغ بالدواء المسهل. وقد عرفت المواضع التي تستحق استفراغا استفراغا من هذه الاستفراغات فلا معنى لإعادتها. وربما كان الفاعل لذلك عضوا[١٦] واحدا من أعضاء البدن فينبغي حينئذ أن[١٧] نجتهد[١٨] في استفراغه. وربما كان ذلك العضو مؤوفا مثل أن تكون به دوالي أو غير ذلك وحينئذ ينبغي أن تشتد عنايتنا بتنقية البدن، وبالجملة فنحتال في ردع تلك المادة عن ذلك العضو المقرح بجميع وجوه الردع التي ذكرناها فيما سلف: من تقوية العضو وجذب المادة إلى خلاف الجهة. وأما إن كان سوء المزاج في[١٩] القرحة نفسها[٢٠] فقد ينبغي

---

(١) ب: القاثاطير (٢) م: سقط "وذلك" (٣) ت: يزيده من تيبيس (٤) م: اللحم (٥) ب: سقط "ذلك" (٦) م: الزنجار (٧) غ، ت: منبت (٨) م: سقط "كالحال في إنبات اللحم" (٩) ب: المزاج (١٠) ب، م: أضيف "ذلك" (١١) غ، ت: سقط "ذلك" (١٢) ب: كثرته (١٣) غ، ت: كليهما (١٤) غ: تلك (١٥) ت: فان (١٦) غ: عضو (١٧) م: البدن فحينئذ (١٨) ب: نُجهد (١٩) ت: "و" عوض "في" (٢٠) ب: سقط "نفسها".

أن نعنى به ونقلعه، مثل إن كانت القرحة يابسة رطبناها[١] بالماء السخن، وإن كانت رطبة جعلنا الأدوية المنبتة فيها أجف مما ينبغي. وكذلك نفعل إن كانت حارة أو باردة. وإن كان اللحم الذي في القرحة قد صلب حتى تثألل[٢]، فينبغي حينئذ أن تقطعه بالحديد ثم تضع عليه الدواء المنبت. وأما الورم فلا سبيل أيضا إلى إشفاء القرحة دون شفائه[٣] وإن كانت الأدوية الشافية له تضاد علاج القرحة. وإن اجتمع الأمران في القرحة عنينا بهما جميعا: أعني فساد الدم الواصل إليها[٤] وسوء المزاج الحادث بها. وأظنك ليس يخفى عليك بعد هذا ما السبب في أن لا تبرأ القرحة[٥]؛ فإنه لا يخلو أن يكون ذلك إما من قبل الأدوية المستعملة فيها إذا كانت غير موافقة، وإما من قبل أن المادة التي تصل إليها غير ملائمة، وإما من قبل أن الطبيعة التي في العضو[٦] قد اختل فعلها لغلبة صنف من أصناف سوء المزاج هنالك أو أكثر من صنف واحد[٧]. وأما القروح المتاكلة التي تحدث عن الأخلاط الرديئة كقروح الأكلة وغير ذلك، فلن يخفى عليك أن معالجتها باستفراغ البدن وتعديل مزاجه وتجفيف القرحة نفسها، بغاية ما يمكن من التجفيف بمثل الترياق وما أشبهه.

[١٦- تفرق الاتصال في الأوراد والشرايين]

[١٤٩] فهذا هو القول في علاج[٨] تفرق الاتصال الحادث[٩] في اللحم بسيطا ومع سوء المزاج. وينبغي أن نقول في تفرق الاتصال[١٠] الحادث في الأوراد والشرايين، فنقول: أما تفرق الاتصال الحادث في الأوراد فهو يلتحم بسهولة. وأما الانفصال الذي يحدث في الشرايين فبعسر[١١] ما يندمل، إلا ما كان من ذلك صغيرا أو في بدن صبي. ولأن في انفتاح هذه العروق قد يرهق أمر آخر وهو[١٢] أهم، وذلك هو سيلان الدم. فقد ينبغي أن نقول هاهنا كيف السبيل في قطعه، فإن الأدوية اللاحمة هاهنا هي اللاحمة هنالك. لكن ينبغي أن تكون هاهنا أيبس. وأما انبثاق الدم فهو يكون[١٣] على أوجه: وذلك أن منه ما يكون بانصداع العرق[١٤] وفاعل ذلك إما شيء من خارج أو من داخل. والأشياء التي من خارج هي الأشياء التي تقطع أو ترض أو تمدد. والأشياء التي من داخل هي التي تأكل بحدتها أو تمدد حتى تفتح العرق[١٥]. وقد يكون انبثاق الدم بانفتاح فوهة العرق. وقد

(١) ت: اليابسة نطلناها (٢) غ، ت: رسم الكلمة هكذا: تثولل (٣) م: "فلا سبيل الى شفائه" عوض "فلا سبيل أيضا إلى إشفاء القرحة دون شفائه" (٤) ب: اليه (٥) غ، ت: ثبت في الأصل "ان لا تبرا القروح"، وقد كشطت لفظة "لا" في غ (٦) لم يثبت "التي في العضو" في ب وفي م (٧) أضيف "واحد" في ب دون بقية النسخ (٨) م: سقط "علاج" (٩) غ، ت: سقط "الحادث" (١٠) ب: ثبتت العبارة "الحادث في اللحم...تفرق الاتصال" في الهامش وبخط مغاير (١١) غ: فيعسر (١٢) م: هو (١٣) ب: سقط "يكون" (١٤) م: العروق (١٥) ب: العروق (ويطرد الفرق أسفله).

يكون بالرشح. ونحن نبتدئ من هذه الأوجه بالانفجار الذي يكون عن الانصداع[١]، إذ كان أخطرها، فنقول:

[١٥٠] إن العرق متى انصدع وكان في ظاهر البدن فإن قطع الدم يتأتى بوجهين: أحدهما تمييل[٢] المادة عن ذلك العضو، وبخاصة متى كان السبب في ذلك كثرة من الدم. والوجه الثاني سد موضع[٣] الانفجار وذلك يكون إما بالأصبع إن كان قليلا، فإن الأصبع متى حبست على موضع الانفجار جمد هنالك الدم فانقطع[٤]، وإما بالربط وإما بالكي، وذلك أن الكي يفعل على فم الجرح خشكريشة[م]، وإما بالأدوية القابضة المغرّية كالأدوية التي تركب من العلك المطبوخ وغبار دقيق[٥] الحنطة وجبسين[٦] وما أشبه ذلك. وحمد[٧] جالينوس في الانفجار الذي يكون في الشرايين الدواء المتخذ من الصبر والكندر وبياض البيض ووبر الأرنب حمدا كثيرا. قال: وذلك أن هذا مع أنه يسد موضع انفجار الدم ينبت اللحم فوق العرق، وذلك أحوج شيء نحن إليه في هذا، لأن اللحم متى لم ينبت على فم الجرح أصاب عن ذلك العلة المعروفة بأم[٨] الدم. والكي بالنار غير مأمون لأنه ربما سقطت الخشكريشة وانفجر الدم مرة ثانية. وأيضا فإن الكي يذهب جزءا كبيرا[٩] من اللحم، ونحن في هذا الموضع إلى إنبات اللحم أحوج منا إلى نقصه. وإنما يحمد الكي في الانبعاث الذي[١٠] يكون لموضع تاكل العرق. لكن[١١] الكي حينئذ يقوم مقام رافع[١٢] السبب الفاعل للتاكل، وقد يردع الدم عن العضو بأن يبرد العضو وبخاصة متى كان السبب في انبعاثه حرارة الدم. وقد تستصعب[١٣] هذه الوجوه فنلتجئ[١٤] حينئذ إلى قطع العرق وبتره، شريانا كان أو وريدا، فإن العرق إذا بتر تقلص من طرفيه فانقطع الدم. والأحزم في ذلك أن نربطه عند أصله الذي يلي[١٥] القلب ثم نبتره. وأما تمييل[١٦] الدم إلى جهة أخرى فذلك يتأتى بأن ينصب العضو نصبة يكون بها[١٧] فم الجرح مرتفعا إلى فوق بعد أن نتوخى في ذلك العضو وضعا غير موجع، وبأن نميل المادة إلى ضد الجهة التي يسيل منها الدم وإما إلى أقرب المواضع: مثال تمييلها إلى أقرب المواضع أن الدم الذي يكون من الفم قد يصرف إلى[١٨] الأنف، والذي يكون من المثانة قد يصرف إلى الرحم. ومثال تمييلها إلى ضد الجهة وضع المحاجم على الكبد في الرعاف من الجانب الأيمن وفي الطحال من الجانب الأيسر. والمحجمة أيضا إذا وضعت في القفا في الرعاف يميل[١٩] الدم أيضا إلى ضد الجهة، فإن الوراء ضد الأمام. ومن هذا

---

(١) ت: انصداع (٢) غ: تميل (٣) غ: مواضع؛ ت: طمس (٤) ب، م: سقط "فانقطع" (٥) غ، ت: دقاق (٦) ت: والجبسين؛ ب: سقط (٧) غ، ت: احمد (٨) ب: يظهر أن الناسخ قد عمد إلى تصحيح لفظة "بأم" في الهامش لكنه لا يظهر (٩) غ: كثيرا (١٠) ت: الانبعاثات التي (١١) م: لان (١٢) ب: رفع (١٣) ت: تستضعف (١٤) م: فلنلتجئ (١٥) غ: عند اصليه التي تليان (١٦) ب: تميل (١٧) ب: سقط "بها" (١٨) غ، ب، م: على؛ ت: ثبت "الى" في هامش السطر (١٩) ب: "علاج ينقل" عوض "في الرعاف يميل"؛ م، ت: "علاج تمييل" عوض "يميل".

النحو أيضا وضع المحاجم بين الثديين[١] في نزف الرحم[٢]. والدم يجذب إلى ضد الجهة أو[٣] إلى أقرب المواضع: إما بالفصد وإما بالدلك وإما بشد[٤] الأعضاء وإما بالأدوية مثل الأدوية المدرة للطمث. إلا أن استعمال الفصد في ذلك علاج عرضي؛ وذلك أنه معالجة الشيء بما يجانسه. فينبغي أن يستعمل بتوق، وإنما يشبه أن يكون علاجا ذاتيا حيث يكون الفاعل لانبعاث الدم كثرته[٥].

[١٥١] وأما الانفجار إذا كان في داخل البدن فليس إلى قطعه سبيل إلا بالأدوية القابضة والأغذية[٦] الغليظة. وينبغي أن يؤخذ الاستدلال أيضا هاهنا من وضع العضو وخلقته وسائر الأمور التي عددنا. والأدوية القابضة في ذلك على مراتب، كما أن انبعاث الدم في ذلك على مراتب. فأقوى الأدوية في ذلك الجلنار والسماق والأقاقيا والعفص الفج وقشر[٧] الرمان، والأضعف في ذلك الشاذنج[٨][م] ودقاق الكندر ولسان الحمل وعنب الثعلب. وحمد جالينوس لسان الحمل في النزف[٩] الذي يكون من[١٠] الرحم لتآكل هنالك. قال: ومن شأني إذا استعملته أن أخلط به بعض[١١] الأدوية الشديدة القبض. ومن أصعب هذا الانصداع الذي يكون في باطن البدن انصداع عروق الصدر وأصعب من ذلك انصداع عروق الرئة. وقد ظن قوم أن انصداع عروق الرئةشيء لا يلتحم، وجالينوس يضمن أنه متى[١٢] وقعت إليه هذه العلة في ابتدائها أنه يلحمها بدمها فأما متى صارت إلى التقيح[١٣] فإنه فيما يزعم[١٤] أمر لا يتأتى؛ يعني لا يتأتى[١٥] البرء الكامل فيها. ولكن قد يمكن أن يعيش العليل دهرا طويلا إذا تدبر بالتدبير الذي أصفه، حتى أنه ليس يموت من هذه العلة. وهذا ينفهم[١٦] لعمري من كلام جالينوس وإن كان لم يصرح به كل التصريح. وأما الحدث فشاهدوا ذلك: زعم ابن سينا أن[١٧] امرأة عاشت بذات الرئة عشرين سنة كانت تأكل خبزها بالجلنجبين السكري، وكذلك الحدث من أطباء عصرنا زعموا[١٨] أنهم شاهدوا ذلك في غير ما شخص.

[١٥٢] فأما وجه علاج[١٩] انصداع عرق في هذا العضو من أول الأمر، وذلك إما لصيحة شديدة أو غير ذلك من الأشياء التي من خارج، فذلك[٢٠] يكون إما[٢١] بأن يفصد العليل من أول الأمر من الأكحل إن كان هنالك امتلاء مفرط أو من الباسليق إن لم يكن هنالك امتلاء، والأجود أن يخرج له الدم مقسما على مرتين وتشد منه الأطراف، أعني أصول الأفخاذ وأصول الذراعين، وتأمرهم ما استطاعوا أن لا يسعلوا. وجالينوس يأمر أن

---

(١) غ، ت: في الثديين (٢) ب، م: نزف الدم (٣) ب: و (٤) غ: بشق (٥) م: كثرة الدم (٦) ت: والأدوية (٧) ب، م: وقشور (٨) ب: ثبت في المتن "النشا" (٩) ب: نزف الدم (١٠) م: في (١١) ب، م: اخلطه ببعض (١٢) ب: أنما (١٣) غ، م، ت: التقييح (١٤) ب، م: زعم (١٥) غ، ب: لم يثبت "يعني لا يتاتى" (١٦) ت: فيفهم (١٧) غ، م، ت: "أنه رأى" عوض "أن" (١٨) غ، ت: "زعم هؤلاء القوم بنو زهر" عوض "الحدث من أطباء عصرنا زعموا" (١٩) غ، ت: وجه العلاج ف (٢٠) غ، ت: فبذل (٢١) غ، م، ت: سقط "إما".

يسقوا في أول الأمر خلا ممزوجا بماء إن[١] زكن الطبيب أن في الرئة دما قد انعقد. وهذا العلاج[٢] مضاد للسبب والعرض؛ وذلك أن الخل من شأنه أن يهيج السعال، وهو هاهنا عرض[٣] ينبغي أن تصرف العناية إليه، وهو[٤] أيضا ينكأ القروح فيزيد بهذا السبب في سيلان الدم. فالأحزم في[٥] هذا الموضع أن يتجنب ويسقى العليل ما فيه ردع وقبض[٦] وتقوية، ويختار من القابض ما فيه لطافة لبعد الموضع. وأنفع[٧] الأشياء في ذلك عندي شراب الورد بماء[٨] أنقع فيه جوز[٩] السرو وجفت البلوط وأذناب الخيل، أجزاء سواء. ورأى بعض المتأخرين[١٠] أن يكون الماء[١١] قد أطفئ فيه حديد محمى[١٢] حتى يذهب منه جزء كبير. فبهذا العلاج يمكن أن تندمل هذه القرحة بدمها. وفي هذا كله تلطيف الغذاء من أهم الأشياء: يكفي في[١٣] ذلك ماء الشعير مع سويق حب الرمان أو سويق الشعير بالغداة، وأوقيتان من خبز بالعشي مع خصي ديك.

[١٥٣] وأما إن كان سبب انصداع العرق فيها نزلة أصابت، وذلك إما بجهة تهييجها[١٤] للسعال، وإما بجهة أكلها لجوهرها، وذلك أنه[١٥] إذا كانت عن خلط حاد، فإن الأحزم في هذا الموضع هو الاستفراغ العام: وذلك بالفصد والإسهال ووضع الدواء المجفف على الرأس. وأما[١٦] إن كان السبب في النزلة سببا[١٧] باردا فالقرنفل في ذلك، والفلفل والفوذنج[١٨] نعم الدواء. وأما إن كانت[١٩] عن سبب حار فيكفي في[٢٠] ذلك البسباسة وقشر[٢١] الأترج وبالجملة كل دواء[٢٢] قوي التجفيف قليل الحرارة، فإنه لا سبيل هاهنا أن يندمل الجرح والسبب الفاعل باق، ولأن الوقت ضيق مخافة أن يقيح الجرح. فلذلك[٢٣] ينبغي أن يرفع[٢٤] السبب الفاعل بعناية: وليس ذلك أكثر من أن يجتهد في تجفيف البدن بكل ما يمكننا. ولذلك الترياق في هذا الموضع دواء حسن جدا وبخاصة الحديث، مع أنهم زعموا أن من خاصته قطع الدم كما يقطع الإسهال. فإن[٢٥] كان ذلك كذلك فالعلاج بالترياق مشترك لصنفي انفجار الدم من الرئة[٢٦]، أعني الذي يكون عن[٢٧] سبب من خارج والذي يكون عن سبب من داخل. وحمد[٢٨] جالينوس أيضا في هذا الموضع أقراص أندرون[٢٩] والأقراص المتخذة بالبزور. وأما إذا قاحت فإن جالينوس يزعم أن السبب في امتناعها من[٣٠] قبول البرء أن الصديد ليس إلى

---

(١) ب: أضيف "كان" (٢) غ: أضيف "هو" (٣) غ: غرض (٤) ب: وهذا (٥) ب: أضيف "مثل" (٦) ت: أضيف "وتحليل" (٧) غ. م: أنفع (سقط الواو) (٨) م: أضيف "قد" (٩) في م رسم الكلمة شبيه بـ "حبت" (١٠) غ، ت: "وأحمد (ت: وحمد) أبو مروان بن زهر في ذلك" عوض "ورأى بعض المتأخرين" (١١) م: سقط "الماء" (١٢) ب: محمي (١٣) غ: سقط "في" (١٤) غ، ت: هيجانها (١٥) م: سقط "انه" (١٦) غ. ب: وأما، م، ت: سقط "و" (١٧) ب، م: سقط "سببا" (١٨) م: هكذا "والوذنج" (١٩) م: كان (٢٠) ب: من (٢١) غ: سقط "قشر" (٢٢) غ: سقط "دواء"؛ ت: هناك طمس في هذا الموضع (٢٣) ب: أضيف "ما" (٢٤) غ، م، ت: "يجتهد في رفع" عوض "يرفع" (٢٥) غ: إن؛ ب، م: فإن؛ ت: وإن (٢٦) غ: سقط "من الرئة" (٢٧) ب: من (٢٨) غ، ت: وأحمد؛ ب: اللفظة مطموسة (٢٩) هكذا في غ: اندرخون (٣٠) غ، م، ت: لم ترد لفظة "من".

إنقاء[١] القرحة منه سبيل إلا بالسعال، والسعال يزيد في التورم والتورم يزيد في الصديد. إلا أن هذا لو كان كما زعم لما كان لأحد سبيل إلى أن[٢] ينقطع النفث من رئته ويعيش دهرا طويلا كما حكوا[٣]. لكن يشبه أن يكون السبب في ذلك أن هذا العضو إذا تورم لا[٤] تقبل البرء قرحته[٥] بل تصلب ويبقى العليل كذلك يعيش دهرا طويلا. وذلك شيء راجع إلى جملة[٦] جوهر هذا العضو، لا أن يتكلف في هذا[٧] غير ذلك. ومن قاحت رئته إما بسبب ورم كان هنالك فانفجر بمدة(؟) بيضاء، وإما لانصداع أهمل حتى صار إلى التقيح، فأنفع ما يعالج به ما فيه بعض جلاء وتجفيف مع تقوية كالبرشاوشان والقرصعنة[٨] وقشر الأترج والبسباسة مع عروق السوس والتزام أكل خبزه بمربى الورد أو الزبيب[٩] العسلي. وشرب اللبن في هذا الموضع محمود، وكذلك ماء الشعير. وينقل[١٠] العليل إلى البلاد الجنوبية في الذي يكون سببه زكاما باردا[١١] أيضا.

[١٥٤] وأما قروح قصبة الرئة فإنها أسهل برءا[١٢]، وبالجملة فينبغي في تجفيفها أيضا. وفي تجفيف قروح الرئة بأن تأمر العليل أن[١٣] يمسك في فمه[١٤] ما فيه جلاء وتجفيف مع تمليس ويستلقي على قفاه، فإن بهذا الوجه قد يمكن أن يصل من ذلك إلى الرئة شيء على جهة الرشح، كما يهبط الطل على[١٥] الحائط. وأما انفجار الدم الذي يكون بانفتاح أفواه العروق فعلاجه هو نحو هذا العلاج. وأما[١٦] رشح الدم فشفاؤه يكون بالأدوية الباردة القابضة. وإن كان السبب في ذلك رقة الدم فبالأغذية[١٧] الغليظة. فهذا ما رأينا أن نذكره من[١٨] معالجة تفرق الاتصال الحادث بالعروق. وينبغي[١٩] أن نقول[٢٠] في تفرق الاتصال الحادث بالعصب، فنقول:

[١٧- تفرق الاتصال الحادث بالعصب]

[١٥٥] أما العصب من[٢١] جهة ما شأنه أن يقبل التشنج عند أدنى رطوبة تصيبه فقد يجب أن نعنى غاية العناية عندما تصيبه نخسة أن لا يرم[٢٢]، وذلك يكون بالعناية بجملة البدن أعني بالفصد والإسهال[٢٣] وأن لا يلبث في الجرح صديد[٢٤] أصلا ولا[٢٥] يكون هنالك وجع. ولأن العصب من الأعضاء الغائرة الكثيفة لم يكف في تنشيف

---

(١) ب: "لنقاء" (٢) غ، ت: سبيل أن؛ م: "سبيل أن لا"، وقد أضيفت "لا" في هامش السطر (٣) غ: كما ذكر (٤) ب، م: لم (٥) ت: "القرحة بوجه" عوض "البرء قرحته" (٦) م: جهة (٧) ب: "فيه" (٨) ب: مع القرصعنة (٩) م: بمربا ورد وبالزبيب (١٠) غ، ت: وينتقل (١١) غ، ب، ت: زكام بارد (١٢) ب، م: برء؛ ت: كذا "بروا" (١٣) م: نأمر العليل بأن (١٤) م: فيه (١٥) غ: الظل على؛ ب: الطل إلى؛ م، ت: الطل على (١٦) ب: أضيف "ان" (١٧) ب: فالأغذية (١٨) ب: في (١٩) غ: فينبغي؛ ت: الكلمة مطموسة؛ ب: أضيف "بعد" (٢٠) م: نأخذ (٢١) غ، م، ت: من (٢٢) ت: "الابرة" عوض "أن لا يرم" (٢٣) ب: الإسهال والفصد؛ م: الفصد والأسهال (٢٤) هكذا رسم الكلمة في غ: حديدً (٢٥) ب: الظاهر "وما".

الصديد منه الأدوية اللاحمة[١]، بل أوفق الأدوية له ما كان فيه[٢] تجفيف مع حرارة تجذب ذلك الجزء الصديدي من غير لذع[٣]. ولذلك قد نعنى في أول الأمر في هذا الجرح بتوسيعه. وهذه الأدوية تختلف بالأقل والأكثر: فأضعفها علك البطم إذا استعمل وحده وأقوى من ذلك إذا استعمل مع يسير من الفريفون(م)[٤]. وإنما ينفع وحده[٥] في الأبدان الرخصة. وأما الأبدان الصلبة فيوافقها في هذا المعنى السكبينج(م) وحده مع الزيت فقط[٦] أو مع علك البطم. وكذلك الجاوشير والحلتيت أيضا نافع في هذا المعنى. والكبريت الذي لم تصبه النار إذا[٧] خلط بالزيت نافع في هذه الجراحات. والراتينج[٨] في هذا المعنى[٩] يقرب[١٠] من علك البطم وكذلك العلك الرطب.

[١٥٦] وأما إذا انخرقت[١١] العصبة وقد انكشط من عليها الجلد فليس تحتمل[١٢] مثل هذه الأدوية بل يكفي في[١٣] هذا الموضع النورة المغسولة بالزيت والتوتيا المغسولة أيضا. وإن كان البدن صلبا فحسبك أقراص أندرونز وإذا انقطعت العصبة عرضا ولم تنبتر فهو أشد خوفا منها إذا انقطعت طولا. ولذلك يحذر[١٤] على هؤلاء أن يصيبهم تشنج. فليعن[١٥] بتدبير هؤلاء غاية العناية من إخراج الدم والاستفراغ وتعريق[١٦] رقبته وإبطيه بزيت حار وبخاصة متى كان القرح في اليد، كما أنه يجب أن تعرق[١٧] بالزيت أربية من كان القرح في رجليه.

[١٥٧] وأما ما يسكن به وجع العصب إذا كان غير مكشوف فهو الزيت الحار، لأن الماء الحار هو مضاد لهذا الجوهر: أعني جوهر العصب. وأما إذا كان مكشوفا فالزيت يوضره، إلا[١٨] أن يرهق إلى ذلك شدة الوجع. وينبغي أن تكون الأدوية التي توضع على العصب سخنة بالفعل؛ فإن هذا العضو أكثر شيء تألما عن البرد. وإذا كان التورم، وخفنا على العليل التشنج بترنا العصب فإن بذلك ينجو من الموت، وإن كنا[١٩] بهذا الفعل نورثه[٢٠] زمانة في العضو الواصل إليه ذلك العصب.

[١٥٨] وأما الرباطات فهي تحتمل من المداواة[٢١] ما هو أشد وأقوى من مداواة العصب، وكذلك الأمر في الأوتار؛ وإن كانت الأوتار أقرب إلى العصب. والرباطات التي تتصل بالعضل يجب أن تعالج بمثل معالجة العصب. وأما ما يتصل من ذلك بالعظم[٢٢] فلا تضره الأدوية القوية[٢٣]. وإذ قد[٢٤] قلنا في التفرق الحادث في العروق والعصب، فقد

---

(١) ب، م: اللحمة (٢) غ، ت: فيها (٣) ت: لدغ (٤) غ: الفرفيون (٥) ب: سقط "وحده" (٦) ت: سقط "فقط" (٧) غ: واذا (٨) ب: كلمة مطموسة؛ م: ثبت "الراتيانج" في المتن وصحح في الهامش والتصحيح غير مقروء (٩) ت: أضيف "نافع" (١٠) ب: تقرب (١١) ب: أضيف "هذه" (١٢) م: يحتمل (١٣) ب: أضيف "مثل" (١٤) ب: نحذر؛ ت: تحرز (١٥) ب، م: فلنعن (١٦) غ، ت: وتعرق (١٧) غ، ب: يعرق؛ ت: طمس (١٨) غ: الى (١٩) ب: كان (٢٠) ب: يورثه (٢١) م: أضيف "الى" (٢٢) ت: بالعضل (٢٣) م: سقط "القوية" (٢٤) ب، م: سقط "قد".

ينبغي أن نقول في تفرق الاتصال الحادث في العظم، وهو المسمى كسرا، وبذلك يتم القول في هذا الجنس من المرض، فنقول:

[١٨- تفرق الاتصال الحادث في العظم: الكسر]

[١٥٩] أما ما وقع من الكسر في العظام عرضا فإنه ضرورة يميل من العظمين أحدهما على الآخر[١]، إما يمينا وإما شمالا، وإما قداما وإما خلفا، فيجب لذلك أولا أن نرده[٢] على استقامة. لكن لما كان هذا الكسر في الأكثر ليس يكون مستويا بل بزوائد لم نأمن إن رمنا رده أن تنكسر تلك الزوائد فيقع في بلية أعظم. فلذلك يجب أن يمد كل واحد من العضوين[٣] عن صاحبه مدا ما، وذلك باليد أو[٤] بالآلات[٥] التي كانت جرت[٦] عادة القدماء أن يمدوا بها، إن كان في زماننا هذا من يحسن ذلك، فإذا مد العضو ترك حتى يتقلص بالعضل الذي فيه ثم يسوى ما هنالك إن احتيج إلى التسوية[٧]. ولأن[٨] العليل لا يمكنه أن يحفظ العضو المكسور على الوضع الذي رد عليه وبخاصة عند النوم وعند الحركة إلى الخلاء، فلابد من ربطه[٩].

[١٦٠] وأوفق الربط له فيما يراه أبقراط أن يتخذ[١٠] له لفافتان[١١] نبتدئ بإحداهما من موضع الكسر ثم يصار بها[١٢] إلى فوق الكسر. واللفافة الأخرى يبدأ بها أيضا من موضع الكسر ثم يمر[١٣] إلى أسفل العضو. وإنما اختار أبقراط هذا الرباط لأنه يجمع مع شد العضو أنه يمنعه من أن تنصب إليه مادة[١٤] فتورمه، بخلاف ما يكون الأمر لو ابتدئ بالرباط من فوق إلى[١٥] الجرح نفسه. وأبقراط يأمر أن يجعل[١٦] هذا الرباط غبا(م)، وذلك في السابع الأول خوفا من أن يحدث هنالك تورم. ومتى حدث أدنى وجع حل الرباط وطلي[١٧] على العضو بالأدوية المسكنة للوجع[١٨]. وكذلك متى وجد في العضو حكة نُطل بالماء السخن. فإذا تجاوز السابع وأمن الورم فليس يكفي حينئذ في إمساك العضو على وضعه تلك اللفائف[١٩] فقط، مخافة أن ينجبر معوجا، بل يوضع على اللفائف رفادات تمسك العضو. قال الرازي والجابرون من أهل زماننا فإنهم[٢٠] يضعون الرفائد من أول الأمر في السابع. وأما أبقراط فإنه يحذرها مخافة التورم. وأيضا في[٢١] السابع ليس يخاف على العظم أن ينجبر معوجا، بل ينبغي أن تكون العناية في السابع

---

(١) غ، م، ت: يميل (م: تمييل) العظم من احدهما عن الاخر (٢) غ: نردها؛ ب: نردهما؛ م: نرده؛ ت: (تردهما (٣) غ: العضو (٤) م: سقط "باليد أو" (٥) ت: بالالة (٦) ب: سقط "جرت" (٧) ب، م: "احتاج الى التسوية" (٨) م: لان (٩) أضيف "ضرورة" في ب دون بقية النسخ (١٠) غ: يتخير، ت: طمس؛ ب، م: يتخذ (١١) غ، ب: لفافتين؛ في نسختي م و ت طمس؛ ونرجح "لفافتان" (١٢) غ، ب، ت: سقط "بها" (١٣) غ، ت: تمد؛ ب: يمر؛ م: يمد (١٤) غ، ت: المادة؛ ب، م: مادة (١٥) غ: سقط "الى" (١٦) غ، ب: يحل؛ ت: طمس (١٧) ب: فطلي (١٨) ب، م: لم يثبت "للوجع" (١٩) م: اللفاف (٢٠) ب، م: سقط "فانهم" (٢١) م: سقط "السابع واما أبقراط...وايضا في".

الأول مصروفة إلى منع حدوث الورم. قلت وأما الجابرون من أهل زماننا فإنهم يضعون الرفائد في أول الأمر مع بعض الأدوية التي تشد العضو كدقيق الدرمك وبياض البيض وغير ذلك، ويتركون العضو كذلك إلى أن يبرأ. وأظن أن من يتخلص بين يدي هؤلاء من التورم فإنما يتخلص بالاتفاق. بل ينبغي أن تحل الرفائد بعد السابع الأول، وذلك لا أقل في كل(١) سبعة أيام وينظر كيف انعقاد(٢) ذلك الرشيد(٢).فإن العظم لا ينجبر بعينه وإنما ينجبر هنالك شيء(٣) شبيه به. فإن كان أغلظ مما يجب وضع هنالك من الأدوية أدوية كثيرة التجفيف وشدت(٤) اللفائف. فإن(٥) كان أرق نطل بالماء السخن وأرخيت اللفائف، وإن كان معتدلا فالأدوية الداملة من(٦) أوفق شيء لتولد مثل هذا الجوهر لأنها بيبسها تعينها على(٧) الانعقاد. وأما التدبير بالغذاء والدواء ففي السابع الأول ينبغي أن يشق لصاحبه العرق ويسهل، إن كان هنالك امتلاء بخاصة، ويلطف الغذاء جملة. فإذا تجاوز السابع الأول غذي بأغذية شبيهة بذلك الجسم الذي نروم(٨) توليده وهي الأغذية الغليظة اللزجة. وأما إن كان الكسر مع جرح فينبغي أن يترك فم الجرح مكشوفا ليسيل الصديد منه. وإن كانت شظايا من عظام توجع فلتخرج. وأما إذا كان الشق طولا فالرباط نفسه يشفي من ذلك مع ما ذكرنا من التدبير. وأما أمر عظام الرأس إذا نفذ الجرح فيها إلى الصفاق فإنه ينبغي أن يقور ما حواليه من(٩) العظم وينشف الصديد، وإلا لم يكن سبيل إلى برئه. ومن يفعل ذلك غير موجود في زماننا هذا. فهذا(١٠) هو القول في جميع أصناف سوء المزاج وأصناف تفرق الاتصال المنسوبين(١١) أولا إلى الأعضاء المتشابهة وثانيا إلى الآلية وينبغي بعد أن نقول في الأمراض التي تنسب(١٢) إلى الأعضاء الآلية نسبة أولى، فنقول:

[١٩- أمراض الأعضاء الآلية]

[١٦١] إن الأمراض المنسوبة إلى الأعضاء الآلية منها أمراض الزيادة في العدد والنقص –فإن أمراض الزيادة والنقص في المقدار هي منسوبة إلى المتشابهة– ومنها أمراض الخلقة وهي تنقسم(١٣) إلى الشكل والملاسة والخشونة والسدة والانفتاح، ومنها أمراض الوضع(١٤).

[١٦٢] أما أمراض الزيادة في العدد فمنها الطبيعي كالأصبع الزائدة(١٥) وهذا(١٦) لا تكاد تنظر فيه صناعة الطب، ومنها غير الطبيعي وهذا(١٧) أصناف: فمنها الحصى

---

(١) ب: سقط "كل" (١) م: انجبار (٣) ب: سقط "شيء" (٤) م: وشددت (٥) ب، م: وإن (٦) ت: سقط "من"
(٧) ب: تثبتها بعينها على؛ م: بيبسها تغنيها عن (٨) غ، م: تروم (٩) غ، ت: الى؛ ب، م: من (١٠) م: وهذا
(١١) غ، ت: المنسوبان (١٢) ب: أضيف "بعد" (١٣) ب: وهذا ينقسم (١٤) ت: سقط "ومنها امراض الوضع"
(١٥) غ، م، ت: السادسة (١٦) م: وهذه (١٧) نفسه.

المتولدة في المثانة والكلى. ومنها الحيات والديدان المتولدة في البطن، ومنها الخيلان والثآليل المتولدة في البدن، ومنها نزول الماء في العين، ومنها الظفرة[م]، ومنها البردة[م]، ومنها القيح المجتمع في العين، ومنها الرحى المتولدة في أرحام النساء. وكل هذه أسبابها[١] المتقدمة المادة الخارجة عن الطبع في كميتها وكيفيتها. فإن كانت بعدُ هذه العلل في حد التكون فالعناية أولا إنما تكون بقلع أسبابها، وذلك يكون بالاستفراغ العام، ثم بعد ذلك قلع تلك الزوائد وإزالتها[٢]. وإن كانت هذه العلة قد تم تكونها فليس الغرض من شفائها إلا غرض واحد وهو قلع الزوائد. فهذه هي المداواة التي تعم جميع هذه الأصناف[٣]. وأما ما يخص[٤] واحدا واحدا منها فهو ما أقول: أما الحصى فقلعها وإزالتها يكون بالأدوية المخصوصة بذلك وقد ذكرت فيما سلف. وأما الديدان والحيات فإنها تقتل بالأدوية المرة كالأفسنتين والشيح. وأما الدود المعروف بحب القرع[٥] فيحتاج إلى أقوى من ذلك بمنزلة الشرخس[م]. وأما الخيلان والثآليل فإنها تقلع بالأدوية وبالحديد. وأما المنكوسة من ذلك فإنها تقلع[٦] بريشة تلتقمها كما تدور، وأصلح الريش لهذا الفعل ريش الديوك وريش العقبان.

[١٦٣] وأما الماء النازل في العين فإنه إذا كان نضجا فإنه ينقلع بالقدح[٧][م]. وأما القيح فإنه يقلع بأن يحدر إلى أسفل. قال جالينوس وأعرف رجلا من الكحالين[م] كان يجلس المريض على كرسي ويهز رأسه حتى يرى القيح قد انحدر. وليس يمكن[٨] هذا في الماء النازل في العين فإنه شبيه بالغمام يرجع عندما يزال إلى أسفل. ولذلك ليس الحيلة فيه إلا أن يغوص في خمل[م] العين وإلا عاد. والشيافات المتخذة بالمرارات نافعة في نزول الماء وفي[٩] القيح. وقد يستفرغ القيح بالبط.[م] وأما الظفرة فإذا كانت كبيرة[١٠] فقلعها يكون بالحديد وإذا كانت صغيرة فبالأدوية. وأما البردة فقطعها يكون بالحديد. وأما العلة المعروفة بالرحى فقلعها يكون بالأدوية المدرة للطمث المسقطة للأجنة. وأما أمراض النقص فمنها سقوط الشعر وتمرطه في العلة المعروفة بالقرع وداء الثعلب و[١١] الحية. وأما نقصان أصبع أو غير ذلك من الأعضاء فلا سبيل إلى برئه.

[١٦٤] وأما الحيلة في وجه انجبار الشعر وتولده، فلما كنا قد علمنا أن الشعر تولدُه إنما يكون من الفضل الدخاني كان ضرورة[١٢] سقوطه من فساد هذا الفضل وخروجه عن الطبع في كيفيته. ولذلك ما ينبغي أن نزكن إلى[١٣] الفضل الغالب على البدن فتخرجه بالإسهال. وكذلك نستعمل الأدوية المحللة فيما لحج من ذلك في العضو

---

(١) ت: يظهر "اشبه بها" عوض "اسبابها" (٢) غ: قلع تلك الزوائد وازالته؛ ب، م: قلع ذلك الزائد (ب: الزوائد) وازالته (٣) م: الاوصاف (٤) ب: يختص (٥) م: الدود وحب القرع (٦) غ، ت: فلتقلع (٧) ب: يظهر "بالقرح" (٨) ب، م: أضيف "مثل" (٩) ت: ومن (١٠) غ: كثيرة (١١) ت: أضيف "داء" (١٢) م: أضيف "فساده و" (١٣) غ: تركن على (م: الى)؛ ب: نزكن على؛ ت: نركن على.

نفسه. وأما نقصان اللحم فقد قلنا في وجه جبره. وأما أمراض الخلقة فأحدها، كما قلنا، الشكل. وهذا أكثر ذلك إنما يكون طبيعيا؛ فلذلك لا سبيل إلى إصلاحه. وأظن أن الأعضاء المؤوفة الشكل لو وضعت من أول الولادة في قوالب مستقيمة الشكل وبقيت كذلك زمان النمو كله لاستقام شكلها. ومنها أمراض الملاسة والخشونة. أما أمراض الخشونة فإنما يفعلها أبدا خلط حريف، وذلك إما مرة صفراء وإما سوداء وإما بلغم مالح. وشفاء هذا يكون باستفراغ هذا الفضل وإحالته وتقوية[1] الأعضاء الخشنة أن لا ينصب إليها مثل هذا الفضل بالأدوية القابضة وتمليسها بالأدوية الملسة. وكثيرا ما يتضاد هاهنا قلع السبب مع[2] العناية بتمليس[3] العضو نفسه مثل السحج الحادث عن البلغم المالح[4]. لكن ليس يخفى عليك من القوانين المتقدمة كيف يصنع[5]. وأما أمراض الملاسة فسببها الأخلاط اللزجة؛ وشفاؤها يكون بقلع تلك الأخلاط. ومنها أمراض السدد؛ وشفاء السدد إن كانت في حد التكون فباستفراغ الخلط الفاعل لها وتفتيح السدد نفسها بالأدوية المفتحة، وإن كانت[6] قد فرغ تكونها وليس هناك امتلاء فبالأدوية المفتحة فقط. وأما انفتاح[7] المجاري فعلاجه[8] يكون بالأدوية القابضة المقوية للعضو، وقد تستعمل فيه المخدرة. وذلك إذا أفرط فعل القوة الدافعة أو الماسكة[9] الملسة.

[١٦٥] وأما أمراض الوضع فمن أشهرها الفتوق الحادثة في البطن والأنثيين. والفتوق التي في البطن تعالج بأن يستلقي العليل على ظهره ولا يتصرف، وبالأدوية القابضة اللطيفة القبض[10] كجوز السرو وجفت البلوط وما أشبه[11] ذلك، وإن كانت هنالك نفخة تمنع المعى أن يرجع عولج بالأدوية المحللة للنفخ. وأما الفتوق التي تعرض في الأنثيين فما كان من ذلك عن رطوبة أو ريح فعلاجه يكون بالأدوية المحللة الرداعة. وأما ما كان عن انحدار المعى هنالك فبالأدوية القابضة ويلزم[12] العليل وضعا يمكن فيه[13] أن يرجع ذلك المعى[14] وتركه التصرف جملة؛ وهذا الصنف عسير العلاج. ومن أمراض الوضع الحدبة، وعلاجها يكون باستفراغ الخلط المزلق للفقار واستعمال الأدهان المحللة العطرة هنالك. ومن أمراض الوضع أيضا[15] الخلع ومداواة هذا[16] تكون برد العضو إلى موضعه قبل أن يرم. وجميع الأعضاء إذا انخلعت اختل وضعها إلا خلع العضد من المنكب ومفصل الورك لأن رأس العضد إذا انخلع يدخل في الإبط ورأس الفخذ في الأربية. والعلامة لخلع[17] مفصل العضد نتوء[18] مستدير تحت الإبط. وكذلك يحس في خلع المفصل في الأربية.

---

(١) غ: وتقويته (٢) ب، م: و؛ ت: سقط (٣) غ: بتملس (٤) م: بلغم مالح (٥) ب، م: تصنع؛ ت: الحرف الاول من دون نقط (٦) ب: كان (٧) غ: "انتفاخ" (٨) ب: فعلاجها (٩) غ، م: المسكنة؛ ت: المسكة (١٠) م: سقط "القبض"؛ ب: اللطيفة القابضة (١١) غ: واشباه (١٢) غ: وبلزوم (١٣) م: به (١٤) م: سقط "المعى" (١٥) غ: سقط "ايضا" (١٦) ب: أضيف "ايضا" (١٧) ب: لانخلاع (١٨) ف ب: "نُتُوٌّ".

[١٦٦] فهذا هو القول في معالجة جميع أصناف[١] الأمراض بأوجز ما أمكننا وأبينه. وقد بقي علينا من هذا الجزء القول في شفاء مرض مرض من الأمراض[٢] الداخلة على عضو عضو من الأعضاء. وهذا وإن لم يكن ضروريا، لأنه[٣] منطو بالقوة فيما سلف من الأقاويل الكلية، ففيه تتميم ما وارتياض. فإنا[٤] ننزل فيه[٥] إلى علاجات الأمراض بحسب عضو عضو -وهي الطريقة التي سلكها أصحاب الكنانيش- حتى نجمع في أقاويلنا هذه إلى الأشياء الكلية الأمور الجزئية. فإن هذه الصناعة أحق صناعة ينزل[٦] فيها إلى الأمور الجزئية ما أمكن، إلا أنا نرجئ هذا إلى وقت نكون فيه[٧] أشد فراغا لعنايتنا في هذا الوقت بما يهم من غير ذلك[٨]. فمن وقع له هذا الكتاب دون هذا الجزء وأحب أن ينظر بعد ذلك في الكنانيش فأوفق الكنانيش له الكتاب الملقب بالتيسير الذي ألفه في زماننا هذا أبو مروان بن زهر. وهذا الكتاب سألته أنا إياه وانتسخته فكان ذلك سبيلا إلى خروجه. وهو، كما قلنا، كتابٌ، الأقاويل الجزئية التي قيلت فيه شديدةُ المطابقة للأقاويل الكلية. إلا أنه مزج[٩] هنالك مع العلاج العلاماتِ، وأعطى[١٠] الأسباب على عادة أصحاب الكنانيش. ولا حاجة لمن يقرأ كتابنا هذا إلى ذلك، بل يكفيه من ذلك مجرد العلاج[١١]. وبالجملة من تَحصَّل[١٢] له ما كتبناه من الأقاويل الكلية أمكن له[١٣] أن يقف على الصواب والخطأ من مداواة أصحاب الكنانيش في تفسير[١٤] العلاج والتركيب. والله الموفق للصواب (*).

---

(١) م: اجناس (٢) ت: عرض عرض من الاعراض (٣) غ: فانه (٤) ب، م، ت: لانا (٥) غ، ت: فيها (٦) ب، م، ت: نزل (٧) م: سقط "نكون فيه" (٨) ب: أضيف ما يلي: "والقول الكلي الصناعي هو أن يقال في الأمراض ثم في علاج أسبابها ثم في الأعراض ونحصر فيها أفعال الأعضاء ثم يقال انما تركبت الأسباب مع الأمراض والأمراض مع صنفي الأعراض أعني التي هي أفعال الأعضاء والتي هي أعراض بالحقيقة ثم في ثلاثتها إذا اجتمعت ثم ننظر بعد هذا نظرا جزئيا في الكنانيش لمن وقع له فراغ فإن النظر في الكنانيش يعطي الأدوية الخاصة في عضو عضو ويعطي مبدأ ضرر الأفعال لا في قوة من القوى الطبيعية الأربع فينسب ذلك المرض مثال ذلك أنه إذا حمض الطعام في المعدة علم أنه من برودة المعدة ورطوبتها وعلم أي دواء يصلح لهذا المرض في المعدة وعلم أنه منسوب إلى القوة النفسانية" (٩) غ: شرح؛ ب، ت: مزج؛ م: عبارة غير واردة (١٠) غ، ت: واعطاء؛ م: غير واردة (١١) في م لم ترد العبارة "فمن وقع له هذا الكتاب" إلى "يكفيه من ذلك مجرد العلاج"؛ أضيف في ب و ت: فقط (١٢) غ: يحْصل (كذا) (١٣) غ: يمكنه؛ م: سقط "له"؛ ت: طمس (١٤) ب: نفس؛ ت: نفس.

(*) ختم الكتاب كما يلي في:

مخطوطة غرناطة:

لا رب غيره وهو حسبنا ونعم الوكيل كمل الكتاب والحمد لله على نعمه التي لا تحصى وصلى الله على محمد رسوله المصطفى وعلى آله وسلم تسليما وكتبه لنفسه بقرطبة كلأها الله عيسى بن أحمد ابن محمد بن نادر الأموي القرطبي وكان فراغه منه يوم الجمعة في العشر الوسط من صفر ثلاث وثمانين وخمس مائة بلغت مقابلة بكتاب مؤلفه الشيخ الفقيه القاضي الأورع الأمجد الإمام الأوحد أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد رضي الله عنه وعن سلفه وأدام مدته وأبقى بركته وذلك بقرطبة حرسها الله.

مخطوطة مدريد:

بمنه وكرمه كمل الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيئين وعلى آله وسلم تسليما وذلك في شهر ربيع الأول عام ثلاثة وثلاثين وستمائة وكتبه بخط يده لنفسه محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الملك بن حاضر وفقه الله.

مخطوطة بيترسبورغ

انتهى الكتاب والحمد لله الوهاب وكان الفراغ من نسخه في ظهر يوم الثلاثاء الحادي والعشرين لشهر صفر من عام تسعة وستين وستمائة وبموافقة الخامس والعشرين لشهر يناير من التاريخ العجمي والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد خاتم النبيئين وسلامه.

فهرس الأعلام

معجم المصطلحات

يشتمل هذا المعجم على جميع المصطلحات والألفاظ التي تتكون منها لغة الطب في الثقافة العربية كما وردت في هذا الكتاب (كتاب **الكليات** في الطب لابن رشد). وقد اعتمدنا في شرحها على "مفردات الأدوية" الواردة في كتاب علي بن العباس المجوسي "الكامل في الصناعة الطبية" وكتاب ابن سينا "القانون في الطب"، إضافة إلى الكتب والمعاجم المختصة في المصطلحات مثل "مفاتيح العلوم" للخوارزمي، و"كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم" للتهانوي و"جامع العلوم" الملقب بـ"دستور العلماء" لعبد النبي نكري و"تعريفات" الجرجاني، وقواميس اللغة، بدءا من "لسان العرب" إلى "المنجد في اللغة والآداب والفنون" الخ. واعتمدنا كذلك المعاجم الصادرة عن "مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي" بالرباط، وبالخصوص منها "معجم النبات الأصيل" ومعجم "شوارد طبية" اللذين وضعهما الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله (المجلد الثاني عشر/ الجزء الثاني، والمجلد الخامس عشر /الجزء الثاني). وقد استفدنا كثيرا من هذين المعجمين خاصة في وضع المقابل الفرنسي للمصطلحات العربية. كما أدرجنا الترجمة اللاتينية لـ"مفردات الأدوية" الواردة في "الكليات " كما ترجمت في المخطوطة التي صورها معهد الدراسات المغربية بتطوان بالمغرب عام ١٩٣٩، فوضعنا المقابل اللاتيني بين معقوفتين [ ]. وقد قام بالترجمة كريستوبال بيرس بيرا. ومع علمنا بالمآخذ التي سجلت على هذه الترجمة، فقد ارتأينا إدراجها لما قد يكون في ذلك من فائدة.

وغني عن البيان القول إننا نورد تعريفات القدماء بقطع النظر عن موافقتها أو عدم موافقتها لما ينص عليه الطب اليوم. وقد تجنبنا ذكر المراجع التي نقتبس منها هذه التعريفات تلافيا للتكرار، ولأن المراجع القديمة في هذا متشابهة يأخذ بعضها عن بعض. والأمر كذلك في القواميس على العموم.

وعلى أية حال فلم يكن هدفنا من هذا المعجم وضع قاموس عام شامل بالمصطلحات الطبية العربية حسب المعايير المعجمية المعروفة، بل ينحصر هدفنا هنا في تزويد قارئ هذا الكتاب -كتاب "الكليات في الطب" لابن رشد- بمرجع يشرح المصطلحات والمفردات التي تتكون منها لغته الطبية. وقد اقتصرنا بخصوص "مفردات الأدوية" على التعريف بها دون ذكر خصائصها الطبية لكونها مذكورة في متن الكتاب.

هذا وقد تمت الإحالة إلى هذه المصطلحات داخل المتن بحرف (م) مكتوب إلى أعلى يسار الكلمة. والقاعدة أن الإحالة تتم مرة واحدة، غير أننا كررناها من حين لآخر قصد التنبيه. ولا بد من التنبيه أيضا إلى أن المصطلحات وعلى العموم الألفاظ الإصطلاحية التي ترد في العبارات الشارحة في هذا المعجم مشروحة فيه في مكانها من الترتيب الهجائي الذي بني عليه هذا القاموس.

– أ –

أبجة: هو الخنثى. انظره في حرف الخاء.

أبزن: صهريج الماء في الحمام.

إبطي: ذو علاقة بالإبط. (axillaire). غدد إبطية : glandes axillaires

أبهر: ويسمى كذلك بالشريان الأورطي (aorte) (عمود السَّحْر). والأبهران: الشريانان الكبيران الخارجان من القلب.

أبهل: هو العرعر الذكر، يشبه الزعرور وأشد سوادا منه. وشجره صنفان: صنف ورقه كورق السرو كثير الشوك يستعرض بلا طول، وصنف ورقه كالطرفاء وطعمه كالسرو. genévrier sabine [juniperus]

أبو رسما: ورم أبو رسما: ورم لونه لون الباذنجان والبنفسج. موضعه ينبض، وإذا ضغط عليه باليد ذهب أكثره، ويسمع له صرير أحيانا.

أتانين: جمع أتُّون: موقد النار.

أترج: الأُترج والأُترج و"التُّنج"، والترنج: شجر بستاني من فصيلة الليمون، ناعم الورق. زهره وثمره وقشره كلها كثيرة المنافع، زكية الرائحة. والأترج معروف قديما عند العرب. cédrat, [cirus] cédratier

إثمِد: حجر يكتحل به . انتيمون: antimoine

إثنا عشري: معي متصل بالبواب، طوله اثنا عشر أصبعا.

أثومال: ماء العسل.

احتقن: احتقن البول: اجتمع في الجوف. واحتقن المريض: احتبس بوله. احتقن العضو تجمع فيه الدم فانتفخ. Congestion
أيضا: احتقن المريض: استعمل الحقنة. والحقنة: كل دواء يدخل في المقعدة لتسهيل بطن المريض.

أُدرة: الأُدرة نفخة في الخصية وهي القيلة. Hydrocèle ورجل آدر: ومأدور: أصابه فتق في إحدى الخصيتين . hernieux

إذخر: طيب العرب: jonc aromatique ou odorant نبات منه أعرابي طيب الرائحة ومنه آجامي، ومنه دقيق وهو أصلب ومنه غليظ وهو أرخى، ولا رائحة له . منه ما لا ثمر له ومنه ما له ثمر أسود. وأما زهره فهو إلى الحمرة وهو شبيه في رائحته برائحة الورد .إذخر مكي: andropogon nardus

أذن الأرنب: يسمى أيضا **أنف العجل، ولصّيق**، ويعرف بالمغرب **بآذان الغزال، بخور مريم**. نبات معروف، صغير الورق، فرفيري الزهر، في بزره خشونة، يلصق بالثياب، ورقه يشبه أنف العجل أو أذن الغزال أو أذن الأرنب، ولذلك سمي بهذه الأسماء. cynoglososse [cynoglosum]

أذن الفأر: حشيشة تنبسط على وجه الأرض دقيقة القضبان، بزرها يشبه بزر الكزبرة، زهرها أصفر، لا طعم ولا رائحة لها؛ ومنها نوع آخر حشيشته شبيهة باللبلاب صغيرة الأوراق بنفسجية الزهر.
le mysotis; [myosotis]

أذن النعجة: انظر **إكليل الملك**. [mililotos]

أَرْبيّة: أصل الفخذ، أو موضع طيّ الفخذ، وأصلها أُربوية (inguen)

أرزن: الأرزن: "شجر صلب العود تتخذ منه العصي". (أرزّاً cèdre)

أرضي : من عنصر التراب أحد العناصر الأربعة. ما يغلب في تركيبه هذا

العنصر.

أرمدة: الأرمد: ما كان على لون الرماد.

أرون: هو **اللوف** والصارة . نبات ورقه شبيه بورق أقيطون وأصغر، وجذره شبر. وثمرة الجعد منه أصغر في حجم الزيتونة. منه سبط ومنه جعد أصفى من الذي يقال له لوف الحية . luffa, arum (gouet)

أزدهالجية : من الأزدهالج هو الحسو المتخذ من الدقيق .

أزمة: مرحلة الأزمة في المرض هي الأيام الحرجة وهي "المرحلة الثالثة" من تطور المرض. la crise; (crisis)

آس: **هو الريحان، والعمار، والمرسين**: نبات مشهور، طيب الرائحة، متنوع الأجناس، أفضله الشامي؛ والأسود منه أقوى من الأبيض غير أن الأبيض أجود زهرا؛ منه بري ومنه بستاني، وأنفعه الجبلي؛ فيه مرارة مع عفوصة وحلاوة. [myrtus] myrte

أسارون: - **ناردين بري**. حشيشة ذات بزور كثيرة وأصول كبيرة ذوات عقد معوجة، زكية الرائحة لذاعة اللسان، لها زهر بين الورق عند أصولها، ولونها فرفيري شبيه بزهر البنج، وأصولها أنفع ما فيها. وهذه الحشيشة كانت معروفة بالأندلس في عهد ابن رشد وكانت ولا تزال تنبت في سهول وجبال إسبانيا. asaret, [asarum]

- **وأسارون** أيضا اسم عقار معروف في حوانيت العطارين بالمغرب.

استحصاف: استحكام. استحصف الحبل: شد فتله. الحصيف: كل محكم لا خلل فيه. وبدن مستحصف: غير رخو ولا لين. وهو المقصود في المتن.

استرخاء: شلل: استرخاء العضو فلا يحس ولا يتحرك، ويلحق الأعضاء المدبرة، ويقال لذلك **ايريلقسيا**.

استسقاء: الاستسقاء: أن ينتفخ البطن وغيره من الأعضاء. تجمع سائل مصلي في التجويف لبريتوني لا يكاد يبرأ منه. Hydropisie.
الاستسقاء الدماغي: مرض خَلقي في الغالب يزداد فيه السائل المخي الشوكي في بطون الدماغ فيمددها ويرققها. Hydrocéphalie
الاستسقاء الطبلي: tympanisme, ballonnement أن يكون البطن منتفخا متمددا يسمع منه مثل صوت الطبل.
الاستسقاء الزقي: أن تنتفخ البطن وتنتؤ السرة وتسمع خضخضة إذا حركته.
والاستسقاء الحمي: أن يكون في الأجفان والاطراف ورم رخو ويترهل الوجه والبدن كله.
وسمي هذا الداء :**الاستسقاء**، **والسقي**: لدوام عطش صاحبه.

استفراغ: يعنون به إخراج الفضول من البدن إما بالرعاف وإما بالقيء الخ، الخ.

اسطوخودوس: نبات يعرف بالمغرب **بالحلحال**. ويسمى بالأمازيغية : **تيمرزا**. stoechas; [levandula]

اسفيداج: اسفيداج واسفداج: يسمى الوجه، والبازوق. وهو رماد الرصاص والأنك يدخل في تركيب المراهم. [cerussa]

اسفيناج: واسفيناخ واسفانخ واسبانخ واسبناخ: هو نوع من القطف: بقلة برية وبستانية معروفة تشبه الرجلة إلا أنها أطول قضبانا، وورقها غض طري، فيها بزر صغير وفي طعمها ملوحة ولزوجة، توجد عند المياه. هذا النبات أدخله العرب إلى الأندلس من إيران. épinard, [spinacia]

إسمانجوني: لونه لون السماء. فارسية. السوسن الأسمانجوني.

أسيلم: عرق بين الخنصر والبنصر وهو من شعب الباسليق وهو معرب.

أشق: يسمى علك الكلخ ولذاق الذهب، ويعرف بالمغرب بالفاسوخ؛وهو صمغ امونياكي. [DOREMA AMMONIACUM] GOMME AMONIAQUE

أشنة : قشور دقيقة لطيفة تلتف على شجر البلوط والصنوبر والجوز والشربين لها رائحة طيبة؛ والجيد منها هو الأبيض، والأجود منها ما كان على شجر الشربين.[jumperus oxycedrus], lichen

اعتدال: **اعتدال الغذاء**: الغذاء المعتدل هو "الذي في قوته واستعداده أن يستحيل عن الطباع (=أن يتحول) إلى رطوبة شبيهة بالرطوبة الأصلية التي في الأعضاء المتشابهة الأجزاء وإلى حرارة غريزية شبيهة بالحرارة التي في المغتذي حتى تكون هي هي من جميع الوجوه".

معنى اعتدال الدواء: "معنى قولنا في الدواء إنه معتدل: أي إذا تناول الحيوان منه مقدارا غير محسوس بالإضافة إلى كمية الأجزاء المتحللة من جسمه لم يحدث هنالك حالة غريبة في البدن. وأما لو تناول الإنسان من الدواء مقدار ما يتناول من الغذاء لأحدث في جسمه حالة غريبة ضرورة" (المتن).

اعتدال تركيب الأخلاط الأربعة، عدم غلبة بعضها على الباقي: la crase . وفقدان الاعتدال هو العكس: la discrasie .

الإنسان المعتدل: يقول ابن رشد في شرح الأرجوزة: الذي ينبغي أن يفهم من "الإنسان المعتدل"، "لا أنه الذي تركيت فيه أجزاء الأسطقسات على السواء فإن هذا قد تبين في العلم الطبيعي أنه ممتنع" وإنما المعتدل هو "باعتبار نسبة أجزاء الأسطقسات فيه بعضها إلى بعض. وإذا اعتبر من هذه النسبة وجدت الحرارة فيه من حيث هو حيوان أغلب من البرودة، والرطوبة أغلب من اليبوسة. فإذن الإنسان بالجملة هو حار رطب وله طرفان في الحرارة والرطوبة يختلفان اختلافا في الغاية. والمتوسط بينهما هو الإنسان المعتدل".

أعضاء: تقسيم الأعضاء إلى بسيطة (simples) ومركبة (composés) تكرس في طب القدماء منذ جالينوس. وهذا التقسيم تنبني عليه كثير من المفاهيم والنظريات الطبية والفلسفية كما يلاحظ القارئ ذلك في المتن.

أعضاء آلية: مثل اليد والمعدة والقلب، أي التي تقوم بدور الآلة لشيء آخر: القبض باليد، الهضم بالمعدة، توزيع الدم بالقلب .

أعضاء متشابهة الأجزاء: هي التي جميع أجزائها متشابهة كالعظم واللحم الخ.

أعور: الأعور: معي على هيأة الكيس. وسمي الأعور لأنه لا منفذ له. ويسمى المرغة.

إعياء: كلال مفرط يحدث في المفاصل والعضلات ويسمى تعبا. وأصناف الإعياء عند الأطباء القدماء ثلاثة: القروحي والتمددي والورمي.

أفاويه: جمع فوه: توابل تجلب من بلاد الهند.

أفسنتين: نبات من المركبات الأنبوبية الزهر زكي الرائحة مر الطعم، يستعمل في صناعة بعض أنواع الكحول. ورقه كورق السعتر. ويعرف في المغرب **بالشيبة**: يضاف إلى الشاي كالنعناع، خاصة في فصل الشتاء. وتعرف في مصر بالدمسيسة. absinthe

أفيثمون: وأفيتمون وابتيمون: نبات شبيه بنسج العنكبوت، خيوط صفر لا أصل لها ولا ورق. Cuscute; [epitym ; epitymum]

أفيون: هو عصارة الخشخاش الأسود المصري وقد يتخذ أيضا من الخس البري وهو مخدر ومنوم، المختار منه الحاد الرائحة السهل الانحلال في الماء. opium

أقاقيا: يسمى أم غيلان، وشجرة الطلح، ويعرف **بالشوكة المصرية**؛ شجرة ذات شوك غير قائم وكذلك أغصانها؛ ولها زهر أبيض وثمر مثل الترمس؛ أجودها الطيب الرائحة الأخضر الضارب إلى السواد. [acacia]

أقحوان: الأُقحوان والقحوان والجمع أقاحي وأقاح: نبات أوراق زهره مفلجة صغيرة تشبه بها الأسنان، أصله من الشرق الأقصى. Chrisanthème ; leucanthème; athemis

أقراباذين: تركيب الأدوية.

إقليميا: ما يتولد من الدخان الصاعد عند طبخ المعدن كالفضة والذهب

والنحاس.

أكحل: من العروق غير الضوارب بين الباسليق والقيفال. واسم الأكحل عربي. (veine médiane)

إكراب: إسراع. يقال خذ رجليك بالإكراب: عجل الذهاب. إكراب الدواء: التعجيل به.

إكليل الملك: تسميه العامة بالمغرب **بأذن النعجة**. ويعرف في بعض أقاليم المشرق بسقيفون؛ هو نبات تِبني اللون هلالي الشكل يعرف عند الفلاحين بالنفل؛ وهو على نوعين أبيض وأصفر، كثير الأغصان ذاوت أربع زوايا، ورقه شبيه بورق السفرجل إلا أنه أطول، ينبت في مواضع خشنة وهو كثير الوجود، مر الطعم زكي الرائحة. melilot; [melilotus ; trifolium]

آلة: الوسيلة، والمقصود هنا وسائل حفظ الصحة وهي الأغذية، ووسائل إزالة المرض وهي الأدوية.

أم جافة: الغشاء الظاهر للمخ والحبل الشوكي؛ والأم الحنونة. (dure mère /*dura mater* -)

أم الدم: اجتماع الدم في الجلد عقب احتكاك قوي.ecchymose

أملج: أرضع. امتلج ما في الثدي : أرضعه. والأملج: القفر لاشيء فيه من النبات. والأملج أيضا: دواء يصنع من ثمر هندي.

أنبرباريس: ويسمى أمبرباريس وبرباريس وأميرباريس: هو الزرشك، شجرة ذات شوك لها ورق كورق الياسمين وثمر كثمر الآس، حامض، وهو على نوعين: نوع مدور أحمر سهلي، ونوع أسود مستطيل جبلي، والجبلي هو الأقوى. [sycium]

أنثيان: هما الخصيتان (وفي قواميس اللغة يقال كذلك للأذنين). (*orchi-*/testicules)

أنجُرة: يعرف بالحريق، نبات بزره يشبه ببزر الكراث إلا أنه أصفر اللون شديد اللذع. oritc [urtica]

أندراسيون: البيربطورة، شمر الخنازير، بربـاطودة، بخور الأكراد، PEUCEDAN, FENOUIL DE PORC.

أنزروت: صمغ شجرة شائكة في بلاد فارس فيه مرارة . جيده يضرب إلى الصفرة ويشبه اللبان.

إنفحة: **الإنفَحة والإنفَحّة والمِنفحة:** شيء يستخرج من بطن الجدي قبلَ أن يطعم غير اللبن، فيعصر في صوفة مبتلة باللبن، فيغلظ كالجبن وهو المعروف عند العامة بالمجبنة.

آنك: الأنك والأبار هما الرصاص الأسود .

أنيسون: هو الزارنج الرومي: نبات دقيق يطول أكثر من ذراع، مربع الساق دقيق الورق، عطري الرائحة، يتولد بزره بعد زهر أبيض في غلاف لطيف، ولا ينمو إلا بكثرة الماء. يسمى في المغرب بـ "حب حلاوة" anis; [pinpinella]

إهليلج: انظر هليلج.

إيرسا: وإيرشاء، السوسن الاسمانجوني، الزنبق الأزرق، كف الصباغ: وهو من الحشائش ذات السوق، وعليه زهرة مختلفة مركبة من ألوان من بياض وصفرة وإسمانجونية وفرفيرية: يسمى إيرسا أي قوس قزح. iris de Florence, iris bleu

امتلاء: يقول ابن رشد في شرح الأرجوزة: الذي يسمى الإمتلاء في هذه الصناعة ينقسم أولا قسمين: أحدهما أن الأخلاط ثقيلة وكثيرة بالإضافة إلى قوى البدن لا كثيرة في نفسها وهو الذي يعرف بالإمتلاء بحسب القوة. والثاني يعرف بالإمتلاء بحسب التجويف وهو أن تكون فيه الأخلاط كثيرة في نفسها.

انقباب: صار جافا صلبا مجموع الأطراف. قب التمر: جف. قبب الخصر: أو البطن: دق وضمر.

ايريلقسيا: انظر استرخاء.

— ب —

بابونج: حشيشة مشهورة زكية الرائحة مختلفة الأنواع كثيرة المنافع، منها أصفر الزهر ومنها أبيضه، ومنها فرفيري، قريبة من الورد في اللطافة، ينبت البابونج في أماكن خشنة. [chaleomelon]
athemis nobilis athemis camomille romaine; matricate

باذاورد: هي الشوكة البيضاء، تشبه الحمكة إلا أنها أشد بياضا وأطول شوكا، ورقها يشبه ورق الحماما إلا أنه أرق وأشد بياضا، زهرها فرفيري وحبها كحب القرطم لكنه أشد استدارة. [crisitum]

باذنجان: باذنجان وبدنجال، معرب بادنكان بالفارسية، ومعناه بيض الجان، ويعرف بثآليل الحيات وعند العامة بالشرق بالبتنجان. وأصل الكلمة سنسيكريتي: فانكان.
- نبات معروف له ثمر يأكل وأشهره المستطيل الأسود؛ يستعمل في الطبخ على أنواع وألوان كثيرة. [salanum]

بازهر: البازهر والأدوية البادزهرية هي الأدوية المضادة للسموم وللدواء القتال. وهي متوسطة بين السموم والأدوية. ومنها حجر البازهر.

بادزهر: تجمدات كروية أو بيضية تتكون في الحيوانات كانوا يعتقدون خطأ أنها مضادة للسم (فارسية).

باسليق: من العروق غير الضوارب، "وهو في اليد اليمنى عند المرفق في الجانب الأنسي إلى ما يلي الإبط". الوريد الإبطي. (veine basilique)

باسور: مرض يحدث منه تورم وريدي، دوالي في الشرج تحت الغشاء المخاطي غالبا. البواسير. hémorroïdes

باقلى: الباقلى والبقلاء القباقلّى هو الفول المعروف ;fève

بان: شجر سبط القوام، لين، منه ما يقارب الأثل في ارتفاعه ودقته، ومنه قصير دون شجر الرمان، ورقه يشبه ورق الصفصاف، شديد الخضرة له زهر ناعم يخلف قرونا مستطيلة كقرون اللوبياء داخلها حب أكبر من الحمص. ولحب ثمره دهن لطيف طيب الرائحة يعرف بدهن البان. ويشبه القد بالبان لطوله واستقامته

ودقته. [guilandina] ben blan saule d'Egypte.

باه: الباه: الرغبة الجنسية.

بثر: والجمع بثور: خُرّاج صغار في الوجه. Pustule, abcès

بحران بحران: نوبة، أزمة: crise fébrile . التغير الذي يحدث للعليل دفعة واحدة في الأمراض الحادة. تهيج واختلال في القوى المدركة لشدة المرض. ويستعمل ابن رشد "بحارين" للجمع. يقال: هذا يوم بحران ويوم باحوري كأنه منسوب إلى باحور وباحوراء وهو شدة الحر في شهر يوليو .

يقول ابن رشد: "والبحران في الحقيقة إنما هو عبارة عن مقاتلة القوى للمرض ومحاربتها إياه فإن غلبت القوة كان بحران محمودا وكان السلامة والحياة وإن غلب المرض كان الموت. وهذا الاسم كان يدل به في لسان اليونانيين على الحكم والفصل في القضاء بحياة الجاني وموته فنقل هذا الإسم إلى البحران على جهة التشبيه كأنه يوم الحكم فيه والقضاء بتغليب المرض أو القوة".

بخار: انظر روح.

بذرقَ: خفر وحمى: نبذرق القوافل: نحميها. وبذرق المال: بدده وأسرف فيه.

برانج: جمع برناج: دواء مسهل، "يغسل" المعدة.

برباريس: وبربريس، وإثرارة، زرشك: شجرة شائكة منتشرة في أوروبا وآسيا وأمريكا الجنوبية. ثمارها بيضوية، كثيرة الأزهار. وهي مضرة. Berberis; (épine-vinette)

بربخ: هو مجرى الماء حيث كان، ويريد به الأطباء مجرى البول من الكليتين إلى المثانة. (épididyme)

برجوذي: هو بسبايج .أنظره.

برسام: ذات الجنب. التهاب في الغشاء المحيط بالرئة: pleurésie. والبرسام ورم حاد في الحجاب بين الكبد والأمعاء ثم يتصل

بالدماغ فيهذي منه المريض.

بَرساء: فرساء: persea

برسياوشان: أو برشاوشان،وعند ابن سينا: برشياوشان. حشيشة تشبه الكزبرة الرطبة إلا أن قضبانها حمر إلى السواد، وهي بلا ساق ولا زهر، منبتها حياض المياه والشطط والأنهار وفي داخل الآبار، وتعرف عند العامة بكزبرة البئر.وتعرف بالمغرب بقصيبة البير . : [adiantum]

بركار: سلس بول مع شرب ماء كثير.

بزرقطونا: ويسمى أيضا أسفيوس، نبات لا يجاوز الذراع طولا، دقيق الأوراق والساق، وهو أبيض وأحمر وأكثر ما يكون في مصر ويعرف بالبرلسية، وأسود ويسمى بمصر بالصعيدي. وتسميه العامة في المغرب: زرقطونا. [plantago]

بسباس: هو الرازيانج. نبات بزره يشبه بزر الكرفس، منه بري ومنه بستاني، الأجود منه والأنفع هو البري. بزره يعرف في المغرب بالنافع. أما المقصود عند ابن رشد فهي البسباسة وهي تجلب من بلاد الهند. [foeniculum] masis (myristica moschata)

بسبايج: – بسفايج: عود رقيق أغبر ذو عقد يميل إلى السواد والحمرة اليسيرة أو إلى الخضرة . ذو شعب كالدود الكثيرة الأرجل وفي مذاقه حلاوة مع قبض. قال بعضهم إنه ينبت على شجرة في الغياض وقيل ينبت على الأحجار. POLYPODIUM VULGARE

بصايص: جمع بصيص؟ : لمعان حب الرمانة. BRILLANT DE LA GRAINE DE LA GRENADE

بطرساليون: نوع من الكرفس. انظر كرفس.

بطم: شجرة تشبه شجر الفستق أوراقها صغيرة، صمغه قوي الرائحة. Térébinthe; therebinthine

بقلة: البقول على العموم ما نبت في بزره لا في أرومة ثابتة، وقيل البقل ما ينبت الربيع من العشب. pourpier

بقلة حمقاء، الهندباء ، الرجلة ،وكذا بقلة الزهراء والبقلة **اللينة** وتعرف بالفرفحين. : [partulaca]

بقلة يمانية: هي بقلة مائية لا طعم لها وتعرف أيضا باليربوز أو أربوزة. [blitum]

البقلة اليهودية: هي المعروفة في مصر بالملوخية. liseron

بلاذُر: شجر عشبه أحمر بنيّ ثمين، يصنع منه أثاث المنزل، ويستخرج من ساقه أنواع من الصمغ.

بلسان: شجر أبيض الزهر يستعمل في العطور والأدوية، والعامة تسميه السيسبان. balsamier; baumier; [balsamum]

بلغم: خلط من الأخلاط الأربعة وهو مثل السائل المخاطي والنخمة الخ. و"هو دم غير منهضم ذلك هو فضلة الدم" flegme, pituite

بلوط: ثمر شجر كبير جميل المنظر، غليظ الساق، متين الخشب يعرف بالسنديان وبالعفص أيضا، والبلوط يطلق على الثمر والشجر معا، وقيل إن شجرة البلوط سنة تثمر بلوطا وسنة عفصا؛ ويسمى المستدير الثمر من البلوط بالسنديان والمستطيلة بالملول. chêne (gland); [quercus]

بليلج: ثمر قريب الطبع من الأملج ولبه قريب من البندق.

بندق: شجر من فصيلة الجوز إلا أن أوراقه قصيرة الأذناب قلبية الشكل حادة الطرف مسننة كالمنشار تسننا مزدوجا، ثمره أغذى من شجر الجوز لأنه أشد اكتنازا وأقل دهنية وأبطأ انهضاما. وفي بعض الأقطار يعرف بالجلوز. Noisetier

بِنْصر: الأصبع الواقعة بين الوسطى والأصبع الصغير(الخِنصر). doigt annulaire.

بنفسج: نبات زهره اسمانوجوني اللون، طيب الرائحة ينبت في الأماكن الظليلة. [viola] [narcissus] violette;

بهار: العرار، عين البقر، وبهار البر: نبات طيب الرائحة، ورده أصفر الورق أحمر الوسط، أسمن من ورق البابونج وتسمى

فقاحته العرارة. ويعرف أيضا بالنرجس البري. : buphtalme

بهت: بهته: أخذه بغتة.

بُهْر: انقطاع التنفس أو تتابعه مع إعياء. البُهْر الرئوي: asthme

بهَق: والبُهاق: مرض في الجلد يكون على شكل بقع بيضاء vitiligo، leucoderme

بهمن: قطع خشبية، هي أصول مجففة متشجنة متغضنة، وهو نوعان: أبيض وأحمر. [centaurea]

بواب: فم المعدة. (pylore). معي متصل بالمعدة من أسفل، ينضم عند دخول طعام المعدة إلى أن ينهضم فحينئذ ينفتح، ولذلك سمي البواب.

بُورق: النطرون. قيل هو أقوى من الملح.

بوري: نوع من السمك النهري. والكلمة فارسية.

بيش: والجمع أبياش: نبات عشبية معمرة. فيها سم قاتل يستعمل كدواء ضد التشنج. وبيش موش بوحا. بوحا: حشيشة تنبت مع البيش فأي بيش جاوره لم يثمر وهو أعظم ترياق البيش. وأما بيش موش فهو حيوان يسكن في أصل البيش مثل الفارة aconit

بيضة: ورم في البدن يشبه البيضة.

- ت -

تأريب: تأريب الشيء: توفيره. يقال: كل ما وُفِّر فقد أُرِّب.

تاغندس: يغرغر بها (لعلها تقندس، دواء عشبي معروف عند العطارين بالمغرب).

تافسيا: تافسيا أو تفسيا. هو صمغ السذاب البري أو السذاب الجبلي. لا يلدغ. [thapsia]

ترقوة: (clavicule) عظم طويل مزدوج (ومن هنا الترقوتان) موضوع في

مقدم الصدر وأعلاه فيما بين النحر والعاتق.

تُرمس: نبات له حب مفرطح مضلع مر الطعم، يؤكل بعد المعالجة بالنقع في الماء ويقال له البقلى المصري. [lupinus]; lupin

ترنج: ثمر من جنس الليمون ويعرف أيضا بالأترج والعامة في الشرق تسميه الكباد .انظر اترج. Cedrat; gros limon

ترنجبين: طل أكثر ما يسقط بخراسان، ويجمع كالمن وأجوده الأبيض، والترنجبين لفظة فارسية معناها عسل رطب. [encens menu manna]; manne d'Orient

ترياق: مشتق من تيريون اليونانية. ويقال أيضا ودرياق: دواء ضد السموم. contre-poison, thériaque, antidote

الترياق الفاروق: هو ترياق الأفاعي.

تشنج: انقباض الأعصاب. Spasme, convulsion

تشيّط: احترق.

تعفن: خمج. والتعفن: العدوى، سريان مرض infection

تغري: غرّى، من الغراء، ألصق. غرى: أيضا: نغرى الغدير: برد ماؤه. في النص: تغري تجفف.

تفايا: بصل وزبيب وحمص الخ، يقلى يؤكل مع الكسكس أو يؤخذ كأساس للمرق فيضاف إليه الماء واللحم والخضروات.

تقدمة المعرفة: هو التنبؤ بتطور المرض prono, prognosis

تمر هندي: حُمَر، حومز: شجر كبير ينبت في البلاد الحارة، يعمل من ثمره أقراص. tamarin

تمريخ: التمريخ: العلاج بالدهن والدلك Iatraliptique

تنخّع: وتنخّم: أخرج شيئا من حلقه وبزق به. والاسم: النخاعة والنخامة.

تنكار: منه معدني ومنه مصنوع يقال إنه لحام الذهب.

توبال النحاس: هو ما يتساقط من الطرق على النحاس.

توتة: غدة صماء في أسفل العنق وأعلى محـزم الصدر. وتسمى كذلك الغدة التيْموسية ولوز الصدر. (thymus)

توتيا: معدن لونه أبيـض لامـع يضـرب إلى الزرقـة، ويعـرف بـالزنك. والتوتيا أيضا صدف بحري له شـوك ومـن داخلـه شـيء كمـح البيض يؤكل. [vitriolum]

– ث –

ثآليل: جمع ثؤلول: حبة تظهر في الجلد كالحمصة فمـا دونـها. وهـو: الثعل. verrue

ثرب: في تعريف القدماء: اسم للغشاء الشحمي الذي يغطي الأحشـاء، وتسميه العامة الرداء والمنسج. شحم دقيق على الكرش والأمعـاء. (omentum) شق الثرب: omentotomy

ثفل: والجمع أثفال: هو ما استقر تحت الشيء من كدرة. ويقال أيضا على الغائط وما في معناه.

ثيل: نبات له قضبان دقيقة طويلة ذات عقد تمتد علـى وجـه الأرض ويضرب منها عروق تتأصل في الأرض فينبت منها فـروع، وهـي حلوة الطعم، لها أوراق عريضة. وهو أصناف كثـيرة. ويقـال لـه أيضا النجم والنجيل، والعامة تسميه عـرق الإنجيـل، والـتّيّن (بتشديد التاء والياء) chiendent; [agropyrum]

– ج –

جاسية: قليلة اللحم، صلبة، فيها يبس.

جاوَرْس: نبات عشبي زراعي أوراقه عريضة وحبه مدور وهو أقـل جـودة من القمح ويزرع في البلدان الحـارة . منـه أنـواع عديـدة يحـوي بعضها السكر. ومنه نوع يستعمل في المكانس.

النملة الجاورسية: النملة: بثرة تخرج وتحدث ورما يسيرا وربما قرحت وربما انحلت. ويحس في كل نملة كعض النملة. ومنها جاورسية ومنها أكالة.

جاوشير: جاوشير أو جاواشير، لفظة فارسية معناها: حليب البقرة. أيضا: ورق شجر لا يبعد عن الأرض، يشبه ورق التين، شديد الخضرة، مخمس مقطع الأجزاء مستدير، ساقه كالقناة طويلة عليها زغب شبيه بالغبار، وعلى طرف ورقه إكليل شبيه بإكليل الشبث، زهره أصفر ونوره طيب الرائحة وعروقه كثيرة تتشعب عن أصل واحد، وهو غليظ القشر، مر الطعم، يستخرج صمغه بتشقيق أصله في أول ظهور الساق. ولون الصمغ أبيض، وإذا جف كان ظهوره على لون الزعفراني .[apopanaxe chironium]

جبسين: من الأجسام الحجرية، وهو أقسام، منه صلب غير هش ولا براق وهو الجص، ومنه أبيض براق صفائحي وهو إسفيداج الجصاصين، ومنه صنف صخري أبيض مائل إلى الحمرة يقال له باليونانية: "جبسون" والعامة تقول: "جفصين". [plastrum emphatrom]

جدري: جُدَري وجَدَري: مرض يسبب بثورا حمرا بيض الرؤوس تنتشر في البدن وتتقيح سريعا وهو شديد العدوى. variole

جذام: داء كالبرص يسبب تساقط اللحم والأعضاء. والأجذم: المقطوع اليد أو الأصابع :lèpre, éléphantisie

جران: هو الضفدع. وأفضل الضفادع البرية الكبيرة الصفراء، ثم الخضراء الشجرية.

جرب: مرض في الجلد على شكل بثور صغار تسبب حكة شديدة.Gale

جريشي: ما طحن طحنا غير ناعم. مكسر بالطحن.

جُشاء: خروج الهواء من المعدة مصحوبا ببعض الطعام. يقال: تجشأت المعدة وجشأت.éructation; renvoi; rot régurgitation .

جعدة: نبات طيب الرائحة من فصيلة الشيح ينبت في الربيع ويجف

سريعا، وهو قضبان وزهر، مر الطعم، منه صنف صغير أبيض مائل إلى الصفرة مملوء بزرا، رأسه كالكرة فيه كالشعر الأبيض. adiante; [tencrium]

جفت: جفت البلوط: قشرة ثمر البلوط arille du gland

جلاب: العسل أو السكر إذا عقد بماء الورد. فارسية.
جلابي: شراب خمر تجلب.

جلبان: هي الكرسنة وتسمى الكرفالا. حب نبات معروف في حجم العدس غير مفرطح بل مضلع، لونه ما بين الغبرة والصفرة، وطعمه ما بين الماش والعدس. pois ronds ; [eruum ervila] البسلى gesse

جلنار: هو زهر الرمان الحامض الذكر البري الذي يتساقط من شجره، وتسميه العامة برمان المروج، قد يكون أحمر وقد يكون أبيض وقد يكون موردا. والجلنار معرب كلنار بالفارسية ومعناها ورد الرمان، ويعرف أيضا بالنارمشك. balauste (fleur de grenadier) [balaustion]

جلّوز: الجلوز نوع من البندق، هو حب الصنوبر الصغير وهو أفضل غذاء من الجوز لكنه أبطأ انهضاما. aveline.

جليدية: الطبقة الجليدية من العين طبقة على شكل عدسة (cristallin)

جمرة: التهاب فلغموني في الجلد وما تحته من الأنسجة يختلف عن الخراج.

جنبذ: لعله: جنبر: فرخ الحبارى.
جنبذ الكيل أوصله إلى منتهى رأسه. الجنبذ: الشرطي. الجنبذة: المرتفع من كل شيء. ما علا من الأرض واستدار.

جندبادستر: جندبيدستر: خصية حيوان البحر ويؤخذ زوجا متعلقا من أصل واحد وله رقيق ينكسر بأدنى مس. ويسمى الخوميان أيضا.

جنطيانا: الجنطيانا والجنطيانة. نبات يشبه ورقه الذي يلي أصله ورق الجزر وورق لسان الثور، شبيه بأصل الزراوند، ومنبته قمم

الجبال الشامخة ولونه أحمر ووسطه مشرق وساقه أجوف أملس في غلظ إصبع والطول إلى ذراعين. أجوده الرومي وهو أشد حمرة وأصلب وهو خشب وعروق كغلظ الإصبع. [gentiana lutea] gentiane

جوز: شجر وثمره معروف، معرب كوز بالفارسية. Noix; noix de coco

جوزبوا: جوزبوا وجوزبو. وهو جوز في مقدار العفص، سهل المسكر رقيق القشر طيب الرائحة ويعرف أيضا بجوز الطيب. [myristica] muscadier aromatique

– ح –

حاشا: نبات معروف يسمى صعتر (أو سعتر). طيب الرائحة، شوكي صغير، دقيق القضبان صغير الورق وعلى أطراف ورقه رؤوس صغار عليها زهر مستدير فرفيري، وأكثر ما ينبت في مواضع صخرية. ويسمى أيضا صعتر الأنبياء. [thymus]

حالب: الحالبان: مجرى البول بين الكلى والمثانة. (uretères)

حب البان: هو الساليس. انظر: بان. [salix aegyptica] noix muscade

حب الغار: هو حب الديمست كالبندق الصغار وقشره إلى السواد رقيق إذا غمز انفلق عن فلقتين صلبتين تميلان إلى الصفرة فيه يسير عطرية.

والغار شجر الرند، يكثر في جبال الريف بالمغرب.

حب القرع: بزره، والقرع معروف: نبات من جملة الخضراوات التي تطبخ وتؤكل.

حبة الخضراء: نبات طيب الرائحة يعرف بالشاه سفرهم.

حبق القرنفلي: الحبق: نبتة عطرية تعرف أيضا بالريحان. [ocimum]; **حبق القرونفلي:** basilic; pouliot

حَبَن: استسقاء، ورم البطن. الميلة المقيحة. anasarque, ascite.

hydropisie,

حجاب: (أو الحجاب الحاجز (خِلب) أو حجاب الجوف(diaphragme)) يعرفه القدماء كما يلي: "هو اسم منقول للغشاء الفاصل بين الصدر (وهو التجويف الذي يحوي القلب والرئة فقط) والبطن (وهو التجويف الذي يحوي سائر الأحشاء)".

حجب: حجب الشيء منعه. وحجب الدواء أبطل مفعوله. **حجب إكراب:** بسرعة.

حجر الإسفنج: ويسمى أيضا الجفافة، وهو جسم رخو كاللبد متخلل يتولد في قعر البحار. [spengia off icinalis]

حجر البجادي: حجر يكتحل به.

حجر الزبرجد: حجر كريم يشبه الزمرد كثير والمشهور منه الأخضر. [lopazius]

حجر العقيق: من الأحجار الكريمة، وهو على أصناف كثيرة، أجوده الأحمر. [coreomus]

حجر اللازورد: معدن مشهور يتخذ للحلي وله منافع طبية.

حد أوسط: اصطلاح في المنطق، وهو بمثابة السبب أو العلة في القياس. فقولنا: كل إنسان ميت، سقراط إنسان إذن سقراط ميت: الحد الأوسط فيه هو كلمة إنسان. وهو الذي يسمح بالانتقال إلى النتيجة لكونه موجودا في المقدمتين. فكأننا قلنا: سقراط ميت لأنه إنسان ولأن كل إنسان ميت.

حدَث: الجديد في المهنة. حديث عهد بالطب.

حدقة: والجمع حدقات: سواد العين الأعظم pupille de l'œil. حدق المريض حدوقا فتح عينيه وطرف بهما.

حُرْف: شجر بأرض بابل، قيل دواء شبيه **بالشيطرج**: يسمى بالثفاء وبحب الرشاد. cresson; alénois [nasturtum]

حرمل: حب نبات معروف. rue; [peganun harmala]

حريف: لاذع، في طعم الفلفل اللاذع.

حريق: هو الأنجرة: نبات لونه يشبه لون بزر الكراث إلا أنه أصفر وأبرق وليس في طوله، ويلذع ما يلاقيه حتى الأمعاء. ثمرة هذا النبات وورقها حريف.

حسك: ويسمى حمص الأمير وهو صنفان: صنف ورقه يشبه ورق البقلة الحمقاء إلا أنه أرق منه وله قضبان مستديرة منبسطة على الأرض، وعند الورق شوك صلب، ينبت في الخرابات. والصنف الثاني ينبت في المواضع الندية والأنهار، وقضبانه مرتفعة وورقه أعرض من شوكه حتى أنه يغطيه بعرضه فيختفي وطرف ساقه الأعلى أغلظ من طرفه الأسفل، وعليه شيء نابت دقيق في دقة الشعر شبيه بسفا السنبلة وثمره صلب مثل ثمر الصنف الآخر. [tribilus terrestris] tribule

حصبة: الحَصَبَة والحَصْبة والحَصِبة: مرض معد يخرج بثورا في الجلد ويسبب حمى وبحة في الصوت غالبا .

حصف: بثور تهيج من كثرة العرق.

حِصرم : أول العنب مادم أخضر حامضا، أو الثمر عموما قبل أن ينضج. verjus

حضانة: مرحلة الحضانة في المرض هي المرحلة الأولى التي تتميز باضطراب الأخلاط وبالتالي اختلال التوازن في تركيبها la crudité (apepesis)

حُضض: شجرة متشوكة لها أغصان طولها ثلاثة أذرع أو أكثر. لها ثمر شبيه بالفلفل أملس وقشره أصفر. لها أصول كثيرة وتنبت في الأماكن الوعرة . suc de lycium

حُق: هو ما يعرف بالتجويف العنّابي أو الأروح (cavité glénoïde) لعظم الورك (os coxal/os iliaque) –المفصل الحرقفي.

حقن: انحباس البول. حقن البول: حبسه. واحتقن المريض: احتبس بوله. واحتقن العضو: تجمع فيه الدم وانتفخ. الحقنة: والجمع

حقن دواء يحقن به المريض المحتقن . واحتقن المريض بالحقنة وهي أن يعطى المريض الدواء من أسفله. suppositoire

حلبة : حب نبات معروف. : fénugrec; [toenum graccum]

حلتيت: الحلتيت هو صمغ الانجدان أو التفسير، وهو صنفان منتن، وطيب، فالمنتن أشد قوة من الطيب، وأكثر هذا النوع قيرواني، والعامة تسميه حنتيت. assa foetida [thopsia]

حماض: أو الأُقصليس : نبات عشبي من فصيلة الحماضيات يزرع بقولا أوراقه غنية بحامض الأَقصليس. oscille

حماما : هو نبات، بهيئة العنقود، خشبه أحمر له رائحة طيبة وزهره أصفر ذهبي. له ورق عريض، منه صنف ينبت في الأماكن الرطبة لونه مائل إلى الخضرة. [amomum]

حمرة : داء يعتري الناس فيحمر موضعه ويرم.

حميراء: مرض شبيه بالحصبة. rubéole

حمى : يعرف ابن سينا الحمى بكونها: "حرارة غريبة تشتعل في القلب وتنبث منه بتوسط الروح والدم والشرايين والعروق في جميع البدن فتشتعل فيه اشتعالا يضر بالأفعال الطبيعية ، لا كحرارة الغضب والتعب ". ويميزون بين أنواع من الحمى، أهمها:

حمى إيناس: الحمى يكون فيها مس من الحرارة والبرودة معا. **حمى الرق:** أخذته الحمى رقا: كل يوم.

حمى باردة: برداء، تأتي مع برد ورعدة.

حمى بلغمية : fièvre pituiteuse ما كان السبب فيها بلغما.

حمى دق والحمى الدقية: حمى معاودة يوميا تصحب غالبا السل الحاد. Fièvre hélique وتعرف هذه الحمى بحمى اقطيقوس. **حمى دموية:** fièvre sanguine, continue

حمى ربع: وتسمى طيراطولوس. حمى تأتي في اليوم الرابع، وذلك بأن يحم المرض يوما ويترك يومين لا يحم، أو يحم في اليوم الرابع . ويقال: رجل مربوع، مصاب بهذه الحمى.

ملاريا الربع. fièvre quarte

حمى سهاف: حمى الاجتفاف. fièvre de soif

حمى سُونوخُس: هي المطبقة الدائمة.

حمى صالب: حارة غير النافض. fièvre de frisson

حمى ضنك: dengue أصله عربي.

حمى عفونة: fièvre putride ، (عفونة: putridité) وهي التي سببها الخلط العفن. ويكون سببها الغذاء الردئ.

حمى غِبّ: تأتي يوما وتذهب آخر: fièvre terce

حمى محرقة: fièvre chaude ; brûlante وتسمى فاريقوس. مصحوبة بحرارة شديدة.

حمى مرزغية: حمى باردة (أعلاه). حمى مطبقة: دائمة في غاية الحدة. تحمر معها العينان والأذنان ويكون معها قلق وكرب. fièvre continue

حمى مواظبة: حمى تمكث طويلا وتكون عسيرة البرء.

حمى نائبة: التي تنوب كل خمسة أو ستة أيام.

حمى نافضة: باردة (أعلاه).

حمى ورد: المواظبة، الملازمة. fièvre quotidienne

حمى يوم: fièvre éphémère. هي أنواع ومعظمها تزول في يوم واحد وقلما تجاوزت ثلاثة أيام.

حنظل: يسمى بالحدج وله نبت يمتد على الأرض كالبطيخ. وثمره يشبه ثمر البطيخ إلا أنه صغير جدا، وهو شديد المرارة. coloquinte officinale, [citrulus colocyntis]

حي العالم: ويسمى صحيفة الملوك؛ نبات معروف. [sempervivium] joubarbe orpin

– خ –

اختلاج: وتخلج: حركة في العضل غير منتظمة. خلج الرجل: اشتكى لحمه وعظامه من عمل يعمله أو من طول مشي وتعب. Courbature اختلاج الداغصة: clonus de la rotule

اختلاف: اختلف إلى الخلاء: فسدت معدته فكثر تردادە على المرحاض.

خاصة: مفعول الدواء: يقول ابن رشد" الخاصة إنما هي فعل ما صادر من موجود في موجود بإضافة مقادير الأسطقسات في أحدهما إلى الآخر... فلا سبيل للوقوف على وجود الخاصة في ذي الخاصة غير الحس".

خاصرة : (flanc) هو الجنب من أسفل الأضلع إلى رأس الورك.

خُبازي: مساليق الخُبازى: الخبازى والخباز والخبازة والخبيز: بقلة مستديرة الورق لها لعابية ولها زهر أبيض مشوب بحمرة، تؤكل مطبوخة والعامة تسميها بالخبيزة. [malva]

خبث: ما كان في الذهب والحديد من الغش. **خبث الحديد:** ما نفاه الكير.

خدَر: والخَتَر : رد فعل جسماني مرضي يحصل عند شرب دواء أو سم، كما يحدث بشدة البرد، وهو في الجملة فقدان الحساسية في عضو من الأعضاء ويحس صاحبه بنوع تنمل في العضو المصاب، كالذي يحدث للرجلين عند طول الجلوس.

خُراطة: ماء قليل في المصران. وخراطة الأمعاء عند الأطباء: ما يخرج من تقطعها في الإسهال المزمن.

خراطين: جمع خُرطون: دود دائم الحركة تحت الأرض حيث يأخذ غذاءه. كثير المنفعة للزراعة لأنه يخرج إلى وجه الأرض بعض المواد المفيدة لنمو النبات.

خربق: نبات ورقه كلسان الجمل أبيض وأسود. ينبت في أماكن جبلية. ellébore; hellébore [helbeborus]

خردل: نبات عشبي ينبت في الحقول وعلى حافة الطريق. حبه صغير جدا أسود يستعمل في التوابل. ويستخرج منه الزيت. الخردل الأبيض: اسفند. moutarde blanche

خَرَزات: أو الخَرَز (vertebras) هي فقارات العجز والظهر. وسميت كذلك تشبيها بالخرزات (الحجارة أو الفصوص) التي تنظم منها القلائد. ويضيف القدماء في تعريفهم: "وهي العظام التي يسلك فيها النخاع".

خرشف: والخرشوف نبات يقال له، أرضي شوكي. [acanthus]

خروَع: نبات يعظم قرب المياه، وأصله قصب فارغ وورقه أملس عريض له ثمر، يستخرج منه زيت فيه قوة مسهلة. [ricumus]

خزف: فخار. من عمل من الطين وشوي بالنار.

خس: نبات معروف تعمل منه السلطة. خس الحمار وخس البقر: نباتان بريان.

خشب القني: القِنى والقُنو ما هو من النخيل كالعنقود من العنب. من فحمه صنع الطباشير.

خشخاش: الخشخاش نبات يحمل أكوازا بيضا وهو أصناف: منه بستاني ومنثور ومقرن وزبدي وكله منوم مخدر، يولد سباتا يستخرج من عصارته الأفيون. يسمى بالمغرب: الحبيبور. [papayer pavot; sommferum]

خشكريشة: ما يكون تصير على الحبوب في الجلد عند انفجارها وتكون شبيهة بحرق النار.

خصر: الخصر: وسط جسم الإنسان. والخاصرتان: جنبا الوسط، مكان الكليتين. والخاصرة: وجع في الخاصرة أو الكليتين.

خصى الثعلب: نبات ورقه مفروش على وجه الأرض، لونه أخضر شبيه بورق الزيتون الناعم إلا أنه أدق منه وأطول، وعلى أغصانه زهر لونه. فرفيري ينبت في الأماكن الحجرية والرملية. ومن خصى الثعلب صنف آخر صغير تسميه بعض العامة الحية والميتة، وحشيش كليهما خشن حلو. [orchis]

خِطمي: نبات كبير الزهر جدا أحمره وقد يكون أبيض الزهر وكلاهما

ملين شديد التغرية للزوجته. kemi ;(من العربية)(guinauve)

خلاف: صنف من الصفصاف. بان. Saule; osier

خَلَج: الشعور بألم في اللحم والعظام من طول مشي أو عمل courbature

خلجة اللازم: tic

خلط: "الخلط جسم رطب سيال يستحيل إليه الغذاء أولا، فمنه خلط محمود ingrédient وهو الذي من شانه أن يصير جزءا من جوهر المغتذي وحده أو مع غيره ومتشابه به وحده أو مع غيره... وخلط رديء وهو الذي ليس شأنه ذلك ويستحيل في النادر إلى الخلط المحمود".

– **الأخلاط الأربعة** les quatre humeurs وهي الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء. "وجميع أعضاء بدن الإنسان والحيوان إنما كونت من هذه الأخلاط الأربعة، كما كون جميع ما في هذا العالم من الاسطقسات الأربعة التي تسمى أيضا بالأركان. فالنار نظيرة الصفراء إذ هي حارة يابسة، والهواء نظير الدم إذ هو حار رطب، والماء نظير البلغم إذ هو بارد رطب والأرض نظير السوداء إذ هي باردة يابسة.. ولذلك سميت الأخلاط بنات الأركان. فالأخلاط الأربعة اسطقسات ثواني لبدن الإنسان والحيوان الذي له دم، ومنها ابتداء كونه. ذلك أن الجنين في الرحم إنما كونه من المني والدم، والمني كونه من الدم. والدم أصل الأخلاط، لأن الأخلاط الثلاثة منه تتميز" . قال أبقراط: "إن بدن الإنسان مركب من هذه الأخلاط وأن أصل كونه منها، وأنه لا يخلو منها البتة، وأن صحته باعتدالها ومرضه بخروجها عن الاعتدال في الكمية أو في الكيفية" .

الخلفة: نوع من الاسهال بسبب الطعام. Diarrhée أيضاً : الخلفة: أن لا يلبث الطعام في البطن اللبث المعتاد، بل يخرج سريعا وهو بحاله لم يتغير مع لذع ووجع في البطن، واختلاف صديدي. ذهاب شهوة الطعام من المرض. الحمق، العيب.

خنازير: أشباه الغدد في الآباط والأربية وتكون في العنق و على سطحها

درن شبيه بـالعقد. وعلى العموم هـي "أورام صلبة تحـدث في اللحم الرخو". (ابن رشد. المتن)

خُناق: يحدث في المبلع الضيق .

خَنثى: نبات ورقه كالكراث الشامي وله ساق أمس على رأسه زهر. وله ثمرة طوال مستديرة كالبلوط وهو حريف. asphodèle

خنصر: الإصبع الأصغر.

خوانيق: الخُناق: داء يصعب معه التنفس.

خولنجان: خولنجان وخلنجان، نبـات رومـي وهنـدي يرتفـع نحـو ذراع، طيب الرائحة، حاد المذاق، أوراقه كأوراق القرفة وزهره ذهـبي. ويطلق أيضا على العرق الأحمـر المعـروف بحوانيـت العطـارين. [galanga]

خيار شنبر: خيار شنبر، وخيار جنبر، شجر له ثمر كـالخرنوب، يتـداوى به وهو كثير في مصر، ويعرف عند البعض بالخروب الهنـدي. cassier; canéficier [cassia-fistula]

خيري: الخيرى والخورى: أسماء مبالغة في الخير. رجل خيرى: كثـير الخير.

خيلان: ج. خال: شامة في البدن ، أي بثرة سوداء ينبت حولها الشعر غالبا ويغلب على شامة الفخذ. شامة : lentigo

— د —

داء الثعلب: علة تساقط الشعر.

داء الحية: وداء الثعلب من نوع واحد: سقوط الشعر.

دار شيشعان: فارسي، ويعرف بالقندول، وبعـود البرق، وبعـود القمـاري، وبالسريانية باكسبن. شجرة، طيبة الرائحة، ذات غلظ، ترتفـع فوق المتر، لها زهر أصفـر زكـي وفيـها شـوك كثـير، يسـتعملها العطارون في بعض الأدهان، وهي كثيرة الوجود. [aspalathe]

دار فلفل: ثمرة الفلفل أول ما تطلع.

دارصيني: معرب عن دارشين القارسية ، شجر هندي يكون بتخوم الصين ، هو كالرمان لكنه سبط وأوراقه كأوراق الجوز إلا أنها أرق. والدارصيني يطلق اليوم على القرفة الغليظة ، أو القرفة الصينية. [cinna-momum] دار صور: cinnamome

داية: المرضعة المربية للأطفال.

دِبْس: ما عقد بالنار من عصير العنب والخرنوب ونحوهما.

دبق: نبات معروف ، ثمرته مثل الحمص الأسود غير خالص الاستدارة خشن في الغالب ، متضمن متكسر ، تدبق منه اليد ، وأكثر ما يكون على البلوط والتفاح. [gluten] gui de chêne

دبل: الدُبلة والدُبيلة دمل يظهر في الجوف فيقتل صاحبه غالبا. ورم. tumeur ou cancer de poitrine ou de l'estomac, bubon, ulcère

دُخن: هو نوع من الجاورس ، ويعرف عند العامة بانيلي والأبيض منه بتافسوت ، وهو نبات حبه صغير ، أملس جدا ، فيه قبض وتجفيف بلا لذع. ويعرف بالذرة البيضاء.[surgum] millet; mil

دراج: طائر. يطلق على الذكر والأنثى. جميل المنظر ملون الريش.

دردي: الدُّرْدِي من الزيت ونحو: ما يرسب في الأسفل من كدر.

درز: أنظر شؤون.

درياقية: انظر ترياق.

درين: ما بلي من الحشيش فلا تأكله الدواب.

دستور: كلمة فارسية ومعناها: القانون أو القاعدة. وتستعمل أحيانا بمعنى: علامة. ودستور العمل: العبارة التي تعطي القانون ، كالمعادلة الرياضية. ودستور الأدوية: وصف رسمي للعقاقير المعترف بها ومستحضراتها وطرق تحضيرها.

دِّق: انظر حمى الدق: phtisie

دلاع: الدُّلاع والدُّوْلعة: ضرب من صدف البحر. وفي المغرب: البطيخ الأحمر. أما البطيخ الأصفر (الشمام في المشرق) فيطلق عليه في المغرب: البطيخ (بدون وصف، إلا ما يخص أنواعه). Melon vert ; pastèque

دُلب: ويقال له دلم، شجر عظيم عريض الأوراق لا زهر له ولا تمر. platane; [casnus chainus]

دم: الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء هي الأخلاط الأربعة.

دماغ: (encéphale) يعرفه القدماء كما يلي: "هو الجسم الأبيض الذي في داخل القحف خاصة، وقد يسميه بعض العرب مخا".

دنان: ج. دن. والدن معروف. إناء كبير لا يقعد إلا أن يحفر له.

دهن الآس: انظر آس.

دهن الأقحوان: أنظر أقحوان.

دهن الخردل: أنظر خردل.

دواء: حار، معتدل الخ. "ومعنى قولنا في الدواء إنه حار أو بارد أو معتدل إنما هو أن في طبيعته واستعداده، إذا استحال عن بدن الإنسان، أن يقبل بدن الإنسان عنه كيفيةً نسبتُها إلى الكيفيات الطبيعية الموجودة في بدن الإنسان هذه النسبةَ: أعني نسبة الاعتدال أو الخروج عن الاعتدال".

دَوار: هو أن يكون الرجل كأنه يدور ما حواليه وتظلم عينه ويهم بالسقوط.

دوالي: عروق تظهر على الساق غلاظ ملتوية شديدة الخضرة والغلظ: varices varicophlebitis

دوقو: الجزر البري.

دَوم: شجرة الدَوم: جنس من شجر فصيلة النخليات ساقه متشعبة يستخرج من ثماره نوع من الدِّبس ويعرف أيضا بشجرة المقل.

Palmier doum

– ذ –

ذات الجنب: وجع تحت الأضلاع ناخس مع سعال وحمى. وتسمى البرسام: التهاب في الغشاء المحيط بالرئة. pleurésie

ذات الرئة: قرحة في الرئة يضيق منها التنفس.

ذبال: دبلة، تقيح: empyème

ذبحة: مرض في الحلق كأنه يذبح. التهاب في الحلق: angine والذبحة الصدرية: ضيق في الصدر مع شعور بالاختناق وبإشراف على الموت.

ذراريح: الواحدة: الذراح والذروح والذريحة: من السموم القاتلة.

ذَرَب: الذَّرب: الحاد من كل شيء. ذربت المعدة: فسدت، لا تهضم الطعام ويفسد ما فيها ولا تمسكه. والذرب أيضا: المرض الذي لا يبرأ. والذرب: شيء يكون في عنق الإنسان مثل الحصاة.

ذريرة: نوع من الطيب.

ذَفر: ذفر الشيء ظهرت رائحته واشتدت، طيبة كانت أو خبيثة. والذَّفر: النتن، وربما هو المقصود.

ذنب الخيل: تسميه العامة: حل واربط، ويعرف عند الأطباء بالدليوث، هو نبات ينبت في الحفائر والخنادق، يقوم على ساق نحو ذراع كالذنب، له قضبان مجوفة إلى الحمرة خشنة صلبة، معقدة بعقد متداخلة متكاثفة، تتشيث بما يقرب من الشجر، ثم يتدلى منه أطراف كثيرة كذنب الخيل.: [equisetum] prèle, queue de cheval

ذنب الفارة: النبض: منه المسمى ذنب الفأرة: "وهو نبض لا يزال في الاختلاف، آخذا إما من زيادة إلى نقصان، وإما من نقصان إلى زيادة". plantain

ذو القرعتين: النبض: "ومنه ذو القرعتين وهذا ربما أطلق على الاختلاف الذي يكون في نبضة واحدة أعني أنها تنقطع ثم تعود وربما أطلق على النبضتين اللتين بينهما من السكون ما لا يستحق أن يكون سكونا. وأما ذو القزعتين وهو المعروف بالمطرقي، شبيه بضرب المطرقة على السندان الذي يعود فيضرب ثانية من تلقائه".

— ر —

رازيانج: يعرف بالمغرب بالبسباس، وبالشام ومصر بالشمّار والشمر، وعند بعض الصيادلة بالعريض تمييزا له من الأنيسون، نبات مشهور له بزر كبزر الكرفس، وهو بري وبستاني، عطري الرائحة. [foenieulum]

راسن: هو عرق الكليخ وبلفظ العامة راسيون وهو أنواع كثيرة. منه نوع كل ورقة منه من شبر إلى ذراع، مفرش على الأرض كالنمام وورق العدس له زهر مائل إلى الزرقة وحب مفرطح. [helenium] hélènie; aunaie

راوند: راوند وروند، نبات عريض الورق. [rheubarbarum]

رباط : (ligament)، وجمعه "رباطات". "هو جسم أبيض عديم الحس. منه ما ينبت من أطراف العظام ليربط بعضها ببعض، وهو يسمى رباطا بالاسم العام ويخص بالعقب وتسميه العرب عصبا ولا تعرف العصب الحقيقي؛ ومنه ما ينبت من وسط العظم لمعنى آخر وهو ربط العضل بالعظم ويسمى رباطا فقط ولا تعرفه العرب أيضا"(الرازي).

ربوب : ج. رُب. ما يختر من عصير الثمار. : ما يطبخ من التمر وسواه.

رُتيْلاء: جنس من العناكب الصغيرة.

رحى: مرض في الرحم تكون به حال المرأة تشبه حال الحبلى في عظم البطن وفساد اللون واحتباس الطمث.

رَسَغ: استرخاء في قوائم الدابة.

رُسْغ: الرُسُغ (carpe) هو الموضع والمفصل الذي بين اليد والساعد، وهو عظام المعصم، وهو يتكوّن من ثمانية عظام تسمى العظام الرسغية (os carpiens) وهي مصفوفة صفين، أربعة منها علوية ساعدية وأخرى سفلية رسغية، ولأكثرها هيئة مكعَب فيه ستة وجوه.

رضّ: والجمع رضوض: شبه كسر دون أن يكون هناك تقطع في اللحم. contusion

رضراضي: نوع السمك. الكثير اللحم.

رطوبة زجاجية: هي رطوبة في مؤخر العين تحيط بها الشبكية. (humeur vitrée)

رعادة : وصف للبيض المطبوخ طبخا غير كثير الانعقاد.

رعاف: نزيف في الأنف :apostasie, Ephtaxick

رعد: مرعدة، حمى مُرْعِدة: تصيب الإنسان بالرِّعدة: يضطرب ويرتعش ويهتز. يقال: يرتعد من الخوف.

رفائد: الرافدة: خشبة السقف التي فوق الجسر. دعامة السرج. خرقة تجعل على الجرح والكسر.

رمد: التهاب العين conjonctive; ophtalmic

رمص: انظر غمص.

رهل: استرخاء اللحم.

روح: المقصود هنا ما يسمى بـ"الروح الحيواني" وهو "جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن": esprit vital ويطلق عليه أيضا: النفس soufle و Pneuma والبخار: "vapeur". ويعرفه ابن رشد في المتن بقوله: " وهو البخار المحسوس في القلب والدماغ". والأرواح "بها يكون ثبات البدن وقوامه وتمام سائر

أفعاله"، وهي ثلاثة: "الروح الطبيعي والروح الحيواني والروح النفساني. الروح الطبيعي تولده في الكبد وينفذ منه في العروق غير الضوارب إلى سائر البدن وتقوم به القوى الطبيعية وتصلح أفعالها وتنميتها. وأما الروح الحيواني فهو الذي تولده في القلب وينفذ منه في العروق الضوارب إلى سائر البدن ويقوم بالقوى الحيوانية ويحفظها ويصلح أحوالها وينميها. وأما الروح النفساني فهو الذي تولده في بطون الدماغ وينفذ إلى العصب إلى سائر البدن ويقوى بالقوى النفسانية ويثبتها ويحفظها على حالها. وتولد هذا الروح يكون من الروح الحيواني الذي مسكنه القلب. وذلك أن هذا الروح يصعد من القلب إلى الدماغ في العرقين الضاربين المعروفين بعرقي السبات السائرين إلى الدماغ وينفذان في القحف إلى الموضع المعروف بقاعدة الدماغ وينقسمان هناك بضروب من القسم فتكون منهما النسيجة الشبيهة بالشبكة لكثرة ما يتفرع من هذين العرقين من العروق...فالروح الحيواني إذا صعد من القلب وصار في هذه النسيجة وجال في كثرة عروقها وطال لبثه هناك نضج غاية النضج وتصفى ونما فصار منه الروح النفساني".

رائض: الرائض الشخص الذي يقوم بالترويض في الحمام، يدلك الجسم والمفاصل الخ.

- ز -

زبد البحر: منه اسفنجي في شكله زهم في رائحته ، كثيف ساحلي. ومنه اسفنجي خفيف طويل لين طحلبي الرائح، ومنه وردي فرفيري ويشبه بالصوف الوسخ. ومنه فطري الشكل أملس الظهر خشن الباطن لا رائحة له.

زئبر: ما يعلو الثوب الجديد من زغب المادة المصنوع منها.

زحار: وزحير: تبرز منقطع معظمه دم ومخاط ويصحبه ألم. dysentie

زُرام: انحباس البول. anurie

زراوند: يسمى باليونانية أسطولوخيا، وكان يعرف بالأندلس بسمقون، نبات مشهور يطول فوق الذراع، مر الطعم، منه مدحرج عريض الأوراق له زهر أبيض يحيط بشيء أحمر، ومنه طويل رقيق الورق حاد عطري، زهره فرفيري.[aristolachia]

زرد: وازدرد: بلع. avaler

زرنباد: أصول نبات يشبه السعد لكنه أعظم وأقل عطرية ذو لون أغبر. [serapion]

زرنيخ: جوهر معدني، منه أخضر ومنه أصفر ومنه أحمر ومنه أسود ومنه أبيض.[arsenicum]

زعفران: نبات أصفر الزهر له أصل كالبصل، كثير الأنواع أجوده الزكي الرائحة الغليظ الشعر الشديد الحمرة، وهذا النوع معروف بالمغرب، يجلب من إسبانيا ويوجد أيضا بسوس. [crocus] safran

زفت: هو القار، صنفان: يابس ورطب، مطبوخ أو متجمد بنفسه. منه صنف أسود حجري سيال، ومنه جبلي يسيل من شجرة الصنوبر. ودهن الزفت قريب جدا من القطران، وقيل إذا سال من نفسه فهو الزفت، وإذا سال بالصناعة فهو القطران.[betumen primus; cedrium]

زكن: زكن الأمر تفطن له، تفرسه، ظنه. والزكانة: إصابة الظن.

زلق المعاء: المعاء جمع أمعية: مصران البطن. والمفرد: معيٌ ومِعَى.

زمرد: حجر يوجد في معادن الذهب والفضة. انظر حجر الزبرجد. [smragdus]

زنجار: منه معدني ومنه ما يستنبط من النحاس بتكريجه في دردي الخل.[aerugo]

زنجارية: الزنجار: صدأ النحاس.

زنجبيل: نبات عشبي هندي الأصل، له عروق تسري في الأرض ويتولد

فيها عقد حريفة الطعم، وتتفرع هذه الأوراق من نبات كالقصب. gingembre

زند: -زندا الساق هما عظم القصبة الكبرى -أو الظنبوب- (tibia)، وعظم قصبة الساق الصغرى -أو عظم الشظيّة- (péroné/fibula).
- عظما الزّند (أو الزندان) هما ما نسمي أحدهما الكُعْبُرة (radius)، وهو العظم الموجود في الجهة الجانبية من الساعد، وهو الزند الأعلى الذي يلي الإبهام (أغلظ أصابع اليد)، والآخر هو عظم الزند (cubitus/ulna)، وهو الأسفل ويلي الخنصر.

زورقي: نسبة إلى الزورق، السفينة. (naviculaire/scaphoïde)

زوفا: الزوفى والزوفاء صنفان، أحدهما نبات يقوم على ساق دقيق مربع وله ورق كورق الصعتر الدقيق، يقال له اليابس، منه جبلي ومنه بستاني. [hyssopus] hysope ou hyssope officinale

- س -

سانج: نبت في أماكن بلاد الهند فيها حمأة يظهر على وجه الماء بمنزلة عدس الماء وليس له أصل فإذا جمعوه شدوه على المكان في خيط كتان وجففوه.
ياذج: بسيط لا نقش فيه. معرب "سادة" بالفارسية.

سام أبرص: هو الوزغ ويقال خلافه.

سبات: السبات: النوم. مرض يكون المصاب به كالنائم لا يتحرك ولا يفتح عينيه، يقال له: مسبوت léthargie; coma . والسبات: النوم الخفيف: somnolence

سبّار: سبر الجرح سبرا: نظر في مقداره ليعرف غوره. والسبّار والمِسبار: ما سبر به وقدر غور الجراحات.

سبل: السبل في العين أن يكون على بياضها وسوادها شبه غشاء ينتسج بعروق حمر غلاظ.

سبوطة: سبُط الشعر سبوطة: سهل واسترسل. نقيض الجعد.

سحج: داء يصيب البطن مثل الإسهال المزمن. تآكل جوانب الأمعاء، سحجات: égratignures abrasion

سحنة: هيأة البدن من السمن والهزال. Aspect teint

سدَر: الثوب: شقه. الشعر: أرسله طويلا. سدِر: كان لا يبالي. تكلم سادرا: غير متثبت في كلامه. فتور الشعور. apathie
سدر: هو النبق ويسميه بعضهم كبار: ثمر السدر. Lotus ou viola arborea

سذاب: نبات يقارب شجر الرمان ورقه كالصعتر وزهره أصفر، يخلف بزرا في أقماع، مر الطعم ذو رائحة كريهة وصمغ كثير الحدة. وهو نوعان بري وبستاني، ويسمى الفيجل، والعامة تسميه الفيجم، وباليونانية فينجن. [ruta montana] rue; myrte

سرسام: حمى دائمة مع صداع وثقل في الرأس والعين وحمرة فيها شديدة وكراهية الضوء.

سرطان: "ورم صلب له أصل في الجسد كبير تسقيه عروق خضرة" **سراطين المحرقة**: أورام الحمى المحرقة. انظر: حمى.

سرو: شجر حسن الهيئة قويم الساق، لا ينثر ورقه في الخريف والشتاء بل يبقى كما هو أخضر لقوته. في طعمه حدة وحرافة يسيرة ومرارة كثيرة وعفوصيته أكثر من المرارة. cyprès [cupressus sempervíveno]

سيساليوس: نبات له ورق شبيه بورق الرازيانج إلا أنه أغلظ وساقه أخشن وعليه إكليل كإكليل الشبث، وفيه ثمر أميل إلى الطول أو حريف يسرع إليه التأكل، وله أصل طويل طيب الرائحة، وهو أصناف.

سُعد: هو أصل نبات له ورق يشبه الكراث، غير أنه أطول وأرق وأصلب، وله ساق طولها ذراع أو أكثر وهي غير مستقيمة، وعلى طرفها أوراق صغيرة نابتة، وبزر أصوله كأنها زيتون. منه

طوال ومنه مدور متشبك بعضه مع بعض، طيب الرائحة، فيه مرارة، ينبت في الأرض الرطبة. ويسمى أيضا ريحان القصاري؛ يدخل في المراهم. souchet, cyperrus; [juneca]

سعط: سعَط الدواء: أدخله في أنفه. والسعوط: الدواء يصب في الأنف.

سعفة: السعفة في الرأس والوجه: قروح فيه وربما كانت قحلة يابسة، وربما كانت رطبة يسيل منها صديد.

سفني: هو المعروف بالعظم الوتدي أو السَّفني. (os sphéroïde)

سَفوف: ما تسفه من دواء ونحوه.

سفيروس: يقال له قثاء الحمار انظره.

سقمونيا: نبات له ثلاثة أغصان كبيرة مخرجها من الأصل. كل واحد منها ثلاثة أذرع أو أربعة، دسمة مزغبة، له ورق شبيه بورق العنسي أو ورق اللبلاب إلا أنه ألين. وله ثلاث زوايا، وله زهر أبيض ممتلئ لبنا ويؤخذ لبنه من رأسه الأعلى ومن أصله، وذلك بأن يشق الأصل ويجوف على استدارتها فإن اللبن يسيل في ذلك التجويف ثم يجمع في صدف . sacammoné

سقولوفندريون: هو العقربان. أولا نبات يعرف بكف النسر وكف الضبعة؛ ثانيا دويبة لها أرجل كثيرة كالعناكيب تعرف بأم أربع وأربعين وبلغة المغرب العامية برغميل.[cetarache officianum]

سك: دواء مركب من مسك وهو الصحيح؛ والسك الأصلي هو الصيني المتخذ من الأملج، وقد يتخذ من العفص والبلح على نحو عمل الرامك. سك البلح، سك العفص، سك المسك.

سكتة: السكتة أن يكون الإنسان ملقى كالنائم يغط من غير نوم ولا يحس إذا نخس .
سُكات: داء يمنع من الكلام.

سكبينج: صمغ شجرة بفارس لا نفع لها في سوى الصمغ، ويخرج منها في أوائل الصيف؛ وأجوده الأبيض الظاهر، الأحمر الباطن، وما كانت رائحته بين الأشق والحلتيت.[sagaperum]

سكنجبين: دواء لبعض أنــواع الحمــى ويكــون عــن اختــلاط الخــل والعســل والماء.

سلاميات: هي القطع العظمية التي يحتوي عليها كل إصبع، وهي ثلاثة، إلا الإبهام فلها قطعتان فقط. phalanges

سلا: الجذع والعسيب من النخل.

سلى: السلى وجمع أسلاء: جلدة يكون ضمنها الولد في بطن أمه.

سُلاق: بثر على أصل اللسان. تقشر في أصل الأسنان. غلظ الأجفان مع احمرار وتقرح. muguet

سلس البول: عدم استمساك البول. incontinence d'urine, énurésie

سلع: السَّلعة والضـواة: زيـادة تحـدث في الجسـد مثـل الغـدة. وهـي الجدرة تخرج بالرأس وسائر الجسد تمور بين الجلد واللحــم إذا حركتها. أسلع ومسلوع : goitreux

سِلق: بقلة منــها أسـود لشـدة خضرتـها، عريضـة الأوراق والأضـلاع، ومنها أبيــض، وأجودهـا ورقـها وأردأهـا أصولهـا. bette, [beta], poirée;

سل: "أن ينتقص لحم الإنسان مع سعال" مزمن ونفث شديد.

سليخة: سليخة: باليونانية أسليوس وتسمى رسينون؛ وهــي قشـر شـجر هندي علــى أنـواع كثـيرة: منـها صنـف أحمـر طيـب الرائحـة والطعم، وصنـف يشـبه طعمـه طعـم الـذاب، وصنـف أسـود إلى فرفيري شبيه الرائحة بالورد، وصنف أسود كريه الرائحة رقيـق القشر متشقق، وصنف إلى البياض كراثي الرائحة، وصنـف دقيق الأنبوب أجوف. [casia]

سُماق: شجر وثمر يقارب الرمان طـولا، إلا أن ورقـه مزغـب طويـل إلى عرض، يحمل عناقيد حمراء ذات حب صغير. شديد الحموضة. sumac; [rhus coriara]

سُماني: نوع من الطيور القواطع مـن رتبـة الدجاجيـات. يعـرف بـالفري

وبالسلوى.

سمسم: نبت فوق الذراع، وقد يتفرع بزره في ظرف مربع إلى عرض ما ينفتح نصفين والبزر في أطرافه على نمط مستقيم، وأجوده البالغ الضارب إلى الصفر. [sesama] sésame; semence de coriandre

سمسمية: نقول العظام السِّمْسِمية أو السمسمانية (os sésamoïdes) وأصل الكلمة سِمْسم (sésame) وهو الجلجلان.

سنا: سنى: جنس شجيرات من فصيلة القرنيات حبه مفلطح يستعمل لب ثماره للإسهال. cassier; séné

سنبل: السنبل سنبلان: سنبل الطيب وهو سنبل العصافير. والناردين وهو السنبل الرومي. والاقليطي أضعف من الهندي والسوري في جميع خصاله إلا في الإدرار. وشجرته صغيرة يقلع بطنها ويخرج. ومن الناردين جبلي ورقه كورق العصفر، وكذلك أغصانه كلها صفر ملس غير شائكة، كثيرة الأصول، وليس له ساق ولا ثمر ولا زهر. نبات طيب الرائحة منه أنواع تزرع للزينة يستخرج من جذوره نوع من العطور.

سِندروس: صمغ أو معدن شبيه بالكهرباء. يونانية.

سهك: سهك: سحق. والسهوكة: رائحة كريهة من فاسد الطعام واللحم والسمك.

سوس: شجر تمتد عروقه في الأرض وهي تنقع فيعطي نقيعها مرارة يسيرة تتصل بحلاوة طويلة. ويعمل من نقيعها رب يقال له رب السوس وهو المشهور بعرق السوس. [glycirrhiza glabra]

سوسن: زهر معروف كثير التنوع منه الأبيض والبنفسجي والأصفر.

سوسن الأبيض: سوسن السمنجوني: لونه لون السماء. فارسية.

– ش –

شُؤون: جمع شـأْن: القحـف (sutures crâniennes) تسـمى كذلـك دروز (جمع دَرْز) القحف. والشأن أو الدرز هو الشّـعب الـذي يجمـع بين كل قبيلتين من قبائل الجمجمة أو صفائحها العظيمة، وهو تركيب على نحو مداخلة أسنان منشارين أحدهما داخل الآخر. وكلمة "درز" تستعمل أكثر، والدرز يعني لغـة مـا يجمـع طرفي الشـيء كما في الخياطـة مـع الثـوب. ومـن الشـؤون أو الـدُّروز القحفية، الـدرز الإكليلـي (suture coronale) والـدرز اللامـي أو اللمبداوي (s. lambdoïde) الخ.

شابل: سمك يرتاد مصب بعض الأنهار في المحيـط الأطلسـي، يأتيـها لوضع بيضه.

شاذنج: لعله الشاذنج: معدن من معادن مصر أجوده ما يتفتت سـريعا وليس فيه خطوط وألوان مختلفة.

شاهترج: لفظة فارسية معناها: سلطان البقول، "شـاه" سـلطان "والـترج" البقـول. وتسـمى في المغـرب بالصيبيـا [fumaria officinales] fumeterre;

شبث: نبات كالرازيانج، يشبه العنكبوت العظيم الطويل الأرجل. زهره أبيض وأصفر، وبزره حاد حريف ويعرف ببزر الدجاج، والعامة تقول التبش. ويسمى كذلك :سنوت، وسنوت الكمون [anethum graveolens], aneth

شبكية: وهي الغشاء الداخلي من الجزء المدرك في العين ويتكون من تمدد العصـب البصـري(rétine). سميـت بـهذا الاسـم لكونـها تشـبه الشبكة.

شرسوف: غضـروف معلـق بكـل عضـو مثـل شرسـوف الكتـف. والجمــع شراسيف: أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن.

شريان السباتي: (artère carotide) هو أحد الشريانين الرئيسيين في العنق. وكونـه يسمى السباتي –والسبات يعـني النـوم– يعـود إلى فكـرة قديمـة تقول بأن هذين الشريانين يجلبان النوم. (*arteria somni*)

شعب شعرية: شعب دقيقة كالشعر. (capillaires)

شقائق النعمان: هو الشقيق، وأبـو النعمـان، ويعـرف بـالمغرب بطيكـوك. نبـات مشهور قشره وورقه قريب من الأرض منبسط عليها، له أغصـان دقاق خضر تولد فروعا وتعقد رؤوسا تنفتح عـن زهـرة مسـتديرة. والشقائق نوعان: كل واحد منها أحمر الزهر مبقع بنقـط سـوداء كبـيرة غـير أن زهـر الواحـد منـهما أرق مـن الآخـر.[anemon hortensis]

شقاقل: الشقاقل ولاشقاقل والشـشـقاقل: عـرق شـجر، يقـال لـه الجـزر البري.[malaberita secacul]

شقيقة: الشقيقة: وجع يأخذ في نصف الرأس مع الصدغ الـذي في ذلـك الجانب والعين.

شُكاعَى: نبات له أصل شبيه بالسعد شديد المـرارة ويعـرف عنـد البعـض بالعقد فيه قبض وخصوصا في قشره وكذلك أصله فيه أقوى شيء فيه.[centaurea calcitrappa], onoporde

شنجار: يسـمى خـس الحمـار ورجـل الغـراب ورجـل الحمـام، أنواعـه كثيرة، له ورق كورق الخس محدد ضارب إلى السواد وقد يحمـر في الصيف، عـوده كـالدم بحيـث يصبـغ اليـد ويصبـغ الأرض، ورقه أضعف ما فيه.[anchusa tictoria]

شهوة كلبية: أن يدوم جوع الإنسان ثم ياكل الكثير ويثقل ذلك عليه فيقيئه أو يغثيه . يقال كلبت شهوته كلبا.

شوْصٌ: الشوص: الغسل، شاص أسنانه: حكها بالسواك. شـاص الولـد في بطن أمه: اترتكض. والشوْص: وجع الضرس. وأيضا: وجـع البطن من الريح. والشوص أيضا: ورم في حجـاب الأضـلاع مـن الداخـل وهـو المقصـود في المـتن. والشُّـواص العصـبي: ألم الأعصاب: Neuralgie

شَوكران: وشَيكران: عشبة سامة من فصيلة الخيميات تنبت عادة بالقرب من الأماكن المأهولة وتفح منـها رائحـة مخمـة. كـان الأقدمـون

يستخرجون منها سما يسقى بعض المحكوم عليهم. Ciguë tacheté ou grande ciguë.

شُونيز: والشينيز: نبات عشبي سنوي من فضيلة الشقيقيات، أنيق النظر.حبه أسود تنتشر منه إذا سحق رائحة طيبة. يستعمل **تابلا**. ويسمى الحبة السوداء. nigele

شيافات: والفرزجات والحمولات : كل هذه حقن في الدبر وفي قبل المرأة. ومنها أدوية العين وهي شيافات وأكحال وذرورات وبرودات وهي تبرد العين.

شيان: **حي العالم** : هذا النبات أنواع، منه المسمى **الشيان** وهو يزرع في الدور، ومنه المسمى **المصفقات** ومنه المسمى **عنب السقف**.

شيح: نبات أنواعه كثيرة حتى أن البعض يدخل فيه الأفسنتين والعبيثران. وهو عند الإطلاق نوعان: نوع أصفر الزهر يشبه السذاب في ورقه وهو الأرميني ويعرف عند العامة بالشيح الخرساني، ونوع آخر أحمر غليظ الورق وهو التركي، وكله طيب الرائحة؛ ومنه عربي ينبت في بلاد العرب ترعاه المواشي.والعامة تطلق الشيح على ما يشبك من الأغصان؛ ودقيق النبات لدود القز لكي ينسج بيوته فيه.[artemisa] armoise ; absinthe

شيرج: دهم السمسم. Huile de sésame

شيطرج: هو العصاب، ويقال له جوز الرعيان هو بخور من جملة التباخير، منه قطع خشب صغار دقاق وقشوره كقشور الدارصيني، ينبت في الحيطان العتيقة له ورق كورق الحرف ويكون في الصيف، كثير الورق ويصغر ويزداد صغرا حتى لا يكاد يرى ليس فيه رائحة وهو كالحرف طعما ورائحة. [Lepidium satifolium]

—ص—

صائم: المعي الصائم معي يلي الثنا عشري . يسمى صائما لأنه لا

يلبث فيه الطعام.

صبر: عصارة شجر حامض مر جدا. يطلق أيضا على النبات الذي يعصر الصبر منه، وهو يشبه نبات السوسن غير أن أوراقه أطول وأغلظ. [aloe] myrrhe

صفن: غلاف الخصية. (l'albuginée)

صافن: عرق يمتد مع الفخذ نازلا إلى الساق من الجانب الإنسي إلى آخره ويفتصد عند العقب من جهة الإبهام.(veine saphène)

صدغ: هو ما بين العين والأذن. (tempora/tempe)

صرع: مرض في الجهاز العصبي يصحبه غيبوبة وتشنج في العضلات. "Epilepsie, maladie sacré ou divine ou lunatique"، مس من الجنون. الصدع الشديد. سقوط الإنسان بغتة مع تشنج يعتريه في جميع بدنه، فيتحرك بذلك حركة منكرة إلى أن يزبد.

صفائحي: صفيحة: ج. صفائح: وجه كل شيء ممدد عريض.رقاق صغير من العجين يوضع عليها توابل من اللحم وتخبز.

صفاق: والجمع صُفُق: الجلد الأسفل دون الجلد الذي يسلخ. الجلد الأسفل الذي يمسك البطن وهو إذا انشق كان منه الفتق – اصفاق عضلات المقلة : tunica albuginea oculi.

صفصاف: هو الخلاف، شجر معروف ينبت على ضفاف الأنهر وفي الأماكن الرطبة؛ وقد يخرج لورقه إذا شدخ صمغ قوي ; saule [populus].saule safsaf

صفيراء: هي الدلب. أنظره.

صلب: هو العمود الفقري أو سلسلة الظهر. (rachis)

صلبة: الطبقة الصلبة هي أول طبقة للعين من الخارج. (sclérotique)

صماخ: خرق الأذن الباطن الماضي إلى الرأس.

صمام: وهي تؤلف الصمام أو الصميم (valvule) المسمى (tricuspide).

صمغ: شيء يسيل من الشجرة ويجمد عليها.

صندل: شجر هندي طيب الرائحة يشبه شجر الجوز؛ يحمل ثمرا في عناقيد، له حب أخضر، والمقصود هنا خشبه.[santal; [sandon

خشب صندل: خشب غلاظ يؤتى به من الصين أصفر وأحمر وآخر أصفر مائل إلى البياض يسميه بعض الناس مقاصيري.

صنوبر: شجر لا يزال مخضرا يحمل أكوازا داخلها حب صغير مستطيل في داخله لب أبيض لذيذ ودسم للغاية. ورقه دقيق جدا، يتخذ من عروقه الزفت وهو أشبه شيء بالأرز.[pin; [pinus pinea

صُوَر: جمع صورة. والصورة في الاصطلاح الأرسطي يقال في مقابل المادة: هيأة الكرسي أو صورته هي شكله المعروف به ومادته: الخشب. ومثل ذلك اللحم فمادته هي العناصر الأربعة، إذ منها تتكون جميع الأجسام. أما أنواع اللحم فهي تختلف باختلاف كمية وكيفية اختلاط هذه العناصر. هذا والصورة تكون مادة لصورة قبلها: فالعناصر الأربعة مادة للعضو إذ منها يتركب. والأعضاء مادة لصورة فوقها هي الجسم المركب منها، والجسم مادة لصورة أخرى فوقه هو الصورة المزاجية للجسم. والأجسام تفعل فعلها بصورها المزاجية وبما يصلها من الحرارة الغريزية المنبعثة من القلب. وهذان مادة لصورة فوقهما هي النفس.

- ض -

ضِرو: صمغ شجرة تدعى الكمكام يجلب من اليمن وهو المصطكا أو شجر العلك. fruit de lentisque

ضمد: ضمد الجرح: شده بالضماد. والضماد والضمادة: خرقة يشد بها العضو المجروح.

ضوارب: العروق الضوارب (pulsatiles) هي العروق التي تنبض، وتسمى النابضة أو الدَّارة (وهي الشرايين artères)؛ وغير الضوارب هي التي لا تنبض (وهي الأوردة veines). وكلمة العروق

(vaisseaux) تحمل عليهما جميعا. في المتن: أن العروق الضوارب مؤلفة من طبقتين (tuniques) متشابهتي الأجزاء إلا عرقا واحدا، وهذا هو ما يمكن أن نعبر عنه بلغتنا أن هذا العرق -الذي هو الشريان الرئوي (artère pulmonaire)- وإن كانت بنيته كبنية العرق الضارب (الشريان) فإن وظيفته تشبه وظيفة العرق غير الضارب (الوريد).

- ط -

طباشير: الطباشير رماد عظم العاج المكلس إلى أن يصير أبيض.

طبخ: من طبخ الطعام. "والطبخ يكون بالحرارة الغريزية التي في الجسم"، وهو ما يعبر عنه اليوم بالانصهار والذوبان بالتفاعل الكيميائي.

طِحال: معروف. غدة اسفنجية في يسار جوف الإنسان. (rate)؛ والطحال: داء يصيب الطحال.

طحلب: الطحلب هو الخز الذي يكون على وجه الماء، يتولد من تراكم الرطوبات المائية وينعقد بالبرد، وهو إما حب متفاصل الأجزاء ويسمى بخز الماء أو خيوط متصلة ويسمى غزال الماء، منه بحري ومنه نهري ومنه صخري.[lemna minor]; algue

طراثيث: قطع خشب متغنضة في غلظ أشبر وطوله أقل قابض الطعم يجلب من البادية.

طرطانيا: هي الخراطين. انظره.

طرفاء: أن تحدث في العين نقطة حمراء من ضربة أو غيرها أيضاً:

نبت كثير الوجود بالجبال المائية أحمر القشر دقيق الورق. [tamarix], tamaris

طيهوج: طائر. ذكر السُلكان.

طين: معروف، ويطلق على ما تخلل من الأجزاء الترابية ونضج حتى فنيت أجزاؤه. وهو كثير الأنواع يختلف باختلاف طبقات

الأرض وخلوصها من الكباريت والمعادن الفاسدة، وتجفيف الحرارة والتدخين. أجوده الحر النقي الحاصل بعد المياه بالرسوب. [phragis]

-ظ-

ظفرة: غشاء يأتي من الماق الذي يلي الأنف على بياض العين إلى سوادها.

- ع -

عاقر قرحا: نبات مغربي يتفرع عن قضبان كثيرة في رؤوسها الأكاليل وزهر أصفر وأسنان كالبابونج وله ساق مثل ساق المازريون وإكليل مثل إكليل الشبث، وله عرق في غلظ الأصابع، يحدو اللسان حدوا شديدا، منه نوع شامي يسمى عود القروح؛ وهو أصل الطرخون الجبلي. [anacyclus pyrethrum]

عانة: **عظم العانة:** أو القُحْقح (الأصمعي)- (pubis) هو الذي في أسفل البطن فوق قبل المرأة وذكر الرجل.

عبقر: مكان كانت العرب تزعم أنه كثير الجن. وعبقر السرابُ: تلألأ.

عجز: عظم العجز (sacrum) عظم منحن مثلث الشكل مكون من خمسة أعظام متحدة، وهو في الحقيقة فقرات واقعة بين الأخيرة من الفقرات القطنية من أعلى والعُصعص (coccyx) من أسفل وبين الحرقفتين من كل جانب. ويمكن شكله: عَجُز أو عَجِز.

عجم الزبيب: العجم والعُجام نوى التمر. وعجم الزبيب نواه. كل ما كان في جوف مأكول.

عرعار: والعرعر: هو بري السرو ولا فرق بينهما غير أن العرعار أشد استدارة وأصفر، يميل إلى حلاوة. [thuya junperus sabena] Geneviève;

عرق السوس: انظر سوس. Réglisse (racine)

عرق الكتفي: (veine scapulaire)

عرق النَّسا: مقصور قبالة الصافن في الجانب الوحشي.

وجع يمتد من لدن الورك إلى الفخذ كله في مكان منه في الطول وربما بلغ الساق والقد ممتدا.

عشق: "إلهام النفس بمن يعشقه وإدامة الفكر فيه ومن علاماته غرر العينين وكثرة حركاتها وحركة أجفانها وقلة الدموع".

عصا الراعي: هو البطباط، نبات شائك، غض الأوراق، مزغب، بزره بين ورقه، أحمر دقيق في الذكر أبيض في الأنثى، والذكر أقوى.
persicaire [Polygonom equisetum]

عَصَب: (nerfs) والوَتَر (tendons) – وكذلك العَضَل، الخ. – ألفاظ يسمى بها الواحد والجمع. ويرد في المتن العَصَبة (واحدة العصب)، ولا يرد الوترة (واحدة الوتر). ويرد أيضا الأعصاب (جمع عصب) والأوتار (جمع وتر).

عضل: واحدتها عضلة. هي آلات الحركة للحيوان مركبة من لحم وعصب ورُبُط مثل عضلة الساق في الإنسان. و"أصغرها عضلة العين التي تحرك أجفانها".

عصعص: في تعريف القدماء العصعص (coccyx) هو: عَجْب (أي مؤخر) الذَّنَب وآخر الظهر بالحقيقة وهي ثلاث فقارات أيضا تحت العجز.

عضُد: أو العَضْد أو العَضِد... هو غليظ الذراع بين المرفق والكتف وهو متعارف في اللغة، والعظم العضدي (humérus) يتصل بعظم اللوح في الأعلى وبعظمَي الزند اللذين هما الزند (cubitus) والكعبرة (radius)كما سنرى فيما يأتي.

عَفِصٌ: حامض. عفاصة: حموضة. acre, acide

عَفص: شجر جبلي يقارب البلوط وهو غض مضرس وليس بمثقب؛ ومنه ما هو أملس خفيف مثقب، فيه قبض شديد يمنع

الرطوبات وسيلانها.[galla] ,noix de galle

عفونية: الحمى العفونية. انظر: حمى.

عقب: أو العظم العقِبي (calcanéum/os calcis)

عقص: عقص الشعر ضفره. والعقيصة: ضفيرة الشعر.

عقيق: انظر حجر العقيق .

عُلّيْق: نوع من أنواع العوسج، شجر كالورد إلا أنه أطول عسالجا وشوكا، وثمره كالتوت، والجبلي منه سبط قليل الشوك وثمره شديد الحمرة ثم يسود، ينمو على الماء؛ وهو كثير الوجود.
ronce ; mûrier sauvage; Rubens fricicosus

عُماص: انظر: غمص.

عناب: شجر يقارب الزيتون في الارتفاع والتشعب، لكنه شائك جدا وورقه مزغب من إحدى وجهيه وحبه يشبه حب الزيتون في شكله، أجوده النضيج اللحم والأحمر الحلو. jujubier
[zicyphus vulgaris].

عنب الثعلب: نبات عشبي من فصيلة الباذنجيات ينمو في الأماكن البائرة وعلى حافة الطرق له أوراق بيضية الشكل وأزهاره صغيرة بيضاء. نبات يسمى البستاني منه بالكاكنج والبري بالفنى، وإذا أطلق عنب الثعلب يراد النبات الذي يميل إلى الخضرة وحبه بين أوراقه مستدير رخو، يحمر إذا نضج. وهو أصناف كثيرة . منها صنف مخدر منوم له أغصان كثيرة كثيفة متشعبة مملوءة ورقا دسما كورق التفاح المطعم بالسفرجل، وزهره كبير أحمر وثمره في غلاف لونه لون الزعفران وأصل قشره أحمر، ينبت في الأماكن الصخرية. solanu, [physalis al kekenyi]

عنب الحية: نبات معرش من فصيلة القرعيات ينمو في الغابات أو الأماكن البائرة أزهاره عنقودية الشكل وذات لون أبيض ضارب إلى الخضرة.

عنبة: والعِنَبة: بثرة تعدي، تأخذ الإنسان في عينه وفي حلقه. يقال:

في عينه عنبة : pustule

عنبر: طيب، وهو مادة صلبة لا طعم لها ولا رائحة إلا إذا سحقت أو أحرقت، فإنه حينئذ تنبعث منها رائحة زكية. وقيل إن العنبر عيون بقعر البحر تقذف مادة دهنية إذا صارت على وجه الماء جمدت فيلقيها البحر إلى الشاطئ، وأجود العنبر الأشهب ثم الأزرق ثم الأخضر.[ambar]

عنبية: الطبقة العنبية من طبقات العين.

ثمرة لحمية لا نواة لها تحتوي على بذرة أو أكثر كالعنبة. balle

عنصل: ويسمى بصل الفأر، واشقيل، وبصل الخنزير، وبصل فروعن، وعند العامة يعرف بالبصيّلة. هو بصل بري معروف.[scilla] scille.

عنكبوتية: الطبقة العنكبوتية، من طبقات العين.

عود الطيب: " العود" معروف.

– غ –

غار: شجر طيب الرائحة ينبت بريا، ورقه دائم الاخضرار وخشبه صلب وعطر. يستخرج من عنبياته نوع من الزيوت يستعمل كدواء لتسكين الأوجاع. laurier

غاريقون: شيء يتولد في الأشجار المتآكلة على سبيل العفونة، وأكثر ما يوجد في قلب شجر الأرز، يشبه جمار النخيل، لونه أشهب.[agaricus] ;agaric

غافت: نبت شائك عريض الأوراق مزغب في وسطه قضيب خشن له زهر منه أزرق ومنه بنفسجي، مر الطعم، يعرف بالمغرب بالترهلا أو بالترهيل.[eupatorium]

غِبٌّ: الغب من الحمى أن تأخذ يوما وتدع آخر. وجل مُغب: أغبته الحمى.

غُسالي: من الغُسالة، السائل الوسخ. والدم الغسالي: الذي فيه قيح.

غشاء وعائي: العضل الذي على البطن والغشاء الذي تحته، وهو الذي يحوي الأحشاء. (pie-mère/*pia mater*) وهو الغشاء المغلف للدماغ والحبل الشوكي أو النخاع.

غضروف: (cartilage) يعرفه القدماء كما يلي: "هو جسم دون العظم في الصلابة وفوق اللحم -وتسميه العامة العظم الرِّخص- مثل حرف عظم الكتف ونحوه؛ ومعنى غضروف عظمي أي هو أصلب من غيره من الغضاريف".

غضن: الغَضَنُ والجمع غضون: كل تجعد وتثن في جلد أو ذراع أو ثوب أو نحوها. غضون الأذن: مثانيها. رجل ذو غضون: في جبهته تكسر وتشنج . الغضْنة والغَضَنة: قشرة رقيقة تعلو جلد المجدور (=المصاب بالجدري).

غمز: ضغط قليلا باليد أو بالإصبع.

غمَص: ما تفرزه العين كالوسخ. ويسمى أيضا: الرمص والعماص.

– ف –

فاسوخ: هو الأشق: انظره.

فالج: شلل نصفي. داء يحدث في واحد من شقي البدن فيبطل حركته: hemiplegia, hémiplégie

فاوانيا: يسمى عود الصليب، وعند عامة المغرب ورد الحمير. نبات دون ذراع، ورق الذكر منه كالجزر والأنثى كالكرافس، وله زهر فرفيري وأسود، يخلف غلافا كالموزة يفتح عن حب أحمر في حجم القرطم. pivoine, [paconia]

فتاق: أخلاط من أدوية مدقوقة تفتق أي تخلط بدهن الزئبق كي تفوح ريحه.

فتر: حمى مُفْتِرة: تتسبب في الفتور: الضعف. أن تسكن بعد نوبتين.

فتق: والجمع: فتوق. الفتق معروف وهو شق في الصفاق يخرج منه ما كان محصورا فيه من الأمعاء وسواها.: hernie

فجل: نبات له أرومة تؤكل، ذات لحم أبيض وقشر أحمر أو أبيض أو أسود وورق عريض.[raphamus] و raifort; radis

فخذي: الذي فيه رأس الفخذ. (tête du fémur)

فراسيون: يسمى عند العامة بالمغرب مرِّيوت. حشيشة أو أصل مربع يقوم عند فروع كثيرة فيها أوراق خشنة وزهر أزرق أو أصفر، وهي مرة الطعم، تنبت بالخرائب والجبال.[mrrubium]

فصل: بالمعنى المنطقي: الخاصية التي تفصل الشيء عن أمثاله ممن ينتمون إلى جنس واحد، كالعقل يفصل الإنسان عن الحيوان.

فَقارة: الفِقرة، الخرزة من خرزات الظهر. انظر: خرز.

فلغموني: من اليونانية: phlegmon وهو ورم دموي يكون عن الجراحة والفتح والقطع الخ، وتجمع الدم في الجرح وفساده . وعلاماته انتفاخ في العضو ووجع وضربان وتمدد وشدة الحرارة والالتهاب وحمرة. ومن أنواعه الورم المسمى **الحمرة** ويقال له الحمرة الخالصة، ومنه الجدري وتسميه العرب "بنات النار"، فإن حدث الورم في الرأس والوجه سمي ماشرا، وعلامته الحمرة الشديدة في الوجه وانتفاخ الرأس. وإن حدث في غشاء الدماغ قيل له سرسام، وإن حدث في الملتحم من طبقات العين قيل له رمد، وإن حدث في الغشاء المستبطن للأضلاع قيل له ذات الجنب، وإن حدث في الرئة قيل له ذات الرئة ،وإن حدث في الحجاب قيل له برسام، وإن حدث بالقرب من الأظفار قيل له داحس، وإن حدث في اللحم الرخو الذي تحت الإبطين الأربتين أو في العنق أو خلف الأذن وتولدت فيه المدة بسرعة قيل له طاعون وخراج. وإن كان فلغموني يضرب إلى الحمرة أو حمرة تضرب إلى الفلغموني وقد حدث فيه المدة قيل له فلوجتلن وهو الطاعون . وإذا حدث في غير هذه الأعضاء قيل له ورم فلغموني مطلق. وإذا انفتح هذا الورم قيل له ابسطاما وهو اسم

يدل على التباعد والتفرق.

فلفل: معروف، من التوابل يؤتى به من الهند. (في المغرب: الابزار)[polgonum]

فلنجمشك هو البنجنكست :نبات أقرب إلى أن يكون شجرا ينبت في الأماكن القريبة من المياه. أغصانه صلبة وورقه كورق الزيتون إلا أنه ألين، فيه لطافة وحرافة وعفوصة. و يقول ابن رشد "هو المسمى عندنا شجرة إبراهيم".

فلوس: فلوس السمك: ما عليه من قشر.

فهر : حجر رقيق تسحق به الأدوية.

فو: نبات له ورق كورق الكرفس في النعومة وأصل كالآس، وله ساق أملس أرجواني ذو عقد وله زهر يشبه النرجس، ويتشعب أصله شعبا، فيه عطرية. [valeriana phu]

فواق: ترجيع الشهقة العالية. hoquet

فوة الصباغين: ويسمى عروق الصباغين. نبات أحمر طيب الرائحة منه بستاني ومنه بري وأجوده البستاني الأحمر. معروف بهذا الاسم بالمغرب يزرع بنواحي مراكش. [rubia tinctoria]

فوذنج: فوذنج وفوتنج. نبات أصنافه كثيرة، منه نهري ومنه جبلي واختلافه بالطول ودقة الورق والخشونة، فالجبلي دقيق الورق قليلها، سبط حريف يشبه الزوفاء، والنهري أكثر ورقا منه وأخشن وأغلظ، حاد الرائحة عطري، والعامة تسميه نعنع الماء، أو حبق الماء. [mentha puleginomo]

فوفل: ثمر نبات في الهند يشبه جوزة الطيب، يتناوله أهل الهند لتطييب الفاكهة.

فيجل: هو السذاب :انظر سذاب.

فيقرا: عصارة شجر حامض مر جدا، ويطلق أيضا على النبات الذي يعصر الصبر منه، وهو يشبه نبات السوسن غير أن أوراقه أطول

وأعرض وأغلظ كثيرا. وهو كثير المائية جدا، ولذلك إذا قلع وعلق في الظل يبقى أشهرا على خضرته.

- ق -

قاقلة: القاقلة حب يخرج في أصل عريض الورق طيب الرائحة وهو ذكر وأنثى؛ فالذكر مثلث الشكل بين طول واستدارة وقد رصفت فيه الحبات كل واحدة كالعدسة لكنها مفرطحة، والأنثى غلافها بغلظ الإصبع مثلث أيضا ينفك عن حب كالحمص. [cardamomum]

قثاطير: آلة للإيصال الدواء إلى المثانة.

قُثّاء: والقِثاء: نبات ثمره يشبه ثمر الخيار.

قحف: (crâne) هو عموما الجمجمة. يعرفه الأطباء القدماء كما يلي: "الأعلى من عظم الرأس". وفي قواميس اللغة هو: "العظم فوق الدماغ وما انفلق من الجمجمة فبَان، ولا يدعى قحفا حتى يبين أو ينكسر منه شيء".

قراصيا:
قراسيا: والقراسيا: شجر كالإجاص يحمل ثمرا يشبه العنب الأسود، ويعرف في مصر بخوخ الدب وبالمغرب بحب الملوك، كثير المائية شديد الحمرة إذا نضج أسود، فيه مرارة بين حموضة وحلاوة. [cerazus]

قردمانا: شجرة تخلف قضبانا وأوراقا بين الخضرة والبياض لها زهر ضارب إلى الزرقة، تخلف بزرا أصفر طوال، فيها مرارة وحرافة، وقال قوم إنها هي الكراويا بنفسها.[carum carvi]

قرصعنة: نوع من الفو يعرف بشوكة إبراهيم، يختلف ببياض الورق وخضرته وبياض الشوك وزرقته، وكله يبسط ورقا على الأرض ثم منه ما يفرع فروعا مبسوطة العقدة، وهو أصناف عديدة، منه نوع طويل سبط لونه كالسوسن البري ونوع أبيض طويل كثير الورق حاد الشوك كأنه خرشوفة طويلة. [panicant]
panicaut;

قُرْطُم: القرطم، هو حب العصفور، وشجره منه بستاني ومنه بري، فالبري أطول ورقا حيث ينبت في ظرف القضيب وباقي القضيب مجرد، وله زهر أصفر وأصل رقيق. Carthmus

قرَظ: يسميه بعضهم أقاكيا وبعضهم أفاقيا وهو عصارة شجرة شوكة أغصانها و شعبها ليست بقائمة ولها زهر أبيض وثمر مثل الترمس أبيض . والصمغ العربي يكون أيضا من هذه الشوكة . عصارته يدبغ بها.

قرنفل: القرنفل والقرنفول. ثمر شجرة كالياسمين وهو أفضل الأفاويه الحارة وأزكاها والعامة تسميه كبش قرنفل، ومنه ثمر ويسمى الذكر ومنه زهر ويسمى الأنثى، وزهره أزكى. ويطلق القرنفل أيضا على نبات بستاني له زهر أحمر في الغالب أو أبيض طيب الرائحة ويكثر في الشام.[cariophyllus]

قرنية: قرنية العين. سميت بهذا الاسم لكونها تشبه القرن في صلابته. cornée

قِرو: أن تعظم جلدة البيضتين لريح فيها أو ماء أو نزول الأمعاء والثرب، ويقال له أيضا: قروة.

قُسْط: القسط عود أو قطع خشبية يتداوى بها وهي ثلاثة أصناف، أبيض خفيف طيب الرائحة يحذو اللسان، وهو الندي، وأسود خفيف وهو الصيني، وأبيض خفيف عطري مائل إلى الصفرة وهو العربي وهو الأجود.[cortus]

قسطران: هو الياطونيقا، ويسمى أيضا القسطان، ويعرف بالكمادريوس. يعني بلوط الأرض، شجر ورقه كالبلوط مر الطعم زهره بين بياض وصفرة يخلف بزرا دون الأنيسون.[betonica]

قصّ: (sternum) –أو القصص أو الجؤجؤ– هو العظم الطويل الذي يستقر في مقدم الصدر حذاء منتصفه ويمتد من الأعلى إلى الأسفل وينضغط من الأمام إلى الخلف –كما يعرف اليوم–، وهو يحوي ثلاث مناطق: القبضة والجسم، والذيل الخنجري (processus

xiphoïde) الذي سيشار إليه في المتن.

قصب الذيرية: هو قصب، منه ما يكون متقرب العقد يتكسر شظايا كثيرة وأنابيبه مملوءة من شيء كنسج العنكبوت. وفي مضغه حرافة ومسحوقه عطر، لونه إلى الصفرة والبياض. [calamus]

قضف: نحف ودق. والقضافة: رقة العظم وقلة اللحم. والقيضفة من النساء ج قِضاف: المشوقة.

قضيب: عضو الذكورة عند الرجل. (*phallus*/penis)

قطرب: نوع من المالنخوليا وصاحبه يتشبه بالديوك ويصيح صياحها ويتشبه بالكلاب وينبح نباحها ويخرج ليلا إلى المقابر...

قَطَف: بقلة يقال لها السرمق وهي نبات كالرجلة إلا أنها أطول وورقها غض طري لها بزر مائل إلى الصفرة وفيها ملوحة لزوجة، توجد عند المياه.[atriplex] arroche des jardins; follette belle-dame

قطَن: هو الموضع العريض من الظهر ما بين الوركين. (lombes)

قفر اليهود: سائل، منه ما ينبع من بعض الجبال ومنه ما يطفو على مياه العيون يستعمله الناس في السراج بدل الزيت. العنبر أحد أصنافه.يغش بزفت يخلط به .إذا مضغ خرج منه طعم القار. وهم قطع سود خفيفة.

قُلاع: بثور في جلد الفم أو اللسان. قلاع الأذن: تشقق يعرض في أصل الأذن يرشح بالمِدَّة والماء الأصفر. داء يصيب الصبيان في أفواههم وحلوقهم. aphte; pustule, aux lèvres

قُلفة: والقَلَفَة: جلدة عضو التناسل للمذكر وهي التي تقطع عند الختان. prépuce

قلقطار: نوع من الزاج.

قنة: هو صمغ نبات يشبه القنا في شكله ويسمى بلفظ عامة المغرب بتابشنيخت وهو الجزر البري، ويسمى القنا الأحمر، ويستعمل كبخور، ويسميه بعض الناس مكانيون، وهو صنفان أصفر

وأبيض خفيف والأصفر هو الأجود.[galbanom]

قنطوريون: منه كبير أصله كالجزر الغليظ شديد الحمرة، داخله رطوبة كالدم، يقوم عنه ساق مزغب خشن كالحماض، له زهر كحلي يخلف بزرا كالقرطم، فيه حرافة ومرارة وحلاوة، والورق مما يلي أصله كورق الجوز. ومنه صنف صغير يشبه السذاب وساقه نحو شبر وبزره كالحنطة مر الطعم.[erytraca]

قُوَباء: والقُوَباء: داء يتقشر منه الجلد وينجرد منه الشعر impétigo، ecthymam, eczéma . قوباء الذقن: مرض الشعر: sycasie.

قوة: في مقابل الفعل. الخشب ينطوي بالقوة القريبة على الكرسي، إذ يصنع منه مباشرة. أما النبتة فتنطوي عليه بالقوة البعيدة: أي يبعد أن تصير شجرة وتقطع خشبا.

قول: ما يعرف بالقول: أي بالاستدلال وعكسه ما يعرف بالتجربة فقط.

قولون: المعي الذي يحدث فيه القولنج. ومنه اشتق.

قولنج: مرض معوي مؤلم يصعب معه خروج البراز والريح وسببه التهاب القولون.

مرض في عضو من أعضاء في الجهاز الهضمي التهاب أو غيره. **قولنج كبدي**: colique hépatique . القولنج الكلوي: colique rénale.

قوى: **قوى: قوى طبيعية، وقوى حيوانية، وقوى نفسانية** (انظر: مزاج). أفعال القوى الطبيعية مثل الجذب والإمساك والهضم والدفع. وأفعال القوى الحيوانية مثل الانبساط والانقباض. وأفعال القوى النفسانية مثل المحركة بإرادة . والأفعال منها مفردة وهي التي ذكرنا، ومنها أفعال مركبة وهي التي يفعل كل واحدة منها قوتان أو أكثر مثل الشهوة التي تكون من القوة الجاذبة ومن القوة الحساسة.

"**أنواع القوى الفاعلة في الغذاء** أربعة: **جاذبة الغذاء، ومنضجة** له أي طابخة، **وممسكة** حتى ينطبخ، **ودافعة** له أي للفضل

منه وهذه تدرك بالحس في المعدة وفي الرحم. وذلك أنه يظهر أن في المعدة قوة تجذب بها الغذاء وتمسكه حتى تهضمه ثم تدفعه وكذلك يجب أن يكون الأمر في كل واحد من الأعضاء فإن التغذي لا يتم إلا بهذه القوى الأربع.

قوى الأدوية: قوى أول، وثواني وثوالث: "والأحوال التي تفعلها الأدوية في أبدان الناس منها **أول** وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، ومنها **ثوان** وهي مثل الإنضاج والتليين والتحليل والتفتيح وغير ذلك .وإنما سميت **ثواني** لأنها تابعة لمقادير امتزاج القوى الأول في الأدوية. ومنها **ثوالث** وهي التي تختص بأعضاء ما.. والموضوع الذي تعرض فيه هذه الانفعالات إذا كان أي عضو اتفق سميت تلك الأفعال للأدوية ثوانيا. وأما إذا كان الموضوع لها عضوا خاصا سميت أفعالا ثوالثا، مثل الأدوية التي تُدِرُّ البول وتنقي الرئة".

قياس: يتكرر هذا المصطلح . والمقصود: القياس المنطقي، وهو بصورة عامة استخراج المجهول من المعلوم.

قير: قيَّر الشيء: طلاه بالقار. والقير: القار مادة سوداء تطلى بها السفن: الزفت.

قيروطي: مرهم يضمد به.

قيصوم: نبات ذهبي الزهر ورقه كالسذاب وثمره كحب الآس إلى غبرة، طيب الرائحة.[santonicus]

قيفال: عرق في الجانب الوحشي عند المرفق وهو: "العرق الذي يفتصد من وحشِيِّ الذراع، وتسميه العامة عرق الرأس". (veine céphalique)

– ك –

كابوس: أن يحس في النوم كأن إنسانا ثقيلا قد وقع عليه وضغطه وأخذ بأنفاسه.

كافور: صمغ شجر عظيم، خشبه أبيض هش خفيف، زكي الرائحة، ليس له زهر ولا حمل، والكافور أنواع، أجوده الأبيض الرياحي، وهو كثير المنافع.[laurus]

كاكنج: هو عنب الثعلب الأحمر الثمر.

كبّابة: ويسمى حب عروس.[piper cubeba]

كَبَر: هو شجر الأصف والعامة تقول الكبّار والقبّار أيضا. هو شجر شائك كثير الفروع دقيق الورق له زهر أبيض يفتح عن ثمر في شكل البلوط ينشق عن حب أصفر وأحمر. فيه رطوبة وحلاوة، يكثر بالخرائب وبالجبال.[capparis] caprier épineux

كَثيراء: صمغ شجرة يقال لها طرقاقيبا. adragante (gomme)

كحيلاء: نبات يدعى أيضا لسان الثور. Buglosse; bourrache ; echium; rubrum

كراثية: من الكرّاث، والمقصود في المتن: لون الكراث وهو بقل خبيث الرائحة شبيه بالثوم. وهو الثوم البري. توكل سوقه مطبوخة، حساء أو سلطة. والكراث الأندلسي ويسمى القُفلوط: بقل من الصنف نفسه، صغير الحجم تصلح بصلتها تابلا وتمزج أوراقها بالسلطة. echlote ;charlotte ; poireau

كراويا: هي الكراويا، بزر نبات يشبه أغصانه وورقه بالرجلة إلا أن لون ورقه وأغصانه إلى الكمودة أميل، وزهره أبيض. [carmbarvi]

كرسنّة: هي الجلبان: انظر جلبان. Ers; orbe; pois de pigeon

كرفس: بقلة كالبقدونس تؤكل، وهي أصناف عديدة، منها صنف جبلي له ساق طوله نحو شبر وأصله دقيق وحول أصله قضبان عليها رؤوس شبيهة برؤوس الخشخاش إلا أنها أدق منها وثمرته مستطيلة حريفة طيبة الرائحة، ومنها صنف صخري وهو البطرساليون، ومنها صنف كبير وهو الكرفس البستاني، لونه إلى البياض، له ساق أجوف طويل ناعم، في ميل يسير إلى الحمرة.[apium] ache

كرنب: منه نوع ملفوف كالسلق، ومنه نوع يشبه القنبيط إلا أنــه أغـض منه وأكثر حلاوة، ومنــه نــوع بــري مـر الطعـم.[brassica] chou-rave; comtrave

كزاز: الكُزاز والكزّاز: داء أو رعدة من شــدة الـبرد. والتكــزز: انطبـاق الفكين بتقلص العضلة الماضغة فيمتنع فتح الفم.

والكُزاز أيضا: مرض قتال يصيــب الجـرح إذا تلوثـت جراحــه بتراب الأرض المحتوي على بلسيل التيتانوس. tétanos

كزبرة: نبات من الأباريز معــروف، منـه بـري ومنـه بسـتاني، وبزرهـا يعـرف بـالجلجلان، واللفظـة كلدانيـة (كسبر) وكزبـرة البـئر: البرشاوشان. adiante [corrindum]

كسر: تكسر والعضل: حالة يجد الإنسان فيها اختلافا في البرد ونخسا في الجلد.

كشوث: نبات طفيلي لا جذر له ولا ورق إنما له أزمار طروية صغيرة لونه أبيض أو ضارب للحمرة. cuscute

كِشك: كشك الحنطة والشعير : ما هرس هرسا بالمهراس أي دق حتـى ينسلخ قشره.

كُظر: الشحم على الكليتين. Surrénale

كعب: (malléole) متعارف في اللغة، ويعرفـه الـرازي كمـا يلـي: "هـو عظم مُصمَت: ما بين طرفَي الزندين والعَقِب، وهــو غـير ظـاهر، والعرب تسمي أيضا العقدتين اللتين همـا طرفـا زنـدَي السـاق - الكعبين، وكل ناتئ عنهما هو كعب".

كعبري: الشـريان الكعـبري وهـو العـرق الـذي يجسّـه الأطبـاء. (artère radiale)

كمافيطوس: هو الحمانيطس ومعناه صنوبر الأرض، نبـت يشـبه حـي العـالم الصغير بتفتيل أوراقه وامتلاءها بالرطوبة وتراكمها. له زهر أصفر يخلف بزرا أصغر من بزر الكرفس، مر الطعم.[tecrium]

كمثرى: هو نوع من الإجاص، ويسمى بالمغرب بالإنجاص (بالجيم المصرية)، شجر يقارب السفرجل لكنه سبط لطيف العود والورق، منه بري ومنه بستاني فالبري صغير الثمر والبستاني أكبر ثمرا وشجرا ويختلف كل منهما لونا وطعما وحجما واستدارة واستطالة، وأجود الكل الرقيق القشر الحلو العطري الكبير. [pirus] poirier

كمرة: رأس الذكر.

كندر: بخور، هو اللبان: صمغ شجرة نحو ذراعين شائكة، ورقها كالآس وهو يكون ببلاد اليمن، والذكر منه هو الصلب الضارب إلى الحمرة، والأنثى الأبيض الهش وقد يؤخذ طريا ويجعل في جرار الماء ويحرك فيستدير. [scrophularia]

كندس: الكندس والكوندوس: عروق نبات داخله أصفر وخارجه أسود، حاد الرائحة، إذا سحق ونفخ في الأنف عطس، ويعرف بعود العطاس. يغسل به الصوف في ريف الشام، ورقه بين بياض وحمرة. [saponaria]

كُهرباء: كلمة فارسية معناها: العنبر الأصفر. يجذب التبن.

كيلوس: مستحلب الطعام المهضوم قبل امتصاصه في المعدة. هو الطعام إذا انهضم في المعدة وصار مثل كشك الشعير، فالشعير إذا طبخ وغلظ سمي كيلوسا، وكذلك صفو الطعام الذي يتخثر في المعدة ويمر إلى الكبد. Chyle

كيموس: يقال لمادة إنها تولد كيموسا رديئا أو جيدا يعنون به ما يولده في البدن من الغذاء.

– ل –

لاحج: يقال لحجت عينه بمعنى فيها غمص. والجزء اللاحج من اللبن هو الجبن لانه يشبه الغمص الذي يكون في العين، خصوصاً في بداية تخثره.

لاحق: والجمع اللواحق: ما يعرض للشيء من صفات وخصائص لا تدخل في ماهيته، ليست مقومة ذاتية له. والأعراض كاللواحق. مثال ذلك: الرغوة في الخمر، فهي لاحق أو عارض له وليست من مقوماته الذاتية.

لاذن: اللاذن واللادن: عنبر يؤخذ من شجر يقارب الرمان طولا وتفريعا، إلا أن ورقه عريض يتصل بعضه ببعض، صلب رقيق له زهر مائل إلى الحمرة يخلف كالزيتونة تنكشف عن بزر دقيق أسود. [ladanum]

لبة: موضع اللَّبة هو حيث الحنجرة ويعرفها القدماء كما يلي: هي المنحر وهي النقرة التي بين الترقوتين. موضع القلادة من الصدر.

لبلاب: نبت ورقه كورق اللوبياء يتعلق على الشجر، ويسمى عاشق الشجر، وحبل المساكين، ويسمى بمصر بالعليق، ويختلف بحسب الزهر واللون والحجم والجنس. [convolvulus]; lierre

لحج: ألحجه إليه: ألجأه. ألحج الدواء في مسام البدن: أدخله فيها بالشيء من الدلك كما يفعل في المراهم.

لحي: هو عظم الحنَك. (os palatin)

لحية التيس: نبت ورقه كورق الكراث، فيه عفوصة، حاد الرائحة. [equiseton]

لدونة: رطوبة.

لذع: ألم حاد. وهو غير اللدغ.

لزاق الذهب: وهو التنكار: انظره.

لسان الحمل: نبت منه كبير ومنه صغير، وكلاهما أصفر الزهر، له حب كالحمص، وورق عريض مزغب، ويعرف عند البعض بالمصاصة. [plantago]

لسان المزمار: لهاة، لحمة في الفم مطلة على الحلق. (épiglotte)

لُفاح: نبات عريض الورق يفرش على الأرض وله ثمر يشبه ثمر التفـاح إلا أنـه أصفـر شـديد العفوصـة، فـإذا نضـج مـال إلى الحـلاوة، ويعرف باليبروح، ويسمى بالشام تفاح الجن. قيل إن أصل هـذا النبات يتكون كصورة الإنسان إلا أنه لا شعر فيـه.[maradrajoa] mandrgore

لقوة: اللقوة: تعويج الفم والوجه وميل الشدق إلى جـانب. Distorsion de la bouche, paralysie faciale

لكّ: اللك: صمغ نبات طيب الرائحة يقوم على ساق ويتفـرع ويزهـر زهرا أصفرا ثم يخلف بزرا، يقرب من القرطم، ومنه نوع يقـرب من المر.[lac] chêne de chevelu

لوبياء: اللوبيـاء واللوبيـا: نبـات سـبط عريـض يمتـد علـى الأرض وفي قضبانه كالخطوط له حب منه أبيـض ومنـه أسـود ومنـه أحمـر يؤكل مطبوخا وهو أجود مـن الفـول ودون الحمـص، ويطلـق في المغرب على كثير من أنـواع الحبـوب، والمشـهور منـه هـو نـوع يعرف في المشرق بالفاصوليا.[dolichas]

لوز: منه بري ومنه بستاني، وكله إمـا حلـو أو مـر، وشـجره يرتفـع ويعلو ويتشعب، ورقه سبط مسـتطيل، وثمـره إمـا رقيـق القشـر يفرك بـاليد أو غليـظ يكسـر، ودهنيـة اللـوز قريبـة مـن دهنيـة الجـوز، واللـوز كثـير المنـافع وبـالأخص المـر منـه.[amiddula] amandier

لوف: نبات ينبت ويستنبت وثمره محشـو وفيـه حـدة ومـرارة يسـيرة ومنـه سـبط خشـن، ومنـه جعـد ولـه ورق كـاللبلاب وبصلـة كالعنصل.luffa [arum]

ليف: في العين: يتعلق الأمر هنا اصطلاحـا بالطبقـة الليفيـة (tunique fibreuse)؛ ويدخـل تحـت اسـم الطبقـة في المـتن مجموعـة مـن أشكال الطبقة التي يختلف اليوم اسمها حسب العضو: غشـاء، لفافة، جليدة. صفاق (صفاق عضلات المقلـة: tunica albuginea oculi)، الخ.

مئشاري: منشاري: المئشار والمنشار بمعنى واحد. أشر ونشر. النبض المنشاري أو المئشاري: المتتابع بتقطع كأسنان المنشار. وعكسه الموجي من الموجة: الاتصال.

مؤوف: عضو مؤوف: أصابته آفة.

مائي: مائية: من عنصر الماء أحد العناصر الأربعة. أي يغلب في تركيبها هذا العنصر.

ماساريقا: مرض يتجشأ المصاب به جشاء حامضا وتعتريه نفخة، وليس يعطش عطشا كثيرا.

ماش: ماش يميش الشيء بالشيء خلطه. ماش الناقة: حلب نصف ما في ضرعها.

مالنخوليا: هو اختلاط العقل من غير حمى وهو نوع من الوسواس السوداوي. melancolia

ماميثا: ماميثا وماميتا: عصارة عشبية طيبة الرائحة مرة الطعم لونها بين صفرة وحمرة وغبرة، ومتىأخذت من العشبة المذكورة تصبح متجمدة سهلة الكسر. زعفرانية العصارة. [glancium] glaucie

ماهوذانة: ماهوذانة وماهودانة. هو حب الملوك، وشجرته تسمى في الشرق بالسيسبان أو البلسان. قال ابن رشد: إن هذا النبات من أنواع اليتوع وحبه مسهل كالحال في سائر اليتوع.

متثور: ثائر، يظهر بقوة.

متشابه الأجزاء: أنظر أعضاء.

متنان: هما لحمتا الظهر عن يمين الفقار وشماله .parenchymes

مثانة: موضع تجمع البول في البدن تحت عظم العانة. (vessie)

مُخَيْطَى: مُخيطة.شجر. ويسمى سبستان: sebastier

مِدّة: ما يجتمع في الجرح من القيح.

مدي: المَدِيّ :ما سال من ماء الحوض فخبث.

مر: صمغ معروف. قال الشيخ الرئيس: أجوده ما هو إلى البياض والحمرة غير مخالط بخشب، شجرته طيبة الرائحة، وقد يغش ببعض اليتوعات. وهذا اليتوع يسمى بافرسين وهي شجرة قتالة. arbre à myrrhe [balsamo].

مرابض: مجاري الطعام والغذاء من المعدة إلى الكبد.

مراق: امترق وأيضا أمرق الولد من بطن أمه: أسرع في الخروج. مِراق البطن، لا واحد من جمعها: ما كان منه رقيقا ولينا في أسفله. ويعرفه القدماء: "العضلات الممتدة على البطن". وكذلك: "الجسم المجتمع من الجلد والعضل الذي على البطن والغشاء الذي تحته، وهو الذي يحوي الأحشاء". المراقية: مرض .

مِرّة: لغة: القوة والشدة.. والمِرَارة: والجمع مرائر ومرارت: كيس لازق بالكبد تكون فيه مادة صفراء هي المِرّة. والمرة الصفراء fief, bile jaune : . والمرة السوداء: atrabile bile noire

مرخ: مرخ جسده بالهن: دهنه.

مرداسنج: هو الآنك المحرق وقد يتخذ من غيره يطبخ في خل أو خمر ثم يحرق وينزع عنه ما يعلوه.

مري: المريّ :العرق الذي يمتلئ ويدر اللبن.

مريء: هو مجرى الطعام والشراب من الفم إلى المعدة.(œsophage)

مزاج: من المزج بين أشياء. وامتزاج الكيفيات الأربع -التي هي اليبوسة والرطوبة والحرارة والبرودة والتي هي كيفيات العناصر الأربعة التي هي التراب والماء والنار والهواء- ينتج عنه كيفية أخرى هي كيفية الامتزاج وهي المقصودة بالمزاج. ويكون معتدلا أو غير معتدل حسب تساوي أو غلبة كيفية أو كيفيتين فيه. وفي كل واحد من الحيوان والنبات والمعدن من هذا المزاج مقدار

ما بحسب ما يحتاج إليه في كل واحد منها. وهـذا المـزاج يقـوم مقام الآلة والأداة التي بها يكون عمل الطبيعـة والنفس اللـذين بهما يكون تدبير الحيوان والنبات. فإن بالطبيعـة يكـون تدبـير الحيوان والنبات، وبالنفس يكون تدبير الحيوان.

– **مزاج سوداوي**: tempérament mélancolique

– **مزاج بلغمي**: tempérament flegmatiques

مسام: المسام: المنافذ التي يخرج منها العرق. ولا واحد لها مـن لفظـها إلا السم مثل المحاسن والمعالي.

مستقيم : المعي الغليظ النازل إلى الشرج. الشرج نفسه. (rectum) وطرفـه تسميه العامة "السرم".

مسك: طيب، وهو سرة دابة كالظبي يسمى غزال المسك أو هو بعينـه، له نابان أبيضان معكوفان كقرنـين، وهـو أنـواع فـأجوده يكـون بسبب معدنه النبتي ومن جهة اللون والرائحـة والعـرب تسـميه المشموم.

مِسَلَّة: والجمع مسال. الإبرة الكبيرة. المِخْيط. وجع مسلي، المثقبي. من المسلة والمقثب.

مشج : والجمع أمشاج: خلط أخلاط. humeur

مُشط اليد: هو هيكل راحة اليد (métacarpe) الذي يتألف من خمسة عظـام طويلة هي الأمشاط التي تتمفصـل في الأعلـى مـع عظـام الصـف الثاني الرسغي وفي الأسفل مع سلاميات الأصابع الأولى. وتسمى هذه العظام بالعظام الرُسغية أو السَّنعية. (os métacarpiens)

مشكطرامشير: قضبان يشبه الشاهفرم لا طعـم لـه ولا رائحـة في أول الطعـم ثـم يعقب مرارة وحدة، وإذا رعته الغنم حلبت دما .

مشوص: انظر شوص.

مشيمة: غشاء الوليـد يخـرج معـه مـن بطـن أمـه. chorion وتشـبيهاً بـه سميت :

–**الطبقة المشيمية** (choroïde) أو الطبقة الوعائية الثانية للعين، وهي الحجاب المتوسط بين الطبقة الصلبة الصلبة من الخارج وبين الشبكية من الداخل. والكلمة نسبة إلى المشيمة.

مصطكَى: مصطكا ومصطكاء، يسمى علك الروم، وهو صمغ شجر لطيف العود والورق كشجر الآراك له ثمر إلى المرارة، وهو نوعان: رومي أبيض ناعم طيب الرائحة فيه لدونة حلو وقبطي إلى السواد والمرارة، يسحق ويسمى العلك .lentisque .[pistacia]

مصفقات: صفيق: كثر نسجه.

معي: – **المعى الدقيق**: (intestin grêle)

معي: **المعي الأعور**: يقول بعض القدماء "ويسميه العرب المستدير، وإنما لُقب بالأعور لأن له فما واحدا منه تدخل أثفال الغذاء ومنه تخرج. الأعور (–*typhlo*/ceacum) – **المعي الصائم**: يقول بعض القدماء أن هذا المعى (jéjunum) سمي بذلك لكثرة فراغه لأمور كثيرة، منها أن الكبد تجذب منه أكثر مما تجذب من غيره، ولأن فيه عروقا أكثر من غيره، ولقربه من الكبد. – **المعي العَفج**: (duodénum): المعي الاثني عشر، يقول بعض القدماء أنه سمي بالاثني عشر أصبعا لأن طوله في كل إنسان اثنتا عشر إصبعا بأصابع نفسه.

مغضن: مشنج متجعد متصلب. انظر: غضن.

مفردة: الأدوية المفردة: إما نباتية وهي ثمر أو بزور أ زهر أو ورق أو قضبان أو أصول أو قشور أو البان أو صموغ. وإما معدنية وهي حجرية أو مما ينبع مثل القار.وإما حيوانية كالذراريح وأعضاء الحيوانات وأحشائها ومراراتها.

مفصل: الاتصال المفصلي: هو ما يعرف بالصُّدغي الفكي الأسفل. (articulation temporo-mandibulaire)

مقاصري: نوع من الصندل. انظره.

مقاييس: جمع قياس. ويجمع أيضا على قياسات. والمقصود: القياس

المنطقي، وهو بصورة عامة استخراج المجهول من المعلوم.

مقعدة: أسفل الجسم المماس للأرض عند الجلوس. مكان خروج الغائط. الإناء الذي يتغوط فيه.

مُقل: ثمر شجرة الدوم. صمغ شجرة يتداوى به. adellium

ملتحم: هو بياض مقلة العين.

مناسبة: "البراهين الخاصة المناسبة: أي التي مقدماتها من جنس واحد، غير مشتركة لجنسين متباينين، أي خاصة بالعلم موضوع البحث وليست منقولة إليه من علم آخر، لأن المقدمات الخاصة المناسبة محصورة في الجنس ضرورة. ولذلك ليس يمكن لصاحب الهندسة أن يستعمل المقدمات التي يستعملها صاحب علم الحساب، لأن موضوع الهندسة الكم المتصل وموضوع الحساب الكم المنفصل وهما جنسان مختلفان. ولذلك فليس يكفي في البرهان أن تكون المقدمات صادقة ومعلومة بنفسها بل وأن تكون مع ذلك خاصة بالموضوع الذي ينظر فيه" (ابن رشد: تلخيص البرهان).

منصبة: مواد منصبة : الدم الفاسد والقيح وما تتكون منه الأورام.

منضج: دواء يعدل من الأخلاط الحادة.

مو: المو: شجر يرتفع نحو ذراعين له ورق رقيق وزهر بين بياض وحمرة فيه حدة وحرافة كثير المنافع ويسمى أيضا سنبل الأسد، والمستعمل منه خشبه وأصله وتكون قطع مختلفة الشكل، لها غبار يضرب إلى قبض ومرارة، طيب الرائحة. [arbol]

موم: هو الشمع العسلي، أو ما يطرحه النحل أولا في الخلايا، وينظمه لوضع العسل وهو ثلاثة أقسام: أولا القرص الذي فيه العسل وهو أجود الشمع؛ الثاني شيء لم يدخل العسل إنما يكون حاجزا. وهذا متوسط؛ ثالثا المعروف بالسليط وهو شيء أسود يطلي النحل به الكوارة صونا لها، والشمع العسلي يدخل في سائر المراهم. [cera]

ميس: ميس اللبن. الميس نوع من الزبيب. ويقال أيضا على نوع من الشجر. والميس أيضا: micocoulier

ميعة: قشر شجرة كالتفاح لها ثمرة بيضاء أكبر من الجوزة تؤكل. وهذه هي الميعة اليابسة أما السائلة فهي عصارة لب نواة هذه الشجرة وتسمى لبنى.[styrax]

- ن -

نائبة: الحمى التي تأتي كل يوم.

نارجيل: جوز الهند.

نارنج: النارنج والنرنج ضرب من الليمون . bigaradier

ناري: نسبة إلى النار أحد العناصر الأربعة، والناري: الذي يغلب في تركيبه هذا العنصر: يقول عنها ابن رشد في شرح الأرجوزة: "وليست النار التي هي أسطقس هي هذه النار المحسوسة كما يقول الإسكندر لأن هذه النار سبب للفساد لا سبب للكون. والنار التي هي الأسطقس هي سبب الكون والتوليد وهي النار التي فوق الهواء في مقعد الفلك وليس لها لون لأن اللون إنما هو شيء لهذه النار المحسوسة لكونها في جسم أرضي".

ناسور: العرق المريض المرتهل، يكون حوالي المقعدة. وناصور: fistule

نافض: النافض هو حمى الرعدة، والمصطلح من نفض الثوب ليزول عنه الغبار، حركه بقوة وأحدث فيه اهتزازات، وكذلك تفعل حمى الرعدة بالجسم.

نانوخة: و ننوخ، وناخنة، ونانوخاء: فارسية. نبات يدق حبه ويستعمل دواء معروف وفيه مرارة وحرافة. وتعرف في المغرب بالفليفلة وهي الكمون الحبشي وكمون الملك أو الكمون الملوكي . وقيل هي تعريب نانخواه: ومعناه طالب الخبز. والحب المذكور سمي به لأنه يبذر على الخبز.

نجو: النجو: الريح والغائط.

نخاع: (يعرفونه هكذا: "الجسم الأبيض السالك في الفقارات، منبته الدماغ"؛ وكذلك: "المخ الذي في جوف فقر الصلب"؛ moelle) ويقال له كذلك اللب والرِّم والنقي.

نخس: نخس الدبة، غرز جنبها بعود أو نحوه. وجع ناخس: douleur lancinante

نزلة: نزلة الرشح معروفة.

نسا: انظر عرق النسا.
نقرس النسا: goutte sciatique

نضج: من طهو الطعام أو تخمير المشروبات الروحية. ومرحلة النضج في المرض هي المرحلة الثانية من تطوره. la cuisson , pepsis

نطَل: عصر. ونطَّل رأس المريض بالنطول: صب عليه النطول قليلا قليلا. والنطول: ما تغلى فيه الأدوية والحشائش ويصب فاترا على العضو المصاب.

نعناع: النعناع والنعنع. بقلة طيبة الرائحة تؤكل ويتداوى بها، فيها قوة مسخنة قابضة وهي من ألطف البقول المؤكولة جوهرا. [mentha]

نفس الانتصاب: تنفس صغير سريع متواتر.

نقرة: هي حفيرة أو جوبة تطلق على حفر كثيرة في الجسم (نقرة العصعص fovéa radiale؛ النقرة الكعبرية foveola coccygea)؛ وتقال أكثر لحفيرة الشبكية المركزية. fovea centralis retinae

نِقرس: مرض في مفاصل القدم وإبهامها خاصة. ويسمى داء الملوك.
نقرس النسا: goutte sciatique

نقع: نقع الدواء في الماء: تركه فيه حتى انتقع أي انحل. ونقع السمُّ في أنياب الأفعى: اجتمع فيه. واستنقع: فلان في النهر: دخله ومكث فيه يتبرد.

نمبرشت: بيض نمبرشت: فارسية: هو الذي سخن حتى حثر ولما يتم

نضجه وهو يسمى الرَعّاد أيضا.

نملة: بثور صفار مع ورم قليل وحكة وحرقة وحرارة في اللمس تسرع إلى التقرح.

نوبة: المدة التي تكون فيها الحمى في المريض. كأن الحمى تتناوب عليه، تذهب ثم تعود.

نورة: هي في الأصل حجر الكلس ثم غلب على أخلاط تضاف إلى الكلس من زرنيخ.[caix]

نيل: نبات له ساق صلب وشعب دقاق وورق صغار مرصفة من جانبين، منه بستاني ومنه بري. Indigo;[indigofera]

نيلجي: نسبة إلى النيلج: شيء يتخذ من نبات العظلم، مما يرسب منه في الماء.

نيلوفر: نبات مائي ورقه كبير مستدير يعوم على صفحة الماء وأزهاره جميلة.

-هـ-

هريس: من القمح.

هلاس: هزال. والمهلوس من الرجال: الذي يأكل ولا يرى أثر ذلك في جسمه. هلاس السل.

هوع: فعل التقيؤ، وليس من الضروري فيه خروج القيء.

هليلج: هليلج وأهليلج يقال له الإجاص الهندي ثمر شجر معروف أصنافه كثيرة: منه الأصفر الفج، ومنه الأسود الهندي وهو البالغ النضيج، ومنه صيني وهو دقيق ضعيف، أجوده الشديد الصفرة الضارب إلى الخضرة المتلىء الصلب. [mirobalamum] terminalia; myrobolan

هليون: هليون ويقال له الاسفرنج ويسمى بالمغرب سكوم أو زكوم. نبت

له قضبان لينة رخصة جدا فيها لبن وورق كالكبر وزهر إلى البياض قد يخلف بزرا دون القرطم، وهو كثير في الجبال المغربية والبوادي.[asparragus]

هندباء: بقل وهو صنفان بري وبستاني، والبستاني صنفان أحدهما قريب الشبه من الخس عريض الورق، والآخر أرق ورقا منه وطعمه مر، والبري صنفان أيضا أحدهما زهره أصفر وآخر زهره سماوي.[cichorum]

هوائي: هوائية: من عنصر الهواء أحد العناصر الأربعة. أي يغلب في تركيبها هذا العنصر.

هيضة: مغص وكرب يحدث بعدهما قيء واختلاف. معاودة الحزن والألم، المرضة بعد المرضة. وأصابته هيضة: أكل شيئا تغير طبعه عليه فيكثر اختلافه لانطلاق بطنه. والهيضة أيضا: choléra

هيوفاريقون: هو بزر الخشخاش الأسود، منوم مخدر. انظر الخشخاش. [papaver]

- و -

وَتَر: الوتر (tendons) والعَصب (nerfs) - وكذلك العَضَل، الخ. - ألفاظ يسمى بها الواحد والجمع. ويرد في المتن العَصَبة (واحدة العصب)، ولا يرد الوترة (واحدة الوتر). ويرد أيضا الأعصاب (جمع عصب) والأوتار (جمع وتر). التهاب الوتر: tendinite

وج: الوج: أصول نبات كالبردي ينبت أكثره في الحياض وفي المياه، وعلى هذه الأصول إلى البياض، فيها رائحة كريهة ومنها نوع رائحته طيبة؛ ومنه نوع آخر يقال له ارغالاطيا.[acorus]

ودج: الوريد الودجي (أو الوداجي) الباطن (veine jugulaire interne). ويقال وَدَج ووِدَاج والجمع أوداج. والودجان عرقان في العنق أحدهما الودج الظاهر والآخر الودج الغائر.

ورك: الوَرْك والوَرك: ما فوق الفخذ كالكتف فوق العضد hanche.

وسخ الكور: الكور:القطيع من الإبل. موضع الزنانير. أيضاً: وسخ الكور: رماد المجمرة.

وسط: "الوسط" بين المتقابلات أو المتناقضات ليس كالنقطة التي تقسم الشيء إلى قسمين متساويين، كما في العصا مثلا، كلا. الوسط في الأمور المعنوية والأعراض، كالصحة والمرض والسواد والبياض الخ، شيء اعتباري، تقريبي: فالبدن الذي في حال الصحة لا يكون خاليا من المرض تماما وإنما يكون في حال تغلب فيها الصحة. وكذلك الجسم الأسود فهو ليس خاليا من البياض تماما وإنما يغلب عليه البياض. وقد يتقلص المرض في الجسم الصحيح، والسواد في الجسم الأبيض، إلى درجة تقترب من الصفر، ولكنها لا تبلغ الصفر. فبين الأسود والأبيض متوسطات، ليست هي نصف بياض ونصف سواد، بل هي الألوان الأخرى التي يدخل السواد والبياض في تركيبها، مثل الأصفر والأدكن الخ. وهناك حالات ليس لها أسماء يعبر بها عن المتوسطات فيها، وإنما يعبر عنها بالسلب مثل قولنا: "لا-جيد"، و"لا-رديء"، و"لا-عدل"، و"لا-جور" الخ. (أنظر: ابن رشد. تلخيص المقولات. تحقيق موريس بويج. دار المشرق. بيروت ١٩٨٦. ص٩١)

وسن: ثقلة النوم. كثرة النعاس. léthargie

وضح: البياض الذي يكون على ظاهر الجلد كالبرص.

وضر: الوضَر: وسخ الدسم. غسالة القصعة ونحوها. أثر الطعام في القصعة.

-ي-

يتوع: كل نبات له لبن حاد مسهل مقطع محرق، والمشهور منه سبعة:

الشبرم، اللاعية، والمرطنيثا، الماهودانة، المازريون، القشر، والفلجلثت، وكلها قتالة. euphorbe

يربطورة: هي أندراسيون. انظره.

يرقان: الأرقان، الأُرق: آفة تصيب الزرع والناس يصفر أو يسود معها اللون. رجل ميروق. Ictère, jaunisse